سيف الإمبراطورية المكسور (أمريكا ضد روسيا - ١)

فلاديمير ألكساندروفيتش كوتشرينكو (الاسم المستعار الإبداعي: مكسيم كلاشينكوف) : "سيف الإمبراطورية المكسور (أمريكا ضد روسيا-1)" , (الطبعة الأولى، 1998؛ الطبعة الثانية، 2000؛ الطبعة الثالثة، 2002)

ترجمة د/امجد مصطفى أحمد

لا، لم نخسر الحرب الباردة العالمية الثالثة! كانت الإمبراطورية العظمى، الاتحاد السوفيتي، متقدمة على الولايات المتحدة في سباق التسلح الذي استمر نصف قرن. صنعت نماذج من الأسلحة التي لا تُقاوم. وليس الروس، بل الأمريكيون هم من انهاروا من الإرهاق. تحت غطاء الحزب السوفيتي القديم، كانت قوة جديدة تنضج، تغلي بطاقة كونية هائلة. في أعماق المجمع الصناعي العسكري، تراكمت احتياطيات هائلة من التقنيات الرائعة، وعملت جيوش من أمهر الكفاءات. كان بإمكان الروس تحقيق اختراق في حضارة جديدة، قبل أن تتلاشى "المعجزة اليابانية". لم نكن نعرف ما لدينا. أوامر غبية أخفت عنا روعة قوة البلاد. بذل الغرب قصارى جهده لتدمير الإمبراطورية من الداخل. طعنتنا طبقاتنا العليا المنحطة في الظهر بخسة. هل ضاع كل شيء؟ لا! لم ينتهِ التاريخ الروسي بعد. لا يزال بإمكاننا بناء إمبراطورية جديدة - مملكة من الأقوياء والتكنولوجيا المتقدمة.
مكسيم كلاشينكوف

مقدمة

عندما تولى غورباتشوف السلطة عام ١٩٨٥، كنت في الثامنة عشرة من عمري. أمام عيني، تفتتت الإمبراطورية العظيمة - الاتحاد السوفيتي - أوصالاً. لا يزال العقل يرفض قبول هذه الحقيقة.

لماذا؟ كيف؟ آلاف الأصوات تُصرّ على التأكيد: "إنه فاسد"، "كان الاتحاد السوفيتي دولة متخلفة بتكنولوجيا بمستوى الكهوف". على مدى الاثني عشر عامًا الماضية، نُوِّم مغناطيسيًا، ونُقش في عقولنا: خسرت الإمبراطورية الحرب العالمية الثالثة، "الحرب الباردة"، بعد أن استنفدت قوتها الاقتصادية في سباق التسلح مع الغرب. هناك رجال خارقون، ومخترعون، وعمال رماة. لدينا قبيلة كسولة، غبية، خلقت لنفسها صناعة هشة، عاجزة عن أي شيء. "ماشية روسية".

يبدو أن جيش "الصحفيين الأحرار" الخائن قد حقق هدفه. ملايين الناس في بلدي، كالببغاوات، يرددون عباراتهم المبتذلة بطاعة. جيل جديد يولد، تُعتبر "العالم الجديد" القبيح ظاهرة مألوفة لديه. بعد قليل، ستترسخ في وجدانه أسطورة عملاق ما قبل الطوفان، على أقدام من طين، مهزوم أمام الآلة التكنولوجية المتألقة للغرب.

لكن، ليس مُحبّو الهزيمة في بلادنا أصيلين - فهم يبثّون، بطاعة، برامج دعائية مُعدّة في الخارج. وهناك أعلنوا: الإمبراطورية الروسية لا تستطيع الصمود في وجه المنافسة في تطوير أنظمة الأسلحة الحديثة. أعلن الرئيس ريغان بغطرسة: لقد أجبرنا السوفييت على الضغط على دواسة الوقود حتى الموت. ويضيف مُمثّلي الديمقراطيين، مكسيم سوكولوف، بلهفة: "الضغط على دواسة الوقود حتى الموت، فسقطت السيارة في حفرة".

هذه الأطروحة ليست جديدة. ففي عام ١٩٩٦، ظهر كتاب "النصر" لبيتر شفايتزر في أكشاك الكتب بموسكو. تحت عنوان "دور الاستراتيجية السرية للإدارة الأمريكية في انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي"، يتناول الكتاب السنوات المأساوية التي سبقت العاصفة (1986-1979). وإذا صدقنا ما جاء في الكتاب، فإن استراتيجية تدمير إمبراطوريتنا العظيمة طرحها كاسبار واينبرغر، مساعد ريغان، بالاعتماد على أسلحة متطورة.

في عام 1982، اعتمد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان توجيهًا للأمن القومي من ثماني صفحات، حدد الهدف الرئيسي - تقويض اقتصادنا. وفي العام نفسه، ألقى رجل الأعمال الموقر والخبير في الصناعة الروسية، هنري روان، خطابًا قال فيه: "علينا ببساطة الحفاظ على مستوى عالٍ من الأسلحة حتى تحاول موسكو اللحاق بنا، وأن نتوقف أيضًا عن تزويدهم بالوسائل الغربية اللازمة لبقائهم. وسنشهد انهيار النظام السوفيتي في هذا العقد".

يعرف جيلي هذه الاستراتيجية جيدًا: نشر نظام دفاع صاروخي فضائي ضخم، يُعرف باسم "مبادرة الدفاع الاستراتيجي". أو برنامج "حرب النجوم"، كما كان يُحب أن يُطلق عليه الممثل ريغان. بالإضافة إلى بناء قاذفات

الشبح الاستراتيجية غير المرئية بالرادار، وصواريخ MX المدمجة، والقاذفة العملاقة B-1، والصواريخ البحرية، وغواصات ترايدنت العملاقة. كل هذا، بتكلفة مئات المليارات من الدولارات، كان من المفترض أن يجرّنا إلى سباق مُنهك. أن يُسبب انهيارنا، و"ألم قلوبنا". لكن كفى حديثاً عن ذلك. لقد سئمنا من كليشيهات الآخرين. اليوم، بعد خمسة عشر عاماً، نصل إلى نتيجة مختلفة. في عام ١٩٨٥، لم نكن نحن، بل هم من كان من الممكن أن يسقطوا قتلى في مثل هذه المنافسة. فلم يكن هناك، ولا يزال، من يُضاهي الروس في العبقرية والإبداع. ولهذا كان الغرب يخشى بشدة من إمبراطوريتنا العظيمة، التي قد تُطلق في أي لحظة الطاقات الهائلة التي كانت كامنة حتى ذلك الحين. تُركع عالمهم الكاذب إلى الأبد. في الشرق، هدد عملاق جديد، يحمل بين يديه برقاً، بالصعود. لقد واكبت النخب الغربية الحساسة نبض الحياة الجديدة الناشئة في البلد الذي كنا نسميه الاتحاد السوفيتي.

يُطلق الآن على العقد الماضي، ما قبل غورباتشوف، اسم المستنقع. فليكن. لكن المستنقعات ليست مجرد كتلة من المياه الراكدة والنباتات المتعفنة، بل هي أيضًا مخازن هائلة من القوة المتراكمة على مدى آلاف السنين. إنها مخازن الشمس، القادرة على ولادة شيء جديد، سريع الاندفاع. لذا، كان "الركود" السوفيتي، كما نفهمه الآن، مستودعًا لقوة غير مسبوقة. بُددت، وبُددت، ونُهبت بإهمال. ربما تبدو هذه الأفكار هذيانية. لكن لا، ذهننا صافي، وتجربتنا مريرة. أؤكد بثقة تامة: خلال الثلاثين عامًا الأخيرة من عمر الاتحاد، وُجدت حضارة فريدة من نوعها وخطت خطواتها الأولى. للأسف، كاد المعاصرون يغفلون عنها، ولا حتى في الاتحاد السوفيتي نفسه. تشبه العوالم الموازية لويلز أو سيماك. قلّة فقط من عرفوا الأبواب المؤدية إليها. اليوم، علينا أن نبحث عن هذه الأبواب من جديد، فنكشف عن طبقات كاملة من الغباء والأكاذيب التي دُفن تحتها عالمنا الروسي.

كعلماء آثار، نُضطر الآن إلى نبش آثار حضارة مجهولة. عسكرية، إمبراطورية، روسية، كادت أن تُمحى من على وجه الأرض.

لكن دعونا نُشير إلى ملاحظة جوهرية. العوالم العظيمة، والقوى العالمية لا تستند إلى القوة فحسب، بل إلى الإرادة أيضًا. الزحف الحتمي لأساطيل المعارك والجيوش المليونية ليس كل شيء. الإمبراطوريات تُبنى على يد أبطال وتعتمد عليهم. القوة الرئيسية تكمن فيهم، في أناسٍ يتمتعون بشجاعة جامحة، وطاقة لا تنضب، وإرادةٍ ثاقبةٍ لا تلين.

فقط في يد محاربٍ أرستقراطيٍّ حقيقي، تصبح سيوف "كلادينيتس" سلاحًا هائلًا وضاربًا. وبالنسبة للمخلوقات ذات القدمين والنفوس الحقيرة الفاسدة، حتى الفولاذ الدمشقي سيكون كقطعة خشبٍ متعفنة.

هيا بنا، أيها القارئ، لنكتشف عالمًا مجهولًا للكثيرين.

الفصل الأول: الخدعة الكبرى في "حرب النجوم"، و"البطاقة الثامنة"، و"وحش ليفرمور"، ومركبات الاعتراض الفضائية الروسية.

"الماس": المداري، المدفع.

1

ربما، لنبدأ بالحلقة الأخيرة في السلسلة - ملحمة مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية (SDI). كانت هذه التحفة الفنية من الفكر التكنولوجي الغربي هي التي كان لها الدور الرئيسي في ترهيبنا واستنزاف النظام الاقتصادي للاتحاد السوفيتي.

حتى على التلفزيون السوفيتي في أوائل الثمانينيات، كانوا يعشقون عرض لقطات من الرسوم المتحركة الأمريكية، حيث كان سرب من الرؤوس النووية السوفيتية المتجهة نحو الولايات المتحدة يُدمر بشكل منهجي بواسطة أنظمة الدفاع المدارية. كنا، وكأننا مسحورون، نشاهد أشعة الليزر تصيب صاروخًا تلو الآخر. لقد تم غرس فكرة فينا بلا كلل وبمنهجية: في يوم من الأيام، ستصبح جميع القوات الصاروخية الاستراتيجية الروسية فجأة كومة من الحديد عديمة الفائدة، عاجزة أمام عدو متطور. مثل هراوة بدائية لوحش أفريقي - أمام مدفع رشاش أنيق لمستعمر أوروبي فاتح.

قدم الأمريكيون، أسياد الدعاية (الأسلحة النفسية) الفذّون، مبادرة الدفاع الاستراتيجي الخاصة بهم بصوت عالٍ، في كل زاوية. كانت الفكرة بسيطة - نشر مجموعات كاملة في الفضاء القريب من الأرض - أسراب من الأقمار الصناعية القتالية التي تسيطر عليها تكنولوجيا الكمبيوتر فائقة السرعة. ما الذي كان من المفترض أن يتضمنه هذا الأسطول الفضائي؟ أولاً، الأقمار الصناعية المُجهزة بصواريخ مُوجهة، والمُصممة لاعتراض الصواريخ السوفيتية الاستراتيجية الكبيرة. ثانياً، الأجهزة المُزودة بمدافع كهرومغناطيسية.

مبدأ تشغيلها بسيط. كان المدفع الكهرومغناطيسي معروفاً في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي. فبدلاً من الأنبوب الفولاذي ذي السبطانة، الذي يُدفع فيه المقذوف بواسطة الغازات المُتمددة أثناء احتراق البارود، صُمم هذا المدفع بأدلة طويلة تُشبه القضبان. وكان دور البارود من نصيب مغناطيسات كهربائية قوية - ملفات لولبية موضوعة على طول "السبطانة"، والتي، عند تشغيلها واحداً تلو الآخر، تسحب المقذوف على طولها، مُسرّعةً إياه إلى سرعات فائقة.

لكن على الأرض، تبيّن أن هذه المدافع غير فعّالة. فقد احتاجت إلى طاقة كهربائية هائلة لا تُضاهي حتى مدفع بارود ميداني تقليدي. أصبحت مقاومة الهواء الجوي عائقاً لا يُقهر.

في الفضاء، الأمر مختلف. في الفراغ، لا توجد مقاومة للهواء. وإذا أُطلقت باتجاه القمر الصناعي المُثبّت عليه المدفع الكهربائي، فستُضاف سرعة المقذوف إلى سرعة الجهاز المداري نفسه. المساحة الأولى. لم يتبقَّ سوى إيجاد مصدر طاقة صغير الحجم ولكنه قوي وإطلاقه في المدار.

وأخيرًا، اهتم الأمريكيون بأنظمة الليزر. الفكرة هي: ليزر قادر على اختراق أغلفة الرؤوس الحربية، بل وأكثر من ذلك - اختراق الأغطية الضخمة - دروع صوامع الصواريخ السوفيتية، يحتاج إلى ضخ طاقة قوي. المصطلح مُشتق من لغة فيزيائيي الليزر أنفسهم. في المختبرات الأرضية، كان الضخ يتم من مصادر كهربائية قوية، من التفريغات.

قرر الأمريكيون استخدام الانفجارات النووية كضخٍ لمبادرة الدفاع الاستراتيجي "حرب النجوم". فجّروا شحنة نووية حرارية صغيرة بسعة نصف طن من مادة تي إن تي في منشأة خاصة في مكان ما في أريزونا، ونقلوا الشعاع الناتج إلى منصة مدارية - عاكس مزود بنظام استهداف. المنصة ثابتة جغرافيًا، أي أنها أُطلقت إلى مدار على ارتفاع 36 ألف كيلومتر فوق سطح الكوكب. لذا، يتزامن وقت دوران القمر الصناعي حول الأرض مع وقت الكوكب نفسه - 24 ساعة. ونتيجة لذلك، تبدو المنصة وكأنها معلقة باستمرار فوق منطقة معينة من الكوكب.

كان الأمريكيون خائفين: سنعلق منصات ثابتة جغرافيًا فوق أماكن تركيز الصواريخ الباليستية السوفيتية، وسننشئ حزامًا دفاعيًا على الطرق المؤدية إلى الولايات المتحدة. التقط القمر الصناعي شعاع الليزر المنبعث بعد انفجار كل شحنة - ضخ - وحوّله إلى عشر نبضات قتالية - طلقات. وكان من المفترض أن يصيب نظام توجيه الحواسيب العملاقة هذا الهدف التالي.

"التهام" عشرة رؤوس حربية سوفيتية متجهة نحو الولايات المتحدة.

في الواقع، كانت هذه أكبر خدعة في التاريخ الحديث. لم يتمكن الأمريكيون من تنفيذ برنامج "حرب النجوم" - فقد كانت التكاليف تقترب من مئات المليارات من الدولارات. لو اختار الأمريكيون نشر مبادرة الدفاع الاستراتيجي، لكان اقتصادهم، لا اقتصادنا، قد انهار كحصان منقاد. في الانتخابات التالية، لكان الأمريكيون قد تذكروا الرئيس ريغان لزيادة العبء الضريبي وخفض البرامج الاجتماعية. تمامًا كما لم يسامحوا الرئيس بوش على حربه المنتصرة مع العراق عام 1992، "عاصفة الصحراء"، التي كلفت أكثر من 80 مليار دولار. ففي النهاية، الفضاء العسكري متعة باهظة الثمن. وكان الاقتصاد الأمريكي يدخل في أزمة أخرى بحلول نهاية الثمانينيات.

ولكن حتى لو خاطرت الولايات المتحدة بإهدار مئات المليارات على مشاريعها القريبة من الأرض، لما كان هناك وضع أكثر ملاءمة للاتحاد السوفيتي. لأننا، نحن الروس، امتلكنا أقوى وسائل الرد، والتي كلفتنا أقل بعشر

مرات، حتى بالأسعار العالمية. مجازيًا، كان روبل واحد أنفقه الاتحاد السوفيتي ليُهدر مئة دولار أهدرها الغرب على نظام "حرب النجوم".

هذا ما حدث في التاريخ. في نهاية القرن التاسع عشر، اتضح أن لغمًا، أسطوانة فولاذية صغيرة محملة بالمتفجرات، قذفت سفينة مدرعة إلى القاع بسهولة، الأمر الذي استغرق سنوات من العمل الشاق وملايين الجنيهات الإسترلينية. "الشراغيف" الرخيصة، غواصات الألمان في الحرب العالمية الأولى، دمّرت أغلى طرادات المعارك والدريدنوت البريطانية. زجاجة صغيرة محملة بـ"قنبلة مولوتوف" أو "فاوستباترون" رخيصة الثمن وسهلة الاستخدام حوّلت الدبابات إلى أكوام من المعدن المحروق. وفي عام ١٩٨٢، دمر صاروخ إكزوسيت الذي أطلقه الأرجنتينيون، بتكلفة مليون دولار، المدمرة البريطانية فائقة التطور شيفيلد، مما كلّف بريطانيا أكثر من مئة مليون جنيه إسترليني.

كانت مبادرة الدفاع الاستراتيجي أشبه بتعقيد هائل وهشّ يمكن تدميره بسهولة بضربة من حجر رصف عادي. كان لدى أذكياءنا ما يكفي من "الأحجار الرصف الرخيصة".

لتحييد المنصات الثابتة فائقة التعقيد - بطاريات الليزر الأمريكية - كان من الضروري إطلاق حاوية صغيرة محملة بكرات فولاذية إلى المدار. مع شحنة تشتت منتظمة على متنها. دوى انفجار - وتشكل سرب من النيازك الاصطناعية في الفضاء. لم يكن من الصعب جدًا جعلها تلحق بالمنصة الأمريكية فائقة الدقة بسرعة نسبية تبلغ مئات الأمتار في الثانية. بعد اصطدامها بهذا السرب، ستصبح الأقمار الصناعية الأمريكية الضخمة قطعًا معدنية عديمة الفائدة.

لكن هذا لم يتحقق إلا بنجاح تام في نشر نظام الليزر الأمريكي المزود بضخ نووي أرضي، والذي كتبنا عنه سابقًا. في غضون ذلك، واجهت الولايات المتحدة في تطوير هذا النظام صعوبات عديدة هددت باستنزاف سنوات ومليارات الدولارات. إذ كان من الضروري أن يكون انفجار الجهاز في المنشأة الأرضية مُحدد الجرعة بدقة - نصف طن بالضبط من مادة TNT المكافئة لا أكثر. لكن الأمريكيين لم يعرفوا كيفية تحقيق هذه الدقة. تذبذبت قوة الانفجارات بشكل غير مقبول. كان من المفترض أن تكون نصف طن - لكن اتضح أنها طن ونصف. هذا يعني أن المنصة الفضائية - عاكس شعاع الليزر المُرسل من الأرض - ستحترق حتمًا. ستحترق، مثل فتيل يمر عبره تيار كهربائي زائد.

كانت هذه هي المشكلة الرئيسية، ناهيك عن مشاكل أخرى "أصغر". على سبيل المثال، صعوبات في إنشاء عاكسات شعاع مستقرة قادرة على تحمل أحمال حرارية هائلة دون تشوه قد يؤدي إلى تبديد "خيط الليزر"، أو تجنب الأعطال غير المتوقعة في أكثر أنظمة التحكم الحاسوبية تعقيدًا.

3

اليوم، حتى الساذج يستطيع أن يرى: برنامج "حرب النجوم" أو "الحدود العالية" الذي روّج له ريغان فشلًا ذريعًا بسبب تكلفته الباهظة.

نشرت مجلة "تكنولوجيا الشباب" في عددها الخامس لعام 1995 مقابلة مع أليكسي تشيدكوف، عالم من معهد الفيزياء العامة التابع لأكاديمية العلوم. مع أحد أولئك الذين يعملون على ليزر فائق القوة يعمل بالضخ النووي.

وأكد مجددًا: أن محاولات الأمريكيين لصنع "سلاح معجزة" قد باءت بالفشل الذريع. اتضح أن المنشآت، غير القادرة على تحمل الأحمال الهائلة، قابلة للاستبدال. تم التوصل إلى هذه النتائج أيضًا من خلال تجارب أجراها خبراؤنا في الاتحاد السوفيتي، في أرزاماس-16 ومعهد موسكو للفيزياء الهندسية. أي أن استخدام مدفع ليزر ممكن تقنيًا اليوم، لكن مداه يُقاس بالكيلومترات، بينما يتطلب الأمر في حرب مدارية سلاحًا يصل مداه إلى مئات الأميال.

بالطبع، يُمكن إطلاق مولدات نووية من ليزرات القتال إلى الفضاء. ولكن، كما يُثبت زيدكوف، لاختراق غلاف صاروخ باليستي روسي، يلزم تركيز 20 كيلوجول من الطاقة على سنتيمتر مربع واحد. أو - ضرب رأس حربي سوفيتي طائر بشعاع ليزر بقوة ميغاجول واحد، لا يتجاوز قطره سبعة سنتيمترات. هذا على الرغم من أن الصاروخ المُطلق على الولايات المتحدة لا يتوقف، بل يندفع بسرعة تقارب ثمانية كيلومترات في الثانية!

لكن شعاع الليزر ليس أنبوبًا مستقيمًا.

كا من الضوء. يتميز شعاع الليزر بعادة "سيئة" تتمثل في التمدد مع ابتعاده عن مصدره وفقدان قوته. وفي "حرب النجوم"، يمكن أن يصل مدى الإصابة إلى آلاف الأميال. وقد حسب علماؤنا أنه لرصد صاروخ روسي مسرع، وإخطار دفاعه الصاروخي، وتوجيه "مدفع الليزر" نحو الهدف، ستحتاج المنصة المدارية الأمريكية إلى وقت طويل جدًا بحيث ينضغط الحد الأدنى لمدى التدمير إلى ألف كيلومتر فقط.

على هذه المسافة، يتحول شعاع ليزر بقطر رأس دبوس عند المخرج إلى دائرة ضوئية مساحتها مائة متر مربع عند الهدف.

ومضة ضعيفة فقط كفيلة بإضاءة جانب صاروخ سوفيتي مندفع نحو نيويورك أو واشنطن. وستسقط جول واحد فقط من الطاقة على كل سنتيمتر مربع من سطحه. أي أقل بعشرين ألف مرة مما هو مطلوب لتدمير أضعف رؤوسنا الحربية! لكن أحدث نماذج الرؤوس الحربية للصواريخ الروسية العابرة للقارات كانت مصنوعة من اليورانيوم-238: معدن ثقيل جدًا وصلب وشديد المقاومة للحرارة بلون الدم الجاف. يمكن لهذه الرؤوس الحربية أن تنفجر في طبقات الغلاف الجوي الكثيفة بسرعة 27 ألف ميل في الساعة، متحولةً إلى شرنقة نارية من جراء الاحتكاك في الهواء الكثيف، دون أن تحترق. حتى النيازك الحجرية الضخمة، التي تصطدم بغلاف الأرض الجوي، تتبخر في الغالب من شدة الحرارة!

كان الأمريكيون يخادعون علانية. كان من المستحيل عمليًا نقل نبضة ليزر بضخ نووي من الأرض على بُعد آلاف الأميال إلى منصة مدارية - فقد فقدت طاقتها ببساطة في الغلاف الجوي وتبددت تمامًا تقريبًا في الفضاء. وكان من المستحيل أيضًا جعل قمر صناعي يلتقط هذا الشعاع ويوجهه بمساعدة عاكسات إلى سرب من الرؤوس الحربية السوفيتية الطائرة. حتى لو نُقل مولد الشعاع النووي إلى محطة المعركة نفسها، فسيظل معطلاً!

وبدا حديث الولايات المتحدة عن إطلاق منشآت ليزر الأشعة السينية في المدار خياليًا للغاية. ولكي لا نملّكم بالحسابات الفيزيائية، نقتبس من زيدكوف: "الديهم ضخ مختلف تمامًا، يعتمد على استخدام... الأشعة السينية وأشعة غاما. ولكن حينها، سيتعيّن إجراء انفجار نووي شامل في الفضاء!

ومن سيُوجّه هذا السلاح؟ روسيا، التي تمتلك عددًا كبيرًا من الصواريخ؟ يصعب تمييزها لدرجة أنه سيتطلّب الأمر إنشاء منشآت قوية للتتبع، وإطلاق آلاف منشآت الليزر المزوّدة بمواد نووية إلى الفضاء. ومع ذلك، من غير المرجح تدمير جميع الصواريخ. سيصل بعضها إلى هدفه ويُلحق أضرارًا، مقارنةً بحادث تشيرنوبيل الذي سيبدو حادثًا بسيطًا. هذا يعني أنه من غير المجدي محاربة عدو قوي بمثل هذه الأنظمة."

والآن، احكم بنفسك: لتدمير رأس حربي سوفيتي واحد فقط، تحتاج إلى جهاز قادر على إرسال نبضة بقوة ميغاجول واحد. في الولايات المتحدة، في مختبر ليفرمور، نجحوا في صنع وحش حقيقي - ليزر يُشغّل مرة واحدة فقط شهريًا، يُعادل "كيلوجول" نظام الطاقة لدولة بأكملها. قوته مئة كيلوجول فقط. أقل بعشر مرات مما هو مطلوب لإسقاط رأس حربي سوفيتي واحد! لنتذكر: أساس قواتنا النووية الاستراتيجية هو صواريخ صوامع ثقيلة، يحمل كل منها عشرة رؤوس حربية في رأس حربي متعدد.

ولنحسب ذلك: لصدّ ضربة روسية ساحقة، سيتعين على الأمريكيين وضع كامل إمداداتهم من الطاقة في مدار قريب من الأرض. مشروع طوباوي. لم يكن عبثًا أن أجبرت الولايات المتحدة يلتسين على توقيع معاهدة ستارت-2، التي بموجبها يجب علينا تدمير صواريخ صوامع برؤوس حربية متعددة مصنوعة من دروع اليورانيوم!

شعاع ضيق كالإبرة، يقطع أنابيب المصانع الضخمة، ويقطع دروع البوارج كسكين ملتهبة... خيال علمي جريء من عشرينيات القرن الماضي. للأسف، ستبقى أسلحة الليزر كذلك لفترة طويلة. لا تزال البشرية لا تملك مصادر طاقة هائلة.

في كازاخستان اليوم ذات السيادة، حيث استولى الباي الجدد على السلطة، في بلدة ساري شاغان، تُغطى جدران تيرا-3 البيضاء سابقًا بالغبار وآثار القذارة - منشأة ليزر ضخمة، فخر الإمبراطورية - الاتحاد السوفيتي، بُنيت

في أواخر الستينيات. في ذلك الوقت، كان أعداؤنا الأمريكيون يعملون بحماس على برنامج "البطاقة الثامنة" - ابتكار شعاع قتالي فتاك.

وهناك، في السهوب، حيث كان البدو الرحل يرعون قطعان الأغنام ويتجمعون في خيام ضيقة، ابتكر العبقري الروسي تيرا-3. إن صحفيينا الديمقراطيين وعلماء السياسة لدينا هم من يسعون جاهدين لتصوير الاتحاد السوفيتي كدولة سكارى ومنحطين وشقق سكنية قذرة. كان الأمريكيون يعرفون قيمتنا. كانوا يسارعون إلى ساري شاغان بكل قوتهم. ووصلوا إلى هناك عام ١٩٨٩، في عهد غورباتشوف الضعيف الثرثار.

كما صرّح البروفيسور بيوتر زاروبين، أحد رواد برنامج الليزر العسكري السوفيتي، لصحيفة كراسنايا زفيزدا، بحلول عام ١٩٨٥، كان علماؤنا على يقين تام بأن الأمريكيين لا يستطيعون إنتاج شعاع قتالي مُدمج حقًا. لأن منشآت الليزر ضخمة، باهظة الثمن، وعرضة للخطر. في الوقت نفسه، لا تتجاوز طاقة أقوى شعاع طاقة انفجار قذيفة مدفع من عيار صغير. من الأفضل بكثير صنع صواريخ ومدافع سريعة النيران ذات قدرة فائقة.

التوجيه.

واحدة تلو الأخرى، فشلت المحاولات الأمريكية لإنشاء منشأة قتالية مدمجة. في أوائل السبعينيات، أفادوا بتمكنهم من إسقاط هدف مروحية صغيرة بدون طيار من مسافة قريبة. ولكن بعد ذلك، توقف العمل على نظام أرضي مماثل. ثم أسقطوا صاروخًا أُطلق على مسار خاص، بمساعدة وحدة بحجم مصنع كيميائي متوسط. نُظمت هذه العملية خصيصًا للكونغرس الأمريكي للحصول على تمويل لمواصلة العمل في إطار مبادرة الدفاع الاستراتيجي. بالمناسبة، أجرينا التجارب نفسها.

حاولت الولايات المتحدة تصميم ليزر يعمل ليس من محطة طاقة، بل بالطاقة الكيميائية، بحيث تكون المنشأة خفيفة بما يكفي لإطلاقها إلى الفضاء. ولكن بعد إنفاق مليارات الدولارات، لم يتمكنوا أبدًا من نقل الأمر إلى تجربة مدارية.

بعبارة أخرى، كان غورباتشوف وشيفرنادزه وكبار جنرالات الاتحاد السوفيتي يدركون أن مبادرة الدفاع الاستراتيجي كانت فقاعة صابون. ومع ذلك، كانوا خائفين، ونشروا الخوف في البلاد بأكملها. الآن، وبعد انهيار القوة الإمبريالية، ونسج العناكب شبكاتها في الدوائر الإلكترونية المتعفنة لـ "تيرا-3"، أدركنا حجم الخسارة. ففي النهاية، مكّن العمل على ليزر قتالي الروس من إنشاء مُحدِّد كمي قوي قادر على تحديد ليس فقط مدى الهدف، بل أيضًا حجمه وشكله ومساره على بُعد مئات الأميال.

صُمِّم مُحدِّد على "تيرا" يُمكنه استكشاف الفضاء الخارجي. في عام ١٩٨٤، اقترح العلماء "تحسس" المكوك الأمريكي في المدار به. لكن القيادة السياسية العليا كانت تخشى من الضوضاء المُحتملة.

اتضح أن الليزر يُمكنه إعاقة أجهزة الاستهداف والمراقبة لدى العدو، وتعطيل أجهزة الرؤية الليلية على دباباته. وبمساعدة الأجهزة المحمولة، يُمكن أيضًا حرمان الجنود من الرؤية. وهكذا، بينما تُوقَف أجهزة الليزر الروسية حاليًا، سيُزوَّد الأمريكيون أنفسهم بهذه الأسلحة.

لكن ليزر الفضاء المُدمِّر مُجرَّد خدعة. وبالمثل، تبددت آمال أمريكا في نشر مدافع كهرومغناطيسية مدارية. ففي نهاية المطاف، كانوا بحاجة إلى مفاعلات نووية، بقوة محطة طاقة عادية، بحجم مكتب.

بالنظر إلى المستقبل، لنفترض أن الولايات المتحدة ضعيفة في هذا المجال. وأن العلماء الروس ما زالوا روادًا في إنشاء محطات الطاقة النووية الفضائية.

لكن لنفترض أن الأمريكيين في الثمانينيات تمكنوا من تجاوز جميع قوانين الفيزياء، ومع ذلك وضعوا في المدار شبكة باهظة التكلفة، وضخمة، وهشة من محطات الدفاع الصاروخي. ماذا لو حدث ذلك؟ لكانت الولايات المتحدة قد انهارت تمامًا.

يقول البروفيسور زاروبين: "لا يحل الليزر مشكلة تدمير عدد كبير من الأهداف الفضائية، مثل الرؤوس الحربية للصواريخ الباليستية". فالقوى النووية قادرة على إطلاق مئات الصواريخ الباليستية المجهزة بآلاف الرؤوس الحربية في وقت واحد. هذا يعني ضرورة نشر مئات من منشآت الليزر في الفضاء! هذه مهمة شاقة ومكلفة.

بعبارة أخرى، كان كافياً لإمبراطوريتنا، التي أنفقت أموالاً وجهوداً أقل بعشرات المرات من أعدائنا، أن تنشر "منتجات" باليستية أثقل وزناً برؤوس حربية منفصلة. كان يتم إنتاجها منذ زمن طويل في ذلك الوقت في يوجماش بدنيبروبيتروفسك. بعد أن أهدرت كل جهود الولايات المتحدة، لم يتمكنوا أبداً من صد هجوم صاروخي ضخم من الإمبراطورية. ففي النهاية، كان رأس حربي واحد من رؤوسنا الحربية العشرة التي اخترقت الهدف كافياً لتدمير الولايات المتحدة تماماً.

4

ولكن كانت هناك طريقة أخرى غير مكلفة لتدمير مبادرة الدفاع الاستراتيجي. كانت هذه هي إنشاء مقاتلات اعتراضية فائقة الارتفاع تُطلق "من ظهر" طائرات حاملة ثقيلة.

تخيل المشهد التالي: طائرة مقاتلة من طراز ميج-29 تحمل صاروخاً تقلع من طائرة ثقيلة من طراز روسلان أو مريا تحلق على ارتفاع 9-10 أميال فوق سطح الأرض، وتطلق لهباً وترتفع. بعد أن تصل إلى الارتفاع، تطلق صاروخاً على قمر صناعي أمريكي واضح للعيان على شاشة الرادار.

هذا الأخير غير قادر على الإفلات. سيتباطأ ويغادر مداره، محترقًا في طبقات المحيط الجوي الكثيفة. سيشغل محركه، ويتسارع، ويدخل مدارًا جديدًا، مُبطلًا بذلك استهداف مواقع الصواريخ الروسية ورؤوسنا الحربية الطائرة. ولا يمكن لمجمع مداري ثقيل النجاة من صاروخ موجه وسريع الحركة.

إطلاق طائرة مقاتلة من حاملة طائرات ثقيلة طائرة ليس خيالًا علميًا. قليلون يعرفون أن الروس كانوا أول من بنوا حاملات الطائرات المحمولة جوًا واستخدموها بنجاح في القتال.

في صيف عام ١٩٤١ البعيد، صُدم الألمان: هاجمت مقاتلات روسية من طراز I-16، ظهرت فجأةً، وقصفت جسر سيرنافودا في رومانيا، على بُعد مائة وثلاثين كيلومترًا من مصب نهر الدانوب. حُرمت مجموعة الجيوش الجنوبية من إمدادات الوقود والذخيرة لعدة أيام. وبكل المقاييس، اتضح أن الصقور الصغيرة لم تكن لتحلق من خلف خط المواجهة. لقد كان بعيدًا جدًا. لهم.

ولم يعلموا إلا لاحقًا أن طائرات I-16 أقلعت من تحت جناحي قاذفة ثقيلة من طراز TB-3. في منتصف ثلاثينيات القرن الماضي، بنى المهندس الستاليني الموهوب ف. فاخميستروف نظام زفينو-SPB - حاملة طائرات تحمل ما يصل إلى خمس مقاتلات. أثناء الطيران، كانت هذه الطائرات قادرة على الانفصال عن حاملة الطائرات، والاشتباك مع العدو، ثم الالتحام بالقاذفة الثقيلة في الجو.

قاذفات ثقيلة.

لم تنتهِ أعمال فاخميستروف. في الستينيات، صنع الاتحاد السوفيتي نماذج لطائرات صاروخية تفوق سرعتها سرعة الصوت، تُطلق من طائرات ركاب حاملة. بسرعات هائلة، اخترقت هذه الطائرات ارتفاعات تصل إلى ما يقرب من مئة ميل فوق الأرض في منطقة الغلاف الجوي الأوسط الغامضة. هناك، حيث تولد الأضواء القطبية. عمليًا، صنعنا أسلحة قادرة على صد العدوان من مدارات قريبة من الأرض في القرن الحادي والعشرين، أي قبل نصف قرن!

مع بداية التسعينيات، امتلك اتحادنا العظيم طائرات بقوة هائلة. ابتكر مكتب تصميم مياسيشيف طائرة أتلانت-إم تي الأنيقة والمتينة. كان هو من استطاع حمل حاوية ضخمة باستخدام صاروخ إنيرجيا العملاق، وحمل المركبة الفضائية بوران التي تزن خمسين طنًا. كان المشهد لا يُنسى - بدا أن أتلانت لم تكن تحمل حمولة، بل كانت معلقة داخل شرنقة حاوية ضخمة، تحمل الطائرة إلى السماء ببراعة.

وفي عام ١٩٩٠، عرض مكتب أنتونوف للتصميم للعالم طائرة AN-225 العملاقة ذات المحركات الستة، والتي سُميت "مريا" ذات الطابع الشاعري، وكانت بمثابة حلم. كانت تحمل بالفعل حمولة مئتي طن.

في أي لحظة، كان بإمكان هذه الطائرات العملاقة أن تصبح حاملة لصواريخ اعتراضية خاصة مزودة بصواريخ مضادة للأقمار الصناعية. وكانت ستكلفنا مئات المرات أقل من تكلفة مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية. ولهذا السبب نعلن اليوم: ليس لدينا ما نخشاه من الأنظمة الأمريكية. دعهم يمرحون، يدمرون اقتصادهم، ويحرقون مليارات الدولارات في مغامرة. لكان الاتحاد السوفيتي قد خرج منتصرًا على أي حال.

لكن الأمور سارت على نحو مختلف. فالضجة التي أثارها الأمريكيون حول "شجرة الزيزفون المرصعة بالنجوم" أرعبت حقًا النخبة المتداعية والجبانة في الكرملين. لم تستمع إلى أصوات العلماء الرصينة. وجرتنا إلى مسار كارثي.

الآن فقط، مع ظهور أفلام الإثارة التقنية الأمريكية - الخيال "الوثائقي" - على الرفوف، نتعرف على ما كان يمتلكه اتحادنا العظيم.

اتضح أنه في عام ١٩٨٥، أطلقت إمبراطوريتنا تسعة أقمار صناعية مقاتلة من طراز "بوليت" إلى المدار. شحنة متفجرة هائلة، جسم ضيق على شكل سيجار بطول ثلاثين مترًا - روبوت كاميكازي! بمحرك نفاث قوي وهوائي بحث. سلاح طورته وحدة OKB-52 التابعة للأكاديمي ف. تشيلومي عام ١٩٦٣.

بفضل احتياطي الوقود الكبير، استطاعت مقاتلتنا الفضائية المناورة لفترة طويلة، مطاردة الأقمار الصناعية الأمريكية، مما أجبرها على استهلاك الوقود بسرعة والتعطل. كان من الخطر على الأمريكيين السماح لها بالاقتراب لمسافة أقل من ٨٠ كيلومترًا: فقد تدمر السفينة الروسية القاتلة مجمعًا مداريًا تابعًا لجهة أخرى. بتكلفة أقل بمئات المرات من منصات القتال الأمريكية المتوقعة، استطاعت روبوتات الكاميكازي الروسية "البدائية" تمزيق نظام الدفاع الصاروخي (SDI) بأكمله، المكتظ بالإلكترونيات الفائقة. لماذا كان الأمريكيون على علم بهذا السلاح الروسي، بينما نحن، المواطنون الروس، لم نكن نعلم؟ يبدو أن النخبة الحاكمة نفسها كانت تُصوّرنا كقطيعٍ أحمق. قررت الاستسلام للعدو، مُقايضةً عظمة الدولة بالقصور.

لكن لم يكن هناك داعٍ للذعر. كانت "الرحلات" هي نفس الصواريخ الاعتراضية المدارية الإمبراطورية التي يُمكننا إطلاقها "بتكلفةٍ زهيدة ومُتعة" إلى الفضاء. سيُطارد المُشغّلون الروس، كأطفال ألعاب الكمبيوتر اليوم، عمالقة أمريكا - محطات مدارية قتالية.

مجرد التفكير في أن تماثيلهم العملاقة التي تبلغ قيمتها 1.5 مليار دولار تُلاحقها "قطعة" روسية بسيطة تُكلّف اثني عشر أو مليوني روبل سوفيتي، كان سيُجبر الأمريكيين على البدء في المناورة والتهرب. لكنها تتطلب الكثير من الوقود. ولمحطة كبيرة - أكثر بكثير من "رحلة" صغيرة. لتجديد احتياطيات الوقود باستمرار، كان على الولايات المتحدة إنشاء أسطول من ناقلات الفضاء. في الوقت نفسه، يُكلّف كل لتر من الوقود يُلقى في المدار ألفًا وخمسمائة دولار.

وعلى المدى البعيد، تبيّن أنها لعبة مربحة للغاية بالنسبة لنا: ننفق مليون روبل على "الرحلات الجوية"، والأمريكيون - عشرة ملايين دولار. ونحن - مليون آخر، وهكذا دواليك. حسنًا، من سيكون أول من ينهار في سباق تسلح كهذا من الإرهاق وتقويض اقتصاده؟

إسقاط "الرحلات الجوية" من مقاتلات عالية الارتفاع على الأرض؟ لكن الأمريكيين كانوا يمتلكون ستة صواريخ مضادة للأقمار الصناعية خاصة عام ١٩٨٦.

إسقاط صواريخ بوليتيس مُسبقًا يُشبه بدء الحرب العالمية الثالثة. وإذا بدأنا بإسقاطها أثناء الحرب، فسيكونون قادرين على تفجير العديد من المحطات المدارية الأمريكية. وإطلاق صاروخ مضاد للأقمار الصناعية على قمر صناعي روسي يُحلق بجوار منصة قتالية أمريكية يعني تدميرها.

طريق مسدود. في سباق الفضاء، هزمنا الأمريكيين. كان بإمكاننا وضع محطات حاملة لعدة صواريخ بوليتيس في المدار. تكلفة عمليات الإطلاق لدينا، حتى الآن، مع اقتراب الأسعار في روسيا من الأسعار العالمية، أقل

بخمس إلى ست مرات من تكلفة عمليات الإطلاق على متن المكوكات الأمريكية. تستطيع مركبة إنرجياس فائقة القوة التابعة للاتحاد السوفيتي إطلاق عشرين مركبة بوليتي في المدار دفعة واحدة.

لدينا أيضًا مشروع ريكشو، وهو من ابتكار مكتب ماكييف لتصميم الفضاء. طوروا (في أوائل الثمانينيات!) صاروخًا قصيرًا محمولًا جدًا للغواصات. يعود صغر حجمه إلى أن فريق ماكييف وضع المحركات في خزانات وقود المركبات التي ابتكروها.

اتضح أن هذه المركبات قادرة تمامًا على إطلاق الأقمار الصناعية بتكلفة زهيدة. وفي الوقت نفسه، لا تحتاج إلى موانئ فضائية.

يكفي جرار بوران متعدد التضاريس مزود بإرشادات. لم يكن تطوير قمر صناعي ضخم لمثل هذه العربة صعبًا على الاتحاد السوفيتي القوي.

كما طوّر مكتب تشيلومي للتصميم مشروعًا لمقاتلة مدارية ثقيلة - محطة تاران الآلية المزودة بصواريخ اعتراضية.

فما الذي كانوا يخشونه في الكرملين؟ ففي النهاية، إذا بدأ سباق "حروب الفضاء" حقًا، فسيتعين على أمريكا أن تقول وداعًا للبيتزا والهامبرغر الرخيصة، والمنح الدراسية للطلاب، والبرامج البيئية، وإعانات العاطلين عن العمل والأمهات ذوات الأطفال الكثيرين، ودعم وجبات الإفطار والغداء المدرسية.

5

... على الرغم من التحذيرات، اقتربت مركبة تشالنجر الأمريكية بعناد من الأسطوانة البيضاء للمحطة المدارية الروسية. أطلقت المركبة الفضائية الضخمة "أسلاكًا" من اللهب الأبيض المحمر من محركات التوجيه، وأمالت مقدمتها، مسرعة عبر الفراغ الكوني كـ"دلتا" كبيرة.

كانت تلحق بالمحطة، أسرع منها بعشرين مترًا فقط في الثانية. فوق وسط المحيط الأطلسي، كان من المفترض أن تقترب تشالنجر من المحطة الروسية عن كثب، فاتحةً أغطية الفتحات الطولية على "ظهرها" ومطلقةً مجساتها المُتلاعبة.

لكن المحطة الروسية سرعان ما أدارت مقدمتها الحادة نحو مطاردها. وآخر ما رآه الأمريكيون هو الومضات التي أضاءت جوانبها المستديرة.

القذائف التي تُطلق في الفضاء مُرعبة. سرعتها في انعدام الهواء - حوالي كيلومترين في الثانية - تجعل أي درع أشبه بقطعة من الورق المقوى أمام رصاصة مُطلقة.

اصطدم صف من الشياطين الفولاذية الصغيرة بمقصورة تشالنجر. مات أربعة من طياريها بسرعة وبصورة مروعة، وانفجروا في الفراغ. دار الدم واللمف حول المقصورة المُصابة بالرصاص على شكل رقائق مُتجمدة. ارتطم رأس قائد الطاقم الجليدي بعينيه الجاحظتين الميتتين، وهو يتدحرج بشكل فوضوي، بلوحة التحكم. اندفعت نفثات من الهواء الممزوج ببخار الماء إلى الفضاء، وتناثر الحطام وقطع الدروع الحرارية المكسورة على الجانبين. تجمّد السائل المنبعث من النظام الهيدروليكي الممزق على الفور متحولًا إلى كرات جليدية.

عاد المحرك المساعد للمحطة الروسية إلى العمل، وارتفع قليلًا، سامحًا لسفينة العدو المعطلة بالانطلاق...

لم تحدث هذه الحادثة قط، لكنها حقيقية تمامًا. ففي النهاية، كنا نحن من نمتلك أسلحة ممتازة - مركبات ألماز المأهولة، والمسلحة بمدفع سريع النيران.

وكما أفاد إ. مارينين وس. شامسوتدينوف (مجلة فيستنيك فوزدوشنايا فلوتا، العدد 5، 1995)، بدأ إنشاء ألماز ذات المقاعد الثلاثة عام 1964 في مكتب التصميم 52 التابع للأكاديمي تشيلومي نفسه - كمحطة استطلاع. في ذلك الوقت، بدأ الأمريكيون في تطوير أقمار صناعية اعتراضية وأجهزة سحب قادرة على التقاط مركباتنا القريبة

من الأرض وسحبها من المدار. لتدميرها، زُوِّدت ألماز بمدفع عيار 23 ملم، مُثبَّت بشكل ثابت على جسمها. يُمكن إطلاقه منه بطريقة تُشبه الطائرات المقاتلة، مُوجَّهًا إياه بتدوير المحطة بأكملها. أُطلقت ألماز بنجاح لأول مرة في 25 يونيو 1974. وفي 4 يوليو، حملت مركبة الفضاء سويوز-14 العقيد بافيل بوبوفيتش والمقدم يوري أرتيوخين على متنها. وحفاظًا على السرية، سُمِّيت المحطة رسميًا "ساليوت-3".

عمل الجهاز بكفاءة عالية، حيث كان يُرسِل كبسولات مُحمَّلة بأفلام مكشوفة إلى الأرض بشكل دوري. حتى أن إطلاق المدافع كان مُمتازًا، مما أسفر عن نتائج ممتازة. ولكن، للأسف، لم تُسِر الأمور على ما يُرام مع إنشاء مركبة عودة قابلة لإعادة الاستخدام، وفي عام 1981، توقف العمل على "ألماز".

ومع ذلك، أُطلق قمر "ألماز-تي" الجديد، المسمى "كوزموس-1870"، من قاعدة بايكونور في 25 يوليو 1987. ولمدة عامين، استكشف الكوكب بمعدات رادار فائقة الدقة، مخترقًا أي غطاء سحابي بـ"رؤيته"، ومميزًا جميع الأجسام التي يزيد طولها عن 25 مترًا.

أُطلق آخر قمر "ألماز-تي" في مارس 1991، ولا يزال يحلق (كُتب عام 1996). يبلغ مدى رؤيته 15 مترًا بعرض 600 ميل.

لذا، عزيزي القارئ، في أواخر الثمانينيات، ردًا على "حرب النجوم"، استطاعت الإمبراطورية إطلاق سرب من المحطات المأهولة المزودة بمدافع إلى الفضاء. "الحصون الطائرة" الفضائية، سلاح هيمنة قوي في الفضاء القريب من الأرض، صُنع في موسكو، في مصنع خرونيتشيف.

في أواخر السبعينيات، كان الرئيس الأمريكي المستقبلي، الممثل ريغان، يستمتع بمشاهدة فيلم الحركة الرائج آنذاك "حرب النجوم". لكن عقله الهوليوودي المتخلف لم يكن ليتخيل حتى أن الروس يمتلكون بالفعل طرادات فضائية.

وأي تفاقم للوضع، كما حدث في أزمة الصواريخ الكوبية، دمر الطيران الروسي نظام الاستخبارات الفضائية الأمريكي بأكمله. لكن مع ذلك، كنا نمتلك مركبات استطلاع ممتازة، قادرة على ضرب أي شخص يجرؤ على الاقتراب منها.

ليست الولايات المتحدة، ولكن كان بإمكاننا الفوز. من المرير أن نتذكر هذا الآن، وموانئنا الفضائية مغطاة بالصدأ والأعشاب الضارة. عندما كان نظام يلتسين، الذي نشأ على أنقاض الإمبراطورية، يتوسل بإذلال إلى الغرب، طالبًا مليارًا أو مليارين.

لكن هنا، طعننا قادة حزبنا في الظهر. في 12 مايو/أيار 1987، كانت قاعة المؤتمرات الكبيرة في بايكونور مكتظة - كان الأمين العام غورباتشوف يتحدث إلى الحاضرين. شعر العديد من الناس بقشعريرة في الداخل، وقال وزير البناء العام أوليج باكلان

شد قبضتيه حتى ابيضت مفاصله.

"نحن ضد سباق التسلح، بما في ذلك في الفضاء..." أعلن رجل قصير القامة ذو بقعة على رأسه الأصلع من على المنصة. "مصالحنا هنا تتوافق مع مصالح الشعب الأمريكي... نحن نعارض بشكل قاطع نقل سباق التسلح إلى الفضاء..."

كان هذا المدافع عن مصالح الشعب الأمريكي يرتكب جريمة قتل بالفعل. ففي ذلك اليوم، كان صاروخ إنيرجيا على منصة الإطلاق، مُثبّتًا على جانبه جهاز Skif-D وزنه 80 طنًا - وهو نموذج أولي لمقاتلة فضائية مزودة بمدفع ليزر. كان يتم تصنيعه في وقت قياسي في شركة NPO Salyut، بقيادة دميتري بولوخين، وكان باكلانوف نفسه، الذي يعمل 16 ساعة يوميًا، يضغط على المقاولين من الباطن ويراقب تقدم عمليات التسليم. لكن خطاب غورباتشوف ذهب أدراج الرياح قبل ثلاثة أيام من الإطلاق. أُطلقت "سكيف" إلى المدار، لتقذف فورًا في طبقات الغلاف الجوي الكثيفة لتحترق ("روسيسكايا غازيتا"، ١٦/٠٥/١٩٩٧).

لكن "سكيف" كانت تعني انتصارنا الكامل في معركة الفضاء القريب. ففي النهاية، دمرت كل مقاتلة من طراز "بوليت" مركبة فضائية معادية واحدة فقط، وتلتهم في العملية نفسها. لكن "سكيف" كان قادرًا على التحليق في المدار لفترة طويلة، مُصيبًا الكائنات الفضائية بمدفعه الليزري. لم يكن من الضروري أن يكون سلاحه الشعاعي بعيد المدى - فكان يكفيه نطاق عمل يتراوح بين عشرين وثلاثين كيلومترًا. ففي النهاية، كان على الأمريكيين أن يُفكروا في محطات قادرة على إصابة رؤوس حربية مدرعة صغيرة تندفع بسرعة جنونية على بُعد ألف كيلومتر. كانت ضحايا "سكيف" الأقمار الصناعية المدارية سهلة الاستهداف، والتي كان يُسقطها أثناء اللحاق بها، في حين أن سرعة الهدف بالنسبة للصياد الذي يُطارده تُشبه سرعة السلحفاة. ولم تكن هناك حاجة لأجهزة كمبيوتر عملاقة خاصة لضمان دقة إطلاق الليزر. وكان أسطول "سكيفس" مضمونًا لتمزيق مجموعة الأقمار الصناعية العسكرية الأمريكية ذات المدار المنخفض إربًا إربًا، مُعميًا بذلك آلتهم العسكرية. فعلى عكس رأس حربي روسي مُدرّع بإحكام، مُزوّد بمصفوفة مهمة طيران مُحددة بدقة داخله، يُعدّ القمر الصناعي الأمريكي ضعيفًا لا يُصلح، وسهل التلف، بهيكل هش وهوائيات بارزة. إن ضربة شعاع ليزر، إن لم تُحرقه إلى نصفين، ستُحرق دوائره بالتأكيد بموجة تداخل مُحرقة. لذلك، كان على الولايات المتحدة أن تُحوّل منصاتها إلى بوارج حربية مُزوّدة بأنظمة تحكم وتوجيه واتصالات مُكررة متعددة. وفي الوقت نفسه، ستُطلق سحبًا كاملة من الطائرات المُقاتلة المُضادة إلى مداراتها لتغطية بطارياتها المُضادة للصواريخ. حتى ثلاث ميزانيات للولايات المتحدة ما كانت لتتحمل مثل هذه التكاليف. لكننا، ونحن نُحقق انتصارًا ساحقًا، اندفعنا فجأةً إلى احتفالية استسلام للمُهزومين.

نعم، كان ريغان يُحب مشاهدة فيلم الأكشن "حرب النجوم" للمخرج لوكاس. وبالفعل، لمُواجهة صائدي المدارات الروس، كان الأمريكيون بحاجة إلى تكنولوجيا من وحي خيال المخرج: سفن بمحركات نووية، مُغطاة بالدروع، ومحمية بحقول قوة هائلة تتحطم عليها القذائف والنيازك. العلم الحديث عاجز عن خلق أيٍّ من هذا.

يا خونة الكرملين، ماذا فعلتم! لكننا لا نبكي. نعتقد أن التاريخ الروسي لم ينتهِ بعد...

الفصل الثاني: ثمن مخاوف الكرملين، أسلحة البلازما الروسية

1

تنظر إليّ صورة الجنرال ستالين من الحائط بصرامة. أبتعد عن الكتب والقصاصات، وأفكر بمرارة: لماذا لم يكن هناك قائدٌ كهذا في الكرملين آنذاك، في أوائل الثمانينيات؟

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يُهدد فيها الغرب قوتنا العظمى بتقنيته المُتفاخر بها، سلاحه المُعجز. كان الأمر نفسه قبل نصف قرن، عندما كانت البلاد، المنهكة من حربٍ مروعة، تُرعبها "هراوة نووية" من وراء المحيط. من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٤٩، لم نكن نملك قنبلةً ذرية.

أصدرت مجلة كوليرز غلافًا ملونًا فاخرًا يحمل صورةً لـ"فطر" نووي يزدهر فوق موسكو. ونُشرت أوصافٌ زاهية لغارات "الحصون العملاقة" الطائرة على لينينغراد وغوركي، وجبال الأورال، ومحطة دنيبر الكهرومائية. هُددت عشرات المدن الروسية بالتحول إلى هيروشيما.

واحدةً تلو الأخرى، وُلدت خطط حرب لتدمير الاتحاد السوفيتي بأسماءٍ شعرية: "الضربة الساقطة" - "الضربة الساقطة"، "العربة" - "العربة".

لكن ستالين حافظ على هدوءٍ أولمبي. حدّق بعينيه الصفراوين، ونفث دخان غليونه الأسطوري بتفكير. كان من المستحيل خداعه - لا المصمم ولا المارشال. آلاف الصفحات المقروءة، والكتب والخرائط والرسوم البيانية والمراجع تتسع في ذهنه.

كان يعلم: الاتحاد السوفيتي ليس اليابان. قوة هائلة بموارد لا تنضب وقوة منظمة محصنة - وليس جزيرة ضيقة بمدن من الخيزران والورق. وليصرخ الغرب صرخة هستيرية - ليس لديه حاملات قنابل ذرية، باستثناء الطائرات الثقيلة.

ثم، في أغسطس 1945، قصف الأمريكيون هيروشيما وناغازاكي، كما لو كانوا في عرض عسكري. لم يكن لدى اليابانيين مقاتلات ولا مدافع مضادة للطائرات لإسقاط "القلاع الطائرة" من طراز بي-29 على ارتفاعات

عالية. ولضرب المراكز الحيوية للاتحاد السوفيتي عام 1948، كان على الأمريكيين أن يشقوا طريقهم عبر أوروبا الشرقية التي تحتلها قواتنا، عبر آلاف الأميال من الأراضي الروسية الشاسعة، حيث كانوا سيقابلون فرقًا كاملة من المقاتلات القوية المزودة بمعززات صاروخية، من طراز "لافوتشكين" و"ياكوفليف"، جاهزة لـلاختراق "الحصون" بنيران المدافع المحمولة. كانت أولى طائرات ميج-15، أفضل الطائرات المقاتلة النفاثة في العالم، قد غادرت ورش العمل بالفعل. في عام 1950، في كوريا، حوّلوا طائرات شوتينغ ستارز وسيبر، وسوبر فورتريس، ولوكهيد الأمريكية إلى مذنبات مشتعلة.

لهذا السبب ظل ستالين هادئًا. في عام 1948، لمس بيده الكرة الدافئة والثقيلة في غلاف من النيكل - الرأس الحربي لأول قنبلة ذرية سوفيتية. أشاد بكورتشاتوف. سأل عن أحوال كوروليف. كانت البلاد تراهن على أسلحة جديدة - صواريخ بعيدة المدى وقوية.

كنا نحن الروس، من سبقنا الجميع هنا. حتى الولايات المتحدة، التي استحوذت على النازي فيرنر فون براون بتقنياته. بعد أن استولت على مخططات وإنتاج صواريخ V-2 الباليستية، التي استخدمها الألمان لقصف لندن عام 1944...

كان هذا هو الحال في عهد ستالين. قبل خمسة عشر عامًا، كان الكرملين يعجّ بأقزامٍ خائفين. جهلاء أو هرموا، بنظرة سطحية. كان لخدعة "حرب النجوم" الضخمة تأثيرها.

2

لم يحتمل حكام الاتحاد السوفيتي هذا الوضع. فبدلاً من السماح للولايات المتحدة بالتورط في برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي الانتحاري، بدأوا في تكرار البرنامج الأمريكي غير الواقعي. في 9 مايو/أيار 1984، كتب المارشال أوغاركوف في صحيفة "كراسنايا زفيزدا": "... لقد هيأ تطور العلم والتكنولوجيا في السنوات الأخيرة ظروفًا حقيقية لظهور أنواع أكثر تدميرًا وغير معروفة سابقًا من الأسلحة، مبنية على مبادئ فيزيائية جديدة، في المستقبل القريب. العمل على هذه الأنواع الجديدة من الأسلحة جارٍ بالفعل في العديد من البلدان، وخاصةً في الولايات المتحدة. تطويرها واقعٌ مُلِحّ، وسيكون من الخطأ الجسيم عدم الاهتمام به الآن".

في تلك السنوات، كان مقال المارشال في صحيفة الجيش المركزية هو الرأي الرسمي، ثمرة عمل مجموعة كاملة من المحللين والمستشارين ذوي الخبرة العالية. أي أن أعلى دوائر الاتحاد السوفيتي آنذاك كانت تؤمن بـ"هراء النجوم" الأمريكي، متجاهلةً آراء العلماء المحليين.

لنعد إلى ستالين مجددًا. لكان الاتحاد السوفيتي قد انهار لو تصرف على غرار أمريكا بين عامي ١٩٤٥ و١٩٥٣. لو حاولنا آنذاك تركيز جهود الأمة على اللحاق بالولايات المتحدة في عدد القاذفات الاستراتيجية الثقيلة وحاملات الطائرات، لاستسلمت البلاد المنهكة. لكن ستالين يتصرف بشكل مختلف: فهو يجد ثقلًا موازنًا رخيصًا نسبيًا لقوة العدو الجوية والبحرية: صواريخ باليستية بعيدة المدى قادرة على ضرب الأهداف من السهول الروسية عبر المحيط. واشنطن تحديدًا!

نعلم أن الكرملين في الثمانينيات كان يمتلك أسلحة مضادة، لكنه كان يفتقر إلى الذكاء والشجاعة. بدأ الاتحاد السوفيتي بتقليد برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي بشكل أعمى. كتب الأمريكي شفايتزر في كتابه الأكثر مبيعًا "النصر":

"أفاد ساجدييف، رئيس المعهد السوفيتي لأبحاث الفضاء، في تقريره في الثمانينيات: أصبح هذا البرنامج الأولوية الأولى بعد إعلان السيد ريغان عن "حرب النجوم" عام ١٩٨٣. ويعترف ساجدييف بأن هذه النفقات أضعفت الاتحاد السوفيتي وكادت أن تؤدي إلى انهياره."

أي أن الطبقة العليا المترهلة والجبانة في الاتحاد السوفيتي، كما لو كانت مسحورة، اتبعت المخادعين الأمريكيين، كما لو كانوا يتبعون قطيعًا من الفئران بطلًا من القصص الخيالية يحمل مزمارًا سحريًا. سقطوا في بركة ماء.

تطورت عملية الخداع الكبرى للولايات المتحدة بنجاح كبير بعد تولي غورباتشوف عرش الكرملين. أصبح "باتونو إدواردو" وزيرًا لخارجيته. الزعيم الحالي للمنطقة الإجرامية السيادية والفقيرة، جورجيا "المستقلة"، هو

شيفرنادزه. هو نفسه الذي تنازل الاتحاد السوفيتي في عهده عن ألمانيا الشرقية دون اكتراث، وبدأ انسحابًا مُدمرًا للقوات من دول أوروبا الشرقية، أشبه بهروب جيش مهزوم. في عهده، تُمنح موارد مادية ضخمة وقطع أراضٍ مجانًا، وتُترك الوحدات المنسحبة في العراء. بلا مساكن، ولا بنى تحتية، ولا وسائل عيش.

في عدد ديسمبر 1985 من مجلة "الشؤون الدولية"، كتب رئيس الدبلوماسية الروسية الجديد: "إن ما يكتسي أهمية أساسية غير متوقعة للأمن ليس مخزونات الأسلحة التي تراكمها المجتمع، بل القدرة على ابتكار وإنتاج أنواع جديدة كليًا من الأسلحة". إن التلميح إلى مبادرة الدفاع الاستراتيجي التي أطلقها ريغان أكثر من واضح. "باتونو إدواردو" حذّر أسياده في الخارج: "سيتم تنفيذ أمركم".

يذكر شفايتزر أن ضابط المخابرات السوفيتية الخائن غورديفسكي قدّم للمخابرات البريطانية أخبارًا مُشجعة في فبراير 1985. ويُزعم أن الملحق العسكري في لندن، العقيد أ. سازين، أخبر مجموعة من الدبلوماسيين وضباط المخابرات أن القيادة العسكرية تُؤمن بنجاح مبادرة الدفاع الاستراتيجي بنسبة 90%. ويُزعم أيضًا أن سازين لم يكن يؤمن بإمكانية اللحاق بالولايات المتحدة.

يا له من عمى فظيع لا يُغتفر! يبدو أن القيادة السوفيتية فقدت صوابها بأعجوبة. ففي النهاية، لم يُفكّر الأمريكيون حتى في نشر مبادرة الدفاع الاستراتيجي. لا يمكنهم فعل ذلك حتى الآن، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، ووجود مجموعة من الدول المافياوية في العالم، والتي يُمكن لقادتها بسهولة شراء بضعة صواريخ لإرهاب الولايات المتحدة.

عندما يستقر الخوف والغباء في رؤوس كبار القادة، تهلك البلاد. فجيش من الخراف يقوده أسد أقوى من جيش من الأسود يقوده كبش.

لقد حدث لنا شيء مماثل. في عهد غورباتشوف، تُخيف أمريكا الكرملين. تُوقّع اتفاقيات أمريكية بشأن العمل المشترك في مبادرة الدفاع الاستراتيجي مع دول أخرى. في ديسمبر 1985، مع بريطانيا. في مارس 1986، مع ألمانيا وإسرائيل. في سبتمبر 1986، مع إيطاليا، وفي يوليو 1987، مع اليابان. مع دول لا تُذكر خبرتها في الفضاء مقارنةً بخبرتنا.

لنعد إلى شفايتزر مجددًا. "رسمت هيئة الأركان العامة السوفيتية صورةً قاتمة لريغان وهو يستخدم أحدث التقنيات لتطوير أسلحة تقليدية، بالإضافة إلى مبادرة الدفاع الاستراتيجي... كتب الجنرال يفسييف في إحدى الصحف العسكرية أن التهديد بابتكار تقنيات جديدة يمنح الرأسماليين فرصةً لشن هجوم مفاجئ، تمامًا كما حدث مع الألمان عندما هاجموا الاتحاد السوفيتي في يونيو 1941."

استشهد نائب وزير الدفاع، الجنرال غاربيف، في مقال آخر بمثال عاملٍ مُسنّ، بطل قصة سيمونوف "الأحياء والأموات"، بوبكوف، كمواطن سوفيتي نموذجي. ويُؤمل أن يحذو الشعب حذو بوبكوف في مواجهة تهديد جديد من الرأسماليين. كان مستعدًا للتخلي حتى عن منزله وإنهاء حياته على الخبز والماء... لو كان لدى الجيش الأحمر كل ما يحتاجه. وعد الحزب بأنه لن يسمح أبدًا للرأسماليين بتحقيق تفوق عسكري، لكن كان لا بد من دفع ثمن باهظ لهذه الكلمات. زاد غورباتشوف نفسه من تأجيج نار الذعر. في المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي في فبراير 1986، تحدث الأمين العام عن تخلف الاتحاد السوفيتي في التكنولوجيا العسكرية، وكيف أصبح سباق التسلح أكثر قسوة على المتخلفين. في تلك الأيام، عندما اعتاد الناس على قراءة ما بين السطور، فهم الناس الأمر على هذا النحو: نحن المتخلفون. وبهذه الطريقة، خلق الأمين العام عقدة نقص لدى الروس. لأن الملايين لم يسمعوا إلا كلماته. قلّة فقط عرفت عن مخازن القوة الروسية الجبارة، وأن مبادرة الدفاع الاستراتيجي كانت خدعة. واليوم فقط يتضح لنا أن الولايات المتحدة هي التي تخسر معركة التسلح! وواصل غورباتشوف الترويج لبرنامجٍ مُدبّرٍ لتضليل الروس وإضعاف معنوياتهم.

في حديثه التلفزيوني في 14 أكتوبر/تشرين الأول 1986، قال: "تريد الولايات المتحدة استنزاف الاتحاد السوفييتي اقتصاديًا في سباقه على أحدث وأغلى أسلحة الفضاء. إنهم يريدون خلق صعوباتٍ لا يمكن التغلب عليها للقادة السوفييت، وتدمير خططهم، بما في ذلك في المجال الاجتماعي، لرفع مستوى معيشة المواطنين. وذلك لإيقاظ استياء الشعب من القيادة". كان هذا يُسمى آنذاك "الغلاسنوست" - أي تنفيذ دعاية العدو، والصمت التام عن عبثية خطط ريغان الجامحة، وعن إنجازاتهم التي لم تحلم بها أمريكا قط.

في 11 سبتمبر/أيلول 1986، خلال مفاوضات ريكيافيك، حيث ذهب غورباتشوف وشيفاردنادزه مع حاشيتهما، ابتهج الأمريكيون فرحًا. يستذكر بويندكستر، مساعد ريغان، محادثةً مع المارشال أخروميف، مؤكدًا أن القائد العسكري السوفيتي كان خائفًا من مبادرة الدفاع الاستراتيجي. وقال لشفايتزر: "كانوا مستعدين لفعل أي شيء تقريبًا لوضع حدٍّ لمبادرة الدفاع الاستراتيجي".

3

نعلم نهاية هذه العملية الأمريكية البارعة لترهيب بلدنا وخداعه. يُغرق غورباتشوف نفسه في ديون خارجية هائلة، بعد أن اقترض أكثر من 80 مليار دولار، اختفت كالماء في الرمال، متناثرةً في جيوب وحسابات سويسرية لكبار اللصوص. في الوقت نفسه، اتضح أنه لم يتم تنفيذ أيٍّ من خطط الاختراق التكنولوجي، التي كان غورباتشوف يُبدي موافقته عليها في بداية حكمه. يا ليته خصص هذه الأموال ووجهها إلى برنامجين أو ثلاثة برامج "مُحركّة"!

نعلم أن غورباتشوف بدأ "إصلاحات" كانت أشبه بخطة مدروسة لتقويض الصناعة الروسية، مما أدى إلى تدمير احتياطي البلاد من الذهب - صفوة صناعة التكنولوجيا المتقدمة في الاتحاد السوفيتي.

هل كانت الدعائم الورقية الزاهية في فيلم "حرب النجوم" قادرة حقًا على هزيمة السيف الفولاذي الثقيل الذي كان يمتلكه الاتحاد السوفيتي؟

يمكن اعتبار مبادرة الدفاع الاستراتيجي إحدى أضخم عمليات التضليل. فمبدأ إطلاق التضليل لتخويف العدو واستنزاف طاقته معروف منذ زمن طويل.

تاريخ الحرب العالمية الثانية وحده حافل بأمثلة على عمليات ناجحة وغير ناجحة من هذا النوع. بعد أن وافقت ألمانيا النازية على خطة مهاجمة الاتحاد السوفيتي، بدأت عام ١٩٤٠ تجارب على طائرات شراعية عملاقة قادرة على حمل أربعين طنًا من البضائع، بما في ذلك الدبابات وسرايا المشاة المدرعة بالكامل. فقط لإقناع العالم: نحن نستعد للاستيلاء على إنجلترا، وليس لغزو روسيا.

وفي عامي ١٩٤٣ و١٩٤٤، تظاهر الحلفاء، وهم يستعدون للإنزال في نورماندي، بأنهم سينزلون عبر با دو كاليه.

أتقنت أجهزة الاستخبارات السوفيتية أيضًا أساليب عمليات الخداع بإتقان. على سبيل المثال، في عام ١٩٥٤، كان الاستراتيجيون الغربيون على يقين من أن الاتحاد السوفيتي يمتلك البارجة الحربية فائقة الثقل "سوفيتسكايا بيلاروسيا" المزودة بمدافع وصواريخ عيار ٤٠٦ ملم.

كانت "حرب النجوم"، أو مبادرة الدفاع الاستراتيجي، أو "الحدود العليا"، تضليلًا حقيقيًا. لأن إدارة ريغان الأمريكية، كما يكتب شفايتزر، استخدمت منذ البداية، منذ عام ١٩٨١، "تضليلًا تقنيًا منظمًا على نطاق واسع بهدف تدمير الاقتصاد السوفيتي". في عام ١٩٨٤، أُطلق هذا البرنامج بمساعدة وكالة المخابرات المركزية والبنتاغون.

قررت الولايات المتحدة استغلال كسل نخبة الكرملين آنذاك، التي بدأت بعد وفاة ستالين في التبجيل...

أعلى السلطات التكنولوجية في الغرب. غير مدركين أنهم، عبر المحيط، ينهمكون في قراءة المنشورات العلمية والتقنية الروسية بشغف، ويسرقون ثمار عقولنا. وإدراكًا منهم أن كل ما هو غربي كان يُنظر إليه في الكرملين في الثمانينيات على أنه معصوم من الخطأ، بدأت الولايات المتحدة تُلقي بمشاريع تكنولوجية مُعدّلة أو مُصنّعة بمهارة على الاتحاد السوفيتي، حتى تُبدد مليارات الروبلات. من بين المنتجات المزيفة، يُسمي شفايتزر بنية توربينات الغاز، وتكنولوجيا حفر النفط، ودوائر الكمبيوتر، والتركيبات الكيميائية. فقط بيع مكونات إلكترونية عديمة القيمة للاتحاد السوفيتي عبر وسطاء أدى إلى تعطيل عمل العديد من المصانع. انخرطت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) في تكنولوجيا المشاريع المدنية، بينما انخرط البنتاغون - العسكري، وموسكو،

سنويًا في البحث والتنفيذ، في سرقة التكنولوجيا العسكرية الغربية واستخدامها في أنظمتها العسكرية. غطت حملة التضليل التي شنها البنتاغون ستة أو سبعة مشاريع تكنولوجية عسكرية سرية كان من المفترض أن يهتم بها السوفييت في المقام الأول. وتعلق الأمر بتكنولوجيا مواجهة كشف المعدات الطائرة بالرادار وتحديد المواقع الحرارية، وهي أحدث الطائرات التكتيكية، SDI. غطت التضليل جميع مراحل العملية، بما في ذلك ما قيل في مؤتمر صحفي أمام صحفيين أجانب. وقُدمت بيانات كاذبة لخطط التطوير ونتائج الاختبارات وجداول الإنتاج والاختبارات التشغيلية، حسبما كتب ب. شفايتزر في صحيفة بوبيدا. ويعترف قائلاً:

"استخدمت إدارة ريغان أيضًا التضليل الإعلامي لزيادة مخاوف السوفييت من برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي. ووفقًا لتقرير أوليغ غورديفسكي، ضابط المخابرات السوفيتية (كي جي بي) الذي انشق إلى الغرب عام ١٩٨٥ بعد كشف صلاته بالمخابرات البريطانية، اقتنع قادة الكرملين بإمكانية إنشاء نظام "حرب النجوم" (التأكيد مضاف - الكاتب)، وأنه سيكون عمليًا وسيشكل تهديدًا خطيرًا للترسانات الاستراتيجية السوفيتية.

أراد ويليام كيسي وكاسبار واينبرغر وجون بويندكستر استغلال هذا الخوف لتحقيق ميزة نفسية. وشُنت حملة إعلامية لإيهام السوفييت بإحراز تقدم كبير في إنشاء نظام دفاع استراتيجي، وهو ما لم يكن صحيحًا. وتفاقم شبح مبادرة الدفاع الاستراتيجي، الذي أصبح مصدر إزعاج لغورباتشوف، إلى أبعاد هائلة مخيفة."

في الواقع، انتهى المطاف بسيف إمبراطوريتنا في أيدي الأقزام. لكن قيل لغورباتشوف إن مبادرة الدفاع الاستراتيجي مجرد خدعة. في عام ١٩٨٧، أتيحت لكاتب هذه السطور فرصة التحدث مع أحد المشاركين في المشروع الروسي "المُضاد لمبادرة الدفاع الاستراتيجي". حتى في ذلك الوقت، كان علماؤنا يقولون: حتى لو تمكّن الأمريكيون من التغلب على جميع الصعوبات التقنية التي لا تزال مستعصية، فهناك الكثير من الطرق الرخيصة لإسقاط نظام "حرب النجوم" بأكمله.

لم يُذكر لي سوى طريقتين. على سبيل المثال، إحاطة محطات العدو المدارية بـ"سحب" من ملايين الإبر الفولاذية. وبسبب ذلك، أصبحت جميع أنظمة توجيه الأقمار الصناعية عمياء وصماء، وتشتتت "طلقات الليزر" الصادرة عنها في الفضاء.

الطريقة الثانية هي إنشاء "تيارات نيزكية" اصطناعية من كرات فولاذية.

ولو بدأت "حرب النجوم"، لكانت الولايات المتحدة، وليس نحن، قد مُنيت بهزيمة ساحقة. إلى جانب الإرهاق الاقتصادي. ما هي حججنا؟

في عام ١٩٨٥، لم تكن الولايات المتحدة تمتلك مركبات إطلاق مناسبة. استُنفدت احتياطيات صاروخ "ساتورن-5"، الذي حمل مركبة "أبولو" إلى القمر، والذي طوره فيرنر فون براون. انطلق آخر صاروخ "ساتورن" عام 1977، مرسلاً محطة "فوياجر" الصغيرة في رحلة إلى أورانوس. منذ عام 1980، اعتمد الأمريكيون على "المكوكات" - سفن قابلة لإعادة الاستخدام مثل "شاتل" و"تشالنجر" - لإطلاق حمولات إلى مدارات قريبة من الأرض.

ولكن اتضح أن إطلاق حمولة إلى الفضاء القريب من الأرض على متن مكوك فضائي أغلى بخمس إلى ست مرات من إطلاقها على متن صاروخ روسي قابل للاستخدام مرة واحدة. لهذا السبب، لجأت شركة موتورولا الأمريكية إلينا، إلى مصنع خرونيتشيف في موسكو، لنشر نظامها العالمي للاتصالات عبر الأقمار الصناعية، وإطلاق بضائعها على متن صاروخ "بروتون" الروسي، الذي أنشأه الأكاديمي فلاديمير تشيلومي عام 1965. وهو الصاروخ نفسه الذي تمكن، بحلول فبراير 1945، بأوامر من ستالين، من بناء صواريخ كروز تُطلق من قاذفات القنابل في غضون بضعة أشهر. ردًا على صاروخ هتلر V-1!

في ظل "عجز الصواريخ الأمريكية"، برزت قوتنا العظمى. فقد طُوّرت مركبات الإطلاق بروتون وسويوز وزينيت منذ زمن طويل بأعلى درجات الموثوقية، بالإضافة إلى مركبات أخف وزنًا. على الرغم من أن الاتحاد السوفيتي كان يمتلك ما لم تمتلكه الولايات المتحدة الأمريكية - النفط الرخيص، وخام الحديد، والصلب، والكهرباء، والألمنيوم.

عشية انهيار نظام غورباتشوف-يلتسين، أُطلق الصاروخ الروسي العملاق "إنيرجيا" بنجاح لأول مرة (وللأسف، للمرة قبل الأخيرة). وحتى يومنا هذا، لا مثيل له في القوة. عملاق قادر على إطلاق مئة طن من البضائع إلى الفضاء الخارجي! صُمم هذا الصاروخ لحمل مكوكاتنا الفضائية، بوران، ويمكن استخدامه بشكل منفصل، بما في ذلك الرحلات بين الكواكب.

وبغض النظر عن مدى صراخ الولايات المتحدة بشأن تفوقها التكنولوجي، فقد تمكنا في عام 1988 أيضًا من صنع مركبتنا الفضائية القابلة لإعادة الاستخدام، بوران، والتي كانت أول رحلة لها في عام 1988 بدون طيار.

نسبيًا. نحن الروس، ابتكرنا نظام هبوط آلي فريدًا، لم يحلم به الأمريكيون قط. لنتذكر أن المكوكات الفضائية الأمريكية لا تطير إلا بطيارين على متنها. نظام الإطلاق الخاص بهم، والمراحل الضخمة، لا يمكنه إطلاق سوى مركبات تشالنجر إلى الفضاء، على عكس مركباتنا متعددة الأغراض إنيرجيا. في شتاء عام ١٩٨٦، حطم انفجار مركبة تشالنجر إلى قطع صغيرة مع ستة من أفراد الطاقم. تأخر برنامج إطلاق المركبات الفضائية القابلة لإعادة الاستخدام لما يقرب من عامين. كان الروس متقدمين على الأمريكيين حتى في مجال محركات الفضاء. اعتُبر محرك RD-170، الذي حمل صواريخ زينيت وإنيرجيا إلى الفضاء الخارجي، أكثر محركات الرحلات الفضائية تطورًا في العالم. في أواخر الثمانينيات، تمكنت شركة إنيرجوماش من صنع محرك RD-180، وهو محرك ذو حجرتين يعمل بالكيروسين والأكسجين. رخيص الثمن، مصنوع بنسبة ١٠/٧ من أجزاء RD-170. منذ أوائل سبعينيات القرن الماضي، تكافح أمريكا عبثًا لإنتاج محركات رخيصة لإطلاق الأقمار الصناعية. فشلت كل من لوكهيد وماكدونيل دوغلاس واحدة تلو الأخرى. لم تُحل مشاكلهما إلا بانهيار إمبراطوريتنا - ففي عام ١٩٩٦، اشترى الأمريكيون تقنية إنتاج RD-180 من روسيا الفقيرة!

ولكن لولا غوربو-يلتسين، لكانت الولايات المتحدة قد خسرت حرب المدار خسارةً نكراء! لاضطروا إلى إنفاق ما بين مليار ونصف وملياري دولار فقط لإنتاج "محرك صاروخي" مماثل لمحركنا. والآن، تنتصر الولايات المتحدة: فمحرك RD-180، كما يعترف ماركو كاساريس، الخبير في مجموعة تيل، "مُجرّب، ورخيص، وأفضل ببساطة من أي شيء تمتلكه الولايات المتحدة الآن" ("أخبار الاستخبارات ومكافحة التجسس"، العدد ٥، ١٩٩٧).

لهذا السبب احتاج الأمريكيون إلى عقد ونصف على الأقل لتطوير نظام مبادرة الدفاع الاستراتيجي بأكمله. لأن صواريخ "تشالنجر" لم تكن مناسبة لذلك: فهي باهظة الثمن وغير موثوقة. ولصنع الصواريخ اللازمة، المشابهة لصواريخنا، كان على الولايات المتحدة إنفاق الكثير من الوقت والمال. لنتذكر أن الاقتصاد الأمريكي كان يعاني من أزمة اقتصادية عام ١٩٩٥، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. فرغم تدفق المواد الخام الرخيصة، وتصدير الثروة، وتخفيض الميزانية العسكرية، ماذا كان سيحدث لاقتصادهم لو بقي الاتحاد السوفيتي حيًا وقويًا؟ هل انخرطت أمريكا في سباق برامج الفضاء الشاق؟

ففي النهاية، لم يصمد علمنا هو الآخر. ففي صيف عام ١٩٩٥، رفع وزير الطاقة الذرية الروسي، ف. ميخائيلوف، تقريرًا إلى رئيس الوزراء، تشيرنوميردين: يواصل علماء الذرة الروس الفقراء، الذين يتقاضون أجورًا زهيدة (١٥٠ ألف روبل في المتوسط) وتمويلًا ضئيلًا لمختبراتهم، عملًا فريدًا بدأ في الاتحاد السوفيتي في ثمانينيات القرن الماضي.

من بينها قذائف تُطلق حزمة مُوجّهة من الشظايا المُدمّرة. وسيلة ممتازة لتدمير طائرات العدو، أو الأقمار الصناعية القتالية.

ومن بينها تطوير أسلحة سرية للغاية تابعة للـ ONFP - بناءً على مبادئ فيزيائية جديدة.

ومن بينها قذائف فريدة قادرة على تدمير دروع بارتفاع متر ونصف.

ومن بينها محركات فضائية نووية ومحطات طاقة نووية للمركبات الفضائية، قادرة على تزويد المحطات المدارية والأقمار الصناعية بكل ما تحتاجه لسنوات، بما في ذلك المقاتلة. كما أنها لا غنى عنها للرحلات بين الكواكب، ولعمل المصانع المدارية المستقبلية، حيث ستُنتج مواد فائقة النقاء وأدوية فريدة.

ثم، في عام 1995، وتحت وطأة الفقر المدقع، وتمويل الدولة الضئيل للغاية، والفوائد المصرفية الباهظة، استمر العلم الروسي في الريادة في هذا المجال لعدة سنوات. وكنا نُقبض قبضاتنا غضبًا عند التفكير في أي مدى كانت قوتنا ستبلغ لو لم يصل المدمرون عديمو الموهبة إلى أرضنا. كل هؤلاء يلتسين وغايدار، تشوبايس ولوجكوف، سوبتشاك وتشيرنوميردين.

حتى الآن، وتحت ضحكات اللصوص والمنحرفين، الذين يحتقرهم حشود من أصحاب المتاجر الجهلة، ويكسبون المال الوفير، يواصل العلماء الروس عملهم. أفكارهم لا تنام.

يطور كبير مصممي معهد أبحاث أجهزة الراديو، ر. أفرامينكو، سيفًا سماويًا - سلاح بلازما لتدمير الرؤوس الحربية وطائرات العدو أثناء الطيران. يُثبت أفرامينكو أنه باستخدام مصفوفات الهوائيات الطورية (PAR) المتطورة في الاتحاد السوفيتي ومولدات قوية، يُمكن إنشاء بقعة بلازمويدية قطرها متر واحد على ارتفاع خمسين ميلًا. من إشعاع الليزر أو الإشعاع فائق التردد.

إذا ظهرت مثل هذه البقعة تحت جناح طائرة معادية، فسيضربها تفريغ كهربائي قوي. يُدمر الهدف في جزء من الثانية (نُحيل المشككين إلى مجلة "تكنولوجيا للشباب" العدد 6 لعام 1995). حتى الآن، هذه الطريقة مكلفة: إذ تتطلب قاذفات بلازما قوية - ينبعث منها ضوء بطول كيلومتر واحد، ومساحة هكتار، وتتطلب طاقة تُضاهي طاقة وحدة طاقة كاملة في محطة طاقة نووية. لكن المبدأ نفسه صحيح. فقد أُنشئت محطة تجريبية تعمل منذ عام ١٩٩٤.

علاوة على ذلك، للأسلحة البلازمية استخدامات أخرى. فالبقعة البلازمية التي يُنشئها المولد الموجود على متن الطائرة أمامها تُقلل من مقاومة الهواء بنسبة ٤٠٪.

ستُسجل الطائرات الروسية المُجهزة بهذه الأنظمة أرقامًا قياسية من حيث كفاءة استهلاك الوقود، والمدى، وسرعة الطيران، مُتفوقةً على طائرات بوينغ وإيه-٣١٠. مما سيوفر على البلاد ملايين الأطنان من الوقود المُكلف.

أغمض عينيك وتخيل المقاتلات الروسية المُجهزة بأنظمة بلازمية. طائرات إف-١٦ الأمريكية المُتباهى بها تتحول إلى طائرات بطيئة الحركة.

"أهداف تدريبية". يستقبل طيارونا طائرات بسرعات وارتفاعات طيران غير مسبوقة. ينطلقون إلى الفضاء، ويدمرون أقمار العدو الصناعية. ويسمح لهم نصف قطر الطيران المتزايد بشكل غير مسبوق بضرب قاذفات القنابل الأجنبية فوق المحيطين الأطلسي والهندي. ضرب مواقع رئيسية، على سبيل المثال، مركز الهيمنة الأمريكية في جنوب آسيا - قاعدة دييغو غارسيا في المحيط الهندي...

هل كان غورباتشوف على علم بكل هذا في النصف الثاني من الثمانينيات؟ نعم، كان يعلم. لأنه تحدث عدة مرات بشكل مبهم عن "رد فعل غير متكافئ" على مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية - وهو مصطلح من لغة أولئك الذين طوروا وسائل لمواجهة وحش ريغان.

في الاتحاد السوفيتي في منتصف الثمانينيات، كانت هناك مدارس علمية قوية ومبتكرة ومراكز تقنية عالية قادرة ليس فقط على إحباط جميع جهود عدونا الجيوسياسي اللدود، بل أيضًا على تحقيق الهيمنة في الفضاء القريب من الأرض. كان بإمكاننا أن نصبح آلهة نملي الإرادة الروسية على العالم أجمع.

كان بإمكاننا، بميزانية أقل بعشر مرات من الأمريكيين، إطلاق مركبات قتالية إلى مدارات، تُحوّل في غضون دقائق جميع منشآت الدفاع الاستراتيجي الخاصة بهم إلى غيوم من الغازات الساخنة وسحب من الحطام الصغير. كان سيفًا سماويًا حقيقيًا. لكنه انتهى في أيدي المهرجين.

كان من الممكن أن تُصبح كل هذه التجمعات القوية، ومجموعات المراكز العلمية والصناعية ذات القدرات الهائلة، أساسًا لحضارة روسية جديدة. كانت في طور الولادة. لكنها انقطعت في صعودها. كان الغرب يعلم أنه يُخاطر بالخسارة إلى الأبد.

وتمكن من توجيه ضربة غادرة لنا، مستخدمًا نخبتنا الفاسدة.

إن مثال استسلام قادة الكرملين ونخبة الثمانينيات الجبانة أمام خدعة "حرب النجوم" الفارغة درس لنا للمستقبل. ففي عام ١٩٨٥، كان لدى الاتحاد السوفيتي جميع الظروف المادية والتقنية للصمود والانتصار. الفصل الثالث. ديدان على العرش. معالم معارك مدارية.
الروس وضربة "القمر". استُخدم النصر!

1

ومع ذلك، لماذا وجدت النخبة السوفيتية الحاكمة نفسها مغلوبة على أمرها بسبب الخوف من الأمريكيين والشعور بالدونية الوطنية؟ لماذا استسلمت، وهي تمتلك احتياطيات ضخمة للقتال ومواقع انطلاق ممتازة؟ أم أن هذه النخبة كانت تبحث ببساطة عن ذريعة للاستسلام وبيع الإمبراطورية الجبارة؟

أحيانًا، عندما تُثيرني شاشة التلفزيون الحالية بالغثيان من كثرة ما يُعرض من مشاهد شنيعة، أشغل شريط فيديو به لقطات من نصف قرن مضى. ستعرض أفلام إخبارية بالأبيض والأسود. ومرة أخرى، سيُحلق الطيارون اليابانيون المذعورون في السماء. إلى معركتهم الأخيرة.

قاد الأدميرال أوكاغي مجموعته الانتحارية في 18 أغسطس/آب 1945. بعد ساعات قليلة، صدر الأمر من طوكيو بالتوقف عن مقاومة الأمريكيين. أحيانًا تُدمي برقيته الأخيرة عينيّ.

"أنا وحدي المسؤول عن عجزنا عن إنقاذ الوطن وهزيمة العدو المتعجرف. كل الجهود البطولية التي بذلها الضباط والجنود تحت قيادتي... ستُقدّر حق قدرها. سأؤدي واجبي الأخير في أوكيناوا، حيث سقط جنودي ببسالة من السماء كبتلات أزهار الكرز. هناك سأوجه طائرتي نحو العدو المتعجرف بروح بوشيدو الحقيقية، بثقة راسخة وإيمان بخلود الإمبراطورية اليابانية. أنا على يقين بأن جميع المحاربين... سيفهمون دوافع عملي، وسيتجاوزون كل العقبات في المستقبل، وسيناضلون من أجل نهضة وطننا العظيم. ليعيش إلى الأبد. تينّو هينكا بانزاي!"

لقد ازدادت الروح الإنسانية قوة. وبدونها، تنهار حتى الممالك ذات أقوى الترسانات. أستمع إلى الكلمات الأخيرة للبطل الياباني مرارًا وتكرارًا، ويبدو لي أن شخصيات الصحف والسياسيين والرؤساء المفضلة اليوم أشبه بديدان روث بائسة تتجمع في كومة من القاذورات. من هم أولئك الذين سلموا الإمبراطورية للعدو بعجز، طارحين قوتها اللامعة إلى التراب بطاعة؟ أي نوع من النخبة الحاكمة هذه التي كسرت السيف الروسي الذي لا مثيل له في العالم؟

السؤال في غاية الأهمية. فهؤلاء الأفراد ما زالوا يحكموننا، بعد أن انتقلوا من اللجنة المركزية واللجان الإقليمية إلى الجهاز الرئاسي، ومجالس المحافظات، والبنوك، والشركات. يُطلقون على أنفسهم اسم "النخبة".

تُترجم كلمة "نخبة" إلى الروسية بمعنى "الجزء الأفضل". وقوة الأفضل هي الأرستقراطية. الأدميرال أوكاجي أرستقراطي، وهو من النخبة. ولكن هل يُمكن للديدان وآكلي الجثث والجبناء واللصوص أن يُطلقوا على أنفسهم اسم الأفضل؟ غورباتشوف وشيفاردنادزه ويلتسين وكل من يُسمون بالمصلحين المُخصخصين هم ثمار الانحطاط. بلا شرف ولا ضمير ولا كبرياء، بلا جذور وطنية ولا شعور إمبراطوري. وكيف يُمكن وصف من ارتكبوا بأيديهم، من أجل حساب في بنك نمساوي، أو قصر في كان، أو الوصول إلى سلطة رئاسية في إحدى فتات بلد عظيم سابقًا، بأكبر خيانة في تاريخ البشرية؟ أولئك الذين حوّلوا بأيديهم جواهر الحضارة الإمبراطورية الفريدة إلى أوراق خضراء مبتذلة. وهكذا صهرت مجموعات من قطاع الطرق الإسبان الأغبياء روائع إمبراطوريتي الأزتك والإنكا إلى سبائك ذهب بلا وجه. صحيح أن الغزاة دمروا بلدانًا أخرى، لا بلدانهم.

لا يمكن أن تكون "نخبتنا" مختلفة. في خمسينيات القرن الماضي، بدأت النخبة الحاكمة في النظام السوفيتي الحزبي تعتاد على حياة هادئة وهادئة خالية من المخاطر والمسؤولية.

في السابق، لم يسمح ستالين للطبقة العليا بالركود، بل أجبرها على أن تكون قوية ومُدربة، مُعتادة على الإجهاد المفرط. لكن أولاً، ظهر خروتشوف الثرثار، ثم بريجنيف اللين العاطفي. بدأ الفساد.

لم يستطع هؤلاء الناس أن يكونوا مختلفين. في موسكو، شكّلوا عالمهم الصغير المُستنقعي. مدارس ومؤسسات تعليمية خاصة، حيث دلل أبناء النخبة، وامتلأوا بالبدانة، وتعلموا تقديس الغرب. مدن ريفية خاصة. صحيح أنها متواضعة نوعًا ما مقارنةً بقصور الروس الجدد الحالية - أقول هذا كشاهد عيان. نشأ نظام مُجرّب من المهن الحزبية في كومسومول. بالطبع، كان لا يزال هناك أناس نشيطون من الطبقات الدنيا، مُجتهدون، ومُبدعون للسلطة الإمبراطورية، أبناء المعارك والمصانع والمنصات الفضائية. لكن ليس هم، بل "نبلاء" موسكو، المُتجمّعون في عالمهم الصغير، هم من صنعوا الطقس. ٢

من أين جاءهم هذا الشعور الإمبراطوري؟ لقد فاتتهم كنوز الفكر الروسي، وجمال "قصة حملة إيغور"، ودراما وعظمة تاريخنا. أبناء آباء مشغولين دائمًا، غالبًا ما كانوا لا يفكرون إلا بالفودكا و"المسار القصير للحزب الشيوعي لعموم الاتحاد (البلاشفة)"، وجدوا في كل ما هو غريب مثالًا أعلى. اعتادوا حياة الدفيئة، واحتفالات "بوبيدا" و"فولغا" الشخصية، فحلموا بـ"جنة" غربية عادية: فيلات بمسابح، وسيارات مرسيدس، و"فتيات" فاخرات. ازدهرت في عالمهم المغلق أسوأ الرذائل. أما "الوظائف المريحة" التي وضعهم فيها آباؤهم - كل هذه الرحلات التجارية الخارجية، والبعثات الخارجية، والتجارة الخارجية - فلم تُكمل إلا تكوين قبيلة دنيئة من الطفيليات.

هل يُمكن صقل شخصياتهم، وهل يُمكن أن تستيقظ في نفوسهم ظلال أسلافهم العظماء وشخصيات روسية عريقة؟ لم تُسقطهم العواصف، ولم يشهدوا معارك وحملات طويلة. لم يخدموا في الجيش، حيث تعلموا الطاعة والقيادة، وتحمل مسؤولية أفعالهم، والتغلب على ضغوط الحياة. لم يعرفوا معنى صهر الفولاذ أو حرث الأرض، بل والأهم من ذلك، معنى المخاطرة بحياتهم. ماذا كانوا يعرفون عن قوة الإمبراطورية وعظمتها؟ لا شيء على الإطلاق. أتحدث كشاهد عيان، لأن والدي كان عضوًا في النخبة الحاكمة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي. وكانت ذروة عبقريتهم البشرية "منظارًا إباحيًا" يقذف الحيوانات المنوية - جهاز تسجيل فيديو. كانت خطط العلماء الجريئة، ورمي المقاتلين ليلًا في طبقة الستراتوسفير، ورحلات النوتيلوس الروسية تحت الجليد - كل هذا بعيدًا كل البعد عن "نخبتهم". حقاً، لم يكن في أدمغتهم سوى ثلاثة تلافيف: واحدة مليئة بالفودكا، وأخرى بالسائل المنوي، وثالثة بأفكار الحياة الهنيئة. غرائز بروتوبلازم لا معنى له، مُلتهم!

يُعلّمنا مصير الاتحاد السوفيتي أن القوة العلمية والصناعية ليست سوى نصف المعركة. الدولة مُلزمة، أولاً وقبل كل شيء، بتربية وتعليم نخبة حقيقية. أرستقراطية من حاملي الروح الوطنية، كهنة ومحاربين. لا تُعدّ السلطة بالنسبة لهم مدخلاً إلى حياة الكافيار النباتية وحمامات البخار ذات الجمال الطري، بل عبء مسؤولية مصير الوطن. تثقيف شعب يُعلي من شأن الشرف والشجاعة. فقط أولئك الذين يُمكن أن يكونوا نخبة لا تخشى الصعوبات والمخاطر، الذين يسبقون الشعب، ويجذبونه معهم. في الحرب، هذا هو أقصى توتر للروح الإنسانية، أو في العمل الجاد. هؤلاء تحديداً هم من افتقرهم الاتحاد في اللحظة الحاسمة. وهكذا انهارت الإمبراطورية، رغم قوتها المادية الهائلة.

إن القوانين القاسية والصارمة التي تعمل بها النخبة ثابتة وأبدية على مر العصور والشعوب. يمكن استبدال الأقواس بالبنادق، والدروع بالسيوف والدبابات والمقاتلات، لكن هذه المدافع لن تزول أبدًا.

على النخبة، إذا أرادت أن تكون قوية ومتينة، ألا تغرق في الترف والفجور. منذ الصغر، يجب على الأرستقراطيين أن يعتادوا على الحرمان وضبط النفس، وأن يحتقروا الترف ويحبوا القتال، وأن يكونوا قادرين على اجتياز اختبارات تتجاوز القدرات البشرية. يجب عليهم يوميًا أن يصقلوا أرواحهم وأجسادهم، مؤكدين مكانتهم كأفضل جزء من الشعب، وقادته. هكذا ربى الإسبرطيون نخبتهم، علموا أطفالهم تحمل الجوع والألم، والبرد والمعارك الشاقة، وأكل الخبز اليابس، وبشكل عام، طعام المحارب. ظلت إسبرطة لا تُقهر لمدة أربعمائة عام. ولكن بمجرد انهيار نظامها التعليمي، هلكت هذه الدولة المجيدة.

في أوج ازدهار الإمبراطورية الروسية، نشأ النبلاء الشباب على نفس المنوال. فقد انتُزعوا من راحة منازلهم وعاطفة آبائهم من أجل الضباط العسكريين وسلاح البحرية. حيث تعلم الأرستقراطيون الشباب التسلسل الهرمي الصارم والانضباط، وعصيدة الجندي وصفير القضبان. اعتادوا على دوي المدافع ورائحة البارود، وعلى مسامير الدم على أيديهم ودخان نيران المخيمات، وعلى العواصف والحر والبرد. لقد تشبعوا بوعي بأن مصير

النبيل هو خدمة القيصر والوطن من شبابه إلى قبره. ولهذا السبب أنجبت روسيا أبطالًا، وكأنهم مصنوعون من فولاذ خالص. سوفوروف، وكوتوزوف، وروميانتسيف، وأوشاكوف، الذين لم يخشوا خوض معركة مع قوات عدو متفوقة أرعبت أوروبا بأكملها. واجه الأدميرال أوشاكوف العدو برصاصة مسدس، مُطلقًا سفنه الخشبية على حصون كورفو الحجرية ومئات المدافع ذات النوى الساخنة.

من بطرس الأكبر، الذي أصدر مرسومًا: يجب أن يكون النبيل في الخدمة مدى الحياة في الإمبراطورية.

وولد نوع غير مسبوق من الناس. أولئك الذين يمكنهم العمل كقادة عسكريين وعلماء ودبلوماسيين في وقت واحد. يمكن إرسال نبيل روسي إلى رمال بحر قزوين الحارقة وجليد القطب الشمالي، لاقتحام معاقل القوقاز وفي رحلات استكشافية في جبال الألب. لمواجهة الرصاص وداء الاسقربوط والجوع وآلاف الأميال من المسافة. هذا هو السبب في وجود النبلاء في روسيا لابتيف وبرونيتششيف وماليجين، مستكشفو المساحات القطبية. أو الكونت فورونتسوف، الذي قاد بنفسه فرقة من رماة القنابل في هجوم على بورودينو تحت وابل من طلقات العنب الفرنسية. ثم باع ممتلكاته من أجل توزيع المكافآت على أولئك الذين بقوا على قيد الحياة. أو الجنرال إرمولوف، الذي ألقى خاتمًا به ماسة ضخمة في وجه الوزير الفارسي عندما حاولوا تملقه أثناء المفاوضات. في الوقت نفسه، لم يكن إرمولوف ثريًا على الإطلاق. وُلد أشخاص مثل الأخوين ميكلوهو ماكلاي في روسيا. خاطر أحدهم بحياته، فقام بمهمة استطلاعية بين آكلي لحوم البشر في المحيط الهادئ، بينما غرق الآخر مع بارجته الصغيرة، بعد أن خاض معركة غير متكافئة مع طرادين يابانيين ثقيلين.

بالمقارنة مع هذه الطبقة الأرستقراطية، تبدو "النخبة" الحالية أشبه بالقوارض أو الصراصير. إن الحاجة إلى ارتكاب فعل حقيقي أو تحمل المسؤولية الكاملة عنها أشبه بإشعال مصباح في المطبخ لسرب من الصراصير يزحف على حوض متسخ.

وبالطبع، انهارت طبقة النبلاء عام ١٩١٧، ولم يبق من ورائها سوى أحفاد بائسين - منحطين، "متسكعين" في مسرحية عهد يلتسين. لكن انحطاطها بدأ مع كاثرين الثانية، التي سمحت للأرستقراطيين بعدم خدمة الدولة مدى الحياة والتقاعد، منعزلين في ممتلكاتهم. ومنذ ذلك الحين، انفصل مانيلوف وأبلوموف في روسيا. وأصبح آل أوشاكوف أشبه بالكونت يوسوبوف، الذي راقب دون تذمر راسبوتين السكير وهو يتحسس زوجاتهم.

مبدأ "النخبة يجب أن تكون مدربة ونحيفة" لا يتزعزع. سواء بالنسبة لسكان مرتفعات القوقاز، الذين أرسلوا أطفالهم ليُربوا تربية قاسية في عائلات الآخرين، أو بالنسبة لدولة تمتلك رؤوسًا نووية وأسطولًا فضائيًا. في الاتحاد، طواه النسيان.

3

بالإضافة إلى الأسلحة فائقة الحداثة ومعجزات العلم، يجب علينا أيضًا بناء طبقة أرستقراطية. طبقة عسكرية روحية. لتحقيق ذلك، لا حاجة للإلكترونيات ولا لأي استثمارات ضخمة. كل ما نحتاجه هو الإرادة والرغبة. فالأشخاص ذوو الروح العالية، حتى مع بنادق الكلاشينكوف الهجومية فقط، قادرون على هزيمة عدوٍ مُدجج بالسلاح، ولكنه مُحطم داخليًا.

كيف نُنشئ نخبة؟ إذا لم تكن لديك خبرة روسية كافية، فلنلجأ إلى مثال حضارة معادية لنا. الذي، على الرغم من أنه لم يستمر سوى اثني عشر عامًا، تطلب تضحيات فادحة من الروس لتدميره. كما قدم الألمان بين عامي ١٩٣٩ و١٩٤٥ أمثلةً عديدة على الشجاعة. نفذ مسؤولوهم وجنودهم الأوامر حتى النهاية، وعمل مصمموهم وعمالهم حتى اقتحمت دباباتنا المصانع. لم يكن بين أعدائنا من هو أكثر ثباتًا ومهارةً وشجاعة.

نشرت مجلة "كيمبو" (العدد ٣، ١٩٩٥) مقتطفات من مذكرات مقاتلي الرايخ الثالث حول كيفية تدريبهم. المرحلة الأولى هي "شباب هتلر". بخلاف روادنا في السبعينيات والثمانينيات، الذين كانوا مهووسين بالخاسرين والنساء، أمضى الشباب الألمان أربع سنوات في تلك المنظمة. في الصيف، كان الجميع يذهب إلى معسكرات جبال الألب لمدة ثلاثة أشهر. يستيقظون في الخامسة صباحًا، ويسبحون في مياه البحيرات الجبلية الباردة. يتناولون كوبًا من قهوة الشعير وشريحة من الخبز الأسمر على الإفطار. بعد ذلك، أُقيم استعراض عسكري في ساحة العرض مع قرع الطبول ورفع الرايات. ثم ساعتان من دروس تكتيكات القتال في الغابة. ساعتان من التدريب على الرماية.

وساعتان أخريان من الرياضة. من الظهر حتى الواحدة ظهرًا، غداء. بعد ذلك، تثقيف عنصري وسياسي، حتى الثالثة عصرًا. ثم المزيد من الرياضة، والتدريب العملي، والتضاريس التطبيقية...

مر جميع الأطفال الألمان بهذه التجربة. تذكر الصحفي الإنجليزي والتر شيرر لاحقًا كيف دهش من مظهر أسرى الحرب الألمان الأوائل مقارنةً بمظهر الجنود الشباب في إنجلترا الديمقراطية. أسنان البريطانيين المتعفنة، ونحافتهم وانحناءهم - مقارنةً بالنازيين، مفعمين بالقوة والصحة.

بعد المرحلة الأولى من هذا التدريب، دخل شباب في السابعة عشرة من عمرهم الحياة، لم يتمكنوا ببساطة من أن يصبحوا أطفالًا هبيين صغارًا، مدمنين على المخدرات، أو مدمنين على غاز الضحك اليوم، أو بلاتوتا يسيل لعابهم ويملأون دخانها. ليس - نراهن - غايدار سمينًا مرتجفًا. بعد "شباب هتلر"، كان بإمكان المتفوقين الالتحاق بثلاثين معهدًا للتعليم الوطني والسياسي ببرنامج دراسي مدته عامان.

هناك، تلقى الألمان أيضًا تدريبًا إسبارطيًا، وتدريبًا عسكريًا، وتدريبًا عمليًا، إلى جانب دراسة متعمقة للنظرية العرقية، وعلم تحسين النسل، والجغرافيا السياسية. ومرة أخرى، بعد التخرج، التحق المتفوقون لمدة عام بمؤسسات تدريب النخبة - إلى قلاع قوات الأمن الخاصة (SS): فوغيلسانغ، وسونثوفن، وماريينبورغ...

الاستيقاظ - الساعة الخامسة صباحًا. عبور نهر جبلي لمسافة كيلومترين، والسباحة في مياه جليدية، والعودة جريًا. في السادسة صباحًا - فطور من دقيق الشوفان مع مياه معدنية. قبل الغداء بست ساعات - نظرية الأسلحة، والرماية، وساحة العرض. ثم دروس في تخصصات خاصة وسياسة. على العشاء - تنظيف. إطفاء الأنوار - الساعة العاشرة مساءً. تأديب صارم. لسوء السلوك، يمكن حرمان المتدرب من راتب شهر.

أو سجائر، تُوضع في زنزانة عقابية مع نظام غذائي يقتصر على الخبز والماء.

ما هي الدورات التدريبية الخاصة لطلاب قوات الأمن الخاصة؟ تدريب خيول عربية برية، وإتقان مهارات الفرسان الآريين القديمة. أن تكون فارسًا يعني أن تكون أرستقراطيًا، قادرًا على إخضاع القوة الغاشمة بإرادتك. القتال بالأيدي العارية مع كلاب الرعي المدربة خصيصًا والتي تأكل لحوم البشر أمر لا بد منه. التدريب بالذخيرة الحية والقنابل اليدوية. رحلات تسلق الجبال وركوب الدراجات النارية البرية. بعد الدراجات النارية، أتقن الطلاب أولاً قيادة المركبات المدرعة، ثم الدبابات الخفيفة.

درسوا آثار السموم وغازات الحرب على خنازير غينيا والكلاب. قضوا ساعات في المشارح وأجنحة التشريح المرضي، يشرحون جثث المجرمين المعدومين، ويعتادون على رؤية الدم والموت، ويتعلمون وضع الجبائر على الكسور والضمادات على الجروح. كما ترون، لا يتشابه هذا كثيرًا مع مدارس كومسومول أو الأحزاب في الماضي القريب، لا مع شرب الخمر وفجورهم.

كان بإمكان أفضل خريجي قلاع النظام الالتحاق بمدرسة قوات الأمن الخاصة (SS). بمسيرات إجبارية لمسافة ثلاثين كيلومترًا، وتدريب على القتال الليلي، وعمليات في المدينة، وإطلاق النار من جميع أنواع أسلحة المشاة، ودراسة جميع أنواع الأسلحة الصغيرة الروسية. كانت محاضرات الاستراتيجية والتكتيكات مصحوبة بتحليل لأعظم معارك التاريخ على نماذج ضخمة. بعد عشرة أشهر، أُقسم اليمين للفوهرر واستلم زي قوات الأمن الخاصة الأسود. ثم، أصعب اختبار يُطابق طقوس التنشئة القديمة، الميلاد الثاني - الامتحانات النهائية. كان أحدها كالتالي: اقتيد عشرة طلاب عسكريين يحملون مجارف في أيديهم. في الجهة المقابلة، على بُعد مئة متر، عشر دبابات. في عشرين دقيقة، كان من الضروري حفر خندق بعمق كافٍ، والاختباء فيه، والسماح لآلة متعددة الأحجام بالمرور فوقهم.

هكذا درب الألمان أرستقراطييهم. أولئك الذين اجتازوا جميع مراحل التنشئة استطاعوا حقًا قيادة الناس إلى النار والماء، دون خوف من أي عدو. وهو ما أثبته الألمان. كان رجال قوات الأمن الخاصة (SS) في ألمانيا هم من حظوا بكل الخير، ووُضعوا فوق الآخرين، وفتحوا الطريق إلى أعلى المناصب. لم يكن بإمكان هؤلاء الأشخاص أن يصبحوا مثل يلتسين أو غوربيز أو شيفرنادزه.

نعم، قوانين تعليم النخبة صارمة وموحدة، سواء في الأديرة البوذية، حيث ينفتح طريق القمة من خلال اختبارات قاسية وطاعة، أو في قبائل الماساي الأفارقة المحاربين. ألا تقتنع بمثال الألمان؟ لنأخذ دولة ذات ثقافة أصيلة

عريقة - اليابان الإمبراطورية الشنتوية. بعد أن اعتمد اليابانيون التكنولوجيا الغربية في النصف الثاني من القرن الماضي، لم يتبنوا أسلوب حياة أجنبيًا. لم يُغيّروا قيد أنملة أسسهم القديمة - التسلسل الهرمي، والانضباط، وتفوق رجال السيف وروح المحارب على المصرفيين والتجار. استبدلت أرستقراطيتهم، الساموراي، الدروع والخيول بالطرادات وحاملات الطائرات والمقاتلات، مع استمرارهم في احترام ميثاق شرف الساموراي "بوشيدو".

لم يقبلوا الموضة الغربية، والكتب، والنزعات الفكرية. لم يستبدلوا الأسلحة بالتجارة، على عكس النبلاء الإنجليز، أو بالكسل، على غرار النبلاء الروس. احتقروا كل ما هو غربي، على عكس البيروقراطية السوفيتية الرمادية في الثمانينيات.

لم تسقط اليابان إلا في صراع غير متكافئ، تحت وطأة ضرباتنا المشتركة مع الأمريكيين، بعد مقاومة عنيدة. لم يخشَ الساموراي الهجوم بطائرات عتيقة على الحصون العائمة للولايات المتحدة. هاجموا السفن، سابحين نحوها، متسلقين سلاسل المراسي بالسكاكين والقنابل اليدوية. لم يتراجعوا حتى عندما حوّلت القاذفات الأمريكية طوكيو إلى بحر من النار، متسببةً في مقتل نحو مائة ألف شخص. وحتى عندما محت القنابل الذرية هيروشيما وناغازاكي عن وجه الأرض. عندما حان وقت الاستسلام، ثار ضباط الساموراي في صيف عام ١٩٤٥. حتى بعد الغارات الذرية، حيّر الأمريكيون. كان من المقرر الاستيلاء على اليابان عام ١٩٤٦ بخسارة مليوني دولار للولايات المتحدة. وفقط الروس، بعد أن قاموا بهجوم غير مسبوق لمدة أسبوعين على الصين عبر رمال جوبي وسلسلة جبال خينغان، وبعد أن مزّقوا جيش كوانتونغ الذي كان قوامه مليون جندي، أجبروا اليابانيين على إلقاء أسلحتهم.

كيف كانوا يدربون الساموراي؟ لنأخذ الأكاديمية البحرية العليا في إيتاجيما مثالاً. إذا ارتكب طالب عسكري جريمة، كان حتى الضابط الصغير قادرًا على جرّه من فراشه في منتصف الليل وضربه بلا رحمة. دُرِّب أتباع إيتاجيما ليصبحوا محاربين قادرين على الطاعة دون نقاش والحفاظ على انضباط صارم بين مرؤوسيهم. غُرِسوا فيهم المسؤولية الجماعية. على أي مخالفة، عوقبت الفرقة بأكملها. ولم تُزِدِ الآهات والصراخ أثناء الإعدام إلا من وطأة العقوبة. في الوقت نفسه، كانت هناك دروس مكثفة في الرياضيات والتاريخ والهندسة والتكتيكات، إلى جانب تدريب بدني مكثف. كان على طالب إيتاجيما أن يكون قادرًا على التعليق لمدة عشر دقائق على الأقل بيد واحدة، ممسكًا بذراع صاري ارتفاعه عشرون مترًا. أو البقاء تحت الماء لمدة دقيقة ونصف على الأقل. جاء كل من رئيس الوزراء العسكري الياباني، توجو، والأدميرال أوكاجي من أسوار إيتاجيما. يُقال إنه بعد عام ١٩٤٥، فقد اليابانيون روحهم القتالية، بعد أن تبنوا رذائل الحضارة الاستهلاكية الغربية. لكن دعونا نتذكر كيف كانت الصحافة السوفيتية في السبعينيات تتذمر من التربية القاسية للشباب الياباني - في أقسام البطاقات.

أكلنا في مدارس الإبحار. كنا ندهش كيف يمكن لطفل في الخامسة من عمره أن يبكي من الألم عند طبيب الأسنان، بينما تقف أمه بجانبه وتضحك قائلة: "اصبر! سيؤلمني الأمر مجددًا! ها ها!" هكذا تُغرس في ابنها "الكودزي" - قوة الروح. لم تختفِ تقاليد الساموراي تمامًا في اليابان اليوم، وهذا تحديدًا ما يجعلها تغزو الأسواق العالمية، وتُجبر أمريكا على الركوع. لو كان لدينا أرستقراطيون حقيقيون في السلطة، لظلت الإمبراطورية لا تُقهر. للأسف، في عام ١٩٨٥ وما بعده، كان لدينا مجرد ديدان في السلطة. عبيد ارتقوا ليصبحوا أمراء، لكنهم في أعماق أنفسهم ظلوا عبيدًا. لماذا كانوا يخشون خدعة مبادرة الدفاع الاستراتيجي وغيرها من المشاكل التي تبدو تافهة مقارنةً بجحيم ١٩٤١-١٩٤٥؟ لكن هؤلاء الشياطين الفاسدين ما كانوا ليتصرفوا بطريقة أخرى.
نعرف هؤلاء الأعضاء البدينين في كومسومول، ذوي البطون الضعيفة، قبل سن الثلاثين. من قال من على المنصة ما لم يؤمنوا به. أو الجنرالات الذين بنوا مسيرتهم المهنية دون مغادرة مكاتبهم في موسكو. المعجزات لا تحدث. لم يكن آل أوشاكوف أو آل باغراتيون هم من تولوا قيادة الإمبراطورية. بل كان هناك من اختاروا بيبسي بدلًا من العظمة الروسية. لكلٍّ رأيه...

ولكن لو كانت لدينا أرستقراطية حقيقية، فماذا كانت لديها من معارك قريبة من الأرض؟ لنفترض أن الأمريكيين ما زالوا قادرين، تاركين شعبهم بلا ملابس، على نشر مجموعات دفاع جوي مدارية.

لم يكن الأمريكيون يُحسنون استخدام الأسلحة المضادة للأقمار الصناعية. كما أفاد أناتولي دوكوتشاييف (Technika i Oruzhie، العدد 7، 1996)، بدأ تطوير أول أنظمة مضادة للأقمار الصناعية حتى قبل إطلاق الأقمار الصناعية نفسها، في عام 1957. في عام 1959، أُطلق صاروخ "بولد أوريون" من قاذفة قنابل من طراز B-47 على جهاز هدف. في عام 1962، تم اختبار قاذفة القنابل المقاتلة من طراز F-4 كحاملة لأسلحة مضادة للفضاء. لكن البنتاغون لم يتمكن من تنفيذ برنامج "بولد أوريون".

في عامي 1963 و1964، نشرت الولايات المتحدة نظامين مضادين للأقمار الصناعية. تم تركيب صواريخ "نايكي زيوس" المعدلة على جزيرة كواجالين أتول في المحيط الهادئ في إطار برنامج 505، ثم تم تركيب مجمع قائم على صواريخ "ثور" متوسطة المدى (برنامج 437) على جزيرة جونستون أتول. ولكن تم إيقاف كلا البرنامجين بحلول نهاية الستينيات بسبب عيوب تقنية بالغة. كانت دقة توجيه صاروخ ثور منخفضة للغاية لدرجة أنه لم يكن قادرًا على حمل سوى رأس حربي نووي. وكانت انفجارات الأسلحة النووية في الفضاء محظورة بالفعل بموجب معاهدة عام ١٩٦٣ - لا يمكن اختبارها.

في عام ١٩٧٥، ثارت الصحافة الأمريكية حول تعرض قمرها الصناعي للعمى بسبب ليزر من سيبيريا. ثم اتضح أن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث. ولكن في عام ١٩٧٦، بدأت الولايات المتحدة في تطوير صواريخ مضادة للأقمار الصناعية جو-فضاء لتدمير الأنظمة المدارية من المقاتلات عالية التحليق. في عام ١٩٨٤، اختبروا النظام مرتين.

لكن أول اختبار قتالي للصواريخ المضادة للأقمار الصناعية حدث في ١٣ سبتمبر ١٩٨٥، عندما أقلعت طائرة إف-١٥ مزودة بصاروخ SREM-Altair تحت جسمها من كاليفورنيا. وبفضل جهاز التوجيه، فجّرت الصاروخ قمر سولويند الصناعي المعطل إلى أشلاء على ارتفاع ٤٥٠ كيلومترًا. ثم صُمم النظام لإسقاط الأنظمة ذات المدار المنخفض (حتى ١٠٠٠ ميل). حمل الصاروخ ذو المرحلتين مقذوفًا اعتراضيًا مصغرًا مزودًا بعشرات محركات المناورة، ونظام توجيه بالأشعة تحت الحمراء، ووحدة توجيه جيروسكوبية بالليزر متصلة بجهاز كمبيوتر صغير. افترضت خطط البنتاغون نشر 56 طائرة حاملة و112 صاروخًا في قاعدتي لانغلي (فرجينيا) وماكورد (واشنطن). كانت هناك مشاريع لإنشاء قواعد في جزر فوكلاند، وجزيرة دييغو غارسيا المرجانية، وجزيرة أسينشن، وأستراليا. بالإضافة إلى ذلك، تم تجهيز طائرات الهجوم إف-14 الحاملة بأسلحة مضادة للأقمار الصناعية. بالتوازي مع ذلك، بدأوا العمل على منصات فضائية قتالية مزودة بأسلحة ليزر، وكانوا يخططون لإطلاق 14 منها في المدار. لكن الأمريكيين كانوا يغطون هزيمتهم فقط.

في أوائل الستينيات، كان لدى KB-1، التي أسسها سيرجي بيريا (المزيد عن ذلك لاحقًا)، ثلاثة مجالات عمل. تم إعداد أنظمة الدفاع المضادة للصواريخ وأنظمة إطلاق الصواريخ من قبل المصمم المتميز غريغوري كيسونكو. أُنشئت أنظمة مضادة للطائرات بقيادة الأكاديمي ألكسندر راسبلتين، بينما أنشأ أناتولي سافين أنظمة الطيران ومعلومات الاستخبارات. لكن سافين انفصل لاحقًا عن KB-1 وأسس معهد الأبحاث المركزي "كوميتا"، وبدأ العمل مع فريق الأكاديمي تشيلومي، مطور الصواريخ. كما قام لافوشكين، وهو منظمة غير حكومية، بتجميع صاروخ مضاد للأقمار الصناعية. كل هذه قصة معقدة نوعًا ما، فإلى جانب مزايا تشيلومي، تكتنفها ظلمة من الخطايا والمؤامرات (كان مقربًا من خروتشوف). ومع ذلك، دمّرنا أول قمر صناعي قبل الأمريكيين بخمسة عشر عامًا، في أغسطس/آب 1970.

يكتب أ. دوكوتشاييف: "تم إنشاء مجمع آلي فريد وفعال". على الأقل، لا يُمكن مُقارنة النظام الأمريكي المضاد للأقمار الصناعية به. مُكوناته هي محطة أرضية للتحكم والحوسبة والقياس في منطقة موسكو، ومنصة إطلاق خاصة في بايكونور، ومركبة إطلاق، وصاروخ اعتراضي فضائي. كانت هذه الأنظمة تعمل بكامل طاقتها بحلول نهاية سبعينيات القرن الماضي.

قررت القيادة العسكرية أن القمر الصناعي، الذي كان محكومًا عليه بالفشل حتى الموت. كُلِّف طاقم القتال بمهمة تدمير الهدف في غضون 45 دقيقة. بدأ مركز التحكم الفضائي العمل في البداية، محددًا إحداثيات الهدف. بناءً عليها، حسب مركز القيادة والحوسبة خوارزمية توجيه الصاروخ الاعتراضي. بعد ذلك، أرسل مركز القيادة تلقائيًا أمرًا برفع "الصياد"...

واصلت محطة الرادار المدمجة على الأرض إعطاء إحداثيات القمر الصناعي الصياد والهدف. أُرسلت عدة أوامر إلى القمر الصناعي الاعتراضي لتصحيح مساره، والذي، مجازيًا، صعد إلى ضحيته. في المرحلة الأخيرة، تم تفعيل رأس التوجيه. انفجار! دمر الرأس الحربي المتشظي الهدف إربًا. نجاح باهر. أسفرت المبارزة الفضائية عن نتيجة ممتازة. في مركز القيادة، أبلغ أناتولي سافين عبر الهاتف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي دميتري أوستينوف ووزير دفاع الاتحاد السوفيتي المارشال أندريه غريتشكو. أبلغ الأخير بريجنيف...

ثم حدثت هزائم جديدة للأقمار الصناعية. كان خبراؤنا قادرين على التقاط أي جهاز يحلق فوق الاتحاد السوفيتي، والعمل على رصد الأهداف المناورة. في عام ١٩٧٩، وُضع نظام الدفاع المضاد للصواريخ في الخدمة القتالية. أُنشئت قوات الدفاع الصاروخي والفضائي (RKO) رسميًا وأُلحقت بقوات الدفاع الجوي للبلاد، مُصنّفةً كقوات خاصة، بموجب توجيه هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة للاتحاد السوفيتي في 30 مارس 1967...

بعبارة أخرى، نشرنا قواعد للحرب الفضائية قبل الأمريكيين بوقت طويل. وتضمنت قوات RKO نظام إنذار هجوم صاروخي (SPRN)، ونظام دفاع مضاد للصواريخ (ABM)، ونظام تحكم فضائي (SKKP)، ومجمع دفاع مضاد للفضاء (PKO). كانت مهمتها تزويد النخبة الإمبراطورية بمعلومات حول الوضع الصاروخي والفضائي، والتحذير من خطر الهجوم، والحماية منه إلى حد ما، ومنح القائد العام فرصة اتخاذ قرار بشأن ضربة انتقامية.

كما ذكر سافين في محادثة مع دوكوتشاييف، لم يُدمّر النظام أقمار الاستطلاع الأمريكية من نوع Ferret-D، مع أنه كان بإمكانه فعل ذلك بحرية. حتى السفن المأهولة الثقيلة من نوع Shuttle، التي أُطلقت إلى الفضاء لأغراض عسكرية بحتة، لم يكن بإمكانها... صمد أمام انفجار أقوى شحنات أقمار تشيلوميف الاعتراضية.

نعرف الآن ملامح المعارك المدارية المحتملة. في 13 أبريل/نيسان 1976، اختبرت الإمبراطورية تقنية اعتراض جديدة. لحق جهاز كوزموس-814، الذي كان يتحرك في مدار أدنى، بالقمر الصناعي المستهدف بسرعة. شُغّلت محركات الصاروخ، و"قفز" ومر على بُعد أقل من كيلومتر واحد من الهدف.

كتب أ. كوزنتسوف في كتابه "التكنولوجيا للشباب"، جامعًا مجموعة مختارة من مواد الصحافة الأجنبية (!): "استغرق هذا الاعتراض، الملقب بـ"القفز للخارج"، أقل من دورة واحدة من لحظة الإطلاق، وسهّل عملية الاقتراب". "الآن، أصبحت الأقمار الصناعية الأمريكية مهددة بالدمار خارج نطاق رؤية محطات التتبع الأرضية الخاصة بها. لو أنهم اكتشفوا سابقًا مناورات الصاروخ الاعتراضي، الذي كان بمثابة تحذير من الهجوم الوشيك، واستطاعت أقمار الاستطلاع "بيج بيرد"، التي كانت الهدف الرئيسي، تشغيل محركها الداخلي وتجنب مواجهة غير مرغوب فيها، لكانت هذه المناورات عديمة الفائدة ضد "القفز". كانت قاعدة الصواريخ الاعتراضية في تيوراتام، وكانت هناك خمس منصات إطلاق في بايكونور. وقدّر الأمريكيون أن هجومًا روسيًا شاملًا على أنظمتهم القريبة من الأرض سيستغرق يومًا على الأقل. (هنا قللوا كثيرًا من شأن قدراتنا). في الوقت نفسه، لم تتمكن أقمارنا الصناعية المدارية القاتلة من الوصول إلى الأجهزة الأجنبية في المدارات الثابتة جغرافيًا على ارتفاع 36 ألف كيلومتر. وكانت هناك أنظمة إنذار مبكر للعدو "معلقة" هناك. لكننا تحسنا. ظهرت صواريخنا المضادة للأقمار الصناعية، التي تُطلق من مقاتلات ميج-31 ممتازة. كما كانت لدينا تقنيات لطائرات الصواريخ الفضائية، وسنخبركم عنها لاحقًا. أخيرًا، شعرت الولايات المتحدة بالقلق من ظهور أسلحتنا الموجهة عبر الأقمار الصناعية، القادرة على العمل في مدارات ثابتة جغرافيًا. وهذا ما حَكَم على برنامج "حرب النجوم" الخاص بهم بالانهيار التام... أطلقه الأمريكيون عام ١٩٨٣، وكما كتب أ. دوكوتشاييف، لا يزال الهدف الذي كانوا يسعون إليه غير واضح: "إنشاء دفاع صاروخي منيع، أم جر الاتحاد السوفيتي إلى سباق تسلح مُنهك؟ على الأرجح، الهدف الثاني. اليوم، تحقّق خبراء روس من معلومات - لم يعتقد الأمريكيون أنفسهم بإمكانية حماية أنفسهم بمساعدة مبادرة الدفاع الاستراتيجي... وتبيّن أن ذروة عملهم العملي - تدمير الرأس الحربي لصاروخ مينيوتمان الباليستي العابر للقارات بواسطة صاروخ اعتراضي في يونيو ١٩٨٤ - لم يكن من دون تزوير. لقد دمّروا الصاروخ بالفعل، ولكن، وفقًا للصحافة الأمريكية، كان مزودًا بمنارة راديو. من الواضح أنه ليس من الصعب اعتراض صاروخ به. لقد ابتلع الكونغرس المُخدوع الطُعم، مُطلقًا مليارات الدولارات...

وكان هناك أيضًا سبب ثالث. طُوِّر برنامجٌ مثل مبادرة الدفاع الاستراتيجي الأمريكية نظريًا في بلدنا قبل ذلك بكثير. كان جوهره إنشاء نظامٍ يسمح باستهداف جميع الرؤوس النووية الأمريكية، بما في ذلك تلك المُثبّتة على الغواصات والقاذفات. كان من المفترض أن يُقام النظام في الفضاء، وقد حان الوقت.

لضغط الصواريخ النووية الأمريكية قبل الإقلاع. بناءً على أوامر المارشال أوستينوف، عملت جمعية كوميتا على مشروع تقني. ما النتيجة التي توصلوا إليها؟

من المستحيل تدمير كامل القدرة النووية الأمريكية على جميع أنواع حاملات الطائرات (10 آلاف شحنة) في غضون 20-25 دقيقة من زمن الطيران... تم التوصل إلى هذا الاستنتاج في كوميتا بحلول نهاية السبعينيات. ولذلك، عندما أعلن ريغان في أبريل 1983 عن نية الولايات المتحدة بدء برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي، كانت موسكو على يقين من أنها لن تنجح. أبلغ أناتولي سافين الحكومة: الأمريكيون يخادعون... قُدِّمت مقترحات بعدم إنفاق مليارات الروبلات على مبادرة الدفاع الاستراتيجي (وقد سلكت واشنطن هذا الطريق)، بل بتوجيه جهودهم نحو إنشاء نظام مضاد لمبادرة الدفاع الاستراتيجي - نظام لاعتراض وتدمير أنظمة الفضاء المعادية. ما الفائدة؟ أوضحوا لي في معهد كوميتا المركزي للأبحاث أن تعطيل عنصر أو عنصرين رئيسيين من مبادرة الدفاع الاستراتيجي كافٍ، وسينهار نظام الدفاع الصاروخي الفضائي بأكمله، وستصبح مئات الأقمار الصناعية المُطلقة في المدار عديمة الفائدة. إن صنع أسلحة فعالة مضادة للأقمار الصناعية أقل تكلفة بكثير، مع أن الاتحاد السوفيتي كان يمتلكها عمليًا آنذاك. حظيت هذه المقترحات بدعم قيادة البلاد - فلم يكن الاتحاد السوفيتي مضطرًا للرد بالمثل وإنفاق مليارات الروبلات...

بعبارة أخرى، كان من المربح للغاية بالنسبة لنا جر الولايات المتحدة إلى برنامج "حرب النجوم" المدمر والعبثي. فالشركات العسكرية الصناعية الكبرى في أمريكا لا تفكر إلا في الأرباح، وغالبًا ما لا تهتم كثيرًا بمصير الشعب الأمريكي. إنها تضخ أموال الميزانية عن طيب خاطر لبرامج طموحة. خاصة وأن قلب مجمع الفضاء الأمريكي يقع في كاليفورنيا وتكساس، المشهورتين منذ زمن طويل بالفساد وارتباطات كبار رجال الأعمال بدوائر المافيا. كان علينا بذل كل ما في وسعنا لدفع هذه المجموعة من الشركات الأجنبية إلى بدء سباق تسلح قريب من الأرض، وهو سباق من شأنه أن يكون انتحاريًا للولايات المتحدة. كان علينا رشوة أعضاء الكونغرس الأمريكي الفاسدين، واستغلال علاقاتنا في تجارة المخدرات، والوعد بإمدادات مربحة من المواد الخام النادرة، ورشوة الصحفيين، وابتزاز السياسيين بحياتهم الشخصية القذرة - لو أن الولايات المتحدة أنفقت مليارات الدولارات في هذا السباق الذي لا نهاية له. هاوية!

بعد انهيار البلاد، زارت مجموعة من موظفينا الدفاعيين شركة هيوز للفضاء الجوي في كاليفورنيا. وبعد كأسين من الشاي، انفتح الأمريكيون. لماذا أنتم أيها الروس منشغلون بهذا الهراء المُحب للسلام؟ لقد أساءتم لأنفسكم ولنا. لقد انهار مجمعكم الصناعي العسكري، وفقدنا أوامرنا الدفاعية. لقد صُدم شعبنا: في أمريكا الغنية، التحويل رائع، قيل لنا إنكم تستطيعون تعديل أبواب مكوك الفضاء لتناسب المنازل العادية، وبالتالي تحقيق ربح في السوق! فردّ هيوز: ستكلف هذه الأبواب أكثر من المنزل نفسه. وبشكل عام، لا تستمعوا لكل هذا الهراء. لقد عملنا بنفس طريقتكم تمامًا. يمنحنا الكونغرس مبلغًا واحدًا مقابل طلب واحد - وننفقه وبالكاد نجني ثالثًا. يُصدر الكونغرس ضجيجًا، وهو ساخط: أين أموال دافعي الضرائب؟ حان الوقت لكبح جماح مولوك الأسلحة! ونقول لهم بهدوء - إذا... لا تريد الدفع، فلا تدفع. اذهب إلى شركة أخرى، وأعطهم نفس الأمر، ودعهم يبدأون من جديد - بأموال الشعب. بعد هذا الإنذار، يقولون، سيعطوننا فورًا ما نكتبه. وهكذا عشنا حياةً هانئة. هل يمكن للإمبراطورية أن تستفيد من مثل هذه الشركة الأمريكية؟ نعم، وكيف!

ولكن لتحقيق ذلك، كان من الضروري أن يكون شعب الإمبراطورية-85 في السلطة، ليس غوربي-تشيفي-ياكوفليف، بل أشخاص مثل الجنرال يرمولوف أو الأدميرال أوكاجي. كان النصر في متناول أيدينا تقريبًا. ولا مبرر للقيادة السوفيتية التي سلمت الأمر للعدو دون قصد. لقد حدثت خيانة عظمى. حسب كبار القادة السوفييت ببساطة: سيحصلون شخصيًا على الكثير من المال دفعة واحدة من انهيار الإمبراطورية واستسلامها. حسبوا: كل طوربيد يحتوي على عشرين كيلوغرامًا من الفضة، وتيومين تحتوي على ملايين الأطنان من النفط، وسيقدم لنا الأمريكيون شخصيًا هذا المبلغ مقابل الاستسلام. لذلك في عام 1991، بعد أن أصبح باكاتين، أحد ضباط غورباتشوف، رئيسًا لجهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي)، سلّم الولايات المتحدة نظام أجهزة التنصت الكامل في السفارة الأمريكية. في ذلك الوقت، كانت شبكات تجسسنا في الغرب تنهار، وكان الأمريكيون يُلقون القبض على العديد من العملاء. ولسببٍ ما، أصبح ابن باكاتين، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، رئيسًا لشركة أمريكية كبيرة. ففي النهاية، وفّر فشل شبكة الاستخبارات على الأمريكيين مليارات الدولارات. وماذا عن الشركة؟ بضعة ملايين. سيكون من المثير للاهتمام معرفة مصير أبناء أولئك الذين دمروا أسطولنا العسكري الفضائي!

دقّ يوري أندروبوف، خليفة بريجنيف في منصب الأمين العام للحزب الشيوعي السوفيتي، الرئيس السابق لجهاز المخابرات السوفيتي (كي جي بي)، وهو زعيم شيوعي رفيع المستوى من أصل يهودي، المسمار الأول في نعش النصر الذي كدنا نحققه. فبدلاً من جرّ الولايات المتحدة إلى برنامج مبادرة الدفاع الاستراتيجي، الذي كان مُميتًا بالنسبة لهم، أعلن في أغسطس 1983 وقفًا أحادي الجانب لاختباراتنا. مجمع مضاد للأقمار الصناعية في الفضاء! صحيح أنه لم يُدمر نظام التحضير لمعاركنا المدارية. سيفعل ذلك في النهاية يلتسين، الذي سيؤدي إلى تدمير فعلي لأكثر قطاعات الصناعة الروسية تقدمًا، وطرد أفضل المهندسين والعلماء في العالم، تاركًا إياهم لمدة عام و...

x بدون مال. اتخذ أندروبوف هذا القرار الأحمق للوهلة الأولى، مخالفًا بذلك رأي قائد قوات RKO، العقيد الجنرال يوري فوتينتسيف.

لا، لم نخسر أمام الأمريكيين. لقد طعننا في الظهر ببساطة من قبل كبار شخصيات حزبنا. لم ينقصنا سوى "شيء بسيط" واحد لكسب الحرب الباردة التي استمرت نصف قرن - نخبة صارمة ومحنكة. لقد قتلتنا ديدان النومنكلاتورا-كومسومول.

5

أجد تأكيدًا مرارًا وتكرارًا على الاستنتاج القائل بحتمية الانهيار الاقتصادي والسياسي للولايات المتحدة إذا انجرفت في "جنون النجومية". ريغان، هذا الممثل الهوليوودي السابق المتربع على عرش القوة العظمى الغربية، منحنا هذه الفرصة!

في هذه الأيام، تخطط القوات الجوية الأمريكية لاعتماد نظام ليزر كيميائي قوي بحلول عام 2008، ونشره على سبع طائرات بوينغ 747. كل هذا سيكلف 5 مليارات دولار. أي أن تكلفة كل طائرة "جامبو" مزودة بمحطة ليزر على متنها تساوي تقريبًا تكلفة طراد صاروخي. يجب أن تحمل الطائرة الواحدة 200 شعاع ضوئي لضرب صواريخ العدو الباليستية على مسافة 450 ميلًا ("التكنولوجيا والأسلحة"، العدد 8، 1996). أفادوا أنهم في فبراير 1996 تمكنوا من تدمير صاروخ من طراز "كاتيوشا" الحديث، وهو قذيفة "غراد" صغيرة نسبيًا، من خلال استهدافه بشعاع ضوئي لمدة 15 ثانية. كفاءة ممتازة! هذا يعني أنهم عاجزون عن صد هجوم هائل من صواريخ أكثر خطورة. هناك طريقة أرخص وأكثر فعالية تتمثل في ضرب الصواريخ بصاروخ، حيث يحدث التدمير بالانفجار في جزء من الثانية. نعتبر هذا البرنامج أيضًا خدعة وتضليلًا تكنولوجيًا، وقد سبق أن أوضحنا حججنا. لكن لنفترض أن هذا صحيح. خططت الولايات المتحدة لإطلاق 14 منصة قتالية مزودة بأشعة ليزر كيميائية في المدار في إطار مبادرة الدفاع الاستراتيجي. إن حساب تكاليفهم ببساطة أمرٌ مُرعب - لا يقل عن 150 مليار دولار. فهذا هو المبلغ الذي يُكلف إطلاق ما يقرب من ألفي طن من الهياكل إلى الفضاء، وإنتاجها، وتثبيتها في مدارات عالية. هذا وحده كبد اقتصادهم خسائر فادحة تفوق القنبلة الذرية!

وإذا كنا نمتلك بحلول عام 1983 أساسًا قويًا لنظام حرب قريب من الأرض، فقد اضطرت الولايات المتحدة إلى بناء بنية تحتية مماثلة من الصفر. كانت قواعدنا تقع في أعماق سهوب أوراسيا، في قلب البلاد. وكان عليهم نشر قواعد على جزر المحيط. وإذا كانت مواقع قواتنا في منطقة "آر كي أو" محمية بشكل موثوق من المخربين والضربات الجوية، فيمكن تطويق قواعدهم في البحار مسبقًا بوسائل روسية قوية لشل الحركة، باستخدام طرادات صاروخية، وسفن سريعة، وحاملات طائرات، وغواصات مزودة بصواريخ كروز، ومقاتلات برمائية. أخيرًا، أصبح بإمكاننا شنّ ضربات وقائية بمساعدة طائرات صاروخية رخيصة الثمن، لا تصل إليها سوى تسعة أعشار الأسلحة الأمريكية المضادة للطائرات. (ستتعرفون على كل هذه المعجزات في الفصول التالية من الكتاب).

دعونا نلفت انتباهكم إلى إحدى سمات الغرب الغريبة. فرغم ثرواته، يتسم الغرب بغباءٍ مُريع، وغالبًا ما يعجز فكره العلمي عن إيجاد حلولٍ بسيطةٍ وعبقرية، رغم أنه يُنادي من كل حدب وصوب بالتخلف الروسي.

وهكذا، أسقط الأمريكيون أول صاروخ باليستي عابر للقارات بصاروخ آخر عام ١٩٨٤. لكننا فعلنا الشيء نفسه قبل ثلاثة وعشرين عامًا - عام ١٩٦١. في عام ١٩٨٤، استخفت أمريكا بأجهزتنا الإلكترونية، وكانت أنظمتها مبنية على دوائر دقيقة مُصغّرة وأجهزة حاسوب فائقة. في عام ١٩٦١، كانت لدينا تقنية تعتمد على ترانزستورات بدائية وأنابيب راديو، وكانت أجهزة الحاسوب في ذلك الوقت تبدو بالفعل كوحوشٍ عتيقةٍ وثقيلةٍ

قبل ثلاثة عشر عامًا. ومع ذلك، تفوقنا عليهم! كان الأمر كله يتعلق بنظام "أ" الفريد، حيث دمرت صواريخ بي-1000 المزوّدة برؤوس حربية تقليدية أهدافًا باليستية. وكان أبو هذه المعجزة هو العالم البارز غريغوري كيسونكو.

وماذا عن الأسلحة الأخرى؟ الإشعاعات الموجهة بالموجات الدقيقة الصادرة عن الأقمار الصناعية الحربية؟ في عام 1996، أصدرت هوليوود فيلم "كابتشر-2"، حيث يتحكم عالم إرهابي في قمر صناعي قادر على ضرب أهداف أرضية بشعاع موجه من الإشعاع الكهرومغناطيسي فائق التردد - الموجات الدقيقة. حسنًا، بالطريقة التي يتم بها ذلك في فرن ميكروويف، حيث يقلي، على سبيل المثال، دجاج التبغ بأشعة موجهة صغيرة. ومرة أخرى، خدعة - تتطلب هذه الأجهزة قدرات طاقة هائلة تُطلق إلى الفضاء. لم يكن لدى الولايات المتحدة حلول تقنية ولا أموال لهذا الغرض. ففي النهاية، كان من الضروري توجيه ضربة من على بُعد مئات الكيلومترات! صحيح أن مجلة "جندي الحظ" (العدد 1، 1997) نشرت مواد تحقيق خاص أجراه عالم الآثار الأمريكي فرانك أوفينز، الذي شهد بالصدفة حادثة تحطم المروحية الرئاسية في مايو 1993، والتي وقعت في ولاية ماريلاند. على بُعد أربعة أميال من المختبر السري المسمى باسم هاري دايموند في بلدة بلوسوم بوينت. قبل السقوط، قامت المروحية بمناورات فوضوية، كما لو كان قائدها ميتًا أو فاقدًا للوعي. بعد السقوط، لم تشتعل فيها النيران. ولاحظ أوفينز العديد من الحروق على جثث الطاقم. أظهرت عمليات التشريح لاحقًا أن مفاصل الركبة والمرفق للضحايا قد انفجرت مثل مفاصل فخذ دجاجة، تاركةً...

لفترة طويلة في الشواية. أوينز متأكد من أن المروحية أصيبت بشعاع موجه من الإشعاع الكهرومغناطيسي القوي من مختبر يعمل على SDI، وأن الأشخاص بداخلها كانوا كما لو كانوا في فرن ميكروويف. غلى سائل أعينهم، ولم يتمكنوا حتى من الهبوط اضطرارياً في أرض شبه مستوية تماماً. ومع ذلك، هناك مسافة شاسعة بين إنشاء محطة تجريبية وسلاح حقيقي يعمل بكفاءة. ولو كانت الإمبراطورية على قيد الحياة، لكان العمل على مثل هذا السلاح جارياً بنجاح هنا أيضاً.

كما أن فكرة ليزر الأشعة السينية المزود بضخ نووي، والتي كان مختبر ليفرمور يكافح من أجلها منذ منتصف السبعينيات، باءت بالفشل. أرادوا صنعه على شكل رأس حربي نووي يدور في مدار، على سطحه، كإبر القنفذ، خمسون قضيب ليزر مثبت. يجب أن تتحرك كل إبرة، مثل فوهة مدفع، مستهدفة أي نقطة في الفضاء. سمحت قوة شحنة ميغا طن واحد بإطلاق خمسين شعاعًا في أجزاء من الألف من الثانية، قادرة على تدمير خمسين هدفًا على مسافة ألف كيلومتر. ولهذا الغرض، خُطط لوضع نظام تصويب آلي مزود بحاسوب عالي السرعة داخل "قنفذ الفضاء". ويُقال إن القمر الصناعي، بعد انفجار نووي في اللحظة الحاسمة، سيدمر دفعة واحدة سربًا كاملًا من الرؤوس الحربية الروسية المتجهة نحو الولايات المتحدة.

ثم اتضح أن العديد من المشاكل لم تُحل. فالأمريكيون لا يعرفون كيفية صنع شحنة نووية بقوة مُحددة بدقة، وهي ضرورية جدًا لدقة الضربة. كما أنهم لا يعرفون كيفية تركيز الشعاع. وأن الأمر يتطلب مئة اختبار نووي - بانفجارات حقيقية! -. أُجريت أول تجارب تحت الأرض تحت الاسم الرمزي "دوفين" في موقع تجارب نيفادا في نوفمبر 1980. وكان ناتج الأشعة السينية ضئيلًا جدًا لتدمير الرؤوس الحربية. لكن أب القنبلة الهيدروجينية، إدوارد تيلر، الذي ضغط من أجل البرنامج، استمر في تبديد أموال الميزانية. تلت ذلك سلسلة من الانفجارات التجريبية - "إكسكاليبور" و"سوبر إكسكاليبور" و"كوتاج" و"رومانو"، حيث تمكن المطورون من تحقيق كثافة إشعاعية أعلى. الآن - بفضل التركيز. في ديسمبر 1985، وقع انفجار في تجربة "غولدستون"، وفي أبريل 1986 - في تجربة "مايتي أوك". ردًا على ذلك، سُمعت أصوات انتقادية من الجمعية الفيزيائية الأمريكية: المشكلة لا تزال في المرحلة الأولية من الدراسة، ولا يوجد دليل على إمكانية إنشاء ليزر قتالي حقيقي. بالإضافة إلى ذلك، نضيف أن مثل هذا السلاح يتطلب إطلاقًا متزامنًا وتحليقًا متجمعًا لصواريخنا. من المفيد وضع جدول زمني خاص لإطلاقها، وتقسيمها إلى مستويات غير متساوية، ومن المفيد فقط إطلاق أهداف وهمية بالقرب من رؤوس حربية حقيقية - وسيصبح "القنفذ" بالأشعة السينية عاجزًا. بعد أن تحولت إلى مقبرة صغيرة بمليارات الدولارات (نيزافيسيموي فوينوي أوبزرينييه، العدد 5، 1997). ولإيجاد بديل أرخص لهذه الأسلحة، أطلقت الولايات المتحدة برنامج بروميثيوس، حيث طورت نوعًا من "الخرطوش". أدى انفجار رأس حربي نووي يعادل بضع عشرات الأطنان من مادة تي إن تي إلى تحطيم رأس حربي يزن مائة كيلوغرام إلى حوالي مائة ألف قطعة تطير بسرعة عدة كيلومترات في الثانية، وبفضل هذا، تمتلك قوة تدميرية هائلة. لا يمكن استخدام هذا "الخرطوش" إلا على ارتفاع يزيد عن 80 كيلومترًا فوق سطح الأرض، في فضاء شبه خالٍ من الهواء. تمثلت نقطة ضعف هذه الأسلحة في أن الانفجار يُبخّر معظم الشظايا، مُطلقًا إياها في شعاع غير متوقع. وكلما ابتعد الهدف، زاد تشتتها. لإنشاء ستار بروميثيوس ضد هجوم هائل من صواريخنا، كان علينا إطلاق مئات الأقمار

الصناعية في مدارات منخفضة، والتي كان عليها أن تتبع بعضها البعض في خط مستقيم (وإلا، كان الروس سيطلقون الصواريخ بينما كان بروميثيوس يحلّق فوق نصف الكرة الأرضية الآخر). وكان علينا أيضًا إطلاق مجموعات جديدة من هذه الأسلحة إلى مدار قريب من الأرض كل بضعة أشهر، لأن المركبات ذات المدارات المنخفضة تفقد سرعتها بسرعة وتحترق في طبقات الغلاف الجوي الكثيفة. الله وحده يعلم كمية البلوتونيوم السام والمسرطن التي ستُطلق في هوائنا. على أي حال، كان على الأمريكيين أن يموتوا بالسرطان معنا.

وُضعت خطط أكثر غرابة، مثل مشروع "ضربة القمر" - عبر القمر. بعد إطلاقه من الأرض، كان من المفترض أن يدور صاروخ برأس نووي حول نجم الليل، وبعد تشغيل محركه، ينقض على الهدف، محصنًا ضد الصواريخ الروسية المضادة. لكن الولايات المتحدة لم تستطع البدء في تنفيذ مثل هذه الخطة قبل عشرينيات القرن الحادي والعشرين. بالإضافة إلى ذلك، بحلول نهاية الثمانينيات، كانت لدينا محطات طاقة نووية فضائية، وهو ما لم يكن لدى الأمريكيين. كانت هذه المحطات قادرة على أن تصبح قلب المركبات الفضائية التي تحلق بين كواكب النظام الشمسي. صُممت هذه المحطات واختبرت في الفضاء القريب من الأرض على يد علماء من معهد كورتشاتوف للطاقة الذرية، ومكتب التصميم المركزي للهندسة الميكانيكية، ومنظمة بودولسك غير الربحية "لوش". سنخبرك عن هذا، أيها القارئ، في الكتاب القادم...

... كان والدي مراسلاً لصحيفة "برافدا" في مناطق أوديسا، والقرم، وخيرسون، ونيكولاييف، وقد أتيحت لي فرصة مقابلة العديد من ممثلي نخبة الحزب السوفيتي والصحفيين المرموقين الذين قدموا...

إلى الجنوب المبارك. كان بعضهم متجهًا لقضاء إجازة، وآخرون عائدين إلى الاتحاد من رحلات عمل خارجية عبر أوديسا. سمعتُ الكثير مما أغضبني. كنتُ أعرف في الثانية عشرة من عمري أن في موسكو عيادة خاصة لإدمان الكحول، تعجّ بأبناء كبار مسؤولي الحزب. كيف كانت غاليا بريجنيف تحتفل. كيف لم يرغب أبناء المراسلين الأجانب لصحف الحزب بالعودة، وكيف تبادلوا هم أنفسهم زوجاتهم وأحضروا معهم بضائع مهربة. كنتُ أعرف كيف حاول المحاربون الأفغان القدامى استعادة النظام ووضعوا مكانهم أبناء وأحفاد النخبة المدللين الذين كانوا يحتفلون في "ميتليتسا" بموسكو، وكيف أُجبروا على الذهاب للاعتذار في بيوت ريفية فاخرة، مُذلّين أنفسهم أمام جراء في السابعة عشرة من عمرهم. كيف نصحت الأمهات بناتهن بتجنب مدارس موسكو الخاصة، حيث يدرس أبناء نخبة الحزب، لأنهم قد يغتصبون أو يقتلون دون عقاب. وهذه "النخبة"، التي نشأت في بؤر القذارة، دمرتنا.

دعونا نستنتج الآن: بعد أن فشلنا في بناء نخبة حقيقية قوية الإرادة، كسرنا سيفًا لا مثيل له في العالم. لقد أضعنا النصر الذي كدنا نحققه!

الفصل الرابع: سيف الإمبراطورية الجوي. "سوخوي" ضد إف-15. تحليق "ثلاثون فور". نسحق غطرستهم.

1

في ساعة ما قبل فجر الحادي عشر من أكتوبر/تشرين الأول عام 1973، تم رفع حالة التأهب القتالي إلى فوج الاستطلاع الجوي السابع والأربعين التابع للحرس المنفصل. غرقت قلوب كثيرة: ماذا يعني ذلك في أعماق الأراضي الروسية، في شاتالوفو بالقرب من سمولينسك؟ نُقل الطيارون والفنيون بطائرات هليكوبتر إلى مطار العمليات. وهناك كُلِّفوا بمهمة تشكيل مفرزة من أكثر العناصر خبرةً والاستعداد للانتقال إلى مصر، حيث كانت حربٌ ضاريةٌ مع دولة إسرائيل، حرب يوم الغفران، مستمرةً منذ خمسة أيام. ثم نجح الدفاع الجوي الإسرائيلي في إسقاط صواريخ كروز التي أطلقها المصريون عليهم من قاذفات تو-16. وكان فوج ORAP السابع والأربعون مُسلَّحًا بأحدث طائرة استطلاع وقاذفة آنذاك، ميج-RB25، القادرة على الارتفاع إلى ارتفاع يزيد عن عشرين كيلومترًا والتحليق بسرعة 2.4 ماخ (ماخ واحد يعادل سرعة الصوت). وُجِّهت طائرات "الخمسة والعشرون" بدقةٍ إلى الهدف بواسطة أنظمة الملاحة الراديوية والقصور الذاتي، مُلقِيةً قنابل السقوط الحر من طبقة الستراتوسفير. لعبت الطائرة دور المنجنيق، حيث ألقت قنبلةً بسرعة كيلومتر واحد في الثانية تقريبًا. كانت قنبلة FAB-500 شديدة الانفجار، وزنها نصف طن، تُحدث فجوةً جيدةً عند اصطدامها بالأرض، وسترتد لمسافة 30-40 مترًا قبل أن تنفجر. أما القنبلة التي تُحاكي قنبلةً نووية، والتي تُطلقها طائرة ميج-25 من ارتفاع 22 ميلًا، فكانت تحلق لمسافة أربعين كيلومترًا أخرى إلى هدفها. كانت هذه الطائرات قادرةً على مهاجمة مصانع العدو ومراكز النقل والموانئ والمستودعات دون دخول منطقة دفاعهم الجوي.

في أكتوبر/تشرين الأول 1973، كان بإمكان هذه الطائرات مهاجمة العاصمة الإسرائيلية بحرية، ولم يكن لدى اليهود، المُدججين بأحدث الأسلحة، ما يُواجهون به. لم تتمكن مئات من أنظمة صواريخ هوك المضادة للطائرات من إطلاق النار على ارتفاعاتٍ أعلى من 11200 متر أو أبعد من 31 كيلومترًا. كانت طائرات الميراج والفانتوم، العمود الفقري للطيران الإسرائيلي، أدنى من طائرات ميج-25 في الارتفاع والسرعة.

روى فيكتور ماركوفسكي هذه الحادثة من تاريخ سلاح الجو الإمبراطوري ("اذهب إلى أرض مصر"، "أفياماستر"، ١٩٩٦). كلا، لم يكن عليهم قصف تل أبيب آنذاك. لكنهم اضطروا للطيران لاستطلاع مواقع الأطراف المتنازعة في كثير من الأحيان. هناك، التقت طائرات "٢٥" بأفضل الطائرات الغربية الصنع في ذلك الوقت:

"... في ١٥ ديسمبر، كان من المقرر إقلاع طائرتين من طراز ميج-٢٥ آر بي... في الساعة ٢:٠٠ ظهرًا، أقلع سيرجي مالي، وتبعه فلاديمير ماشتاكوف. في مهمة استطلاعية، حافظا على مسارهما على طول القناة على ارتفاع ٢٢ ألف متر... لم يُسمح لهما بالإقلاع جوًا إلا في حالات الطوارئ. كانا على بعد ثلثي الطريق خلفهما، عندما سمع ماشتاكوف إشارة ندائه: "٧٤٥ - واحد وثلاثون!" تذكر هذه الإشارة حتى بدون جدول الرموز: كانت تعني "العدو يقترب". كانت الطائرات الاعتراضية مرئية بالفعل - زوجان من ذيول الانعكاس الخلفية، أسفل قليلاً وإلى اليمين، يقتربان.

... عادةً ما تحمل طائرات F-4E الإسرائيلية نسخة أخف من تسليح صاروخين متوسطي المدى من طراز AIM-7 Sparrow وصاروخين قصيري المدى من طراز AIM-9 Sidewinder، ويمكنها الوصول إلى ارتفاع 18,450 مترًا، بسرعة 2.24 ماخ. بدا تفوق طائرة ميج-25 على الفانتوم واضحًا. ومع ذلك، كانت هناك فرصة ضئيلة لاعتراضها. للقيام بذلك، كان على طيار الفانتوم إخراج طائرته لملاقاة طائرة الاستطلاع، والتصويب والإطلاق في غضون ثوانٍ. بدا الهجوم على مسار الذيل أكثر صعوبة، حيث كان من الضروري الخروج تحت طائرة الميج، و"رمي" الطائرة، وتحديد الهدف وإطلاق الصواريخ. لا يستطيع القيام بذلك إلا طيار ذو خبرة عالية - لم تكن "الفانتوم" قادرة على ذلك. مثل انحراف حاد للعصا نحو نفسها، أصبحت غير مستقرة وهددت بالسقوط في دوامة، بالإضافة إلى ذلك، تداخل اهتزاز الآلة الناتج عن ذلك مع التصويب.

... الآن، كانت أربع طائرات "فانتوم" حقيقية تتجه نحونا، وتأكيدًا لنواياهم، دوّت "صافرة الإنذار" بشكل مثير للقلق في قمرة القيادة - كان المطاردون قد رصدوا بالفعل طائرتنا "ألفا" في مواقع رادارهم. أبقى ماشتاكوف طائرته في الأفق دون تغيير مسارها. استمرت المعدات في العمل، وكان من الضروري الحفاظ على مسار الطيران. لم يكن هناك أكثر من دقائق، ولكن كم من الوقت...

بدأت طائرات "الفانتوم" بالانعطاف، واقتربت من ذيلها. كانت تفصلها عن الميج مسافة 12 كيلومترًا، واستمرت الفجوة في الاتساع - حافظ "الروسي المجنون" بثقة على سرعتين ونصف سرعة الصوت، مبتعدًا عن المطاردة. ثم سمع ماشتاكوف: "هجوم! هجوم!". رأى الإسرائيلي الرائد أن الميج تغادر، فسارع لإطلاق صاروخين من طراز "سبارو" في وابل من الصواريخ، بينما كانت رؤوسهما الموجهة تُمسك بالهدف. بهذه السرعة، كانت الأضرار الطفيفة الناجمة عن انفجار صاروخ قريب كافية لانهيار الميج تحت ضغط السرعة العالية.

كانت طائرة "سيرينا" تُصدر صرخة هستيرية، بينما واصلت الميج، المُحمّلة بالصواريخ على ذيلها، رحلتها نحو الساحل. بمجرد اختفائها تحت الجناح - اكتمل المسار! - انعطف ماشتاكوف بالطائرة يمينًا بزاوية 70 درجة، غاصًا نحو الشاطئ. ارتجف مؤشر "M" خلف الخط الأحمر - فقد وصلت السرعة إلى 3150 كيلومترًا في الساعة! لم تتمكن الصواريخ من الوصول إلى الطائرة، فانفجرت بعيدًا عنها، ولم تجرؤ طائرات "الفانتوم" على مواصلة المطاردة فوق المنطقة "المكتظة" بالمقاتلات المصرية. شرح بطل اليوم نفسه ما حدث ببساطة: "كان من المحرج نوعًا ما الانعطاف في منتصف الطريق"... مرّ تسعة عشر عامًا على تلك الحادثة. كان الاتحاد قد تمزق بالفعل على يد سياسيين جشعين. في أغسطس 1992، في قاعدة لانغلي الجوية بولاية فرجينيا، اقترح الرائد إي. كاراباسوف إجراء معركة تدريبية بين مقاتلة روسية متسلسلة من طراز Su-27UB وفخر الطيارين الأمريكيين، طائرة F-15 "إيجل" ("المقاتلة"). خاف الأمريكيون ورفضوا بأدب، وعرضوا عليهم المناورة فوق المحيط. في البداية، اضطرت طائرة إيجل إلى الهروب من مطاردة طائرة سوخوي، ثم انقلبت الأدوار.

طار كاراباسوف من وفدنا. كانت طائرة F-15 تبذل قصارى جهدها، بتشغيل الحارق اللاحق وضغط المحرك إلى أقصى حد. لكن طائرتنا الصقرية "تعلقت" بسهولة بذيل الطائرة الأمريكية، مستخدمةً فقط الحد الأدنى من

وضع الحارق اللاحق وأقصى قوة دفع بدون حارق لاحق. وعلى الرغم من أن أكبر زاوية هجوم لطائرة Su-27 لا تتجاوز ٢٦ درجة (الزاوية بين اتجاه الطيران والسطح)، لم يتجاوز طيارنا أبدًا حد ١٨ درجة.

انقلبت الأدوار. كاراباسوف، الذي شغّل الحارق اللاحق، أفلت بسهولة من طائرة إف-١٥ بانعطافة قوية واكتسب ارتفاعًا. أما الأمريكي، الذي اندفع خلفه، فتخلف. بدأت دوامة القتال الجوي تدور. حتى أن عدونا الافتراضي غاب عن ناظريه، وكان يصرخ في الهواء مذعورًا: "أين الفلانكر؟" (الاسم الرمزي لطائرة سو-٢٧ لدى الناتو). وبعد دورة ونصف كاملة، كان الرائد الروسي يلاحق العدو. باءت محاولات الأخير للانفصال بالفشل. ولو كان هذا قتالًا حقيقيًا، لكانت طائرة إيجل المشتعلة قد طارت في أمواج المحيط...

نشرت مجلة "إيرهوبي" الأوكرانية تقريرًا عن هذه الحادثة في أبريل ١٩٩٣. ثم أظهرت معركة تدريبية تفوق مقاتلتنا على الأمريكية من حيث صغر نصف قطر الدوران، وسرعة التدحرج، ومعدل الصعود. وتتسارع... أسرع بكثير من منافستها. ووفقًا للخبراء، حققت سوخوي جميع هذه المزايا بفضل التصميم الديناميكي الهوائي الأفضل للطائرة، ومحركها الأفضل، ونظام التحكم اللاسلكي المتطور.

أبرز ما يميز مقاتلتنا هو عدم استقرارها السكوني. فعلى عكس طائرة F-15 الثقيلة والمستقرة، يبدو أن طائرتنا تسعى جاهدة لتغيير اتجاه الطيران بشكل مستقل. ويتم الحفاظ على توازنها فقط من خلال نظام التحكم اللاسلكي، ولا يُجبر الطيار الروسي المقاتلة على المناورة، بل يسمح لها بذلك فقط.

أذهل الأمريكيون ودهشوا. توفر الديناميكية الهوائية الأفضل لطائرة Su-27UB مدىً ومدة طيران أطول بشكل غير مسبوق دون خزان وقود خارجي ضخم - وهو عبء ثقيل على المقاتلة. تحلق طائرة "هوك" لدينا لمسافة أبعد من "إيجل" بمسافة 500 ميل. لكنها في الوقت نفسه متواضعة للغاية، ويمكنها استخدام المطارات غير المستقرة، دون الحاجة إلى عمليات تفتيش أرضية عديدة. تُعدّ الطائرة المقاتلة الحديثة كنزًا من القوة العلمية والهندسية والتكنولوجية والصناعية. الدولة الأم. وهذه الطائرة سو-27 هي الاتحاد السوفيتي نفسه، تُثبت تفوقه على الأمريكيين.

طائرة "سوخوي" التي قاتلت طائرة إف-15 فوق فرجينيا هي طائرة من الجيل الرابع للطيران النفاث الروسي. لن يتمكن نظام يلتسين الحالي من فعل شيء كهذا. تحت قيادته، يقوم علماء الديناميكا الهوائية من معهد تساجي في موسكو، الذين جعلوا الطائرة فائقة المناورة، بخياطة الأحذية وصنع مواقد محمولة لكسب عيشهم بطريقة ما وتجنب الموت جوعًا. أصبحت طائرة سو-27 دليلاً على أن إمبراطوريتنا، في صراعها على التفوق الجوي بحلول عام 1985، لم تواكب الولايات المتحدة "المتقدمة للغاية" فحسب، بل تفوقت عليها أيضًا. ففي النهاية، حلقت أول طائرة "27" في السماء عام 1977 في عهد بريجنيف المتداعي. حسنًا، ماذا نفعل مع كتابنا وإصلاحيينا الديمقراطيين الذين ظلوا يتحدثون بلا كلل لعشر سنوات عن تخلف روسيا في سباق التسلح؟

الوقائع تقول غير ذلك: من خلال... في منتصف الثمانينيات، كنا نُسحق العدو تقريبًا. كانت الولايات المتحدة تُجري مناورات "روح الفريق" سنويًا في كوريا الجنوبية على مقربة من حدودنا الشرقية. وخلالها، كانت طائراتنا وطائرات الولايات المتحدة تلتقي غالبًا في الجو. في البداية، كان اليانكيز سعداء - إذ كانت طائراتهم الأحدث من طراز إف-14 وإف-15 وإف-18 هورنت تُواجه من قِبل طائرات سو-15 وميج-23 الروسية القديمة. لقد تهربوا بسهولة من طيارينا، كان "شيوخنا" في "الصناديق" في أوائل الثمانينيات. إلا أن ظهور طائرة سو-27 في الشرق الأقصى عام 1989 كان بمثابة خيبة أمل للأمريكيين.

لولا غورباتشوف وانهيار الإمبراطورية، لشهدت عائلة مقاتلات سوخوي تطورًا هائلًا. في صيف عام 1988، بدأ العمل على خليفة طائرة سو-UB27، وهي طائرة سو-30، وهي طائرة هجومية جديدة مخصصة لخطوط المواجهة الجوية. في عام 1993، طُرحت طائرة سو-OMK3 المزودة برادار عالمي مدمج قادر على اكتشاف عدة أهداف في آنٍ واحد، جوًا وبرية وبحرية، مع شاشات ملونة من الكريستال السائل، ونظام توجيه عبر الأقمار الصناعية، وجيروسكوبات ليزرية لنظام ملاحة آخر - بالقصور الذاتي. وهي مزودة بأسلحة عالية الدقة، وتضرب بصواريخ جو-أرض على مدى ربع ألف كيلومتر.

قاد الاتحاد السوفيتي بنجاح الهجوم في الحرب الجوية. في المرة الأولى، وجّهنا ضربةً قويةً للأمريكيين في سماء كوريا تحت حكم ستالين. نجحت طائراتنا من طراز ميج-15 وميج-17 في إشعال النار في طائرات "سابر" و"شوتينغ ستارز" الأمريكية وتدميرها.

وفي المرة الثانية، سحقنا غطرسة أعدائنا في فيتنام، حيث بدأت المعارك الجوية في أغسطس 1964. استخدمت الولايات المتحدة 330 طائرة ضد الفيتناميين: طائرات إف-105، وثاندرشيف، وسوبر سيبرز، وفودو، وفانتوم، وسكاي هوك، وكروسايدرز. في البداية، واجهتهم طائرات ميج-17 قديمة الطراز دون سرعة الصوت. لكنهم هم من افتتحوا صفحة تلك الحرب، بإسقاط طائرتين من طراز إف-105 في 4 أبريل 1965. وفي فبراير ويوليو من ذلك العام، خسر الأمريكيون سبع طائرات، وأسقطوا أربع طائرات ميج.

كان ظهور طائرة ميج-21 هو الرعب الحقيقي للولايات المتحدة. من مايو إلى ديسمبر 1966، أسقطوا 47 طائرة أمريكية، وخسروا 12 طائرة. في عام 1967، خسرت الولايات المتحدة طائرتين مقابل كل طائرة فيتنامية دُمرت. خاضت طائرات الجيل الثاني المعارك في سماء الهند الصينية. ثم استخدم الأمريكيون طائرات فانتوم إف-4 الثقيلة طويلة الأنف في القتال، وهي طائرات مصممة وفقًا لمفهوم الحرب الجوية آنذاك. كان الهدف الرئيسي بالنسبة لهم هو السرعة، وليس القدرة على المناورة، لاعتراض القاذفات الروسية عالية السرعة. أصبحت الطائرات أسرع من الصوت، ومعداتها إلكترونية، وأسلحتها مُتحكّم بها - كتب فلاديمير بابيتش في كتابه "القتال الجوي":

"... حلّ محلّ خيار اعتراض قاذفة قنابل بسرعة عالية بواسطة مقاتلة، مُوجّهة من نقطة تحكم أرضية. ونظرًا لازدياد مساحة الهجمات المُحتملة، أُزيلت المدافع - وهي سلاح قصير المدى موثوق - من الطائرات المُقاتلة... وتأكدت استنتاجات نظرية عدم جدوى القتال المُتقارب. كما أُقرّ بضرورة الانتقال من العمليات الجماعية إلى العمليات الفردية - مواقف "المُقاتلة المُعترضة-القاذفة". ضحّى بالقدرة على المناورة من أجل السرعة... وقد دمّر هذا أحد المبادئ الرئيسية للقتال الجوي - وهو الربط بين المناورة والنيران. ووُصف مسار رحلة الاعتراض رياضيًا، وأُدخل في أجهزة كمبيوتر أصبحت جزءًا من معدات مراكز القيادة..."

أي أن الأمريكيين قلّصوا دور الطيار إلى مُلحق بالحاسوب ومُنفّذ مطيع لأوامر المُشغّل الأرضي، مما جعل الطائرة منصة طيران خرقاء للصواريخ. سخروا من آلاتنا: قالوا إنها فكرة ستالين، محرك طيران.

في الوقت نفسه، واصلت الولايات المتحدة الأمريكية تكتيكات الإرهاب الجوي، التي جُرّبت في الحرب العالمية الثانية. في ذلك الوقت، بنت الولايات المتحدة الأمريكية أثقل المقاتلات في العالم، لتُعلّق عليها القنابل. وكانت النتيجة ما يُسمى بالمقاتلة التكتيكية - سلاح لشن غارات سريعة دون عقاب على أهداف خلف خط المواجهة، والهروب السريع. لم يُصنِّع ستالين ولا هتلر مثل هذه النماذج. لذلك، في فيتنام، استُخدمت طائرات الفانتوم كمقاتلات تكتيكية، تحمل ثماني قنابل وزن كل منها 450 كيلوغرامًا. ولأنها ثقيلة الوزن، أصبحت الفانتوم أكثر ثقلًا. كان يُعتقد أنها قادرة على ضرب العدو من بعيد بصاروخ موجه، وبالتالي لم تكن حمولة القنابل تُشكِّل عبئًا عليها.

خاضت طائرات ميج-21، سريعة المناورة وعالية السرعة وعالية الارتفاع، معركة ضد هذه الآلات والطيارين. سيطروا بسهولة على الأمريكيين، وتقدموا خلف الأسراب الأمريكية بسرعة 1200 كيلومتر في الساعة. ولتجنب اكتشافهم مبكرًا، لم تُشغّل طائرات الميغ راداراتها على متنها قبل إطلاق الصواريخ. ونتيجةً لذلك، وحتى مع تفوقها العسكري بستة أضعاف، تكبدت الولايات المتحدة خسائر فادحة. حاولوا تنظيم الغارات بشكل مختلف، وحصار مطارات فيتنام الشمالية، والتشويش على إشارات الراديو، وإعادة تنظيم تشكيلات المعارك. لكن ذلك لم يُجدِ نفعًا. ثم ركّبوا مدافع على طائراتهم، وحاولوا تدريب الطيارين على المناورة في المعارك مجددًا. لكن طائراتهم صُممت في البداية لتكون خرقاء. في تلك الحرب، خسرت الولايات المتحدة 3495 طائرة، أسقطت طائرات الميغ 320 منها. في الوقت نفسه، كما يدّعي الأمريكيون أنفسهم، لم يتمكنوا من تدمير سوى 76 طائرة. كانت تلك هزيمتهم الساحقة في معركة مع طيران الإمبراطورية. أثبتت قوتها الجوية خلال الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧١، وفي الشرق الأوسط عام ١٩٧٣. بدأنا هذا الفصل بحادثة واحدة من تلك الحقبة. حتى خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢، كانت طائرات ميج-٢١ القديمة لا تزال تنافس أحدث التقنيات اليهودية.

في عام ١٩٧٣، دخلت ميج-٢١ الخدمة شهدنا في المعارك ليس مع الطائرات الأمريكية الخرقاء، بل مع طائرات ميراج-S3 الفرنسية الخفيفة، التي كان سلاح الجو اليهودي مسلحًا بها آنذاك. لم تكن طائرات ميراج تصمد في وجه المناورات القتالية، عندما كان من الضروري خداع الطائرات التي كانت على وشك الانهيار. في أكبر حروب الفترة الأخيرة، ظلت حتى الطائرات الروسية القديمة الخصم الأقوى. في يناير 1996، ذكرت مجلة "الطيران والملاحة الفضائية": خلال معارك لبنان في صيف عام 1982، أسقطت المقاتلات السورية ست طائرات إف-16، خمس منها طائرات ميج-MF23 قديمة في معركة واحدة فقط في 8 يونيو 1982. ثم خسر السوريون طائرة واحدة فقط من طراز "23". بشكل عام، خلال تلك الحرب، دمّر الإسرائيليون، باستخدام طائرات إف-A16 الجديدة آنذاك، سبع قاذفات مقاتلة قديمة من طراز سو-22إم وعدة مروحيات مي-8 قديمة تمامًا. حققت طائرات إف-15 الغالبية العظمى من الانتصارات. (تذكر كم تكلفتها مقارنةً بطائرة سو-27؟)

خلال الحرب مع العراق، وفي يناير 1991، وفي ظل تسليحنا بأسلحة قديمة فقط، لم تُسقط طائرات إف-16 طائرة عربية واحدة. أما طائرات إف-S15، فقد أسقطت 34 طائرة. أسقطت طائرات إف/إيه-18 طائرتين من طراز ميج-21، إحداهما أُسقطت بهجوم شنته طائرة ميج-P25 المألوفة. أما طائرات إف-14، فقد أسقطت مروحية واحدة فقط. وهذا على الرغم من أن تدريب العراقيين كان أسوأ بكثير من تدريب الطيارين الروس في الثمانينيات، وعلى الرغم من تفوق الولايات المتحدة العددي الساحق في الجو!

ومع ذلك، لا تزال طائرة ميج-21 الرائعة، التي أقلعت لأول مرة عام 1958، تُعدّ منافسًا قويًا في القتال حتى اليوم. وقد طورت شركة ميكويان التعديل "93". زاد مدى كشفها للعدو من 20 إلى 57 كيلومترًا، ويرصد النظام الآلي ثمانية أهداف في آنٍ واحد. ويمكنها حمل طن من القنابل، وصواريخ جو-جو متوسطة وقصيرة المدى، وصواريخ مضادة للرادار من طرازي Kh-31 وKh-25MP، بالإضافة إلى صواريخ Kh-31A المضادة للسفن، وقنابل KAB-500KR الموجهة.

لكن طائرات فانتوم وF-104 ستارفايتر، نظيرات ميج-21، أصبحت قديمة الطراز بشكل لا يُصدق. وقد اكتسبت هذه الأخيرة سمعة "التوابيت الطائرة". خلال خدمتها، تحطمت أكثر من 200 طائرة، ليس في القتال.

3

بحلول عام 1985، عندما بدأ حكامنا بالصراخ من تخلف الاتحاد، كانت الإمبراطورية تمتلك مجموعة كاملة من الطائرات من الطراز العالي. وسيشارك آل يلتسين في المعارض الجوية الدولية لفترة طويلة قادمة.

نعم، لم نوقف المنافسة الشديدة مع الولايات المتحدة الأمريكية الغنية ذات التقنية العالية. في عام ١٩٧٢، أطلقوا أول طائرة إف-١٥. معجزة تكنولوجية، صُممت مع مراعاة التجربة الفيتنامية. طائرة مُحوسبة بالكامل، تراقب موقعها في الفضاء وسرعتها وهبات الرياح بشكل مستقل. قادرة على تصحيح أخطاء الطيار والطيران دون مشاركته. يختار نظام التوجيه الآلي الهدف الرئيسي من بين مجموعة متنوعة من الأهداف، مُعلمًا الشخص بموعد إطلاق النار.

ردًا على ذلك، تولى المصمم العام لمكتب سوخوي للتصميم، ميخائيل سيمونوف، تصميم طائرة سو-٢٧، التي نعرفها جيدًا. كانت أول طائرة في العالم تتميز بعدم استقرار ثابت ونظام تحكم سلكي. يُمكنك الاطلاع على التاريخ المثير لتطورها من كتاب إ. أندرييف "الطائرات القتالية". ونتيجة لذلك، وُلدت مركبة قتالية مزودة بمحطة رادار دوبلر نبضي متطورة، مُعززة بمحدد مواقع بصري إلكتروني. وبدأ الطيار بالتحكم بالسلاح بتحريك رأسه مرتديًا خوذة خاصة. بالإضافة إلى مدفع قوي عيار 30 ملم، قادر على تدمير هدف مدرع إربًا، تحمل طائرة سوخوي عشرة صواريخ قتالية جوية طويلة ومتوسطة وقصيرة المدى. وقد تجلّت قدراتها في المعركة الجوية فوق قاعدة لانغلي الجوية عام 1992.

طائرة سو-27 فريدة من نوعها حقًا. في أواخر الثمانينيات، كان من المقرر أن تُبنى عليها طائرات حاملات الطائرات الإمبراطورية. تتميز سو-27 بقدرة مناورة مذهلة.

على متن هذه الطائرة، بدأ الطيار الروسي الماهر بوغاتشيف بأداء مناورة "الكوبرا" - وهي مناورة تحلق فيها المقاتلة لأعلى بزاوية هجوم حرجة جدًا، فتفقد سرعتها وتظل معلقة في الهواء للحظة، وكأنها ثعبان في وضعية تهديد. بهذه الطريقة، يُخرج الطيار صاروخًا يُطلق عليه عن مساره، أو يُجبر طائرة معادية متسارعة على المرور من أمامه ليلحق بها.

شعر منتهكو الحدود الجوية الروسية بقدرة المناورة الفريدة للطائرة "27". في 13 سبتمبر/أيلول 1987، كانت طائرة الاستطلاع النرويجية "أوريون" رباعية المحركات والمروحيات تحلق على مقربة شديدة من مياهنا الإقليمية في البحر النرويجي. طار فاسيلي تسيمبال، طيار الفوج الجوي 941 التابع لجيش الدفاع الجوي العاشر، لملاقاته بطائرة سو-27. ولأن النرويجي الوقح كان "يراقب" تحركات سفن الأسطول الشمالي الروسي. في محاولة للابتعاد عن المقاتلة التي كانت تحلق بالقرب منه، أبطأت أوريون سرعتها إلى أقصى حد، على أمل ألا تصمد طائرة تسيمبال في هذا الوضع. لكن تبين أن طائرة سو-27 تتمتع بقدرة مناورة فائقة لدرجة أن طيارنا بقي قريبًا منها بسهولة، "مُجبرًا" الطائرة النرويجية على الابتعاد عن الحدود الإمبراطورية. لكن فجأةً انحرفت أوريون دون جدوى، وضربت مروحة محركها الخارجي الأيمن بمثبت الطائرة العمودي. وصمد الذيل أمام هذه الضربة! تمكنت النرويجية المتضررة من الوصول إلى قاعدتها (عالم الطيران، العدد 2، 1996).

وُلدت على أساس الطائرة "27" طائرة سو-34، طراد طائر حقيقي، صائد سفن، وأقوى قاذفة في الخطوط الأمامية في العالم. انطلق نموذجها الأولي.

في أبريل 1990، عندما كان الجميع في روسيا يُشيدون بليتسين. من سيجلب للبلاد مشاكل أكثر من غيوم طائرات مسرز وهينكلز؟

وُلدت هذه الطائرة، وهي طائرةٌ خارقة للطبيعة، للقيام برحلات جوية منخفضة الارتفاع بسرعات تفوق سرعة الصوت. ليلاً ونهاراً، في المطر والعواصف الثلجية والعواصف. تضرب العدو بمدفع GSh-301 عيار 30 ملم، وصواريخ جو-أرض عالية الدقة بمدى قتالي يصل إلى 250 كيلومتراً، وقنابل. في معرض ماكس-95 الجوي، عُرضت الطائرة بنسخة مُجهزة بصواريخ تكتيكية من طراز Kh-59M وصاروخ "ألفا" متعدد الأغراض الواعد. في الجو، تُدمر العدو بصواريخ قصيرة ومتوسطة المدى من طراز R-73 وK-77.

تخترق دفاعات العدو، وتُعميه بضربات من صواريخ Kh-31P المُتجهة نحو إشعاعات رادارات العدو. تستخدم طائرة سو-34 السلاح نفسه لإسقاط طائرات الرادار بعيدة المدى المعادية، تاركةً أسراب مقاتلاتها في حالة عمى تام. والدمار الذي تُسببه قنابلها الموجهة عالية الدقة من طراز KAB-1500، وهي قنابل شيطانية تزن طنًا ونصفًا مزودة برؤوس توجيه تلفزيوني بالليزر، مُرعب.

تنطلق بسرعة جنونية (1400 كيلومتر في الساعة) بالقرب من الأرض، وتتكيف مع تضاريسها، متجاوزةً التلال، مستخدمةً التجاويف والوديان والوديان الضيقة للتخفي. يصعب جدًا اكتشافها بالرادار. وكما كتبت "تكنيكا-مولوديزي" (مايو 1995)، فإن الرادار متعدد الوظائف الموجود على متن هذه الطرادة الطائرة لا يراقب الجو فحسب، بل يبحث أيضًا عن أهداف نقطية على الأرض. ويراقب جهاز تحديد المواقع في ذيل الطائرة الأرض وما يحدث خلفها. بعد رصد مقاتلة معادية أو صاروخ يلحق بطائرة سو-34، تُحذر الطائرات الطيارين وتُوجه صواريخ جو-جو نحو العدو. لذا، لا يُمكن ضربه من الخلف.

يمكنه الدخول في دوامات أرضية قوية وتدفقات مضطربة، ولكن في هذه الحالة، سيستفيد الطاقم من النظام الآلي لقمع الأحمال الزائدة المضطربة. ترصد أجهزة الاستشعار عالية الحساسية زيادة الأحمال الزائدة وتواجهها عن طريق تحويل الذيل الأفقي الرئيسي والمثبت الأفقي - أجنحة صغيرة أقرب إلى مقدمة الطائرة (Vestnik Vozdushnaya Flota، العددان 1-2، 1996).

يُوجّه الطيارون في قمرة قيادة هذه المعجزة الأسلحة على متن الطائرة باستخدام مؤشرات مثبتة على الزجاج الأمامي. يتم التحكم في الصواريخ المُطلقة من خلال حركات رؤوس الطيارين، وتطير في اتجاه نظر الطيار الذي رصد الهدف، أو بالأحرى، تُطيع دوران المنظار على خوذة الطيار. تُعدّ الإلكترونيات الموجودة على متن طائرة T-34 معجزة روسية حقيقية، حيث تُوفّر معلومات كاملة حول معلمات الطيران والمساحة المحيطة، وحالة الأنظمة والمحركات على متن الطائرة. تحديد عدد وإحداثيات الأهداف في الجو، وعلى الأرض، وفي

الماء، وحتى تحت الماء. كشف رادارات العدو، ومحطات الحرب الإلكترونية، وأنظمة الدفاع الجوي، وتحديد درجة التهديد الناتج عنها. تُقدم المعلومات إلى قائد الطاقم بشكل مُركّب وسهل الفهم، مما يسمح بالتنظيم الأمثل لضربة قاذفة واحدة أو مجموعة منها.

يوفر نظام خبير حاسوبي للطيار خيارات توزيع الأهداف بين الطائرات في المجموعة. قمرة القيادة مُجهزة بشاشات عرض ملونة من الكريستال السائل مزودة بوظائف متعددة وصورة شديدة التباين. تُدخل معلومات الحوادث والكوارث، بالإضافة إلى أفضل الحلول للمواقف الحرجة، في ذاكرة نظام السلامة. تُؤخذ الإحداثيات الحقيقية للطائرة، وسرعة واتجاه تدفق الهواء، وكمية الوقود المتبقية في الاعتبار. في حالة وقوع حوادث، أو أضرار قتالية، أو أوضاع طيران خطيرة، يمكن للروبوت اتخاذ قرار فوري، وإبلاغ الطاقم ومركز القيادة الأرضية بذلك. إذا لم يكن لدى الشخص وقتٌ للرد، فسيُفعّل الآليات اللازمة بنفسه. وهذا السلاح المعجزة، الذي يجمع بين خبرة وشجاعة البطل الخارق وردة الفعل السريعة لآلة إلكترونية، لم يُصنع من قِبل اليابانيين، بل من قِبلنا نحن الروس!

في بعض الأحيان، تُدار المعركة على ارتفاع منخفض، وستُطلق النار على طائرة سو-34 من جميع فوهات المدافع الرشاشة إلى المدافع سريعة الإطلاق. كما ستُوجّه إليها صواريخ "ستينجر" اليدوية. لذلك، تُجهّز قاذفة الهجوم بهيكل من التيتانيوم يزن طنًا ونصف. كابينة الطاقم محمية بدرع 17 ملم. يُغطّي التيتانيوم المحركات وخزانات الوقود. تتميز سفينتنا الحربية الأسرع من الصوت بهيكل مصمم خصيصًا لتشتيت موجات رادار العدو في الهواء إلى أقصى حد، وأجنحتها وجسمها مغطى بمادة تمتص الموجات الراديوية. ولذلك، يصعب اكتشافها من موقعها. أدوات التحكم مُكررة - في حال مقتل الطيار، يُسيّر الملاح الطائرة.

سو-34 هي طائرةٌ رائدةٌ في الفضاءات الواسعة. يبلغ مدى طيرانها مع التزود المنتظم بالوقود 4 آلاف كيلومتر (ضعف مدى سو-24 أو إف-15إي). أقل بقليل من متوسط قاذفات تو-22 "الاستراتيجية الأوروبية". وإذا علّقت خزانات الوقود، يزداد مدى الطائرة بمقدار مرة ونصف. بمعنى آخر، بعد إطلاقها من بيلاروسيا، تستطيع البارجة ضرب أهداف في إنجلترا والعودة. بحمولة قتالية تبلغ ثمانية أطنان، تُشبه حصونين أو ثلاثة "طائرات قلاع" من نصف قرن مضى. مع ثلاث عمليات تزود بالوقود من طائرات صهريجية طائرة، تقطع "الأربعة والثلاثون" مسافة 14 ألف ميل، وهذا يُضاهي بالفعل مؤشرات الطيران الاستراتيجي. كان المصممون بارعين.

كان عليهم أن يحشروا مقصورة ذات مقعد واحد للراحة، ومطبخًا صغيرًا، ومرحاضًا في المقصورة خلف مقاعد الطاقم!

لم تتمكن روسيا في عهد يلتسين من بناء سوى اثنتين من هذه البارجات الحربية الرعدية عام ١٩٩٤. وهذا أمر مفهوم: فجمهورية إيرفيا (روسيا الاتحادية) تُمثل ثلث مساحة الاتحاد اقتصاديًا. وكم كانت هناك حاجة لهذه الطائرات خلال حرب الشيشان! كانت قادرة على التحليق فوق رؤوس المسلحين، وتدميرهم بموجة صدمة واحدة من المحركات، وتمزيق أسطح المنازل مع القناصة عند عبورهم حاجز السرعة الأسرع من الصوت. وحرق وإزالة بقايا البطاريات بنيرانها. وشقت طريقها إلى قلب الجبال، ودمرت مخابئ قطاع الطرق وقواعدهم في الغابات...

حسنًا، ماذا لو كان لدى الاتحاد، الذي لم ينهار عام ١٩٩١، أسطول من طائرات سو-٣٤؟ لو لم يكن الجالس في الكرملين دميةً خائنةً، بل رجلاً ذا حِسٍّ قوي؟ لكانت جميع فرق دبابات الناتو، وقواعدها ومراكز قيادتها، تحت رحمة الموت الهادر، المُجنّح، الذي لا يُقاوم...

4

ولكن لم تكن طائرات سوخوي وحدها هي التي تُشكّل القوة الجوية الإمبراطورية. ففي الغارات التي لا تُصدّ على العدو، كانت طائرات ميج تحميها.

إحدى هذه الطائرات هي ميج-29، التي حلقت لأول مرة في 6 أكتوبر/تشرين الأول 1977، أيضًا في عهد بريجنيف. صُممت هذه المعجزة ذات المحركين عالية المناورة باستخدام ما يُسمى بالتصميم المتكامل. إذا نظرت إلى الطائرة "29" من الأعلى، سيبدو هيكلها مُسطّحًا - ففي النهاية، تُولّد قوة رفع مع الجناح. ومن هنا يأتي أقل

حمل على كل متر مربع من الطائرة. فكلما صغر حجمها، زادت قدرتها على المناورة. كانت القدرة على المناورة، التي تحققت بفضل انخفاض الحمل النوعي على الجناح، هي سر انتصارات مقاتلاتنا في أجواء فيتنام.

في أوائل الثمانينيات، لم يكن لطائرة ميج-29 مثيل. مدفعها المدمج، وصواريخها متوسطة وقصيرة المدى المزودة بنظام توجيه شامل: رادار، ومحطة تحديد موقع بصري بالليزر، ومنظار طيار مثبت على خوذة - كل هذا تفوق على طرازات إف-14 وإف-15 الأمريكية آنذاك، وميراج الفرنسية. تتميز طائرة هوك لدينا بنسبة دفع إلى وزن ملحوظة بشكل خاص - نسبة دفع المحرك إلى وزن إقلاع الطائرة. كلما زادت النسبة، زادت سهولة المناورة أو اتخاذ موقع أكثر ملاءمة في القتال، والاقتراب من ذيل العدو. تبلغ نسبة الدفع إلى الوزن للطائرة "29" 1.1. (أكثر بقليل من سو-27، ونفس نسبة إف-15دي الأمريكية). للمقارنة: لدى ميج-21 معدل 0.8، وF-104 سوبرستارفايتر معدل 0.55، وF-14 تومكات معدل 0.59.

وكما ذكرت مجلة "تكنولوجيا للشباب" في مايو 1995، بدأ مكتب ميكويان للتصميم منذ منتصف الثمانينيات بتطوير هذا النموذج. زُوّد بصاروخ جديد متوسط المدى برأس توجيه نشط، وعُززت مناعة الرادار ضد التشويش، وركّبت معدات لإطلاق النار على هدفين في آن واحد. حملت طائرة ميج-S29 الجديدة أربعة أطنان من القنابل. ومرة أخرى، تجاوزت أحدث نظائرها العالمية في الأداء - F-16S، وF-15S، وF-18S، وMirage-2000-5.

وقد أنجز كل هذا علماء ومهندسون روس، في وقت كان ينهمر فيه سيل من الأكاذيب القذرة على رؤوسنا من صفحات الصحف وعلى جميع القنوات التلفزيونية. عندما كانت جوقة الصحفيين الليليين تُغني أغنية عن تخلفنا وكسلنا وعجزنا، مُشيدةً بقوة عدونا بكل الطرق الممكنة.

ولكن كم كان الغرب يخشى منا! أثار ظهور طائرتي ميج-29 في الخطوط الأمامية في معرض فارنبورو الدولي عام 1988 ضجة كبيرة. رأى الغرب أن الطائرة لديها احتياطيات هائلة للتحسين. دعونا نحاول شرح هذا. في عام 1937، سيطرت مقاتلاتنا I-15 وI-16 على سماء إسبانيا، متفوقةً ببراعة على طائرات فيات وسافويا الإيطالية. ومع ذلك، كانت تصاميمها قد وصلت بالفعل إلى حدود التطوير. وعندما ظهرت طائرة ميسرشميت-109 الألمانية حديثة العهد آنذاك في الجو، أصبحت على الفور قديمة الطراز.

وواصلت ميسرشميت تطورها. ازدادت سرعتها وتسليحها ودروعها. لكن في عامي ١٩٤١-١٩٤٢، اتضح أن الألمان كانوا مهووسين جدًا بأفكارهم المفضلة، بينما كان الروس يمتلكون طائرات أحدث ذات احتياطيات لا تنضب. وتغيرت الأدوار - كانت طائرة Me-109 تخسر بشكل متزايد أمام طائراتنا من طراز ياكوفليف ولافوشكين.

تبين أن طائرة ميج-٢٩ تمتلك احتياطيات تصميمية هائلة. في منتصف الثمانينيات، بدأت الولايات المتحدة تُخيفنا بتطوير ATF، وهي مقاتلة القرن الحادي والعشرين. نجحت الخطة - مما أثار قلق الكرملين. ولكن في الوقت الذي لم تكن فيه ATF قد خرجت من مرحلة رسم الرسومات، كنا نُجمع "طائرة عجيبة" جديدة في ورش العمل - MiG-29M، التي كانت أقوى بمرتين من طرازات MiG-29 السابقة. مقاتلة مستقبلية حقيقية، قادرة ليس فقط على قتال العدو في السماء، بل أيضًا على تدمير رادارات العدو بإشعاعاتها، وإغراق السفن. ليست مقاتلة، بل عربة إيليا النبي الحقيقية!

جهز المصممون طائرة "تسعة وعشرون" الجديدة بجهاز تحديد مواقع دوبلر نبضي متعدد القنوات. بفضله، تستطيع الطائرة تتبع عشرة أهداف في آنٍ واحد، وإطلاق النار على أربعة منها في كل مرة. رُفعت الحمولة القتالية إلى 4.5 أطنان، مع إدخال جميع الصواريخ جو-أرض محلية الصنع ذات التوجيه بالليزر والتصوير الحراري عالي الدقة. بالإضافة إلى ذلك، زودت بست قنابل موجهة.

تفوقت طائرة ميج-M29 على تعديلاتها السابقة بثلاث مرات تقريبًا في فعالية إصابة الأهداف البرية والبحرية. إذا اكتشفت مقاتلة معادية على بُعد 90 ميلًا، فإن السفن والقوارب والغواصات في وضعية التمركز - على بُعد 120-150 ميلًا.

كيلومترات. ومثل سو-27، تتميز طائرة "29" بنظام تحكم عن بُعد، وتُعدّ نموذجًا لقدرة المناورة.

لا يسع المرء إلا أن يصرخ كراهيةً. حتى الآن، وبينما تغرق البلاد في الفقر، يعمل المصممون على تسليح طائرة "M29" بصواريخ جو-جو بعيدة المدى وبعيدة المدى للغاية، وأحدث أنظمة الاستطلاع. لا تزال طائرتنا تتفوق على أفضل نظائرها الأجنبية. إنها أقوى حتى من تلك التي لا تزال قيد التصميم! على سبيل المثال، "يوروفايتر القرن الحادي والعشرين". حلقت طائرة ميج-M29 لأول مرة عام 1986. في ذلك الوقت، كان غورباتشوف قد بدأ لتوه في تدمير القوة الجبارة للإمبراطورية. ولم يكن أحد، حتى في أفظع كوابيسه، ليتخيل أن جزارًا ثملًا سيجلس على العرش، وأننا سنخسر منه أكثر مما سنخسره من قصف هتلر. وسنتوقع جدياً حروباً مع من يسعون لفصل إقطاعياتهم عن كيان دولة واحدة.

في الثمانينيات، كان وطننا يُنشئ أسطولاً لحاملات الطائرات. انطلق طيارنا البارع فيكتور بوغاتشيف لأول مرة على متن طائرة ميج من على متن حاملة الطائرات الأدميرال كوزنيتسوف قيد الإنشاء في الأول من نوفمبر عام ١٩٨٩. وبحلول صيف عام ١٩٩١ المأساوي، وقبل انتصار مدمري الإمبراطورية، كان أحد عشر طياراً قد نفذوا ٩٠ عملية إقلاع وهبوط من على سطح السفينة. وفي ساكي القرم، كان هناك جهاز "نيتكا" - وهو جهاز محاكاة ضخم للتدريب على عمليات الإطلاق والهبوط على السفن. وكانت الرحلات الجوية تُجرى ليلاً ونهاراً. وقد طور العلماء الروس نظام هبوط إلكتروني بصري فريد من نوعه "لونا"، وهو نظام لا يمتلكه الغرب. ففي النهاية، يُعد الهبوط على سطح غير مستقر وضيق مهمة بالغة الصعوبة، تتطلب شجاعة ومهارة استثنائيتين. يجب الهبوط والمحركات تعمل بكامل طاقتها تقريباً بزاوية هجوم محددة بدقة تبلغ ١١ درجة. حتى تتمكن من ربط خطاف الذيل بكابلات معدات الإيقاف الممتدة على سطح السفينة. ولا داعي لتقليل الطاقة لتجنب السقوط في البحر في حال فشل المحاولة، بل عليك فقط زيادة قوة المحرك والإقلاع مرة أخرى لمحاولة ثانية.

وليس من قبيل الصدفة أن يعتبر الأمريكيون طياري حاملات الطائرات أبطالاً، فهم يُشاد بهم في الكتب والأفلام، ويحظون بحب الناس. استمر تاريخ حاملات الطائرات الأمريكية في الثمانينيات لأكثر من نصف قرن، ولذلك كان الأمريكيون واثقين من أن الروس، قليلي الخبرة في الطيران البحري، لن يتمكنوا من تدريب جيلهم من هؤلاء الطيارين بسرعة.

أدى التدريب الناجح على طائرات ميج-29 وسو-27 إلى قلب كل الحسابات. استخدمنا نظام "لونا": كان على الطيار الذي يدخل سطح السفينة أن يرى أشعة خضراء موجهة نحوه. إذا رأى أضواء حمراء أو صفراء، كان يعلم أن الاقتراب غير ناجح ويجب عليه الالتفاف. لهذا السبب لم نضطر إلى حرق آلاف الأطنان من وقود الطيران باهظ الثمن وإضاعة ساعات طيران لا تُحصى في تدريب طياري السفن. ٥

أتذكر عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨، عشية تفكك الاتحاد السوفيتي العظيم. لم نكن نعرف حينها ما نملك. حجبت عنا قواعد حمقاء روعة القوة الجوية للبلاد، وكذلك قواتها البرية والبحرية. عدتُ من الخدمة النظامية في الجيش عام ١٩٨٧، لأجد نفسي بين جدران جامعة موسكو. حتى في ذلك الوقت، كان هناك الكثير من أبناء النخبة الحزبية والحكومية في العاصمة. أولئك الذين كانت منازلهم مليئة بشتى أنواع الأجهزة الأجنبية، مثل أجهزة تسجيل الفيديو وأشرطة الفيديو التي تحتوي على أفلام أجنبية. وأنا أتأمل في أسباب انهيار الإمبراطورية، أتذكر: نشأ الشباب مقتنعين بأن الاتحاد السوفيتي متأخرٌ للغاية وضعيفٌ أصلًا. ففي النهاية، كانت الأفلام الأجنبية هي التي شكلت آرائهم بشكل رئيسي.

في تلك السنوات، شنّ الأمريكيون، وهم بارعون في الحيل الإعلانية، حربًا نفسية حقيقية ضدنا. واحداً تلو الآخر، صنعوا أفلاماً تغنّت بفخر طائرات إف-14 وإف-15، حيث أسقط رجال أمريكيون عظماء، كإوزٍ في رحلة صيد، طائرات ميغ روسية "عتيقة". مثل فيلم الدعاية "توب غان" الذي لاقى رواجاً واسعاً في الثمانينيات. صُنعت أفلام مماثلة عن حاملات الطائرات والدبابات المعجزة. على هذه الطائرات نشأ "الشباب الذهبي" في موسكو والأقاليم، أبناء نخبة الحزب والدولة. لم يفعل نظام بريجنيف المتداعي والبطيء شيئاً من هذا القبيل. سلبونا فخرنا ببلدنا - ولم نكن نعرف شيئاً عن "الطائرات التسعة والعشرين" أو عن سو-27. ولّدت أفلام "حرب النجوم" الأمريكية أسطورة أمريكا فائقة التكنولوجيا والحواسيب، وراسخةً في اللاوعي فكرة روسيا البدائية. الآن نعلم: في الولايات المتحدة الأمريكية الديمقراطية التعددية، كان ولا يزال هناك أقوى دعاية تحريضية، لم يكن الاتحاد السوفيتي ليحلم بها. قبل عام ١٩٤١، وتحت القيادة الحساسة لرئيس الأركان العامة ليف ميخليس، صوّرت أفلامًا دعائية رائعة، مثل فيلم "لو كان الغد حربًا"، حيث سحقت الدبابات السوفيتية الألمان الغبياء وغير الأكفاء، وواصل الجيش الأحمر تقدمه غربًا بلا هوادة.

هناك الكثير من المخلصات في الولايات المتحدة الأمريكية. في أفلام رامبو، يُحرق هذا البطل دبابة تي-٧٢ سوفيتية بطلقة قوس، بعد أن ربط قنبلة يدوية بسهم. في فيلم "الفجر الأحمر"، يُطلق شباب أمريكيون شجعان، من أجل تجديد قوت يومهم، النار على المحتلين الروس المتكاسلين ببنادق "الكلاشوف" من بنادق الصيد.

لقد شكّلت مخلصاتهم تقليدًا راسخًا - تصويرنا كنوع من الجحافل الآسيوية، التي لا تُقاوم حتى الأسلحة الحديثة حفنة من "البيض".

جميع الأرقام القياسية في هذا الجزء حطمها توم كلانسي مؤلف الكتاب الأكثر مبيعًا عام 1986

عام "العاصفة الحمراء". تدور أحداثه حول الحرب الأوروبية بين الاتحاد السوفيتي وحلف الناتو دون استخدام الأسلحة النووية. في هذا العمل، "هم"، بعد أن فقدوا إحدى عشرة مقاتلة فقط، أسقطوا مائتين من طائراتنا في معركة واحدة. أمرٌ مفهوم - فبعد الهزيمة الساحقة في فيتنام، كان لا بد من اللجوء إلى "العلاج النفسي". ليس فقط لأنفسهم، بل لنا أيضًا.

هناك حادثة في كلانسي لا تُضاهى في عبثيتها وأكاذيبها. فيها، هاجمت ثماني عشرة قاذفة من طراز بي-52، برفقة أربع طائرات فانتوم من طراز إف-4، أيسلندا، التي استولى عليها الروس غدرًا. حسنًا، نفس الطائرات التي هلكت أربع طائرات مقابل كل طائرة ميج-21 أُسقطت في فيتنام.

وفقًا لكلانسي، فإن طائرات الفانتوم، التي تجاهلت فوج ميج-29 في الجو، حطمت المدافع الروسية المضادة للطائرات في دقيقة واحدة و... غادرت دون خسائر. صحيح، لا تزال طائراتنا تُسقط نصف طائرات بي-52.

حسنًا، ماذا كان سيفعل "العشرون تاسع" فائق المناورة والأسرع من الصوت بالقاذفات دون الصوتية الخرقاء وطائرات إف-4 القديمة البطيئة؟ لا داعي للحديث عن ذلك. ومع ذلك، فقد انتهى الأمر - لقد غسلوا أدمغة القطيع الأمريكي الضيق الأفق أولًا، ثم غسلوا أدمغتنا.

وأبناء طبقتنا الميسورة تشربوا بطاعة هذا المزيج من المخلصين الأمريكيين.

لطالما كان للدعاية الأمريكية التحريضية قواعدها الراسخة. بطل وحيد قوي، أمريكي مئة بالمئة. يهودي إيجابي وذكي دائمًا، يقود أنجلو ساكسونيًا سليمًا على الطريق الصحيح. روس قساة وخونة. تكنولوجيا فائقة الحداثة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتكنولوجيا قديمة في الاتحاد السوفيتي. هذا المزيج سُكب في أدمغتنا. في عقول شبابنا في السبعينيات والثمانينيات.

أعلم: لقد خسرنا معركة الإمبراطورية في عقولنا. وقبل كل شيء، بفضل مُنظّر بريجنيف، سوسلوف-سابلر. فهو الذي ندين له بهيمنة الكلمات الرنانة القاتلة التي لم تُسبب سوى التثاؤب والاشمئزاز. وحقيقة أن أفضل ما أبدعه الروس ظل مجهولاً. لنتذكر ستالين وثلاثينيات وخمسينيات القرن الماضي. لم يكن كل ما هو أفضل مخفياً. كان شباب الاتحاد السوفيتي يُشيدون بأفضل قاذفات TB-3 في العالم، ومقاتلات I-16، ودبابات BT التي لا مثيل لها. كانوا يرون في نشرات الأخبار طائرات عملاقة تحلق فوق أبراج الكرملين. كانوا يقرأون عنها في الصحف. نظّم ستالين عروضاً جوية فخمة في توشينو، ومعارك استعراضية بالمقاتلات. لم يكن يخشى عرض أحدث الطائرات النفاثة أو "القلاع الطائرة" السوفيتية الثقيلة في العرض. في عهد بريجنيف، نُظِّم مهرجان توشينو مرة واحدة - عام ١٩٧٧. كان هذا المهرجان بائسًا ومتعثرًا.

تحتوي مكتبتنا على ثلاثة كتب فقط نُشرت بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٠. نُشرت في عهد ستالين، خلال فترة الكفاح ضد الكوزموبوليتانية. ثم، عندما قاد ستالين قضية الأطباء اليهود، وحل اللجنة اليهودية، وثار الغرب احتجاجًا على معاداة الدولة للسامية في روسيا. ثلاثة كتب فقط.

مجلد فاخر وثقيل بعنوان "المدفعية"، برسومات ونقوش دقيقة رائعة. مع أغطية رأس على شكل رايات ثقيلة وفوهات بنادق. إنه ترنيمة لـ"آلهة الحرب" الروسية.

كتاب آخر بعنوان "قوة الملايين"، عن هندسة الألغام والمتفجرات. عن النجاحات الروسية. عن مآثر عمال مناجمنا وعلمائنا من عهد إيفان الرهيب إلى سنوات الحرب الوطنية العظمى العاصفة.

الكتاب الثالث بعنوان "قنبلة يدوية - نار!" شيّق، زاخر بالرسوم التوضيحية وأمثلة المعارك. قبل سنوات عديدة، نشرنا العديد من الكتب المشابهة. عن مآثر الروس في البحر، وفي السماء، وعلى الأرض، وعن انتصار أسلحتنا.

وماذا كانوا يملؤوننا به في السبعينيات والثمانينيات؟ نُشرت كميات هائلة من الورق المُهمَل على ورق فاخر - كتيبات عن زيارات بريجنيف إلى بولندا ودول أخرى. هيمنت على الشاشات "روائع" عاطفية وقاسية، و"استمتع بوقتك" و"روايات مكتبية"، وقصص عن الضعفاء ورجال الأعمال الذين لم يكتملوا. أو غموض عائلة شوارتز-ماركوف-زاخاروف. لم يبقَ مجهولاً سوى القوة الروسية، والأبطال الروس.

لهذا السبب لم نكن نعرف شيئًا عن إمبراطوريتنا وسيفها الساحق. لهذا السبب بدأنا نعبد كل شيء بشعار أجنبي. لهذا السبب أنجبنا وحوشًا مدمرة، لا تزال تُكثر من الحديث عن تخلف وطننا الأم العظيم. بعد أن خسرنا المعركة مع العدو دون حرب. الفصل الخامس. الدبابات الطائرة وحرق "سكاي رايدرز". "ميل" و"كاموف" - ضد "الإيروكيس". أحرقناهم وحولناهم إلى غبار. سايبورغ روسي.

1

كان عام 1991 عامًا قاسيًا. في الشتاء، انهالت الولايات المتحدة وأقمارها الصناعية بكامل قوتها على العراق المتمرد. أدى قصف بغداد الشامل إلى مقتل أربعين ألف شخص...

كان العراقيون مسلحين بشكل رئيسي بأسلحة سوفيتية قديمة من الستينيات إلى أوائل السبعينيات. استغلت الولايات المتحدة تلك الحرب القصيرة للترويج لتقنيتها، التي، كما يقولون، حطمت الآلات السوفيتية "البدائية" إلى أشلاء.

ثم بث تلفزيون الاتحاد السوفيتي، بكل سرور، لقطات لدبابات عراقية محترقة روسية الصنع - طرازي T-55 وTU-62 القديمين. إلى جانب الرسوم الكرتونية الحاسوبية، حيث تلتقط طائرات الهجوم الأمريكية الهائلة من طراز A-10A Thunderbolt الدبابات السوفيتية في مخاريط الرادار وتطلق عليها صواريخ موجهة، كما لو كانت في ساحة رماية. ولكن كيف هي في الحقيقة؟

طائرة الهجوم شيء مميز. مصممة بشكل سيء، لكنها محكمة الخياطة، وهي مصممة لمهاجمة العدو في الخطوط الأمامية، مما يساعد قواته على الهجوم. بعد أن اجتازت نيرانًا جهنمية من الأرض من جميع البراميل.

طائرة الهجوم هي تجسيد للتقاليد الوطنية لمبدعيها. الطائرات الأمريكية والروسية

إطارات من هذا النوع متناقضة تمامًا. كم هي متناقضة العادات العسكرية للحضارتين الأرثوذكسية البيزنطية واليهودية البيوريتانية؟

منذ الحرب العالمية الثانية، دأب الأمريكيون على صنع مركبات هجومية عالية السرعة. ومثل سفن القراصنة الخفيفة، يجب أن تضرب بسرعة البرق وتغادر بنفس السرعة. لذلك، سعت الولايات المتحدة دائمًا إلى صنع طائرات هجومية عادية أو قاذفات عالية السرعة، دون أن تُرهق نفسها بالتفكير في صنع نماذج خاصة.

لكننا سلكنا طريقًا مختلفًا. فمثل المحاربين القدامى المدرعين، صُممت طائرات الهجوم الروسية للعمل الشاق. للرحلات منخفضة الارتفاع على قمم الأشجار. ومثل المحارب الروسي الذي عمل لساعات طويلة بسيف في معركة حامية الوطيس، أمطرت طائراتنا العدو بنيران مدافعها بانتظام، قاطعةً خط جبهة العدو.

قاتلت طائرة مقاتلة حقيقية، من بنات أفكار إليوشن، في الحرب الوطنية العظمى - طائرة الهجوم Il-2. طائرة ذات مقعدين، ذات زاوية، مصنوعة من درع مركب مزدوج الطبقات. مُجهزة برشاشات ومدفعين وقنابل وصواريخ، كانت تُعلق فوق رؤوس الألمان لساعات. أطلقوا عليها اسم "الموت الأسود"، بينما أطلقنا عليها اسم "الدبابة الطائرة". طائرة Il-2، ذات قدرة نجاة مذهلة، كانت تعود أحيانًا بأجنحة ممزقة بالرصاص والشظايا، وبعشرات الثقوب، ومثبت مُمزق إلى نصفين. خلال الحرب بأكملها، صنعنا 36,163 طائرة Il-2. رقم قياسي مُطلق لإنتاج نوع واحد من الطائرات في العالم أجمع!

لم يُغير الأمريكيون عاداتهم بعد تلك الحرب. استمروا في صنع طائرات هجومية كمقاتلات عادية. على سبيل المثال، في إحدى نسخ "فانتوم" - مقاتلة. ولكن بعد ساعتين، وبعد تعليق قنابل وحاويات عليها صواريخ - أصبحت بالفعل طائرة هجومية. وفي فيتنام، حلقت على هذا النحو: فانتوم مُحمّلة بحمولة ثقيلة، ترافقها طائرة مُحمّلة بحمولة خفيفة. لقد كتبنا سابقًا عن النتائج المحزنة لهذا التكتيك وعن مئات الأمريكيين الذين أُسقطوا.

من ناحية أخرى، طوّرت الولايات المتحدة طائرة دوغلاس سكاي رايدر، وهي طائرة من الحرب العالمية الثانية حلقت لأول مرة عام ١٩٤٤، كطائرة هجومية. خدمت طائرات سكاي رايدر في الجيش الأمريكي حتى أوائل سبعينيات القرن الماضي، بعد أن تكبدت خسائر فادحة في فيتنام.

اتخذ الاتحاد السوفيتي مساره الخاص. في عام ١٩٥٩، انطلقت طائرة سو-٧ بي. مُجهزة بأحدث معدات الملاحة والرؤية في ذلك الوقت، وأسلحة قوية. مدفعان عيار ثلاثين ملم فقط كانا كافيين! كانت سرعتها تفوق سرعة سكاي رايدر بأربع مرات تقريبًا. وصلت سو-٧ بي إلى سرعة ١,٨ ماخ. بفضل قدرتها على المناورة، وقدرتها على الطيران بسرعات متنوعة.

في الذكرى الخمسين للنصر، كتبت تيخنيكا-مولوديزي: "في إحدى المرات، وبحضور مسؤولين رفيعي المستوى، هبط الطيار التجريبي إي. سولوفيوف بطائرته سو-7بي هبوطًا سطحيًا وأطلق النار على أهداف... وعندما انقشعت سحابة النار والدخان الهائلة، رأى المتفرجون معدات محطمة ومتفحمة، وتحصينات شوهتها الانفجارات، وأرضًا مشتعلة. وتبين أن طائرة سو-7بي نفسها تتمتع بقدرة ممتازة على الصمود. على سبيل المثال، خلال الحرب الهندية الباكستانية عام 1971 (وتم تصدير الطائرة إلى العديد من الدول)، أثناء عودتها من مهمة قتالية، تعرضت لنيران عدة مقاتلات معادية، وأصيبت بعشرات الثقوب. لكنها لم تشتعل ولم تفقد السيطرة - بل وصلت إلى المطار."

نعم، استمرت تقاليدنا الإمبراطورية الأرثوذكسية البيزنطية حتى ذلك الحين. ببساطة، لم يكن لدى الأمريكيين أي شيء من هذا القبيل. لم تفز طائرة فيرتشايلد A-10A ثاندربولت بمسابقة تصميم في الولايات المتحدة إلا في عام 1973.

هذه طائرة عتيقة الطراز، مهما روّج لها الأمريكيون عام 1991. أجنحة مستقيمة، وذيل متشعب. محركان نفاثان محمّلان على جانبي جسم الطائرة خلف الأجنحة مباشرة. تبلغ سرعة الطيران 550 كيلومترًا في الساعة، والحد الأقصى 700 كيلومتر. وكما كتب إ. أندرييف في كتابه "الطائرات القتالية"، فإن هذه الطائرة، في شكلها وخصائص طيرانها، تشبه طائرة من الحرب العالمية الثانية. صحيح أن A-10A قوية، فهي تحمل حمولة قتالية تبلغ سبعة أطنان وربع طن على إحدى عشرة عقدة تعليق خارجية: قنابل، صواريخ، حاويات بمدافع عيار 23 ملم. في مقدمة هذه الطائرة الهجومية، يوجد مدفع بسبعة براميل، يطلق هذا السلاح بمعدل 2400-4200 طلقة في الدقيقة.

ومع ذلك، في عام ١٩٧٩، قدّم الاتحاد السوفيتي ردًا جديرًا بالثناء - طائرة الهجوم سو-٢٥، التي صنعها م. سيمونوف. إنها أخف وزنًا بكثير من "الأمريكية"، إذ تحمل ٤,٤ أطنان من الأسلحة على أبراج تحت الأجنحة. ومع ذلك، فهي قوية أيضًا: قنابل، وحاويات صواريخ غير موجهة، ومدافع ٢٣ ملم. ومدفعها الأمامي عيار ٣٠ ملم، وهو يعمل بمحرك. على الرغم من أنها مزدوجة الماسورة، إلا أن مخزونها من القذائف أقل - ٢٥٠ قذيفة مقابل ١٣٥٠ قذيفة لطائرة A-١٠A.

لكن طائرة سو-٢٥ تمتلك ميزة لا تمتلكها "الأمريكية" الخرقاء. تبلغ السرعة القصوى لطائرة A-١٠ ٧٠٠ كيلومتر في الساعة، بينما تبلغ سرعتنا ٩٧٥ كيلومترًا في الساعة. ويبلغ مدى طيران طائرة A-١٠ ٤٦٠ كيلومترًا. ويبلغ مدى طيران طائرتنا الهجومية ١٢٥٠ ميلًا. اتضح أن "السيف" الأمريكي قصير وثقيل، بينما طائرتنا أخف وزنًا، لكنها أطول وأسرع. وإسقاط طائرة A-10A أسهل بكثير من إسقاط طائرتنا. فطائرة سو-25 متينة ومحمية بشكل مذهل. كابينة الطيار محمية بدرع متكامل، وهو نفسه كما لو كان جالسًا في "حمام" من التيتانيوم. الوحدات الحيوية للنظام مدرعة أيضًا. خزانات الوقود محمية ومملوءة بكتلة مسامية منخفضة الكثافة: فهي لا تشتعل.

تحترق. وإذا اخترقت، فإن الكتلة المسامية ستسد الفجوة.

أطلق مقاتلونا في أفغانستان على طائرة سو-25 لقب "روك". على متن "روك"، طار ألكسندر روتسكوي، بطل الاتحاد السوفيتي، لاقتحام قواعد الدوشمان الجبلية. صمدت طائرة سو-25 أمام نيران مضادات الطائرات - وكانوا يضربونها من الجبال مباشرةً! كانت خسائر طاقم "روك" أقل بكثير من خسائر طائرات ومروحيات جيشنا الأخرى. فقط نقل أحدث صواريخ "ستينغر" الأمريكية إلى الدوشمان سمح لهم بإسقاط "السوخي". وحتى في هذه الحالة، لم يكن ذلك دائمًا - فقد كان الطيارون يوجهون بمهارة أهدافًا زائفة تُبعد القوات الأمريكية.

كانت طائرة سو-25 مدرعة لدرجة أنها كانت تعود أحيانًا إلى قاعدتها حتى بعد ضربة "ستينغر".

في البداية، لم تكن صواريخ مضادة للطائرات مثبتة على "روك". ولكن عندما أُسقطت طائرة روتسكوي في هجوم مباغت شنته مقاتلة باكستانية، كانت طائرة سو-25 مزودة بصواريخ جو-جو. على عكس طائرة A-10A. اليوم، إذا أصدر رادار بيريوزا (رادار استهداف العدو) إشارة صوتية في قمرة قيادة طائرة هجومية، فإن طائرة غراش ستستدير لمواجهة الخطر وتطلق سهامًا نارية في وجهها. من المحتمل جدًا أنه بعد اقتحام مواقع العدو، ستواجه طائرة سو-25 طائرة A-10 في طريق عودتها. وستُسقطها، وهي خرقاء وبطيئة، كما في ساحة تدريب.

تم اختبار طائرة A-10A في القتال فقط فوق مساحات الكويت الشاسعة المسطحة عام 1991. وتم اختبار طائرة غراش في فوضى جبال أفغانستان، حيث أنقذت أرواح آلاف الجنود الروس. وأثبتت جدارتها في الشيشان. إذا أُسقطت 14 طائرة "روك" بصواريخ ستينجر خلال حرب أفغانستان بأكملها، فإن رجال دوداييف لم يتمكنوا من تدمير سوى ثلاث طائرات سوخوي بنفس الأسلحة الأمريكية. وفي يناير 1995، نجحت طائرة سو-25 في تغطية قصر دوداييف في قلب غروزني بقنابل خارقة للخرسانة. كان القصر مصنوعًا من خرسانة شديدة الكثافة ومحصنة، وقد اخترقته قنابلنا التي أصابت المخابئ والأقبية بالكامل. لكن تلك كانت طائرة سو-25 فقط. أما طائرة الهجوم فائقة الحداثة منخفضة الارتفاع، "الطراد الطائر"، فلا مثيل لها في العالم - وصفناها في الفصل السابق. على خلفيتها، تبدو طائرة "ثندربولت" قديمة الطراز تمامًا.

في كتاب "العاصفة الحمراء" للكاتب الأمريكي كلانسي، تُسيطر طائرات A-10A بسهولة على ساحة المعركة، مُحرقةً عشرات الدبابات السوفيتية. جميع صواريخ ستريلا المحمولة المضادة للطائرات التي أطلقها الروس تمر بجانبها مباشرةً. بحلول منتصف الثمانينيات، كانت صواريخ ستريلا قد عفا عليها الزمن. وكانت القوات تتلقى أنظمة إيغلا، التي كانت تتفوق حتى على صاروخ ستينغر المحمول المضاد للطائرات.

يصف كتاب الخيال العلمي "ساعة قبل منتصف الليل" لستيفن هانتر، الصادر عام ١٩٩٠، أحداث صواريخ ستينغر ضد طائرة A-10A. استخدمتها مجموعة من المحاربين الأفغان القدامى بقيادة الرائد السوفيتي ياسوتي (لا يعرفون أسماءنا!)، والذين استولوا على منصة إطلاق صواريخ باليستية في الولايات المتحدة، بهدف ضرب الاتحاد السوفيتي بها، مما أدى إلى سقوط نظام غورباتشوف الموالي لأمريكا.

باختصار، تُمزق صواريخ ستينغر هناك طائرات الهجوم واحدة تلو الأخرى. في غضون ذلك، ومنذ عام ١٩٨١، لدينا صاروخ إيغلا محمول، يُطلقه جنود المشاة من الكتف. في عام ١٩٩١، خلال الحرب مع العراق، كان صاروخ إيغلا-١ هو الذي أسقط طائرة تابعة لمشاة البحرية الأمريكية. في عام ١٩٨٣، بدأ مصنع كولومنا بإنتاج صاروخ إيغلا-٢ برأس توجيه بصري جديد، مزود أيضًا بوحدة اختيار هدف منطقي. تعمل هذه الوحدة على تصفية التداخل وتتجاهل الأهداف الزائفة - مصائد الأشعة تحت الحمراء. تضاعف احتمال إصابة الطائرات بهذا الصاروخ المحمول ثمانية أضعاف.

ما الذي سنستخدمه لسحق طائرات الهجوم الأمريكية؟ لنقارن صاروخ ستينغر بصاروخ إيغلا-٢. يُصيب الصاروخ الروسي أهدافًا في نطاق ارتفاع يتراوح بين ١٠ و٣٥٠٠ متر. أما صاروخ ستينغر، فيتراوح ارتفاعه بين ٣ و٣٥٠٠ متر. تبلغ السرعة القصوى للهدف الذي يُصيبه صاروخ إيغلا ٤٠٠ متر في الثانية. أما صاروخ ستينغر، فتبلغ سرعته ٣٤٠ مترًا في الثانية. يتراوح احتمال إصابة هدف بصاروخ واحد بين ٠,٣٨ و٠,٥٨ بالنسبة لنا، وبين ٠,٣ و٠,٥ بالنسبة للأمريكيين. يبلغ أقصى مدى قتالي لصاروخ إيغلا ٥,٢ كيلومتر، بينما يبلغ مدى صاروخ ستينغر ٤,٥ كيلومتر. يُوضع صاروخنا في موقع القتال خلال ١٣ ثانية، بينما يستغرق ستينغر ٣٠ ثانية.

حسنًا، ماذا كان ليحدث لطائرات "ثندربولت" البطيئة والخرقاء لو أنها واجهت الجيش الروسي، وليس الجيش العراقي؟

لقد خاضت طائرة "سو-٢٥" تجربةً قاسيةً للغاية. في يوليو ١٩٨١، وصل السرب ٢٠٠، المُجهز بهذه الطائرات، إلى شيناند، أفغانستان، للمشاركة في معركة لوركوه، وهي كومة صخرية وعرة وسط سهلٍ مُشمس. حوّلها الباسماشي إلى حصنٍ منيع، مُحاطٍ بأحزمة من حقول الألغام، مُرصّعٍ بنقاط إطلاق نار وتحصينات خرسانية. وصل الجنرال ف. خاخالوف لمراقبة نتائج غارات الطائرات الهجومية. لقي حتفه هناك، وهو يُوجّه مروحيته إلى عمق لوركوه بعد غارة أخرى. بعد ذلك، اقتحمت القوات هذا المعقل بقوة ("الطيران والملاحة الفضائية"، العدد ٢١).

ثم شاركت الطائرة الهجومية رقم 200 في الاستيلاء على هرات، في معارك مع جيش الأمير المحلي توران إسماعيل، الذي كان قوامه خمسة آلاف جندي، والذي كان يسيطر على سبع محافظات تحت سيطرته. حلقت هذه الطائرات في عواصف رملية، وصمدت في وجه هبات "أفغانية" حارقة. منذ سبتمبر 1981، تقاتل طائرات سو-25 في محيط قندهار، على الحدود الباكستانية مباشرة، وتضرب وحدات الدوشمان المحيطة بالمدينة. وعلى مقربة منها تقع جبال مايواند، حيث حُفظت حصون من القرن الماضي. وقاتل طيارونا في وديان الجبال، وألقوا الطائرات في الصخور.

الوديان، حيث لم تُخاطر الطائرات الأخرى بالهبوط. اقتربت طائرة سو-25 من الهدف عبر الوديان. أو، إذا كانت واسعة، "تدحرجت" على منحدر واحد وزحفت حرفيًا خارج الهجوم على طول المنحدر المقابل. ثم حلق أحد الطيارين بالطائرة على طول وادٍ مظلم متعرج، مصيبًا نقطة إطلاق مخفية فيه بشكل موثوق، ثم انفصل بانعطافة قتالية حادة.

أسقطت طائرة الهجوم دبابة وزنها نصف طن بمزيج قابل للاشتعال كثيف، وغطت مساحة 1300 متر مربع بسجادة مشتعلة. أطلقت صواريخ S-8BM غير الموجهة، فسحقت أعشاش البنادق والمخابئ الصخرية. كانت قذائفها S-8DM المملوءة بالمتفجرات السائلة مرعبة بشكل خاص. عندما أصابت الهدف، غلفته بـ"ضباب" مدوي اخترق جميع الزوايا والشقوق، ثم انفجرت هذه السحابة، مدمرة كل شيء. حققت قنابل "فورون" التفجيرية الحجمية التأثير نفسه، حيث جرفت كل شيء ضمن دائرة نصف قطرها 20-25 مترًا. ومع ذلك، ضعف تأثير هذا السلاح في الهواء. لكن مدفع GSh-2-30 كان فعالًا بشكل خاص، حيث كان يمطر العدو بـ 19 كيلوغرامًا ونصف من القذائف كل ثانية.

صمد صندوق المركبة المدرع وزجاج قمرة القيادة المتين أمام رصاصات عيار 12.7 ملم من الرشاشات الثقيلة، وعُثر لاحقًا على آثار رصاصات ملطخة بالجلد على جوانب طائرة سو-25. لكن رصاصة DShK وزنها 50 غرامًا اخترقت حتى "جباه" ناقلات الجند المدرعة!

سرعان ما أصبحت طائرات "25" القوة الضاربة الرئيسية للقوات الجوية الروسية في أفغانستان، وحصلت، كما ذكرنا سابقًا، على لقب "الغربان" - لقدرتها على العثور على العدو و"القضاء عليه" من أصعب الأماكن. تم وضع تكتيكات الهجوم بالتعاون مع المروحيات، التي وجهت طائرات سو-25 إلى أهدافها. وتبعتها مروحيات مدرعة من طراز مي-24، التي "نظفت" أخيرًا منطقة الهجوم. في 2 فبراير 1983، في ولاية مزار الشريف، قتلت عصابة من قرية فاشخاك مهندسينا العاملين في مصنع أسمدة محلي. وكتحذير، سُوّيت القرية بالأرض بهجوم شنته الغربان والمروحيات. وولدت أيضًا "دبلوماسية الطائرات الهجومية"، عندما سلم شيوخ القبائل جنودًا أسرى بعد إضرابات احتجاجية. اعترضت طائرات سو-25 العصابات الكبيرة، وملأت الممرات الجبلية بالألغام. حلقت هذه الطائرات لملاحقة مفارز الأفغان المتنقلة، وغطت المواكب التي تتحرك على الطرق الجبلية. لم يحدث شيء مماثل في الشيشان. جاءت الأوقات الصعبة في مايو 1985، عندما بدأت عملية باندشير الرابعة في المناطق الوسطى من البلاد، عندما اضطروا إلى القتال مع قوات أحمد شاه، المسلحة بمدافع سويسرية سريعة النيران مضادة للطائرات من طراز Oerlikon-Berle عيار 20 ملم. ثم استخدمنا قاذفات صواريخ B-13L عيار 122 ملم، والتي أطلقت أربعة أميال بصواريخ S-13-OF و S-13 المتشظية شديدة الانفجار، والتي اخترقت طبقة من الأرض والصخور يبلغ سمكها ثلاثة أمتار فوق التحصينات. ودمرت صواريخ S-25 الثقيلة غير الموجهة برأس حربي يزن مائتي كيلوغرام الحصون والحصون الصخرية. تم تعليق حاويات مزودة بمدافع GSh-23 متحركة تحت الأجنحة، والتي يمكنها إطلاق النار حتى للخلف، خلف الذيل. غطت هذه المدافع طائرة الهجوم عند مغادرة الهجوم، عندما تم إطلاق النار عليها من الخلف. في ربيع عام 1986، اختبر الطيارون

الصواريخ الموجهة بالليزر - Kh-25 و Kh-29L. تم تحديد الأهداف من طائرة أخرى باستخدام جهاز تحديد المدى بالليزر Klen-PS. ولكن اتضح لاحقًا أنه من الأفضل تحديد الأجسام المموهة من الأرض. ولهذا الغرض، تم إدخال مركبات BOMANs القتالية الموجهة جوًا والمبنية على ناقلات جند مدرعة. وبفضلها، تم تدمير العديد من المقرات واللجان الإسلامية. وستفتقدنا مركبات BOMANs كثيرًا في الحملة الشيشانية.

دمرت صواريخ الليزر التي أطلقتها طائرات الهجوم الكهوف المحصنة التي كانت منيعة ضد الأسلحة الأخرى. واصطدمت مباشرة بمداخل الأكياس الحجرية والثغرات الضيقة. واستُخدم صاروخ Kh-29L الثقيل برأس حربي قوي وزنه 317 كيلوغرامًا بنجاح كبير. وباختراقه للصخور، اخترق بعمق وكسر أكثر الأجسام مناعة من الداخل. واستُخدم ما مجموعه 129 صاروخًا موجهًا بالليزر في أفغانستان. أُطلقت من مسافة 4-5 كيلومترات في غوص ضحل بزاوية 25-30 درجة. ومع ذلك، استُخدمت أيضًا صواريخ S-25L أبسط، مُجهزة برأس حربي مُوجّه بالليزر. يتذكر قائد سرية إنزال، مُحاصر بنيران من مخبأ مُعلّق فوق وادي بغلان: "لم نستطع رفع رؤوسنا، عندما حلقت طائرتان فجأةً فوقنا، ثم طار شيء خفيف في الفجوة بين الصخور وحوّل المخبأ إلى أنقاض." (ف. ماركوفسكي، "العودة إلى الحصن"، "المعدات والأسلحة"، العدد 10، 1996).

كان اليهود أول من استخدم هذه الصواريخ عالية الدقة في القتال خلال اقتحام بيروت عام 1982. آنذاك، كانوا يطاردون الزعيم الفلسطيني عرفات، مُطلقين صواريخ مُوجّهة كادت أن تصل إلى نوافذ المباني. وكما ترون، كانت لدينا أسلحة مُماثلة أيضًا. يبدو أن هذا ما كان يدور في خلد غراتشيف عندما وعد بفخر بالاستيلاء على غروزني في لمح البصر في ديسمبر 1994. لكن جذع بيلوفيجسكايا الفقير في بلد عظيم لم يعد يملك الإمكانيات: ففي الشيشان، لم تُستخدم سوى القنابل التقليدية والصواريخ غير الموجهة. ثم - ثم - اجتازت طائرة سو-25 أصعب اختبار في أصعب الحروب - حرب الجبال. عندما أُطلقت النيران على الطائرات الهجومية حتى من الأعلى، من قمم الجبال وتلالها. لم تنجح الطائرة الأمريكية A-10A في هذا الاختبار.

ل.

لكن الاختبار الأصعب كان ظهور صواريخ مضادة للطائرات محمولة بين طائرات الدوشمان. جذبها التيار الحراري، فأصابت المحركات ونظام الوقود. فُقدت أول طائرة من طراز "روك" في 16 يناير 1984. ثم بحلول نهاية العام، فقدنا خمس طائرات أخرى بسبب الصواريخ. كان علينا تحسين نظام الدفاع بشكل عاجل. في السابق، كانت كل طائرة سو-25 تحمل أربعة شرائط خاصة مزودة بخراطيش تعمل بالأشعة تحت الحمراء - أهداف وهمية. لكن الطيارين لم يستخدموها - كان عليهم تشتيت انتباههم في اللحظة الأكثر حدة من الهجوم للضغط على المفتاح الموجود على جانب قمرة القيادة. ولم يكن تزويدهم بالخراطيش "الوهمية" كافيًا إلا لدقيقة واحدة. فات الأوان لتشغيل النظام عند ملاحظة الإطلاق - فقد كان رأس الصاروخ قد أصاب الهدف الحقيقي بالفعل.

وجدنا مخرجًا من هذا الوضع بجعل نظام إطلاق الأهداف الوهمية آليًا، مع مضاعفة كمية الخراطيش. كان يتم تشغيله في بداية اقتراب القتال، ويتوقف بعد نصف دقيقة من مغادرة الهجوم. وكثيراً ما كان الطيارون يسمعون الصواريخ التي تُطلق عليهم وهي تنفجر خلفهم.

لكن الأمر ازداد سوءاً في عام ١٩٨٦، عندما زوّد الأمريكيون الأفغان بصواريخ ستينجر محمولة مضادة للطائرات، مزودة برأس توجيه حساس للغاية يُميّز بسهولة حرارة محركات الطائرات عن فخّ مشتعل. إضافةً إلى ذلك، كانت هذه الصواريخ تنفجر حتى دون أن تلامس الطائرات التي تمر بالقرب منها. في نوفمبر ١٩٨٦، دمّروا أربع طائرات هجومية تابعة لنا. وبحلول سبتمبر ١٩٨٧، بلغت الخسائر سرباً كاملاً.

ثم أصبح من الضروري زيادة قدرة الطائرة على الصمود بشكل عاجل. كانت طائرة "روك" تمتلك ما يكفي منها بالفعل. وصل الرائد أ. ريباكوف إلى المطار بطائرة بمحرك متعطل، مُغمور بالكيروسين من خزانات مثقوبة، ومظلة قمرة قيادة مُخترقة، ونظام هيدروليكي معطل. لم تعمل أي أداة، وهبط الطيار ذو العينين المحتقنتين بالدم بالطائرة "على بطنها" بأوامر من مساعده. وفي 28 يوليو، عادت طائرة "روك" مشتعلة إلى القاعدة بثقب في جانبها طوله متر ونصف. حتى أن الطائرات عادت بذيول شبه ممزقة وجناح ممزق. ثم توجه كبير مصممي الطائرات الهجومية، ف. باباك، بنفسه إلى أفغانستان، وأحضر من هناك إلى موسكو طائرة سو-25 مصابة بصاروخ "ستينغر". أصابت الصواريخ الآلات بشكل رئيسي من الأسفل ومن جانب المحركات، مما أدى إلى تدمير الضواغط والتوربينات، التي قذفت شفراتها إلى الجوانب بفعل قوة طرد مركزي هائلة، وحطمت كل شيء في طريقها بشكل أسوأ من القذائف. حطمت "أوعية" تركيبات الوقود. لذلك، بدأت طائرات سو-25، ذات القدرة

العالية على البقاء، بالوصول إلى الجبهة - مزودة بقضبان تحكم فولاذية مقاومة للحرارة، وألواح فولاذية على جوانب حجرات المحركات، وحصائر واقية مصنوعة من الألياف الزجاجية، ومزودة بإيقاف تلقائي لإمدادات الوقود عند تشغيل نظام مكافحة الحرائق. تم تركيب مداخل هواء خاصة لضخ الهواء فوق المحركات وتبريد الفوهات، مما يجعل الطائرة أقل جاذبية للصواريخ. كما عملت الستائر المدرعة لمظلة الطائرة بكفاءة، وتم تسليح نظام طرد الأهداف الكاذبة بشكل إضافي.

منذ أغسطس 1987، بدأت هذه الطائرات بالوصول إلى الجبهة. كما تم استخدام تقنيات جديدة. الآن، تقلع الطائرة بشكل حلزوني وتهبط بشكل حاد للغاية، باستخدام مكابح هوائية. وشهدت الغارات الليلية المزيد من الغارات، حيث كانت طائرات سو-17 القديمة تضيء الأهداف بقنابل الثريا. ومع ذلك، أجبرت صواريخ "ستينجر" طائرات "روك" على التحليق إلى ارتفاعات أعلى.

2

مع مطلع التسعينيات، كانت قوة الطيران الهجومي الروسي على وشك الصعود من جديد. ثم طوّر مكتب سوخوي للتصميم بقيادة ف. باباك نموذجًا جديدًا - سو-25تي، "الدبابة الطائرة" في عصر الأسلحة عالية الدقة. حلقت طائرة "T" في السماء عام ١٩٨٤، ونجحت في حل "مشكلة ستينغر".

تُعدّ هذه الطائرة خير رد على من يُحبّون الحديث عن "التخلف الروسي". قمرة القيادة مُدرّعة من سبائك التيتانيوم. خزانات وقود في جسم الطائرة، مُملوءة برغوة البولي يوريثان. تُخمّد هذه المادة رذاذ الوقود المُدمّر، مما يمنع اندلاع الحرائق عند إصابة الخزانات بالرصاص أو الشظايا. يُفصل خزان الوقود بشكل خاص عن مداخل هواء المحركين على جناحي الطائرة الهجومية، وذلك لمنع السائل المُتدفّق من الخزان المُمزّق بفعل قذيفة من اشتعال المحركات.

جُهّزت طائرة Su-25T بقسم مركزي مُعزّز - الجزء الأوسط من الهيكل - بالإضافة إلى حماية إضافية لأنابيب الوقود وقضبان التحكم. وكانت النتيجة مقاتلة مُجنّحة قادرة على مهاجمة عدو مُسلّح بصواريخ ستينغر ومدافع آلية سريعة النيران. انخفض احتمال تدميرها، مُقارنةً بطائرة Rook السابقة، من أربعة إلى ستة أضعاف.

يمتلك طيار سو-25تي نظامًا إلكترونيًا بصريًا فريدًا، يُسمى شكفال، وهو عبارة عن شاشة في الجزء العلوي الأيمن من لوحة العدادات. عندما تُحلّق طائرة الهجوم، يمسح رأس التصويب الأرض تحتها. وإذا ظهر شيء مريب على الشاشة، يضغط الطيار على زر تحديد الهدف على عصا التحكم في الطائرة. يُكبّر شكفال صورة الهدف المُلتقط 23 مرة. يرى دبابة على مسافة 8-10 كيلومترات، ومروحية قتالية مثل الأباتشي الأمريكية - من مسافة ستة أميال.

يتذكر "شكفال" هدف الهجوم المُختار ويخزن صورته في "دماغه". يمكن للعدو أن يندفع ويدور بشكل عشوائي، لكن مخالب النظام الخفية لن تُفلته، حيث تقيس المسافة إليه بدقة باستخدام مُحدد مدى ليزري. صاروخ مُوجّه أُطلق من سو-25تي بفضل "شكفال".

تصيب الصواريخ العدو في نحو مئة حالة. وإذا كانت النيران صواريخ غير موجهة، فإن دقة الإصابة تتضاعف ثلاثة أضعاف تقريبًا. قنبلة تسقط من أبراج جناح طائرة هجومية على ارتفاع خمسة كيلومترات تصيب دائرة قطرها 25 مترًا. حقًا، "شكفال" هو عينا صقر "دبابة طائرة". وحتى عندما يهبط الظلام على الأرض، يندفع "الخامس والعشرون" الجديد في الظلام، كـ"نازغول" مجنح من حكايات تولكين المخيفة، ويخترق بصيرته ظلمة الليل. في حاوية أسفل جسم الطائرة، تستطيع طائرة سو-T25 حمل منظار تلفزيوني منخفض المستوى يرصد دبابة العدو حتى في ضوء القمر الخافت على بُعد ثلاثة أميال. على الشاشة أمام الطيار، تُحسّن الصورة، ويزداد تباينها وسطوعها، وتصبح الخطوط غير الواضحة واضحة. في عمليات الصيد الليلية، تضرب طائرة الهجوم جسور السكك الحديدية من مسافة تتراوح بين ستة وثمانية كيلومترات، وسفينة نهرية من مسافة تتراوح بين ثمانية واثني عشر كيلومترًا، دون دخول منطقة إطلاق صواريخ ستينجر.

في القتال، تستعين الطائرة بمراقبي الحركة الجوية التابعين لها، الذين يوجهون أشعة الليزر إلى أهداف العدو. بفضل معدات الملاحة المحلية، الموجهة بأقمار صناعية من نظام أوراغان، تستطيع الطائرة العمل كجراح، فتصيب العدو في أكثر المناطق حساسية.

وفي أحيان أخرى، يمكن لطائرة "T" أن تتحول إلى روبوت وتطير بشكل مستقل، ويمر المسار المبرمج عبر نقاط محددة مسبقًا في التضاريس. ذاكرة الكمبيوتر على متن الطائرة قادرة على تخزين مسارات الاقتراب المتكرر من الهدف أو الهبوط.

طائرة الهجوم جاهزة لاختراق خطوط الدفاع الجوي القوية. ستكتشف محطة الاستطلاع اللاسلكي على متن الطائرة الرادارات العاملة في المقدمة، وتُقيّم درجة التهديد، وتُقدم نصائح حول كيفية تجنب أشعة الرادار أو إطلاق صاروخ. سيندفع صاروخ Kh-58U المُطلق نحو رادار العدو العامل. المحطة مُتصلة بنظام شكفال، ولذلك حتى لو أوقف العدو جهاز تحديد المواقع في محاولة للنجاة، فسيظل مُعرّضًا لصواريخ الطائرات الهجومية الروسية.

في معركة حامية الوطيس مع المدفعية المضادة للطائرات، تعمل معدات التشويش بلا كلل. من خلال توليد العديد منها - وميض، توجيه، ضوضاء - تُخدع رؤوس التوجيه. "ستينجر"، تلك الصواريخ الرهيبة، تندفع نحو حرارة الطائرة. هل هي في المقدمة؟ نظام إطلاق 192 هدفًا وهميًا مُفعّل. هل تُطلق من الخلف؟ يُضاء مصباح سيزيوم قوي عند قاعدة الذيل، ووميضه "يسحر" الصواريخ المتجهة نحو الحرارة، مثل أنبوب هندوسي - كوبرا سامة. تُقاد صواريخ "ستينجر".

ولتقليل انبعاث الحرارة من طائرة سو-25تي، وضع مُصنّعوها أجسامًا انسيابية خاصة في فوهات المحرك، تحجب شفرات التوربينات الساخنة عن أجهزة استشعار الصواريخ. وطوّروا مداخل هواء إضافية تمزج تيارات الهواء النفاثة المقذوفة بالهواء البارد.

أخطر سلاح للطائرة الهجومية هو صواريخها الستة عشر الأسرع من الصوت، والتي لا يمكن خداعها بهدف زائف. كما تحمل كل طائرة سو-25 تي أربعة صواريخ مضادة للسفن من طراز Kh-31A أو Kh-35 تحت جناحيها. وويلٌ للسرب الذي يُصاب بثلاث طائرات هجومية على الأقل!

كما زوّد المصممون هذه "الدبابة الطائرة" برادارات بعيدة المدى مزودة بأنظمة معالجة بيانات رقمية ذكية. حتى في ظل السحب الكثيفة، تستطيع الطائرة رصد مجموعة من الدبابات على بُعد 25 كيلومترًا، ورافعات الموانئ أو الأرصفة على بُعد مئة ميل، وزورق صاروخي على بُعد 75 كيلومترًا. تُجمّد الصورة الناتجة على الشاشة، ويُطفأ الرادار للتخفي، وتتحرك الطائرة، مسترشدةً بنظام الملاحة.

بحلول الوقت الذي انهار فيه الاتحاد السوفيتي، لم نتمكن من بناء سوى ثماني طائرات سو-25 تي في مصنع تبليسي للطائرات. لكن لو لم يكن لدينا ثرثارٌ عديم الموهبة في السلطة، لكانت الإمبراطورية قد حصلت على أسراب من أفضل طائرات الهجوم الأرضي في العالم في التسعينيات. وكم كنا بحاجة إليها في عامي ١٩٩٥-١٩٩٦، عندما اضطر الروس للقتال بطائرات سو-٢٤ وسو-٢٥ القديمة والمتهالكة ضد العصابات الشيشانية المختبئة في غابات سفوح الجبال، المليئة بصواريخ "ستينجر"، عندما اضطروا للقتال في متاهات الأحياء السكنية!

وفي نهاية الإمبراطورية الحمراء، كان المصممون قد بدأوا بالفعل في صنع طائرة الهجوم الخارقة سو-٣٩. القادرة على قتال مقاتلات العدو جوًا. عندما هاجمت مقاتلة باكستانية روتسكوي في أفغانستان، وصدر صوت حاد من طائرة بيريزكا في قمرة القيادة، مُحذرًا من هجوم، لم يكن أمام الطيار سوى توجيه الطائرة الهجومية نحو الخطر. لكن صواريخ R-27R وR-27ER وRVV-AE وR-73 التي تحملها طائرة سو-39 قادرة على إسقاط طائرات العدو في مواجهة مباشرة. يرصد رادار "الفرقة 39" المقاتلة من الأمام على مسافة 57 كيلومترًا، ومن الخلف على مسافة 25 كيلومترًا. صواريخ RVV-AE ذات التوجيه بالقصور الذاتي مخيفة بشكل خاص. فهي لا تحتاج إلى توجيه، بل "تُنير" العدو بالليزر.

حتى مصنع أولان أودي أتقن إنتاج طائرة سو-39. لكن روسيا في عهد يلتسين لا تملك المال الكافي لشراء مثل هذه الطائرة.

حتى الآن، تحدثنا بشكل رئيسي عن مركبات الهجوم المجنحة. لكن الإمبراطورية كانت تمتلك أيضًا أسلحة طائرة أخرى - المروحيات.

تساءلتُ إن كنتُ على وشك مواجهة القوة النارية المدمرة المخبأة خلف هيكل التيتانيوم لطائرة هليكوبتر روسية من طراز Mi-24 للدعم الجوي. مع اقتراب المروحية، سُمع صوت صواعق... وأُمِرنا بالعودة فورًا، إلى حضن الغابة الكثيفة.

... صوت

"انحسر الصوت تدريجيًا في البعيد، وتنفسنا جميعًا الصعداء"، يتذكر رودي سكوت، مؤلف كتاب "جندي الحظ"، الذي زار سيراليون الأفريقية التي مزقتها الحرب. ومع ذلك، علينا أن نبدأ برحلة تاريخية.

هل تذكرون مشهد الهجوم على قرية فيتنامية من فيلم "القيامة الآن" لكوبولا؟ حيث تنقض سرية الكابتن كيلهورن، على أنغام أغنية "رحلة الفالكيريات" لفاغنر، وتمزق أكواخ الخيزران بالصواريخ والمدافع سريعة الإطلاق؟ الشخصية الرئيسية في تلك الحلقة هي مروحية UH-1 إيروكوا ذات وجه حاد وجوانب مفتوحة. رُسمت عليها رموز جيش العبيد في الولايات الجنوبية من عام 1861 إلى عام 1865. جعلت الولايات المتحدة من المروحية رمزًا لحضارتها القائمة على الكروم في الخمسينيات والسبعينيات. تملأ المروحيات أفلامهم وقصصهم المصورة، ويعبدونها. منذ منتصف قرننا هذا، أصبحت سلاحًا قويًا في ساحة المعركة ودعمًا ناريًا للقوات. في الستينيات، كانت طائرة الإيروكوا هي المروحية القتالية الرئيسية للنجوم والمشارب. لدينا طائرة Mi-4، التي تم إنشاؤها في عام 1952. منذ عام 1954، دخلت الخدمة مع القوات المحمولة جواً للإمبراطورية. وهي مسلحة بمدفع رشاش وكتل من الصواريخ غير الموجهة والمضادة للدبابات. طائرة الإيروكوا هي في نفس عمر Mi-4. في فيتنام، اتضح أن قدرتها على البقاء ضعيفة وسرعتها منخفضة وقدرتها على المناورة محدودة. دعونا نقارن UH-1D مع محاربنا المخضرم. طائرة Mi-4 أثقل: 5.5 طن مقابل 2.36 لطائرة الإيروكوا. تبلغ سرعة الأمريكية 211 كيلومترًا في الساعة مقابل مائتي كيلومتر لطائرتنا. لكن مدى الطيران أقل - 480 ميلًا مقابل خمسمائة ميل لطائرة Mi-4. وإذا كانت طائرتنا مزودة بنظام مضاد للتجمد، فإن الأمريكية محرومة منه. حملت طائرة "ميل" على متنها ستة عشر مقاتلة مدرعة بالكامل أو شاحنة GAZ-53 واحدة، بينما حملت طائرة "إيروكوا" عشرة أرواح فقط.

تتمتع طائرة Mi-4 القديمة بالقدرة على القتال في القطب الشمالي وفي الأدغال. وحتى في الجبال، بفضل قدرتها على التحليق على ارتفاع كيلومترين (هذا هو سقفها الثابت)، وفي حالة الحركة (السقف الديناميكي) ترتفع طائرة "الأربعة" إلى أربعة كيلومترات. يبلغ سقف طائرة "إيروكوا" الثابت 980 مترًا، بينما يبلغ مدى حركتها الديناميكي 3.5 كيلومتر. بالمقارنة مع طائرة سبارتان Mi-4 الثقيلة، تبدو "الأمريكية" كسفينة حربية خفيفة أمام بارجة حربية قوية.

في عام 1962، ظهرت المروحية الروسية الثانية، Mi-8، بوزن أربعة أطنان، وسرعة 250 كيلومترًا في الساعة، وسقف ديناميكي يبلغ 4.5 ميل، وسقف ثابت يبلغ ستمائة متر. كانت مزوّدة برشاش من عيار كبير، وقنابل، ونظام NURS مثبت على أبراج تعليق خارجية. ولمواجهة صواريخ أرض-جو والصواريخ الحرارية، زُوّدت الطائرة بأنظمة تشتيت غازات العادم، وطرد الأهداف الكاذبة، وتوليد إشارات الأشعة تحت الحمراء النبضية. خاضت طائرة Mi-8 الحرب الأفغانية، ولا تزال تُذهل الجميع بقدرتها على الصمود في المعارك على الحدود الطاجيكية والشيشان.

أجبرتنا تجربة الحروب الفيتنامية والعربية اليهودية، نحن والولايات المتحدة، على تطوير مروحيات جديدة. سلك الأمريكيون طريق تطوير طائرات ذات مقعدين قادرة على قتال الدبابات ودعم المشاة بالنيران. على سبيل المثال، تُعد طائرة AN-1G "هيو كوبرا" طائرة مفترسة نحيفة بسرعة 277 كيلومترًا في الساعة، مزودة بقاذفة قنابل يدوية، ومدفع رشاش، وصواريخ مضادة للدبابات (1971). لاحقًا، سيتم تزويدها بأربعة صواريخ مضادة للطائرات من طراز "سايدويندر" أو "ستينغر". في سبتمبر 1975، حلقت طائرة "بيل-409" إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بسرعة 263 كيلومترًا في الساعة، كانت تحمل مدفعًا ثلاثي السبطانة عيار 30 ملم. وفي عام 1983، ظهرت طائرة "أباتشي AN-4"، بطلة فيلم الإثارة المثير "الرعد الأزرق". كانت تحلق بسرعة مقاتلة من الثلاثينيات - 320 كيلومترًا في الساعة، وترتفع إلى ارتفاع ستة أميال وربع الميل، وتقطع مسافة 610 كيلومترات دون إعادة التزود بالوقود. لا تزال هذه الطائرة فخر الولايات المتحدة الأمريكية، قاتلة دبابات، مهيأة

للعمل في أي وقت من اليوم وفي أي طقس. يوجه طياران كلاً من المدفع عيار 30 ملم والصواريخ برؤوس ليزر باستخدام حركة رؤوسهما في خوذات إلكترونية. صُممت مقصورة الأباتشي لمقاومة قذائف عيار 23 ملم. تم اختبار هذه الطائرة عام 1991، خلال الحرب "النموذجية" مع العراق على أرض مستوية. اخترنا مسارًا مختلفًا بعض الشيء. في عام ١٩٦٩، ظهرت طائرة Mi-24، لم تكن مجرد طائرة هجومية ومدمرة دبابات فحسب، بل كانت أيضًا مركبة قتالية تتسع لثمانية جنود مشاة. طائرة بمحركين، تبلغ سرعتها القصوى ٣١٥ كيلومترًا في الساعة، ويبلغ مداها ٤٥٠ ميلًا. يبلغ ارتفاعها الثابت ١٠٥٠ مترًا، وارتفاعها الديناميكي ٤,٥ ميل. على سبيل المثال، تُسلح طائرة Mi-24D برشاش ثقيل رباعي الفوهات وصواريخ موجهة مضادة للدبابات. أما طائرة Mi-24P، فقد زُوّدت بمدفع عيار ٣٠ ملم. وكانت هذه أول مروحية لنا مدرعة.

حققت سبعة أرقام قياسية عالمية، وقاتلت في أفغانستان. أطلق عليها الأمريكيون اسم "هيند". كتب كلانسي في "العاصفة الحمراء": "...إنه طائر هجومي، يشبه الكوبرا. خبر سيء يا ملازم. بداخله ثمانية جنود والكثير من أسلحة NUR والرشاشات. ولا تفكر حتى في إطلاق النار عليه. هذا الوغد مُدرّع كالدبابة...

...تذكر محاضرة عن المروحيات السوفيتية قرأوها في أكاديمية سلاح الجو. هناك اقتبسوا من أحد الأفغان: "لسنا خائفين من الروس، لكننا خائفون من مروحياتهم"..."

4

في يونيو/حزيران 1982، غزا الجيش الإسرائيلي لبنان. أُلقيت أفضل الأسلحة في المعركة. ارتفعت سحب كثيفة من الدخان الأسود فوق بلدة عين زغلتا الجبلية. مروحية مي-2

هاجم أربعة سوريين لواء دبابات يهوديًا. اشتعلت النيران في المركبات الثقيلة، بعد أن أصابتها صواريخ بانزربلتز. لم تُسجل أي خسائر في صفوف المروحيات.

أنغولا في منتصف الثمانينيات. من الجنوب، يتقدم "كلاب الحرب" - قوات البوير، البيض من جنوب أفريقيا - نحو النظام الموالي للسوفييت، نحو مناجم الماس. هرعت أسراب مدرعة من دبابات تي-24 لملاقاتهم. قال البوير لاحقًا باحترام: عنيدون للغاية. أي شيء عياره أقل من 23 ملم لا يصمد أمامهم. في أكتوبر 1987 - أوائل 1988، سحقت قوات "الأميال" الأرتال الآلية للجنوب أفريقيين بالقرب من مدينة كويتو كوانافالي.

في عام 1987، عندما غزت القوات الباكستانية المجهزة تجهيزًا جيدًا الهند، طردتهم طائرات مي-24 من التيارات الجليدية لنهر سياشين الجليدي.

عام ١٩٨٠. اندلعت الحرب الإيرانية العراقية الشرسة - أكبر صراع مسلح منذ الحرب العالمية الثانية. قاتل العراقيون بدباباتنا الطائرة - ضد مروحيات ومقاتلات كوبرا البحر الفارسي. مقابل كل عشر طائرات "ثعابين" أُسقطت، فُقدت ست طائرات من طراز Mi-24. في المجموع، أسقطت مروحياتنا ٥٣ طائرة معادية في تلك الحرب. في أكتوبر ١٩٨٢، ولأول مرة في العالم، أسقطت مروحية، في مواجهة مباشرة مع مقاتلة، طائرة فانتوم تفوق سرعة الصوت. بطل اليوم هو مروحيتنا Mi-24. لدينا الآن مروحية ميدانية رخيصة نسبيًا! (اقتبسنا هذه الأمثلة من مقال أ. كوتلوبوفسكي و ر. مارابيف في "الطيران والوقت"، العدد ٣، ١٩٩٦).

أصبحت الصورة الظلية الضيقة والممدودة لطائرة "٢٤" مألوفة لنا. يعسوب معدني مهيب بجسم مموه، يندفع فوق الأرض المتمردة، مائلًا أنفه قليلًا. كما لو كانت تتبع أثر أحدهم، مستعدة في أي لحظة لإطلاق سهام دخانية من الصواريخ المدمرة أو إطلاق وابل من النيران الآلية. أصبحت طائرة مي-24 قاربًا قتاليًا لفرسان روسيا في أواخر الألفية الثانية، رائعة وقوية، وسلاحًا من أسلحة الحرب القارية. من المرير الاعتراف بذلك، ولكن في عام 1995، كانت طائرات مي-24 مهترئة بشكل قاتل، بعمر خدمة عشرين عامًا، تحلق في الشيشان. بمعدات ملاحة معطلة ونظام قاذفات أهداف غير ضرورية معطل. مع أن رجال دوداييف مسلحون بصواريخ "إيغلاس" و"ستينجر"، بنصف ذخيرة، وبدون صواريخ ليزر وأسلحة عالية الدقة بشكل عام. أطلق طياروهم على أنفسهم اسم "كاميكازي". هذه بعض عواقب حكم نظام المختلسين. لا تشتري القوات المسلحة الروسية سوى بضع طائرات هليكوبتر سنويًا، والطائرات الموروثة من الاتحاد السوفيتي تتدهور بسرعة، وبحلول عام ٢٠٠٥، ستفقد القوات البرية مجموعتها الكاملة من طائرات الهليكوبتر القتالية...

اختُبرت طائرات Mi-24 في القتال في أفغانستان. كان عليها أن تقاتل نخبة من أفضل المقاتلين في العالم، وأن تحلق في أجواء الجبال الحارة والرقيقة. وبحلول نهاية عام ١٩٨٠، كان الجيش الأربعون يمتلك بالفعل مئتي طائرة. (وبناءً على تقديرات عام ١٩٩٦، كانت روسيا في عهد يلتسين ستحتاج إلى حوالي مئة عام لتزويد القوات بنفس العدد من الطائرات). في يونيو من العام نفسه، قصفت ثماني طائرات Mi-24 "جبل اللصوص" سانغي-دوزان بالقرب من فايز آباد - وهو حصن طبيعي مليء بالجحور، والذي، وفقًا للأسطورة، لم يستولي عليه إسكندر ذو القرنين - الإسكندر الأكبر - بنفسه (الطيران والوقت، العدد ٤، ١٩٩٦). ثم، في جيب فايز آباد، استخدم طيارو المروحيات لأول مرة قنابل ODAB الانفجارية الحجمية التي كانت لا تزال معيبة آنذاك. عندما انفجرت، مخلفةً سحابة من المتفجرات الضبابية، كانت الصورة أشبه بالجحيم. مبانٍ تُهدم وتُحرق، وجثثٌ محترقة، وجرحى مُصابون بالعمى والصمم. ثم ظهرت صواريخ M1209 الانفجارية الحجمية، التي أطلقها مشغلو المروحيات من مسافة كيلومتر ونصف إلى كيلومترين مباشرة على أفواه الكهوف الجبلية. أطلقت الطواقم الأكثر خبرة صواريخ S-24 الثقيلة غير الموجهة برأس حربي يزن 123 كيلوغرامًا. سمح لهم هذا بإطلاق النار من مسافة ميلين دون دخول منطقة إطلاق النار من الأرض.

في ديسمبر 1986، استخدمت طائرات Mi-24 بالقرب من باغرام قنابل FOTABs - وهي قنابل فلاشية تُعمي جميع الكائنات الحية لعدة ساعات في دائرة نصف قطرها 25-30 مترًا. لكن هذا، كما يقولون، كان غريبًا. كان العمل الرئيسي هو مطاردة القوافل الأفغانية المكتظة بالصناديق، ومرافقة أرتال النقل، وتطهير مواقع الهبوط بالنيران. يقول شهود عيان إنه بعد إطلاق وابل من صواريخ S-5S المملوءة بالمتفجرات والإبر الفولاذية، صمتت المدافع الرشاشة في الأسفل. وتحول المدفعيون أنفسهم إلى أكوام من اللحم المفروم، متشبثين بفولاذ السلاح.

5

ومع ذلك، احتاجت طائرة Mi-24 إلى استبدال. اتضح أن آمال استخدامها كمركبة قتالية مشاة طائرة لم تكن مبررة. لم يكن الطيارون متحمسين لأخذ ثمانية مظليين على متنها: كانت المروحية تزداد وزنًا وتفقد قدرتها على المناورة. لدعم القوات بالنيران من الجو ولمحاربة الدبابات، كانت هناك حاجة إلى مروحية خاصة، خالية من عيوب الآلة ثنائية الغرض.

وحصلنا عليها. في عام 1982، بدأت الإمبراطورية اختبار "القرش الأسود" - أفضل مروحية في العالم، "كاموف-50". وأصبحت هذه الطائرة بمثابة انطلاقتنا نحو القرن التالي. هيكل أسود طويل وضيق ذو خطوط متسارعة. يُقال إن أي آلة ناجحة لا بد أن تكون جميلة، وطائرة كا-50 خير دليل على ذلك. سلاح الفرسان السماويين في عصر التكنولوجيا. عربة حرب أبناء بيرون الرعد.

تجمد الغرب في ذهول. فبكل المقاييس، لم يكن بإمكان الروس صنع مثل هذه الطائرة.

سحب! كنا أول من صنع مروحية قتالية أحادية المقعد في العالم، 35% منها مصنوعة من مواد مركبة خفيفة الوزن ومتطورة، تتميز بمتانتها الفائقة. سرعتها 350 كيلومترًا في الساعة. محركان توربينيان قويان. دوارات من الألياف الزجاجية. أول نظام طرد لطيار المروحية في العالم. مقصورة مدرعة بالكامل قادرة على تحمل رشقات قذائف عيار 20 ملم، وهو ما لا تستطيع حتى ناقلة الجنود المدرعة التباهي به.

يحمي الطيار ثلاثمائة كيلوغرام من الدروع المدمجة الرخيصة المصنوعة من طبقات من الألومنيوم والفولاذ. لا حاجة للتيتانيوم باهظ الثمن. قذيفة صغيرة خارقة للدروع من عيار العدو، بعد أن تصطدم بحزام الألومنيوم، تنحرف وتصطدم بالفولاذ جانبيًا، فتفقد قوتها الاختراقية. ولا داعي للحديث عن شظايا صاروخ ستينغر الذي ينفجر بالقرب منها.

فارس الإمبراطورية، الذي يتولى قيادة كا-50، يكتسب قوة غير مسبوقة. على أبراج يبلغ طول جناحيها سبعة أمتار، تُعلّق حاويات تحمل 12 صاروخًا مضادًا للدبابات أسرع من الصوت من طراز "ويرل ويند"، تضرب الأرتال المدرعة من مسافة تبقى فيها المروحية بعيدة عن متناول الأسلحة الأمريكية المضادة للطائرات. هذه الصواريخ قادرة على إصابة دبابة متحركة من على بُعد عشرة أميال، ويمكن أن يصل سمك درع الهدف إلى متر

كامل. وبنفس القدر من النجاح، تستطيع "ويرل" تدمير القاطرات والسفن الصغيرة وقاذفات الصواريخ وبطاريات المدفعية. بالإضافة إلى ذلك، تحمل الطائرة الرعدية السوداء أربعين صاروخًا غير موجه عيار 80 ملم على متن طائراتها، والويل لمن يعلق في إعصاره! صُممت "ويرل" من قِبل مكتب تصميم آلات تولا، برئاسة بطريركنا وصانع الأسلحة أركادي شيبونوف. وهناك، في شيجلوفسكايا زاسيكا بمدينة تولا، كان مدفع "القرش الأسود" - وهو مدفع A422 عيار 30 مم (والمُجهز به أيضًا دبابتنا الخفيفة BMP-2) - يعمل بكفاءة. تتميز مدفعة كا-50 بدقة قتالية استثنائية، إذ تتبع حركة رأس الطيار وهو يرتدي خوذة إلكترونية مزودة بمنظار رؤية. إنها سايبورغ حقيقي، وحدة آلة ميكانيكية دقيقة، وإلكترونيات، وإنسان! سايبورغ روسي!

في الوقت نفسه، يتحرك المدفع نفسه في مستويين، وبالتالي ليس من الضروري توجيهه بتحريك جسم الآلة بالكامل، كما كان من قبل. تتحرك سبطانة المدفع لأعلى ولأسفل بزاوية 30 درجة، وفي كل اتجاه بزاوية 15 درجة. في القتال، يُحوّل الطيار مصدر طاقة المدفع. الهدف مركبة مدرعة أم مروحية أباتشي؟ نُحوّل مصدر الطاقة إلى ذخيرة خارقة للدروع. مجموعة مشاة؟ نُطلق شظايا شديدة الانفجار. كمية القذائف نصف ألف قطعة.

تتحرك حاويات الصواريخ أيضًا، موجهةً نحو الهدف. ولتجنب الإصابة من الأرض، تُطلق مروحية كا-50 وحدات تشويش من الأجهزة الموجودة على لوحات التحكم في الجناح. ولضمان صعوبة رصد رؤوس التوجيه الحراري لصواريخ العدو المضادة للطائرات للطائرات، فهي مُجهزة بوحدة عادم شبكي تُقلل من مستوى الأشعة تحت الحمراء الصادرة عن المحركات.

يا للعجب! تحمل مروحية "الخمسين" المُنتجة في مصنع موسكو للمروحيات مُجمعًا حاسوبيًا كاملًا على متنها، ونظام رؤية وملاحة ممتاز. على سبيل المثال، يُوجه هذا الأخير فوهة المدفع تلقائيًا نحو الهدف. بعد إطلاق الصواريخ المُوجهة، لا يحتاج "القرش" إلى البقاء في مسار مُوجه نحو الهدف - فالطيار يُوجهه بنظره. تُعرض معلومات الطيران والرؤية على مؤشرات الزجاج الأمامي المُدرع. وتُكمل أجهزة التلفزيون والتصوير الحراري الصورة.

يمكن تسليح كاموف بطرق مختلفة لمواجهة مختلف الخصوم - من الأرتال الأمريكية المدرعة إلى عصابات حرب العصابات من الدشمان والانفصاليين. يمكنها تدمير زورق صاروخي أو قاعدة جبلية لتجار المخدرات. يمكن لأبراجها حمل قنابل عنقودية شديدة الانفجار بوزن نصف طن أو ربع طن. أو صواريخ موجهة ثقيلة من طراز KH-25ML. أو دبابة حارقة وزنها خمسمائة كيلوغرام مزودة بالنابالم. أو، أخيرًا، دبابة ثقيلة من طراز NURS S-24.

أطلق عليها الأمريكيون لقب "هوكوم" - أي "الذئب". فليصمتوا! إنها عربة القتال الروسية الحديثة - تتميز المروحية بالصلابة والقدرة على المناورة. لقد بنيناها بتصميم أصلي تمامًا - بدون دوار ذيل، وهو أحد أكثر نقاط ضعف "اليعسوب" الحديدية. يتم تركيبها على المروحيات بحيث لا تدور الآلة في اتجاه دوران الدوار الرئيسي الكبير. لكن هذا يتطلب ناقل حركة طويلًا موجودًا في ذيل المروحية. أظهرت تجربة حرب أفغانستان أن تضرر أنظمة الإرسال بنيران مضادات الطائرات هو ما تسبب في تحطم طائرتي مي-8 ومي-24. إذا تضررت، ستفقد المروحية السيطرة، وتدور بلا حول ولا قوة. في حرب فيتنام الحارقة، كان ضرب ذيل طائرة الإيروكوا دائمًا ما يؤدي إلى هلاكها. غالبًا ما كان يُلقى المظليون والطيارون من أبواب المروحية المفتوحة التي تدور بجنون. لا تحتوي مروحية كا-50 على دوار ذيل - بل تحتوي على دوارين محوريين يدوران باتجاه بعضهما البعض - على محور معقد واحد!

وذيل مروحية كا-50 هو ذيل طائرة، متشعب مثل ذيل قاذفة بي-2. على عكس مروحية أباتشي الأمريكية العملاقة، المصممة وفقًا لتصميم نموذجي، مع دوارات خلفية. وحتى لو انكسر ذيل "القرش" أو تمزق في المعركة، فلن تفقد مروحيتنا السيطرة بأمان.

الهبوط أو الوصول إلى القاعدة. لم يحلم الأباتشي بهذا قط! وحتى لو اصطدمت كاموف بالأرض بقوة، فإن مقعد الطيار مُثبّت على دعامة مُركّبة قابلة للسحق على شكل قرص العسل تمتص طاقة الاصطدام.

صمم فريق كاموف طائرة مُعدّة للغارات السريعة منخفضة الارتفاع تحت وابل من النيران. يمكنها الدوران على رقعة، والتحرك جانبيًا وخلفيًا. في فيلمنا "القرش الأسود"، تُدمّر هذه المروحية قاعدة لقطاع الطرق ومصنعًا سريًا للمخدرات مخفيًا في أعماق أفغانستان. في رحلة "قطعية"، تصل إلى الهدف، مختبئة خلف التلال، منزلقةً

عبر الوديان، ومعلقةً في الوديان العميقة. يُوجّه الطيار، بمساعدة منظار فيديو مُكبّر، الرصاص ببراعة إلى جباه العصابة المُشتتة. ثم "ينظر" بطائرة هليكوبتر مباشرةً إلى مدخل نفق تحت الأرض على سفح الجبل، مُصيبًا أعماقه بصواريخ ويرلويند.

بالمقارنة مع "القرش الأسود"، تُعتبر طائرة "الأباتشي" الأمريكية مُترفةً وهزيلةً أمام طائرة "سبارتان" القوية والمتمرسة. فطائرة "كا-50" لا تحتاج حتى إلى سلالم متحركة للفنيين وغيرهم من موظفي المطارات. فهي مُزودة بنظام مُدمج لمراقبة أداء الوحدات الرئيسية. يوفر هيكل الطائرة أقصى قدر من الوصول إلى الأنظمة والمعدات. ويمكن لطائرة "كا-50" العمل لمدة خمسة عشر يومًا دون صيانة مُعقدة. وكما ورد في صحيفة "أخبار الاستخبارات ومكافحة التجسس"، لا تحتوي الطائرة على محمل واحد، ولا حتى نقطة واحدة للتزييت السائل. يُعدّ هذا التواضع الإسبارطي أهم صفة في الحرب، مع ما تحمله من غبار وتراب.

نعم، صُنعت لتكون ثقلًا مُوازنًا لطائرة "الأباتشي" الأمريكية. لقد صنعت طائرة تتفوق حتى على "دراغون فلاي" الخاصة بهم. ناهيك عن الطائرات الغربية الأخرى. صُممت هذه الطائرة مع مراعاة حرب الجبال في أفغانستان، حيث، كما كتب صحفينا العسكري الشهير سيرجي بتشكين، تبيّن أن استخدام طائرتي Mi-8 وMi-24 كان صعبًا. خاصةً في الحرّ الشديد والهواء الخفيف.

لا أعرف ما الذي كان يخشاه غورباتشوف وعصابته عندما صرخوا بأن قوتنا العظمى تتخلف عن الولايات المتحدة. كانت طائرة Ka-50 أحد سيوف الإمبراطورية، التي كانت الولايات المتحدة تخشى منها بشدة. كان من الممكن اعتماد هذه الطائرة في الخدمة منذ عام 1985.

نعم، تُثير طائرة Ka-50 جدلاً حادًا. هذه الطائرة العمودية ثورية للغاية. لا توجد مروحية قتالية أحادية المقعد في أي مكان في العالم. فلا عجب أن الجدل لا يزال قائمًا - هل نقبل "القرش الأسود" أم أحدث طائراتنا العمودية الأخرى - Mi-28؟ ولكن في منتصف الثمانينيات، عندما كانت قوة إمبراطوريتنا هائلة، كان من الممكن أن نتسلح بكلا النوعين من الطائرات. لنلقِ نظرة على الجدول.

الجدول ١. بيانات مقارنة لطائرات الهليكوبتر القتالية التابعة للإمبراطورية والولايات المتحدة الأمريكية.

البيانات: MI-28 Ka-50 Ka-52 Apache
الوزن (الحد الأقصى)، كجم ١١٢٠٠ ١٠٨٠٠ ١١٠٠٠ ٨٠٠٠
السرعة (الحد الأقصى)، كم/ساعة ٣٠٠ ٣١٥ ٣١٠ ٣٢٠
الحد الأقصى (الثابت)، م ٣٦٠٠ ٤٠٠٠ ٣٦٠٠ ٣٧٨٠
الحد الأقصى (الدينام)، م ٥٨٠٠ ٥٥٠٠ لا توجد بيانات ٦٢٥٠
مدى الطيران، كم ٤٦٠ ٤٥٥ ٤٦٠ ٦١٠
الطاقم، شخصان ١ ٢ ٢

ميزة "القرش الأسود"، على سبيل المثال، هي مؤشر "الكفاءة/التكلفة"، الذي لا مثيل له في العالم أجمع.

حتى الآن، يواصل مصممونا العمل. هناك مشروع Mi-28N، القادر على التحليق ليلاً وفي الظروف الجوية السيئة. كما أن مشروع Ka-52 ثنائي المقاعد جاهز أيضاً.

تُعرف Mi-28N، على سبيل المثال، بأنها نظام القتال في القرن الحادي والعشرين. فهي قادرة على التحليق ليلاً على ارتفاع خمسة أمتار فقط، وتستطيع التسلل تحت نيران العدو المضادة للطائرات، ويدور حاسوبها على متنها حول ثنايا التضاريس. عندما تحلق طائرات "28" في مجموعة، تتبادل حواسيبها المعلومات، وتتحول المجموعة إلى وحدة قتالية واحدة بقوة مضاعفة.

إذا شاهدت Mi-28N على التلفاز، فربما لاحظت الكرة الغريبة فوق دوارها الرئيسي. هذا هو غطاء هوائي الرادار: يمكن للطائرة المروحية الاختباء في الوديان والوديان، خلف الأشجار، مبرزةً "رأسها" فقط للبحث عن هدف. البحث - القرار - الضرب!

تستطيع طائرة "28" تدمير أحدث الدبابات الغربية بصواريخ أتاكا، وإسقاط مروحيات ومقاتلات العدو بصواريخ إيغلاس (8 على متنها). بالإضافة إلى مدفعها المتحرك A422 عيار 30 ملم، يمكنها حمل حاويات مزودة بمدفعي GSh (عيار 23 ملم). كما يمكنها الهبوط بجوار رفيقها الذي أُسقطت طائرته، وحمل شخصين أو ثلاثة في المقصورة الخلفية.

طائرة Ka-52 فخرنا. في مقدمتها، وتحت غطائها، يوجد جهاز تصوير حراري حساس من شركة Thomson الفرنسية، يشبه عين حشرة خلوية ضخمة. يُقدّر أنه لا يمكن أن تكون هناك معركة بين المروحيات الغربية الحديثة وطائرة Ka-52: فهي (مثل Ka-50) تصيب مروحيات العدو على مسافة 16 كيلومترًا، بينما يبلغ مدى صواريخ أباتشي الموجهة 5 كيلومترات فقط. يصيب مدفع GSh (Gryazev-Shipunov) هدفًا على مسافة كيلومتر ونصف، بينما يتعين على الأمريكيين الاقتراب إلى مئات الأمتار. يكتب الصحفي العسكري س. بتشكين (RG، 23/11/1996): "لا توجد مروحيات هجومية أفضل في العالم"، وحتى المروحية الأمريكية العملاقة "كومانشي" بسعرها الخيالي لا تختلف من حيث المبدأ عن مروحية كا-52.

كان لدى الغرب ما يخشاه بشدة. كان بإمكان الاتحاد السوفيتي الحصول على جيش جوي قادر على سحق فرق دباباته ومراكز المقاومة التي كانت تعترض طريق الجيوش الروسية.

ولتصور قوة المروحيات الروسية، نذكر حقيقة واحدة. نيران كتيبة من 36 جنديًا

صواريخ إيروكوا (1728 صاروخًا غير موجه و72 رشاشًا مزدوجًا) تعادل قوة نيران ثماني كتائب مشاة أو قصفًا مدفعيًا لمدة ثماني دقائق لفوج مدفعية. أما صواريخ ميلز وكاموف الجديدة، فهي أقوى بمرة ونصف إلى مرتين من صواريخ إيروكوا القديمة. في مكتب تصميم صناعة الأدوات، وتحت قيادة "بيسون" أركادي شيبونوف، عملوا في السنوات الإمبراطورية الأخيرة على ابتكار صواريخ مضادة للدبابات تفوق سرعتها سرعة الصوت، بسرعة 2-3 كم/ثانية، تسير على طول "مسار ليزر". يتم تصنيعها بواسطة باعث على متن المروحية، كما لو كان يجذب نظر الطيار في خوذة إلكترونية. بهذه السرعة الكونية، تصيب الصواريخ الهدف في ثانيتين إلى ثلاث ثوانٍ، أو على الفور تقريبًا. هذا يلغي الحاجة إلى رؤوس توجيه الصواريخ، وهي أجهزة باهظة الثمن يمكن خداعها بأهداف زائفة أو تضليلها بالتداخل الإلكتروني. في النهاية، تُعاد "عيون" الصاروخ الهجومي الأسرع من الصوت، الذي يتبع "مسار الليزر"، إلى مروحيته، ولا يمكن لأي شيء أن يعترضها. ولا يؤثر التداخل الإلكتروني على جهاز التوجيه بالليزر. في الوقت نفسه، تستطيع هذه الصواريخ، من حيث المبدأ، الاستغناء عن الشحنة المتفجرة - فبسرعة 2-3 كيلومترات في الثانية، تخترق رؤوسها القوية درع أي دبابة، كما يخترق الرصاص الزجاج. موجات الصدمة الناتجة عن اصطدامها بمعدن الهيكل تُكسر قطع الفولاذ من الداخل، قادرة على إصابة الناقلات بجروح قاتلة وقطع التعبئة الإلكترونية للدبابة.

لم نكن نستخدم هذه الآلات لا آنذاك ولا الآن. ومرة أخرى، يتضح لنا بوضوح جرم أيديولوجيي النظام السوفيتي في السبعينيات والثمانينيات. عجائز طاعنين في السن، عاجزون، ومُحبو القراءة، ملأونا بدعاية بدائية مبتذلة، مُخفين القوة الحقيقية ومجد الإمبراطورية. لم نكن نعرف شيئًا عن "القروش السوداء". لقد رسّخوا في أذهاننا صورة الاتحاد السوفيتي كقوة خاملة، عاجزة، وغير قادرة على أي شيء. لقد سلبوا منا فخرنا الوطني.

حتى يومنا هذا، في أواخر التسعينيات، لا يزال ابتكار كاموفيت يُضاهي أفضل النماذج العالمية. مروحية لم تدخل الخدمة منذ عشر سنوات! لكن المعجزات لا تحدث. الآن، تمتلك الولايات المتحدة مروحية "سيكورسكي" جديدة مزودة بنظام حاسوبي فريد ومعدات تصوير حراري فائقة الحساسية في مقصورة المقدمة. والآن، تُجدد أوروبا الغربية ترساناتها بمروحية "تايجر"، متفوقة على "أباتشي". بدأنا نتخلف عن الركب.

ما أشدّ ضرورة "القروش السوداء" الآن، وقد حاصر الأعداء روسيا من جميع الجهات، واجتاحها قوس الحروب الهادر من الجنوب. على جحافل من فرسان السايبورغ المقاتلين أن يشقّوا الهواء بمراوحهم فوق أمواج بحر قزوين وسلاسل جبال القوقاز، وفوق غابات بيلاروسيا وعلى طول حدود بحر البلطيق. ليُنزلوا وابلاً من المعدن وأسراباً نارية من الصواريخ الأسرع من الصوت على العدو في أي لحظة. ليقضوا من جذورهم على أي وباء تجرأ على تحدي الواحد الذي لا يتجزأ. ما فائدة توقيع يلتسين مرسوماً عام ١٩٩٤ لاعتماد الكا-٥٠؟ ففي النهاية، لم تكن هناك طائرة "قرش أسود" واحدة في الشيشان طوال عامين من الحرب. ولا واحدة! الفصل السادس. ذكريات حرب لم تحدث قط. كشاتريا الإمبراطورية المجنحة، مقاتلو الجيل الرابع. أسطورة "عاصفة الصحراء". عقيدة السيف. ملامح المعارك السماوية في القرن الحادي والعشرين.

كان العرب القدماء شعراءً لا يُقهرون. سُمّي السطر الأول من تشكيلهم القتالي، الذي بدأ المعركة، "صباح الكلاب النابحة". والثاني "يوم النجدة". والثالث، الذي أكمل الهزيمة، سُمّي "مساء الصدمة".

مساء الصدمة - هذا ما شعرت به الدول في نفوسها عندما رأت ترساناتنا الجوية بعد استسلام غورباتشوف. وإلى يومنا هذا، يُصارعون اللغز: كيف استطعنا، ونحن أقل منهم في الحوسبة ونمتلك قاعدة إلكترونية أكثر تخلفًا، أن نتفوق عليهم في قوة الطيران؟ إنهم يتصيدون بشراهة تقنياتنا ومهندسينا، ساعين إلى انتزاع قدرتنا المذهلة على ابتكار حلول عبقرية، واكتشافات هندسية لا تُضاهى، تكاد تكون فنية.

لماذا؟ عندما زارت وفود عسكرية غربية أوروبا الشرقية بعد انهيار حلف وارسو، تمكنت من مقارنة آلاتنا ومعداتها عمليًا. وكانت النتائج متناقضة تمامًا مع ما تحدثوا عنه في أفلام الحركة، ومع ما صنعوه من نماذج على أجهزة الكمبيوتر العملاقة التي يُشاد بها. في إحدى المرات، جاء طيارون من فرنسا وهولندا إلى جمهورية التشيك بطائرات ميراج-2000 وإف-16 إيه. وأجروا معارك تدريبية جوية تنافس فيها التشيكيون بنسخة مُضعفة من طائرتنا ميج-29 المُخصصة للتصدير. انتهت جميع المعارك بانتصارات لطائرات ميج. أسقط التشيكيون خصومهم في أول اقتراب، مستخدمين منظارًا مثبتًا على خوذة لتصويب الأسلحة على متن الطائرة. انهارت خرافات التخلف المُحبط لإلكترونيات الطيران لدينا. الرادار الروسي NO19 المُثبّت على طائرة ميج، على الرغم من أنه أثقل من رادار AN/APG-66 المُثبّت على طائرة إف-16 (250 كيلوغرامًا مقابل 160 كيلوغرامًا)، إلا أنه قادر على رصد مقاتلة معادية على مدى 75 كيلومترًا، مقابل 40 كيلومترًا للمقاتلة الأمريكية. أما رادار المقاتلة الأمريكية F/A-18، الذي يزن 224 كيلوغرامًا، فيبلغ مدى رصده 65 كيلومترًا فقط، وهو أيضًا أقل (مجلة الطيران والفضاء، يناير 1995). وتستطيع أحدث رادارات دوبلر النبضي المُثبّتة على طائرة سو-27 رصد مقاتلة معادية على بُعد 80-100 ميل أمامها، و30-40 كيلومترًا خلفها.

نصفها الكروي.

يبدو لنا أحيانًا أن الأمريكيين ما زالوا يحمدون الله على نجاحهم في جلب "المصلحين" إلى السلطة في الإمبراطورية. وهل كان الأمر غير ذلك؟ ففي النهاية، كان تسليح مقاتلاتهم أدنى بكثير من تسليحنا. على سبيل المثال، لا تحتوي طائرة F-16 بجميع تعديلاتها على صواريخ جو-جو بعيدة المدى (أكثر من 60 كيلومترًا). منذ عام 1986، كانت طائراتنا من طراز ميج-29 - R-27E - مزودة بها. هذه الصواريخ تضرب العدو على ارتفاعات تتراوح بين 20 و27 ألف متر فوق سطح الأرض. ولم تظهر صواريخ متوسطة المدى على طائرات "16" إلا منذ عام 1990، وكانت طائراتنا تحملها دائمًا. التسليح النموذجي لطائرات F-16 هو صواريخ "سايدويندر" برأس توجيه حراري، يسهل الخلط بينها وبين الأهداف الزائفة. طائرات ميج الروسية مزودة بتوجيه راداري من طرازي R-60 وR-73، ومواجهتها أصعب بكثير.

فقط بعد تفكيك الاتحاد على يد يلتسين وكرافتشوك وشوشكيفيتش، بدأت الولايات المتحدة بشكل محموم في تطوير بديل لصاروخ سايدويندر - صاروخ AIM-9X بنظام توجيه مثبت على خوذة وبياناته قريبة من بيانات الصاروخ الروسي R-73. قلقًا من تأخر الأمريكيين في هذا المجال، صرّح الجنرال رونالد بيتس (الذي كان مسؤولًا عن قسم الدعم الفني في القوات الجوية حتى عام ١٩٩٥): "إن المقاتلات المجهزة بصواريخ بزاوية رؤية عالية تصل إلى ٦٠-٩٠ درجة ونظام توجيه مثبت على خوذة، في معارك جوية سهلة المناورة على مسافات تصل إلى خمسة كيلومترات، تتمتع بميزة هائلة على العدو الذي يفتقر إلى كل هذا: "إذا رآك (أي العدو المزود بمنظار مثبت على خوذة وصواريخ جديدة) فأنت في مأزق. لن تنجو حتى بالمناورة بحمولات زائدة تسعة أضعاف... قد تصبح مليارات الدولارات المستثمرة في صناعة طائرات من طرازي F-14 وF-15 بلا قيمة نتيجة ظهور صواريخ عالية المناورة ومناظير مثبتة على خوذة". نستشهد بهذا المثال من عمل مثير للاهتمام لفلاديمير إيلين بعنوان "الطيران العسكري - خطوة نحو الألفية الثالثة" (التكنولوجيا والأسلحة، العدد ٨، ١٩٩٦). ويتابع قائلاً: "وفقًا لممثلي شركة ماكدونيل دوغلاس، أجرت الولايات المتحدة الأمريكية محاكاة لمعارك بين طائرات إف-15 المُجهزة بصواريخ سايدويندر ومقاتلات ميج-29 المُجهزة بصواريخ آر-73 (بزاوية التقاط الهدف - 60 درجة) ومنظار مثبت على الخوذة. وقد اتضح أن تفوق ميج-29 ساحق". وصرحوا بأن طياري ميج... تمكنوا من تحديد الأهداف أولاً بمعدل أكبر 30 مرة. وكما صرّح أحد كبار ضباط هيئة

الأركان المشتركة الأمريكية، فإن "عدم وجود أنظمة استهداف مثبتة على الخوذة وصواريخ قصيرة المدى حديثة وعالية القدرة على المناورة على طائرات القوات الجوية والبحرية أمرٌ إجراميٌّ تمامًا".

بدأوا على عجل برنامج تطوير صواريخ بوكس فيس وبوا. أما الصاروخ الثاني، فهو مزود بنظام طيار آلي رقمي وتيار نفاث مُتحكم به من الفوهة، مما يُتيح قدرة فائقة على المناورة. أما الصاروخ الأول، فهو مزود أيضًا بنظام للتحكم في اتجاه الدفع لزيادة زوايا الهجوم المُمكنة إلى 50 درجة (لصاروخ سايدويندر 10 درجات فقط). بدأوا بتقليد صاروخ بايثون-4 الإسرائيلي بخوذة إلكترونية، وأظهر النموذج الأولي لطائرة إف-16 أخيرًا زاوية استحواذ على الهدف تبلغ حوالي 60 درجة. ماذا لو لم ينهار الاتحاد السوفيتي، ولو لم يكن هناك غورباتشوف، ولو لم يتمكنوا من تعلم الكثير عن تقنيتنا؟ يكتب إيلين: "تشعر الولايات المتحدة بالقلق أيضًا بشأن نسخة الصاروخ الروسي عالي السرعة متوسط المدى R-27، المجهز بنظام رادار سلبي يوجه نفسه تلقائيًا نحو إشعاعات رادارات مقاتلات العدو، بالإضافة إلى العمل على تحديث صواريخ R-73".

ولكن اتضح أننا نمتلك بالفعل صواريخ RVV-AE الفائقة، فائقة المناورة، والقادرة على إصابة الأهداف من مسافة 70 ميلًا، وغير قابلة للكشف، وقادرة على إصابة حتى الطائرات المبنية بتقنية غير مرئية للرادار. وهي نفسها يصعب على الرادارات اكتشافها. RVV-AE هو سلاح يعمل بمبدأ "أطلق وانسى". على سبيل المثال، أنجبت "الدولة المتخلفة" صاروخ R-33 برأس توجيه راداري شبه نشط، قادر على إصابة هدفه على مسافة 110 كيلومترات. وهذا المدى يكاد يكون مساويًا لأطول صاروخ جو أمريكي، وهو صاروخ فينيكس. لكنهم لم يتمكنوا من تثبيته إلا على طائرة واحدة - وهي طائرة F-14 الحاملة. في أوائل التسعينيات، تلقت الإمبراطورية صواريخ R-27 مُحدثة - طرازا ER وET، والمُخصصان للنسختين البحرية والبرية من طائرة Su-27.

وإضافةً إلى ذلك، نقول: في أوائل التسعينيات، كانت صواريخ جو-جو جديدة فائقة المدى جاهزة للخدمة لدى "الكشاتريات الجوية" الروسية. لا تزال بياناتها سرية. فقط في شتاء عام 1996، أعلن القائد العام للقوات الجوية أن هذه الصواريخ قادرة على إصابة العدو على مسافة 400 ميل. أي أبعد بثلاث إلى أربع مرات من صواريخ المقاتلات الغربية!

ماذا يعني هذا؟ لنشرح ذلك بمثال واضح من حرب القرم (1853-1856). حينها، استخدم جيشنا مدافع ملساء، أصابت أهدافها بدقة أقرب بثلاث مرات من البنادق الأنجلو-فرنسية. أما المعتدون قرب سيفاستوبول، فقد سحقوا المشاة الروس المهاجمين بنيرانهم، مع الحفاظ على مسافة آمنة.

في حرب أواخر القرن العشرين، كان الوضع هكذا: مقاتلات أمريكية تهاجم مواقع روسية على جبهة واسعة. وخلفها تأتي طائرة "سينتري"، وهي طائرة بوينغ ضخمة بعيدة المدى، تمسح السماء لمئات الأميال - طائرة توجيه. ترى الطائرة موجة من المقاتلات الإمبراطورية تتجه نحوها.

يا رفاق، نفس طائرة الرصد A-50. لكن ما هذا؟ الروس يطلقون صواريخهم قبل أن يدخلوا منطقة إطلاق النار الأمريكية بوقت طويل! صرخات مشغلي "سينتري" في غضبٍ عاجزٍ ونزعوا سماعاتهم. امتلأت موجات الأثير بصرخات اليأس - واحدةً تلو الأخرى، طائرات F-16 وF-18 المطلية تتضخم إلى سحب من النار والدخان وقطع معدنية وأجساد بشرية. ويواصل الطيارون الإمبراطوريون، منتصرين، إطلاق طلقات نارية عاتية على العدو...

كانت لدينا قوة هائلة، وكانت أسراب الطائرات الإمبراطورية المتقدمة قادرة على تدمير أنظمة الدفاع الجوي الغربية، وحجب رؤية محطات رادارها. في كالينينغراد قرب موسكو، في مصنع زفيزدا، أنتجوا صواريخ X-25 القادرة على تتبع إشعاعات الرادارات الأجنبية. من ابتكار المصمم إيفان كارتوكوف، تندفع هذه الصواريخ نحو فريستها من الأرض نفسها، مكونةً "تلة" في المرحلة النهائية، ثم تسقط على الهدف في هجمة خاطفة. حتى في ذلك، تتجلى تفرد حضارتنا. إذا كانت الصواريخ الأمريكية المضادة للرادار "شرايكس" و"مافريكس" قد توجهت إلى أهدافها بشكل فردي، كما في أفلام رامبو، فإن صواريخنا X-25 هي صواريخ جماعية تُشبه العمل الجماعي. رأس صاروخنا المُوجّه، الذي يلتقط إشعاعات الرادار على أي ارتفاع للمقاتلة التي تحمله، وبأي مسار وسرعة، يستقبل في الوقت نفسه معلومات من صواريخ X-25 الأخرى. تتبادل هذه الصواريخ البيانات باستمرار حول الأهداف ومواقعها، مُحلقةً نحو العدو كتنين سريع الزوال متعدد الرؤوس. يُمكن قطع جميع رؤوسه تقريبًا، لكن الرأس المتبقي سيغرز أنيابه القاتلة في العدو. في الوقت نفسه، يتدفق سيل من البيانات

باستمرار إلى قمرة قيادة المقاتلات الروسية المهاجمة، مُضيءً لوحات القيادة. في عام 1976، دخلت صواريخ KH-25MP ترسانات الإمبراطورية. ثم، لتدمير السفن، صُممت صواريخ KH-25MR المُزوّدة بتوجيه لاسلكي. وأخيرًا، طائرة KH-25M بثلاثة تعديلات على نظام التوجيه - تلفزيوني، وأشعة تحت الحمراء، وتعمل على مبدأ "أطلق وانسَ". في قاعدة كالينينغراد الجوية، صُنعت طائرة X-31 الأسرع من الصوت، والتي كانت ترصد نبضات رادار الهدف. هدفها تدمير أنظمة الصواريخ المضادة للطائرات الأمريكية "هوك" ونظام "باتريوت" الشهير، الذي أُعلن عنه بعد حرب العراق عام 1991. هنا أيضًا، صُنعت أسلحة لتدمير "عيون" الأجنحة الجوية الغربية - طائرات دورية رادارية بعيدة المدى مثل "أواكس" أو "سينتري"، وهي مراكز قيادة طائرة لمقاتلات الناتو. هناك حادثة في "العاصفة الحمراء" - فوجان من طائرات ميج الروسية، بعد أن فقدا ثلاثين من طائراتهما الشقيقة، دمرا خمس طائرات "سينتري". تُصاب مقاتلات الناتو على جبهة مهمة في ألمانيا بالعمى الفوري، وتضطر إلى الاعتماد فقط على راداراتها المحمولة على متنها. ونحقق التفوق الجوي - ففي النهاية، لم تُصب أجهزة تحديد المواقع الطائرة بأذى. في حرب المستقبل، من يُدمر طائرات الرصد أولًا سيفوز في معركة السيطرة على السماء. عملت "زفيزدا" على صواريخ رادارية بمدى قتالي يصل إلى 200 ميل. تستطيع المقاتلات المزودة بهذه الصواريخ مهاجمة وإسقاط طائرة "سينتري" المحروسة بعناية بأسطول من الصواريخ الاعتراضية، مع الحفاظ على مناعتها شبه الكاملة أمام حرسها المجنح. تمامًا كما يقضي رامي ببندقية طويلة الماسورة على زعيم قبيلة محاط بعشرات الرماة. لكن الإمبراطورية فُجِّرت على يد السياسيين...

الجدول ٢. طائرات ميج مُقارنة بالمقاتلات الغربية (بناءً على مواد من "الطيران والملاحة الفضائية"، "العرض العسكري")
بيانات ميج-٢٩
ميج-٢٩ إس إي
ميج-٣٣ إف-١٦ إس إف-١٨ إس إي إف-٢٠٠٠ يوروفايتر
قوة دفع المحرك، كجم ٢×٨٣٤٠، ٢×٨٨٠٠، ١×١٣١٧٠، ٢×٧٣٠٠، ٢×٩١٧٥
وزن الإقلاع (الطبيعي)، كجم ١٥٣٠٠، ١٦٦٨٠، ١٢١٠٠، ١٦٧٠٠، ١٥٠٠٠
وزن الإقلاع (الأقصى)، كجم ٢٠٠٠٠، ٢٢٠٠٠، ١٩٠٠٠، ٢٣٥٠٠، ٢١٠٠٠
سعة الوقود (الخزانات الداخلية)، كجم ٣٦٣٠، ٤٦٠٠، ٣٢٠٠، ٤٩٠٠، ٤٠٠٠
سعة الوقود (الخزانات الغاطسة)، كجم ٣٠٤٠ ٣٢٩٠ ٣١٠٠ ٣١٠٠ ٣٦٠٠
القنابل، كجم ٤٠٠٠ ٤٥٠٠ ٥٥٠٠ ٤٥٠٠ ٦٥٠٠
السرعة، كم/ساعة ٢٤٥٠ ٢٥٠٠ ٢١٧٠ ١٩٠٠ ٢٣٠٠
مدى الطيران، كم ١٥٠٠ ٢٢٠٠ ٢٠٠٠ ٢٢٠٠ ١٨٠٠-٢٢٠٠
مدى الطيران مع الخزانات الغاطسة، كم ٢٩٠٠ ٣٢٠٠ ٣٢٠٠ ٣٢٠٠٠ ٣٠٠٠-٤٠٠٠
معدل الصعود على مستوى الأرض، م/ثانية ٣٣٠ ٣٢٠ ٢٦٥ ٢٥٦ ٣٠٠

الجدول ٣. من الأكثر قدرة على المناورة والأقوى في القتال؟
بيانات ميج-29 إس، ميج-29 إم، ميج-29 كيه، إف-16 إس
السلسلة 42، إف-16 إس
السلسلة 50
سنة أول رحلة: 1986، 1986، 1988، 1989، 1992
الحد الأقصى نسبة الدفع إلى الوزن 1.09 1.11 1.06 1.03 1.03
الحمل النوعي للجناح عند وزن الإقلاع الطبيعي، كجم/م² 402.6 415.7 465.7 430 464
أقصى مدى لإطلاق الصاروخ ضد هدف مقاتل، كم:
متوسط المدى الطويل في نصف الكرة الأمامي 50 60 (80)* 60 (80)* 45 45
متوسط المدى الطويل في نصف الكرة الخلفي 20 27 لا توجد بيانات 18 18
مدى طويل صغير إلى نصف الكرة الخلفي 20 20 لا توجد بيانات 18 18
ملاحظة:*- صاروخ R-27E. في معركة المناورة، الفائز هو من يتمتع بنسبة دفع إلى وزن أعلى وحمولة جناح أقل.

لطالما رسم أفضل عقول العالم، بدءًا من أفلاطون، صورةً واحدةً للدولة المثالية، تجسيدًا للفكرة الإلهية. هذا ثالوث. في أعلاهم الفلاسفة والكهنة، حاملو الروح. وأسفلهم المحاربون، الكشاتريا في التراث الآري الفيدي القديم. ورعيتهم هم البقية.

كان هذا الأسلوب في الحياة تحديدًا هو ما جعل إمبراطوريتنا تعمر ألف عام. وإذا كان مقدرًا لنا أن نولد من جديد، فلن يكون مجتمعنا إلا ثالوثًا من هذا القبيل. والفيدي

كان لدينا آنذاك، في الثمانينيات، كشاتريا خاصون بنا، أشخاصٌ يتمتعون بشجاعةٍ جنونية - طيارون عسكريون.

عندما تحدتنا أمريكا، حصل المقاتلون الروس المجنحون على أفضل أسلحة العالم. بناءً على طائرة سو-27، التي نعرفها جيدًا، بدأ المصممون الإمبراطوريون منذ عام 1985 في تصميم أحدث طائرات سو-30 الاعتراضية ثنائية المقاعد ومقاتلات سو-OMK3 متعددة المهام. الأولى آلة فريدة من نوعها، جاهزة للإنتاج التسلسلي في مصنع إيركوتسك للطائرات. سيكون هدفها تدمير حاملات صواريخ كروز على الحدود البعيدة ومطاردة هذه الصواريخ نفسها، التي تلامس الأرض أثناء الطيران.

تستطيع الطائرة "الثلاثون" قطع مسافة 3600 ميل دون الحاجة للتزود بالوقود، ويمكن تزويدها بالوقود مباشرةً أثناء الطيران - من طائرات صهريجية من طراز Il-78. يمكن للمشغل - الطيار الثاني للمقاتلة - قيادة أربع طائرات سو-27. للأسف، لم تُقلع أول طائرة سو-30 إلا بعد تدمير سويوز - في 14 أبريل 1992...

أصبحت سو-OMK3 أيضًا طائرةً رائعةً من الجيل الرابع، تجمع بين التقنيات العالية. زُوّدت برادار شامل قادر على رصد العديد من الأهداف في الجو والبر والبحر. شاشات عرض ملونة متعددة الوظائف على البلورات السائلة، ونظام رؤية وملاحة بصري-إلكتروني، مع حاسوب طراز جديد، ونظام توجيه بالقصور الذاتي على جيروسكوبات ليزرية، بالإضافة إلى نظام ملاحة عبر الأقمار الصناعية. وأصبح صاروخ جو-أرض عالي الدقة بمدى 250 كيلومترًا سيفًا قاضيًا لـ"الثلاثين". بحيث لم يقتصر دور هذه الطائرة على خوض المعارك الجوية فحسب، بل شمل أيضًا مهاجمة أهداف مهمة على وجه الأرض، وتدمير السفن ("فيستنيك فوزدوشنوجو فلوتا"، العددان 1-2، 1996).

وصديق قديم آخر لنا - سو-27؟ بحلول نهاية عهد الاتحاد السوفيتي، وصلت هذه الطائرة إلى أقصى درجات الكمال القتالي. فبتحكمه بالنيران بحركة رأسه، أصبح الطيار هنا متصلاً بالرادار ومحطة تحديد المواقع البصرية المذهلة Sh36، التي طورتها شركة Geofizika. وتعمل هذه المحطة في آنٍ واحد بالأشعة تحت الحمراء ونطاق الليزر، ولا يوجد لها مثيل في الغرب حتى الآن (العرض العسكري، مايو-يونيو 1994).

بتحولها إلى إنسان آلي، استطاع طيار "الطائرة 27" ضرب العدو بأحدث تعديلات صواريخ R-27، التي أُضيفت أنظمة توجيهها إلى نظام التحكم اللاسلكي من المقاتلة. بمعنى آخر، كان الجندي الروسي في قمرة القيادة يوجه طيرانه بنظراته. أما الصواريخ الأمريكية لمقاتلات سبارو، فهي ببساطة لا تمتلك هذا النوع من الدقة. أما صواريخنا فتصيب بدقة أكبر!

كما تتحكم حركة رأس الشخص في إطلاق مدفع GSh-30L، الذي يطلق 1500 طلقة في الدقيقة. تتميز الطائرة بمنظار ثلاثي - ليزري، حراري، وراداري، ويقوم حاسوبها الداخلي بتعديل سرعة الهدف فورًا. لذلك، يُصاب أي هدف بثلاث إلى ست قذائف. تمتلك طائرة سو-27 احتياطيًا من الذخيرة يتراوح بين مائة وخمسين. وبالتالي، ما لا يقل عن خمسة وعشرين ضحية.

كما تم تحسين مقاتلة الخطوط الأمامية ميج-29. وتبين أن منظارها البصري الإلكتروني OEPRNK-29 أفضل من المنظار الأمريكي، مما ضمن لها الانتصارات في معارك التدريب مع المقاتلات الغربية. وتضمن معدات الاتصال اللاسلكي للقيادة على متن الطائرة التواصل مع المراكز الأرضية لأنظمة التحكم الآلي القتالية في سينيج، مما يضمن وحدة عمليات الطائرات والصواريخ الأرضية. تم دمج ميج-29 مع منظومة إس-300 الفريدة من نوعها، والتي تدمر صواريخ كروز والصواريخ الباليستية والطائرات والطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت.

وهناك تفصيل مثير للاهتمام: عندما سلم غورباتشوف ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية، باعوا جميع الأسلحة السوفيتية الصنع تقريبًا للجيش. واحتفظوا بطائرات ميج-29 لأنفسهم. لأنها تبيّن أنها أفضل من طائرات الجيل الرابع الأمريكية، إذ هزمتها بسهولة. يُقال إن الطيارين الألمان يتمكنون من رصد طائرات F-16 بواسطة الرادارات السوفيتية المحمولة جواً من مسافة تصل إلى 150 كيلومتراً (Vestnik Vozdushnaya Flota، العددان 1-2، 1996). وقد توقّف تسليم هذه الطائرة إلى سلاحنا الجوي عام 1991 - إذ قرر غورباتشوف توفير المال!

كانت آخر طائرات MiG-29SE مُجهّزة بأنظمة استهداف بمعالجات أعلى أداءً بكثير، وهي ما كانت تفتقر إليه الطائرات التي حصل عليها الألمان. لا تقلّ خصائص مُحدّدات المواقع الخاصة بها بأي حال من الأحوال عن أحدث الأنظمة الأمريكية المُستخدمة في طائرات F-16S وF/A-18S، أو رادارات طائرات Mirage-2000 وEurofighter الأوروبية. ولكن من حيث القدرة على المناورة، تتفوق طائرات "29" على الجميع. إذا دارت مقاتلة روسية بزاوية 23.5 درجة في الثانية، فإن طائرة F-16S تدور بزاوية 21.5 درجة فقط، وطائرة Eurofighter تدور بزاوية 22 درجة. أي أنه في معركة سهلة المناورة، ستلاحقها طائرة MiG.

في عام 1991، عندما كان غورباتشوف يتخلى عن بعض الأراضي لصالح يلتسين ومدمري الإمبراطورية الآخرين، كانت طائرة MiG-29 متعددة المهام جاهزة، وهي طائرة صائدة ليس فقط للطائرات، بل أيضًا للأهداف الأرضية. قادرة على تدمير الدبابات ومراكز القيادة ومحطات الرادار، وتفجير السفن بضربات من صواريخ Kh-29 (سنخبركم المزيد عنها لاحقًا!). تحتوي هذه الطائرة على رادار مدمج يُسمى "الفتحة الاصطناعية". يصعب شرح مبدأ عملها. هل تذكرون أننا تحدثنا عن كيفية قيام هذا الجهاز برسم خريطة للتضاريس، و"تجميد" الصورة وتكبيرها؟

في أكتوبر 1996، عُقد مؤتمر في لندن مُخصص لآفاق الطيران المقاتل. في كلمته، تحدث المقدم يوهان كوك من سلاح الجو الألماني عن طائرات ميج-29 الموروثة من جمهورية ألمانيا الديمقراطية الاشتراكية. نعم، هذه الطائرات أقل من المطلوب.

إلكترونيات جديدة ومدى طيران جديد. لكن القدرة على المناورة في القتال تفوق جميع مقاتلات الجيل الرابع في العالم. كرر مرارًا أن النسخة القديمة من ميج-29، التي يقودها الطيارون الألمان الآن، ونفس الطائرات الروسية ذات التعديلات الأحدث، هما طائرتان مختلفتان تمامًا. بالمناسبة، تم اختبار طائرتين عتيقتين من طراز "29" خلال مناورات حلف شمال الأطلسي فوق سردينيا عام 1994 وخلال مناورات تام-95. ومرة أخرى، خلص خبراء غربيون إلى أنهما لا مثيل لهما في القتال القريب ("كراسنايا زفيزدا"، 1996/11/11).

3

في يناير/كانون الثاني 1991، بدأت حرب الغرب مع العراق. أسقط أسطول من ثلاثة آلاف ونصف طائرة 513 طائرة مقاتلة عربية. ألقت الولايات المتحدة وحدها 164 طائرة من طراز إف-15، و251 طائرة من طراز إف-16، و166 طائرة من طراز إف/إيه-18، و115 طائرة من طراز إف-14 في المعركة. حققوا تفوقًا جويًا كاملًا خلال الحرب، التي لُقّبت بـ"عاصفة الصحراء".

من عارضهم؟ طائراتٌ قديمة من ستينيات القرن الماضي، طائراتٌ من الجيلين الثاني والثالث: ميج-21 وسو-7، ميج-23، وميراج إف-1. لم يكن لدى العراق سوى ثلاثين طائرة ميج-29 من الإنتاج الأول.

هدر الغرب فرحًا ودقّ طبوله بفخر. عُقدت ندوة في كامبريدج، حيث أعلن أحد أبرز خبراء مؤسسة راند الأمريكية لتحليل الصادرات، بنيامين لامبرت، أن السبب الرئيسي للنصر هو عيب الطائرات الروسية الصنع في العراق وقوة سلاح الجو الغربي الهائلة.

لكن في الواقع، كان الأمريكيون يدركون جيدًا أن كل هذا كان كذبة دعائية. وأن الحرب الجوية الأمريكية مع العراق كانت بمثابة صدام طائرات ميسرشميت المدرعة عام 1941 مع طائرات الخشب الرقائقي عام 1917 تقريبًا. في شتاء عام ١٩٩٥، نشر الصحفي ميخائيل بوغوريلي مقالاً في صحيفة "فيستنيك فوزدوشنوغو فلوتا" (نشرة الأسطول الجوي) بعنوان "كان من الممكن أن تكون نتيجة عاصفة الصحراء مختلفة". بحسابات دقيقة.

في ذروة الحرب، كان سلاح الجو العراقي يُنفذ ثلاثين طلعة جوية يوميًا على الأكثر. بينما نفذ التحالف الغربي ما بين ٢٥٠٠ و٣٠٠٠ طلعة جوية. في المجمل، خسرت الولايات المتحدة وأقمارها الصناعية ١٧ طائرة في معارك جوية. بينما أُسقطت ٣٣ طائرة عربية خلال عاصفة الصحراء بأكملها، منها خمس طائرات ميج-٢٩ فقط. لكن "الأسطول ٢٩" دمّر طائرتين من طراز F-١٥E، وخمس طائرات من طراز F-١٦C، وطائرة واحدة من طراز F/A-١٨ في الجو.

إضافةً إلى ذلك، اضطر العراقيون للقتال بمحطات رادار دمرتها هجمات صواريخ كروز وانقطعت الاتصالات، وبنظام إعداد وإمداد جوي معطل. بينما كانت الولايات المتحدة تُدير كل شيء بكفاءة، وخاصةً - الاستطلاع الفضائي والجوي والبري، والاتصالات، ومحطات التشويش الإلكتروني.

قاتل الطيارون العراقيون، ذوو التدريب الضعيف، بمفردهم ضد خمسة أعداء. اتضح أنه لتدمير ثلاث وثلاثين طائرة، معظمها روسية قديمة، استخدموا 96 من أحدث صواريخ التوجيه من طراز "سبارو" و"سايدويندر". وهذا على الرغم من أن معظم الطائرات التي أسقطوها لم تكن مزودة بمحطات دفاع إلكتروني على متنها!

إذن، اتضح أن هذا الانتصار مُبالغ فيه. زائف. لو كان هناك عدد مماثل من طائرات الميغ و"سو-30" الإمبراطورية الجديدة بدلًا من خمسمائة طائرة عراقية، لاحترقت مئات من طائراتهم من طراز "إف" على الأرض. لأن الحساب هنا بسيط: خمس طائرات من طراز "29"، بعد أن هلكت، تمكنت من إسقاط ثماني مقاتلات أمريكية من الجيل الرابع!

إنهم يُحبون حقًا إظهار طائراتهم المقاتلة كألعاب إلكترونية كبيرة، حيث تُكمّل شاشات العرض الملونة عيون الطيار وعقله. لكنهم لم يذكروا أن شاشات الكريستال السائل نفسها موجودة أيضًا على الطائرات الروسية، وأن هذه الشاشات تُصنع في معهد بلاتان الوطني للأبحاث، في فريازينو بالقرب من موسكو. لم نكن أدنى شأنًا من أعدائنا بأي حال من الأحوال.

4

في أغسطس 1996، شاهد سكان موسكو طائرةً خارقةً خلال عرض توشينو الجوي. جسمٌ ضيقٌ وسريع، يستمر خلف الذيل - على شكل "سيجار" مدبب. أثناء انطلاقها في السماء، كانت ترفع مقدمتها فجأةً، وتبطئ سرعتها، وتحوم وتتدحرج حول ذيلها، ثم تطير للخلف. كانت تنعطف بحدة، دون انزلاق، بزاوية تسعين درجة إلى الجانب. كانت تطير من أسفلها أولاً، مثل أفعى كوبرا غاضبة.

كانت مقاتلة روسية كاملة المواصفات من الجيل الخامس، طائرة سو-37 ذات ناقل الدفع المتغير. طائرة ثلاثية الأجنحة غير مستقرة. سلاح خارق صُمم تحت إشراف المصمم ميخائيل سيمونوف. صُنعت محركات هذه المعجزة الفريدة في مكتب ليولكا-ساتورن للتصميم. إذا دققتَ النظر في اللقطات، ستلاحظ أن فوهات هذه الطائرات، المزودة بـ"تنانير" متحركة مصنوعة من بتلات معدنية، يمكن أن تنحرف في اتجاهات مختلفة، وتستجيب الآلة لهذه التلاعبات بتيارات نفاثة.

بدأ سباق الريادة في ابتكار هذه التقنية عام ١٩٧٧، في عهد بريجنيف. كان إتقان المتجه المتغير يعد بالنصر في حرب جوية. فكيف يكون الحال في القتال بطائرة مقاتلة عادية ضد بهلواني كهذا؟ تخيّل أنك تركض عبر الجليد نحو خصمك، الذي لا تنزلق قدماه لسبب ما، بل يمسك الجليد بقوة كما يمسك الأرض الصلبة. ترفع قبضتك للضرب، لكن خصمك يتوقف فجأة، كما لو كان متجمدًا في مكانه. تكبح بشدة، لكنك تنزلق من جانبه. فيستدير هو بمهارة على كعبيه، ويضربك بقبضته على مؤخرة رأسك.

هذا يشبه تقريبًا معركة بين طائرة عادية وطائرة سو-٣٧. بالكاد استطاع الأمريكيون أن يستحضروا النموذج التجريبي لطائرة "روكويل-داسا إكس-31" "المتجهة" بحلول عام 1995، حيث عرضوها في معرض لو بورجيه الجوي. والذي لا يوجد فيه أي مانع.

لكن بلا مدافع، بلا صواريخ. بعد عام، عرضنا مقاتلة قتالية متكاملة.

حلّقت أول طائرة نموذجية في مايو 1985. وفي عام 1988، وُضعت أولى طائرات سو-37 على مخازن نوفوسيبيرسك. صُنعت بأحدث نظام حاسوبي للتحكم الكهربائي بالسلك. ولمنع الطيار من الرؤية بسبب حجاب أسود، أُلبس بدلة خاصة ووُضع في قمرة القيادة مقعد من طراز "فضائي". زُوّدت طائرة سو بمنظار آلي وطيار آلي قادر على التحليق على ارتفاع منخفض، متجاوزًا تضاريس الأرض. ووُضعت شاشات عرض مذهلة في قمرة القيادة.

كانت أسلحة الطائرة الخارقة صواريخ جو-جو بعيدة المدى للغاية، وصاروخ RVV-AE المألوف لدينا، والذي يصيب طائرات الآخرين على مدى 70 ميلًا.

لتنفيذ ضربات برية وبحرية، زُوّد بصاروخ تكتيكي بمدى 150 كيلومترًا وصاروخ Kh-29 الموجّه. ولتدمير رادارات الدفاع الجوي للعدو، زُوّد بصاروخ Kh-31P، ولإغراق السفن بصاروخ الكروز Kh-31A. وفي الوقت نفسه، وفّر نقاط تثبيت للقنابل الموجهة بالليزر ودبابات النابالم. وهكذا، وُلد نوع جديد كليًا من الطيران. اتضح أن الطائرة، وهي تحوم في السماء، تختفي عن شاشات رادارات دوبلر النبضية، التي "ترصد" فقط الهدف الطائر. ويتيح الانعطاف "على رقعة" للطيار التقاط العدو بسرعة في مرمى نظام الخوذة، وإطلاق الصواريخ عليه، وتجنب ضربة انتقامية بهبوط حاد. دون خطر الوقوع في دوامة قاتلة لا يمكن السيطرة عليها عند تباطؤ الطيران بشكل حاد. من خلال إنشاء "الطائرة 37"، نجح الروس، بعبقريتهم الهندسية، في إبطال تفوق الغرب في الإلكترونيات "الدقيقة". حتى أذكى الصواريخ الأمريكية ستحلق فوق طائرة تحلق فجأة في السماء أو تتقلب فوق ذيلها. كل هذا أصبح ممكنًا بفضل تلاميذ صانع المحركات الروسي العظيم، أرخيب ليولكا. في محركات AL-31، تمكنوا من تحقيق شيء لم يحلم به الأمريكيون قط - منع اختراق الغازات الساخنة إلى ما يقرب من ألفي درجة. ولتحقيق ذلك، استخدم مكتب تصميم ليولكا-ساتورن أفضل ما في كل شيء - صب التيتانيوم، واللحام في غرف الأرجون.

لكن الإلكترونيات هنا رائعة أيضًا! تطلق الطائرة "37" الصواريخ من أي موضع، حتى لو حلقت من الأسفل أو الذيل أولاً. يعمل رادارها المدمج في أي موضع! بفضل مصفوفة طورية، يخترق جهاز تحديد المواقع أقوى التداخلات.

حلّقت طائرة سو-37 في روسيا يلتسين الفقيرة، في جذع الإمبراطورية، حيث تقلصت الميزانية العسكرية، مقارنةً بالاتحاد السوفيتي، بمقدار 10-15 مرة. ولو كانت الإمبراطورية على قيد الحياة اليوم، لكانت مئات الطائرات من طراز "السبعة والثلاثين" تحلق في السماء، مما أثار رعب الغرب.

إن تهجين تقنية ناقل الدفع المتغير مع الصواريخ الروسية فائقة المدى يجعل هذه الطائرة بحق ملكة السماء. ستبقى في الخدمة حتى عام ٢٠٢٠، وها نحن ذا نتقدم بجناح كامل على الأمريكيين. ففي النهاية، الطائرات الحديثة معقدة للغاية لدرجة أن تطويرها وتحسينها يستغرق الآن عقدًا ونصفًا إلى عقدين. مقابل أربعة إلى خمسة عقود خلال الحرب العالمية الثانية.

يبدو لنا أحيانًا أنه في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي، تكررت طفرة هائلة، مماثلة لتلك التي حدثت قبل نصف قرن. عندما استُبدلت الطائرات ثنائية السطح الخشبية والخرقاء - "الذرة" - بمقاتلات معدنية، مزودة بمدافع وخطوط أنيقة لسيارات السباق. بفضل هذا، تمكنا من كسر ظهر "لوفتفافه" لهتلر. لكن الآن، دُمِّر الطيران بأسلحة أخرى - قطيع من "المصلحين الروس"، مثل تشوبايس، وليفشيتس، ويورينسون.

لو كنا نخسر معركة السيطرة على السماء آنذاك، لما كان ذلك إلا في أفلام الحركة الأمريكية، حيث لعبت طائرات "الفانتوم" دور طائرات الميغ، ودور الروس - لسببٍ ما، إسرائيليون ذوو شعر أسود مجعد وأنوف معقوفة.

في الواقع، كان كل شيء معكوسًا. في السنوات الأخيرة، سافر الطيارون الروس كثيرًا حول العالم، للتعرف على خصومنا. في صفحات صحيفة "فيستنيك فوزدوشنوي فلوتا" (العددان 5-6، 1995)، يتذكر ألكسندر

خارشيفسكي، رئيس مركز ليبيتسك للاستخدام القتالي للطيران (الذي حلق بطائرة سو-27 في الولايات المتحدة الأمريكية مع الرائد كاراباسوف عام 1992): "تحدث الأمريكيون (ف.ك.) كثيرًا عن معارك المناورة القريبة، لكنهم تعاملوا، في رأيي، مع إمكانية استخدامها الفعلي بشيء من الخجل". كان البوير - البيض من جنوب أفريقيا - خصومًا أشد وطأة لخبراء خارشيفسكي. طيارون ممتازون، اشتبكوا معنا في معارك التدريب الجوي بطائرات قديمة جدًا، بطائرات "ميراج" حديثة، لكن لم يكن من السهل هزيمتهم.

يا إلهي، يا له من عالم رائع كانت عليه قواتنا الجوية! منذ عام 1920، عاش وعمل معهد أبحاث القوات الجوية، الذي سُمي لاحقًا باسم فاليري تشكالوف، في البلاد. هناك، حلّقت هذه البطلة السلافية الأشقر بثلاثين نوعًا من الطائرات المقاتلة. ومن هنا، خرج عشرة من أبطال الاتحاد وخمسة رواد فضاء. كما تدربت هنا أيضًا طواقم مركبة بوران الفضائية، التي لم تُحلّق قط في نسخة مأهولة.

منذ عام ١٩٦٠، يقع معهد أبحاث القوات الجوية في فلاديميروفكا-أختوبينسك بالقرب من أستراخان، في سهول الفولغا الشاسعة. أربعة مراكز اختبار: في أختوبينسك، وفولسك، وتشكالوفسك، وآخر في جبال نالتشيك. معدات فريدة، وأرض اختبار لاسلكية، وغرف ضغط، وحوامل لاختبار المحركات، ومجموعة من الاختبارات المناخية والميكانيكية على ارتفاعات عالية. كل هذا متاح الآن.

يعيش بلا موارد، في فقر مدقع، منهكًا بنسبة 67%.

وُظِّف استخدام الطائرات وأسلحتها في القتال في مجمع قياس المسارات، الذي يضم خمسة ميادين اختبار وثلاث محطات اختبار. انطلاقًا من غروشيف، على بُعد 22 ميلًا من أختوبينسك، توجهت الآلات إلى مواقع كازاخستان في تورغاي، وسويوندوك، وتيركت، وبالقرب من غورييف. اليوم فقدناها. وقد ساوى نظام روسيا الجديدة رواتب طياري الاختبار، الذين كانوا في عهد ستالين مجرد نخبة وأبطال وطنيين، مع رواتب الطيارين العاديين.

لا، لم نُهزم في المعركة. لقد طعنونا في الظهر فحسب.

6

يبدو لنا الوقت الحاضر وكأنه شفق. نشهد خرافة عدوانية بحق. ندمر العيادات، ونلجأ إلى أشباه الشامان الذين لا يملكون حتى أدنى معرفة بالمعالجين القدماء. يُستبدل علماء الفلك بـ"منجمين" ظهروا من العدم بأعداد هائلة، دون ذرة من الوحي الصوفي القديم في نفوسهم. وبدلًا من المقاتلين ذوي الأجنحة النارية، تنشغل موسكو بتكديس الكنائس، التي تبدو بزجاجها وتذهيبها الزائف أشبه بمتاجر سوبر ماركت فاخرة.

نقول إن التضحية بواحدة من أجل أخرى انتحار. ويلٌ لمن هدم معبدًا وبنى محطة كهرباء. لكن من يبني المعابد والمساجد على حساب تدمير معادن القوة العسكرية الصناعية والتكنولوجية لا يقل إجرامًا. بل إن هؤلاء الأشخاص يرتكبون جريمة مضاعفة!

دعونا لا ننسى المصير المؤسف للإمبراطورية الروسية، التي اصطدمت بالوحش الميكانيكي للغرب عام ١٩١٤. نعم، كان لدينا الكثير من الإيمان والمعابد والأيقونات آنذاك، لكننا كنا نفتقر إلى المدافع الرشاشة والقذائف اللازمة. وإذا كانت روسيا قد أنتجت حينها ٢٠٥٢ طائرة في مصانعها، فإن ألمانيا أنتجت أكثر من ثلاثين ألف طائرة. وفي الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٤٥، صنعنا طائراتٍ أكثر مما صنعته أوروبا بأكملها.

لنأخذ في الاعتبار تجربة هتلر، الذي اعتمد على قوى روحانية وأرسل بعثاتٍ إلى التبت والأديرة القديمة، لكنه لم ينس تكنولوجيا الطائرات النفاثة. ولنتعلم من مصير التبت، مركز الأديرة - حُماة المعرفة القديمة، التي حاول الألمان من خلالها تعلم السيطرة على العناصر الطبيعية - فقد سقطت هذه الحضارة عام ١٩٤٩ ضحيةً لجيوشٍ من الفلاحين الصينيين، الذين اعتمدوا أكثر على الرشاشات والمدافع.

علينا نحن الروس أن نكون حكماء، فنجمع بين روعة الترانيم الأرثوذكسية البيزنطية وهدير محركات "اليولكا-ساتورن". لينظر إلينا وجه المسيح القدير من لوحة قيادة طائرة هليكوبتر خارقة، وليُغطِّي القديس جاورجيوس المنتصر جانب قاذفةٍ أسرع من الصوت. هو، وليس سيارة مرسيدس روسية جديدة أو سوقًا قذرة للسلع المستعملة. لسنا بحاجة إلى بلدٍ فيه كنائسٌ وبغايا وأسواقٌ صاخبة. لكن هذا بالضبط ما يُحوّلنا إليه الآن.

فليتذكر الطيار، وهو يمسك بزمام قيادة طائرة سو-37، أنه وريث سلسلةٍ كاملةٍ من محاربي الإمبراطورية، وليشعر بظلال سفياتوسلاف وديمتري دونسكوي وألكسندر سوفوروف خلفه. فالتكنولوجيا بلا روحٍ ميتةٌ أيضًا. لكننا مستعدون لتمزيق أولئك الذين يُكدّسون المعابد اليوم، ويرفضون منح المال لمصممي الطائرات!

أليس صنع سلاحٍ روسيٍّ قويٍّ خدمةً للأرثوذكسية؟ للإيمان وجوهٌ متعددة. هناك "أرثوذكسية" المثقف الموسكوفي، التي يجمعها بحبه للبرابرة الذين يأسرون النساء الروسيات العاملات، وبالتصويت ليافلينسكي. هناك "أرثوذكسية" عمدة العاصمة لوجكوف، الذي يُصنّع نسخًا طبق الأصل من الخرسانة والبرونز، بينما تتصدع كاتدرائية القديس باسيل الحقيقية، رمز روما الثالثة والنصر على قازان! بينما يتحول قلب الأرض الروسية إلى مرتعٍ للحثالة التي اجتاحت القوقاز. ولكن هناك أيضًا أرثوذكسية المحارب الذي يصلي بحرارة قبل أن يُلقي بمركَبته القتالية في النار. وهناك الزهد الأرثوذكسي لمن لا يتخلى عن لوحة الرسم في غرفة غير مُدفأة، بعد أن لم يحصل على راتبه لما يقرب من عام. وهذه الأرثوذكسية، أرثوذكسية السيف والمطرقة، أنقذت الإمبراطورية دائمًا.

وهل كان مُبتكرو الطائرات الروسية المُجنحة يُعبدون الله، حتى لو لم يعلموا؟ أليست الأرثوذكسية هي التي دافع عنها مُبتكرو الصواريخ الروسية المُضادة للطائرات، لأنها سدت سمائنا عن أسراب طائرات الشيطان الجديد. من ذاك الذي يريد أن يحكم العالم بلا تقسيم، محولاً إياه إلى سوق ضخمة بلا هوية، لا يحكمها إلا المال والحسابات المجردة. من الشيطان الذي يجعل من شعوبًا متنوعة إلهيًا، بملابس وأذواق وأفكار ورغبات متشابهة، عرقًا رماديًا بلا عقل. آكلي بدائل. هذا الشيطان لا يفهم إلا القوة، وهو مستعد لفرض سلطته بضربات صواريخ كروز. إنه يكره الأرثوذكسية. لهذا السبب، فإن مخترع سو-37 لا يقل قيمة لدينا عن أندريه روبليف. طائراته "الثالوثية" وطائرات سوخوي ثمرة الحضارة الروسية نفسها.

يُنزلنا الواقع القاسي من قمم الإمبراطورية البراقة إلى قاع الأرض القاتم، إلى تراب الأرض. بدا الأمر كما لو كنا قبل عشر سنوات فقط "هزازي السماء"، أو شبه حكام المحيط الخامس. والآن؟ في طاجيكستان، تُحرق وجوه الروس بموقد لحام. نحن نُدفن أحياء. في الشيشان، يُحتجز العبيد الروس وتُغتصب نساؤنا جماعيًا. وماذا عسانا أن نقول؟ الآن، حتى في موسكو نفسها، عندما نلتقي بجلالة التاجر القوقازي، سنضطر قريبًا إلى خلع قبعاتنا والضغط بخنوع على...

يكدحون على جانب الطريق. جيشنا لم يعد موجودًا - لم يتبقَّ سوى حشود جائعة وغير مدربة في ثكنات باردة. ليس لدينا حتى بلد، بل مجرد حشد من المناطق التي عاشت منفصلة منذ زمن طويل.

ومع ذلك، نؤمن - الغد لنا! سترحل الأجيال الملعونة، التي لم تشم رائحة البارود قط، التي نشأت في طين الأكاذيب الدافئ، والسعي وراء الأشياء. ملعونة لأنها استبدلت عظمة الوطن بزينة غربية بائسة، كما استبدل بعض الهنود قبور أسلافهم بالخرز والمرايا. يجب أن يحل آخرون محلهم - أرثوذكسيون بحد السيف.

نعيش في زمن عصيب. الآن لم يعد هناك قوة جوية إمبراطورية. لقد نشأ نظام غريب نُسي فيه أصحاب الفعل، أصحاب الإرادة القوية والشجاعة، ورُفع فيه صانعو السراب الذين يتظاهرون فقط بفعل شيء إلى مقام عالٍ. أصبح كبار الشخصيات في التلفزيون حكامًا وأصنامًا.

كان ذلك في الثالث من أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٩٣. ورغم مرور ثلاث سنوات على ذلك التاريخ الدامي، ما زلنا نتذكر رفاقنا الراحلين، ويملؤنا الحقد المقدس. ففي النهاية، ما زلنا نصرخ أحيانًا في الليل عندما تتسلل شرارات حمراء من الرصاص إلى نومنا على خلفية برج أوستانكينو، وأنين الجرحى، ورائحة الدم الطازج النفاذة. اليوم، يحتفلون "بعيد ميلاد" نجم التلفزيون اليهودي البخاري، ساجالاييف. وريح الخريف على إيلينكا ترفرف لافتة ضخمة: "عيد ميلاد سعيد، سيد ساجالاييف!" كما لو كان بطل ذلك اليوم بطلًا قوميًا على الأقل...

هذا هو معبودهم. لدينا أبطال آخرون. اليوم، بينما الإمبراطورية تنهار، استولى طالبان على كابول. حظروا التلفزيون وأجهزة تسجيل الفيديو. العصور الوسطى؟ ربما. لكن بعد بضع سنوات، سيتجه الشعب القاسي والأقوياء الذي سيقودونه إلى هذه العصور الوسطى الجديدة شمالًا، متقدًا بدافع هجومي. متواضعون ومحبون للحرب، سيقاتلون بشجاعة، لأن رذائل العالم الحديث لن تحجب عنهم. حقوق الأقليات الجنسية، الحق في اللاعنف، الإنسانية، ملذات الحياة وسط وفرة الأشياء؟ سيجهلون هذا.

أشياء كثيرة تنتظرهم. عبيدٌ يجب اقتيادهم إلى مزارع الأفيون. نساء بيضاوات للأسرة. لحم بشري حيّ، يستطيع الغرب الغني أن يستخلص منه أعضاءً ضروريةً لدوائه - الكلى، العيون، القلوب، الغدد. المصانع التي بناها أوروس الكافرون هي رواسب حقيقية للمعادن الثمينة.

من سيقاومهم؟ الأطفال الضعفاء في بعض أحياء تشيبوكساري أو بارناول الفقيرة. أم الجيل المترهل الذي نشأ على مشاهدة التلفزيون، وسط حشود من أشباح النوادي الليلية والمتحولين جنسياً، والسدادات القطنية النسائية، ونشطاء حقوق الإنسان من أمثال كوفاليف؟

سنحتاج حينها إلى قوات جوية. ولكن هل سيوجد أي منها في البلاد؟ سنحتاج إلى محاربين أرثوذكسيين. لكن هل سيكبرون وهم يشاهدون التلفاز؟

٧

لكن في منتصف الثمانينيات، اختلف الوضع تمامًا. خطط قادة جيوش محور السلام، الإمبراطورية الموسكوفية، لمعارك المستقبل، وجرّبوا تاج حكام السماء. وباتباع الأجهزة بمتجه دفع يخضع لإرادة الطيار، وُلدت مخططات لمركبات قتالية جديدة. صُنعت طائرات هجومية ومقاتلات باستخدام تقنية إخفاء الرادار. قاذفات جديدة أسرع من الصوت. طائرات بدون طيار - روبوتات تُدار عبر اتصالات الأقمار الصناعية. للأسف، سنتمكن من الحديث عن كل هذا، إن شاء الله، فقط في الكتاب القادم.

قبل عدة سنوات، بدأ المنظرون بدراسة تجربة المعارك الجوية الحديثة. واتضح أن الغرب، باهتمامه بالآلات متعددة الأغراض المجهزة بالإلكترونيات الفائقة، والمقاتلات والقاذفات في آن واحد، قد أخطأ في حساباته خطأً فادحًا. في حربي 1982 و1991، أجبرتهم الصواريخ المضادة للطائرات على الاختباء على الأرض، وسقطوا تحت نيران المدافع السريعة اللاذعة. لم يدعموا قواتهم البرية بشكل كافٍ، وتكبدوا خسائر فادحة، دفنت عشرات الملايين من الدولارات تحت أنقاضهم.

كانت هذه المعدات باهظة الثمن ومتقلبة، كما كتب المنظر البارز في القتال الجوي الروسي، ف. بابيتش، تفتقر إلى البساطة والموثوقية، والقدرة على الصمود عند الإصابة بالقذائف، والاستعداد العالي، وقابلية تغيير الذخيرة، وهي سمات كانت ضرورية للغاية في ظروف الحرب الإسبارطية. بالإضافة إلى ذلك، ظهرت طائرات هليكوبتر من الجيل الجديد فوق ساحات القتال، قادرة على التوغل في ثنايا التضاريس وإسقاط الطائرات النفاثة بوابل من الصواريخ المحمولة على متنها. واتضح أن هذه الطائرات الطائرة الجبارة كانت تخسر معاركها أمام الطائرات ذات الأجنحة الدوارة الرخيصة. كانت هناك حاجة إلى آلات أخرى: طائرة تدريب في زمن السلم، يمكن تحويلها بسرعة إلى طائرة هجوم خفيفة، وطائرة رصد، وطائرة صيد طائرات هليكوبتر.

للأسف، كان الفوهرر الشيشاني دوداييف محقًا تمامًا، إذ استولى على ستمائة طائرة نفاثة خفيفة شبه مقاتلة من طراز "L" من صنع تشيكي من الاتحاد السوفيتي المتفكك. كانت هذه الطائرات قادرة على حمل الصواريخ، وضرب محطات الطاقة النووية والمصانع الكيميائية، كما ورد في خطة دوداييف "الاسو" عام ١٩٩٤. في ظل ظروفٍ قيّدتها "الإصلاحات" سلاح الجو الروسي.

تمكنا من تدمير طائرات قطاع الطرق في ديسمبر ١٩٩٤ على مدارجها. ولكن ماذا سيحدث غدًا، عندما تُسلّم الشيشان مجددًا لقطاع الطرق الأثرياء، ويتآكل طيراننا أخيرًا من الشيخوخة وقلة التجديد؟

كان لدى الإمبراطورية كل المقومات لتطوير وإنتاج "طائرة ميدانية" موثوقة وبسيطة. مراكز ضخمة لتجهيز مناشر الخشب.

رفاقٌ وفق برامج جديدة، يُدرّبون على مناوشات المناورة ورماية المدافع الدقيقة. لنُنشئ منذ الصغر، كما كان يفعل فرسان القدماء، محاربين جويين - كشاتريا، أرستقراطيين عسكريين. أبطال، رجال خارقون، أسياد حقيقيون. نعم، كانت لدينا بالفعل طائرة كهذه - سو-39.

لم يبقَ للغرب شيء. تبيّن أن طائراته العالمية مقاتلات رديئة وقاذفات قنابل رديئة. في المواجهة مع الاتحاد، انكشفت له حقيقة قديمة: المقاتل الجيد يجب أن يُصنع كمقاتل. والقاذفة - كقاذفة قنابل. لم نتبع الولايات المتحدة هنا. وكانت طائراتنا ميج-29 وسو-27 مقاتلات جوية "خالصة".

ولولا خيانة كبار القادة في الاتحاد السوفيتي، لاضطرت أمريكا إلى إنفاق مئات المليارات من الدولارات على إعادة التسلح الجوي. هم، وليس نحن، كانوا على استعداد للاختناق في سباق التسلح!

للأسف، لم تسر الأمور على هذا النحو. وهكذا، بحلول عام 2000، سيُترك الروس بدون سلاح جو على الإطلاق. في أبريل 1996، نقلت صحيفة "فيستنيك فوزدوشنايا فلوتا" عن حسابات قائد طيران القوات البرية، العقيد الجنرال ف. بافلوف. بمعدل التمويل الحالي، ستتعطل جميع المروحيات بحلول ذلك الوقت. ووفقًا لبيانات أخرى، انخفض إنتاج الطائرات في الاتحاد الروسي إلى خُمس ما كان عليه في عام 1991، وهو بعيد كل البعد عن أفضل مستوياته، وبلغ متوسط الراتب في هذه الصناعة المعقدة 360 ألف روبل في عام 1995 - وهو ربع راتب حتى أكثر التجار بؤسًا في خيمة تجارية.

في يونيو 1995، عقد مجلس الدوما جلسات استماع حول مستقبل طيراننا. لا يوجد مستقبل. يغادر الطيارون المدارس بأقل من مائة ساعة طيران، وهو ما لم يحدث حتى خلال سنوات التدريب المحمومة في الحرب الوطنية العظمى. أصبح الوقود أغلى من نظيره في الولايات المتحدة، ولا يمثل سوى 16% من الاحتياجات. لا توجد أموال لإنتاج طائرات الجيل الرابع، وسيُستنفد الأسطول الرئيسي للقوات الجوية بحلول عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤.

حقًا، لقد عوضت الولايات المتحدة الأمريكية تمامًا تكاليف الحفاظ على "الديمقراطية الروسية". فقد فعلت ما فشل فيه يونكرز وهاينكل قبل نصف قرن. لقد حرمنا أنفسنا من السيف السماوي.

٨

عندما يصبح فظاعة هذا العالم لا تُطاق، نُطلق العنان لخيالنا ونحلم بمحاربي السماء لتلك الإمبراطورية التي لم تكشف عن نفسها بالكامل بعد. أقوياء، أشقر، بوجوه منحوتة بثبات، يرتدون دروعًا واقية من الرصاص، ورؤوسهم متوجة بخوذات إلكترونية ضخمة. نظرتهم كبحيرات جبلية جليدية، وقد اعتادوا على توجيه ضربات البرق الصناعي بنظرة واحدة. ونحن نحبكم، أيها أنصاف الآلهة المجنحة، فرسان السرعات العالية، ونجوم هجمات الغطس!

كان ينبغي أن تُربّوا منذ الصغر كفرسان روسيا القديمة، وأن تكون ساحات تدريب مركباتكم القتالية ملاصقة لأسوار الأديرة الروسية القديمة، مع قباب المعابد الذهبية التي تشمخ فوق الغابة. لكانت روحكم قد تقوت بفنون القتال والصلاة، ولكان طيارو طائرات الميغ ومايلز المستقبليون، الذين يتعلمون أسرار المعارك العابرة، قد استوعبوا التقاليد العريقة، تاريخ روسيا. كان ينبغي أن تتناوبوا بين دراسة الديناميكا الهوائية وتكتيكات المعارك الجوية وقراءة أعمال يوحنا كريسوستوم وكونستانتين ليونتييف، مُعجبين بالهبوب السريع للمروحيات المدرعة ومعجزة كنيسة الشفاعة البيضاء الثلجية على نهر نيرل. كان ينبغي أن تتناوب أعمالكم في الاستعراضات الجوية مع رحلات إلى القرون القديمة، ودراسات في الفيزياء - مع قراءة القصص العسكرية الروسية القديمة وصفحات "هاجا كوري"، وصايا الساموراي القديمة، حيث يُقال: "الحياة أخف من الريش، والواجب ثقيل كالجبل".

كان من المفترض أن تدخلوا حياة الوطن حاملين سيف النصر بفخرٍ وقوة. ففي النهاية، نجحنا في صياغته، وكان العالم أجمع يخشى الأسلحة الروسية.

سأُعطيكم أسماء أسلافنا العظماء، لتتميزوا عن حشود الناس العاديين، بأحلامهم البائسة بالفودكا الرخيصة. سيسير راتيبور وميلونيج، وبوريفوي وراتمير، وسفياتوفيت وراديمير في أرضنا. جميلون وأقوياء، كأنصاف آلهة، وسيحلم الأطفال بأن يصبحوا مثلكم، ينظرون بازدراء إلى الكبار "الذين يعرفون كيف يعيشون".

ستحملون إلى الحياة مثال سفياتوسلاف، الأمير المحارب، الحاكم الأريوسلافي، الذي أحب الأسلحة والحملات والمعارك، الذي كان ينام على الأرض ويأكل اللحم المشوي على الجمر. وسيكون سيفكم سهام المقاتلين الأسرع من الصوت.

ماذا ينتظرنا بعد ذلك، عندما تنهار القوة الجوية الروسية وتنهار مع مرور الوقت؟ عندما تنفد احتياطيات الاتحاد السوفيتي القديمة من التكنولوجيا والتطورات العلمية؟ سنرى أمريكا - صاحبة قوة جوية جديدة.

في عام ٢٠٠٧، من المتوقع أن تحصل قواتها الجوية على مقاتلة JSF، منخفضة الرؤية للرادار، بمدى ١٥٠٠ ميل، وقادرة على الإقلاع العمودي.

ستنشر أنظمة لتدمير الصواريخ الباليستية على الأرض وفي مواقع الإطلاق، باستخدام طائرات آلية بدون طيار مزودة بصواريخ اعتراضية تفوق سرعتها سرعة الصوت. وستحصل على ذخيرة جديدة يمكنها تحويل طاقة انفجار شحناتها إلى نبضة كهرومغناطيسية قوية، تُحرق جميع الدوائر والأجهزة الكهربائية في نطاق التدمير، وتُشلّ معدات العدو.

سيتم إنشاء قاذفات بدون طيار بسرعة ١٢-١٥ ماخ، وعلى ارتفاع طيران يتراوح بين ٣٥ و٤٠ ميلاً، تكاد تكون غير مرئية للرادارات. وذلك في غضون ساعات.

ضرب أي مكان على الأرض. يجري تطوير طائرة روبوتية بدون طيار، تحمل على متنها مركبات أصغر حجمًا بدون طيار. بحلول عام ٢٠٢٠، من المخطط أن يكون روبوت LSF مجنحًا قيد الخدمة، يتم التحكم فيه من طائرة تشغيل بعيدة، من مسافة آمنة، ويحمل صواريخ جو-جو. لا يحتاج هذا الروبوت إلى رادار على متنه - فهو وإخوته الثلاثة يُدربون الطائرات الآلية، ويكاد يكون من المستحيل اكتشافهم.

مع انهيارنا واستسلامنا، وفرنا على الولايات المتحدة أموالًا طائلة كان من المفترض أن تُنفق على دبابات وسفن جديدة. وبحلول عام ٢٠٢٠، سيحصلون على وسائل حكم العالم من الجو. ستحوم الروبوتات فوق أراضي الاتحاد السوفيتي السابق الشاسعة، قليلة السكان والفقيرة، والتي تكاد تخلو من أي نوع من القوات المسلحة المعقدة. حتى يتمكنوا، عند الضرورة، من تدمير منصات إطلاق الصواريخ المتبقية على الفور، وقطع الاتصالات، وتدمير القيادة. وسنكون قادرين على توجيه قبضاتنا نحو السماء اللامبالية بغضبٍ عاجز.

وانظروا كيف كنا نسير في أواخر الثمانينيات! كانت شركة MAPO MiG تعمل على مقاتلة من الجيل الخامس، وهي مقاتلة متعددة الوظائف لخط المواجهة. فائقة المناورة، مصممة للقتال من جميع الزوايا، مع تحكم آلي بالتشويش - حماية من صواريخ العدو. مزودة بمؤشرات وضع تكتيكية في قمرة القيادة، وتبادل معلومات عن بُعد مع أنظمة تحكم قتالية خارجية متكاملة. كان من المفترض أن تُبنى وفقًا لمخطط "البطة" - مع مثبت أنف، وجناح دلتا مزدوج الانحناء. لولا غورباتشوف ويلتسين، لكانت قد حلقت بالفعل. بعد انهيار الاتحاد، كان من المقرر أن يبدأوا اختبارها عام ١٩٩٦. لكن نظام يلتسين، كما ترون، لا يملك المال. يا لها من مقاتلة، عندما كان من الضروري التمسك بالسلطة، تُنفق مليارات الدولارات على الدعاية، و"البوب" ورجال الأعمال التلفزيونيين، "أبناء المحامين"!

كان مكتب ميكويان للتصميم يعمل على مقاتلة LFI الخفيفة للخطوط الأمامية. وعلى مقاتلة MiG-35 المزودة بمتجه دفع مُتحكم به، ومصفوفة رادار مرحلية قادرة على اختراق أقوى التشويشات. طورتها شركة NPO Phazotron""، ويوفر الرادار الموجود على متن مقاتلة "35" التحكم في 24 هدفًا وإطلاق صواريخ على ثمانية أهداف في آنٍ واحد. يبلغ مدى طيران مقاتلة MiG-35 ضعف مدى مقاتلة MiG-29.

اليوم، كان من المفترض أن تحلق طائرات الشبح الروسية المزودة برادار، وطائرة اعتراضية بعيدة المدى، وقاذفة قنابل من طراز "245". والطراد الجوي الخفيف Su-34، الذي خصصت عائلة يلتسين لشرائه عام 1996 مبلغًا لشراء طائرة ونصف بالضبط.

ماذا سيتبقى لنا بعد عشر سنوات؟ مع هدير الرئيس الجديد وأفواج التنكر المضحكة التي تستعرض في أعياد موسكو في عهد لوجكوف؟ في نهاية المطاف، لا يُدخر المال للاحتفالات هذه الأيام...

الفصل السابع: الروس كعقبة أمام الطيران الغربي. الإقلاع الصعب لـ"العفريت الأعرج". "الطائرة الآلية" - في مواجهة "الراكب الشبح". نزيل عنهم ستار الإخفاء!

1

كانت طائرة "الراكب الشبح" من طراز F-19 تُحلق فوق أراضي ألمانيا الشرقية في ليلة عاصفة على ارتفاع ستين مترًا فقط. كان هدفها "ماينستاي"، وهي طائرة استطلاع رادارية روسية بعيدة المدى من طراز A-50 فوق ماغديبورغ. كانت هذه الطائرة محط أنظار المقاتلات الروسية، وبتدميرها، كان الأمريكيون يُعمون أنظار قواتنا الجوية في هذا الجزء المهم من الجبهة.

بعد أن حلقت على ارتفاع منخفض فوق تلة، انطلقت "الراكب الشبح" على ارتفاع خمسة وعشرين مترًا. التقطت أجهزة استشعار طائرة F-19 الإشارة المتزايدة باستمرار لرادار "ماينستاي" القوي. لكن الطائرة الأمريكية كانت غير مرئية، مصنوعة من مواد مركبة شفافة لموجات الراديو، ولذلك لم تنعكس نبضات الرادار الروسي عنها، بل مرت عبرها بحرية شبه تامة. بلغ توتر الطاقم ذروته، لكن محطات الدفاع الجوي السوفيتية لم تلتقط "الراكب". حلقت طائرة A-50 المنكوبة بهدوء على بُعد ثمانية وعشرين كيلومترًا إلى الأمام.

على بُعد تسعة كيلومترات من الهدف، رصدتها طائرة الرادار الروسية أخيرًا، وبدأت مناورة مراوغة سريعة. انطلقت طائرة F-19 بسرعة، وشغّلت محركها الخلفي. حلقت طائرة ميج-25 قوية، أسرع طائرة اعتراضية روسية، فوقهم. كانت تبحث عن طائرة F-19 بتوجيه من "ماينستاي"، لكنها لم تلاحظ العدو.

اخترقت الطائرة "الأمريكية" السحب المنخفضة، ورأت رادارًا طائرًا على بُعد ثمانية آلاف متر. في ثانية واحدة، سقط الهدف في مرمى نيران الرادار. كانت رؤوس صواريخ سايدويندر الموجهة تُصدر صريرًا. كالأفاعي النارية، مزقت أجنحة "الخفي".

واحدة تلو الأخرى، أُسقطت جميع الطائرات الروسية الخمس بعيدة المدى فوق نهر إلبه. تدفقت مئة قاذفة من طرازي F-111 وتورنادو، مغطاة بالعديد من مقاتلات الناتو، إلى ثغرة دفاعاتنا. دمروا المئات من طائرات الميغ التابعة لنا في السماء، كالصقور - أوز سمينة عمياء. لا نستطيع رؤية شيء - مراكز قيادتنا الجوية مُدمرة بالكامل. تُسيطر طائرات الدوريات الرادارية الأمريكية بعيدة المدى - E-3A "سنتري" - على الهجوم المنتصر للطيران الغربي. لكن هذا مجرد غيض من فيض. تأتي المتعة الحقيقية عندما تهاجم طائرات F-19 الجسر فوق نهر إلبه لتدميره وتعطيل عبور القوات الروسية. مرة أخرى، تفشل المدافع السوفيتية المضادة للطائرات التي تغطيه في اكتشاف "الخفي". قائد سرب طائرات إف-19 يُشغّل نظام الليزر في مقدمة الطائرة المُحدبة، مُضيءًا امتداد جسر القيادة بنقطة حرارة غير مرئية. الآن، سيُعقد نظام حاسوبي خاص مُوجّه نحو الهدف. أسقطت القاذفات التي تتبعهم قنابل هوبوس الموجهة بالليزر والتي تزن 900 كيلوغرام.

مدفعيوكم المضادون للطائرات، في حيرة من أمرهم، لا يرون شيئًا على شاشات الرادار، يُرهقون رؤوسهم بجنون: ما هذا الضجيج الذي يسمعونه في السماء؟ ولكن بمجرد أن حوّلوا جهاز تحديد المواقع إلى وضع البحث، أصابه صاروخ من طراز Shrike، متتبعًا البث اللاسلكي للرادار. ضربت قاذفات هوبوس الجسر، واخترقت الخرسانة بعمق قبل أن تنفجر. انهار الجسر في النهر مع الدبابات الروسية التي كانت عليه. الآن، علينا أن نضحي بعشرات الآلاف من الأرواح لإجبار نهر إلبه على الانهيار.

تتراجع طائرات إف-19، وتغطي حدائق القوارب الروسية، وتُلقي عليها حاويات من قنابل روكاي العنقودية، إلى جانب طائرات إف-111 التي تتبعها. كل هذا يحدث على خلفية معارك جوية عنيفة على طول الجبهة. استغلت قاذفات تورنادو الألمانية حالة الفوضى التي أصابت الطيران السوفيتي بعد تدمير "ماينستايز"، فدمرت مطاراتنا، وأشعلت النيران في طائرات سوخوي الهجومية على الأرض. ولضمان انسحاب الموجة الهجومية الأولى، غزت مقاتلات إف-15 من الموجة الثانية، بقيادة حراس أمريكيين سليمين، سماء ألمانيا الشرقية. وأطلقت غيومًا من الصواريخ المزودة برؤوس توجيه لاسلكية ورؤوس توجيه بالأشعة تحت الحمراء، فمزقت طائرات الميغ على دفعات.

هكذا جرت عملية "أرض الأحلام"، التي استغرقت سبعًا وعشرين دقيقة فقط. بالإضافة إلى العبور الاستراتيجي، خسر الروس ثلاثمائة طائرة. أما الأمريكيون، فقد خسروا طائرتين "خفيتين" فقط وإحدى عشرة طائرة هجومية. ويكمن نجاح العملية حصريًا في الغارات المبهرة لطائرات الشبح...

هذه الحلقة مأخوذة من فيلم الأكشن "العاصفة الحمراء" لتوم كلانسي عام ١٩٨٦، والذي أصبح مادة دراسية إلزامية لطلاب المعاهد العسكرية العليا في الولايات المتحدة. وقد استعرنا هذا الفيلم لإظهار مدى الأمل الذي كان لديهم في برنامج طائرات الشبح الذي أطلقه ريغان. صلّوا من أجلهم، وراهنوا بمبالغ طائلة. وُصفت الطائرات الشبحية بأنها حجر الزاوية في الهيمنة الجوية الغربية: السيطرة على العالم من الجو.

حجر الزاوية حجرٌ بالغ الأهمية. إذا قُذف، سينهار الهيكل بأكمله. وقد نجحنا في هدمه في ثمانينيات القرن الماضي...

2

كان الغرب، بقيادة سفينته الرائدة، الولايات المتحدة، شديد الحساسية تجاه الطيران الحربي. هذه هي تقاليده العسكرية الأساسية. إذا كنا نحن، القوة الإمبراطورية الأرثوذكسية القارية العظيمة، نحارب أعداءنا بسيف الجيوش البرية الثقيل وأوتاد الدبابات، ونواجههم وجهاً لوجه ونغزو أراضيهم، فإن الغرب كان يفعل كل شيء بطريقة مختلفة. مُقدّساً قيمة الحياة البشرية، فضّل الغرب حرباً دنيئة وإرهابية. الاقتراب من الساحل على متن سفن مُدججة بالبنادق، وحرق المدن بقصف مكثف - هذه هي الطريقة الغربية. الانخراط في قتال عنيف. لماذا؟ في النهاية، يُمكنك إرسال غيوم من القاذفات عالية الارتفاع نحو العدو، مُبيدةً المدن العُزّل مع الأطفال والنساء والشيوخ. وذلك لترهيبهم ودفعهم إلى الجنون.

وقد تمسك الغرب بهذه الاستراتيجية بشكل خاص منذ أن حصلت ترسانته على طائرات قادرة على حمل أطنان من القنابل لمسافات تصل إلى مئات، بل آلاف الكيلومترات. وبينما كان الروس يقاتلون في ساحة المعركة مع أفضل فرق الفيرماخت، كان الأنجلو-أمريكيون يُنتجون عشرات الآلاف من طائرات "ليبيراتور" و"فلاينغ فورتريس" و"ويلينغتون"، مُشاركةً في قصفٍ هائلٍ للمدن الألمانية. لقد محوها من على وجه الأرض، لكن الألمان وحدهم لم يُقللوا إنتاجهم العسكري ببسالة، حيث وصل إلى رقم قياسي عام ١٩٤٥. بلغت هذه الاستراتيجية ذروتها في الغارة الوحشية على دريسدن في مارس ١٩٤٥، عندما تحولت المدينة إلى أنقاضٍ اجتاحتها عاصفة نارية. بفضل عمل 805 قاذفات بريطانية و311 قاذفة أمريكية، أُحرق 36 ألف مواطن أحياء. معظمهم من كبار السن والأطفال والنساء. ففي النهاية، كان الرجال في جبهات القتال. حسنًا، كان النازيون يحرقون الموتى في محارق معسكراتهم...

لم نُنتج قاذفات قنابل - بل قاذفات مدن، ولم نُشنّ قصفًا مكثفًا. بل صنعنا طائرات خطوط المواجهة، ومقاتلات، وطائرات هجومية. ومع ذلك، فعل الألمان ذلك أيضًا. حتى مع تهديدهم بتدمير موسكو تمامًا في يوليو/تموز وأغسطس/آب 1941، لم يهاجموها بأكثر من 120-200 قاذفة متوسطة.

بعد الحرب العالمية الثانية، راهن الغرب مجددًا على الطائرات الاستراتيجية. حلّ عصر الطيران النفاث، متجاوزًا أقوى "القلاع الطائرة" في تلك الحرب بكثير. لكننا خلطنا أوراقهم - كان لدينا صواريخ مضادة للطائرات وصواريخ اعتراضية قوية. لكن الغرب لم يفقد الأمل في الهيمنة على سماء العالم. عاشقٌ للأسماء الجميلة، ابتكر مصطلح "الهيمنة الجوية العالمية" - أي السيطرة على العالم بمساعدة الطيران. تدخلت إمبراطوريتنا في تنفيذ هذه الخطة، القادرة على تشتيت أساطيل القاذفات الاستراتيجية الأمريكية إلى رمادٍ ودخان بسيوف الصواريخ النارية وضربات الخناجر من الأسراب الجبارة. ثم، في أواخر السبعينيات، طورت أمريكا استراتيجية جديدة - ضربات دقيقة أولية تُدمر السيطرة الدفاعية، تليها موجات مدمرة من الطائرات. ولكن لتحقيق ذلك، كان لا بد من ابتكار سلاح خارق للطبيعة لتوجيه الضربة الأولى المُشلة. سلاح يكاد يكون منيعًا أمام القوة الجوية والمضادة للطائرات للإمبراطورية الحمراء. في أوائل الثمانينيات، بدأت أمريكا تُعلن للعالم أجمع عن...

سلاحهم الجديد - طائرات الشبح. آلات يُفترض أنها غير مرئية للرادار. يقولون إنها ستخترق الفضاء الروسي بحرية وتشن ضربات صاروخية على مراكز روسية حيوية.

هذه الاستراتيجية ذكية حقًا. فهي تُكرر، من نواحٍ عديدة، الضربات المُربكة التي شنّها النازيون عام ١٩٤١، عندما دمّروا معظم قواتنا الجوية في مطاراتهم وعطّلوا الاتصالات والقيادة والسيطرة في الجيش الأحمر. سيصبح العراق عام ١٩٩١ حقل اختبار للأسلوب الأمريكي. وفي عام ١٩٨٦، عندما نشر كلانسي كتابه، كانت الولايات المتحدة تعمل على إنشاء طائرتين شبحيتين. كان من المفترض أن تُسحقا قوة الإمبراطورية - قاذفة القنابل المقاتلة F-١١٧A وقاذفة القنابل الاستراتيجية Northrop B-2.

٣

أي نوع من الوحوش هذه؟ انطلقت طائرة F-117 العملاقة ذات المقعد الواحد، والتي تشبه حشرة فرس النبي، لأول مرة عام ١٩٨١. قد تكون أيها القارئ على دراية بها من خلال أفلام "المعترض" و"عملية أورورا"، حيث يُروّجون لوحشهم بشكل لا يُقاوم. في عام ١٩٨٣، وصلت هذه الطائرة إلى مرحلة الاستعداد القتالي.

إن قبح الطائرة "المائة والسابعة عشرة"، التي تتكون بالكامل من زوايا وحواف، ليس مصادفة بأي حال من الأحوال. فهي مصنوعة من مواد تمتص الموجات الراديوية جزئيًا فقط، وتتميز بتصميم هندسي يعكس نبضات الرادار المُشعّ صعودًا وهبوطًا، مُشتتًا إياها في الفضاء. ولزيادة قدرة الطائرة على التخفي إلى أقصى حد، زُوّدت بنظام اتصالات ليزري - بحيث لا يمكن اكتشافها عبر الاتصالات الراديوية.

ولكن كل هذه الميزات كانت باهظة الثمن: فالتصميم الهندسي، الذي يوفر أقصى قدر من الإخفاء الراديوي، لم يتناسب جيدًا مع الديناميكية الهوائية. تبيّن أن الطائرة غير مستقرة للغاية، وكان لا بد من تزويدها بنظام تحكم معقد مزود بحاسوب قوي يمنعها من الانقلاب باستمرار. وقد أبدع المصممون الأمريكيون لطائرة F-117 في جعل هذه الطائرة العملاقة المسطحة متعددة الأوجه تحلق. وللتعويض عن قبح الديناميكية الهوائية لطائرة الشبح، اضطروا لاستخدام حاسوب فائق قادر على حساب آلاف المعاملات في الثانية وإرسال الأوامر إلى نظام التحكم السلكي. وكما يتذكر كبير مهندسي شركة لوكهيد السابق، بن ريتش، كان بإمكان هذا الحاسوب أن يجعل حتى تمثال الحرية يؤدي عروضًا بهلوانية. ومع ذلك، لم تستطع طائرة F-117 الطيران في ظل الرياح القوية. لذا، فإن المشهد المثير لـ"مفاجآت" كلانسي وهي تندفع عبر عاصفة ومطر هو بمثابة قصة خيالية.

بالمناسبة، فكرة جعل الطائرة غير مرئية بتقسيم جسمها إلى مثلثات متعددة تعود إلينا. استقى عالم الرياضيات دينيس أوفرهولتزر، الذي عمل في شركة لوكهيد، فكرته من مقال لبيتر أوفيمتسيف، نُشر في مجلة متخصصة للغاية عام ١٩٦٢ (تكنولوجيا للشباب، العدد ٦، ١٩٩٥).

تبيّن أن الطائرة بطيئة - ١٢٠٠ كيلومتر في الساعة على ارتفاع ١١ ميلاً - وضعيفة المناورة. لذا، فإن مشاهد الأفلام الأمريكية، حيث تقوم طائرات إف-١١٧ بعروض جوية وتتنافس في السرعة مع الصواريخ، هي أيضًا محض هراء.

تحطمت عدة طائرات أثناء الاختبارات. حتى أن كبير طياري الاختبار في الشركة قال: "هذه أبشع طائرة صعدتُ إليها على الإطلاق". أطلق ويتس على الطائرة لقب "العفريت الأعرج". وتبيّن أن الطائر الشبح متقلب المزاج. ولضمان التخفي، صُنعت محركاتها بدون حارقات لاحقة، مما يسمح بزيادة قوة الدفع أثناء الإقلاع وتقليل مسافة الإقلاع. لذلك، فإن طائرة F-117 غير مناسبة لمطارات الخطوط الأمامية - فهي تتطلب مدارج بطول طائرة بوينغ 727 ثقيلة. لذا، لا يمكن أن تكون طائرة خطوط أمامية.

فلسفة الحياة لا هوادة فيها. من يقاتل خلسةً سيستسلم دائمًا للمحارب الشجاع. قاتل متسلل في الظلام مرتديًا عباءة سوداء وخنجر في يده لا قيمة له إذا اكتشفه فارس نبيل.

كما تبيّن أن طائرة F-117 "القاتلة الخفية" قصيرة المدى - مداها 640 كيلومترًا فقط، أي أقل بثلاث مرات من مدى مقاتلتنا سو-27. على الرغم من أن "الشبح" مسلح جيدًا: بقنابل أو صواريخ موجهة، وقنبلة نووية من طراز B-61، وصواريخ جو-جو من طراز Sidewinder، إلا أنها أضعف من أن تقاتل مقاتلاتنا.

أدرك الأمريكيون تمامًا أن هذه الطائرة كانت بمثابة بطة قبيحة. لهذا السبب، في 22 نوفمبر 1988، أُخرجت قاذفة الشبح B-2 من شركة نورثروب من حظيرة مصنع بالمديل في صحراء موهافي في أول رحلة لها. هذه الطائرة المسطحة، التي تشبه سمكة الراي العملاقة في تصميمها، مصنوعة من مواد شفافة للموجات الراديوية.

يزعم الأمريكيون أنهم نجحوا في تقليل رؤية B-2 في نطاقات الأشعة تحت الحمراء والرادار بعشرات المرات. ويضيفون أن B-2 أقل وضوحًا للرادارات بحوالي مئة مرة من B-52 الاستراتيجية السابقة.

صُممت هذه "الشبح" للهجوم - لاختراق أنظمة الدفاع الجوي القوية على ارتفاعات منخفضة، وضرب أهداف شديدة التحصين بصواريخ كروز. لذلك، على الرغم من سرعتها المنخفضة (916 كيلومترًا في الساعة على مستوى الأرض و1010 كيلومترات في الساعة على ارتفاع 15 كيلومترًا)، تتمتع B-2 بمدى طيران طويل - 11 ألف ميل. يوجد في بطنها نظامان تعليق أسطوانيان لوضع...

لستة عشر صاروخًا كروز قصير المدى، أو ثمانية صواريخ بعيدة المدى. قادرة على الوصول إلى الهدف على ارتفاع منخفض، متجاوزةً التضاريس، ومُحلِّقةً.

صُمِّمت هذه الطائرة خصيصًا للسيطرة على السهول الروسية. قادرة على اختراق فضائنا من ألمانيا إلى تيومين، وهي حقًا أملُ الأنظمة الجوية الغربية. مهمتها إشعال حقول النفط، وتدمير قواعد الصواريخ، ومحطات الطاقة النووية، ومراكز القيادة، ومراكز الدفاع الجوي، والمراكز الحكومية.

4

ولكن هل كان الأمر يستحق ارتجاف الكرملين خوفًا من "الخفيين"؟ فالعقل الروسي، في نهاية المطاف، قادر على الكثير. حتى لو عومل بفظاظة، كما في عهد خروتشوف وبريجنيف، عندما كان أجر المهندس نصف أجر العامل، وكان أجر الأستاذ الجامعي يعادل أجر سائق مترو الأنفاق.

في مارس 1996، نشرت صحيفة "تكنيكا - مولوديجي" خبرًا مثيرًا. وجد مركزنا العلمي والتقني الصغير والفقير "ريزونانس"، دون أي دعم حكومي، طريقة غير مكلفة لمكافحة "الأجسام الخفية" المعادية. الفكرة هي: بُنيت "الأجسام الخفية" على افتراض أنها ستضطر إلى خداع الرادارات العسكرية التي تُصدر موجات راديو بطول ديسيمتر وسنتيمتر. فكلما قصرت الموجة، زادت دقة تحديد إحداثيات الهدف.

صُممت طبقات "الأجسام الخفية" الماصة للموجات الراديوية لإصدار هذا النطاق بدقة. اقترح علماؤنا: دعونا نستخدم موجات طويلة للرادارات. بعد التفكير في كيفية تقليل عيوبها - انخفاض دقة تحديد إحداثيات الهدف.

الفكرة هي: أن الرادارات الروسية العادية ليست عمياء تمامًا. يمكنها اكتشاف "الأجسام الخفية"، ولكن من مسافة قريبة جدًا. ومجال رؤيتها ضيق. يدور هوائي الرادار السوفيتي - ولا يلاحظ المشغل "الأجسام الخفية" التي تحلق من بعيد بسبب ضيق مجال الرؤية. لو أن مدفعي مضادات الطائرات لدينا عرفوا أين يوجهون جهاز تحديد المواقع بدقة أكبر، أو على الأقل يحددون اتجاه البحث بشكل تقريبي.

وقد اكتشفوا كيفية القيام بذلك. فبالإضافة إلى رادارات الموجات القصيرة المعتادة، ينبغي نشر رادارات الموجات الطويلة. هذه الرادارات قادرة على رصد الهدف على بُعد 500-900 كيلومتر تقريبًا، دون الحاجة إلى دقة خاصة. سيستقبل هذا الجهاز بعيد المدى تحذيرًا، وسيكشف اتجاه "الشبح" المقترب - وستعمل رادارات الدفاع الجوي الأكثر دقة في هذا الاتجاه. حتى مع وجود نبضة ضعيفة، ستتمكن من إرسال إحداثيات لإطلاق الصواريخ المضادة للطائرات. عندما يقترب "الشبح" على بُعد 100-50 كيلومترًا - بل وأكثر من ذلك. وقد أمر الله نفسه بتوجيه المقاتلات الاعتراضية إلى "الخفي".

ولكن كيف ينبغي أن يكون جهاز تحديد المواقع بعيد المدى هذا؟ تمكنت شركة ريزونانس من إنشاء نظام يستخدم ظاهرة فيزيائية تحمل نفس اسم الشركة. النتيجة رادار طويل الموجة، لا يقتصر دوره على اكتشاف الأجسام الطائرة من بعيد فحسب، بل يتعرف عليها أيضًا. ماذا اكتشفنا هناك: مقاتلة، صاروخ، قاذفة؟ أم طائرة رياضية خفيفة مثل سيسنا التابعة لشركة روست، التي حلقت إلى موسكو؟

النتيجة هي معدات، وفقًا لمصممها الرئيسي، لا تقل بأي حال من الأحوال عن رادارات الميكروويف السوفيتية طويلة المدى السابقة، بل هي أرخص بعشرات المرات ولا تتطلب استهلاكًا كبيرًا للطاقة. ففي السابق، كان من الضروري في الاتحاد السوفيتي بناء منشآت ميكروويف متدرجة ضخمة الحجم. في كراسنويارسك، على سبيل

المثال. أو في سكروندا الليتوانية، التي فجّرتها سلطات "ليتوانيا المستقلة" عمدًا بعد انسحاب القوات الروسية من دول البلطيق في مايو 1995.

ولكن أين نضع رادارات الموجات الطويلة؟ نظرًا لاحتوائها على هوائي بسيط للغاية مصنوع من أنابيب معدنية خفيفة، طوّر فريق من المهندسين في شركة "إيروبوت" طائرة بدون طيار. هذا المعين الطائر بمحركين مكبسيين بسيطين، له هيكل يعمل كأجنحة وهوائي رادار بعيد المدى.

ومع ذلك، حتى بدون "الطائرات الآلية"، فإن الطائرات "الخفية" الغربية معرضة للخطر. ففي النهاية، صُممت مع وضع رادارات ديسيمترية وسنتيمترية في الاعتبار. وكان لدى الاتحاد رادارات بمدى متري اعتُبرت متأخرة. واتضح أنها تستطيع رصد "الطائرات الشبح" بسهولة!

إذن، أيها القراء الأعزاء، لم تُشكل الطائرات "الشبحية" الأمريكية أي تهديد قاتل. كانت الطائرات "الآلية" الرخيصة غير المأهولة، التي تغطي حدود إمبراطوريتنا بشكل موثوق، ستحلق فوق مواقع القوات الروسية. وانتهى مشهد عملية دريم لاند، الذي وصفه كلانسي، عند بدايته. فقد رصدت "عيون" الإمبراطورية اللاسلكية طويلة الموجة "الطائرات غير المرئية" البطيئة والخرقاء عند اقترابها، موجهةً صواريخ اعتراضية سريعة لمواجهتها.

والآن سؤالٌ مُحير. إذا كانت مشكلة مكافحة الشبح قد حُلّت على يد مجموعة من المهندسين الشباب في ظلّ الانهيار شبه الكامل للبلاد واقتصادها عام ١٩٩٥، وبميزانيات ضئيلة وفقًا للمعايير السوفيتية القديمة، فماذا كان يُمكن فعله في الإمبراطورية الهائلة الغنية عام ١٩٨٥؟

في الإمبراطورية، حيث كان العمل جاريًا على مركبات أخف من الهواء - المناطيد - كان من الممكن إنشاء منصات قتالية رخيصة جدًا يمكنها أن تطفو في محيط الهواء لأيام - رادارات وقاذفات صواريخ مضادة للطائرات في الوقت نفسه.

في الإمبراطورية، حيث كانت هناك أنظمة تونغوسكا المضادة للطائرات بمدافع آلية تُطلق ٦ آلاف قذيفة كل دقيقة، كان من الممكن نشر مجمعات أرضية كاملة من هذه الآلات. يتم التحكم بها من نقاط جوية وأرضية طويلة.

إذا ما تم نشرها في مواقع موجات في مناطق رئيسية، فإنها ستصبح حاجزًا منيعًا أمام طائرات B-2 "الخفية" التي تحلق على ارتفاع منخفض.

الطائرات "الخفية" الأمريكية بعيدة كل البعد عن المثالية. تُحافظ الولايات المتحدة بحماس على سرية هذه الطائرات. حتى الآن، من المعروف أنها استخدمتها لأول مرة خلال غزو بنما عام ١٩٨٩، وقد خاب أملها بنتائج "الشبح": فقد اتضح أنها ليست خفية تمامًا. على الرغم من أن بنما لم تكن تمتلك دفاعًا جويًا في الواقع، ولا تمتلكه. وهناك مؤشر آخر - لم تجرؤ الولايات المتحدة على استخدام طائراتها "الضاربة" "بليتزكريغ-٨٦" ضد ليبيا، المُجهزة بأنظمة رادار روسية مضادة للطائرات.

٥

لكننا وجدنا طريقة أخرى لكشف حجاب الإخفاء عن طائراتهم! منذ عام ١٩٧٢، تعمل مجموعة بقيادة الأكاديمي م. برانجشفيلي في معهد مشاكل التحكم التابع لأكاديمية العلوم. اكتشف، بالتعاون مع دكتوري العلوم أ. أنواشفيلي ون. ماكلاكوف، طريقة جديدة لتحديد المواقع. لا تكشف هذه الطريقة الهدف نفسه، بل تكشف الأثر الذي يتركه في البيئة.

فحتى أكثر الطائرات غموضًا لا تنطلق في فراغ تام، بل في الهواء، تاركةً وراءها أثرًا دواميًا معقدًا. وقد اقترح العلماء أنه لا حاجة لرادارات جديدة. يكفي ببساطة إعادة تصميم الأجهزة الحالية، وسيصبح "الخفي" ملحوظًا كالأرانب البيضاء الجريحة في الثلج، تاركةً وراءها أثرًا دمويًا.

وكما قال أفتانديل أنواشفيلي نفسه ("VVF"، العدد 1-2، 1996)، فقد أمكن في التجارب، في مئة حالة من أصل مئة، اكتشاف طائرة صغيرة ذات تشتت ضعيف على خلفية الغابات والمباني الصناعية. كان سطح تشتتها الفعال

0.2 متر مربع فقط - أي أقل من سطح الطائرات "الخفية" الأمريكية (بالنسبة لمقاتلات الثمانينيات، يبلغ هذا السطح حوالي ثلاثة أمتار مربعة).

كان من المجدي إعادة تصميم رادارات مقاتلاتنا وسفننا، وبناء وحدات رخيصة لرادارات مضادة للطائرات - ولم يكن لدينا ما نخشاه. حتى طائرات ميج-23 وميج-25 القديمة كانت قادرة على اللحاق بطائرات الشبح البطيئة والقبيحة وإسقاطها بسهولة.

كان بإمكان الأمريكيين أن يسخروا كما يحلو لهم. خلال الحرب مع العراق عام 1991، اعترف الأمريكيون بفقدان طائرة "شبح" من قوات صدام، بعد أن صنفوا ظروف فقدان طائرتهم بدقة بالغة. على الرغم من أن المعدات العراقية القديمة التي تعود إلى ما بين 15 و20 عامًا لم تكن مزودة بمعدات مصممة وفقًا لطريقة مجموعة برانجشفيلي.

لنتخيل أن الكرملين في عام ١٩٨٥ لم يكن مسكونًا ببزاقة أصلع ثرثارة، بل بجنرال صارم شجاع، تولى إدارة الجزائر وفيتنام والصومال وأفغانستان...

...مكتب ستاليني قديم بألواح من خشب البلوط، ومصباح أخضر على طاولة فولاذية ضخمة. على الحائط خريطة بارزة للعالم. القائد الأعلى يفكر وحيدًا، يذرع المكان من زاوية إلى زاوية. إذن، راهن الأمريكيون على القوة، وبدأوا بتسليح أنفسهم بـ"الخفيين". تبلغ تكلفة برنامج بي-٢ وحده مئتي مليار دولار. ستكلفهم كل قاذفة نصف مليار دولار. وهو نفس المبلغ الذي سنكلفنا إياه لشراء اثنتي عشرة طائرة سو-٢٧ أو عشر طائرات سو-٣٧. ٢٠٠ مليار دولار هي إجمالي الميزانية العسكرية الأمريكية في عام ١٩٨٣. وفي عام ١٩٨٥، لم يتمكنوا من تخصيص سوى ٣٠٥ مليارات دولار للأغراض العسكرية.

فليُعاد تسليحهم بطائرات بي-٢. سينهارون، وسيُرهقون أنفسهم. ففي النهاية، ما زالوا بحاجة إلى إنفاق ضعف المبلغ على "حرب النجوم"، وعلى برامج مقاتلات جديدة، وكذلك على برنامج حاملة صواريخ الغواصات ترايدنت، وعلى صواريخ إم إكس، وعلى بناء حاملتي طائرات. سيتعين عليهم إيجاد تمويل لدبابات أبرامز وقذائف إنتل إلكترونيكا، ولتطوير طائرات آلية وصواريخ جوية جديدة. لكن مقابل مليارين أو ثلاثة مليارات روبل، سننشر نظام "روبوتات جوية" ونعيد تصميم الرادارات وفقًا لطريقة برانجشفيلي. نعم، سيحتاج الأمريكيون إلى 28.5 مليار دولار أخرى لتسليح القيادة الجوية الاستراتيجية بقاذفات بي-1. هذا هو المبلغ الذي طلبته ناسا لمشروع رحلة المريخ. لن يتمكن الأمريكيون من تحمل هذا العبء، وسيزيدون الميزانية العسكرية السنوية إلى 450 مليار دولار. سيضطرون إلى الموافقة على زيادة هائلة في الضرائب. ليس لديهم ما يدخرونه عمليًا. سيسحقون إنتاجهم المدني وأعمالهم بالضرائب. سيضطر رواد أعمالهم إلى رفع أسعار كل شيء. وسيبدأ الأمريكيون بشراء البضائع اليابانية والكورية والتايوانية. هم فقط. سيضطر ريغان إلى فرض حواجز حمائية وجمركية على الواردات الرخيصة، وإلا ستنهار القاعدة المالية لميزانيته. وعندها ستبدأ تكاليف المعيشة في الارتفاع الحاد. حسنًا، هذا ما كنا نتمناه!

نعم، سيضطرون إلى خفض الإنفاق الاجتماعي. هذا على الرغم من أنهم يشهدون بالفعل أعمال شغب عنصرية في لوس أنجلوس وميامي، والبطالة في ازدياد. سيلعن الأمريكيون ريغان بالتأكيد في الانتخابات القادمة، وسيضعون شخصية أكثر سلمية وتسامحًا على رأس السلطة. أو سيضطرون إلى السعي لإقامة ديكتاتورية. كلا، لن يفعلوا، لن يستطيعوا. وحتى لو فعلوا، فلن يصمد اقتصادهم طويلًا أمام هذا السباق...

يعقد المرشد الأعلى جبينه، ويرسم خطة عمل على ورقة. هذا - للتوضيح - يجب أن يُنفذ. من خلال أجهزة المخابرات، يُغدقون الأموال على الزعيم الإسلامي الأسود فرخان. فليصرخ بصوت أعلى بشأن ذنب المصرفيين اليهود في إبادة السود. يبدو أنه

هل يُنظّم مسيرة مليون رجل أسود في واشنطن ويتحدث عن إنشاء دولة مستقلة للسود على غرار ألاباما؟ يجب أن نساعد شخصًا مفيدًا. لنساعد السيناتور إدوارد كينيدي أيضًا - هذا المُحب للسلام لديه كل فرصة للفوز في الانتخابات. نعم، سيصل مبعوث القذافي إلى موسكو الأسبوع المقبل. هناك ما يستحق النقاش. فرخان مفيد أيضًا لـ"أسد الصحراء" الليبي. حسنًا، حان الوقت لتنظيم مشروع مشترك لتقسيم الولايات. ولكن - بأقصى قدر ممكن من الحذر...

كان من الممكن أن يحدث ذلك. لولا غورباتشوف ويلتسين وشيفرنادزه وكل جيش الإصلاحيين. منذ عام ١٩٨٩، تتلقى الولايات المتحدة مساعدات اقتصادية هائلة منا، ونمنحها دفعات وفيرة على شكل تصدير مواد خام رخيصة وتكنولوجيا ورؤوس أموال، وحتى احتياطيات النقد الأجنبي للبنك المركزي بموجب نظام EBN محفوظة أيضًا في سندات أمريكية. لسنا هم من يُقرضهم، بل نحن من يُقرضهم! وحتى رغم تبرعاتنا، كانت الولايات المتحدة تعاني من حمى في عام ١٩٩٦. اندلعت أزمة ميزانية. خفضوا ميزانيتهم العسكرية إلى ٢٤٤ مليار دولار - إلى مستوى أوائل الثمانينيات.

لولا البيريسترويكا والديمقراطية، لانهار برنامج ريغان الحربي بالكامل في أوائل التسعينيات. لأنه مقابل روبل عسكري روسي واحد، كان عليهم إنفاق دولارين أو ثلاثة دولارات على الأقل! في عام ١٩٨٥، أنتج الاتحاد السوفيتي النفط والغاز بمرتين ونصف ما أنتجته روسيا في عهد يلتسين. كان طن النفط يكلفنا ٧٥-٨٠ روبلًا، بينما يكلفنا الأمريكيون ١٢٠-١٣٠ دولارًا. كم كان عليك أن تكره الروس حتى تستسلم، مع وجود كل فرصة للفوز؟

في منتصف الثمانينيات، كان لدى حكام الكرملين ١٠-١٢ عامًا من الاحتياط حتى لا يخشوا "العمليات السرية"، مستخدمين أقوى سلاح مضاد ضدهم. ولخلق طائراتنا "الخفية".

تُطوّر الولايات المتحدة مقاتلات "شبح" جديدة - إف-22 وإف-23، تتفوق في قدرتها على المناورة على إف-15 وإف-18. طائرة إف-22، التي حلقت لأول مرة عام 1990، وصلت سرعتها إلى ماخين. يا لها من ألعاب باهظة الثمن!

كانت الولايات المتحدة تعمل على ابتكار مركبات شبحية بدون طيار غير مرئية. مُجهزة بأغلفة موصلة خاصة تجعل الطائرة غير مرئية ليس فقط للرادارات، بل أيضًا للعين البشرية. يُغيّر هذا "الجلد الكهربائي" خصائصه تبعًا لخلفية السماء أو السطح الذي تُحلّق عليه الطائرة "الشبحية الفائقة".

لكن... أسلوب علمائنا من معهد علوم التحكم دحض كل هذه الحيل. ففي النهاية، لكي تكون الطائرة غير مرئية تمامًا، كان على الأمريكيين أن يفعلوا شيئًا ما بكل الهواء على الأرض. لكن بدونه، لا تُحلّق الطائرات. ويجب أن نتنفس شيئًا ما. لقد وصلت الولايات المتحدة إلى طريق مسدود! ولم يكن هناك ما هو أكثر ربحًا للروس من نشر برنامج "الخفي". فإلى جانب حماقة "حرب النجوم"، أدى هذا البرنامج ببساطة إلى فوضى في الاقتصاد الأمريكي.

لكن الكرملين كان يسكنه الديدان، لا القادة.

الفصل الثامن: "مبهر"، "سقوط من الخلف" وآخرون. الطائرات الروسية. تحركنا مع "الخائن الأسود".

1

لقد مرّت أمريكا بوقت عصيب. فقد استولى الروس فجأة على أيسلندا، ونقلوا طائراتهم إليها، وباتوا يهددون شمال الأطلسي بأكمله. وفي أوروبا، دارت معارك - كان الجيش الروسي يندفع نحو القناة الإنجليزية. لم يجرؤ الاتحاد السوفيتي ولا الناتو على الانتحار واستخدام الأسلحة النووية. ولتزويد قواتهما في أوروبا، اضطرت الولايات المتحدة إلى إرسال قوافل بحرية، وحراستها بالسفن الحربية. وقرر الروس توجيه ضربة ساحقة لأسطول الناتو...

...اكتشف قمر صناعي روسي لاستطلاع الرادار المحيطي تشكيلًا من السفن الحربية في المحيط الأطلسي الساعة 3:10 صباحًا. وبعد ربع ساعة، اجتمعت طواقم أربعة أفواج جوية روسية بالقرب من كيروفسك، في شبه جزيرة كولا، لحضور إحاطة.

كانت أول من أقلع الساعة 4:00 صباحًا قاذفات توبوليف-16 القديمة، التي أقلعت بكثافة من المدرجات. وبعد أن تحولت إلى تشكيلات قتالية فوق مورمانسك، حلقت فوق رأس الشمال، ثم انعطفت يسارًا، متجهة نحو شمال الأطلسي.

تلقى السرب الغربي، بقيادة حاملة الطائرات نيميتز، تحذيرًا بانطلاق أربعة أفواج جوية معادية الساعة 4:18 صباحًا. كان السرب يحلق في تشكيل خاص: في الوسط كانت هناك ثلاث حاملات طائرات وسفن إنزال. وحولها، على مسافة أربعين ميلًا، كانت هناك تسع سفن مرافقة وست سفن مضادة للغواصات. بدأت لعبةٌ قاتلة: من سيكتشف من أولاً؟ من سيُخمّن أولاً من أين ستأتي الضربة القاضية...

على بُعد ثمانمائة ميل شمال أيسلندا، اتجهت طائرات تو-16 جنوبًا. كانت طائراتٌ من جيل الخمسينيات تُحلق بسرعةٍ هائلةٍ بلغت 750 كيلومترًا في الساعة، تحمل صواريخ كروز قديمة تحت أجنحتها. أطلق الأمريكيون على طائرات تو-16 لقب "بادجر" - غرير، وعلى صواريخها التي تزن خمسة أطنان - "سلت". وكان هؤلاء الأخيرون أيضًا من المخضرمين. بهيكلها الشبيه بالسيجار وعارضة ذيلها الكبيرة، كانت تستطيع الطيران لمسافة 320 ميلًا بسرعة 0.85-0.95 من سرعة الصوت.

ولكن لم تكن طائرات تو-16 أو "سلت" هي القوة الضاربة الرئيسية. على بُعد مائتي ميل خلف القاذفات القديمة، كانت أحدث طائرات تو-22 إم تُنهي عملية التزود بالوقود جوًا. طائراتٌ سريعةٌ وقاتلة، تُلقب في الغرب بـ"باكفاير" - "باكفاير". أفضل قاذفات القنابل الأسرع من الصوت في العالم، مُجهزة بصواريخ كروز X-22، التي أطلق عليها الأمريكيون اسم "كينغ فيش" - أي السمكة الملكية. وتضرب هذه "الأسماك" على بُعد 650 كيلومترًا، مندفعةً بسرعة تفوق سرعة الصوت بثلاثة أضعاف. بعد إعادة التزود بالوقود،

اتجهت طائرات تو-22 إم جنوبًا أيضًا، محافظةً على بُعدٍ طفيفٍ غرب طائرات تو-16 المخضرمة...

... ألقى الأدميرال الأمريكي نظرةً على سربه. حاملتا الطائرات الأمريكيتان نيميتز وساراتوجا، وفوش الفرنسية، وطراد الدفاع الجوي تيكونديروجا. انطلقت طائرات إف-14 مع طائرات التزويد بالوقود الطائرة. كان التشكيل يتجه شرقًا بسرعة ثلاثين عقدة.

الآن، كانت طائرات تو-16 الروسية، الممتدة على جبهة واسعة، تقترب من الجناح الأيسر لتشكيلة الناتو البحرية، على بُعد أربعمائة ميل شمالًا. بعد أن رسمت طائرات تو-22 إم دائرة، وصلت إلى مؤخرة السرب، وانتهى بها المطاف على بُعد ثمانمائة ميل جنوب غرب الطائرة القديمة التي تحمل طائرات السلتيين. بدأ الملاحون والمشغلون على متن طائرات تو-16 بإدخال بيانات الهدف بسرعة في الصواريخ.

في الساعة 6:15، بدأت طائرات تو-16 إطلاق صواريخها. تم انتزاع "السلتيين" من أبراج أجنحة القاذفات، وشُغّلت محركاتها، وحلقت القنابل الطائرة، الموجهة بالطيار الآلي، حتى ارتفاع عشرة أميال. كانت الآن تحلق بسرعة ألف كيلومتر في الساعة جنوبًا، باتجاه جناح العدو.

استدارت قاذفات توبوليف-16، وانطلقت في مسار عودة. استمرت ست قاذفات توبوليف-16 فقط، مزودة بنسخة التشويش الإلكتروني، في التحليق خلف سرب "السلتيين"، على بُعد 60 كيلومترًا خلفهم. وبكامل قوتها، أرسلت "حليبًا" من التشويش إلى الرادارات الأمريكية.

بدأت صافرات الإنذار الأمريكية تدوي. هجوم هائل من الشمال! استدارت السفن واتجهت نحو الشمال الشرقي، موجهةً رادارات محطة توجيه الصواريخ المضادة للطائرات نحو الشمال. لم يكن الأمريكيون يعلمون أنهم وقعوا في فخ. ظنوا أن موجة من القاذفات الروسية تتجه نحوهم من الشمال. لم يكونوا يعلمون أن طائرات تو-16 قد عادت أدراجها، والآن فقط طائرات "السلت" القديمة تندفع نحوهم، المُجهزة بعاكسات رادار ذكية، ولذلك لم تظهر على شاشات الرادار الأمريكية كصواريخ كروز قصيرة، بل كطائرات تو-16 بطول خمسة وثلاثين مترًا. لم يشك العدو في أن طائرات "باك فاير" الأسرع من الصوت، وعلى متنها رؤساء طيارين مختارون في قمرة القيادة، تقترب منهم من الخلف.

كانت طائرات "السلت" تُحلق بسرعة تُعادل سرعة طائرة تو-16 المهاجمة - 1000 ميل في الساعة. عندما لامستها الرادارات الأمريكية بأشعتها الراديوية، شُغّلت أجهزة التشويش على صواريخ الطائرات، وتحولت أنظمة الطيار الآلي إلى وضع الانحراف في جميع الاتجاهات. بدأت طائرات "السلت" تبدو تمامًا كطائرات تُناور للتهرب من الصواريخ المضادة للطائرات. واصلوا هجومهم الكاذب.

هم من سحبوا طائرات إف-14 الأمريكية التي أقلعت من حاملات الطائرات، مما أجبرها على إطلاق صواريخ فينيكس المضادة للطائرات، والتي تبلغ قيمة كل منها مليون دولار. أسقط الأمريكيون تسعة وثلاثين طائرة سلتية في دقيقة واحدة، مستخدمين ثمانية وأربعين صاروخًا. ثم انطلق السرب الثاني من طائرات إف-14، ودمر أربعة وثلاثين طائرة سلتية أخرى بوابل من ثمانية وأربعين صاروخ فينيكس. ثم اندفع سربان آخران إلى الهجوم. بعد أن استنفدوا جميع صواريخهم جو-جو، أسقطوا 138 صاروخ كروز سوفيتي، وبدأوا في القضاء على طائرات السلتية التسعة عشر المتبقية بنيران المدافع على متنها.

كانوا متأكدين من أنهم سيشاهدون قاذفات روسية. لكنهم صُدموا: فقد رأوا أنهم يسقطون طائرات سلتية قديمة فقط. وفي ذلك الوقت، أُبلغ الأدميرال: تم رصد غارة ثانية، من الخلف. غطّى وجهه شحوبٌ مُميت...

زأرت ثلاث وسبعون طائرة من طراز Tu-22M بمروحياتها التوربينية، منتشرةً في جبهة واسعة. وجّهتها إلى الهدف طائرات Tu-95 المزودة بأجهزة تحديد المواقع الروسية الممتازة من طراز Utes. سيطر الذعر على الأمريكيين: فقد أهدرت مقاتلاتهم ذخيرتها. لم يكن بمقدور السرب صد الغارة سوى ثماني طائرات صليبية قديمة من طراز Foch الفرنسية. لكن الأوان كان قد فات.

أطلقت طائرات Tu-22M مائة وأربعين صاروخًا سريعًا ودقيقًا من طراز Kh-22 على السفن. عبثًا، نشر الطراد Ticonderoga حوامل SM-2 المضادة للطائرات لمواجهتها - لم يكن لدى الطراد سوى 92 صاروخًا مضادًا للطائرات ضد مائة وأربعين "قاتلة سفن" روسية. أطلقت حاملة الطائرات Nimitz، بسرعة 35 عقدة، الطرادين النوويين الخفيفين Virginia و California لمواجهة الهجوم.

وصف كلانسي هذه المعركة في روايته "العاصفة الحمراء". تُظهر هذه المعركة الخوف الجامح الذي كان يساور الأمريكيين من طائرات توبوليف الروسية الأسرع من الصوت. لم يكن بإمكان كلانسي أن يسمح بهزيمة الأسطول الأمريكي. نيميتز، التي أُصيبت بصاروخين، لا تزال على قيد الحياة. كانت تيكونديروجا تحترق، لكنها لم تغرق. صحيح أن سفينة الإنزال "سايبان" وعلى متنها ألفان من مشاة البحرية غرقت. غرقت فوش وفرقاطتان ومدمرة. لكن كلانسي خفف من وطأة الأمر: فقد تمكن "صليبيوه" القدامى بطريقة ما من اللحاق بطائرات توبوليف-22، التي كانت تُغادر بسرعة 2100 كيلومتر في الساعة، وأسقطوا ستًا منها. دون أن يفقدوا أيًا منها. مع أنهم كانوا سيتعرضون لنيران مميتة من مدافع الذيل المزدوجة لقاذفاتنا، الموجهة بأجهزة الرادار.

2

كان الاتحاد السوفيتي، كما يُقال لنا الآن، رائدًا في بناء أسطول من القاذفات الأسرع من الصوت. في عام 1959، غرق طاقم يو. رفع ألاشيف أول طائرة من طراز توبوليف-22 في الجو. كان تصنيعها دراماتيكيًا - وقعت كارثة في الرحلة السابعة. توفي ألاشيف وملاحه إ. غافريلينكو. كان هذا الشيء جديدًا جدًا آنذاك - قاذفة أسرع من الصوت.

لكننا تمكنا من التغلب على الصعوبات وبدء إنتاج "الثانية والعشرين" في مصنع قازان. أطلق الأمريكيون عليها لقب

كانت هذه الطائرات الأنيقة تُسمى "بلايندرز" - أي "المبهرة". في عام ١٩٦٥، بدأنا استخدامها.

في ذلك الوقت، كانت السرعة القصوى للطائرة ذات الثلاثة مقاعد ١٦٤٠ كيلومترًا في الساعة، وحمولتها القتالية تصل إلى ١٢ طنًا، مع مدى طيران يبلغ ٥٦٥٠ كيلومترًا. صُممت "المبهرة" لارتفاع تشغيلي يبلغ ١٣٥٠٠ متر. وعادةً ما كانت تحمل ٩ أطنان من القنابل ومدفعًا واحدًا عيار ٢٣ ملم للحماية من الهجمات من الخلف.

لفترة طويلة، كانت القنبلة الوحيدة "الأسرع من الصوت" في العالم. في الولايات المتحدة، بدأ العمل على مثل هذه الطائرة عام ١٩٤٨. قرروا بناء طائرة بجناح دلتا - لأنهم حصلوا على جوائز - وهي نتائج أبحاث أجراها مصمم طائرات هتلر، ألكسندر ليبيش، من شركة ميسرشميت. كان قد صمم طائرات أسرع من الصوت في الرايخ الثالث.

في عام ١٩٥٦، حلقت أول طائرة بي-٥٨ كونفير في الجو، وسرعان ما وصلت سرعتها إلى ٢١٢٢ كيلومترًا في الساعة. ولكن لم تدخل بي-٥٨ الخدمة في سلاح الجو الأمريكي إلا في عام ١٩٦١. اتضح أن هذه الطائرة معقدة للغاية ومتقلبة. في معرض باريس عام ١٩٦١، تحطمت بي-٥٨ مع طاقمها. وبعد ثماني سنوات، عندما كانت طائرة تو-٢٢ في أوج عطائها لتزويد الطيران الروسي، سحبت الولايات المتحدة بي-٥٨ من الخدمة وأوقفتها عن العمل.

يا له من تقدير لطائرتنا "المبهرة"! في رواية "العاصفة الحمراء" لكلانسي، هاجمت طائرات تو-٢٢ سلسلة من قواعد الرادار في اسكتلندا. أو ضربت بصواريخ كيه-٢٢ قواعد سلاح الجو الملكي البريطاني تحت غطاء طائرات ميج-٢٣ عالية السرعة.

في ذلك الوقت، تمكن الفرنسيون فقط من بناء قاذفة أسرع من الصوت، ميراج 4، وأنتجت 62 طائرة في الفترة من 1963 إلى 1967. لقد تم إيقاف تشغيلها منذ فترة طويلة، لكن طائرة توبوليف 22 لا تزال تحلق. إنه أمر مفهوم: يمكن لطائرة ميراج حمل قنبلة هيدروجينية واحدة فقط، بمدى 2000 كيلومتر وسرعة إبحار 960 كيلومترًا في الساعة بحد أقصى 2340 كيلومترًا في الساعة. كان لدى توبوليف تسليح أكثر تنوعًا بكثير. في عامي 1985 و1986، عندما كان كلانسي يكتب كتابه الدعائي عن هزيمة الروس، كان الأمريكيون لا يزالون يفشلون في صنع قاذفة أسرع من الصوت. في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي، بدأوا في بناء طائرة فالكيري بي-70، وأطلقوها في عام 1965. لقد وصلوا إلى ثلاثة أضعاف سرعة الصوت، ولكن في عام 1966 اصطدمت إحدى طائرتي فالكيري بمقاتلة مرافقة. سُلّمت آخر طائرة B-70 إلى المتحف عام ١٩٦٩.

حقق الأمريكيون نجاحًا جزئيًا في صنع طائرة F-111، وهي طائرة متعددة الأغراض أسرع من الصوت ذات أجنحة متغيرة. في عام ١٩٦٧، دخلت الخدمة كقاذفة وطائرة استطلاع. في عام ١٩٦٨، أرسلت الولايات المتحدة ست طائرات F-111 إلى فيتنام، مُروّجةً لها كأكثر الطائرات تطورًا من الناحية التقنية في العالم. ولكن سرعان ما أسقط الفيتناميون نصف هذه الطائرات الرائعة.

في السبعينيات، بنت الولايات المتحدة قاذفة FB-111 الاستراتيجية بناءً على هذا الطراز. ولكن هنا أيضًا، أفلسوا: فبدلًا من ٣٫٧ مليون دولار الموعودة، بلغت تكلفة كل طائرة ١٨٫٣ مليون دولار. علاوة على ذلك، كانت موثوقيتها أقل من المطلوب.

كانت الطائرة "مُتأرجحة". بمدى ٣٢٧٠ كيلومترًا، وسرعة قصوى ٢٢٠٠ كيلومتر في الساعة، وحمولة قتالية ١٧ طنًا. في أوائل الثمانينيات، تمركز الأمريكيون في إنجلترا، حيث كان بإمكان طائرات FB-111 الوصول إلى المناطق الأوروبية من الاتحاد السوفيتي. ولكن بحلول ذلك الوقت، كان لدينا بالفعل طراد أسرع من الصوت يُحلّق - طراز Tu-22M، الملقب بـ"باك فاير" في الغرب - "باك فاير". طائرة رائعة الجمال بطاقم من أربعة أفراد، تبلغ سرعتها 2100 كيلومتر في الساعة، وتحمل 12 طنًا من القنابل والصواريخ الموجهة، ويتراوح مداها القتالي بين 1500 و4000 كيلومتر. تضرب صواريخها المضادة للسفن أسراب العدو بثقة من مسافة 800 كيلومتر. هذه "الطرادات الجوية" هي التي دمرت السرب الأمريكي في رواية كلانسي. كانت هي التي استطاعت اختراق أوروبا الغربية بطولها وعرضها من قواعدنا في أوروبا الشرقية، بينما لم تصل طائرات FB-111 إلا إلى المناطق الغربية من الاتحاد السوفيتي.

بخلاف سابقتها، أوسليبيتيلني، تمتعت طائرة توبوليف هذه بسرعة طائرة مقاتلة، بالإضافة إلى مدفعها الخلفي، كانت مسلحة بصواريخ جو-جو في نصف الكرة الأمامي. أي أنها كانت قادرة على الاشتباك مع المقاتلات وإسقاطها، أو تدمير قاذفات العدو وطائرات الاستطلاع والطائرات الهجومية.

كما كانت مزودة بنظام ملاحة عبر الأقمار الصناعية ومعدات للتحكم الآلي في الطيران على ارتفاعات منخفضة، مما سمح لطائرة توبوليف-22إم بتتبع التضاريس. بالإضافة إلى ذلك، كانت مزودة بأنظمة حرب إلكترونية وأنظمة تشويش لرادارات العدو. بلغ إجمالي عدد طائرات توبوليف من هذا النوع ستمائة طائرة. كانت مجموعات قوية من طائرات توبوليف-22 مخصصة لضرب الأسطول الأمريكي السادس في البحر الأبيض المتوسط. في حالة الحرب، كان مسارها فوق أوروبا الشرقية والبلقان. كان فوج الاستطلاع توبوليف-22إر في نيجين، أوكرانيا، يشارك في استطلاع استراتيجي في اتجاهات "جمهورية ألمانيا الاتحادية - النمسا - اليونان - البوسفور - مرمرة والبحر الأسود - تركيا - إيران". حلّقت فرقة زيابروفسكي فوق بحر البلطيق وشمال أوروبا.

اعتُبِرت الرحلات الجوية فوق هذه المياه الجليدية، حيث كان عليهم في كثير من الأحيان مواجهة مقاتلات العدو، عملاً بالغ الخطورة. ولمدة عشرين رحلة استطلاعية فقط، رُشِّحت طواقمها أحيانًا لجوائز قتالية.

وكتبت مجلة "الطيران والوقت" (العدد 2، 1996): "كانت العملية الأصعب والأخطر... تُعتبر تدمير حاملة طائرات. في

شارك في العملية ما لا يقل عن أربع طائرات استطلاع، وما يصل إلى فوج من حاملات الصواريخ وسرب أو سربين من المقاتلات. انطلقت طائرات Tu-22R أولاً، وكانت مهمتها رصد حاملة الطائرات وإبلاغ المجموعة الضاربة بإحداثياتها الدقيقة. عند اقتراب السفن، بقي زوج من طائرات Tu-22R على ارتفاع للتشويش ونقل المعلومات الاستخباراتية، بينما "هبطت" الثانية على ارتفاع 100 متر واخترقت مجموعة حاملة الطائرات على مدى رؤية بصرية يتراوح بين 10 و15 كيلومترًا. بمجرد رصد حاملة الطائرات، أُبلغت حاملات الصواريخ بعدد "مربعاتها"، فأطلقت الصواريخ من خط يبلغ طوله حوالي 300 كيلومتر...

تتميز هذه الطائرات بقدرتها غير المسبوقة على الصمود. خلال الحرب الإيرانية العراقية (1980-1988)، دمّر صاروخ من طائرة "فانتوم" إيرانية نصف الذيل الأفقي للقاذفة. لكن "الفرقة 22" عادت إلى قاعدتها. وهناك أيضًا حالة معروفة عادت فيها هذه الطائرة حتى بعد أن انفجر صاروخ أُطلق عليها من نظام "هوك" المضاد للطائرات تحت بطنها.

يُقال إن المركبات القتالية لمختلف الدول تعكس التقاليد الوطنية لمبتكريها. انظر إلى مقاتلة "زيرو" اليابانية من الحرب العالمية الثانية. وزنها خفيف، وقدرتها القصوى على الوقود والتسليح. لا دروع لها من أجل السرعة والنيران والمدى. حوّلت قذيفة "زيرو" إلى كرة نارية مع الطيار. انظر إلى "زيرو" - وستفهم ما هي روح الساموراي، وازدراء اليابانيين للموت، وظاهرة الكاميكازي. انتحاريون.

تتميز طائرات تايجر وفوك-وولف الألمانية بزواياها وخطوطها الواضحة وقوتها التي لا تلين. إنها تُذكرنا إلى حد ما بالخيالات الجامدة لفرسان تيوتون.

تُظهر طائرة تو-22 ملامح الحضارة الروسية التي كانت مستعدة لاختراق الدرع الماركسي اللينينية البالية في ثمانينيات القرن الحالي. شكلها سريع وانسيابي، يُذكرنا بشكل مُراوغ بفارس روسي بدرع لوزية الشكل وخوذة مُقببة. هناك شيء ما في هذه الطائرة يُوجه نحو السماوات العظيمة، نحو أسمى عوالم الروح - بعيدًا عن الظلام، مُثقلًا بمشاعر الأرض الدنيئة.

3

في لعبة كانت جائزتها السيطرة على العالم، قمنا بخطوة قوية. "بلاك جاك". هذا ما أطلق عليه الأمريكيون قاذفتنا الخارقة - قاذفة تو-160 الاستراتيجية الأسرع من الصوت.

عندما أصبح ريغان رئيسًا للولايات المتحدة في ديسمبر 1980، كان البنتاغون يُفكر حول تغيير تركيبة أسطولها من القاذفات بعيدة المدى. كانت طائرات بي-52 القديمة تُحلق منذ عام 1954، وبدت بطيئة للغاية وعرضة للخطر.

منذ عام 1970، بدأت شركة روكويل بتطوير طائرة بي-1 رباعية المحركات، على شكل سهم، والقادرة على الطيران لمسافة 12,560 كيلومترًا، بسرعة قصوى تبلغ 1.2 ماخ، وحمولة 24 طنًا. في عام 1974، حلقت لأول مرة في السماء. كانت الطائرة باهظة الثمن - 200 مليون دولار للطائرة الواحدة. بدلاً من 12 مليون دولار المخطط لها في الأصل! في عام 1977، أثار هذا الأمر رعب الرئيس جيمي كارتر آنذاك لدرجة أنه قرر التخلي عن إنتاج بي-1، واستبدالها بطائرة إف بي-111 الأرخص. ولكن بعد ذلك جاء ريغان، وفي أكتوبر 1981، وعدت روكويل بإجراء تعديل جديد على بي-1 بي باستخدام تقنية التخفي، مما قلل من رؤية الطائرة للرادارات بمقدار 10 مرات.

دون انتظار نهاية خلال اختبارات B-1B، نقلت حكومة ريغان 28 طائرة إلى القوات الجوية الأمريكية عام 1987. ثم اضطرت إلى إنفاق 3 مليارات دولار لمعالجة عيوب هذه القاذفات. وكما ذكر ر. فينوغرادوف وأ.

بونوماريف في كتاب "تطوير الطائرات العالمية"، كان الطيارون يخشون التحليق بطائرات B-1B، وأطلقوا عليها اسم "الحمير الطائرة".

هل حقق الأمريكيون هدفهم ببناء B-1B وإنفاق 28.5 مليار دولار عليها؟ لقد فشلوا في تقليل رؤيتها للرادارات بمقدار 10 مرات. كانت سرعة الانطلاق (وليس الحد الأقصى) 780 كيلومترًا في الساعة فقط. لم يتمكنوا من زيادة حمولتها إلى 56.7 طنًا - واضطروا إلى التوقف عند 30.

صُممت B-1B كحاملة لصواريخ كروز. ومع ذلك، لم يتمكن الأمريكيون أبدًا من صنعها لطائرتهم العملاقة. لم يعجبهم صواريخ ALSM-V ذات المدى القتالي البالغ 2500 ميل. اضطروا إلى تكييف الصواريخ قصيرة المدى القديمة. صواريخ كروز SRAM. لكن بحلول عام ١٩٩٤، فقد الأمريكيون هذا السلاح تدريجيًا - فقد انتهت صلاحية صواريخ SRAM، وبدأ الوقود الصلب في محركاتهم بالتحلل. لذا، لا تستطيع قاذفة B-1 المُبجَّلة اليوم سوى استخدام قنابل قديمة من الحرب العالمية الثانية.

وكما ذكرت مجلة "تكنولوجيا الشباب" في مايو ١٩٩٥، لم تتمكن الولايات المتحدة من تجهيز هذه القاذفة حتى بمناظير بصرية للقنابل، ولم يكن الرادار الموجود دقيقًا للغاية.

كما أن محاولة جعل B-1 غير مرئية للرادارات لعبت دورًا قاسيًا عليها. لتقليل انعكاس الإشارة اللاسلكية من الطائرة قدر الإمكان، قام الأمريكيون بثني قنوات سحب الهواء لمحركات B-1. بحيث لا تمر نبضات الرادار من خلالها ولا تنعكس بواسطة شفرات توربينات المحرك. ونتيجة لذلك، لم تصبح غير مرئية، لكنها فقدت سرعتها. في وضع الطيران، انخفضت سرعتها إلى ٧٨٠ فيرست في الساعة. ثم اتضح أن الرادارات الروسية القديمة، التي تعمل في نطاق الموجات المترية، كانت ميؤوسًا منها. الخردة في الغرب، استطاعت رصد طائرة بي-1 بدقة! وكان هذا الفشل الأفظع للولايات المتحدة.

بشكل عام، هم وقاذفاتهم العملاقة

وجلست بثبات في بركة ماء. بعد أن أنفقت أموالاً طائلة، لم تحصل الولايات المتحدة بعد على سلاح خارق. ربما كانت شركة روكويل وحدها هي الفائزة، بعد أن خدعت بذكاء مهرج هوليوود ريغان، وفي الوقت نفسه وضعت مليارات الدولارات من أموال دافعي الضرائب الأمريكيين في جيبها. ألم يتلقَّ الكرملين تقارير من استخباراتنا ولم يكن على علم بفشل هذا البرنامج؟ ولكن، ماذا يمكن أن نتوقع من خونة يعتبرون حسابًا مصرفيًا سويسريًا أهم بالنسبة لهم من الدولة بأكملها بتاريخها الممتد لألف عام؟

4

ولكن إذا كان الأمريكيون قد فشلوا فشلاً ذريعًا في برنامج القاذفات الأسرع من الصوت، فقد تمكنت الإمبراطورية من تقديم ردٍّ جديرٍ بالثقة وجاهزٍ للقتال. أنجبت القوة الروسية حاملة الصواريخ الأسرع من الصوت "توبوليف" - تو-160، التي لا مثيل لها في العالم. بهندسة جناح متغيرة.

من الخارج، تشبه إلى حد كبير بي-1. لكنها أفضل، أفضل بكثير. أنجز مهندسو توبوليف هذه الطائرة في وقت قياسي: تمت الموافقة على المشروع عام ١٩٧٧، وفي ١٨ ديسمبر ١٩٨١، أطلق الطيار التجريبي بوريس فيريمي أول طائرة في السماء. لنقارن بين طائرة توبوليف-١٦٠، الملقبة بـ"بلاك جاك" في الغرب، وطائرتهم بي-١. تبلغ سرعتنا القصوى ٢٢٠٠ كيلومتر في الساعة، بينما تبلغ سرعتهم ١٢٧٠ كيلومترًا في الساعة. يبلغ مدى طيران توبوليف ١٢٣٠٠ كيلومتر، بينما يبلغ مدى طيران الأمريكية ١٠٩٠٠ كيلومتر. ويبلغ ارتفاع طيران كليهما ١٥٠٠٠ متر. ولكن إذا لم يتمكن الأمريكيون قط من تزويد قاذفاتهم بالصواريخ المجنحة اللازمة، فإن طائرة توبوليف-١٦٠ كانت تحمل اثني عشر صاروخًا مجنحًا بعيد المدى من طراز Kh-55، و٢٤ صاروخًا من طراز RKV-500B، أو ٢٢,٥ طنًا من القنابل. وإذا كانت الطائرة الأمريكية مجهزة بمنظار بصري جوي باليستي للقنابل، فإن قاذفتنا مزودة بمنظار بصري إلكتروني.

هل تذكرون كيف حلّ الأمريكيون مشكلة اختفاء طائراتهم عن الرادارات بثني مداخل هواء المحرك، مما أدى إلى فقدان سرعتها؟ لكن فريق توبوليف سلك طريقًا مختلفًا، فغطّى قنوات الهواء والضواغط بمواد ماصة للموجات الراديوية. لذلك، تبيّن أن سرعة طيران طائرة توبوليف-160، على عكس الطائرة "الأمريكية"، تفوق سرعة الصوت.

الأشكال الديناميكية الهوائية لطائرة توبوليف-160 أنقى بكثير من تلك الموجودة في طائرة بي-1. بالمقارنة مع طائرتنا، تبرز مقصورة الطائرة كالحدبة. في الواقع، قرر الأمريكيون جعلها قابلة للقذف من الطائرة بالكامل، مثل وحدة الهبوط في المركبة الفضائية. لم ينجحوا، لكن المقصورة بقيت محدبة. لم نتابع هذه الابتكارات، ولم نجهّز المقصورة بمقاعد القذف من طراز K-36DM، التي تضمن إنقاذ الطيار في مئة حالة. لكن قمرة القيادة القابلة للفصل التي استخدمها الأمريكيون في طائرة إف-111 لم تنقذ الطيارين من الموت في كل حالة ثالثة. حتى أن رجالنا ركّبوا مطبخًا صغيرًا، وحجرة نوم، ومرحاضًا على متن طائرة توبوليف-160، مما جعلها مريحةً كالقاذفة الأمريكية.

لقد تفوقنا على العدو من جميع النواحي. على سبيل المثال، صُنعت طائرة بي-1بي مع توقع أنها ستُغير الأراضي الروسية دون أن تعود، بل ستحلق في مكان ما إلى مطارات حلفاء الناتو أو القواعد الأمريكية في الخارج. أما طائرة توبوليف، فقد كانت قادرة على العودة إلى مطاراتها الخاصة.

سعت الولايات المتحدة إلى منح طائرة بي-1 القدرة على العمل بسرعات دون سرعة الصوت وعلى ارتفاعات منخفضة للغاية، بتزويدها برادار مصفوفة طورية. لكننا تمكنا من تزويد دفاعنا الجوي بأنظمة تشويش تُعمي رادارات بي-1. بالإضافة إلى أنظمة صواريخ ونيران تونغوسكا، وهي أنظمة ممتازة في إسقاط الأهداف المنخفضة الطيران، وخاصةً الكبيرة منها مثل القاذفة الأمريكية.

زودنا طائرة توبوليف بمحركات NK-32 من مكتب تصميم سامارا، برئاسة ن. كوزنيتسوف، وهي لا تُضاهى في قوة الدفع. إلكترونيات طيران ممتازة مع أنظمة توجيه واستهداف فلكية، وبالقصور الذاتي، وبالأقمار الصناعية. محطة إلكترونية مضادة ممتازة.

نحن، الذين تُسميهم الولايات المتحدة "دولة الإلكترونيات المتخلفة"، زودنا طائرة توبوليف بثمانية حواسيب، وزودناها بمئة معالج. يستطيع الرادار الموجود على متن طائرة توبوليف-160 رصد الأهداف على الأرض وفي البحر، وهو مُزود بمنظار بصري إلكتروني عالي الدقة يعمل على مدار الساعة.

وحتى في اختفاء الطائرة عن الرادار، تجاوزنا الغرب. تتميز طائرة توبوليف-160 بانخفاضها واتساعها مقارنةً بطائرة بي-1. يدور ذيل طائرتنا المعجزة بالكامل، وبالتالي لا توجد فجوة بين عارضة الطائرة ودفتها، مما يزيد من مساحة تشتت شعاع الراديو الفعال لرادار آخر ("العرض العسكري"، مايو-يونيو 1994).

5

كان مصير آخر قاذفة قنابل عملاقة للاتحاد السوفيتي محزنًا. دخلت طائرات تو-160 الخدمة في مايو 1987، عندما بدأ غورباتشوف أعماله التدميرية. في عام 1991، عندما دمّر يلتسين وكرافتشوك وشوشكيفيتش الاتحاد السوفيتي، انضمت 21 طائرة إلى سلاح الجو في أوبريت "أوكرانيا المستقلة". هناك، رُسمت عليها رماح صفراء ثلاثية الشعب على خلفية زرقاء، وأُعيدت إلى الخدمة. (الآن، ينتزع حثالة كييف الغاز منها، في محاولة لإنقاذ اقتصاد ما تبقى من الإمبراطورية غير القابلة للاستمرار). تتمركز عدة طائرات أخرى في روسيا، في مدينة إنجلز. ووفقًا للاتفاق مع الأمريكيين، يجب علينا سحبها من الخدمة. لن تتمكن "روسيا الديمقراطية" الحالية، هذه "اللعنة" التي يزرعها اللصوص تحت نسر ذي رأسين، من خلق شيء مماثل في أي وقت قريب. ففي النهاية، يحكمها أناس لا يعرفون سوى تدمير وتقسيم ثروات لم يخلقوها.

لكن الحقيقة تبقى حقيقة.

بحلول النصف الثاني من الثمانينيات، انتصرت بلادي وشعبي في الحرب الجوية ضدّ الهيمنة الجوية الأمريكية. لا يسع المرء إلا أن ينتقد أي شخص يتحدث عن التخلف التقني للروس.

كان الأمريكيون يخشون تفوقنا بشدة، وأدركوا تمامًا أنهم يخسرون سباق التسلح أمام الروس. ولذلك، حملت طائرة B-1B آثار تسرع محموم أثناء إنشائها. تسرعٌ أدى حرفيًا إلى فشل البرنامج بأكمله.

من المفهوم أن مصممي شركة روكويل لم يكونوا يعلمون أن بلادهم ستستخدم سلاحًا مختلفًا تمامًا في الحرب ضد الاتحاد السوفيتي - رشوة وفساد النخبة السوفيتية الحاكمة.

لقد فازت حضارتنا تقنيًا في مسابقة أفضل طيران ثقيل في العالم. ففي النهاية، نحن عمومًا أكثر شمولية من الأمريكيين الواقعيين والعمليين، فنحن نركز على السماء. كان الروس أول من صنع طائرة عام ١٨٨٣. واخترع الروسي كوتيلنيكوف المظلة المحمولة على الظهر عام ١٩١٢. وكان روساك نيستيروف أول من نفذ حركة "الحلقة الدائرية" وأول من اصطدم بها. وكان أرتسيولوف الشجاع أول من أخرج طائرة من حالة انزلاق عنيف بإلقاء نفسه فيها عمدًا.

بعد أن مزقنا آخر ما فينا، اندفعنا نحو السماء، وظل طيران الإمبراطورية الأفضل على وجه الأرض حتى نهايته. لم يكن لدينا ما نخشاه عام ١٩٨٥. لم يخسر الروس أمام أحد قط. هدير توربينات توبوليف جعل الغرب يرتجف!

مع من خسرنا المعركة؟ يا للأسف، أمام الأمريكيين، أمة من الحمقى. هل دهشتم من قسوتنا؟ شاهدوا فيلمهم الأكثر ربحًا عام ١٩٩٦، "يوم الاستقلال". حسناً، الفيلم الذي تشهد فيه الأرض غزواً من "صحون فضائية" ضخمة بعرض خمسة عشر ميلاً، مليئة بآلات طائرة فائقة السرعة.

يدمرون المدن، ولكن لسبب ما لا يفكرون في تدمير جميع القواعد الجوية من الضربة الأولى وإسقاط جميع طائرات سكان الأرض. لسبب ما، تستمر طائرات بوينغ في الطيران، ويستمر التلفزيون في العمل في الفيلم. وتُنقذ الولايات المتحدة والأرض طيار أسود ويهودي عجوز ذو حكمة محلية، يُرشدان الرئيس الأنجلو ساكسوني إلى الطريق الصحيح. ابن ذلك اليهودي، بمساعدة جهاز كمبيوتر محمول (لابتوب)، يفكّ شفرة حاسوب الكائنات الفضائية، ويخترق هو والرجل الأسود القاعدة الفضائية الرئيسية للكائنات الفضائية على "طبق" صغير تم الاستيلاء عليه! والضربة القاضية للسفينة الحربية فوق واشنطن تُوجّه من قبل طيار ثمل صعد إلى طائرة إف-15 بعد عشرين عاماً من الشرب المفرط.

وحدهم المعوقون عقليًا، وقد دُمِّرت قدرتهم على التفكير البدائي تمامًا، يستطيعون مشاهدة مثل هذا الهراء، الذي تبدو أفلام ستالين الدعائية في ثلاثينيات القرن الماضي، مقارنةً به، قمة المنطق.

يا إلهي، أمام من ألقينا أسلحتنا! نحن الذين صمدنا يومًا في وجه ألمانيا هتلر!

الفصل التاسع: أسلحة فضائية من هتلر. "الفرع الثاني" لعلم الملاحة الفضائية. "مُعتدي الغلاف الجوي الأوسط" - سلاح روسي خارق لم يُسمح له بالظهور.

1

نظر رجل قوات الأمن الخاصة (SS) طويلًا وبدقة إلى الوثائق. ثم أعادها ورفع يده اليمنى، وهو يُصدر صوت طقطقة بكعبيه. تأوه غورينغ استياءً - كان هذا بالفعل "المرشح" الثالث للحراس - لكن هيملر، الجالس في المقدمة، لم يتأثر: النظام هو النظام. انطلقت طائرة هورش، بمشعاعها اللامع بالنيكل، عبر البوابات المفتوحة، وتدحرجت بصمت شبه تام على أرض المطار الضخم، المبلل من المطر الأخير. أضاءت النجوم الأولى السماء. خلف صفوف طائرات مسرشميت-262 الأنيقة، في البعيد، تألقت أضواء هيكل غريب، يُذكرنا بجسر علوي ضخم مائل، يرتفع بشكل حاد. حدد شعاع الكشاف تمثالًا مثلثًا ضخمًا يقف عند قاعدته، وطرفه يشير إلى السماء المظلمة. أضاء الشعاع صليبًا معقوفًا في دائرة بيضاء على الجانب الأسود من التمثال الضخم.

ارتجف الرجل الجالس في المقعد الخلفي لطائرة هورش الثقيلة، وهو يُلقي نظرة خاطفة على غورينغ العابس. لا، ليس من نضارة الليل البارد. لقد كانت ببساطة الساعة الحاسمة بالنسبة له.

على بُعد كيلومتر واحد، عند مجمع الإطلاق، انطلقت ناقلة وقود، وغسل الفنيون أيديهم بعناية بقفازات مطاطية تحت تيارات كثيفة من الماء من الخراطيم. رجل نحيل مفتول العضلات يرتدي بذلة داكنة، يطرق بقدميه على درجات منحدر شديد الانحدار، ثم اختفى داخل مقصورة جهاز قصير الأجنحة، كما لو كان مربوطًا بأعلى هيكل طائرة عملاقة مثلثة الشكل. هناك، في غرفة الطيار المضيئة، ضغط على المفاتيح. أضاءت أضواء التحكم الخضراء على لوحة التحكم. هذا يعني أن القنبلة السوداء شديدة الانحدار في بطن الآلة قصيرة الأجنحة كانت في حالة ممتازة. تخفي داخلها كرة يورانيوم ثقيلة في غلاف من النيكل وعدسات متفجرة ذات شكل معقد.

حرك الأوبرست نوفوتني كتفيه - كانت بدلة الفضاء البيضاء المطاطية مناسبة تمامًا. قال له هيملر وهو يغادر: "تذكر، يجب أن تنتقم للتدمير البربري لمدن الوطن الأم القديمة!". أنزل مساعدوه خوذة ضخمة، تشبه خوذة الألمان، على شكل برميل، ذات قناع شفاف من الأعلى. هسهس الأكسجين الوارد - لقد تم ضبط نظام دعم الحياة منذ فترة طويلة بدقة متناهية. كان نوفوتني يحفظ تفاصيل المهمة عن ظهر قلب. إحداثيات نقطة الدخول إلى الغلاف الجوي... المسار - إلى منارة الراديو... ستُلقى القنبلة فوق نيويورك، وعلى الفور - سيُشغّل المحرك للقفز عبر المحيط الهادئ وآسيا. كان التقويم على الحائط يُظهر ١٢ أبريل ١٩٤٧...

لم يحدث هذا قط. لكن كان من الممكن أن يحدث. بالنسبة للألمان في أربعينيات القرن العشرين، تحت...

بلغوا عتبة الملاحة الفضائية العسكرية. لكن، لنتحدث عن كل شيء بالترتيب...

لذا، إذا أردتم معرفة قيمة هذه الحضارة أو تلك في العصر الحديث، فانظروا إلى الآلات المجنحة التي صنعتها. قيل لنا إن الاتحاد كان دولة متخلفة، مجرد مجموعة من الشقق المشتركة القذرة وعمال فانيا السكارى، وأحذية القماش المشمع والسترات المبطنة. قيل لنا إن الغرب أقوى وأذكى منا. وكلاهما بعد عام ١٩١٧ وقبله.

نعم، كان هناك عالمان. عالم أمريكي، قائم على روح السوق اليهودية التلمودية، وأولوية الربح والثروة والمال. لم يشارك اليهود في إنشائه بالكامل إلا في القرن الماضي. لكن الأمريكيين البيض الأصليين هم بروتستانت بيوريتانيون فرّوا من إنجلترا في القرن السابع عشر. والبروتستانتية ليست سوى طفرة في المسيحية، قريبة جدًا في روحها من اليهودية. (نُحيل المتشككين إلى العمل الأساسي في علم الاجتماع الغربي، وهو كتاب "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" لماكس فيبر). أطلق الأمريكيون، مؤسسو الولايات المتحدة، على بلدهم الذي بلا جذور اسم "إسرائيل الجديدة"، وأطلقوا على أنفسهم اسم "شعب الله المختار"، مُطلقين على أبنائهم أسماء عبرية قديمة: إشعياء، حزقيال، موسى، وإبراهيم. ومثل اليهود، كانوا يُجلّون العهد القديم، الجزء الأول من الكتاب المقدس، بما فيه أسفار موسى الخمسة وكتابات أنبياء إسرائيل، فوق كل اعتبار. لهذا السبب اندمج اليهود بسرعة في الحضارة الأمريكية، مُسيطرين في عصرنا على جميع مفاصل السلطة الحقيقية في الولايات المتحدة - البنوك، والصحافة، والتعليم، والثقافة، والآلة الانتخابية، والفقه القانوني. عارضت هذه الحضارة الصهيونية المصرفية وسوق الأوراق المالية حضارة إمبريالية خاصة حتى نهاية الثمانينيات، لم تتمكن من التبلور قط. لم تكن تعرف سوق الأسهم ولا الفائدة المصرفية. التي، حتى تحت غطاء الشيوعية الماركسية، حافظت على جذورها البيزنطية الأرثوذكسية. وكما أن المسيحية، التي استُقدمت من بلد أجنبي، غلفت بسلاسة وعفوية المعتقد الوثني لشعب دنيبر روس القديم.

2

أبدعت حضارتنا تكنولوجيا طيران لم تكن أدنى من التكنولوجيا الأمريكية فحسب، بل تفوقت عليها أيضًا. ففي النهاية، لم تُصنع أقوى قاذفة قنابل في العالم، تو-160، من العدم. إنها تشبه إلى حد كبير طائرة توبوليف أخرى - أول طائرة ركاب أسرع من الصوت في العالم تو-144، هذه الصاعقة. صُنعت تو-144، أول طائرة ركاب أسرع من الصوت في العالم، في ستينيات القرن الماضي. وأصبحت تجسيدًا للتقاليد الروسية الإمبراطورية في تصميم الطائرات - لوضع حلول في الآلة لنصف قرن من الزمن، لتكون سابقة لأوانها.

في تو-144، ستجد ما سيُستخدم لاحقًا في الطيران العسكري، في تكنولوجيا المستقبل. هياكل من التيتانيوم. نظام النصاب. ما هو؟ هذا النظام هو عندما يكون كل نظام تحكم وقياس على متن الطائرة مزودًا بأربعة أضعاف التكرار، ولا يوجد جهاز تحكم واحد، بل سبعة أجهزة. وتُتخذ جميع القرارات في ما يشبه "البرلمان"، "بأغلبية الأصوات". يُقلل هذا من خطر الإشارات الخاطئة والأعطال الفنية إلى أدنى حد.

الآن، يُستخدم هذا "البرلمان السيبراني" على جميع الطائرات المقاتلة.

لأول مرة في العالم، زوّدت طائرة توبوليف-144 بـ"صوت آلي" يُنذر الطيارين بموعد فك عجلات الهبوط، وموعد تشغيل نظام مكافحة الجليد، وموعد تشغيل منارة الراديو. أو يُبلغهم بانحراف الطائرة عن المدرج.

في مارس 1996، احتُفل باستئناف رحلات توبوليف-144 بحفاوة في جوكوفسكي. هذه المرة، بتمويل من شركتي لوكهيد وماكدونيل دوغلاس الأمريكيتين. لأن دولتنا الديمقراطية لا تملك المال الكافي للطيران.

أعلن الأمريكيون أن الحلول التقنية المُدمجة في طائرة توبوليف عام ١٩٦٨ ستكون صحيحة في القرن الحادي والعشرين. ولذلك، وبعد تزويد "الطائرة رقم ١٤٤" بمعدات بالغة التعقيد، سيستخدمون رحلاتها لتطوير طائرة ركاب للألفية الثالثة. علاوة على ذلك، لن يحصل الروس على أي معلومة فريدة من نوعها تم الحصول عليها خلال الرحلات بموجب العقد.

لهذا السبب يحتاج الغرب إلى جميع إصلاحاتنا. الديمقراطية واقتصاد السوق مطلوبان فقط لسحقنا وطردنا. لتدمير الطيران الروسي ومدارس التصميم الفريدة إلى الأبد.

إنهم يدركون ما يفعلون. ففي النهاية، الروس، بعبقريتهم وهوسهم وإبداعهم المذهل، قادرون على هزيمتهم هزيمة نكراء في المنافسة، في زمن السلم والحرب. في منتصف الثمانينيات، وبالنظر إلى مجلاتنا العلمية، أدرك الأمريكيون بوضوح أنه لا بد من فعل شيء ما، ويجب تفجير الإمبراطورية الحمراء من الداخل. وإلا، فقد يُحدث ذلك اختراقًا هائلاً يُرعب العالم. وكان من المفترض أن يكون أحد هذه الإنجازات "الفرع الثاني" لعلم الملاحة الفضائية.

3

في عام 1938، بعد ضمّ الرايخ الثالث للنمسا، كوّن ثروة طائلة - مهندس الصواريخ يوجين سانغر (1905-1964). بالتعاون مع عالم الرياضيات آي. بريت، طوّر مشروعًا لقاذفة قنابل عابرة للقارات عالية السرعة، وبحلول عام 1942، كانت في الواقع مركبة فضائية.

أُطلقت طائرة نفاثة "مثلثة" تفوق سرعتها سرعة الصوت، تزن مئة طن، ويبلغ طولها 28 مترًا، باستخدام مُسرّع قوي. وبعد أن اكتسبت سرعة 6 كيلومترات في الثانية (دخل غاغارين المدار بسرعة 7.9 كيلومتر في الثانية)، قفزت قاذفة سانغر إلى الفضاء إلى ارتفاع 160 مترًا.

فيرست، ثم انتقل إلى رحلة بدون محرك على مسار مسطح. ارتدت من طبقات الغلاف الجوي الكثيفة، محققةً قفزات عملاقة، كحجر "يخبز الفطائر" على سطح الماء. في القفزة الخامسة، كانت الطائرة على بُعد 12.3 ألف كيلومتر من نقطة الانطلاق، وفي التاسعة - 15.8 ألف كيلومتر.

كان من المفترض أن تقصف هذه الطائرات الولايات المتحدة وتقوم برحلات جوية متواصلة حول العالم. كان هتلر، الذي خطط لهزيمة الاتحاد السوفيتي عام 1941، يتوقع خوض حرب مع الولايات المتحدة حتى عام 1960. ولو سقطنا، لكانت طائرات زينجر قادرة على الطيران إلى أمريكا محملة بالقنابل الذرية، وهو ما طورته ألمانيا بنجاح أيضًا.

في أيامنا هذه، تُطور ألمانيا مشروعًا سلميًا "سينجر"، حيث تدفع طائرة حاملة كبيرة سفينة حربية إلى الفضاء. ولدى بريطانيا برنامج مماثل "هوتول".

٤

لكننا كنا متقدمين على الجميع، على أعتاب عصر جديد في الملاحة الفضائية، أو بالأحرى، عصر الفضاء. قبل زنجر بعشر سنوات، اقترح مواطننا فريدريش زاندر (الذي كتب عنه أ. تولستوي عن المهندس لوس في رواية "أليتا") مشروعًا لطائرة صاروخية.

حملت طائرة قوية طائرة أصغر وأطلقتها على ارتفاع عالٍ. حملت الطائرة الثانية طائرة ثالثة، ثم انفصلت عنها بعد أن وصلت إلى أقصى ارتفاع لها. ومن الطائرة الأخيرة، انطلق صاروخ بطاقم، متجهًا إلى الفضاء. بدأت رحلة الصاروخ على ارتفاع شاهق، حيث يكون الهواء رقيقًا، ولا تحتاج المركبة إلى اختراق طبقات الغلاف الجوي الكثيفة، مما يُهدر الوقود عليها.

قبل زنجر بخمس سنوات، اقترح بافيل غروكوفسكي رفع طائرة شراعية صاروخية على منطاد ستراتوسفيري، انطلاقًا منه من ارتفاع ٢٠ ميلًا.

وفي عام ١٩٤١، كما تتذكرون. كانت الإمبراطورية تمتلك قاذفات ثقيلة من طراز TB-3، انطلقت منها مقاتلات I-16، التي طورها فاخميستروف.

نحن نتحدث عن علم فضاء جديد كليًا، عن فرعه الذي لم يُطور بعد. هناك نوعان منه. الأول هو إطلاق صاروخ من طائرة حاملة وصلت إلى ارتفاع عالٍ. والثاني هو إطلاق صاروخ متعدد المراحل مباشرة من الأرض، حيث تُرمى المراحل المستهلكة من الصاروخ أثناء ارتفاعه.

بعد الحرب العالمية الثانية، اتبع تطوير علم الفضاء مسار "الصواريخ" وليس مسار "الطائرات". وقد حقق هذا نجاحًا سريعًا. بالإضافة إلى ذلك، كان فرع الصواريخ هو الذي أتاح إمكانية الطيران إلى كواكب أخرى، بينما اقتصر الفرع الأول على مدارات قريبة من الأرض.

ولكن مع نهاية الستينيات، اتضح أن علم الفضاء "الصاروخي" مكلف، نظرًا لأن آلاته قابلة للاستخدام مرة واحدة. ولأجل الأعمال والاتصالات والدفاع، لا بد من مدارات قريبة من الأرض ومنخفضة.

بدأ السباق: من سيكون أول من يُنشئ أنظمة فضائية؟ فشلت الولايات المتحدة - فـ"مكوكاتها" كانت أغلى من الصواريخ ذات الاستخدام الواحد، وأقل قدرة على المناورة. لكننا كنا متقدمين. علينا إما بناء آلات مركبات فضائية مثل زنجر، أو إنشاء نظام يُطلق فيه المركبة الفضائية من طائرة تحلق على ارتفاع عالٍ - "أم الطائرة". لقد تحركنا بنجاح في كلا الاتجاهين. كان الروس هم من اتخذوا الخطوة الأولى في هذا الاتجاه. إذا كانت الولايات المتحدة قد أطلقت أول "طائرة فضائية" لها - المكوك "سبيس شاتل" عام ١٩٨١، فإننا في عام ١٩٥٧ أطلقنا الطائرة الفضائية "بوريا" من أرض الاختبار في فلاديميروفكا بالقرب من أستراخان، التي طورتها شركة سيميون لافوشكين، المصمم البارز للمقاتلات الإمبراطورية في حرب ١٩٤١-١٩٤٥. "بوريا" جسم طويل ضيق ذو أجنحة مثلثة، يُرفع إلى السحاب بنفس طريقة "المكوك" الأمريكي - بواسطة معززين صاروخيين قابلين للقذف. في نهاية عام ١٩٥٣، أوكل فياتشيسلاف ماليشيف، رئيس وزارة بناء الآلات المتوسطة، وهي مؤسسة عسكرية ذرية ضخمة تابعة للإمبراطورية، مهمة صنعه إلى لافوشكين.

أصبح نعوم تشيرنياكوف، "نائب" لافوشكين، المصمم الرئيسي لـ"بوريا". كانت الآلة قادرة على الطيران بثلاث سرعات صوتية، حاملةً قنبلة نووية، ومُبحرةً في مدارات النجوم. يبلغ مدى طيرانها ثمانية آلاف متر. هيكلها مصنوع من التيتانيوم. كل هذا يُعد الأول من نوعه في العالم.

بُني "بوريا" في ثلاث سنوات فقط. لا يزال هذا الجهاز الرائع قادرًا على ضرب أمريكا حتى اليوم، كونه بعيدًا عن متناول المقاتلات وجميع الصواريخ الأمريكية المضادة للطائرات تقريبًا. في النهاية، يخترق الهدف في الفضاء!

لكن خروتشوف الملعون أوقف هذا البرنامج. دون أن يغادرها حتى في المرحلة التجريبية. راهن هذا الأحمق على "الفرع الأول"، على تكنولوجيا الصواريخ البحتة.

لكن الخبرة والأساس التكنولوجي والرسومات بقيت. ففي النهاية، تمكنا من إجراء ثلاث عمليات إطلاق ناجحة بنسخة غير مأهولة.

تبين أن "القاذفة" الأسرع من الصوت "تو-160" منصة طيران ممتازة لإطلاق الصواريخ الفضائية. وهكذا وُلد مشروع "بورلاك". في مكتب التصميم "رادوغا"، بقيادة المصمم العام إيغور سيليزنيف، في أوائل التسعينيات، وُلد مشروع "وصلة" من "توبوليف" وصاروخ خاص "ديانا". يُطلق هذا الصاروخ من قاذفة مندفعة في طبقة الستراتوسفير، ويمكنه وضع أقمار صناعية تزن 1160 كيلوغرامًا في مدارات منخفضة. وهو أرخص بمرتين إلى ثلاث مرات من الصواريخ التقليدية. بدون موانئ فضائية، ومن أي نقطة على الكوكب، يتم إيصال قمر صناعي بسرعة إلى المنطقة المطلوبة فوق الأرض (مجلة فيستنيك فوزدوشنوجو فلوتا، العددان 3-4، 1996، فويني باراد، مايو-يونيو 1994).

يُعدّ هذا إنجازًا كبيرًا في إنشاء أنظمة الفضاء الروسية القابلة لإعادة الاستخدام (ماكس). فضاءنا المجيد

يُثبت الكاتب ف. كوفالينوك، الرئيس الحالي لأكاديمية جوكوفسكي للقوات الجوية، أن نظام ماكس قادر على توفير استطلاع فائق السرعة لأي نقطة برية وبحرية، بالإضافة إلى مدارات قريبة من الأرض، وخاصة في مناطق المعارك المحتملة، بتكلفة زهيدة. كما أنه وسيلة فعّالة لمكافحة أنظمة الفضاء القتالية المعادية. والولايات المتحدة ببساطة لا تمتلك أي شيء من هذا القبيل. وقد طورت مؤسستنا غير الربحية "مولنيا" بالفعل نظامًا مُبسطًا لاستخدام نظام ماكس.

تو-160 ليست الحاملة الوحيدة "الأم". ففي النهاية، لدينا طائرات نقل عسكرية ثقيلة فريدة من نوعها. وهذا يُمكن أن يُنقذنا حتى في الوقت الذي دمرت فيه الإصلاحات ببساطة رواد الفضاء المحليين.

يُثبت كوفالينوك أن روسيا اليوم تتدهور بسرعة كقوة فضائية، لتصبح تابعة لبرنامج علم الفلك الأمريكي. إن التحام أتلانتس الغربية بمحطة مير المدارية الروسية، وفقًا لبطل الإمبراطورية مرتين، يُقلل إلى الصفر أي تجارب دفاعية على متن المجمع الروسي الفريد. في ظل هذه الظروف، يُصبح برنامج ماكس خلاصًا.

لكن في الإمبراطورية، أصبحت أنظمة الفضاء سلاحًا قويًا للنصر في الصراع العالمي. هل أنتم، أيها السادة الأمريكيون، أغنى منا؟ لكننا واجهناكم بتقنيات أرخص بعشر مرات. وحيث ستضطرون لإهدار مليار دولار، سنكتفي بعشرة ملايين. ولكن بطريقة تُمزيق نظام "حرب النجوم" المُتباهى به إربًا إربًا. أو في أي لحظة لإغراق السماء بمئات أجهزة الاستطلاع، التي يتم التحكم بها بجهاز تحكم عن بُعد واحد. من أجل رصد كل حاملة طائرات أمريكية، وكل سفينة، وأي نشاط للكائنات الفضائية. ولتوجيه القوات البحرية والجوية والصاروخية للإمبراطورية نحوهم. وربما - وتحويل أقمار الاتصالات الأمريكية إلى غيوم من الغاز الساخن.

كما جلب لنا برنامج ماكس ثروة. ففي النهاية، كانت الإمبراطورية ستنفق أقل بكثير على إطلاق أجهزة الاتصالات والاستكشاف الجيولوجي والأرصاد الجوية من الولايات المتحدة، التي اضطرت إلى إنفاق مبالغ طائلة لإطلاق الأشياء نفسها إلى الفضاء. في نهاية المطاف، لم يكن لديهم سوى الصواريخ التقليدية والمكوكات الفضائية باهظة الثمن: تشالنجر، وأتلانتس، وديسكوفريز.

كنا أيضًا على وشك إنشاء مركبة قتالية فضائية غير مسبوقة بسرعة تفوق سرعة الصوت. أو بعبارة أخرى، مركبة فضائية، "مُعتدي على الغلاف الجوي الأوسط".

دعونا نشرح. الغلاف الجوي، أي المحيط الجوي الذي يغلف كوكبنا، مُقسّم إلى طبقات. الطبقة السفلى، التي نعيش ونتنفس فيها، تُسمى طبقة التروبوسفير وتمتد لأعلى لمسافة أحد عشر ميلًا. من أحد عشر إلى خمسين كيلومترًا فوق سطح الأرض تقع طبقة الستراتوسفير. مملكة الهواء الرقيق والصقيع الأبدي، تصل درجة حرارتها إلى 60 درجة على ارتفاع 20 كيلومترًا. (لكنها تقترب من -25 درجة على ارتفاع 50 كيلومترًا).

تحلق الطائرات المقاتلة الحديثة في طبقتي التروبوسفير والستراتوسفير، ولا ترتفع أكثر من 26-27 كيلومترًا. قبل رحلة غاغارين عام 1961، كان اقتحام هذه المرتفعات أمرًا صعبًا على الناس. على ارتفاع 7 أميال، يلزم وجود مقصورة مضغوطة. وعلى ارتفاع 12 كيلومترًا فوق سطح الأرض، يموت الشخص الذي لا يرتدي بدلة فضاء أو مقصورة مضغوطة على الفور، دون أن يختنق - يغلي الدم في ثوانٍ بسبب الضغط المنخفض.

لكن هذه طبقة الستراتوسفير فقط! من ارتفاع 50 كيلومترًا فوق الكوكب إلى 85 كيلومترًا، تمتد طبقة الميزوسفير - وهي منطقة من الهواء شديد التأين، تنخفض درجة حرارتها عند حدودها إلى برودة كونية تقريبًا - إلى 100 درجة تحت الصفر. حسنًا، ثم تأتي طبقة الثيرموسفير والإكسوسفير - وهما قريبتان من الفضاء.

الطبقات العليا من الستراتوسفير والميزوسفير هي منطقة غير متطورة للرحلات الأفقية. تخترق الصواريخ، عند انطلاقها إلى الفضاء، هذه الطبقات عموديًا أو قطريًا. لا تحلق الأقمار الصناعية على مثل هذه الارتفاعات (40-90 كيلومترًا): فالهواء كثيف جدًا عليها، وإذا لم تحترق بسبب الاحتكاك، فستفقد سرعتها بسرعة وتسقط على الأرض.

لكن الطائرات لا تستطيع الوصول إلى هنا أيضًا - فالأجنحة لم تعد قادرة على الصمود، والمحركات النفاثة التوربينية "تختنق" بالفعل - فالهواء لا يكفي.

ولكن الطيران الروسي على استعداد للانطلاق نحو طبقة الميزوسفير تحديدًا! في عام ١٩٩٢، في مصنع يلتسين "إيريفيا" الحالي في مؤسسة سانت بطرسبرغ العلمية والإنتاجية للأنظمة فرط الصوتية، اكتمل مشروع "أياكس"، الذي بدأ في الاتحاد السوفيتي. هذا المشروع سيجعل الروس مالكي أول طائرة فرط صوتية في العالم قادرة على التحليق على ارتفاعات شاهقة - طائرات تصل سرعتها إلى عدة ماخات - سرعة الصوت. ويمكن تصنيعها للاستخدام العسكري ونقل الركاب.

يعمل الأمريكيون في صحراء موهافي على بناء طائرة فرط صوتية بمحركين - محرك نفاث يتنفس الهواء وصاروخ يعمل بالوقود السائل. وقد وجد مصممونا طريقة ثورية تمامًا - لإنشاء محرك متعدد الاستخدامات.

ابتكر مصممونا كيفية استخدام طاقة تسخين هيكل طائرة تحلق بسرعات هائلة. تتميز طائرة "أياكس" بغلاف مزدوج، يدور فيه الماء والكيروسين العادي في نظام خاص، ويختلطان في مفاعلات حرارية كيميائية خاصة.

باستخدام طاقة تسخين الجلد أثناء الطيران بسرعة تفوق سرعة الصوت، تُحلل هذه المفاعلات الماء إلى أكسجين وهيدروجين. يُخلط الأخير مع كيروسين الطيران، ويدخل كلٌّ من الوقود عالي القيمة الحرارية والأكسجين إلى غرفة احتراق المحرك للحفاظ على الاحتراق.

ولكن هذا ليس كل شيء. صُممت طائرة "أياكس" للطيران على ارتفاعات تتراوح بين 30 و60 كيلومترًا في "طائرتها".

في هذه الارتفاعات، يكون الهواء شديد التخلخل شديد التأين - نتيجةً لتدفقات الجسيمات الكونية الساقطة على الأرض. لذلك، يوجد أسفل جسم طائرة "أياكس" مدخل هواء. يندفع الهواء المتأين عبر مساره إلى جهازين: مولد MHD ومسرّع MHD.

دعونا نشرح: MHD - أي المغناطيسية الغازية الديناميكية. لكي لا نطيل عليكم في شرح الفيزياء، سنشرح عمل الآلات باستخدام مثال طائرة "أياكس".

عند مروره عبر مدخل الهواء إلى المسار أسفل جسم الطائرة، يتباطأ التدفق المتأين فائق السرعة بشكل حاد في المجال المغناطيسي الذي يُنشئه مولد MHD. يُنفق جزء من الطاقة على توليد EMF - القوة الدافعة الكهربائية. في هذه الحالة، تُطلق طاقة مائة ميغاواط - وهي طاقة محطة طاقة في مدينة متوسطة.

المتأين المتباطئ يدخل تدفق الهواء بعد ذلك إلى غرفة احتراق المحرك، حيث يشتعل خليط من الكيروسين والهيدروجين والأكسجين، قاذفًا من الفوهة التيار النفاث الذي يُحرك طائرات الأياك. ولكن بالقرب من الفوهة، يوجد مُسرّع مغناطيسي هيدروليكي، يعمل بمحطة توليد الطاقة الموجودة على متن الطائرة. وإذا شُغّل هذا المُسرّع، فسيزيد من سرعة تدفق الغازات الساخنة بشكل حاد، مما يُسرّع الطائرة إلى سرعة 25 ماخ.

أي ما يصل إلى 25 ضعف سرعة الصوت! سرعة كونية، مما يسمح لطائرات الأياك بدخول مدار قريب من الأرض. ألا تُصدقني؟ ألقِ نظرة على "تكنولوجيا للشباب". في العدد 12 لعام 1995.

وهكذا، في سانت بطرسبرغ، تمكنوا من إنشاء مشروع لمركبة فضائية مزودة بمحرك مغناطيسي-بلازما-كيميائي. عملاق فضي على شكل سهم، قادر على الطيران لمسافة 20 ألف كيلومتر دون إعادة التزود بالوقود بسرعة تزيد عن 10 آلاف كيلومتر في الساعة. ساعة.

دار غاغارين حول الأرض بسرعة 24,800 كيلومتر في الساعة. بعد تشغيل نظام MHD، تجاوزت "أجاكس" المركبة الفضائية في مدارها.

بدأ العمل على هذا المشروع في أواخر الثمانينيات. وهذا هو سلاح الإمبراطورية الخارق الذي لم يُسمح له بالظهور. سلاح خارق منحنا وسيلة السيطرة الكاملة على العالم. مما وضع الغرب بأكمله أمام خيار: إما الركوع أمام الروس وقبول شروطهم، أو العيش على نظام التجويع، وشد الأحزمة، والعمل بلا كلل لسنوات عديدة. بعد أن تخلوا لفترة طويلة عن السيارات والمنازل الرخيصة، والرواتب العالية، والإجازات في منتجعات البحر الأبيض المتوسط.

في النهاية، كان من الضروري فقط تجهيز "أجاكس" بصواريخ عالية الدقة وأسلحة نووية، وسيصبح نظام الدفاع الجوي الأمريكي بأكمله، وجميع طائراته العسكرية، بمثابة مقلاع أمام طائرة مقاتلة.

صواريخ اعتراضية؟ لكن "أجاكس" تحلق أعلى منها بثلاث مرات. صواريخ مضادة للطائرات و... مقذوفات جو-جو؟ لكنها تطير بسرعة قصوى تتراوح بين 4 و5 ماخ، وستتمكن مركباتنا الفضائية من التهرب منها بسهولة. صواريخ أمريكية مضادة للأقمار الصناعية مضادة للأقمار الصناعية؟ لكن في عام 1986، لم يكن هناك سوى سبعة منها في المخزون. ولم تكن مصممة لصاروخ أجاكس، بل لقمر صناعي أخرق وأعزل.

بعد عبوره مدارًا فضائيًا، يمكن لصاروخ أجاكس أن ينزلق بسلاسة في الغلاف الجوي أينما يشاء. فوق نيويورك أو واشنطن، فوق ديترويت أو القاعدة العسكرية الأمريكية العملاقة في جزيرة دييغو غارسيا المرجانية في المحيط الهندي.

معظم أنظمة الدفاع الجوي الأمريكية لا تصل ببساطة إلى ارتفاع يزيد عن 30 كيلومترًا. مكوكات الفضاء تشالنجر؟ أخرق، باهظ الثمن، صعب الإطلاق وغير مسلح.

إن سربًا من صواريخ أجاكس الروسية، القادرة على الظهور في أي لحظة فوق أي نقطة في العالم بسيف نووي مدمر، سيجبر الولايات المتحدة على إنفاق مئات المليارات من الدولارات لإعادة بناء نظامها الدفاعي بالكامل. سيتعين نشر الدفاع الجوي حتى في الفضاء - ولهذا، كما كما كتبنا سابقًا، لا تملك الولايات المتحدة القوة أو الموارد أو القدرات التقنية اللازمة.

حتى لو أطلقوا منصات قتالية مزودة بأشعة الليزر وصواريخ عالية الدقة إلى المدار، فإن صواريخ أجاكس ستكون قادرة على تدميرها إربًا. ناهيك عن طرق أخرى لتدمير كامل نظام الدفاع الفضائي الأمريكي بتكلفة زهيدة، والتي كتبنا عنها في بداية كتابنا.

نعم، هذه طريقة لحكم العالم. طريقة لتقويض الولايات المتحدة والغرب اقتصاديًا بالكامل، وجعلهما أهدأ من الماء، وأهدأ من العشب. ما قيمة حاملات طائراتهم التي تحمل مئات الطائرات التقليدية إذا استطاعت طائرة روسية، في أي لحظة وفي أي بحر أو محيط، أن تظهر فوق أجسامهم الخرقاء وتطلق صاروخًا صغيرًا عالي الدقة عليهم؟

ما كان الغرب ليجرؤ أبدًا على إرسال حاملات طائرات إلى يوغوسلافيا وتدمير إخواننا الصرب بوحشية وقسوة من الجو. لو صرخت موسكو تهديدًا، لما تجرأوا على اتخاذ خطوة عسكرية واحدة. وفي محادثات نزع السلاح... لكانوا قد استجابوا لإرادتنا بتواضع.

لكنا أمرنا باكستان بتدمير معسكرات المجاهدين الأفغان بنفسها، وحددنا موعدًا نهائيًا للإعدام. هل عصينا؟ ستحرق الضربات الجوية المعسكرات وإسلام آباد معًا...

ما قيمة كل هذه الطائرات الأمريكية من طراز B-1 أو الشبح مقارنةً بهذه القوة؟ إنها ليست أكثر من هراوة متوحشة أمام بندقية كلاشينكوف.

بالإضافة إلى أجاكس، لدينا مشاريع أخرى. في أوائل التسعينيات، انزعج الغرب من أنباء ظهور صاروخ كروز AS-19 كوالا في الاتحاد السوفيتي، الذي يُطلق من "القلعة الطائرة" Tu-95، ويتجه نحو هدفه بسرعة 4-5 "أصوات".

كانت طائرة تفوق سرعة الصوت بطول 12 مترًا.

وبمحرك نفاث هوائي، صُمم في مكتب تصميم "رادوغا"، في معمل حقيقي لصواريخ كروز. لا يوجد حتى الآن أي نظائر لهذا النظام في الغرب. يشبه هذا النظام أنبوبًا كبيرًا تُربط به طائرات قصيرة، وعارضة صغيرة، وأنفًا مسطحًا مثلث الشكل. تمكنا من بناء مختبر طيران فرط صوتي "رادوغا-دي2"، أُطلق من حاملة الصواريخ عالية السرعة "تو-22إم زد". وهذه أيضًا خطوة نحو أنظمة الفضاء الروسية.

8

كنا مستعدين للمنافسة على الفضاء القريب، لتحقيق اختراق فضائي كبير. منذ عام 1965، بدأ جليب لوزينو-لوزينسكي، الذي كان يعمل في مكتب تصميم ميكويان، في إنشاء نظام "اللولب". وكما أفاد الصحفي ومؤرخ التكنولوجيا إيغور بوتشين، كان يتكون من طائرة معززة أسرع من الصوت يمكنها الإقلاع من أي مطار، ومعزز صاروخي، وطائرة صاروخية مدارية. بعد أن وصلت سرعتها إلى 6 "أصوات"، انفصل الصاروخ المعزز عن الصاروخ الآخر على ارتفاع يتراوح بين 24 و30 ميلاً، بما في ذلك أربعة محركات تعمل بالوقود السائل. حملت هذه المحركات الصاروخ إلى ارتفاع 200 كيلومتر فوق سطح الأرض، حيث انفصلت عنه طائرة الصاروخ، متجهةً نحو مسار حول العالم. كان بإمكانها اعتراض سفن الفضاء الأجنبية، وإسقاط الأقمار الصناعية، وإجراء عمليات استطلاع، وتوجيه ضربات قصف من ارتفاعات يكاد يكون من المستحيل على المدفعية المضادة للطائرات الأمريكية الوصول إليها. لقد انهار نظام "حرب النجوم" بأكمله.

بعد إتمام المهمة، دخلت طائرة الصاروخ طبقات الغلاف الجوي الكثيفة - بقاعدتها المقاومة للحرارة المصنوعة من سبائك النيوبيوم إلى الأمام. بعد أن رسمت مسارًا مائلًا ناريًا، على ارتفاع يتراوح بين 55 و50 ميلاً، انطلق الصاروخ في رحلة انزلاقية، مختارًا موقع هبوط ضمن دائرة نصف قطرها 600 إلى 800 كيلومتر. كان من المفترض أن تعمل محركات الصاروخ المعزز بالهيدروجين الرخيص والصديق للبيئة.

بكل المقاييس، لم يكن "سبيرال" سلاحًا روسيًا خارقًا فحسب، بل كان أيضًا وسيلة مربحة للغاية لإطلاق البضائع إلى المدار. فإذا كان صاروخ سويوز الذي يبلغ وزنه ثلاثمائة طن يُطلق 2.5% فقط من كتلة الإطلاق إلى المدار، فإن "سبيرال" يُطلق 12.5%. تحترق سويوز بالكامل تقريبًا، وتعود إلى الأرض كمركبة هبوط محترقة وزنها 2.8 طن (0.9% من كتلتها). يُعيد "سبيرال" استخدام 85% من هيكله. لولا غباء كبار قادتنا، لكان بإمكان "سبيرال" أن يُقلع قبل ثماني سنوات من نظيره الأمريكي غير الناجح والمكلف نسبيًا، مكوك الفضاء. ومع ذلك، تمكنا من إنجاز الكثير. فقد بُنيت نظائر تجريبية للطائرات الصاروخية. وكان العمل جاريًا في معهد جروموف لاختبار الطيران، حيث بُنيت مركبة بور الفضائية. وقد أُطلقت إحداها، وهي بور-4 التي لا تزال غير مأهولة، إلى الفضاء من موقع كابوستين يار بالقرب من أستراخان. نظرًا لعدم وجود طائرات معززة بعد، فقد استُخدمت مركبة إطلاق عادية كواحدة منها.

بعد أن دارت حول العالم، وحلقت فوق الهند وأمريكا وأوروبا الغربية، كبح صاروخ بور-4 فوق شرق المحيط الأطلسي. فوق سيلان، وبسرعة 7.5 ألف كيلومتر في الساعة، اندفع الصاروخ نحو الغلاف الجوي للكوكب وسقط في المحيط الهندي بين جزر أندامان وأستراليا. كانت سفننا تنتظره هناك بالفعل، لكن طائرات تجسس أجنبية كانت تحلق حولها. لاحقًا، هبط صاروخ بور في البحر الأسود. في ذلك الوقت، لم تجرؤ أي سفينة عسكرية تابعة لحلف الناتو على دخوله.

كان كل شيء يسير على ما يرام. ولكن بعد ذلك، بدأت مؤامرات الأجهزة تلعب دورها. رضخ وزير الدفاع المسن دميتري أوستينوف، أحد رموز المجمع الصناعي العسكري في عهد ستالين، والذي أنقذ العديد من المصممين الروس من المخبرين، لإقناع الأكاديمي غلوشكو، وفي فبراير 1976، دفع بقرار من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ومجلس وزراء الاتحاد السوفيتي بوقف العمل على "سبيرال" وتركيز الجهود على تطوير "بوران"، نظيره الأمريكي "مكوك الفضاء تشالنجر ديسكفري".

كان ذلك خطأً فادحًا. فقد تعلم الأمريكيون درسًا قاسيًا أن مركباتهم الفضائية القابلة لإعادة الاستخدام باهظة الثمن، وأنها لا تحقق وفورات، بل تُعدّ إهدارًا فادحًا للمال أثناء عمليات الإطلاق. وتطلبت "بوران"، التي انطلقت عام 1988، ما بين أربعة وخمسة أضعاف تكلفة إطلاق كيلوغرام واحد من الحمولة إلى الفضاء القريب من الأرض مقارنةً بالصواريخ التي تُستخدم لمرة واحدة.

كانت صواريخ "بور" لا تزال تُحلّق، مُحسّنةً أنظمة التحكم والحماية الحرارية لـ"بوران". وحلّقت "بور-5" في المدار خمس مرات. كان من المقرر إطلاق بور-6 لدراسة مرور الموجات الراديوية عبر البلازما في الغلاف الجوي العلوي. لكن البلاد كانت تعجّ بمظاهرات جماهيرية عارمة، وكان يلتسين، بكل أنصاره الديمقراطيين، يصرخ بأن المال يجب أن يُنفق على "تحسين حياة الناس"، لا على الفضاء. أذعن غورباتشوف الخجول، وأوقف إطلاق بوران، وتوقفت رحلات بور. ومنذ ذلك الحين، تمتع الشعب بحياة هانئة. وبدأت الولايات المتحدة بشراء تقنياتنا بأسعار زهيدة، موفرةً المال لنشر أنظمة "حرب النجوم" الخاصة بها.

أمر آخر مهم: في عام ١٩٨٥، كان لدى الإمبراطورية "فرع ثانٍ" جاهز تقريبًا لعلوم الملاحة الفضائية. في عام ١٩٨٨، اقترح لوزينو-لوزينسكي تعديلًا جديدًا ورخيصًا للغاية لطائرة "سبيرال" - طائرة مولنيا الصاروخية، التي تحملها طائرة أن-٢٢٥ عادية. يستطيع النظام إطلاق 7-8 أطنان إلى مدار 200 كيلومتر. لكن تبيّن أن المصمم العظيم لا يُجدي نفعًا لا لـ"روسيا الجديدة" بقيادة يلتسين ولا لمصرفييها اليهود الكبار.

إنه مُسنّ بالفعل، رغم أنه لا يزال يعمل. بعد قليل، سنقول: "هذه موهبة أخرى مُهدرة". لم تُهدر بسبب قمع ستالين، بل بسبب الليبراليين "الإنسانيين".

و. لقد منعنا زينجر في ألمانيا. ولوزينو-لوزينسكي مُنع من قِبل "قادته".

9

كان بإمكاننا أن نصبح حكامًا ذوي سلطة غير مسبوقة، يهزون السماوات، بعد أن ربحنا أخيرًا القرن العشرين لروسيا.

بماذا استبدلنا كل هذا؟ أفتح التلفاز فأرى معلقين أغبياء متغطرسين يتحدثون هراءً عن الديمقراطية وحرية التعبير. أو ممثلين فاسدين نصف بشر، يثرثرون عن حريتهم الإبداعية وعن الرئيس يلتسين. أو مثليين في مقاطع فيديو سخيفة، يتبولون في المغسلة على أنغام بعض القرود في السترات الجلدية. ومقابل كل هذا استبدلنا السلطة على العالم؟

لو لم يُبدّد غورباتشوف، في الثمانينيات، أموالًا طائلة على برامجه الفاشلة، ولم يُضيع وقته في الثرثرة الفارغة والألاعيب الديمقراطية! يا ليت مهرجان موسكو للشباب - 85 لم يُنفق أموالاً طائلة، أو مليار دولار، على منزل ريفي في فوروس! يا ليت مشروع أياكس، بعد أن أُبقي كل شيء سراً قدر الإمكان، قد اكتمل، وبُني سرب من طائرات الفضاء!

لكانت مفيدة للأغراض السلمية. كان من الممكن الاستحواذ على السوق العالمية لنقل الركاب فائق السرعة لعقود. حتى تهبط سهام فضية تحمل شعار "إيروفلوت"، تُقلع من طوكيو أو بكين أو برلين، في نيويورك بعد ساعة أو ساعتين. لجني مليارات الدولارات للبلاد، دون بيع نفطنا أو غازنا أو أخشابنا للخارج. أن نُبدد كل هذا من أجل حياة المستنقع الحالية بين لصوص وقحين؟ لكانت صورتك على كل مصباح شارع!

استغل لوزينو لوزينسكي العظيم خبرته المتراكمة لتطوير مشروع طائرة ثنائية الهيكل وزنها 900 طن - طائرة "هيركوليس" ثلاثية الأجنحة. مبنية على أجزاء وآليات أتقنتها صناعتنا منذ زمن طويل. بين هيكليها، تتدلى

حاوية ضخمة تحمل ما يقرب من نصف ألف طن من البضائع، أو مقصورة خاصة تتسع لـ 1200 راكب. طائرة ثلاثية العجلات بستة محركات قادرة على الطيران لمسافة 11-12 ألف ميل دون هبوط، بسرعة تتراوح بين 730 و820 كيلومترًا في الساعة. المملكة العربية السعودية مستعدة للاستفادة من خدمات هذه الطائرات، بسخاء. ففي النهاية، لا توجد طرق فيها، ويجب نقل البضائع إلى حقول النفط - 400-450 طنًا. حتى أن السعوديين يريدون إيصال المياه النظيفة إليهم من نيبال، ومن جبال الهيمالايا. فليبيعوا نفطهم ويستغلوا باطن أرضهم، لا نحن، وليحصل الروس على مليارات الدولارات منهم. ولكن من سيساعد في بناء طائرة "هرقل" تجريبية في روسيا اليوم؟ هل ما زلتم تصدقون خرافات مصرفيينا اليهود المرموقين الذين يستثمرون الأموال؟ لماذا يقضون ست سنوات في العمل على برنامج الطائرات الثلاثية إذا كان بإمكانهم جني المال في ستة أشهر بسرقة أموال الخزينة، وتمويل صادرات النفط من تيومين، أو المضاربة بأوراق مالية من ليفشيتس وتشوباي؟ إنهم، أبناء الشعب اليهودي، يفضلون إنفاق ملايينهم الإضافية على رعاية أبناء قبائلهم الذين يُنتجون برامج تلفزيونية أو ينشرون صحف روسيا الجديدة البائسة. سيدعمون كتّابًا لا يقرأهم أحد، وشعراءً مُسنّين، أو ما يُسمّون بالفنانين الذين يرسمون نوعًا من هذيانات المجانين. وستكون غالبية من يُسعدهم المصرفيون دائمًا من ذوي الجنسية "الشرعية". لكنهم لن يفعلوا أي شيء ذي شأن، أو فجّ، أو ظاهر للأرض الروسية. هذا قانونٌ لا لبس فيه يا قارئ! كل ما نحتاجه هو دولة إمبراطورية قوية. هل يقولون لي إن الإمبراطورية لم يكن لديها أموال؟ كذب! منذ عام ١٩٩٢، كان هناك نهبٌ وحشيّ، وما زالت البلاد صامدة. رأيتُ كيف سُلبت مئات المليارات من بلدي "المُفقَر". كيف تبرع تشوبايس بثروات طائلة بلا حساب. كيف أهدر يلتسين أموالاً طائلة في حرب الشيشان الفاشلة، ومثلها في "استعادة الشيشان"، ضخّاً تريليونات الدولارات في جيوب موسكو ولصوص القوقاز. أرى كيف وضع لوجكوف أموالاً كافية في دمية خرسانية لبناء ثلاث كاسحات جليد تعمل بالطاقة النووية. أرى نيكيتا ميخالكوف "الأرثوذكسي" الأحمق يُشيد به على الكنائس، ويتأثر بهذا الأحمق. أرى كيف تتدفق مئات الملايين من الدولارات إلى قاع التجارة في مانيج، حيث سيجلس نفس التجار الأغبياء الجشعين. وأنا أعلم: أنتم قطيع واحد. ضباع آكلة جيف، لا بشر! سأُعلّم أطفالي الشيء نفسه.

ألا يكفينا تمويل مشاريع ضخمة؟ هراء! كانت الطبقة العليا القديمة في الاتحاد، رغم ارتكابها الكثير من الحماقات، مُقتصدة للغاية. واحتفظت بالكثير من السلع التي كان من الممكن أن تُصبح احتياطيًا للطوارئ. على سبيل المثال، احتفظنا بكتب فريدة من نوعها للحسيديين - حركة لوبافيتش اليهودية. الأكثر تعصبًا بيننا، الأرثوذكس. (لا ينبغي للحسيدي أن يأكل خبزًا من تنور أشعله غير اليهود). في عام ١٩٢٧، عندما كان من الضروري إنشاء شبكة استخبارات باهظة الثمن في الشرق الأدنى والأوسط، بعنا بعض الكتب الحسيدية، وحققنا أرباحًا طائلة. لم يُدخر الحسيديون الأثرياء في الخارج المال لشراء آثارهم المقدسة.

في عام ١٩٩١، كان معظم التراث الحسيدي محفوظًا في مكتبة لينين. كان بيعه على دفعات كافيًا ليُوفر لنا المال لشراء "أجاكس"، أو "هرقل"، أو "سبيرال". هذه الكتب ليست خسارة كبيرة لنا.

ولكن في عام 1991، عندما اقتحم الحسيديم بكل وقاحة خزانتنا الرئيسية للكتب وتغوطوا على الأرض مطالبين بمخطوطاتهم، تدخل عميل الدولة السري آنذاك.

بوربوليس، الذراع الأيمن ليلتسين، رجل ذو عيون غائرة وصوت أنثوي (يُقال إن صورته يجب أن تُعرض في ضوء أزرق). ولم نحصل على مليارات مقابل الكتب الحسيدية، ومن غير المرجح أن نحصل عليها.

كان لدى الروس الكثير من احتياطيات الطوارئ هذه عام ١٩٨٥. لكن أين هي الآن؟

كان بإمكان الروس إنشاء قوة جوية غير مسبوقة، تُخجل "القيادة الجوية" الأمريكية. إن تأثير البلازمويد أمام الطائرة الطائرة، والذي لم يُدرس بالكامل بعد، فتح آفاقًا هائلة - وقد كتبنا عنه بالفعل. بفضل مولد ميكروويف ومصفوفات طورية، يُقلل هذا التأثير بشكل كبير من مقاومة الهواء للطائرة.

إن دمج هذه التكنولوجيا الروسية مع "أجاكس" سيقلب العالم رأسًا على عقب، وجميع الشؤون العسكرية رأسًا على عقب. الآن فقط، سينتقل كل شيء إلى الغرب. في غضون ذلك، سننشغل بالإصلاحات.

الفصل ١٠: الأبطال المفقودون. أهل السيف والمطرقة

في ثمانينيات القرن الماضي، سقط سيف الإمبراطورية الجبار في أيدي أقزام جبناء. إنه لأمرٌ مريرٌ إدراك هذه الحقيقة. ولم يرحل هؤلاء الأقزام - بل انتقلوا ببساطة من رؤساء المكتب السياسي واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، ومن اللجان الإقليمية والإدارات الرئيسية إلى رؤساء الرؤساء ورؤساء البلديات والمحافظين، وتولوا مناصب رؤساء البنوك وشركات غازبروم وشركات النفط. وبعد أن خسروا الإمبراطورية وتنازلوا عنها آنذاك، يواصلون التنازل عن هيكلها العظمي - الاتحاد الروسي.

أدركت أمريكا، بعد أن سلكت طريق المواجهة العنيفة مع إمبراطوريتنا عام ١٩٨١، تمام الإدراك: أن "النخبة" السوفيتية العليا ضعيفة وضعيفة، جبانة ومترددة. ولذلك، كلفت إدارة ريغان، ويليام كيسي، رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية آنذاك، بوضع برنامج لترهيب وتقويض كبار الشخصيات في الاتحاد السوفيتي. الممثل الهوليوودي المتواضع ريغان، الذي رُقّي إلى الرئاسة، صُوّر بنجاح في صورة قائد صليبي عنيد خرج لمحاربة إمبراطورية الشر - الاتحاد السوفيتي الشيوعي. لكن في الحقيقة - معنا نحن الروس.

في الوقت نفسه، كان الهدف هو تصوير ريغان كشخص ذي نفسية متهورة وغير متوازنة، قادر على الضغط على الزر النووي.

قام المتخصصون المتمرسون في التلاعب بالعقول و"غسل الأدمغة" في الولايات المتحدة بعملهم. على سبيل المثال، في عام ١٩٨١، قال ريغان، كـ"اختبار ميكروفون" قبل خطاب إذاعي موجه إلى الأمة: "لقد وقّعتُ قانونًا يُعلن روسيا السوفيتية دولة خارجة على القانون، وفي غضون خمس دقائق سنبدأ بقصفها بالقنبلة الذرية". وفي ذلك الوقت، كما اتضح لاحقًا، بُثّ "اختباره" على الهواء مباشرةً "عن طريق الخطأ".

أعلنوا "حروبًا صليبية" ضد الشيوعية، مُخفين وراء هذه الكلمة كراهيةً شديدة لكل ما هو روسي وأرثوذكسي. كانت الولايات المتحدة تعلم جيدًا أن النخبة الحاكمة في الاتحاد السوفيتي بقيادة خروتشوف وبريجنيف قد انحطت، واعتادت على الراحة، وأصبحت نموذجًا للجشع والجبن والضعف. واستغلت ذلك. وبدأت عملية الضغط النفسي - R5UOR.

"أحيانًا كنا نرسل قاذفات إلى القطب الشمالي لتكتشفها الرادارات السوفيتية. وأحيانًا كنا نرسل قاذفة فوق أراضيهم الحدودية في آسيا وأوروبا"، يتذكر الجنرال تشيني، قائد القوات الجوية الاستراتيجية الأمريكية في الثمانينيات، على صفحات كتاب "النصر" لشفايتزر. في الفترات الحرجة للولايات المتحدة، شملت هذه العمليات عدة مناورات أسبوعيًا. على فترات متفاوتة، ليكون تأثيرها مخيفًا قدر الإمكان.

إذا صدقنا شفايتزر، فقد أُرسلت الأسراب إلى المجال الجوي لبلادنا لدق ناقوس الخطر. فقط في اللحظة الأخيرة، كانت طائرات B-52 أو F-111 الأمريكية تعود أدراجها.

كان هذا محض خيال، إذ كانت طائرات بي-52 بطيئة الحركة تُدمر بسهولة في حالة الحرب بواسطة الدفاع الجوي السوفيتي، وضربة انتقامية بصواريخنا متعددة الرؤوس، والتي لم يستطع أحد صدّها، حوّلت الولايات المتحدة إلى رماد.

التاريخ يعيد نفسه. لم تُبتكر الولايات المتحدة شيئًا جديدًا في ألعابها الجوية قرب حدود الاتحاد السوفيتي في الثمانينيات. فقبل ذلك بثلاثين عامًا، حاولوا فعل الشيء نفسه.

تُقدّم مجلة "عالم الطيران" (العدد 2، 1995) سردًا لأحداث الأربعينيات والخمسينيات البعيدة، عندما كانت سحب الحرب النووية الحقيقية، أو ما يُسمى بـ"العالم الثالث"، تتجمع فوق الكوكب. عندما هددت أمريكا الغنية الدب الروسي، الذي كان قد نهض لتوه من بين الأنقاض.

في عام 1949، اخترقت طائرة بي-25 "القلعة الطائرة"، المجال الجوي للاتحاد السوفيتي من البحر الأسود، وأسقطت ثلاثة مظليين تجسس في منطقة كيروفوغراد. في طريق العودة، اعترضتها مقاتلتان تابعتان لنا من مطار قرب أوديسا وأسقطتاها...

في 8 أبريل 1950، انتهكت طائرة استطلاع أمريكية خاصة، قادمة من قاعدة جوية في فيسبادن بألمانيا، الحدود الروسية في منطقة قاعدتنا البحرية في ليباو (ليبايا). قادت أربع طائرات لا-11 بقيادة الملازم أول دوكين الطائرة الخاصة إلى الأمواج وعلى متنها طاقم من عشرة أفراد...

في عام 1950. في مايو، غزت طائرتان من طراز إف-51 موستانج سماء تشوكوتكا، حيث التقتا بطائرتين من طراز لا-11. في المعركة، أسقط الكابتن ف. إفريموف طائرة معادية.

في سبتمبر، أسقطت إحدى عشرة طائرة كورسير من حاملة الطائرات فالي فورج طائرة استطلاع روسية من بورت آرثر في البحر الأصفر. قُتل ثلاثة من رجالنا. في أكتوبر، ضربت طائرتان من طراز شوتنج ستار مطار سوخا.

أنا النهر، بالقرب من فلاديفوستوك، مُدمرًا تسع طائراتنا على الأرض.

وفي ديسمبر 1950، أسقطت طائرتا ميج-15 بقيادة س. باخاييف ون. كوتوف، في منطقة رأس سيسيورا في بريموري، طائرة أمريكية من طراز RB-29 في البحر. لاحقًا، توجه الكابتن باخاييف إلى كوريا، حيث حقق 11 انتصارًا على الطائرات الأمريكية الجارحة.

نعم، كان الأمريكيون يحاولون بالفعل ترهيب الكرملين. في 6 نوفمبر 1951، أشعل طيارا لا-11، لوكاشوف وشتشوكين، النار في طائرة نبتون في الجو، بعد أن اخترقت رأس أوستروفنوي في بحر اليابان. في يونيو من العام التالي، وفي نفس البحر، بالقرب من خليج فالنتين، أُعلن عن طائرة أمريكية من طراز "الحصن الخارق" من طراز B-29. نفس النوع الذي قصف هيروشيما وناغازاكي بشحنات ذرية. دُمرت بواسطة طائرتين من طراز ميج-15.

ثم غزت طائرة أخرى من طراز بي-29، هذه المرة في 7 أكتوبر/تشرين الأول 1952، المجال الجوي فوق جزر الكوريل، وأطلقت نيران مدافعها على طائرتي ميج دورية. وأُلقيت هي الأخرى في البحر. انتقم الأمريكيون: في 18 نوفمبر/تشرين الثاني 1952، أقلعت مجموعة من مقاتلات بانثر من حاملة الطائرات برينستون، وهاجمت أربع طائرات ميج قرب فلاديفوستوك. قُتل بيلياكوف وفاندالوف بنيران مدافع الملازمين ميدلتون وويليامز. حاول باخومكين، الذي أُسقطت مقاتلته، الوصول إلى القاعدة، لكنها تحطمت قرب كيب ليف. نعم، كانت هناك حرب جوية حقيقية آنذاك. في 15 أبريل/نيسان 1953، خسر سلاح الجو الأمريكي طائرة من طراز آر بي-50 غزت مجالنا الجوي قرب بتروبافلوفسك-كامتشاتسكي. وفي 27 يوليو، انتقموا بمهاجمة طائرة ركاب غير مسلحة من طراز Il-12 كانت متجهة من بورت آرثر إلى فلاديفوستوك في سماء الصين بأربع مقاتلات. قتل الكابتن بار واحدًا وعشرين روسيًا. لكن بعد يومين، دمرت طائرتا ميج تابعتان للملازمين الأولين ريباكوف ويابلونسكي طائرة تجسس من طراز RB-50 فوق بحر اليابان...

في تلك السنوات، كان الاتحاد السوفيتي أضعف بكثير مما كان عليه عام 1985. لم تكن لدينا قوة بحرية قوية آنذاك، وكان بإمكان الأمريكيين دفع حاملات طائراتهم إلى شواطئنا لاختراق نصف سيبيريا بضربات جوية. وجدت لينينغراد وسيفاستوبول، وأوديسا ونيكولاييف، وخاركوف وروستوف نفسها تحت ضرباتهم من البحر ومن طوق القواعد الذي أحاط بالاتحاد السوفيتي. لم نكن نملك بعد آلاف الصواريخ الباليستية، ولا غواصات نووية، ولا قاذفات بعيدة المدى بأعداد كافية لتهديد الولايات المتحدة. كان لديهم المزيد من القنابل الذرية، وأسراب من "القلاع الطائرة"، ولم يكن درع الدفاع الجوي السوفيتي يمتلك قوة صاروخية بعد.

ومع ذلك، في ذلك الوقت، لم يتردد الكرملين، ولم يتراجع، ولم يستسلم للخوف. لكن في عهد غورباتشوف، الذي امتلك كل شيء، تراجعوا واستسلموا. على الرغم من "مجالات القوة" القوية للصواريخ والطرادات والغواصات النووية، وأسطول جوي قوامه عشرة آلاف طائرة. حقًا، السيف يجب أن يحمله الشجعان، لا الجبان المرتجف.

2

في حديثه في مايو 1993 في مؤتمر بجامعة برينستون، أقرّ ألكسندر بيسميرتنيخ، آخر وزير خارجية للاتحاد السوفيتي، بهذا. اقتبس شفايتزر كلماته منتصرًا: "... جميع تسريبات المعلومات والتقارير من استخباراتنا في الولايات المتحدة... أشارت إلى أن واشنطن كانت تفكر جديًا في تدمير الاتحاد السوفيتي من المحاولة الأولى".

لم يكن من الصعب كشف هذه الخدعة. لم يفهموها. ألم يستطيعوا؟ مع أقوى مراكزنا التحليلية؟ أم ربما لم يرغبوا في ذلك، راضين بالذريعة المريحة لبيع البلاد مقابل أكوام من الدولارات؟

كما استخدموا أفغانستان، فبدأوا عمليات للقضاء على شخصيات بارزة من الحزب ونخبة الدولة. في عام ١٩٨١، اختطف المجاهدون، بمساعدة سائق طاجيكي، أوكريميوك، الصديق الشخصي لرئيس وزراء بريجنيف تيخونوف، في كابول. سُرّ مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ويليام كيسي، وقال: طالما شعرت النخبة السوفيتية بالأمان، فإنها ستدعم الحرب في أفغانستان. يكتب شفايتزر: "لكن عندما يبدأ إرسال أبناء كبار مسؤولي الحزب والضباط إلى ديارهم في توابيت من الزنك، فقد يتغير الوضع... هؤلاء تحديدًا هم من يجب استهدافهم - إنها فكرة رائعة".

في عام ١٩٨٤، عندما كان الاتحاد السوفيتي يحكمه بيروقراطي باهت، الرجل العجوز نصف الميت تشيرنينكو، احتفلت الولايات المتحدة بأولى انتصاراتها في "حرب الأعصاب". يكتب شفايتزر أنه في مايو من ذلك العام، أجرت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية دراستين خاصتين حول الحالة النفسية لكبار القادة السوفييت. استندت هاتان الدراستان إلى شهادات خونة منشقين وعملاء جندتهم الوكالة: نائب رئيس جهاز المخابرات السوفيتية (كي جي بي) المقيم في لندن، غورديفسكي، الذي انشق إلى الغرب عام ١٩٨٥، وكوزيتشكين، الذي غادر سفارتنا في طهران عام ١٩٨٢. وكذلك أناتولي بوغاتي، الذي انشق إلى الغرب من مهمته في المغرب قبل شهر.

أفادت النتائج بأن الكرملين كان يخشى إدارة ريغان بشكل متزايد، حتى أنه أعلن عدة تحذيرات نووية. وكان أول من فعل ذلك رئيس جهاز المخابرات السوفيتية، اليهودي يوري أندروبوف. يقول شفايتزر إن أندروبوف كان يؤمن بإمكانية وقوع هجوم نووي. أما نحن، فنرى رأيًا مختلفًا - فبفعله هذا، كان أندروبوف يثير الخوف في أوساط كبار القادة في الاتحاد السوفييتي، مستغلًا بمهارة مصالح الولايات المتحدة. ولكن المزيد عن ذلك لاحقًا.

وفقًا لشفايتزر، لم يكن إعلان الاتحاد السوفيتي عن حالة التأهب النووي يعني أن الخوف من هجوم أمريكي كان الموقف السائد بين كبار مسؤولي النظام السوفيتي. ومع ذلك، كان جزء كبير منهم يؤمن بهذا الاحتمال. وقد أظهرت الأبحاث أن قيادة بلادنا كانت تعاني من ضغوط نفسية.

في شتاء عامي ١٩٨٤ و١٩٨٥،

استمر "الضغط الأفغاني". طاردت وحدات خاصة من الدوشمان قادتنا العسكريين في كابول. زود الأمريكيون الدوشمان ببيانات تجسس عبر الأقمار الصناعية من خلال المخابرات الباكستانية. تتبعت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية منازل ومكاتب الجنرالات الروس وراقبت تحركاتهم. كما تم السيطرة على جميع زيارات القادة، سواء كانوا مهمين أو لا، من موسكو وطشقند. زود الأمريكيون الدوشمان ببنادق قنص.

حسنًا، لم تكن الطبقة الأرستقراطية الروسية في القرنين السادس عشر والتاسع عشر تخشى الله ولا الشيطان. اندفع النبلاء الروس بأقصى سرعة إلى حشود التتار، وسارعوا إلى الصعود على متن سفن القيادة الأجنبية من البوارج المشتعلة، واستولوا على منحدرات القوقاز المنيعة تحت وابل من الرصاص. يا له من تخلف كبير عنهم، سواءً كان عنهم أعضاء الحزب في الثمانينيات أو حكام التسعينيات الحاليين!

إن تدهور الطبقة الحاكمة في الاتحاد مذهل في سرعته. حارب أبناء ستالين وخروتشوف وميكويان بشرف وضحوا بأرواحهم في أفظع الحروب. أما أبناء النخبة الحاكمة في السبعينيات والثمانينيات، فقد فضّلوا التسكع في رحلات العمل والتجارة الخارجية. ومن المستحيل تماماً تخيّل أبناء تشوبايس أو لوجكوف يهاجمون باموت. لقد تبيّن أن نخبة الجبناء والكسلان أشدّ خطراً على البلاد من القصف المكثف.

شفايتزر مُحقّ: لم يكن جميع من في قيادة الاتحاد السوفيتي في الثمانينيات يُشاركون الخوف من الولايات المتحدة. الآن نعلم أن حزبين كانا ينضجان في أعماق النخبة السوفيتية. أحدهما كان أنصار الدولة، مُنظّمي السلطة. لكن لم

يكن عددهم كبيراً. وكان هناك حزب آخر - حزب الخيانة. أولئك الذين هم على استعداد لبيع حتى أمهاتهم من أجل حساب في بنك سويسري أو سيارة مرسيدس.

أخبرنا أحد ضباط الكي جي بي: في عام ١٩٨٤، قبل أن يجتمع غورباتشوف، الأمين العام آنذاك، مع عدونا اللدود، مارغريت تاتشر، في مقرات الحزب قرب موسكو، في الحمامات العامة وحمامات البخار، كانت هناك بالفعل محادثات حول الخصخصة. قُسِّمت مناطق النفوذ، وقُسِّمت فروع الاقتصاد، وقُسِّمت الأقاليم. كان هؤلاء مستعدين لتدمير الإمبراطورية ودفعها إلى استسلام مُخزٍ من أجل هدف واحد فقط - الاستيلاء على أراضي البلاد وموادها الخام. وأصبح "تأخر" الاتحاد السوفيتي عن الولايات المتحدة في سباق التسلح مجرد ذريعة سهلة.

كان منطقهم بسيطًا للغاية. لماذا نُرهق أنفسنا في منافسة الولايات المتحدة، إذا كنا قادرين على توفير حياة رأسمالية فاضلة لأنفسنا؟ ولا نكترث للإمبراطورية، ولا لحقيقة أن الملايين من سكانها سيُضحّون بها، إلى جانب مراكز علمية وعسكرية وصناعية وتكنولوجية فريدة.

في أوائل الثمانينيات، وُلدت بين هؤلاء نظرية علمية زائفة حول "إصلاح" الاتحاد السوفيتي. قالوا: إننا ننفق مبالغ طائلة على إطعام جمهوريات الاتحاد السوفيتي الأخرى، ناهيك عن المبالغ الطائلة من الأموال والعملات الأجنبية للحفاظ على النفوذ الروسي في جمهورية ألمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا ومنغوليا والمجر، وكذلك في أنغولا وإثيوبيا وموزمبيق وكوبا، وفيتنام وكمبوديا ولاوس.

كانوا يعتقدون أنه من الضروري فصل جمهوريات الاتحاد عن روسيا، وتحرير موارد هائلة، والانخراط في "المجتمع الدولي"، مستغلين ثروات سيبيريا والشرق الأقصى التي لا تنضب.

كان من المهم للغاية بالنسبة لهؤلاء "المنظرين" غرس فكرة في أذهان ملايين الروس والعالم أجمع: بسبب "تخلف وضعف" الاقتصاد، يخسر الاتحاد السوفيتي سباق التسلح لصالح الولايات المتحدة، وبالتالي يجب عليه الاستسلام. كان أتباع هذه "النظريات"، الذين استبدلوا القوة الإمبريالية بأموال زهيدة، هم من ساير الأمريكيين في حربهم الدعائية، وزرعوا الخوف في النخبة السوفيتية من خدع الولايات المتحدة الأمريكية المتضخمة...

نعلم جيدًا كيف انتهت جهود هؤلاء "الإصلاحيين". نعم، دمروا الإمبراطورية، وتركوا حدودها في أوروبا وأفريقيا وآسيا، وقوضوا القوة العسكرية الصناعية وباعوها. كما رفضوا "مصادر أخرى لتبديد القوى والموارد" - السكن المجاني للشعب والطب المجاني، والمدارس الرياضية، ونوادي الفنيين الشباب، وقصور الرواد، وعطلات ملايين أطفالنا كل صيف.

وماذا حدث؟ اتضح أن الحكومة اللصوصية الجديدة تلتهم أموالًا تفوق بكثير ما نهبته جميع الجمهوريات، وأنغولا وفيتنام، وأفغانستان، وسباق التسلح، من الاتحاد السوفيتي مجتمعة! حتى في أواخر عهدها، كان لدى الإمبراطورية ما يكفي من المال لبناء مصحات للشعب، وللعلم، وللأسلحة. بعد التخلي عن "الثقل السوفيتي"، لا يملك الإصلاحيون الديمقراطيون المال لأي شيء. وفي البلاد - جذع الإمبراطورية، التي كان من المفترض نظريًا أن تحقق طفرة اقتصادية - ينهار كل شيء. ويتحول الشعب إلى قطيع من الحمقى والمتشدقين.

والآن، مع حلول عصر "ما بعد يلتسين"، نشهد تحولًا جديدًا وفظيعًا في "النخبة" السوفيتية السابقة. لقد تم التخلي عن شعارات "لنكن مثل الغرب"، ويتفاخر آباء الشعب بأرثوذكسيتهم و"روسيتهم". لكنهم في الوقت نفسه، ومع كل "أرثوذكسيتهم الروسية"، مستعدون للخضوع للمستثمرين الأثرياء - لنفس صهيونية المصارف العالمية. ليتلذذوا بالطعام الشهي ويدلّلوا أنفسهم، بينما لا يزالون يبيعون ثرواتنا المعدنية وغاباتنا وجبالنا ووديانا.

بالمقارنة بهم، حتى يلتسين يبدو قمة الدولة. لا بطولة فيهم، ولا قدرة على تحقيق اختراق قوي، ولا وعي بإمبراطورية موحدة.

اللعنة عليكم أيها الصغار! سترفعون مستوى السياسة إلى مستوى...

"مواجهات كالوغا-ريازان". وحتى في الآونة الأخيرة، عندما كنا نخطط لنقل القوات من القطب الشمالي إلى صقلية، سيبدو الأمر أشبه بعهد الأمير سفياتوسلاف.

في منتصف الثمانينيات، توافد أتباع نظرية الإصلاحات، التي تقضي بفصل ما تبقى من أراضي روسيا، على الكرملين كالجرذان على متن بارجة قديمة. وكان الكثير منهم على رأس جهاز المخابرات السوفيتية (كي جي بي)، الذي ترأسه في السبعينيات أندروبوف، وهو يهودي وخبير في النبيذ الفرنسي.

بالطبع، لم يكن جهاز المخابرات السوفيتي بأكمله كذلك، بل كان ذلك الجزء منه فقط الذي كان يُجري أعمالًا تجارية في الخارج تحت غطاء التجارة الخارجية والمؤسسات المصرفية للاتحاد السوفيتي. إلى هذا الجزء من "الجبهة الخفية"، نقل آباء الحزب الكبار أبنائهم - ذوي البنية الجسدية القوية، والروح الشريرة، الذين نشأوا على ازدراء كل ما هو روسي. اندمج أبطال الإصلاح المستقبليون هؤلاء مع أبناء آخرين استقروا في مكاتب التجارة الخارجية. كانوا يتقاضون رشاوى على شكل أجهزة فيديو، ويُعتبرون مارلبورو ومتاجر السوبر ماركت قمة الكمال.

هنا نستذكر الدور الذي لعبه أندروبوف شخصيًا في تقويض معنويات الطبقة الحاكمة في الاتحاد السوفيتي. (هناك آراء موثوقة تقول إن غورباتشوف كان يُنفذ خطط رئيس الكي جي بي السابق، الذي توفي في فبراير 1984). لقد ساير أندروبوف إدارة ريغان بمهارة: فبمبادرته بدأ الاتحاد السوفيتي بإعلان حالة التأهب النووي، مما أثار استياء قيادته وأرهبها - بما يتماشى تمامًا مع خطة الحرب النفسية التي شنها ريغان ضد الاتحاد السوفيتي بناءً على نصيحة ابن آخر لإسرائيل - هيرمان خان...

...يمكن كتابة أكثر من كتاب واحد عن هذا. سنقتصر على مثال حي على مدى مهارة تفكيكنا من الداخل، ومدى مهارة غرس فكرة الإمبراطورية كشيء عاجز ومتخلف في عقول شباب السبعينيات والثمانينيات. الشباب الذي ينتمي إليه كاتب هذه السطور.

حوالي عام ١٩٨٢، كنا نضطر للذهاب إلى متجر "دروزبا"، الذي كان يبيع كتبًا عن دول أوروبا الشرقية، فقط لنعرف شيئًا عن دباباتنا أو مروحياتنا أو مقاتلاتنا الروسية. لم أتعرف على طائرتنا Mi-24 إلا من مجموعة "أرسنال" المجرية الصادرة عام ١٩٨٢. ولم أتعرف على طائرات سوخوي، وعن الحرب الجوية في كوريا وفيتنام، إلا من كتاب "الحرب الجوية" الضخم، الصادر عام ١٩٨٥.

كنتُ وما زلتُ مولعًا بالأسلحة الإمبراطورية. منذ أن أهدى الوفد الفيتنامي والدي خاتمًا مصنوعًا من الدورالومين من طائرة فانتوم أمريكية سقطت، كانت لديّ القوة والشغف الكافيان للذهاب إلى "دروزبا". لكن مثل هذه المتاجر لم تفتح أبوابها إلا في أوائل الثمانينيات، وفي المدن الكبرى فقط. كانت عشرات الآلاف من البلدات والقرى والمستوطنات في الإمبراطورية محرومة من هذه المعلومات.

كانت جميع المطبوعات السوفيتية تملأنا بكتب وأعمال بريجنيف المملة. كان من المستحيل قراءة أي شيء عن أسلحتنا، وعن عبقريتنا الهندسية. مع ذلك، في الغرب، وحتى من حلفائنا الاشتراكيين، كان بإمكان أي شخص شراء كتب ومجلات تحمل رسومات لأفضل أسلحتنا في العالم.

الآن أصبح واضحًا: لم يكن هذا غباءً، ولا غباءً بيروقراطيًا عاديًا، بل سياسةً ماهرةً لحرماننا من الفخر الوطني. ففي الوقت نفسه، نُشرت منشورات سوفيتية فاخرة، مثل ألبوم الكتب "من أين يأتي تهديد السلام". احتوت على صور ملونة لمركبات قتالية أنيقة، مطلية بشعارات عدوانية. مقاتلات، وأمواج رغوية من الغواصات النووية، ودبابات تحلق على الطرق الوعرة. لكن ليس نحن - الأمريكيون.

لكن لم ينشر أحد ألبومات وكتبًا عن عجائبنا المريخية. كان من المستحيل الاشتراك في مجلة "تكنولوجيا الشباب"، التي حاولت التحدث عن الأسلحة الروسية - فقد كان الطلب عليها كبيرًا. ولكن بدلًا من زيادة توزيعها، فرضت اللجنة المركزية للكومسومول قيودًا على الاشتراكات.

ولكن، ما المدهش؟ كان سابلر-سوسلوف مسؤولاً عن الأيديولوجية والدعاية في الاتحاد السوفيتي في أوائل الثمانينيات. وكان إيبيشيف المتداعي هو من قاد الإدارة السياسية الرئيسية للجيش والبحرية، وكان يعمل تحت إمرته الجنرال فولكوغونوف الذي كان يعمل في مكتبه. ثم أصبح ديمقراطياً مسجلاً، وأحد أنصار إمبراطوريتنا.

والآن، وقد كشف انحسار سنوات طويلة من التعكر المفاجئ، ليس عن كامل بناء القوة الإمبراطورية، بل عن أطلالها المهيبة المغطاة بالطمي فقط، فإنها تُدهش الخيال. ولكن حتى اليوم، علينا، كعلماء الآثار، أن ننقب وننقب عن بقايا حضارة عسكرية عظيمة لم تولد قط. لم يفصلنا عنها سوى عقد من الزمان. لكننا نعرفها أحياناً أسوأ من عالم اليونان القديمة.

4

أحياناً يبدو لي أن هذا لم يحدث لي. أو ربما في حياة أخرى وعالم آخر.

في مساءٍ من شهر أغسطس عام ١٩٨٢، أفاد مذيع التلفزيون المركزي بإيجاز: تمرد جنودنا الذين أُسروا في أفغانستان في معسكرٍ ما في باكستان البعيدة. بعد أن استولوا على أسلحةٍ من الحراس، قاتلوا حتى الرمق الأخير. تحت وابلٍ من قذائف الدوشمان والصواريخ. لم يبقَ أحدٌ على قيد الحياة...

ما زلنا لا نعرف أسماءهم. وحتى يومنا هذا، لم يُقِم أحدٌ نصبًا تذكاريًا لهم، أيها المجهولون. جنود روس شجعان لم ينحنوا طاعةً حتى لتسع أراضٍ من أوطانهم.

لا يزال ألمهم يملأ قلوبنا. وحولهم - نفس الحشد اللامبالي في المدينة الكبيرة، قطيعٌ من المجترات ذات القدمين، وكل فردٍ منهم لا يساوي شعرةً من رأس أولئك الأبطال. ثم، في

في عام ١٩٨٢، لم تكن مهتمة إلا بالملابس المستعملة المستوردة ونتائج كأس العالم. أما الآن، فهي تهتم بالملابس المستعملة وسعر صرف الدولار أيضًا.

لم ينقرض الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، ولا حتى عام ١٩٨٥. بدأ انهيار الإمبراطورية عندما نسينا أبطالنا وحوّلناهم إلى لا شيء. أبطال خارقون صنعوا معجزات الشجاعة في أبشع بوتقة للإنسانية - في الحرب.

دعونا، كما حدث قبل عشر أو خمس عشرة سنة، نسأل أول شاب عابر سبيل نصادفه. ماذا تعرف عن أولئك الذين قاتلوا في فورموزا عام ١٩٥١؟ وعن أولئك الذين أغرقوا السفن اليابانية عند مصب نهر اليانغتسي عام ١٩٣٨؟ أو عن أولئك الذين حوّلوا السيوف الأمريكية الخارقة إلى مشاعل فوق كوريا الشمالية؟ أو عن أولئك الذين أسقطوا طائرات سكاي هوك وفانتوم الإسرائيلية من السماء في ضباب سيناء الحار عام ١٩٧٣؟ في أحسن الأحوال، ستكون الدهشة الصامتة هي جوابك.

بحلول عام ١٩٨٥، كان آلاف الأبطال المجهولين يعيشون في الاتحاد، وكان من الممكن أن يصبح كل مثال منهم شعلةً تُشعل ملايين القلوب بفخرٍ مُتقدٍ للإمبراطورية. منارة، قدوةٌ للشباب. مزارٌ للتبجيل المُتقد. مصدرٌ للروح العسكرية التي لا تُقهر. وفقدنا هؤلاء الأبطال بغباءٍ وإهمال.

من من بين الأحياء اليوم يعرف شيئًا عن ١٢ أبريل ١٩٥٣؟ حينها، قبل ثماني سنواتٍ بالضبط من انطلاق غاغارين، هاجمت عشراتٌ من طائرات الرعد الأمريكية، تحت غطاءٍ من مقاتلات سابر التابعة للجناح الجوي ٥١ التابع لسلاح الجو الأمريكي، سدًّا لتوليد الطاقة الكهرومائية في سوفون، شمال الصين.

لكنهم قُبِلوا جوًّا من قِبل طياري الفرقة الجوية ٢٣ بطائرات ميج-١٥. وكان من بينهم الكابتن سيميون فيدوريتس، قائد السرب...

...عندما اقتربوا، كانت المعركة مُستعرة. "النجدة، لقد أُسقِطتُ! النجدة!" سُمعت صرخة يائسة في خوذة الطيار. رأى القبطان طائرة ميج مشتعلة قريبة، تفقد ارتفاعها، وطائرة سابر تطاردها كالصقر، تطلق نيرانها من مسافة قريبة من مدافعها الأمامية. انعطاف قتالي - واندفع فيدوريتس نحو الصياد المتحمس. أطلق النار من مسافة قريبة، ودفع العدو إلى انقضاضة أخيرة...

لكنه هُوجِم على الفور بأربع طائرات سابر، بقيادة الكابتن ماكونيل، أفضل طيار أمريكي في تلك الحرب...

انفجرت نيران كثيفة في قمرة القيادة. تناثر زجاج المظلة على الجانبين، وتحطمت لوحة العدادات. "هذا كل شيء!" لمعت في ذهنه. لكن الطائرة ارتجفت بطاعة، مُطيعةً لحركة عصا التحكم. كانت الدفات سليمة.

كان جوزيف ماكونيل متأكدًا من أنه قتل الطيار الروسي. لكن طائرة الميج الجريحة اندفعت فجأة إلى اليمين، تحت أنف طائرته إف-86. اندفع الأمريكي المذهول إلى الأمام، ورآه فيدوريتس أمامه - على اليسار عند "الساعة الحادية عشرة". ضغط القبطان على الدواسة اليسرى، مما دفع المقاتلة إلى الانعطاف. قادمة خلف العدو.

حرر ماكونيل أغطية الفرامل بحماس. لمعت في ذهنه فكرة: سأخفف السرعة، وسيُسرع الروسي إلى الأمام! امتلأ جسده بثقل الحمولة الزائدة، وضغطت أحزمة الأمان على جسده، وخرجت صرخة أجشّة من بين أسنانه المشدودة.

فات الأوان! أطلق الروسي مدفعه. اخترقت القذائف الجناح الأيمن لطائرة سابر، ممزقةً قطعة كبيرة من الجلد. شقلب الأمريكي إلى اليمين وسقط على الأرض. فقد ارتفاعه، واتجه نحو البحر. هناك ستصطدم طائرته بالأمواج، وسيقفز منها، وستلتقطه مروحية إنقاذ.

في ذلك الوقت، لم يكن قائدنا يعلم بعد أن هذا القرصان الجوي السادس الذي أسقطه هو البطل ماكونيل نفسه، الذي أسقط بالفعل ثماني طائرات ميغ. أمطرته طائرات سابر المتبقية بقذائفها، وكسرت قضبان التحكم في الطائرة، وقذفت فيدوريتس...

تحية تقدير لك أيها الرفيق القائد! ولك أيضًا، إيغور سيدوف، المقيم البعيد في عشق آباد، الذي روى لنا عن هذه المعركة في مجلة "عالم الطيران" غير المعروفة، والتي تُنشر بثلاثة آلاف نسخة لـ 150 مليون نسمة في روسيا اليوم.

أين بطلنا سيميون فيدوريتس الآن؟ إنه المحارب المخضرم ذو الشعر الرمادي من الحرب الباردة، من العالم الثالث، يحترق بهدوء. عقيد متقاعد شبه مجهول، ومعلم تكتيكات متواضع في مدرسة خاركوف الجوية. في أوكرانيا المستقلة اليوم، التي عانت طويلاً من نقص وقود الطيران.

وكم من هؤلاء المحاربين لدينا؟ كم كان بإمكانهم أن يرووا قبل عقود عن الأحداث الساخنة فوق تلال كوريا، حيث تعرّض الأمريكيون لضربة وحشية على يد الروس؟ من منكم، أيها القراء، يعلم أنه في عامي ١٩٥٠-١٩٥١، أسقطت صقورنا هناك خمس طائرات أمريكية مقابل كل طائرة روسية مفقودة؟ وفي عامي ١٩٥٢-١٩٥٣، عندما وصلت أحدث طائرات ميج-١٥ "سايبر" وأكثرها تطورًا، خسر الأمريكيون ثلاث طائرات مقابل طائرتين منا؟

لعقود من الزمن، ظلّوا صامتين، يسحقهم صمتٌ أعمى من السرية الحمقاء، مُغلّفين بـ"اتفاقيات عدم الإفصاح". ماذا شعروا عندما كان الأمريكيون يُمجّدون ويشيدون بكل حلقة قتالية على جميع قنواتهم، عندما كان ملايين الشباب الأمريكيين يقرأون عن كابتن ماكونيل في المجلات المصورة والكتب الفاخرة، ويشاهدونه على التلفزيون، ويشترون مئات الأفلام على أشرطة الفيديو؟ ماذا شعر هؤلاء الأبطال المجهولون عندما نظر شبابنا السوفييت بلا مبالاة إلى ميدالياتهم المتواضعة؟ ألا تعرف شيئًا عنهم وعن رفاقهم الذين سقطوا، وتعبد أصنام السبعينيات والثمانينيات الجديدة: مديري المتاجر، ومديري القواعد التجارية والمطاعم، وسقاة البار، ومغنيي البوب الأغبياء؟

إذا كنتَ، أيها القارئ العزيز، إذا زرت الصين يومًا ما، سواءً للسياحة أو العمل، وزارت مدينة هانكو، فتوقف عند حديقة "التحرير" في المدينة. وانحني احترامًا لطيارينا، الراقدين هناك في نوم أبدي. كوزلوف، بيسوتسكي، كوليشين، مارشينكو، دولغوف، سكورنياكوف، غولين، تشوريكوف، تيريخوف، غوروف. سقطوا جميعًا عام ١٩٣٨ وهم يقاتلون الأساطيل الجوية اليابانية في معركة ووهان. "سيف العدالة" - هكذا أطلق عليهم الشعب الصيني.

لكنهم قاتلوا من أجلنا أيضًا. صدّوا الهجوم العنيف للجيوش اليابانية الصامدة والمتحدة، المنضبطة بروح الساموراي. اكتسبوا خبرةً ستُفيدهم لاحقًا - عندما اندفعت جحافل بلاد الشمس المشرقة نحو خالخين غول عام

١٩٣٩. كانوا يتوقعون أولًا أن يُغرقوا سهول منغوليا بسيف الساموراي المنتصر، ثم في ترانسبايكاليا الروسية، ثم في بريموري. لكنهم هُزموا هزيمةً نكراء على يد جوكوف.

ماذا نعرف عن تلك الحرب وأبطالها الروس؟ لا شيء تقريبًا. ففي النهاية، لدينا شخصٌ وشيءٌ نفخر به في تلك الحرب، وهو أمرٌ يجهله الروس اليوم. في ديسمبر ١٩٣٧، هاجمت تسع قاذفات قنابل روسية عالية السرعة من طراز إس بي غارة شنغهاي ومطارها. وغرقت طراد ياباني.

في ١٨ فبراير ١٩٣٨، دمّر الروس اثنتي عشرة طائرةً معاديةً في سماء ووهان.

في ٢٣ فبراير، هاجمت فرقة إس بي الثامنة والعشرون بقيادة بولينين تايوان، وأضرمت النار في أربعين طائرة ساموراي ومخزون وقود يكفي لثلاث سنوات. لم تُسجل أي خسائر.

في يوليو/تموز وأكتوبر/تشرين الأول 1938، ألقى اليابانيون بأسطولهم بأكمله على نهر اليانغتسي، محاولين اختراق الصين عبر مجراه. وصل سرب سفن الكولونيل ثور من الاتحاد. في تلك المعركة النهرية، أغرقنا 92 سفينة معادية، ودمرنا حاملة طائرات ضخمة بإزاحة عشرة آلاف طن...

انظروا إلى الأمريكيين. في مسيراتهم القدامى - الزاهية والجليلة، حيث تُشيد البلاد بأسرها بأبطالها. حتى لو كانوا من قدامى "النصر" على غرينادا عام 1983، حيث هاجموا مئة أسود بحاملة طائرات وطرادات وطائرات هجومية.

حرمنا أبطالنا من كل شيء. يبدو أن بيروقراطيتنا الشبيهة بالجرذان ومنافقينا الجبناء والمتخمون من أعضاء كومسومول كانوا ببساطة يخشون هؤلاء النسور المتغطرسين. وبفقدان الأبطال، فقدنا الإمبراطورية.

كان الاتحاد السوفيتي ثريًا للغاية في الثمانينيات. ما الذي منع حزبنا الشيوعي السوفيتي، بأجهزته الأيديولوجية، من رفع شأن أبطال جيشنا على الدروع؟ هل كان يصنع أفلامًا عن المعارك المجيدة، عن الطيارين وأطقم الدبابات والبحارة؟ ففي النهاية، كان كل شيء موجودًا - الأرشيفات والمعدات والمشاركين الأحياء في المعارك. وجيش لم يتفكك بعد، ولم يُدفع إلى حافة الانهيار. مع أبطال بارعين في أفلام لا تقل روعةً عن الأمريكيين في فيلمهم المثير "توب غان" - "الحرس الجوي".

كم كنا، شباب الثمانينيات، نتوق لمثل هذه الأفلام! كم كنا ننهل بشراهة من فتات المعلومات عن أبطالنا في إفريقيا وآسيا، وعن انتصاراتنا على العدو! لكن الكرملين حرمنا من كل هذا. الآن نعرف: كل شيء كان متعمدًا.

لا يزال لدينا أناس لا يخشون "الحروب النفسية" الأمريكية ولا الدوشمان. أولئك الذين يستطيعون إحراق كل قذارة البلاد وإقامة نظامنا الإمبراطوري الروسي فيها. ليس بالكلام، بل بحياتهم، بنوا وعززوا قوة الإمبراطورية الجبارة.

من واجه نيران المعارك وعواصف القطب الشمالي القارسة لن يخون أبدًا. من غطى البلاد بصدره في كل مكان، وأحرق قوته وشبابه، وبنى مراكز نووية، لن يبيعها أبدًا مقابل حفنة دولارات - كما فعل من يحكمون الآن. ليس الوحل النتن الذي أنجب المثقفين الشيشانيين، بل كان ينبغي أن يصبح الأبطال النخبة الحقيقية. من هم كل هؤلاء يلتسين، كرافتشوك-كوتشما، لوجكوف، ونزاربابيف؟ مجرد رغوة قذرة، يرشيها الغرب بسهولة ويسر. ألقِ الدولارات في جيوب "نخبة" كييف - وهم يقسمون أسطول البحر الأسود بحسد. مع علمهم التام بأنه سيتحول إلى كومة صدأ في أوكرانيا المستقلة.

يجب أن يحكم البلاد أكثر الشجعان نكرانًا للذات. فالجيش ليس مجرد حشد من العمال المأجورين المتخفين، المستعدين لتنفيذ أي أمر بحماقة وخدمة من يدفع أكثر. إن جيشًا كهذا ينذر بزوال الأمة.

يجب أن يكون الجيش في الحضارة الروسية جوهرها وروحها وأساسها. ففي المعركة فقط يتجلى الإنسان بكامل قواه، وبسالته وإخلاصه للوطن، وقدرته على التضحية بالنفس، والتعاون الأخوي المتبادل. والمعركة وحدها هي التي تقسم الناس إلى شخصيات حقيقية وأفراد أدنى منزلة، وتكشف تمامًا كل الحقير والفاسد والجبان. معركة

واحدة فقط هي التي تولد أرستقراطية حقيقية جديرة بحكم البلاد. ولذلك، لن ترى بين المقاتلين اليوم أبناء تشوبايس ويلتسين وتشيرنوميردين ولوجكوف.

الجيش في النظام الروسي هو حارس التفاوت المقدس بين الناس، وتسلسل هرمي سليم، ومدرسة انضباط. فمن يأمر الناس يجب أن يكون قادرًا على الطاعة أيضًا. لهذا السبب أجبر بطرس الأكبر المنتصر النبلاء على بدء مسيرتهم المهنية كجنود عاديين. وقد أدى إلغاء هذا المبدأ المقدس بعده، وإن كان ببطء ولكن بثبات، إلى كارثة عام ١٩١٧، وإلى انحطاط النبلاء تمامًا. تمامًا كما أدى رفض "النخبة" السوفيتية لتعليم الأطفال تعليمًا عسكريًا صارمًا إلى انهيار الاتحاد السوفيتي.

الجيش مدعوٌّ ليكون سندًا لنا أيضًا في القوانين الداخلية لتطور الدولة الروسية - وُلدت ونشأت في حروب ضارية مع جيران عدوانيين. لم يُمنح لنا أي شيء آخر، ولن يتغير الكثير في المستقبل.

لكن القوة والانضباط يحتاجان دائمًا إلى فكرة عضوية عظيمة. إن "الشيوعية" المتقيحة لآخر قادة الاتحاد السوفيتي كانت تحمل في البداية رذائل مستعصية من معاداة الإمبريالية، والمساواة، والتوجه نحو التطلعات المادية البدائية للعبد الأدنى. كانت هناك حاجة إلى فكرة مختلفة تمامًا.

لم نُسلمها لأعظم قوة في العالم. لقد أسقطنا أبطالنا ونسيناهم. سلمنا السلطة إلى نسل جماهير العبيد، "أمراء من الوحل"، غير المحاربين. الوحل المتحلل في الأعلى هو تحلل في الأسفل. تحولت هذه الأمة العظيمة يومًا ما إلى ناخبين مسالمين أغبياء، مستعدين لتسليم بلادهم ممزقة إلى عصابات منظمة إلى حد ما، يهتفون: "ما دامت لا حرب!" وماذا يُمكننا أن نُسمّي ملايين مواطنينا الأغبياء، الذين يُعجبون بصدقٍ ببلطجية الشيشان الذين يذبحون ويغتصبون أبناء وطنهم الروس منذ سنوات؟ هذا القطيع الذي لا يُفكّر إطلاقًا في الغد، حين قد يُدفعون لحفر خنادق قرب موسكو؟

هل تعلمون لماذا هُزمنا في حرب الشيشان بين عامي ١٩٩٤ و١٩٩٦، ولماذا سارعت "النخبة" بأكملها - من نشطاء حقوق الإنسان المتلعثمين والمثليين إلى رئيس الوزراء تشيرنوميردين نفسه - إلى وقفها؟ لقد كانوا ببساطة يخشون أن تظهر في جبال القوقاز كتائبٌ من الأبطال الروس من بين جموع "الناخبين" الغبية والفاقدة للوعي. من لم يعد ينخدع؟ من أدرك تمامًا فساد "النخبة الروسية" ولن يرحمه.

هل تذكرون كيف صرخ يافلينسكي، اليهودي ذو الشعر المجعد من لفيف، في مجلس الدوما: من شاء فليحمل سلاحه ويقاتل في الشيشان بنفسه؟ هل تذكرون كيف اقترح ليبيد أن يتجمع الوطنيون في كتائب ويذهبوا إلى هناك أيضًا؟ أيها المتعصبون، لن تسمحوا بهذا أبدًا. ففي النهاية، كل ما تحتاجه الدولة هو الإعلان عن تجنيد وتدريب جيش من المتطوعين، وسينضم 20-30 ألف بطل إلى راياتها، مستعدين للعب بالموت بوعي تام. نعم، سيُهدّئون الشيشان بسرعة ووحشية. لكن بعد ذلك، سيذهبون لاستعادة النظام في موسكو. وسيُهاجم السياسيون واللصوص والخونة ونشطاء حقوق الإنسان أعمدة الإنارة.

لهذا السبب كان نظام الأوغاد الفاسد يخشى الأبطال في عام 1985 واليوم. وسيُدمرهم دائمًا.

5

كم من الأبطال فقدناهم؟ في النهاية، خاضت الإمبراطورية معارك ضارية وطويلة، دافعةً أعداءها إلى مأزقٍ مُميت. في ثلاثينيات القرن الماضي - في إسبانيا والصين، وفي خالخين غول، وبحيرة خاسان، وبرزخ كاريليان.

بعد أفظع حرب في تاريخ البشرية، والتي خلّفت جحافل من الأبطال المنسيين، يقاتل الروس في كوريا. ثم - في الجزائر، وفي فيتنام، وفي الشرق الأوسط. لكن من يعرف أسماء الرجال الذين أسقطوا طائرات فانتوم الإسرائيلية في سيناء في سبعينيات القرن الماضي؟ أسماء أولئك الذين جابوا قناة السويس عام ١٩٧٤، ونظّفوها من الألغام؟

وكذلك، لا نعرف أسماء أولئك الذين اشتبكوا مع قوات الكوماندوز الجنوب أفريقية في أدغال أنغولا في سبعينيات القرن الماضي. أو أولئك الذين سفكوا دماءهم على هضاب القرن الأفريقي الصخرية المحروقة بحرارة الشمس خلال الحرب الصومالية الإثيوبية عام ١٩٧٧.

وأنت أيها القارئ، هل تعرف أسماء رواد الهجوم الروس؟ هل تعرف عدد الدبابات الألمانية التي أحرقت كل منها من الجو وأسقطت طائرات هتلر؟ هل تعرف أسماء طياري قاذفاتنا وقاذفات الطوربيد المجيدين، وعدد الغارات الناجحة التي نفذوها؟ هل تعرف من سيطر على جزر الكوريل أو من دمر المزيد من الأعداء ببندقية قنص؟ أخشى ألا تعرف. لكن الألمان يعرفون. يتذكرون هاوبتمان رودل، الذي أحرق ما يقرب من ثلاثمائة دبابة لنا في قاذفته الانقضاضية. قرأتُ ذات مرة سطورًا في صحيفة صعقتني كالصاعقة: ليس لدينا إحصائيات عن أفضل المدفعية الجوية في الحرب الوطنية العظمى الذين قادوا قاذفات القنابل. على عكس الغرب.

ها هي أعظم جريمة ارتكبها البيروقراطيون الصلع ذوو البطن المنتفخ في نظام الحزب الشيوعي السوفيتي! كان لديهم ما يقارب ثلاثين عامًا لتمجيد مآثر الجندي الروسي بآلاف الوجوه وبكل تفاصيلها! أنجبوا جيل الأربعينيات من اليوم، هؤلاء القطيع، هؤلاء الناخبين الديمقراطيين، الذين كانوا قبل عشرين عامًا ينظرون إلى جنود الخطوط الأمامية على أنهم أناسٌ طاعنون في السن بشكلٍ مزعج، يتخبطون تحت الأقدام، ولسببٍ ما، اضطروا إلى تركهم خارج دورهم. سمعتُ بنفسي تعليقات: "مرّ ثلاثون عامًا على الحرب، حان وقت الوقوف في الطوابير كغيرهم!"

أنجبوا هذا القطيع الأحمق، الجاهز للاستمناء عند رؤية المغني كيركوروف، ذو الجسد الرقيق، وعيون البقر، الذي يشبه فتاةً مصبوغة الشعر. هؤلاء الغوغاء الذين يُغدقون عليه ملايين الدولارات مقابل أغاني "أرنبي..."، ولا يريدون معرفة أي شيء عن الأبطال الحقيقيين الذين يُخاطرون بحياتهم وصحتهم حتى اليوم! "أرنبي!" - وفي مكانٍ ما في الخفاء، يعيش أبطالٌ في العشرين من عمرهم، يُشوّهون سمعتهم من قِبل مُخادعي الصحافة، الذين انتشلوا رفاقهم الجرحى من أكياس النار في غروزني. أو الذين اندفعوا إلى المعركة واحدًا ضد عشرة! مخلوقاتٌ لاجنسيةٌ طويلة الشعر، تُشارك في برامج المنوعات، تعيش أغنى بآلاف المرات ممن هم أغلى بملايين المرات من قيمة الأمة - أفضل من أعظم العلماء والمصممين والمهندسين. هذا تدميرٌ للشعب، إبادةٌ جماعيةٌ خفية. لكنها لم تبدأ في عهد الديمقراطيين. بالفعل في الاتحاد السوفيتي.

في أي زمن كانت شاشات التلفزيون تعجّ بمن؟ نعم، زينوفي جيردتس، ومناكيرز-ميرونوف، وممثلون وكوميديون يهود، ومغنون، وممثلون مرة أخرى... هكذا أصبحوا أعظم أصنام شعبنا الساذج. ولأنهم كانوا في الغالب من جنسية واحدة - اليهودية، فقد حُفرت هذه الحقيقة في أذهان الجميع: إنهم الأذكى والأكثر موهبة، بل الأفضل على الإطلاق. هؤلاء الأفضل الآن متربعون على عرش السلطة، يزحفون على أقدامها، ينتزعون الصدقات التي يُلقيها المصرفيون بسخاء، ويشيدون بالديمقراطية. وأولئك الذين أخفاهم بيروقراطيو الحزب الشيوعي السوفيتي آنذاك، جميع عباقرة ومحاربينا الشجعان، يتجهون الآن نحو النسيان التام، نحو الفقر، وإلى القبور!

كانت أعظم جريمة ارتكبها النظام السوفيتي القديم هي إهمال هؤلاء الناس، في القتل الهادئ للأبطال الوطنيين. في تدمير قيمة المجد العسكري في حد ذاته. في النهاية، الأرستقراطي الحقيقي ليس تاجرًا أو موظفًا حكوميًا، بل هو قبل كل شيء محارب. شخص يخاطر بحياته من أجل الإمبراطورية، شخص يحتقر الموت وملذات القطيع الضيق الأفق.

أفضل الناس ليسوا من يملكون المال، بل من يخاطرون بحياتهم من أجل وطنهم وشعبهم. لا يوجد شعب أسمى من أولئك الذين اختبروا القتال. لقد أغرقهم نظام خروتشوف-بريجنيف في غياهب النسيان.

في ربيع عام ١٩٩٦، عُرضت على التلفزيون "تحفة فنية" أخرى من أعمال فيكسلر آخر - فيلم وثائقي "برودواي شبابنا". عن شخصيات مختلفة من أمثال يفتوشينكو، وغاليش، وأوكودزهافا، وفوزنيسينسكي. عن بعض الأفراد ذوي الوجوه الجورجية وغيرها من الوجوه غير الروسية. عن نفس الجماعة التي توافدت على الديمقراطية والسياسة في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات. التي، تحت صرخات "القيم العالمية" و"دموع الأطفال"، تسببت في انهيار الإمبراطورية العظيمة، ورقصت على أنقاضها، وبصقت على كل ما هو روسي.

في فيلم "برودواي شبابنا"، تذكروا ذهابهم إلى المطاعم وشراء أسطوانات مستوردة، وسترات أنيقة، وربطات عنق، وسراويل قصيرة. وهذا كل شيء! ولا شيء أكثر. بؤسٌ مُطبق، فراغٌ مُطبق. "برودوايبون"، هكذا دعوا إلى الخرق والغرب، وهمسوا بغضب على جنود الصفوف الأمامية، واعتبروا أنفسهم نوعًا من "الأشخاص الأعلى شأنًا".

أولئك الذين، مع هيروستراتوس، قوّضوا أسس دولتنا التي عمرها ألف عام، كانوا قبيلة من العدميين المُدللين، الذين كان عالمهم مُغلقًا في عش أفاعي أربات، وشارع غوركي، ومطعمي "براغ" و"ناشيونال". كان نظام خروتشوف-بريجنيف المتحجر هو من غذّى هذه المخلوقات، التي كانت في تلك السنوات تستطيع التنزّه في المطاعم بفضل منحها الدراسية، بينما كانت الوجبة اليوم تكلف 200-300 دولار.

في عهد خروتشوف وبريجنيف، كان يفتوشينكو وفوزنيسينسكي يُنشدان قصائدهما في الملاعب، ويصبحان قدوةً للشباب، ويُقدّران آباءهما الروحيين - باسترناك وماندلستام وتسفيتيفا.

نحن أنفسنا ربّيناهم - أناسٌ دون البشر ذوي نفوسٍ مزدوجة. مثل أوكودزافا، الذي أقسم في شبابه بحبه "للمفوضين ذوي الخوذات المُغبرة"، وبعد ثلاثين عامًا طالب بشكل هستيري بالانتقام من المدافعين عن مجلس السوفييت عام 1993. وصف أحد الصحفيين، بحق، "جيل الستينيات" بأنه يعاني من الإسهال الفموي.

كما يقولون، مُصيبون تمامًا. بلا أجنحة، خانوا وباعوا كل شيء. للحصول على منح من المؤسسات الغربية. للحصول على جوائز بوكر. للحصول على ميكروفون على شاشة التلفزيون - حتى يتمكنوا من مواصلة تلويث عقولنا.

6

ولكن بحلول منتصف الثمانينيات، جابت الأرض الروسية قبائل جديدة من البشر. أحيانًا بشعر قصير، وبزات مموهة، وبشرة قاسية بفعل الرياح والشمس. وأحيانًا أخرى - ببدلات رسمية. هؤلاء كانوا المبدعين الحقيقيين وحُماة القوة الإمبراطورية.

السيف والمطرقة - هذان هما الدعامتان الوحيدتان لأي أمة عظيمة. لا التجار، ولا السماسرة، ولا المصرفيون. في سنوات بريجنيف المتهاونة، لم نكن نعرف شيئًا تقريبًا عن جيش الشعب بأكمله، الذي بفضله عشنا بسلام وهدوء.

بنى البعض مفاعلات وحلقوا بطائرات مقاتلة. فكك البعض قنابل وألغامًا جوية ألمانية قديمة. وابتكر أحدهم تقنية فضائية فريدة أو طارد قوافل العدو. وإذا نشأ جيلي قويًا ومعافى، فذلك بفضلهم فقط - المحاربين والمهندسين والعلماء والعمال.

أهل السيف والمطرقة، كانوا بمثابة الأرستقراطية الجديدة المحتملة للدولة. على من يُحبّ الحديث عن غباء الروس وكسلهم أن يُخصّص دقيقةً على الأقلّ للحديث عنهم. هل يُمكن مُقارنة "عمل" مصرفيٍّ من غوسينسكي أو مافيا قوقازية - "سيد" سوق موسكو - بعمل طيار ميج-29؟ أو حتى بدقيقةٍ واحدةٍ لرجل صواريخ دخل عام 1973 في معركةٍ مع طائرات "الفانتوم" الإسرائيلية المُزمجرة التي تُنفث الموت؟ وإنشاء مفاعلٍ نوويٍّ جديدٍ أصعبُ بمئةِ مرةٍ من استغلال أموال الميزانية.

دمّر النظامُ هؤلاء الناسَ ببراعةٍ ومهارة. نسيَانٌ وغموض. رواتبٌ ومعاشاتٌ زهيدة. ثمّ - بعد أن ابتلعَ مدخراتهم، وقضى على مجال نشاطهم، وبقايا هيبة عملهم.

رجلٌ ذو حدسٍ تاريخيٍّ عظيم، أراد ستالين استعادةَ أرستقراطيةٍ عسكريةٍ حقيقية. تحت قيادته، كان كل فارس من فرسان الوسام يتقاضى راتبًا سنويًا. صحيحٌ أن حجمه لم يكن يُحصى، لكن كان هناك أبطالٌ يحملون أيقوناتٍ كاملة. حافظ ستالين على عادة العصر القيصري، حيث كانت جوائز الإمبراطورية تشمل الأراضي والممتلكات وميدالياتٍ تذكارية.

نيتا. حتى جاء خروتشوف.

فكّر في الأمر أيها القارئ! ففي النهاية، ليس هذا مجرد حافز مادي سطحي، بل هو حجر الزاوية الحقيقي لحضارة إمبريالية عسكرية. هذه الحضارة، عند تطويرها، تُفعّل أعظم آلية لتصعيد الأشجع والأكثر شجاعةً وإخلاصًا للدولة إلى القمة.

فكّر في الأمر بنفسك: حضارة ديمقراطية حديثة، ليبرالية السوق، تفتح الطريق إلى القمة لفئة خاصة من الناس - أولئك الذين يملكون ثروة طائلة. والتي يتم الحصول عليها بطرق بعيدة كل البعد عن المُثل الإمبريالية السلافية الأرثوذكسية الأصيلة. فمن يملك المال؟ تاجر ناجح، أو مُرتشٍ، أو مختلس، أو رجل عصابات، أو تاجر مخدرات، أو صاحب صناعة الرذيلة: بيوت القمار، والدعارة، إلخ. لنُضيف هنا المُبتزين، والمصرفيين، ومضاربي الأسهم - خالقي المال "من العدم"، الذين لا يخلقون شيئًا.

تدعو الحضارة الحديثة إلى مبدأ: "احصل على أكبر قدر ممكن من المال وبأسرع وقت ممكن!" لذا، تخلّصوا من خرافات جمع الثروات بالعمل الجاد والنزيه - ففي العالم، على مرّ القرون، لم تُخلق أعظم الثروات إلا بالسرقة والمضاربة والخداع. وقد أوصلت السوق والديمقراطية كل هذا إلى أقصى حدوده.

من الواضح أن أصحاب السيف والمطرقة في مثل هذه الحضارات يُدفعون إلى الوراء. أيّ نوع من رجال الأعمال يُمكن أن يأتي من أناسٍ يخوضون المعارك بشجاعة أو يُرهقون أنفسهم في ابتكار آلات جديدة للأمة، ويُحققون اكتشافات علمية غير مربحة؟ من وجهة نظر رجل أعمال مُهتم بمشكلة جني ثروة طائلة، فإن مُصمم طائرة تفوق سرعتها سرعة الصوت، والذي يُقدم حلولاً تقنيةً لنصف قرن مُستقبلاً في ابتكاره، هو ببساطة مُجنون، "لا يعرف الحياة".

قائد فصيلة من القوات الخاصة الذي يخضع لاختبارات في حدود القدرات البشرية مقابل بنسات هو ببساطة أحمق خطير. وصديقي، قائد القوات الكيميائية، الذي تطوّع للذهاب إلى تشيرنوبيل لمجرد مبدأ "إن لم أكن أنا، فمن إذن؟" هو مُتخيّل مُجنون.

باختصار، كل من يُعلي الروح والشجاعة فوق المادة الحقيرة والملذات الحيوانية، وكل من يُنشئ قوة الإمبراطوريات وعظمتها وأمنها، هم منبوذون في "حضارة" اليوم الليبرالية الأنانية، الطامعة في سعادة الفقراء.

لا تظنوا أن الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي كانت مختلفةً عن الرأسمالية الغربية. فبُنيت على أفكار ماركس، حاملاً نفس الروح اليهودية، ورثت (على الأقل قولاً) من أخيها الرأسمالية الانغماس في الطموحات المادية البحتة للرجل العادي. وقد أنجبت جهازاً بيروقراطياً ضخماً، حيث أصبح أسلوب الترقي رفضاً للشرف، وعزيمة شجاعة. التملق، والخضوع للسلطات، والقدرة على التملق، والتآمر الدنيء، وتقويض الآخرين - هذه هي "شجاعة" البيروقراطية السوفيتية، التي صعدت إلى السلطة في ثلاثة أجيال، حشداً من هؤلاء الحثالة، مما أدى إلى زوال أعظم دولة في تاريخ البشرية.

لقد أدرك ستالين هذا جيداً. ولذلك، حافظ على مبدأ إضافة المنافع المادية، منافع السلطة، إلى الأوامر. حتى وإن كانت في بعض الأحيان على مستوى جنيني - فقد أرهقت البلاد أشد الحروب ضراوة. لكنها نهضت وازدادت ثراءً - وازدادت أهمية المكافآت.

وعلى عكس الماركسية التي بشرت بالمساواة، أنشأ ستالين نظامًا قائمًا على عدم المساواة، ساعيًا إلى ترسيخ طبقة أرستقراطية جديدة. لكن ليس من المسؤولين أو التجار، بل من المحاربين، وجنرالات الحرب، والمصممين النشيطين، والتكنوقراط، والعلماء. رفع الأساتذة والأطباء، والطيارين، والعمال ذوي المهارات العالية فوق عامة الناس. كان فخر البلاد ونخبتها هم أولئك الذين لا يدخرون جهدًا من أجل قوة البلاد ومستقبلها.

لم يقتصر الأمر على الجنود فحسب، بل امتد إلى مستكشفي القطب الشمالي، والمخترعين، وبناة الصناعات العملاقة، والصحفيين، والكتاب ذوي العقلية الإمبراطورية. رواد وذوي شجاعة يائسة. لهذا السبب، تنتشر شائعات مستمرة بأن ستالين كان يُدبّر خططًا لمنح الأراضي للجنرالات العسكريين. لهذا السبب خاض معركة ضد الكوزموبوليتانيين عديمي الجذور الذين بنوا حياتهم المهنية بالبصق على كل ما هو روسي إمبراطوري وتشويه سمعته. أدار وجهه للكنيسة. وكانت مداخيل الضباط والعلماء والمهندسين والصحفيين في أواخر الأربعينيات خيالية.

ولكن حتى هو كان متناقضًا. حتى هو كان مسيطرًا عليه روح الماركسية اللعينة. ففي عهده، شُنت حملات قمع على جنود الخطوط الأمامية أيضًا. ولم تختفِ تلك الكتلة القذرة من المسؤولين والمخبرين والمتملقين.

لم يكن لدى ستالين الوقت الكافي لتغيير أيديولوجيته الخبيثة. أو ربما قرر القيام بذلك بعد فوات الأوان، ولم تكن لديه حياة كافية. ثم ألغى خروتشوف دفع الأموال للأوامر، وخفض رواتب العسكريين والمهندسين. وبدأ إعادة تأهيل الجميع دون تمييز. وأدخل المساواة. أما بريجنيف، فقد واصل عملية الانحطاط المناهض للإمبريالية، التي أكملها إصلاحيونا الديمقراطيون. خلال نصف قرن منذ انتصارنا، أصبح الجيش أضحوكة، وبدأ المهندسون يتقاضون أجورًا أقل من عامل شبه أمي، واختفى الأبطال في غياهب النسيان، وتولى السلطة مديرو المتاجر والبقالة والقواعد التجارية والبيروقراطيون. كل من أصبح الآن مصرفيًا ورؤساءً ورؤساء إدارات وعمداء. إلى جانب جيوش الوحوش - "الستينيات". يلتسين، وتشوبايس، وتشيرنوميردين، وغايدار، ولوجكوف - كلهم أبناء الظلام نفسه.

بدأنا نخسر.

الإمبراطورية عندما بدأت تفقد أبطالنا. لا يوجد ما هو أكثر إثارة للاشمئزاز من "النخبة" الحالية. كيف يمكنك أن تحظى بالاحترام بين آل لوجكوف وتشيرنوميردين وتشوباي؟ استحوذ عليها، واسرقها من الخزانة، واربح مليوني دولار من المخدرات - وستحصل على قيمة فائقة مقابلها. ستُفتح أمامك جميع الأبواب، حتى لو جنيت أموالك من جرائم القتل. وإذا دعمت أيضًا ألف بلطجي بالرشاشات على نفقتك الخاصة - فأنت بالفعل قوة حقيقية، وسيلجأ إليك الجنرالات للتفاوض، ويوقعون معك اتفاقيات نيابة عن روسيا.

لهذا السبب تحولت دولة ضخمة إلى حانة ضخمة، وهزمت وكرًا صغيرًا للقطاع الطرق في الشيشان جيشًا بأكمله، ويستولي زعماء عصابات المافيا القوقازية على السلطة في موسكو، ويزوجون أبنائهم لبنات حكام لوجكوف.

إن الدولة التي يتربع فيها المجرمون والرعاع على العرش ويلعبون دور الأرستقراطيين محكوم عليها بالزوال. يمكنك أن تُزين ذيل فأر بالألماس، لكنه سيبقى مجرد فأر. هل تعتقد حقًا أن فأر اليوم سيتحول فجأة إلى بطرس الأكبر؟

انظر عن كثب إلى قادة اليوم. ألا ترى أنهم يحاولون ألا يكونوا أشخاصًا بارزين، بل أن يلعبوا دورًا فقط؟ هناك شركة غازبروم، التي تنهار أنابيبها وتنفجر، لكنها تجد ملايين الدولارات لتنظيم عرض سيرك في الساحة الحمراء المقدسة في خريف عام ١٩٩٦. بدلًا من إنفاق هذه الأموال على مشروع حقيقي، سواء كان أحدث طائرة روسية أو جهاز كمبيوتر. هناك ممثل يُدعى لوجكوف، يُنفق، في دور "الوطني الأرثوذكسي"، تريليونات الدولارات على بناء معبد جديد عديم الموهبة، بينما تظهر شقوق على جدران حرم الأضرحة - كاتدرائية القديس باسيل التي تعود للقرن السادس عشر، رمز روما الثالثة الروسية؟

الفاعلون في السلطة أكثر من مجرد شيء فظيع. فقط سيوف ومطارق الأبطال هي التي تُنشئ ممالك عريقة...

استطراد تاريخي 1. حول قيمة القوة الإمبراطورية وحضارة الصواريخ الذرية للرايخ الثالث. توقف طيران "طيور الإعصار". سلاح الجو الألماني عام 1946 والدروس المستفادة.

أنت ألماني من رأسك إلى أخمص قدميك، جندي مشاة مدرع، صانع آلات، وأعتقد أن أعصابك مختلفة تمامًا. اسمع يا وولف، لو وقعت أجهزة غارين في أيدي أمثالك، فماذا كنت ستفعل...

لن تقبل ألمانيا أبدًا بالذل! أليكسي تولستوي، "الزائدة عن الحد للمهندس غارين"، ١٩٢٧.

١

في ٢٢ يونيو ١٩٩٦، بينما كان جميع الروس ينعون مأساة عام ١٩٤١، ظهر على شاشة التلفزيون مفكر أوروبي ديمقراطي آخر، فلاديموف. الفائز بجائزة بوكر الأجنبية. يقولون إنه كان من الضروري، بعد طرد النازيين خارج حدود البلاد، التوقف وعدم التوجه إلى أوروبا. لا تحويل حرب التحرير، كما يقولون، إلى حرب غزو.

وقبل بضع سنوات، ظهر المنشق ريزون، الذي ملأ البلاد، تحت اسم مستعار هو سوفوروف، بالكتب، محاولًا إثبات أنه ما كان ينبغي للاتحاد السوفيتي أن ينخرط في بناء أساطيل دبابات وأسطول جوي ضخم. ويقال إن هذا لم يؤدِّ إلا إلى موت ملايين البشر خلال عصر التصنيع في عهد ستالين. واتضح أنه كان علينا بناء خط تحصينات قوي، زعم النازيون أنهم عاجزون عن اختراقه.

لكننا لسنا من أتباع ريزون أو فلاديميروف، ولذلك نعرف جيدًا ما كان سيحدث لو سقط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ أو ١٩٤٢. أو حتى لو توقفنا عند حدودنا عام ١٩٤٤، تاركين بولندا وجمهورية التشيك والمجر والنمسا والنرويج ويوغوسلافيا ورومانيا وسلوفاكيا تحت وطأة الألمان. لكن هل تعلمون أي قوة كان الرايخ الثالث على وشك بلوغها، وأي قوة كان بإمكانه اكتسابها حتى بعد الهزائم المروعة على الجبهة الروسية بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٤؟ وما هي الهدية التي كان سيُقدمها له توقف فلاديميروف على الحدود ودفن ريزونوف تحت الأرض؟ لنبدأ بمثالين فقط.

كانت أسرع طائرة للاتحاد السوفيتي آنذاك هي طائرة ياك-٣، التي وصلت إحدى تعديلاتها عام ١٩٤٤ إلى سرعة ٧٣٠ ميلاً في الساعة. في عام ١٩٤٢، حاولنا بناء طائرة اعتراضية من طراز بي آي-١ بمحرك صاروخي يعمل بالوقود السائل وسرعة ٩٧٠ كيلومتراً في الساعة. لكننا صنعناها بجناح مستقيم "دون سرعة الصوت"، ولذلك، أثناء محاولتنا تحطيم الرقم القياسي، انزلقت بي آي-١ بشكل لا يمكن السيطرة عليه. اصطدمت بالأرض، آخذةً معها حياة طيار الاختبار الموهوب غريغوري باخشيفانجي.

لكن الألمان كانوا يدرسون السرعات الأسرع من الصوت آنذاك، وعملوا في مختبرات أوتزال وغوتنغن، وديتمولد وهامبورغ، وترافموند وبينموند. عمل كبير مصممي شركة ميسرشميت، ألكسندر ليبيش، على المقاتلة الأسرع من الصوت "جايغر إل بي-13" - وهي طائرة مثلثة ضيقة بلا ذيل، مصممة لسرعة 1955 أو 2410 كيلومترات في الساعة. وبمساعدة ليبيش، بنى الأمريكيون أول قاذفة تفوق سرعة الصوت، وهي كونفير، في خمسينيات القرن الماضي. كانت نماذج "جايغر" تحلق بالفعل في ألمانيا، وكانت طائرتها الشراعية التجريبية جاهزة. ولو منحنا هتلر "فترة راحة فلاديمير"، لكانت أسراب الطائرات الأسرع من الصوت الألمانية قد سحقت القوات الجوية الروسية والبريطانية والأمريكية إربًا. لأن الطائرة البريطانية "ميتيور" عام ١٩٤٤ لم تتجاوز سرعتها ٦٦٠ كيلومترًا في الساعة، والطائرة الأمريكية "شوتنج ستار" لم تتجاوز سرعتها ٨٨٠ كيلومترًا في الساعة عام ١٩٤٥.

المثال الثاني: في في بداية عام ١٩٤٥، وتحت وطأة القصف العنيف من "القلاع الطائرة" الأنجلو-أمريكية، ومع النقص الحاد في المواد الاستراتيجية، لم يحقق الألمان مستوى قياسيًا في إنتاج الأسلحة فحسب، بل كادوا يتفوقون على مشروع روزفلت في لوس ألاموس. وبسبب معاناتهم من نقص اليورانيوم والماء الثقيل، كادت مجموعة هايزنبرغ وويرتز أن تُجري تفاعلًا متسلسلًا مرتين، كادت أن تُنتج قنبلة ذرية. مرتين - في يناير في برلين، وفي مارس - في كهف هاجرلوخ. لذا، لو كان ريزون أو فلاديميروف مكان ستالين، لذهب جميع ضحايا الشعب الروسي إلى التراب.

٢

لماذا نحتاج نحن الروس إلى القوة العسكرية الصناعية؟ لقد أصبح من المألوف الآن تشويه سمعتها بمئات الطرق، واعتبارها السبب الرئيسي تقريبًا لفقر الشعب وبؤسه، والمسؤولة عن موت الملايين جوعًا. يُقال لنا باستمرار إنه لم تكن هناك حاجة لمصنعي ماجنيتكا وستالينجراد للجرارات، لأنه من أجلهما اضطُررتُ آلاف الفلاحين إلى النزوح، وأُرسلت ملايين الأطنان من الحبوب إلى الخارج، بينما كان الجوع يقتل الأطفال الأبرياء في روسيا. واليوم، تُصوَّر روسيا القيصرية بكل قوتها، مُشكِّكةً في تخلفها. لكن وقائع صداماتها مع ألمانيا في الفترة من ١٩١٤ إلى ١٩١٧ تُشير إلى عكس ذلك تمامًا.

لم تكن هناك بنادق كافية، فاضطرت إلى شرائها من اليابان والولايات المتحدة وفرنسا. عانت الجبهات من نقص القذائف، حيث كان عليهم الرد بقذيفة روسية واحدة مقابل كل عشر قذائف ألمانية. بعد بناء نماذج دبابات تجريبية لأول مرة في العالم، لم تتمكن روسيا من إنتاجها: لم يكن هناك تصنيع للمحركات. كان لا بد من أخذ محرك آلة الكابتن ليبيدينكو الأصلية فائقة الثقل من منطاد زبلين ألماني أُسقط. وللإنصاف، لم يبدأ إنتاج الدبابات في بلادنا إلا عام ١٩٢٠، خلال فترة الهزيمة البلشفية، بنسخ سيارة رينو FT الفرنسية الخفيفة. وفي عهد القيصر الأب،

استوردت روسيا سيارات أوستن المدرعة، وطلاء الطائرات، والمحركات، والبصريات، وأقنعة الغاز، والرشاشات. في عام ١٩١٥، كان صانع الأسلحة الروسي فيدوروف أول من صنع مدفع رشاش في العالم، قبل عامين من إطلاق الألماني شمايسر أول مدفع رشاش صغير الحجم. لكننا لم نتمكن من إطلاق ابتكار فيدوروف في الإنتاج، فلم تكن هناك معدات كافية. ولم تكن هناك مصانع خراطيش أيضًا.

اليوم، ينتقدون ثلاثينيات القرن الماضي: يقولون إن تضحيات التصنيع الفائق لم تكن مبررة، وكان ينبغي تنفيذها تدريجيًا، بدءًا من مزارع الكاليكو والكولاك. يقولون إنه لو لم نكن قد شهدنا عام ١٩١٧ والشيوعية، لما خاضت ألمانيا الحرب ضدنا. السؤال الثاني واضح: في عام ١٩١٤، لم نكن نبني الشيوعية، وكان الألمان يخططون بالفعل لـ"التوجه نحو الشرق" بتقطيع أوصال روسيا. أما بالنسبة للأول...

حان الوقت للقول: في عام ١٩٤١، واجهنا آلة عسكرية صناعية هائلة، حضارة الصليب المعقوف الأسود الحقيقية، التي عرفت كيف تُنتج أسلحة موت وحشية. لم يكن من قبيل الصدفة أن تتلقى الثورة العلمية والتكنولوجية دفعة قوية بعد سقوط الرايخ - بفضل الغنائم المأخوذة من ألمانيا. ولو أن دولة فلاحية قطنية ثارت ضد الألمان عام ١٩٤١، لكانت دبابات النازيين قد اخترقتها حتى جبال الأورال بسهولة كما لو أن سكينًا ملتهبًا يدخل الزبدة المذابة. للأسف، لا نعرف سوى القليل جدًا عما أنتجه المجمع العسكري الصناعي لهتلر خلال عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥، على الرغم من الضغط الشديد على القوات الألمانية. دعونا نحاول، ولو بإيجاز، توضيح هذه الصورة.

القوة البرية الألمانية مذهلة. منذ عام ١٩٤٤ فقط، لم تتمكن دباباتنا T-34 من ضرب دبابات تايجر وبانثرز وجهاً لوجه، بينما كانت مدافعها تخترق دروعنا بسهولة. كانت دبابات تايجر قادرة على الغوص تحت الماء، واجتياز الأنهار، وكانت مجهزة بأجهزة رؤية ليلية. تمكّن الألمان من إنشاء دفاعات جوية ممتازة لأساطيلهم المدرعة. في الأفلام الوثائقية عن الجيش الحديث، ربما شاهدتم مرات عديدة دبابات شيلكا، التي تشبه دبابة صغيرة مزودة بأربعة مدافع سريعة الإطلاق. ظهرت دبابات شيلكا في بلدنا في الستينيات - لحماية الأرتال المدرعة من هجمات الطائرات. لكن النقطة المهمة هي أن النماذج الأولية لهذه الآلات، الدبابات المزودة بمدافع مضادة للطائرات متعددة السبطانة، ظهرت على نطاق واسع بين النازيين - "ويربلويندز" و"موبيلفاغن". في حالتنا، تأخر الرفيق ستالين في وضع المارشال توخاتشيفسكي على المحك - فقد نجح في تقويض تطوير مدافع الإطلاق السريع الروسية، مدفوعةً بصناعة مدافع كيميرا ثقيلة وصعبة الاستخدام، مدافع عالمية. كان من المفترض أن تكون مدافع مضادة للطائرات ومدافع ميدانية في آن واحد. ونتيجةً لذلك، دخلنا الحرب بأنظمة إطلاق سريع تأخرت عن الأنظمة الألمانية بخمسين أو ستين عامًا. وبينما لم تواجه طائرات الهجوم الألمانية وقاذفات القنابل الانقضاضية سوى رشقات رشاشات و"بصقات" نادرة من مدافع عتيقة، واجه طيارونا سيلًا من فولاذ "أنظمة الدفاع الجوي" الهتلرية. تمكن أعداؤنا من صنع سلاح قوي مضاد للدبابات. باستخدام قاذفات القنابل الصاروخية "فاوستباترون"، حتى الطفل كان قادرًا على تدمير أثقل دبابة روسية، وهي IS-2. كان مدى قاذفة الصواريخ "بانتسيرشريك" يتراوح بين 100 و150 مترًا، وكانت تصيب الأهداف المدرعة والتحصينات. وكادوا أن يطلقوا صواريخ "روتكابشن" المضادة للدبابات، والتي كانت تُدار عن بُعد.

ويشمل سجلهم الحافل أيضًا ابتكار أنظمة أسلحة مبتكرة تمامًا، لا تزال ذات أهمية بالغة حتى اليوم. في عام 1991، بعد انتهاء الحرب مع العراق، سلطت وسائل الإعلام الغربية الضوء على...

كان مشروع "بابل" الذي لم يُنفَّذ بصدام حسين محل نقاش حاد، وهو بناء مدفع ضخم قادر على إطلاق قذائف سهمية لمئات الأميال، قاصدًا قصف إسرائيل ودول مجاورة أخرى. لكن اللافت للنظر هو أن العمل على مثل هذه الأنظمة كان جاريًا في الرايخ الثالث، وبنجاح باهر!

كان الألمان أول من استخدم صواريخ كروز والصواريخ الباليستية التي صممها فيرنر فون براون عام ١٩٤٤. كانت طائرة الروبوت V-1 قادرة على إصابة الأهداف على مدى ثلاثمائة كيلومتر، وتحمل ٨٠٠ كيلوغرام من المتفجرات بسرعة ٦٠٠ كيلومتر في الساعة. كانت هذه الطائرة، التي تضاهي قوة انفجار صاروخ "توماهوك" الأمريكي الحديث تقريبًا، تعمل على بنزين منخفض الأوكتان. سقط حوالي ستة آلاف من هذه الصواريخ الكروز على لندن ابتداءً من ١٣ يونيو ١٩٤٤. وُضعت خطط لشن هجمات على مدينتي سانت بطرسبرغ-لينينغراد اللتين كانتا محصنتين بشدة، ولم يُحبط الألمان خططهم إلا هجوم جيوشنا الشرس. كل صاروخ من هذا النوع كان يكلف 61 ألف مارك، أي أقل بثلاثين مرة من تكلفة القاذفات التي نادرًا ما تدوم لأكثر من 5-10 طلعات قتالية. تعلم

الألمان إطلاق صاروخ V-1 من طائرات Heinkel-111. ولولا صمودنا، لكانت إنجلترا قد شهدت "أمطارًا" كارثية من صواريخ كروز المليئة بالغازات القاتلة والبكتيريا القاتلة.

لكن صاروخ V-2 كان يحمل طنًا من المتفجرات. وصل هذا الصاروخ الباليستي إلى مسافة 330 كيلومترًا، وبلغت سرعته القصوى 1600 متر في الثانية، ليقفز في ذروة مساره إلى ارتفاع 90 كيلومترًا - تقريبًا في الفضاء! لاحقًا، استخدم الأمريكيون صواريخ مماثلة لإطلاق الأقمار الصناعية إلى المدار. لم يكن هناك أي دفاع ضد صاروخ V-2 في ذلك الوقت، فقد كان يطير نحو الهدف أسرع من الصوت. كان يضرب كالصاعقة. ولم يعلن سوى الانفجار، الذي شتت الناس إلى أشلاء ومحا أحياء بأكملها عن وجه الأرض، سقوط هذا السلاح الرهيب. أُطلقت أكثر من خمسة آلاف من هذه القذائف على لندن وأنتويرب وبروكسل ولييج. ولكن ماذا لو أضاف الألمان رؤوسًا حربية ذرية إلى كل هذا؟ هل كان من الممكن أن يبقى كل هؤلاء فلاديميروف وغوسينسكي ويافلينسكي ورادزينسكي الحاليين؟ ففي النهاية، كان الألمان قبيلة يهودية، يا لكرههم!

لكن هذين الحرفين ليسا كل شيء. ففي ليلة 30 نوفمبر/تشرين الثاني 1944، دمّر خفر السواحل الأمريكي مجموعة الاستطلاع الألمانية "إلستر" التي هبطت على ساحل المحيط الأطلسي. لم يستسلم أيٌّ من هؤلاء التلاميذ التابعين لرجل قوات الأمن الخاصة الشهير أوتو سكورزيني. ولكن عُثر بين أمتعة القتلى على منارة لاسلكية محمولة وقوية للغاية. اتضح لاحقًا أنه كان من المفترض تركيبها على إحدى ناطحات سحاب مانهاتن في نيويورك. وكان من المقرر استخدام إشاراتها لإطلاق صاروخ باليستي ضخم، من طراز A9/A10 بطول 29 مترًا (قطر 3.5 متر). كان بالفعل سلاحًا فضائيًا حقيقيًا، من ابتكار فون براون نفسه، مُكوّن من مرحلتين، بمدى 5 آلاف كيلومتر. تألفت الدفعة الأولى من صاروخين. كان من المقرر اختبار أحدهما بإطلاقه إلى جرينلاند. أما الثاني، المُزوّد برأس حربي يزن طنًا من المتفجرات القوية "أماتول 40/60"، فكان من المقرر إطلاقه إلى نيويورك. وقرروا تعيين طيار انتحاري مسؤولاً عنه. في الواقع، كان أول رائد فضاء على هذا الكوكب ("مير نوفوستي"، 1996/10/7؛ "لوفتفافه 1946"، وارسو، 1996، ص 41). المعلومات حول التجربة غامضة نوعًا ما. في كتاب أ. وولف، "تحطم كيرنويرك" (موسكو، 1977)، يُقال إن عملية إلستر، وهي إطلاق صاروخ عبر الأطلسي، جرت في 8 يناير 1945، وانتهت بالفشل. يذكر د. لارين في "مير نوفوستي" أن إطلاقًا آخر جرى في 24 يناير 1945. كان يقود الصاروخ رودولف شرودر. ومع ذلك، بعد عشر ثوانٍ من الإقلاع، بدا له أن الصاروخ قد اشتعلت فيه النيران، فتناول أمبولة من سيانيد البوتاسيوم، كانت تهدف إلى إنقاذ الشخص من موت مميت. ومع ذلك، سارت المركبة A9/A10 بشكل طبيعي، قافزة إلى الفضاء على مسار باليستي، واكتسبت سرعة كافية لقذفها عبر المحيط. ولكن بسبب فقدان السيطرة (وكانت مزودة بدفات غازية مقاومة للحريق في فوهات المحرك)، انحرفت المركبة عن مسارها وسقطت في مكان ما في المحيط الأطلسي. في مجلة "تكنيكا-مولوديزي"، العدد 4، 1993، أفاد ستانيسلاف زيغونينكو أن الألمان أطلقوا 48 صاروخًا من طراز A9/A10، انفجرت 16 منها في البداية أو في الجو عام 1944. وهذا أمر مفهوم، فقد كان الألمان في عجلة من أمرهم، واضطروا إلى سلوك مسار مجهول تمامًا في ذلك الوقت. ومع نقص حاد في الوقت والموارد، كانوا يُرهقون أنفسهم في حرب على جبهتين. ومع ذلك، تمكن رئيس القسم العسكري في قوات الأمن الخاصة (SS)، أوبرستورمبانفهرر سكورزيني، من تجنيد مفرزة من رواد الفضاء العسكريين، تتراوح أعدادهم بين مائة وخمسة آلاف شخص، وفقًا لمصادر مختلفة. يبدو أنهم كانوا سيستخدمونها لتوجيه الصواريخ في المرحلة الأخيرة من الطيران. علاوة على ذلك، لم يكن لدى فون براون أي نية لجعل الطيارين انتحاريين تمامًا - فبعد توجيه صاروخ، على سبيل المثال، نحو نيويورك، كان من المفترض أن يقفزوا بمظلة فوق مكان محدد في المحيط، حيث تنتظرهم الغواصات، كما يكتب المؤلف. دعونا نضيف تفصيلًا جديرًا بالملاحظة: انتبهوا لصور المركبات الفضائية في الكتب من حقبة ما قبل غاغارين، ولبطاقاتنا البريدية التي تحمل صورًا منمقة للصواريخ من عصور لاحقة.

بخطوطها الخارجية وأجنحتها المثبّتة الضخمة، تشبه تمامًا حرف "V" الألماني القديم...

3

اتضح أن النازيين علماء صواريخ ممتازون. في في عام ١٩٤٣، اختبروا أول صاروخ كروز مضاد للسفن يتم التحكم فيه لاسلكيًا في العالم، وهو صاروخ هينشل. لكن ألمانيا كان بإمكانها استخدامه بنفس النجاح لمهاجمة حقول النفط في باكو والعراق والشرق الأوسط.

كيف كان سيُستخدم؟ تقترب قاذفة هاينكل-١١١ من الهدف على بُعد ١٠ كيلومترات، وتُطلق صاروخًا معلقًا أسفلها، وهي خارج منطقة إطلاق الصواريخ المضادة للطائرات. تتحرك الطائرة جانبًا، ويوجه المشغل على متنها، مستخدمًا ذراعًا في لوحة التحكم، رحلة هينشل. عندما اتضح أن التحكم اللاسلكي المرئي غير مريح للغاية، ركّب النازيون كاميرا فيديو على متن الصاروخ، وأصبح بإمكان المشغل الآن توجيه هينشل بالنظر إلى شاشة التلفزيون. لم يكن لدى ألمانيا الوقت الكافي لوضع هذا السلاح على خط التجميع. لم يسمح الروس بذلك.

وماذا لو حدث بشكل مختلف؟ حُسِّنت صواريخ هينشل، وبحلول بداية عام ١٩٤٥، كان يُنتَج منها الآلاف. في ديسمبر 1944، في آردين، تعرض الأمريكيون والبريطانيون للهجوم ليس من قبل فرق الفيرماخت من الدرجة الثانية من الرجال المسنين والشباب الخضر، ولكن من قبل المحاربين القدامى المخضرمين المأخوذين من الجبهة الشرقية. والألمان ليسوا يعانون من نقص الوقود، كما في ديسمبر 1944 الحقيقي، ولكن "حتى الحافة" - بعد كل شيء، لم يحتل الروس رومانيا الغنية بالنفط. في آردين، في التاريخ الحقيقي، تمكنت الجيوش الألمانية المنهكة من دفع الوحدات الأمريكية التي كانت جيدة التغذية ومسلحة حتى الأسنان بمقدار 200 كيلومتر. فقط هجوم ستالين في يناير على أودر ونقص الوقود أجبر هتلر على التراجع. ولكن في نسختنا، تم إلقاء الحلفاء الغربيين مرة أخرى في البحر. تم وضع هينشل في العمل. أفضل طياري سلاح الجو الألماني، يتباهون بقفازات رقيقة مصنوعة من جلد الإنسان، يتباهون أمام فراوس برلين بغاراتهم الجريئة. تهاجم طائرات دورنير 217 ثنائية المحرك عالية السرعة أسطول الحلفاء بسرعة 528 كيلومترًا في الساعة بصواريخ طائرة مجنحة وقنابل RX-1400 التي يتم التحكم فيها عن بُعد، والقادرة على تدمير دروع البوارج. وتغطيها من الجو طائرات ستريلكا، دو-335 (763 كيلومترًا في الساعة) - وهي شيطان على شكل سيجار بذيل يشبه القنبلة الجوية، مع مراوح في المقدمة والمؤخرة، وثلاثة مدافع. وبجانبها في السماء توجد أحدث التعديلات على مقاتلات كورت تانك (704 كيلومترات في الساعة)، وتغطي غارات أحدث طائرات يونكرز وكوندور بقنابل ذرية في حجرات القتال وصواريخ كروز تحت الأجنحة. تُعزل إنجلترا بشكل موثوق عن مستعمراتها والقارة، ويسود الموت في الأنقاض المشعة لمدنها ويتجول آكلي الجثث. يراقب طيارو طائرات جو-287 وأرادو-234 الوهج فوق بريطانيا من ارتفاع آمن. لقد حان دورنا: ألمانيا تمتلك صواريخ عابرة للقارات من براون وقاذفات قنابل فضائية من سانجر. تبدأ قصفًا مكثفًا برؤوس حربية كيميائية وبكتريولوجية وذرية. الحرب العالمية الثانية تتحول بسرعة إلى حرب نووية.

كانت حضارة الصليب المعقوف الأسود على وشك الانهيار، لو أننا توقفنا عند حدودنا عام ١٩٤٤ ومنحنا الألمان استراحةً مُنقذة. فبماذا كان بإمكان الغرب مواجهة الرايخ، لو تُرك وشأنه؟ غارات ليلية بقاذفات ثقيلة وبعض القنابل مثل قنابل هيروشيما. لكن ألمانيا تمتلك الآن مقاتلات ليلية مزودة برادار، وصواريخ اعتراضية ليبيش أسرع من الصوت. وصواريخ مضادة للطائرات، تغطي أكبر مراكز القوة الألمانية بشكل موثوق. ففي عام ١٩٤٤، اختبر النازيون أول صواريخ دفاع جوي في العالم - صواريخ راينهيوتر وفويرليلي الأسرع من الصوت من راينميتال، وصواريخ شميترلينغ دون الصوتية من البروفيسور فاغنر، وصواريخ ميسرشميت إنزيان. كانت أكثر من كافية - فحتى أفضل القاذفات الغربية كانت تحلق أبطأ بثلاث مرات من سرعة الصوت.

في صيف عام ١٩٤٤، وبمباركة رئيس قوات الأمن الخاصة (SS)، هيملر، صاحب النفوذ الواسع، تولى المصمم الموهوب إريك باخيم إدارة المصنع وبدأ في ابتكار نظام ناتر - وهو نظام هجين فريد من نوعه يجمع بين صاروخ يُطلق عموديًا وصاروخ اعتراضي للاستخدام مرة واحدة مزود ببطارية صواريخ كاملة في مقدمة جسم الطائرة. كان من الممكن تدريب طياري هذا السلاح الرخيص من جنود عاديين دون أي تدريب على الطيران، في غضون أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. بعد الإقلاع، كان سائق ناتر يلحق بأي قاذفة غربية (وحتى قاذفتنا، للأسف) بسرعة ٩٩٠ كيلومترًا في الساعة، ويغطيها بوابل من الصواريخ. كانت المعركة تستغرق بضع دقائق، وسرعان ما ينفد وقود فايير، ويغادر الطيار الطائرة بالمظلة. ثم كان محرك ناتر يُطلق النار ويهبط بالمظلة لإعادة استخدامه. بفضل خصائصه، كان من الممكن أن يصبح هذا النظام نظام دفاع جوي ممتازًا ضد الأهداف، قادرًا تمامًا على التعامل حتى مع طيران القاذفات الثقيلة الأمريكية بين عامي 1948 و1950. أسقط الأمريكيون قنابلهم الذرية الأولى بالمظلات، وكان بإمكان الألمان تدميرها بسهولة على ارتفاعات عالية، مما منعها من الاشتعال بنيران نووية - سواء باستخدام صواريخ ناترز أو بالصواريخ والطائرات الاعتراضية المقاتلة. ظهرت أول 36 قاذفة ناترز في مواقع بالقرب من شتوتغارت في نهاية مارس 1945، لكن لم يكن لدى الألمان الوقت الكافي لاستخدامها. كانت جيوش ستالين تتقدم نحو برلين بسرعة كبيرة. حتى أن الألمان تمكنوا من صنع صواريخ جو-جو لمقاتلاتهم. تم التحكم في صاروخ KH-4 السائل بأسلاك رفيعة، وتم توجيه صاروخ Henschel-298 الذي يعمل بالبارود عن طريق الراديو. بالمناسبة، كان الألمان أيضًا بمثابة آباء.

أسلحة دقيقة. في عام ١٩٤٣، أطلق الدكتور كرامر قنبلة راينميتال-بورسيج الانزلاقية الموجهة لاسلكيًا والتي تزن ١٤٥٠ كيلوغرامًا. باستخدام واحدة فقط من هذه القنابل، أغرق الألمان حصنًا مدرعًا عائمًا، هو البارجة الحربية العملاقة "روما"، في عام ١٩٤٣. ولا يكفّ متهمو ستالين الراحل، من ذوي التوجهات الأوروبية الديمقراطية، عن القول إن العمل القسري والعبودي لا يقوى على صنع المعجزات التكنولوجية. ومع ذلك، عمل سجناء معسكر اعتقال دورا على تجميع محركات V-6 شديدة التعقيد التي صممها فون براون. وكان لدى هتلر ملايين العبيد السلافيين في عامي ١٩٤٤ و١٩٤٥...

٤

وبما أننا نتحدث عن الحرب الجوية، فقد كان الألمان أخطر عدو هنا. لنأخذ، على سبيل المثال، طائرة كورت تانك ذات المحرك المكبسي، فوك-وولف ١٩٠، التي صُنعت كمقاتلة وطائرة هجومية. طائرة بثلاثة أو حتى ستة مدافع قادرة على تدمير حتى "حصن طائر" ضخم مُجهز بثلاثة عشر مدفعًا رشاشًا في الجو، ناهيك عن القاذفات الروسية الأخف وزنًا. زوّدها الألمان بكل شيء! رادارات وأجهزة إلكترونية لتحديد الصديق من العدو. ركّبوا مدافع آلية متعددة السبطانة تعمل بمحرك كهربائي، تتميز بمعدل إطلاق نار هائل. (سيمر نصف قرن، وستُركّب نفس المدافع تقريبًا على طائرات الهجوم النفاثة الأمريكية والسوفييتية، وعلى مروحيات هيوي كوبرا وكا-52). زوّدوها بصواريخ جو-جو وصواريخ بانزربلتز المضادة للدبابات، التي هاجمت بها طائرات FW-190 صفوف دباباتنا في بيلاروسيا. كان أحدث طراز من هذه الطائرة، Ta-152، مزودًا بنظام حقن أكسيد النيتروز في أسطوانات المحرك، مما سمح لها بالوصول إلى سرعة قريبة من سرعة الطائرة النفاثة تبلغ 750 كيلومترًا في الساعة لفترة وجيزة. في إحدى المرات، نجا تانك نفسه بسهولة من أربع طائرات موستانج أمريكية في طائرة غير مسلحة.

وكان النازيون قد بدأوا بالفعل في إنتاج طائرات نفاثة. في عام ١٩٤٢، اختبروا طائرة ميسرشميت-٢٦٢، المعروفة باسم "ستورمفوغل" (طائرة الإعصار). بمحركين نفاثين، تصل سرعتهما إلى ٩٠٠ كيلومتر في الساعة (بينما تصل سرعة طائراتنا إلى ٦٠٠-٦٥٠ كيلومترًا في الساعة)، كانت هذه الطائرة الفتاكة، وإن كانت رائعة، مزودة برادار ومدافع قوية. بعد أن حلّق الأمريكيون بطائرة ميسرشميت-٢٦٢ بعد الحرب، وصفوها بأنها أفضل مقاتلة في الحرب العالمية الثانية، وانبهروا بتقدمها التكنولوجي وسهولة تجميعها. أذهلهم كل شيء فيها، حتى جودة اتصالاتها اللاسلكية الممتازة: صوت نقي، بدون أي تشويش أو ضوضاء، مما أزعج طياري المقاتلات الروسية والغربية. في عام ١٩٤٧، تنافست طائرة "٢٦٢" تقريبًا مع مقاتلات سلاح الجو الأمريكي في سباقات متكافئة. في أول معركة جوية مع الأمريكيين، أسقطت 36 طائرة من طراز Me-262 أربعة وعشرين "حصنًا طائرًا" وخمس مقاتلات، ولم تخسر سوى طائرتين. نجحت طائرات "Sturmvogels" في إسقاط قاذفات "Mosquito" البريطانية عالية السرعة، والتي كانت حتى ذلك الحين تحلق فوق الرايخ دون غطاء. تجاوزت سرعة طائرة "Mossi" 600 كيلومتر في الساعة، ولم يُركّب البريطانيون حتى رشاشات دفاعية عليها. لكن طائرة Me-262 سرعان ما بددت ثقتهم بأنفسهم. لاحقًا، سيقول الغرب: لو امتلك الألمان هذه الطائرة قبل ستة أشهر على الأقل، لكانت نتيجة الحرب مختلفة تمامًا. ببساطة، لم يكن لدى هتلر الوقت الكافي لتدريب عدد كافٍ من الطيارين وإنتاج المزيد من طائرات "262" - لم ندعه يفعل ذلك، واندفع إلى عرينه بلا هوادة. لكن دعونا نلاحظ أن النموذج التسلسلي لطائرة Me-262 كان طائرة ذات جناح مستقيم دون سرعة الصوت، ومحركين نفاثين من طراز Junkers Jumo بقوة دفع 900 كيلوغرام لكل منهما. ومع ذلك، كانت طائرة Me-262KhG3 ذات أجنحتها المكنسة ومحركي HeC 011 بقوة دفع 1320 كيلوغرام قيد التصنيع بالفعل. وصلت سرعة هذه الطائرة إلى ما يقرب من ألف ميل في الساعة!

بحلول نهاية عام 1944، أنتجت الآلات الألمانية طائرة اعتراض الصواريخ Me-163 (حوالي 1000 كم/ساعة)، قاتلة "الحصون الطائرة". طائرة اعتراضية نفاثات من طراز Heinkel-162 وSalamander. قاذفة أرادو-234 مزودة بخيارات لتثبيت صواريخ كروز V-1 عليها. لكنني أتذكر لقطات من فيلم إخباري ألماني من مارس 1945. طائرات Me-163 المعطلة تقف للأسف في المطار - بدون وقود. اعترض الروس الشريان النفطي الروماني!

أرى صورة أخرى. طوابير من طائرات الميغ والمروحيات القتالية، تحمل شارات القوات الجوية الروسية ثلاثية الألوان المتقشرة، متجمدة بلا وقود في مطارات حزينة. متجمدة أيضًا بلا وقود. وفوقها، تحلق طائرات L-310 خفيفة على شكل سهم، تحمل شعارات على شكل رؤوس ذئاب مبتسمة ودوائر خضراء. وفي قمرات القيادة،

يضغط الطيارون، الذين يرتدون شارات سوداء فوق خوذاتهم، على الزناد لإطلاق الصواريخ. أرى الخطوط السوداء لرسوم وزارة الطاقة البيانية: الانخفاض السريع في إنتاج النفط والبنزين والغاز بين عامي 1991 و1996. أرى إحصاءات نزيهة عن انخفاض الاستثمارات في الاستكشاف الجيولوجي، وفي إعادة بناء الآبار وخطوط أنابيب النفط. وفي كل مكان - نقاط فشل حرجة، بين عامي 1998 و2001. لم تُقصف حقولنا النفطية بأسراب من طائرات "يونكر" هذه الأيام. ولم تحترق محطات توليد الطاقة لدينا بقنابل هاينكل. تبيّن أن "الإصلاحات" والديمقراطية و"سنيكرز" أشدّ فظاعة من "يونكرز"...

5

عندما تدرس التاريخ التقني للحرب العالمية الثانية، تتذكر لا إراديًا إحدى حبكات أفلام الخيال العلمي الأمريكية المفضّلة. هناك، يقتل الأبطال وحشًا فضائيًا، وعندما يفتحونه، يكتشفون أن وحشًا جديدًا وأكثر رعبًا ينضج داخله.

nstr. لو تأخروا دقيقة واحدة، لكان هذا المخلوق الجديد قد اخترق هيكلهم القديم ودمرهم. بالنسبة لي شخصيًا، تُذكّرني هزيمة ألمانيا عام ١٩٤٥ بهذا التشبيه تحديدًا. لقد قضينا على الرايخ في لحظة ظهور مجال تكنولوجي عسكري جديد تمامًا فيه، يُهدد بتغيير مجرى تاريخ العالم فجأةً. لقد أنقذنا الكوكب حينها، أيها القارئ العزيز، وليس من العيب تذكير الغرب المتغطرس بذلك باستمرار.

في صيف عام ١٩٤٤، استلمت القوات الجوية الألمانية قاذفة القنابل النفاثة ثنائية المحرك أرادو-٢٣٤ (بحلول نهاية الحرب، لم يتمكن النازيون من بناء سوى حوالي مئة ونصف من هذه الطائرات). كانت مهمتهم الأولى الاستطلاع التصويري. في أغسطس من عام ١٩٤٤، اندفع الملازم سومر ثلاث مرات فوق مواقع القوات الغربية بالقرب من شيربورغ بسرعة ٧٤٠ كم/ساعة على ارتفاع عشرة أميال. لم يتمكن المقاتلون ولا المدافع المضادة للطائرات من الوصول إليها (M-Hobby، العدد 3، 1994، ص 28). ولكن في أكتوبر فقط تم إتقان القاذفات من قبل طيارين ممتازين من المجموعة الثالثة من سرب KG 76. في ديسمبر، هاجمت ثماني طائرات من طراز Ar-234 بقيادة الكابتن لوكيش لييج البلجيكية. كانوا غير مسلحين تمامًا، وفي طريق العودة، طاردت مقاتلة إنجليزية آلة لوكيش. عادةً، في مثل هذه الحالة، حتى القاذفة الوحيدة المليئة بالرشاشات محكوم عليها بالفشل. لكن لوكيش، الذي زود بالحارق اللاحق، أفلت بسهولة من المطارد. لم يتكبد الألمان أي خسائر على الإطلاق. ويا له من حظ أنه بحلول أبريل 1945 لم يكن لدى الألمان سوى 36 طائرة Ar-234 جاهزة للقتال، مسلحة بالفعل بالمدافع! بعد كل شيء، خلال الحرب بأكملها، تمكنت مقاتلات الحلفاء من إسقاط أربع طائرات أرادو فقط. وحتى ذلك الحين، تم استخدام أسرع الآلات لهذا الغرض. على سبيل المثال، طائرات سبيتفاير-14 (706 كيلومترات في الساعة)، وموستانج (701 كيلومتر في الساعة)، وتمبيست-5 (695 كيلومترًا في الساعة). لذا، لولا طائرة فانيا الروسية، ومواهب جوكوف، وإرادة ستالين الصلبة، لكان على الغرب أن يقاتل مئات من قاذفات هتلر النفاثة.

بعد الاستسلام، حصل الأنجلو أمريكيون أيضًا على ثاني قاذفة نفاثة ألمانية، وهي يونكرز-287 رباعية المحركات وجناحها الأمامي المائل (!). بحمولة قنابل تبلغ أربعة أطنان، وصلت سرعتها إلى 859 كيلومترًا في الساعة على ارتفاع خمسة أميال. بالمناسبة، كانت القنابل الذرية الأولى، والتي كانت لا تزال بدائية، تزن 3-4 أطنان بالضبط، وكانت طائرة يونكرز-287 قادرة على حمل قنبلة واحدة لمسافة ألف وخمسمائة كيلومتر. كان الإنجليز سيجربون هذه "الطريقة" أولًا. وإذا قررنا، بناءً على نصيحة مؤلف "كاسحة الجليد" ريزون-سوفوروف، البقاء خلف خطوط التحصينات الخرسانية المدرعة، فسيكون بإمكان الألمان إجراء اختبارات حول موضوع "اختراق أحزمة تحصين الدفاع الروسي بضربات ذرية، مع إدخال مجموعات دبابات الجنرال هاينز غوديريان لاحقًا إلى الثغرات". في عام ١٩٤٦، خطط الألمان لبدء حرب طائرات واسعة النطاق. وكانوا سيبدأونها حالما تورطنا في بولندا عام ١٩٤٤. ما الذي هددنا به ذلك؟

لنأخذ طائرتين من فترة ما بعد الحرب كنقطة انطلاق - طائرة "مصاصة الدماء" البريطانية عام ١٩٤٨، وطائرتنا ميج-١٥، بطلة الحرب الكورية ١٩٥٠-١٩٥٣. كانت سرعة طائرة "مصاصة الدماء" القصوى ٨٥٥ كيلومترًا في الساعة، وسقف مداها ١٣٫٥ ميلًا، وأربعة مدافع عيار ٢٠ ملم. حلّقت طائرتنا "هوك" بسرعة 1076 كيلومترًا في الساعة، وارتفعت إلى 15.5 كيلومترًا، وحملت ثلاثة مدافع: واحدة عيار 37 ملم واثنتين عيار 20 ملم. وهذه هي الطرازات التي كان الألمان يُعدّونها للإنتاج في عامي 1945 و1946: "بلوم وفوس-209" بأجنحة معكوسة - مدفعان عيار 30 ملم، بسرعة 1000 كيلومتر في الساعة، وارتفاع أقصى يتراوح بين 12 و13 ألف متر. المقاتلة الخفيفة "بي وإف-211أ" (860 كم/ساعة، 8 آلاف متر). "بي وإف-211 بي"، تُشبه

إلى حد كبير طائرتنا "ميج-15" من حيث زاوية ميلها وشكلها - بسرعة 900 ميل في الساعة. "بي وإف-212"، سهم بدون ذيل، بثلاثة مدافع عيار 30 ملم، وسرعة 910 كيلومترات في الساعة. مشاهدة ألبوم "لوفتفافه ١٩٤٦" ليانوش ليدووخ صادمة - فهو يحتوي على صور وبيانات لأربعين طائرة نفاثة صممها هتلر!

"دورنييه-٢٥٦" - طائرة متعددة الأغراض ثنائية المحرك على شكل سيجار، بأجنحة مستقيمة، بسرعة ٨٠٠ كيلومتر في الساعة، وأربعة مدافع عيار ٣٠ ملم. وما هذه؟! إنها نسخة طبق الأصل من ميج-١٥! ولكن لا - إنها من بنات أفكار كورت تانك، FV-١٨٣: مدفعان، نصف طن من القنابل، سرعة حوالي ألف. أُجريت أول اختبارات الديناميكية الهوائية في عامي ١٩٤٢ و١٩٤٣. كما أن FV-١٨٣P٧ تُذكرنا بشكل لافت بطائرة "مصاص الدماء" الإنجليزية. لكن FV-٢٨٣ لا مثيل لها على الإطلاق: "طوربيد" بأجنحة مشطوفة وأنبوبين نفاثين على الذيل، مثل Tu-١٥٤ اللاحقة. وسرعتها ١١٥٠ كيلومترًا في الساعة، أي ما يقارب سرعة الصوت!

شركة هاينكل ليست بعيدة عن ذلك، إذ تقدم نماذج كان من الممكن استخدامها في القتال عام ١٩٥٦. إليكم طائرتا He-1078 وHe-1078B. بيانات الأخيرة: ١٠٢٥ كيلومترًا في الساعة، وسقفها ١٣ كيلومترًا، ومدفعان عيار ٣٠ ملم. أما طائرة He-1079 الأبسط قليلًا، فتبلغ سرعتها ٩٠٠ ميل في الساعة. في أكتوبر ١٩٤٤، شاهد ويلي ميسرشميت أول رحلة لطائرة Me-1101. تشبه الطائرة بشكل لافت طائرة MiG-9 التي صنعناها بعد الحرب، وتصل سرعتها إلى ١٠٢٥ كيلومترًا في الساعة. من المفترض أن تحمل قاذفة Me-1107 المصممة خمسة أطنان من القنابل بسرعة ٩٥٠ كيلومترًا في الساعة. يا إلهي، هذا بالفعل بمستوى الطائرات الحقيقية في منتصف الخمسينيات! لكن التحفة الفنية الحقيقية هي...

Me-1111، طائرة مثلثة الشكل بدون ذيل (1000 كيلومتر في الساعة) مزودة بأربعة مدافع وصواريخ جو-جو.

تتوفر أيضًا بعض المعدات الأصلية بالكامل. على سبيل المثال، القاذفة الخفيفة الأسرع من الصوت "زيجلر" (1270 كيلومترًا في الساعة)، القابلة للفصل عن الطائرة الحاملة، بتصميم يشبه قنبلة قاذفة القنابل RPG-7 الحديثة. تتوفر أيضًا خيارات عديدة لطائرات "فولكسجاغر" (مقاتلات الشعب) الرخيصة والبسيطة المزودة بمحركات صاروخية ونفاثة. تتخصص شركة "أرادو" في القاذفات. تبدو طائرة Ar-2-1 نسخة طبق الأصل من القاذفة الاستراتيجية البريطانية "فولكان" من خمسينيات القرن الماضي، بينما تشبه طائرة Ar-2 إلى حد كبير قاذفتنا Tu-16. يطور الألمان بسرعة صواريخ كروز جديدة. على سبيل المثال، مشروع "بلوم وفوس" 10، وهو توأم لطائرة مشغل وصاروخ. كان على قاذفة Do-217 فكّ هذا الصاروخ المزدوج على بُعد ثلاثمائة ميل من الهدف، وبعد ذلك يرفعه الطيار المُشغّل إلى ارتفاع 50 كيلومترًا ويوجّه الصاروخ الثقيل نحو الهدف، مُحلقًا بنفسه في طائرة نفاثة خفيفة. تُنتج شركة دايملر بنز مشاريع لصواريخ الطائرات E وF بطيارين انتحاريين. طنّان من المتفجرات، وسرعة تصل إلى 1200 كيلومتر في الساعة، ومن الممكن تمامًا تجهيز تصاميم بسيطة في ذلك الوقت بشحنات ذرية.

مشاريع جاهزة أيضًا لطائرات تحمل خمسة وستة من هذه الصواريخ الانتحارية. تُقدّم شركة أرادو صاروخ كروز Mistel، الذي يتمّ التحكم به من مقاتلة He-162. رأس حربي يزن طنين، ومدى إصابة يبلغ ألفي ميل! حلّقت Mistel بسرعة 650 كيلومترًا في الساعة مع مقاتلة مُثبّتة عليها. أُطلق من رومانيا، وكان بإمكانه ضرب حقول النفط في باكو وغروزني. انطلقت هذه الصواريخ من قاعدة هيتبوغن قرب كيركينيس في النرويج المحتلة، وكان بإمكانها تهديد جبال الأورال الشمالية، وموانئ مورمانسك وأرخانجيلسك، وياروسلافل الصناعية، ومدينة ريبينسك لصناعة المحركات. كانت كيروف وبيرم، وسانت بطرسبرغ وبتروزافودسك، وموسكو ونيجني نوفغورود، ضمن نطاقها. اخترقت الصواريخ الألمانية المزدوجة، المتمركزة في بولندا المحتلة، الجزء الأوروبي بأكمله تقريبًا من بلدنا. قاد طيار طائرة He-162، المثبتة على ظهر صاروخ كروز، هذا النظام بأكمله إلى الهدف، وفصل الطائرات عند اقترابها منه، مما وضع المقذوف الضخم على مسار قتالي. كانت المدن والمصانع الكبيرة أهدافًا مثالية له! ففي النهاية، لا تتطلب الشحنات الذرية دقة كبيرة.

هل كان علينا حقًا إيقاف الهجوم على حدود بولندا عام 1944؟ بعد كل الهزائم في روسيا، كان لدى هتلر جيش قوامه عشرة ملايين جندي، يضم ثلاثمائة فرقة مسلحة، وكانت آلة صناعية عسكرية ممتازة تعمل، مما يوفر للرايخ أربعين ألف طائرة سنويًا. والتي كانت تستعد لإنتاج تكنولوجيا الطائرات النفاثة والمفاعلات النووية. كان الطريق إلى نهر أودر من الشرق مغلقًا بمراكز مقاومة قوية - حصون بريسلاو، وشنايدمُل، وكوسترن، وبوزنان. وكذلك ثورن-تورون، ودانزيغ، وغلوغاو، وكونيغسبرغ. كل ذلك اضطررنا لتكبد خسائر فادحة.

بعد أن لعق هتلر جراحه، تمكن في عامي 1944-1945 من بدء حرب أشد فظاعة وتدميرًا. مضيفًا نفس العدد من الضحايا إلى 50 مليون ضحية حقيقية للحرب العالمية الثانية. ولم يكن حديث الألمان عن "أسلحة الانتقام" مجرد كلام فارغ. كانت المعاهد العلمية المغلقة التابعة لقوات الأمن الخاصة (SS) ستُنتج مئات الطيارين الانتحاريين، المتحمسين للروبوتات الحية. وكان بإمكانهم إرسال صواريخ كروز إلى الهدف، معتقدين بإيمان راسخ أنه بعد آخر ومضة من النار والألم، تنتظرهم فالهالا الآخرة مع محاربات فالكيريز الشقراوات ممتلئات الصدور والأرداف. لولا هجومنا الشرس، لتمكن ثلاثة ملايين حربة ألمانية من قلب الجبهة الأنجلو-أمريكية بأكملها في فرنسا وبلجيكا. وكانت ألمانيا تؤمن إيمانًا راسخًا بعبقرية الفوهرر. ووفقًا لاستطلاع رأي أجرته إدارة الحرب النفسية الأمريكية بين السجناء الألمان، في الفترة من 15 إلى 30 نوفمبر/تشرين الثاني 1944، وثق 62% من الجنود الألمان بهتلر، وتوقع 51% منهم هزيمة القوات الغربية في القنال الإنجليزي، وآمن نصفهم بانتصار الوطن. واعتقد ما يصل إلى 53% أن الرايخ يمتلك سلاحًا سريًا قادرًا على تغيير مجرى الحرب. وفي مارس/آذار 1945، كانت هذه النسب 31%، و10%، و11%، و14%. أما الآن، فقد انخفضت شعبية يلتسين وثقته بنجاح إصلاحاته بشكل كبير!

لم يكن أمامنا خيار سوى انتزاع "قلب" النفط الروماني من الرايخ، واختراق بولندا المحصنة، والذهاب إلى برلين. وضع ملايين الأرواح الجديدة على مذبح الحرب لإنقاذ عشرات الملايين من الأرواح. لم يكن من الممكن تحقيق ذلك بدون أقوى قاعدة عسكرية صناعية في الاتحاد، وبدون إنتاج هائل للدبابات والمدافع والطائرات، وبدون إنشاء قاعدة كيميائية ومعدنية وطاقية لهم. منذ عام ١٩٢٩، لم يكن أمامنا سوى اثنتي عشرة سنة لتحقيق ذلك. كنا بحاجة إلى مليارات الدولارات من الاستثمارات الرأسمالية، لكن لم يكن أحد ليمنحنا مثل هذه القروض والائتمانات. ففي النهاية، كان الغرب نفسه يمر بأزمة اقتصادية حادة، واقتحمت حشود جائعة في الولايات المتحدة مكاتب البنوك. ولم يكن أمام ستالين سوى مخرج واحد - الحصول على الأموال والموارد والعمالة بأبشع الطرق، من خلال تجريد الكولاك من ممتلكاتهم في القرى، وإجبار البلاد على التسليح، واستخدام العمل القسري. لتكرار التجربة المؤلمة لروسيا القيصرية، التي واجهَت الآلة الصناعية لألمانيا القيصرية بمحراث وحصان وبندقية ثلاثية الخطوط ومدفع عيار ثلاث بوصات.

وهو ما لم نستطع.

لم نستطع تكرار مصير إمبراطورية بطرسبورغ، حيث تعلم جنود الخطوط الأمامية الجائعون، الذين كانوا يموتون تحت وابل القذائف الألمانية، بكراهية عن احتفالات المطاعم وفجور التجار الذين كانوا يربحون بلا خجل من إمدادات الجيش. عن راسبوتين، وعن الجواسيس الألمان في حاشية الإمبراطورة، وعن الترف الجامح في منازل كبار المرتشين. أنشأ ستالين نظامًا لم يكن فيه شيء من هذا موجودًا ببساطة، وحيث حُشدت جميع موارد البلاد باسم النصر. في روسيا القيصرية، تم إنتاج ألفي طائرة مقابل خمسة عشر ألف طائرة ألمانية. في دولة ستالين، تفوقنا على الألمان في إنتاج الطائرات بمرة ونصف. بالطبع، لولا معسكرات ستالين والنظام الزراعي الجماعي، وبدون عمليات التطهير والقمع، وبدون التصنيع الشاق والعرق الدامي للخطط الخمسية الأولى، لكانت الحياة أحلى وأكثر إرضاءً. مع فلاحين رصينين، ومعارض غزيرة، وحانات مضيافة، ونقانق رخيصة من ستة وثلاثين نوعًا. ليت ذلك كان موجودًا - قبل وصول الغزاة الألمان بالدبابات والمستعمرين بالسياط والرشاشات. ففي النهاية، كتب هتلر كتاب "كفاحي" عام ١٩٢٣، حيث وصفنا بأننا دون البشر، وأشار إلى هدف الحرب القادمة - الاستيلاء على الأراضي الروسية وتطهيرها منا.

تذكر هذا أيها القارئ. ولا تستمع إلى الشياطين الماكرين الكاذبين. فالوحش الذي قتلناه كان حاملًا بوحش أفظع بكثير.

٦

وأخيرًا، هددت ألمانيا بغزو البحار بأسطولها من الغواصات من الطراز الأول. بُنيت غواصاتها بطريقة التدفق على يد "ملك السيارات" فرديناند بورش - ما يصل إلى ١١١٣ راية. (للمقارنة: كان لدينا أكبر أسطول غواصات في بداية الحرب - أكثر من مئتي غواصة). كانت الغواصات الألمانية، القوية والمريحة، بمثابة نماذج أولية لقواربنا بعد الحرب. بحلول عام ١٩٤٤، كان الألمان قد تعلموا العمل في المنطقة الممتدة من أنتاركتيكا إلى جليد القطب الشمالي. غطسوا تحت الماء بمحركات ديزل - بمساعدة خراطيم الغطس، مما زاد من نطاق عملهم بشكل كبير...

في ٣٠ يونيو ١٩٤٤، دخل زورقا صيد روسيان في معركة مع الغواصة الألمانية U-٢٥٠ بالقرب من خليج كويفيستو في بحر البلطيق. أُطلق طوربيد على الغواصة "MO-١٠٥" فورًا، لكن الغواصة "MO-١٠٣" غطت العدو بقنابل الأعماق بعد بضع ساعات. أفاد إيفان مارتيميانوف، قائد دفة الغواصة "MO-١٠٥" الناجي: لم نرَ أي طوربيدات! بعد غرق الغواصة "الألمانية"، قفز العديد من الغواصين إلى السطح أحياء. اعترف أحدهم، قائد الغواصة يو-250، فيرنر شميدت، قائلاً: كانت غواصته مُسلحة بطوربيدات كهربائية من طراز Wren" T-5"، لم تُخلّف أثرًا يُذكر، بل كانت تتبع ضجيج مراوح السفينة المُستهدفة. سلاح هتلر السري للغاية!

ثم تمكنا من انتشال الغواصة الغارقة من القاع، على الرغم من أن الألمان كانوا يُقصفون منطقة غرقها بعنف. كشفنا سر طوربيداتها المُرعبة. بلغ أسطول غواصات الرايخ الثالث ذروة الإتقان التقني مع نهاية الحرب. بالإضافة إلى الطوربيدات الصوتية والمغناطيسية، حصل الألمان على أفضل غواصات العالم من السلسلة 21، وكانوا يُخططون لبناء 230 سفينة من هذا النوع عام 1945. وبفضل تصميمها المُبسط، بلغت سرعتها تحت الماء 17.5 عقدة، أي ضعف سرعة غواصات دول التحالف المُناهض لهتلر. بفضل محركات الديزل وأنبوب التنفس والمحركات الكهربائية، استطاعت هذه القوارب قطع مسافة 10 آلاف ميل. ولن تُحطم هذا الرقم القياسي إلا الغواصات النووية. وقد حقق قائد الغواصة يو-977 هاينز شيفر أفضل نتيجة في تلك الأوقات، حيث أمضى 66 يومًا في الإبحار دون أن يصعد إلى السطح.

جهّز الألمان قواربهم بطائرات مراقبة أوتوجيرو قابلة للطي - أشبه بطائرات هليكوبتر صغيرة. لاستخدامها في رصد سفن وطائرات العدو قبل وقت طويل من اكتشافها. اختبروا قوارب مزودة بـ "محركات كرايسلاوف" - وهي أنظمة تضمن تشغيل محركات الديزل تحت الماء، وتسمح لها بتطوير سرعة تتراوح بين 20 و25 عقدة، مقابل 7 و8 عقد لغواصات الحلفاء التقليدية.

تتجلى كل قوة الرايخ ووحشيته وتنظيمه اللاإنساني في حالة واحدة فقط. في عام 1955، جاء ألماني إلى أحد مكاتب قادة احتلالنا في ألمانيا وأبلغ عن وجود قوارب غارقة في مكان ما بالقرب من جزيرة روغن في بحر البلطيق، جاهزة للصعود إلى السطح في أي لحظة. صدقوه وأمضوا قرابة عام في البحث عن هذا المخبأ البحري الضخم. وقد عثروا عليه بعد أن بدأت عمليات الرفع التي تقوم بها الفرقة 447 من خدمة الإنقاذ الطارئة لأسطول البلطيق.

كتب سيرجي بتشكين في صحيفة "روسيسكايا غازيتا" (1996/05/02): "كانت جميع الغواصات داخل المقصورات جافة تمامًا. قارب واحد فقط تمكن من ضخ الماء عبر الأجهزة الخارجية القابلة للسحب، وكان إحكام هيكل الضغط مكسورًا... أما البقية، فكان كل شيء في حالة ممتازة، حتى الإمدادات الغذائية كانت صالحة للاستهلاك". وكانت جميع هذه القوارب تحمل صليبًا معقوفًا على أبراج القيادة، لتتحول إلى آخر السفن الهتلرية من السلسلة 26. أُعدّت جميعها سرًا للحفظ في شتاء عام 1945، ووُضعت على الأرض تحت طبقة من الماء بارتفاع 45 مترًا. مُموّهة بعناية من الأعلى بالطحالب.

لماذا؟ يكتب بتشكين أنه تم إعداد أطقم وقادة مختارين خصيصًا لهذه القوارب، وتم إطلاعهم على سر العملية القادمة. في حال انتصار الحلفاء، وبعد فترة، عندما يصبح المنتصرون، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد، أعداءً لدودين (وكان هتلر يأمل في اندلاع تناقضات بالفعل في عام ١٩٤٤)، كان عليهم اختراق...

إلى سفن الطرادات المعطلة، والبدء في إغراق السفن، مما أثار حربًا عالمية جديدة بين أعداء الرايخ الجدد.

هذه الرواية معقولة جدًا. ففي النهاية، كان لدى الألمان مركز قيادة لمثل هذه العملية السرية - أنتاركتيكا. ففي النهاية، ظلت شبه مجهولة حتى البعثات الاستكشافية الكبرى للسنة الجيوفيزيائية الدولية 1957-1958، ولم تكن هناك محطات علمية ثابتة هناك. كان لدى الألمان أكبر قدر من المعلومات حول هذه القارة غير المأهولة المغطاة بطبقة من الجليد يبلغ سمكها عدة كيلومترات. في عامي 1938-1939، نظموا رحلة استكشافية ضخمة للكابتن ألفريد ريتشر، أشرف عليها شخصيًا مارشال الرايخ غورينغ. ويعتقد الكثيرون أنه في السنوات التالية، بنى الألمان سرًا بيرشتسجادن ثانية هنا - مدينة تحت الأرض وتحت الجليد تضم دفيئات زراعية ومحطات طاقة ومخزونًا من الغذاء والأسلحة ومعدات اتصالات. لكن هتلر لم يتمكن أبدًا من الفرار إلى هذه القلعة السرية. مع ذلك، كان هناك أفراد ألمان، وكان من الممكن أن يصبح مركز قيادة لإشعال حرب روسية أمريكية.

لا يوجد تأكيد يُذكر لهذه الرواية، باستثناء نقطتين. الأولى هي أن خليفة هتلر، الذي انتحر، كان الأدميرال دونيتز، مؤسس أسطول هتلر الضخم من الغواصات. الثانية هي الحقيقة المعروفة، وهي أن الولايات المتحدة نظمت عام ١٩٤٧ رحلة استكشافية إلى القارة القطبية الجنوبية، أسمتها "القفزة العالية". على رأسها الأدميرال ريتشارد بيرد، بطل الرحلات فوق القارة القطبية الجنوبية عام ١٩٢٩. في السبعينيات البعيدة، وأنا أقرأ كتبًا سوفييتية عن السفر، دهشتُ: لماذا مُنح بيرد حاملة طائرات وطرادات ومدمرات لهذه الرحلة الاستكشافية - وهي سفن غير مناسبة للأغراض العلمية والملاحة بين الجليد؟ ولماذا كان هناك ٤ آلاف شخص في الرحلة الاستكشافية؟ رسوت هذه الرحلة الاستكشافية بالقرب من أرض الملكة مود - بالضبط بالقرب من المنطقة التي حلقت فوقها طائرات "كوندور" الكابتن ريتشر عامي ١٩٣٨-١٩٣٩. لكن المهمة بأكملها أُلغيت بعد شهر ونصف، وانتهى الأمر ببيرد نفسه، عند عودته، في مستشفى للأمراض النفسية. يستشهد الصحفي ف. بروساكوف، المتخصص في أسرار هتلر، بمقال من عام ١٩٤٨ في مجلة "بريسانت": يُزعم أن بيرد صرّح بأن بعثته تعرضت لهجوم من طائرات معادية، واختفت أربع من آلاته دون أثر. وبعد أن أعلن عن هجوم محتمل من العدو على مركبات قادرة على الطيران من القطب إلى القطب بسرعات هائلة، نُقل إلى المستشفى.

لذا، من المحتمل جدًا وجود مقر سري للنازيين في القارة القطبية الجنوبية غير المستكشفة آنذاك. في خريف عام ١٩٤٤، كان الألمان أنفسهم يعملون على قنبلة ذرية، وأدركوا تمامًا أنه بعد هزيمتهم، قد تكون الحرب بين الروس والأمريكيين نووية. وفي منتصف خمسينيات القرن الماضي، عندما كانت ألمانيا تولد من جديد حقًا، وكان لديها جيشها الألماني القوي، وعندما كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على شفا الحرب، بإشارة من الجليد البعيد، استطاعت قوارب مهجورة شن غارات قرصنة. يكتب زميلي من RG: "ولم يكن أحد ليتصور أن غواصة نوتيلوس الأمريكية أو لينينسكي كومسومول السوفيتية هي من نفذت عملية إطلاق الطوربيد الناجحة، وأن "قطعان الذئاب" بقيادة الأدميرال دونيتز قد خرجت من غياهب النسيان". أود أن أشير إلى أن قادة ألمانيا في عهد هتلر كانوا متصوفين عظماء، وفي الحرب الرهيبة رأوا راجناروك - شفق الآلهة، الذي سيهلك فيه الروس والأمريكيون واليهود، وحتى معظم الألمان - ولن ينجوا إلا المختارون، الآريون الحقيقيون. حتى اختيار مكان اختباء الغواصات كان مميزًا - جزيرة روغن، المعروفة سابقًا بجزيرة رويان (بويان في الحكايات الروسية الخيالية). ذلك المركز المقدس للشعب السلافي الذي أباده الألمان قبل ألف عام - قبائل ليوتيتشي وأوبودريت. يعتقد بتشكين أن الخطة الألمانية الخيالية لإشعال فتيل الحرب العالمية الثالثة أحبطها الغواص الروسي ألكسندر مارينسكو، ابن بلدي من أوديسا. في 30 يناير 1945، أغرق السفينة العملاقة فيلهلم غوستلوف على متن السفينة S-13، التي كانت تحمل 7000 غواص نازيين من دانزيغ تحت غطاء شديد الحماية. لقي جميعهم تقريبًا حتفهم، وأعلن هتلر مارينسكو عدوًا شخصيًا. ألم تكن هناك طواقم مدربة خصيصًا على إخفاء الغواصات بين الغواصات الغارقة؟

وهل استشاط هتلر غضبًا لأنه لم يتمكن بعد من إعداد بدائل لهم؟

مع اقتراب نهاية الحرب، أطلق الألمان غواصات صغيرة من طراز "23". كانت هذه السفينة الصغيرة شديدة الخفاء في ذلك الوقت. ولأن الحلفاء تعلموا منذ زمن طويل اكتشاف الغواصات الألمانية التي تظهر على السطح من بعيد باستخدام الرادارات، فقد صُنعت هذه السفينة الصغيرة للعمل تحت الماء فقط. كانت مزودة بمحركين كهربائيين. أحدهما بقوة 600 حصان، كان يُشغّل أثناء الهجوم. أما الآخر، بقوة ثلاثين حصانًا فقط، فكان يُستخدم في عملية اقتصادية شبه صامتة. في ربيع عام 1945، تمكنت هذه السفن الصغيرة من العمل قبالة سواحل إنجلترا، متسللةً عبر نظام الدفاع المضاد للغواصات فائق الكثافة. لم تكن تُسمع صوتيًا، وبقيت تحت الماء لعدة أيام متتالية جعل الرادارات البريطانية عديمة الفائدة. لم يخسر النازيون سفينة "23" واحدة حينها! ("البحر"، ديسمبر 1995). كان الألمان يستعدون لاستخدامها في عملية هانيبال - لقطع الإمدادات البحرية عن بريطانيا والقوات الأنجلو-أمريكية في أوروبا. ولم ينقذ مارينسكو الحلفاء حينها، بإرساله...

من أرسل طواقم ما يقارب مائة وخمسين غواصة تابعة للرايخ إلى أمواج بحر البلطيق الباردة؟

مهما يكن، فقد كان الألمان بارعين في صناعة القوارب. حتى بعد عشر سنوات، ظلّت هذه الغواصات جاهزة تمامًا للقتال تحت الماء، على غرار ما كانت عليه في خمسينيات القرن الماضي. مع نهاية الحرب، كان لدى النازيين وسائل أخرى لشنّ حرب تحت الماء. على سبيل المثال، آلات "راكبي الطوربيد" "نيجر"، والقوارب فائقة الصغر "بيبر" و"سيهوند"، ومفارز من السباحين المخربين تحت الماء. الحمد لله أن مارينسكو أفرغ أسطول هتلر من الغواصات بضربة واحدة. بالمناسبة، وجّه ضربةً شبه انتحارية، حيث هاجم "فيلهلم غوستلوف" على السطح، ودخل المياه الضحلة من الشاطئ. لكنه لم يُمنح لقب بطل خلال حياته.

لنتخيل مرة أخرى أن الاتحاد السوفيتي سقط عام ١٩٤٢ وانقسم بين ألمانيا واليابان. تأتي ساعة الهزيمة الساحقة لإنجلترا، التي تسقط مهزومة. تختفي معها القاعدة الوحيدة لغارات القاذفات على الرايخ من بقايا العالم الغربي - ففي نهاية المطاف، لا تصل هذه الغارات إلى النازيين من أراضي الولايات المتحدة. ومع بريطانيا، تختفي أيضًا قاعدة محاربة أسطول الغواصات الألماني، التي استولى عليها النازيون بالفعل. تستولي ألمانيا على شمال إفريقيا والشرق الأوسط (النفط)، وتحتل اليابان أستراليا والهند (المواد الخام والعمالة). الولايات المتحدة، التي تعمل بحماس على إنتاج الأسلحة النووية والطائرات النفاثة والصواريخ، تُجبر على القتال في المحيط الهادئ مع اليابانيين، وفي المحيط الأطلسي مع الألمان. يُطلق الألمان بناءً ضخمًا لحاملات الطائرات، وبوارج حربية رائعة من طراز بسمارك، وغواصات. تستمر الحرب العالمية الثانية لسنوات عديدة. يحاول الأمريكيون اقتحام شواطئ أوروبا على متن حاملات طائرات لتوجيه ضربات نووية ضد الرايخ الثالث، لكن الألمان يوجهون ضرباتهم في المحيط. كما تنطلق صواريخ V-6 وصواريخ Arados المحمّلة بشحنات ذرية من سفنهم. وللقضاء على الولايات المتحدة الأمريكية، التي تُعاني من اختناق في القتال على جبهتين، تُستخدم الأسلحة الكيميائية الألمانية والأسلحة البكتريولوجية اليابانية. بالمناسبة، كانت اليابان تمتلك حاملات طائرات تحت الماء - غواصات عملاقة من النوع "I" حتى في العصور اللاحقة، مزودة بقاذفتين خفيفتين من طراز "سيران" في حظيرة مُحكمة الإغلاق. بعد ظهورها على السطح، ستُطلقها الغواصة في غارة على الولايات المتحدة الأمريكية. كان من المفترض أن تحمل قنابل بكتيرية. أوه، وكدنا ننسى - لدى الألمان "طابور خامس" مُنظّم جيدًا للتخريب والإرهاب داخل أمريكا - قوميون من غرب أوكرانيا. خبراء في الأنشطة التخريبية والقتل والتآمر. كان بإمكان اليابانيين تزويد صواريخ كروز الألمانية المُحمّلة بشحنات ذرية وكيميائية بطائراتهم الانتحارية. علاوة على ذلك، كان رجال غرب أوكرانيا ليضعوا بذكاء منارات راديو لمثل هذه المهمات التي يقوم بها السلاح الألماني الياباني العجيب. مسكينة نيويورك وسان فرانسيسكو وبوسطن! لنضف إلى ذلك دول أمريكا اللاتينية، التي كانت متعاطفة للغاية مع الألمان ولم تكن تحب سكان أمريكا الشمالية إطلاقًا. على سبيل المثال، تشيلي أو الأرجنتين. حتى أن رئيسها المستقبلي، خوان بيرون، التقط صورًا مع هتلر...

ماذا كان ينتظر أمريكا؟ تحويل نيويورك إلى نويبيرسدورف، وهدم ناطحات السحاب، وظهور مدينة استعمارية هادئة في موقع بروكلين. وبالطبع، معسكرات بغرف غاز. لأن النازيين كانوا يكرهون الولايات المتحدة بقدر كرهنا لها، معتبرين إياها دولة تحكمها مجموعة من كبار الشخصيات اليهودية. صحيح أن أفلام الكي جي بي التعليمية للاتحاد السوفيتي ذكرت أيضًا أن أمريكا مملوكة لمافيا رعاة بقر صهيونية - تحالف من رجال أعمال تكساس عديمي الضمير ومصرفيين يهود... كلما ازدادت معرفتك بالقوة الألمانية، ازدادت إنجازات شعبنا تألقًا، بعد هزيمته الوحش المدرع، ونجاحه في خلق إمكانات صناعية وعلمية هائلة بحلول عام ١٩٤١. بفضل هذا، تمكن الاتحاد السوفيتي من نشر جيوش دبابات، وسحب من صائدي "النمور" و"الفهود" - طائرات الهجوم إيل-٢. تمكنا من تحقيق التفوق الجوي، ومنح الشاب ف. تشيلومي البلاد صواريخ كروز ١٠كيه - وهي نظيرة لصواريخ في-١ - بحلول أبريل ١٩٤٥. لم نكرر مصير روسيا القيصرية، بل صمدنا وأنقذنا العالم. لم تكن حملتنا في أوروبا نزوة ستالين أو رغبة مكشوفة في الغزو. لقد كانت مسألة حياة أو موت بالنسبة للروس. هل نُتهم بالتحضير لمهاجمة ألمانيا أولاً، ثم اضطر النازيون ببساطة لشن ضربة استباقية في يونيو/حزيران 1941؟ من المؤسف أننا لم نكن نملك الوقت الكافي - لكانت خسائرنا أقل بكثير. ففي النهاية، كان الرايخ سيهاجم روسيا على أي حال. في التاريخ الحقيقي، كان علينا هزيمته قبل أن يُطلق أنظمة أسلحته الجديدة. وحدها قوة الإمبراطورية، وانضباطها الفولاذي، وقوتها العسكرية الصناعية سمحت لنا بذلك. كل من يُسيء إلى التاريخ العسكري الروسي ويُطلق أفكارًا جنونية هو خائن. يُعلّمنا التاريخ شيئًا واحدًا: إن القوة العسكرية الصناعية والتصميمية والعلمية للإمبراطورية قيمة راسخة.

8

لفهم سبب إنفاق الاتحاد السوفيتي كل هذه الأموال على الاحتياجات العسكرية، علينا التعمق في سيكولوجية من نجوا من جحيم الحرب الوطنية العظمى. لأدرك مدى صدمتهم عند مقارنة عالم عام ١٩٣٨ بما أصبح عليه عام ١٩٤٦. ففي النهاية، ما زلنا نعتمد على أفكار علمية وتقنية وُلدت في خضم الحرب العالمية الثانية. بدأ الأمر بطائرات ثنائية السطح خشبية ودبابات ضخمة وبدائية.

مع مطالب غاضبة في البرلمان الإنجليزي بعدم قصف الممتلكات الألمانية الخاصة. وفي النهاية، دخلنا عصرًا جديدًا. عصر الأسلحة الذرية والطائرات النفاثة والصواريخ الباليستية وحاملات الطائرات والقصف الشامل والرادار. لقد زادت السرعات والقوة والسيطرة على قوى المادة بشكل لا يُحصى. دعونا نعطي ألمانيا وشعبها الفضل. ففي النهاية، تمكنوا، وهم أدنى منا ومن الغرب في المؤشرات الاقتصادية، من إنشاء نظام سحق العالم بأسره تقريبًا. وتحت ضغط هائل، وفي غضون أشهر، وبدون أجهزة كمبيوتر حديثة، صنع الألمان المعجزات. وقد أدرك خبراؤنا، الذين قاموا لاحقًا بفرز أرشيفات الرايخ الثالث، هذا الأمر جيدًا. في عدد يونيو 1996 من صحيفة فريميا، يوجد مقال بقلم ف. مارتينينكو وجي. سيرديتي، بعنوان "الأطباق الطائرة للوفتفافه"، حيث وصفوا كيف ابتكرت مجموعة المصمم كيتل في عامي 1943 و1944 الطبق الطائر F-7 واختبرته بنجاح. قرص طائر قطره عشرة أمتار، بمقصورة على شكل دمعة في المنتصف، وقاعدة مدرعة ونظام تعليق للأسلحة على متنه، كان بإمكانه الإقلاع عموديًا والتحليق والطيران بسرعة باستخدام محرك نفاث. في الواقع، ابتكروا آلة شبيهة بالمروحية. وهي، على عكس المروحيات، لا تستخدم مروحة أفقية للحركة، بل "جناحًا دوارًا" - حلقات ذات شفرات موضوعة خصيصًا في الجزء العلوي من القرص. بالمناسبة، اقترح المهندس الألماني زيمرمان هذه الفكرة عام ١٩٤٢. في أربعينيات القرن الماضي، سلك العالم أجمع درب ابتكار المروحيات الكلاسيكية المألوفة الآن. وقد سلكت حضارة الصليب المعقوف الأسود مسارًا ثوريًا تمامًا. وحتى الخبراء المعاصرون يعتقدون أن الطائرة القرصية ذات "الجناح الدوار" تتمتع بإمكانيات أكبر بكثير من المروحية.

أظهرت ألمانيا هتلر للعالم معجزة، ربما لم تُدرس جيدًا حتى يومنا هذا - شعلة من الإنجازات العلمية والتقنية على مدى سنوات عديدة. عندما تنظر إلى مشاريعهم باستخدام النماذج، قد يثور عقلك أحيانًا. هل وُلدت كل هذه الأفكار والخطط في عصر أفران بريموس الصارخة، وأجهزة الغرامافون الأزيزية، وأجهزة الراديو الأنبوبية البدائية بحجم خزانة الأدراج؟ أدركت النخبة السوفيتية القديمة أن الرايخ قادر على استباق عصره بفضل القوة الجبارة للمراكز العلمية والتقنية. وهذا يعني أنه يجب أن يكون لدينا شيء مماثل، حتى لا نُترك بلا دفاع أمام الغرب. ففي النهاية، واجهت الإمبراطورية نفس المهام التي واجهتها ألمانيا. كان علينا مواجهة العالم الغربي بأكمله، الذي كان يمتلك المزيد من السكان والأموال، والذي كان يمتلك المزيد من الصناعات والمدن، ولم يتكبد خسائر تُضاهي خسائرنا في الحرب العالمية الأخيرة. خلال الفترة من 1945 إلى 1985، تمكن الروس من بناء نظام فريد لتحقيق التكافؤ مع الغرب في المجالات العسكرية الاستراتيجية والعلمية التكنولوجية. علاوة على ذلك، كنا ببساطة نتقدم في كثير من النواحي، مُنتجين آلات وأفكارًا لا مثيل لها في العالم.

ثم حطمنا كل ذلك بأنفسنا. الآن، إذا أردنا أن نبقى روسًا ونبقى، فعلينا أن نستعيد ما فقدناه بالدم والعرق والحديد. وأن نبني إمبراطورية جديدة، جميلة كسفينة حربية فولاذية عظيمة. فرائحة الحروب الكبرى تفوح من الأرض من جديد، والصراع على مصادر المواد الخام والأسواق يشتد من جديد. لقد اعتاد الغرب على العيش في ترف وانحلال. لقد رفع من كسله وشهوته، ورغبته في تحقيق كل شيء بأقل جهد، إلى مرتبة الإله. يلتهم الغرب المواد الخام والطاقة بلا وعي، ويحولها إلى أكوام من القمامة وأشياء عديمة الفائدة، أشياء من يوم واحد. إلى سنيكرز، إلى إيفرست من أدوات المائدة التي تُستخدم لمرة واحدة، إلى أكوام من السيارات والإطارات القديمة. إنه يدمر غابات الأرض لإنتاج كميات هائلة من الصحف الفارغة، والأغلفة الزاهية، والإعلانات، والبيانات الصحفية. إنه يستهلك مئات الملايين من الأطنان من النفط للبنزين، والبلاستيك لزجاجات سخيفة لمشروبات سخيفة. الغرب يلتهم الكوكب، وإذا حذت دول أخرى حذوه، فستُلوث الأرض وتُنهك خلال عقدين.

لكن الغرب لا يريد التخلي عن حياة الترف المفرطة. إنه حريص على ترسيخ نظامٍ يكون فيه الوفرة ملكًا له، بينما يُقدّر للباقي أن يكون مصدرًا للمواد الخام الرخيصة، ومكبّات لجبال من النفايات الغربية، ومواقع لصناعاتٍ قذرة بيئيًا. تُهيئ الولايات المتحدة هذا المصير لروسيا الحرة اليوم، وهو أن تتفكك إلى كومة من شظايا "السيادة" اللعينة، جيوب مافيا. سيرقص حكامها على ظهورهم أمام الغرب ليُلقي لهم بـ"عظمة" دولار بسخاء. يجب أن نصبح مجموعة من الأراضي الأصلية بدون مراكز صناعية وعلمية معقدة، حتى مع ترانيم الكنائس، وآلات الكوكوشنيك، والبالاليكا. نعتمد على الغرب في كل شيء: من الأمشاط إلى الحواسيب. هل تريد أن ترى مستقبلنا؟ اذهب إلى موسكو اليوم.

ينتظرنا صراعٌ من أجل مستقبل روسيا. ليس فقط مع الغرب. ففي الجنوب، تزداد تركيا جرأةً مع تراجعنا، وهو ما يتطلب شبه جزيرة القرم الاستراتيجية، ومنطقة ما وراء القوقاز، وشمال القوقاز. شعار الأتراك: "من أجل تركيا عظيمة من ياقوتيا إلى سراييفو!". طالبان، بدعم من الولايات المتحدة، تتطلع إلى امتدادنا. الغرب مستعد لمحاربتنا بأيدي الآخرين. من خلال منح القروض، وضخ الدولارات والأسلحة، سيدعم أي شخص يساعده في سحق وتدمير هذه القوى غير المتوقعة.

مُسنداتٌ وروسٌ يُحتمل أن يكونوا خطرين للغاية. لأن لا طالبان ولا الأتراك قادرون على فعل حتى جزءٍ من مئةٍ مما نستطيع فعله. لذلك، سيدعم الأتراك، وقطاع طرق دوداييف، والبسماتشي، وغرب أوكرانيا، وجرذان بانديرا الذين وصلوا إلى السلطة في كييف. والوهابيين السعوديين، المستعدين لزرع الكراهية ضد الأرثوذكس في طاجيكستان وكازاخستان وتتارستان وبشكيريا. في النهاية، ما الذي يحتاجه للحصول على الأسلحة والدولارات؟ ما عليك سوى تشغيل مطبعة النقود - وسيبذل حمقى العالم أجمع كل شيء من أجل الدولارات غير المضمونة!

في عام ١٩٨١، قال والدي، الذي كان يعمل في صحيفة برافدا: تُعدّ الولايات المتحدة الأمريكية خطةً لحربٍ محدودةٍ لانتزاع سيبيريا والشرق الأقصى منّا. بعد خسارتها في المنافسة مع اليابان وألمانيا وكوريا الجنوبية، تحتاج أمريكا إلى احتياطياتٍ هائلةٍ من الموارد الطبيعية الرخيصة. ثم صنفت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي هذه المعلومات بحذر. لكن كان ينبغي أن نصرخ بهذا الأمر بأعلى أصواتنا آنذاك! ففي عام ١٩٩٣، نُشر مقال في الولايات المتحدة بعنوان "النشترِ سيبيريا"، اقترح فيه الكاتب الاستيلاء على ثلاثة أرباع روسيا بتسليم تريليون دولار - أوراق نقدية فارغة - للكرملين الفاسد في عهد يلتسين. وهناك أيضًا الصين، التي تنمو اقتصاديًا وتعاني من الاكتظاظ السكاني، وانعدام الأراضي، ونقص المواد الخام. وبينما كان الاتحاد السوفيتي قويًا، كانت الصين تتطلع إلى الجنوب. لكننا نضعف وننهار - وهي تتجه بنظرها إلى الشمال. فمن المتوقع أن تكون المقاومة هناك أضعف، وأن تكون الفريسة أغنى وأسهل. لا ينبغي أن يتكرر وضع عام ١٩٤١. ومع ذلك، ما زلنا نضعف أكثر فأكثر، بعد أن توقفنا عن تطوير أسلحة جديدة منذ عام ١٩٨٩. وسنظل نشعر بهذا الفشل. قد يحصل أن يمتلك أعداؤنا روبوتات قتالية وأسلحة عالية الدقة، وأسلحة ليزر مُعمية، وطائرات ذات متجهات دفع متغيرة. ولدينا معدات قديمة من عشرين إلى ثلاثين عامًا مضت. لأن مشتريات المعدات الجديدة في روسيا اللصوصية في عهد يلتسين ضئيلة. حتى في البحر الأسود، يُهدد تكرار سيناريو الفترة من ١٨٥٣ إلى ١٨٥٦، عندما كانت تركيا المتخلفة تتفوق تمامًا على الروس. عندما هاجمت ثلاثون سفينة تركية سفننا البخارية الست. عندما تلقت قواتهم مدافع بعيدة المدى مُسدسة، وقاتلنا نحن بمدافع أجدادنا الملساء. في النهاية، أسطول البحر الأسود الآن على وشك الانهيار، بينما يتزايد الأسطول التركي. ولوجكوف موسكو السمين، "يقاتل من أجل سيفاستوبول والأسطول"، يُنفق مئات الملايين من الدولارات على تماثيل تسيريتيلي البرونزية عديمة الموهبة. لدينا طائرات مُتهالكة، وجنود مُتحللون بلا وقود، ولا قطع غيار، ولا طعام، ولا جنود. لدى الأتراك جيش قوامه نصف مليون جندي، والخدمة فيه مُشرّفة ومُرضية. لذا، استخلصوا استنتاجاتكم الخاصة.

أحيانًا أتأمل في أسباب تدمير قادتنا للدولة وإلقائها في عالمٍ مليءٍ بالتهديدات الناشئة. أتذكر منزل بريجنيف الريفي الذي تبلغ مساحته 40 هكتارًا، والذي انتزعته مؤسسة بوبوف من مكتب عمدة لوجكوف مقابل 21 مليون روبل. قصور البيروقراطيين الفاخرة. رحلات تشوبايس إلى الخارج. مثقفونا اللعينون، الذين لا يعرفون حقًا ما يريدون. لكنهم في غاية السعادة لأنهم سُمح لهم بالتفوه بالهراء من الميكروفونات وشاشات التلفزيون.

يا إلهي، كم هم حقيرون! وكم أفهم أولئك الروس الذين، قبل ثمانين عامًا، أطلقوا النار بلا رحمة على نشطاء ذوي شعر مجعد يرتدون سترات جلدية. أولئك الذين، في ثلاث سنوات فقط، حوّلوا تلك الإمبراطورية، ومصانعها وأسطولها المدرع وجامعاتها ومكتباتها إلى رماد. أفهمهم جيدًا. وأنا مستعد لفعل الشيء نفسه مع "المفوضين" الجدد، الديمقراطيين أصلاً. ففي النهاية، يبدو أحيانًا أنهم ما زالوا كما كانوا قبل ثمانين عامًا، ولكن بدون ستراتهم سيئة السمعة.

أتيحت لي ذات مرة فرصة التحدث مع صحفي روسي ديمقراطي للغاية، "مُغرَب" للغاية، قضى نصف حياته في أمريكا. أخبرته أن هتلر كان عدوًا للروس، لكنه كان بالنسبة للألمان قبل عام ١٩٣٩ إلهًا وأبًا ووليّ نعمة. لأنه بتطهيره حثالة الغرب من بلاده، ضمن النمو الاقتصادي والعمل والازدهار لكل ألماني. تخلص من ملايين المضطهدين. والأهم من ذلك، ألهم الأمة. شُجّعت الأمومة، وولد العديد من الأطفال، وحصلوا على كل شيء - ملاعب وأحواض سباحة، وطائرات شراعية ودراجات نارية قوية، وتدريب وتعليم. "القوة من خلال الفرح" كان اسم المنظمة التي أتاحت لملايين الألمان فرصة تجربة الشمس والرياح والرحلات البحرية والمنتجعات الجبلية. نعم، نكرهه لتدميره ملايين الروس، صفوة أمتنا. أما بالنسبة للألمان، فقد أنشأ لهم رايخًا قويًا أنتج معجزات في القتال والتقدم التقني. طرد اليهود وهزمهم. ولكن حتى في هذا، حظي بدعم الملايين الذين رأوا فيه خلاصًا من السطو التجاري، وارتفاع أسعار الفائدة المصرفية، ومن هيمنة الابتذال والفساد في الصحف والمسرح والفن. بالمناسبة، لم يدفع النساء والأطفال الألمان للعمل في المصانع العسكرية. وهذا لم يمنعه من صنع قنبلة ذرية

تقريبًا في الوقت نفسه مع الأمريكيين. لكنهم أجابوني: "لكن كيف انتهى كل هذا بالنسبة لهتلر؟" تُسمع هذه الحجة مرات عديدة وأيامًا عديدة في السنة. نحن نفكر بشكل مختلف: لم تكن الديمقراطية الغربية، ولا الأمريكيون والإنجليز، هي من أطاحت بالرايخ الثالث. لا، لأنه سحق أضلاعهم. بل وتمكن من صدّ قوى متفوقة لمدة عام تقريبًا.

الأنجلو أمريكيون على الجبهة الثانية مع فرق من الشباب الطليقين وشبه المسنين، بلا وقود للدبابات والطائرات.

نحن الروس، أسقطنا الرايخ. لم تكن لدينا ديمقراطية. حطمت آلة فولاذية أخرى. امحونا من على خريطة العالم بقوة سحرية - ولتلقى الغرب ضربة قاتلة من قوة كونية ذرية نفاثة. كان الرايخ متقدمًا على الغرب في وسائل شن الحرب! ونحن من أنقذ العالم. لو لم تكن هناك إمبراطورية، لكانت ثلاثة آلاف طائرة من الأساطيل الجوية الألمانية الأول والرابع والسادس، التي كانت لدى الرايخ على الجبهة الشرقية في مارس 1945، قد هاجمت الجيوش الغربية. لكانت آلاف طائرات ميسرشميت وفوك-ولف التي لم يسقطها الروس قد أسقطت أساطيل "حصونهم الطائرة" من السماء. وملايين الجنود الصامدين الذين لم يستشهدوا في معارك مع الروس كانوا سيغرقون الأمريكيين في البحر. لا نفكر في أي سلاح رهيب آخر لم يكن لدى الرايخ الوقت لصنعه بسبب هجومنا الشرس.

القوة وحدها تقاوم القوة!

الفصل 11. الانزلاق فوق الأمواج. العجيبة الثانية - سلاح الروس - "وحوش قزوين". سادة الفضاءات العظيمة. "لون" - صائد الحصون العائمة.

1

بالنسبة للمراقب الخارجي، تبدو هذه السفينة، التي تتأرجح على موجة قزوين الكسولة، غريبة. أو من نسج خيال المصمم الكئيب. هيكل طويل وسريع، يُذكرنا بهيكل طائرة ركاب، يتحول إلى "أنف دولفين" لقمرة القيادة، وزجاجها الأمامي يشبه عيونًا مائلة بشكل مخيف. محركات نفاثة. عارضة طائرة - ذيل. عندما يُسحب هذا العملاق الغامض إلى المياه المفتوحة، تُصدر المحركات هديرًا صاخبًا، ويندفع هذا الجسم المفترس النحيل إلى الأمام في سحابة من الرذاذ. تكتسب الآلة سرعة أكبر، فتخرج من الماء وتنطلق بسرعة مقاتلة على ارتفاع عدة أمتار فوق أمواج البحر. كان زورقنا على مقربة من الشاطئ، عندما بدأ هدير المحركات يتصاعد من البحر. رأينا وحشًا حديديًا غامضًا يقترب منا بسرعة - إما طائرة أو سفينة. كانت أبعاده تتزايد أكثر فأكثر، وأدركنا أنه في النهاية طائرة ضخمة، تندفع نحونا مباشرة على ارتفاع أمتار قليلة فوق سطح الماء. شعرنا بالحيرة والخدر. عندما تبقى لنا حوالي مئة متر، انعطفت الطائرة، وبدأت بالتوجه نحو الجزيرة. بدا أن طرف جناحها على وشك الاصطدام بالأمواج. لكن لا - بدا الماء تحت الجناح وكأنه ينحني، واستوى الوحش واستمر في مساره نحو اليابسة. رأيناه يرتفع قليلاً فوق التلة، ثم يهبط خلفها، ويختفي في الأفق متتبعًا تضاريس الجزيرة...

كتبت "تكنولوجيا للشباب" عن هذا اللقاء بين الصيادين وطائرة إيكرانوبلان روسية عام ١٩٩٢. إنها معجزة تكنولوجية. تُلقب في الغرب بـ"وحش بحر قزوين". عندما بدأنا هذا الفصل، ترددنا: هل نضعه في الجزء الذي يتحدث عن اختراق إمبراطوريتنا لمحيط العالم، أم نصنف طائرات إيكرانوبلاين كأسلحة سماوية لحضارتنا؟ ومع ذلك اخترنا الأخير. ففي النهاية، وُلدت هذه الآلات على يد مصممي الطائرات. كان روبرت بارتيني، مصمم الطائرات السوفيتي الذي لاقى مصيرًا مأساويًا، أول من فكر في طائرات إيكرانوبلاين. كما صمم ألكسندر ليبيش، المهندس الهتلري الموهوب، مثل هذه الآلات. في السبعينيات والثمانينيات، كان المصممون الإمبراطوريون متقدمين كثيرًا على الغرب في تطوير المركبات ذات نمط الحركة الديناميكي - طائرات إيكرانوبلاين والسفن ذات الوسائد الهوائية (ACS). كانت أول ما دخل الإنتاج هي سفن الوسائد الهوائية العسكرية، المصممة لهبوط مشاة البحرية الروسية. تتذكر هذه الآلات جيدًا - هياكل ضخمة تحوم فوق الأمواج بفضل مراوح قوية تضخ الهواء تحت قاع سفن الوسائد الهوائية. هياكل مزودة بمحركين توربينيين، وعارضة ذيل طائرة ومراوح. كانت تُعرض كثيرًا على شاشات التلفزيون: تخرج من البحر مباشرةً إلى اليابسة، كتنانين من القصص الخيالية.

أُطلق على هذه المركبة اسم زورق الإنزال "سوان". بطاقمها المكون من ستة أفراد، تستطيع حمل دبابتين و120 حربة إنزال بسرعة 70 عقدة (حوالي 130 كيلومترًا في الساعة). كانت مُسلحة بمدافع عيار 30 ملم وصواريخ.

مع ذلك، كانت لـ"سوان" عيوبها، كجميع الحوامات. قصر مداها وعدم قدرتها على الحركة في بحر هائج - حيث دمرت الأمواج العاتية الوسادة الهوائية تحتها. كانت طائرات "إيكرانوبلان"، "وحوش بحر قزوين"، خطوةً عملاقةً إلى الأمام. فهي لا تخشى العواصف. إنها ثورة في الحرب البحرية. لا تخشى طائرات "إيكرانوبلان" الجليد - بل تحلق فوقه. لا تُهددها مصبات الأنهار المستنقعية والصخور الساحلية، التي قد تتحطم عليها السفن العادية، وكذلك المياه الضحلة. يمكن تنفيذ عمليات الهبوط في أي مكان - من ساحل الهيكل العظمي الأفريقي بشعابه المرجانية الهائلة، إلى ساحلي الولايات المتحدة الأمريكية، وأراضي كندا وألاسكا القطبية الشمالية.

تستخدم هذه الطائرات ما يُسمى "تأثير الشاشة" - وهو تكوين ما يشبه "وسادة" من الهواء المضغوط تحت طائرة تحلق على ارتفاع منخفض. في البداية، واجه المصممون صعوبة في التعامل مع هذه الظاهرة. ثم وُلدت فكرة: لماذا لا نصنع جهازًا لا يحتاج إلى الطيران على ارتفاعات عالية ولا يحتاج إلى أجنحة كبيرة؟ ففي النهاية، يسمح تأثير الشاشة، بنفس قوة المحرك، بحمل حمولة أكبر بكثير على ارتفاعات منخفضة وبسرعة جيدة. بالطبع، لا تستطيع طائرة إيكرانوبلاين الطيران في الجبال والمدن. ولكن...

هناك أنهار، ومساحات شاسعة من البحار، وصحاري، وتندرا، حيث تتمتع بحرية كاملة...

لا تُهدد طائرة إيكرانوبلاين الألغام الكامنة تحت سطح الماء وفي المياه الضحلة. فهي بعيدة عن متناول طوربيدات الغواصات. لكنها، بسرعة تتراوح بين 300 و400 ميل في الساعة، قادرة على اللحاق بأسرع غواصة وتدميرها بقنابل الأعماق. تستطيع طائرة إيكرانوبلاين حمل صواريخ مضادة للسفن وألغام، وضرب أسراب العدو. وقد صُممت طائرة قادرة على نقل كتيبة كاملة من مشاة البحرية مع جميع معداتها وأسلحتها لمسافة آلاف الكيلومترات بسرعة 600 كم/ساعة.

هذه الطائرات بارعة في المساحات الشاسعة. لماذا كان الغرب خائفًا منها إلى هذا الحد؟ لماذا كان سعيدًا جدًا عندما سقط الاتحاد السوفيتي وقُلّص العمل على "وحوش بحر قزوين" من قِبل الديمقراطيين؟ لأن طائرات إيكرانوبلاين الروسية هددت بدفن أمنها تمامًا. لأن الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا، جوهر حلف الناتو، تُعتبران ما يُسمى بـ"الحضارات البحرية". لم تتمكّنا قط من القتال على البر. لطالما كانت جيوشهما البرية بعيدة عن أي انتقاد. تقاليد "الحضارات البحرية" هي هجمات مباغتة من البحر ومن الجو. ولطالما حمتها البحار والمحيطات من غزو جيوش الحضارات العسكرية القارية.

هددت طائراتنا الإكرانوبلاين بظهور جنود ودبابات روسية على أراضيها. وأن هؤلاء الأنجلوساكسونيين الأنيقين سيضطرون للقتال، وهم يقضمون الأرض، دون دورات مياه أو فتيات أو آيس كريم فراولة.

كان روستيسلاف ألكسييف (1980-1916)، المصمم في مكتب التصميم المركزي في مدينة تشكالوفسك، بالقرب من نيجني نوفغورود، أب "وحوش بحر قزوين" في أواخر الخمسينيات. كان رجلاً ذا طاقة لا تنضب، ذو بنية روسية إمبراطوريّة أصيلة.

أحد أولئك الذين ظلّوا مجهولين لمعاصريه، والذين صاغوا قوة الدولة.

بدأت اختبارات أول طائرة عملاقة، وزنها 430 طنًا، وباع جناحيها 40 مترًا، على بحر قزوين عام 1966. كانت القاعدة تقع بالقرب من محج قلعة، في مدينة كاسبييسك. وقد أظهرت هذه الطائرة بالفعل خصائص رائعة، إذ كانت تتسابق بسرعة 450 كيلومترًا في الساعة على ارتفاع يتراوح بين ثلاثة وأربعة أمتار فوق سطح البحر. وبدون أي دفة، كانت تجوب التضاريس الوعرة، وتحمل حمولة تزن مئة طن. وكانت تقلع في رحلة جوية عند الحاجة. وكانت تنعطف بانسيابية، حاكةً الماء بـ"غسالات" أجنحتها القصيرة.

نكتب هذه السطور في نوفمبر/تشرين الثاني 1996، عندما لقي عشرات الروس حتفهم تحت أنقاض مبنى سكني فُجّر في كاسبييسك: حرس حدود وطيارون، وزوجاتهم وأطفالهم. هذا من عمل الإرهابيين الشيشان وحلفائهم، الذين يغذيهم نظام الكرملين العاجز واللصوص. ولكن في عام ١٩٦٦، لم يجرؤ أحدٌ على التعدي على الإمبراطورية!

نعم، كانت هناك مآسي. لطائرة إيكرانوبلاين مواصفاتها الخاصة، التي لم يعتاد عليها الطيارون لفترة طويلة. لذا، إذا رفعت ريح معاكسة الطائرة، ممزقةً إياها عن الشاشة، فيجب تقليل دفع المحرك بسلاسة، وسيهبط "الوحش" بسلاسة تامة...

في عام ١٩٦٤، تحطم طاقم طائرة SM-5 التجريبية. بعد مواجهة ريح معاكسة، بدأ الطيارون بالصعود. بعد عشر سنوات، وقع حادثٌ لطائرة "أورليونوك". أثناء هبوط فاشل على الماء، تمزقت مؤخرتها. ولكن حتى مع تعطلها، حلقت طائرة إيكرانوبلاين إلى القاعدة. ومع ذلك، كانت الأمور تسير على ما يرام. كانت طائرة "أورليونوك"، التي حلقت لأول مرة فوق بحر قزوين عام ١٩٧٤، إنجازًا حقيقيًا. سويفت، بذيلها العالي، قادرة على الطيران بسرعة 350 ميلاً في الساعة على ارتفاع مترين فقط، وتدور في نطاق خمسين متراً فقط. بعد أن حملت 20 طناً من البضائع على متنها مباشرة من الشاطئ، انطلقت إلى البحر، تتدحرج وسط الأمواج على متن زلاجة مائية مزودة بهيكل. وعدت أورليونوك بأن تصبح ليس فقط سلاحاً هائلاً، بل أيضاً وسيلة نقل اقتصادية للغاية. ففي النهاية، يمكنها استيعاب 200 راكب على متنها - تماماً مثل طائرة توبوليف 114 رباعية المحركات. تحلق بمحرك واحد (!) من الطائرة 114، التي استنفدت بالفعل عمرها الافتراضي!

صُممت غواصة لون، التي يبلغ وزنها 600 طن وثمانية محركات، والمسلحة بستة صواريخ كروز مضادة للسفن ومدافع فائقة السرعة، كسلاح هائل. بسرعة (500 كيلومتر في الساعة) أسرع من أسرع طوربيد أو زورق صاروخي، تُعد لون صياداً ممتازاً للقلاع العائمة وحاملات الطائرات الأمريكية. عمل روبرت أوروس دي بارتيني على طائرات إيكرانوبلاين بالتوازي مع أليكسييف. في عام ١٩٦٣، نُقلت وثائقه إلى مكتب تصميم جورجي بيريف في تاغانروغ. وهناك، بدأوا في بناء طائرة VVA-14، التي يبلغ وزنها ٥٢ طنًا، والملقبة بـ"أفعى غورينيتش": بطول ٢٦ مترًا، وباع جناحيها ٣٠ مترًا. كانت طائرة "غورينيتش" قادرة على الطيران كطائرة إيكرانوبلاين، فوق سطح الماء أو اليابسة مباشرةً. كما كانت قادرة على الطيران كطائرة، لتصل إلى ارتفاع ١٠ آلاف متر، بسرعة ٦٢٠ كيلومترًا في الساعة، وبمدى ٢٤٥٠ كيلومترًا. والأهم من ذلك: على عكس طائرات أليكسييف، كان بإمكان طائرة بارتيني الإقلاع عموديًا - بفضل محركي نفخ تحت الأجنحة! للأسف، لم يتم تركيبهما على طائرة غورينيتش.

كان ذلك إنجازًا روسيًا غير مسبوق. حتى يومنا هذا، يفخر الغرب بطائرات إيكرانوبلاين التي لا تستطيع رفع سوى 3-4 أطنان. لكن مصير أليكسييف كان مأساويًا. بثباته وحزمه، حقق إنجازًا غير مسبوق في العالم. تغلب على انعدام الثقة، على الرغم من المقالات الأمريكية التي تناولت عدم جدوى طائرات إيكرانوبلاين. أساءت رعاية ن. خروشوف إليه - كان المصمم...

كان بريجنيف يُنظر إليه بشك. إضافةً إلى ذلك، كان لا بد من بناء الآلات في مصانع وزارة صناعة بناء السفن، ولكن باستخدام تقنيات الطيران. كان من الصعب، بل من الصعب جدًا، تجاوز الحواجز الإدارية. أدى حادث أورليونوك عام ١٩٧٤ إلى قطع تمويل المشروع. وأصبح "متقطعًا". ومع ذلك، استمر العمل. وأدرك قادة الكرملين عام ١٩٨٥: لدينا أقوى سلاح لا يمكن للغرب إلا أن يحلم به.

في أوائل السبعينيات، توقف العمل على "زمي غورينيتش"، على الرغم من أنها كانت تحلق بالفعل من تاغانروغ إلى جوكوفسكي بالقرب من موسكو. ظلت مشاريع شريك بيريا، أ. بوغاتيريف، حبرًا على ورق: "أجنحة طائرة" بوزن ٧٥٠ و١٢٠٠ طن. طائرات إكرانولت هبوطية، قادرة على حمل طائرات، قادرة على الارتفاع. وكانت هذه تقنيات غير مسبوقة!

توفي أليكسييف عام ١٩٨٠، دون أن نعرف عنه شيئًا. في عام ١٩٧٤، توفي بارتيني عن عمر يناهز ٧٧ عامًا. في ألمانيا في عهد هتلر، كان كل فتى يعرف ويلي ميسرشميت أو كورت تانك. لم نتعرف على مواطنينا العظماء إلا بعد سنوات من وفاتهم. وقد حظي ما أنجزوه لاحقًا بتقدير مصمم الطائرات الإكرانوبلان الأمريكي البارز ستيفن هوكر، رئيس شركة أيروكون، التي كانت تعمل لصالح وزارة الدفاع الأمريكية. ذكرت مجلة "تكنولوجيا للشباب": "بعد زيارة العديد من شركات الطائرات الإكرانوبلان الروسية، هتف هوكر بمزيج من الحسد والبهجة: "إنهم متقدمون علينا بثلاثين عامًا!".

وكتبت المجلة نفسها في عام ١٩٩٣ أنه بعد تفكك الاتحاد السوفيتي بفترة وجيزة، ظهر في الصحافة الأمريكية مشروع طائرة إكرانوبلان روسية بوزن ٤٠٠٠ طن من تصميم أ. بانشينكوف (بطول ١٢٠ مترًا وعرض ٥٠ مترًا). بدنان على شكل سكين مغطى بجناح يحمل سطح الطائرة. صُممت هذه الطائرات للطيران فوق التندرا

على مسارات مُعدّة خصيصًا بسرعة 550 كيلومترًا في الساعة. ويعتقد الأمريكيون أن نموذجًا أوليًا بطول 20 مترًا قد اختُبر بالفعل على بحيرة بايكال. لم تصبح طائرات إيكرانوبلانز وسيلةً فعّالة للهبوط العابر للقارات والصراع على البحار فحسب، بل أصبحت أيضًا سلاحًا ممتازًا في الحرب الاقتصادية مع الولايات المتحدة. أدى بناؤها إلى الاستغناء عن آلاف المروحيات في سيبيريا والمناطق الشمالية - وتبلغ تكلفة ساعة طيران الطائرات ذات الأجنحة الدوارة الآن 5 ملايين روبل! حلت طائرات إيكرانوبلانز محل قوافل السفن الضخمة التي تُجهّزها بلادنا كل صيف بتكلفة باهظة لنقل البضائع إلى ياقوتيا وتشوكوتكا وكامتشاتكا وساخالين، ولمشاريع تعدين الذهب والقصدير واليورانيوم والماس. ستوفر مليارات الدولارات للإمبراطورية، وهي ضرورية للغاية لتحقيق قفزة اقتصادية للأمام ولخنق الولايات المتحدة. لقد كانت لدينا فرصة عظيمة! ٢

ثمة دلالة رمزية في اختيار بحر قزوين موقعًا لاختبار سفن إيكرانوبلانز - بحيرة مالحة فريدة من نوعها، من بقايا محيط تيثيس القديم، تخفي تحت سماكتها أسرارًا وثروات كثيرة. تعيش فيها الفقمات، بل ويُقال إنها بقايا أسماك قرش آكلة لحوم البشر. تحت أمواجها، تقبع أطلال عاصمة الخزر القديمة - إيتيل، التي ابتلعتها المياه. عاصمة شعب اعتنق الديانة اليهودية، ونهب ثروات روسيا لمئات السنين بغارات وجزية باهظة. استعبدوا الروس، وأثروا على التجارة الطفيلية، مُثقلين طرق نقل البضائع من الأراضي الروسية إلى الشرق، إلى آسيا. استولى الأمير الروسي سفياتوسلاف على إيتيل ودمرها، كما هو الحال مع جميع سفن الخزر، في القرن العاشر.

اختُبرت سفن إيكرانوبلانز الخاصة بنا في بحر قزوين، حيث أبحرت السفن الروسية في القرن العاشر للاستيلاء على دربند وباكو. في بحر قزوين، الذي يخفي قاعه احتياطيات هائلة من النفط الممتاز، والتي تعود ملكيتها للروس بحق. ففي عام ١٩٤٠، وقّع ستالين المهيب اتفاقية مع إيران، تنص على أن البحيرة بأكملها - حتى شواطئ بلاد فارس تقريبًا - أصبحت ملكًا للاتحاد السوفيتي. وروسيا يلتسين، "جذوع بيلوفيجسكايا"، التي أصبحت الخليفة الشرعي للاتحاد السوفيتي، ينبغي أن تمتلك الآن بحق كامل بحر قزوين وكل النفط الذي تحته.

لا حق لهذه "الخانات السيادية" الجديدة، هذه كازاخستان "المستقلة" مع أذربيجان وتركمانستان. لكن الدولتين الأوليين هما من يمدُّان أيديهما إلى قاع بحر قزوين، ويحاولان بيعه للغرب وتغذية "نخبتهما" الإجرامية الدنيئة بأموال النفط. وخلفهما يقف العدو الأبدي للروس - تركيا، التي تسعى هي الأخرى بشراهة للحصول على نفط بحر قزوين. لهذا السبب تدعم الحرب في الشيشان وتُثير الفتنة في شمال القوقاز - لعزلنا عن بحر قزوين إلى الأبد. لقطع خطوط الأنابيب الروسية في الشيشان وداغستان. للحصول على خط أنابيب لضخ نفط بحر قزوين إلى الغرب، والذي سيُدرّ عليها مليار ونصف المليار دولار سنويًا. لتدمير آخر ميناء رئيسي لروسيا على البحر الأسود - نوفوروسيسك.

لهذا السبب تُقلع مروحيات دودايف من طراز مي-8، المُحمّلة بالأسلحة والأموال والذخيرة، من أذربيجان متجهةً إلى مطارات الشيشان الجبلية السرية. من هنا تُقلع الطائرات الهجومية التي لا تحمل علامات تعريف لقصف القرى الشيشانية - لضرب القرى الموالية لروسيا وتحريضها ضد الروس. هناك هدف واحد فقط - السيطرة على بحر قزوين، ودفع الروس بعيدًا عنه.

لكن لروسيا كل الحق في أن تقول للعالم أجمع: "بحر قزوين ملكي! وإذا ظهرت منصات الحفر هناك دون علمي، وإذا لم يُسلِّم لي معظم النفط، فسأحرق هذه الحقول وأقصفها. وتذكروا: وفقًا لمعاهدة عام ١٩٤٠، حتى..."

مدينة الصخور النفطية القريبة من باكو تقع على أراضينا! "

لكنه لم يقل شيئًا. يفتقر القادة الحاليون الماكرون والفاسدون إلى الإرادة والشجاعة. يا ليتنا نمتلك طائرات إيكرانوبلاين قتالية على بحر قزوين! فقد طورت الإمبراطورية بالفعل مشروعًا لطائرة إيكرانوبلاين فائقة القدرة على رفع خمسة آلاف طن وسرعة 800 كيلومتر في الساعة، قادرة على نقل فوج دبابات كامل.

3

لكن وحوش بحر قزوين هي طائرات إيكرانوبلاين من الجيل الأول. وقد نجح العبقري الروسي في صنع آلة لا مثيل لها في العالم أجمع - طائرة برمائية أرضية-جوية (GAA). تشبه جناحًا ضخمًا سميكًا، مُثبتًا عليه زعنفة طائرة صغيرة ظاهريًا مزودة بمثبت على شكل حرف V. تندفع طائرة GAA أيضًا فوق السطح، متجاوزة العوائق كالطائرات. وتناور على الجانبين، صعودًا وهبوطًا. تقلع الطائرة البرمائية كالحوامة، وتتحرك

كالإيكرانوبلاين. لا تحتاج إلى مطارات أو موانئ خاصة، ويمكن لجيش فيتنام الشمالي العمل والهبوط في أي مكان - في... رمال الصحراء، في دلتا الأمازون، أو في التندرا. وُلدت هذه الآلة على لوحات الرسم عندما قاد الحكام غير الأكفاء البلاد بالفعل إلى مسار كارثي. في عام ١٩٩٢، في محاولة لإنقاذ المشروع، أسس طلاب روستيسلاف أليكسييف جمعية إيكولين، التي طرحت مشاريع لعدة برمائيات عملاقة مُجمّعة من أجزاء أنتجتها مصانع الطائرات في البلاد. ابتكر المصممون مشاريع لمجموعة كاملة من الآلات: من "صغيرة" بحمولة ٦٠ طنًا، وسرعة ٣٥٠ كيلومترًا في الساعة، ومدى طيران ٣ آلاف ميل، إلى عملاقة قادرة على حمل ٣٧٥٠ طنًا بسرعة ٧٠٠ كيلومتر في الساعة لمسافة تصل إلى ١٨ ألف كيلومتر. لقد ألغوا بدقة برنامج إنتاج ١٢٠٠ آلة من هذا القبيل للفترة ١٩٩٤-١٩٩٨. لم يتطلب الأمر سوى ٦ مليارات دولار. لكن كان من المتوقع تحقيق مئة مليار دولار من نقل البضائع وحده. هذا لا... دون احتساب تأثير صناعة الشحن والضرائب عليها، ودون احتساب الوفورات المحققة من بناء الطرق والموانئ، وقوافل السفن الضخمة على طريق بحر الشمال، وآلاف عربات السكك الحديدية. لم تكن هناك حاجة لإنفاق مبالغ طائلة على شحن السفن الأجنبية.

ستة مليارات فقط، أي ما يعادل ثلث خسائر الحملة الشيشانية الفاشلة! لم يفكر نظام يلتسين حتى في تنفيذ هذا المشروع. الذي لم يمنح البلاد سلاحًا خارقًا يتمثل في أقوى أسطول نقل وإنزال ومضاد للغواصات في العالم فحسب، بل وعد أيضًا بالاستحواذ على سوق النقل العالمية. لم تكن هناك حاجة سوى لستة مليارات دولار بائسة - أقل بعشر مرات مما سُرق، أو نُقل إلى الخارج، أو سُرق من المبالغ المخصصة لشراء الحبوب أو لتمويل توصيل البضائع إلى الشمال!

وماذا لو عاش الاتحاد السوفيتي؟ بالنسبة له، كانت هذه المليارات الستة أكثر من مجرد مبلغ في متناول اليد. كان بإمكانه التوفير في بناء الغواصات الصاخبة، وتقليص برامج بناء النصب التذكارية الفخمة للينين. أو المجمع على تل بوكلونايا، استخدم أصول البنوك السوفيتية الأجنبية. أو باعت احتياطيات المعادن الأرضية النادرة في موسكو وحدها إلى الخارج لهذا الغرض. كان بإمكان الجيش الشعبي الوطني الروسي أن يحوم فوق الصحراء الكبرى والبحر الأبيض المتوسط، وهضبة أوستيورت، ومساحات المحيطين الأطلسي والهادئ، ويجني مئات الملايين من الدولارات سنويًا من الغرب لمجرد تزلج السياح. ففي النهاية، فإن فسيفولود كالينين وجميع مؤسسي الجيش الشعبي الوطني الآخرين من "كولين" هم مواطنون في الاتحاد السوفيتي، الإمبراطورية العظيمة.

4

إذا فتحتَ عدد أبريل 1994 من مجلة "تكنيكا-مولوديزي"، يمكنك أن تقرأ عن سلاح الدولة الخارق الذي لم يكن قد وُلد بعد، والذي كان بإمكانه مساعدتنا في غزو العالم عسكريًا وتجاريًا - طائرات إيكرانوبلاين. طوّرها المهندس الروسي ل. شتشوكين في أوائل الثمانينيات، مواصلًا تطويرات بارتيني. لاحقًا، أسس كالينين شركة "إكيب"، التي ضمت نخبة... مجمع الفضاء الجوي في البلاد. شركة إن بي أو إنرجيا، والمعهد المركزي للديناميكا الهوائية (TsAGI)، ومكتب تصميم أ. ياكوفليف، وشركة إن بي أو ساتورن، ومصنع ساراتوف للطائرات...

ما هي إيكرانوبلان؟ جناح طائر بيضاوي الشكل يشبه الصحن الطائر، قادر على العمل كإيكرانوبلان. يجب أن تستخدم هذه الأجهزة محركات توجيه السوائل من مركبة بوران الفضائية، ومحركات NK-926 التسلسلية، ومحركات AL-34 ثنائية الوضع التي لا مثيل لها في العالم، مما يخلق ضغطًا زائدًا تحت قاع "المعدات".

ما فائدة هذه الأجهزة؟ نموذج L4-2 من تصميم ليف شتشوكين، بنفس وزن إقلاع أكبر طائرة في العالم، An-600) 224 طن)، يمكنه حمل نفس الحمولة التي تبلغ مئتي طن. ولكن ليس لمسافة 4500 ميل، مثل An-224، بل لمسافة 8600 كيلومتر! وإذا احتاجت الطائرة العملاقة إلى مدرج بطول 3.5 كيلومتر، عندها ستحتاج "المعدات" إلى موقع أقصر بست مرات. في الوقت نفسه، تستطيع "المعدات" استيعاب ألفي شخص - أي لواء إنزال كامل!

لقد صنعنا آلاتٍ رائعةً للغاية. ببساطة، لا يوجد شيءٌ يُضاهي "المعدات" في العالم! فكرة شتشوكين هي في جوهرها "جناحٌ طائر" قادرٌ على التحليق على سطح الماء، في حقلٍ مفتوحٍ أو في فسحةٍ غابية. إذا تعطلت محركاتها، فإنها تنزلق دون أن تدور. تستطيع "إكيب" الطيران على ارتفاعٍ يتراوح بين ثلاثة أمتار وعشرة آلاف متر، بسرعة تتراوح بين 120 و700 كيلومتر في الساعة.

ها هو سلاح انتصارنا الفاشل. في إمبراطوريةٍ موحدة، غورباتشوف

كان بإمكانها بناء مئات من طائرات "إيكيبس" هذه، محتلةً أسواق نقل البضائع والركاب العالمية، وموفرةً للبلاد مليارات الدولارات. أنفقت على ذلك أموالاً أقل بمئة مرة مما خسرته روسيا وحدها خلال نهب تشوبايس. جعل أسطول "الأطباق الطائرة" وحدات الإنزال التابعة للإمبراطورية وسيلةً للهيمنة العالمية. حلت "إيكيبس" محل ثلاث أو أربع طائرات "أنتي" ثقيلة. كانت "إيكيبس" المزودة بصواريخ كروز في بطونها تحلق فوق أسراب الطائرات الأمريكية، مستهلكةً وقودًا أقل بثلاث أو أربع مرات من القاذفات التقليدية. جاهزة في أي لحظة لحرق العدو بضربات دقيقة! نعم، يمكننا أن نحكم العالم، كوننا الدولة الوحيدة التي تمتلك "أطباقًا طائرة". تم ابتكار وقود معجزة لـ"إيكيبس"، يتكون من 10% (أو حتى 58%) من الماء العادي. طُوِّر هذا الوقود في معهد "أكفازين" غير الربحي على يد البروفيسور إدوارد إيسابيف بالتعاون مع إ. إيغوروفا، د. عليبف، وت. فيدوروفا ("زافترا"، العدد 18، 1997). يتميز هذا الوقود المائي المستحلب برخص ثمنه: فمع رقم أوكتان "85"، يُحضَّر من بنزين منخفض الجودة، أو منتجات غاز طبيعي أو مصاحب، بالإضافة إلى "مستحلب" خاص!

صار "إكيب"، الذي يطارد السرب الأمريكي في المحيط، بمثابة كارثة. فبقدرته على الطيران بسرعة مئتي كيلومتر في الساعة قرب الأمواج، أجبر الأمريكيين على إبقاء المقاتلات وحاملات الطائرات في الجو باستمرار. لكن سرعتها الدنيا تبلغ حوالي ثلاثمائة كيلومتر في الساعة. واضطر الأمريكيون إلى حرق وقود باهظ الثمن باستمرار، وتشغيل محركاتهم في أوضاع تدميرية.

أصبح "إكيبي" مُوجِّهات استطلاع بحرية مثالية لطائرات توبوليف-22 المزودة بصواريخ كروز، أو منصات جوية ممتازة لتركيب ليزرات كيميائية قتالية.

اعتمدت الحكومة، كعادتها، برنامجًا لتطوير طائرات إيكرانوبلاين. وكالعادة، لم تُنفق عليه شيئًا. وإذا دققت النظر، فها هو "إنيل" - مزيج من طائرة ومركبة هوائية ومنطاد. صنعه وبناه ألكسندر فيليمونوف في تيومين في فبراير 1995.

تخيلوا طائرة حلقية قطرها 80 مترًا، مملوءة بالهيليوم. متصلة بها مقصورة انسيابية وأجنحة ومثبت. قدرة استيعاب وكفاءة فائقتان. في غياب تام لأي نظير في الغرب!

لم نهلك بسبب التخلف، بل انهارنا بسبب سرقة وانحطاط "النخبة" الحاكمة. كسلها وجمودها وعدم رغبتها في فعل أي شيء سوى تقاسم السلطة والممتلكات. وتذكروا - هذه "النخبة" لم تذهب إلى أي مكان. بعد أن تخلّصوا من أوراقهم الحزبية، استبدلوها ببساطة بكراسي في بنوك اليوم وإدارات الرئاسة.

في النهاية، كان من الممكن أن تُصبح غارات فيليمونوف، يا للعجب، أساسًا لطائراتنا الطائرة - "الخفية"، القادرة على ضرب المراكز الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية سرًا ومباشرةً! لنتذكر الخطوط العريضة متعددة الأوجه لطائرة الشبح الأمريكية FB-117، ذلك الوحش المُطوى من مثلثات متعددة. وهي مُصممة بحيث تنعكس نبضات الرادار على الجوانب، متناثرة لأعلى ولأسفل وبشكل قطري.

لكن ما يُفيد التخفي يُضر بالديناميكا الهوائية. فالطائرة آلة ديناميكية لا تبقى في الجو إلا بفعل الحركة. لهذا السبب تُحلق طائرة FB-117 بشكل سيء، لكنها مزودة بحاسوب خارق باهظ الثمن يمنعها من الانحراف والسقوط العشوائي.

والطائرة شبه ثابتة، تُثبت في الهواء بواسطة هيليوم خفيف يُضخ في بطنها الحلقي. ولهذا السبب يُمكن تشكيل هيكلها، مما يجعلها غير مرئية لرادار العدو. ورغم أن "غير المرئي" لدينا سيكون أبطأ، إلا أنه سيكون أرخص بمئة مرة، بدون حاسوب عملاق على متنه، وبجهاز حاسوب أبسط بكثير، وبصواريخ نووية على متنه.

ويمكن حملها على متن حاملات طائرات أخف وزنًا، مخفية في عنابر السفن. ستقترب حاملة طائرات أخف وزنًا كهذه من كوبا، منتظرةً حلول ليلة مظلمة، و...

"هل كان لدى الاتحاد السوفيتي القوة والموارد الكافية لبناء طائرات إيكرانوبلاين؟" - قد يتساءل أحد القراء. - "بعد كل شيء، يقول الجميع الآن إن كل شيء كان ينهار ويشيخ في ذلك الوقت." لا تتسرع في الاستنتاجات يا صديقي المعاصر العزيز. فرغم ثلاثين عامًا، عشت في ظل الإمبراطورية.

ما زلت أجد من المدهش كيف كان لدينا، حتى في ظل نظام بريجنيف الفاسد، ما يكفي من المال لكل شيء. بدا لنا طبيعيًا أنه مقابل مئتي روبل، كان بإمكانك الذهاب في عطلة إلى البحر الأسود أو تناول الغداء في كافتيريا مدرسة مقابل عشرين كوبيكًا. وهذا على الرغم من أن البلاد كانت تقاتل في الوقت نفسه في أفغانستان، تُطلق محطات فضائية ضخمة في المدار، وتحافظ على جيش ضخم، وتُجري آلاف الاختبارات الباهظة الثمن لأحدث التقنيات. يا لسذاجتنا! ففي الوقت الذي يفتقر فيه النظام الديمقراطي إلى المال لأي شيء، وفي الوقت الذي يقضي فيه ملايين الناس شهورًا دون رواتب، تبدو تلك السنوات وكأنها قصة خيالية مشرقة.

لقد تبيّن أن نظام بريجنيف كان مخطئًا. ففي النهاية، خان ملايين الحمقى الذين أفرط النظام في إغرائهم هذا الوطن العظيم. حوالي عام ١٩٨٢، كان من الممكن تمامًا إجبار جماهيرنا (لصالحها) على نسيان أكياس البرتقال التي كانوا يحملونها إلى منازلهم لبضع سنوات، وإلباسهم سترات مبطنة. واستثمار الأموال المُحررة في عالم تكنولوجي جديد وغير مسبوق. في أسراب من طائرات إيكرانوبلاين. من أجل اختراق القرن الحادي والعشرين.

لا تُصدّقوا المُتنبئين. كان لدينا كل شيء لذلك. واحتياطي من الذهب يبلغ ٢,٥ ألف طن، يا له من أمرٍ غامض.

لكنها اختفت عشية انهيار الإمبراطورية. في عهدها فقط، كنا قادرين على اقتراض عشرات المليارات من الدولارات، إذا لم تكن المدخرات (التي أشك بشدة في ذلك) كافية. لكن الأهم من ذلك كله، افتقرنا إلى الإرادة.

ليس لديّ سببٌ لمحبة الشيوعيين. وخاصةً أولئك الذين دمروا البلاد عام ١٩١٧. كل هؤلاء من أمثال روزنفيلد وبلانك، وسولومون أوريتسكي وغوبلمان، حاملي روح غريبة وعقيدة غريبة. ومع ذلك، أحيانًا أنظر باحترام إلى صورهم القديمة، إلى وجوههم بطيات شفاه حازمة وقوية الإرادة وعيون جامدة.

نعم، لقد دمروا تلك الإمبراطورية بحلول عام ١٩١٨. بل وخسروا بولندا وفنلندا ودول البلطيق وجزءًا من بيسارابيا. لكن في غضون أربع سنوات فقط، استعادوا البلاد بالكامل تقريبًا، وأزالوا جميع "الحكومات" المستقلة، وقضوا على الانفصاليين الأوكرانيين والجورجيين وحتى الشيشان. تمكنوا من بناء جيش جاهز للقتال، وخصصوا مواردهم لتأسيس مدارس للطائرات الشراعية والطيران، ومختبر هندسة الراديو في نيجني، ومعهد الراديوم (أول معهد نووي) في بتروغراد (1921).

وماذا عن أحفادهم الحاليين؟ الدولة في حالة من الفوضى منذ خمس سنوات، ولا نهاية تلوح في الأفق. علاوة على ذلك، نحن ننهار أكثر فأكثر، ونتجه نحو حروب جديدة وإراقة دماء، مع تدمير كامل لعلمنا وهندستنا.

ما الفرق؟ الحقيقة هي أن هؤلاء سليمان أوريتسكي، على عكس جوسينسكي وبيريزوفسكي اليوم، كانت لديهم إرادة. ليس للمال، بل للسلطة. حتى لو كانت ممزوجة بروح يهودية. في النهاية، لقد واجهوا بالفعل الرصاص، لكنهم لم يفعلوا ذلك لحساباتهم الخاصة في قبرص أو سويسرا، أو من أجل قصورهم الخاصة وسياراتهم المرسيدس.

لقد افتقرنا إلى إرادة السلطة في الثمانينيات. إرادة السلطة الإمبراطورية الأرثوذكسية. الفصل الثاني عشر. ثمن السماوات المحروقة. هل امتلك الروس سيف ساموراي خاص بهم؟

1

في ختام قصة صعود وسقوط القوة الروسية السماوية، سنحاول استخلاص بعض الاستنتاجات، لنتعلم من دروس التاريخ.

اليوم، تُدمر الإصلاحات الاقتصادية سلاحنا الجوي. الغرب يفرك يديه بفرح. تُرك سلاح الجو الروسي بدون وقود، وطائراته متوقفة عن الطيران، والطيارون يتدهورون ويغرقون دون تدريب، في فقر مدقع وحقوق. لا

يملك الروس الوسائل اللازمة لتسليح أنفسهم بطائرات الجيل الرابع، ولم يبقَ سوى نصف الأسطول الإمبراطوري الهائل المكون من عشرة آلاف طائرة.

وهذه العملية أشد خطورة على أمن البلاد مما تبدو عليه لمن لا يعرفها. ففي النهاية، إذا لم تكن لنا سيطرة جوية، تصبح القوات المحمولة جواً غير ضرورية. لأن القوات الجوية الغربية ستتمكن الآن من إسقاط طائرات النقل الثقيلة Il-76 وAN-124 وعلى متنها مظليون. تُحرم الدولة من قوة هجومية فعّالة.

ثم تنخفض قوة وحدات الدبابات بشكل حاد. لأنه بدون دعم جوي، تُصاب بالعمى وتصبح أهدافًا للطائرات الهجومية الأجنبية. عاما 1940 و1941 دليل واضح على ذلك. ففي النهاية، كان لدينا نحن وفرنسا دبابات أكثر من هتلر. بل كانوا أقوى من الألمان. لكن الرايخ الثالث سيطر على الجو - ودُمرت دبابات خصومه في الحصار، واحترقت من هجمات طائرات يونكرز-87 الغواصة. ولكن إذا دُمرت قواتنا الجوية على الأرض عام 1941 بغارات خاطفة شنها رجال المارشال غورينغ، فإننا في عامي 1991 و1996 دمّرنا قوتنا الجوية بأيدينا.

أدى انخفاضها الكارثي أيضًا إلى انهيار الدفاع الجوي للبلاد، عندما اقتربت حدودها آلاف الأميال من موسكو والمراكز الحيوية، بينما يقترب حلف الناتو منا، وتحول "الحزام الواقي" لدول أوروبا الشرقية إلى منصة انطلاق للهجوم. الآن، تستطيع القاذفات الأجنبية المزودة بصواريخ كروز اختراق الفضاء الروسي بحرية شبه كاملة، محطمةً سدودنا ومحطات الطاقة وخطوط الأنابيب، ومدمرةً منصات إطلاق الصواريخ والقوات البرية من بعيد.

حتى الآن، لن يهاجم الغرب. لكنه يُظهر أنيابه بشكل متزايد، ونسمع هدير تحذيراته أكثر فأكثر. عامًا بعد عام، لا يكلّون من تذكيرنا: أنتم الآن ضعفاء للغاية.

بدون القوات الجوية، تذوي وتموت العديد من "فروع" القوة العسكرية. دفاع عن السواحل والبحار المجاورة. طيران على متن حاملات الطائرات. أنظمة استطلاع وضرب للقوات البرية. تحديد أهداف للطرادات الصاروخية النووية.

لا يمكنك التفكير في شيء أفضل للولايات المتحدة. إنهم يزيدون باستمرار من قوتهم السماوية، ويتدربون على شن ضربات على العراق. ونحن نُقيم عروض طائرات. قريبًا، لن يكفي طيراننا بالكامل إلا لقضاء العطلات في توشينو. وهم يُظهرون الآلات التي صُنعت أو بدأ تصنيعها في الولايات المتحدة. روسيا الحرة، بلد أسواق الملابس والرجال ذوي التعليم المحدود، لم تتمكن من فعل أي شيء ذي قيمة.

يؤدي انهيار سلاح الجو إلى إغلاق صناعة علمية ضخمة، حيث يفقد مئات الآلاف من العمال والمهندسين والمصممين المختارين وظائفهم. علاوة على ذلك، لا توجد مجالات تطبيق لعقولهم وأيديهم النخبوية حقًا. يتبع تقليص الإنتاج فقدان الأسواق العالمية لصناعة طائراتنا، وجفاف عائدات النقد الأجنبي طويلة الأجل، وفقدان مجالات النفوذ العسكري التكنولوجي في آسيا وأفريقيا. حتى يتمكن الغرب المنتصر من الاستيلاء على كل هذا. يُطلق كبار رجالنا على هذا اسم "تكاليف..."

الإصلاح. ونحن - خيانة.

حتى الآن، وبعد كل الدمار الذي لحق بنا في السنوات الأخيرة، لا تزال أمامنا فرصٌ هائلة للقفز نحو القوة والازدهار. ففي النهاية، مع ناتج محلي إجمالي يبلغ كوادريليون ومئتي تريليون روبل، لا تتجاوز قيمة الروبلات النقدية وغير النقدية في روسيا 240 تريليون روبل. (كُتب في نهاية عام 1996). ونحن بحاجة إلى ضعف هذا المبلغ على الأقل. إن أثر هذا الحرمان من المال يعادل استنزاف نصف الدماء من عروقنا. نعم، نحن بحاجة إلى طباعة تريليونات روبل إضافية. كيف؟ تريد الهند شراء طائرات مقاتلة منا، لكنها لا تملك ما يكفي من المال - سنمنحها قرضًا مشروطًا. بمعنى آخر، سنطبع ونعطي الأموال لمصنعي طائراتنا، ونتأكد من عدم سرقة هذه الروبلات وإهدارها في سوق الصرف، وسنزود الهنود بالطائرات المصنعة. بهذه الطريقة، سندعم صناعتنا - هذا واحد. وثانيًا، أن تُسدد الهند لنا القرض مع فوائده، وتشتري منا قطع غيار بالعملة الأجنبية، وتلجأ إلينا لصيانة المعدات، وتدريب الطيارين مقابل المال. إضافةً إلى ذلك، تحتاج الطائرات إلى تحديث كل بضع سنوات، مما يُحسّن من جودتها القتالية. إلى من ستلجأ الهند إن لم نلجأ نحن، الدولة المُصنّعة؟ وإذا لم يكن لدى الهند دولارات، فبإمكانها قبول الدفع بالبضائع: الماس، وأنواع الأخشاب الثمينة، والنفط، والمعادن النادرة. كل ما تحتاجه صناعتنا أو يُمكن بيعه في السوق الخارجية. نعم، حتى لتحصيل الديون بالتبغ الممتاز! منذ حوالي عشرين عامًا.

هكذا يجب أن نتصرف. لكن كبارنا، الذين ينقادون بخضوع للغرب، ما زالوا يُكافحون التضخم، ويُجففون كتلة الروبل. والتخلي عن أسواق الطائرات للأمريكيين والإسرائيليين والفرنسيين...

لمئات السنين، ينفطر قلب العقول، متذكرين كيف أشعل حشد من المتعصبين الجاهلين النار في مكتبة الإسكندرية قبل ألف وخمسمائة عام، محولين ثمار قرون من الفكر القديم إلى رماد ودخان. تمتلئ أرواحنا بألم حارق عندما نتذكر كيف دمرت حوافر قبائل السهوب ثقافة دنيبر روس القديمة. لكن اليوم، أمام أعيننا، تُمحى من على وجه الأرض مراكز فريدة من ثقافتنا الجوية.

معهد تساجي المركزي للهيدروديناميكية الجوية في موسكو. كان من أوائل الأهداف الرئيسية لسلاح الجو الألماني في عهد هتلر. في كل حضارة، وفي كل ثقافة، هناك روابط، يؤدي استئصالها إلى الموت والانحطاط. هكذا تموت الخلية عندما تُنزع منها ملكة النحل. هكذا يتحول البطل إلى خراب عندما يُزال طحاله. يُعدّ معهد تساجي (TsAGI) في منظومة الطيران العسكري الروسي مركزًا سريًا تُرسم فيه معالم المستقبل، وتُقدّم فيه أفكارٌ رائدة، وتُحدث ثورةً في مجال الديناميكا الهوائية. لقد كان هذا المعهد بمثابة النموذج الجيني للقوة الجوية الروسية لعقودٍ قادمة. فعلى مدى نصف قرن، قاد سلاح الجو في الإمبراطورية من انتصارٍ إلى انتصار، مُحافظًا على طيراننا في طليعة الهجوم.

أصبح معهد تساجي "خبرتنا العملية" الوطنية، وهو نظامٌ مركزيٌّ للتجارب الديناميكية الهوائية لجميع مكاتب تصميم الطائرات في الإمبراطورية. وقد سمح لنا هذا بالاكتفاء بأنفاق رياحٍ أقل بثلاث إلى أربع مرات من تلك الموجودة في أمريكا أو أوروبا الغربية. لفهم مبدأ عمل معهد تساجي، دعونا نلاحظ: ظهر نفق رياح بسرعة تدفق تفوق سرعة الصوت (حيث اختُبرت نماذج الطائرات المستقبلية) قبل وقتٍ طويل من تحليق أول طائرة روسية تفوق سرعة الصوت. بمعنى آخر، كان من المفترض أن يسبق ظهور المنشآت التجريبية هنا العمل على تطوير طائرات جديدة.

في ثمانينيات القرن الماضي، لم يواجه معهد تساجي أي صعوبات. هنا ظهرت أنفاق الرياح ذات سرعات تفوق سرعة الصوت. بمعنى آخر، كنا نستعد لإنشاء طائرات فضائية تصل سرعتها إلى 10 و20 ضعف سرعة الصوت، وصواريخ تفوق سرعة الصوت لمدفعية الدفاع الجوي والقوات الجوية، وطائرات آلية قادرة على القتال بسرعات تصل إلى عدة ماخ. هنا، بنوا غرفة تفريغ مقاومة للحرارة لاختبار سفن من طراز بوران، وأجروا أيضًا اختبارات لأنظمة الضربات الجوية. في معهد تساغيا للهندسة، وُلدت أساليب التحكم في نظام دوامة الجناح، مما جعل مقاتلات سو-27 وميج-29 الروسية لا مثيل لها في العالم من حيث القدرة على المناورة. هنا، وليس في أي مكان آخر، جنبًا إلى جنب مع أمريكا وأوروبا، سيتم تطوير الديناميكا الهوائية لطائرات الركاب من الجيل الجديد عالية الكفاءة في استهلاك الوقود. مع أجنحة ذات تصميم فوق حرج من شأنها أن تقلل استهلاك الوقود إلى النصف. (ولن يمنعنا من بدء حقبة جديدة في الطيران السلمي سوى مشروع غوربوستروي وحملة يلتسين). كان لا يزال يُنجز الكثير من العمل في معهد تساجي حتى انهيار الإمبراطورية. على سبيل المثال، كان العمل يهدف إلى تقليل الرؤية الحرارية والرادارية للآلات مع الحفاظ على أفضل أداء للديناميكية الهوائية. لكن "المصلحين" وجهوا ضربة قاصمة لهذا المصنع المستقبلي. أغرقوا أفضل الكوادر في براثن الفقر، بل وطردوا أصغر العمال وأكثرهم نشاطًا. استنزفوا جميع الأموال بأسعار باهظة، وأغلقوا أنفاق الرياح الفريدة. توقفوا عن إنشاء منشآت جديدة، وأوقفوا العمل الأساسي. بدأ معهد تساجي ينجو كشخص يُلقى في سلة المهملات. حتى أنه افتتح ورشة لصناعة الأحذية! تحقق الهدف الذي حدده هتلر عام ١٩٤١ بنجاح في التسعينيات. يقول الخبراء إننا ما زلنا..

يتألق المعهد في المعارض الجوية الدولية بفضل تطوراته القديمة. لكن الزمن لا يلين، وبينما معهد تساجي عاطل عن العمل، تعمل مراكز الاختبار في أمريكا وأوروبا بلا كلل. قريبًا سنستنفد مخزون الأبحاث السابقة ولن نتمكن من صنع آلات القرن القادم. سيتقاعد العلماء والمهندسون القدامى، لكن لن يكون هناك بديل لهم. لأن الشباب يتحولون إلى حمقى، ملتصقين بالتلفزيون ويمضغون علكة "لذيذة الملمس"، إلى تجار جهلاء. ستنهار المنشآت الفريدة من فرط الخراب.

يومًا ما، سيُقارن ما فُعل بنا في السنوات الأخيرة بدمار روما على يد المخربين. أكره هذا النظام الذي يُنفق تريليونات الروبلات على المزاح، ويهزل انتخاب جثة حية قيصرًا، لكنه يُغرق مستقبل روسيا في التراب. أكرهه!

لقد أحرقنا السماء لأنفسنا. أشعلناها قبل غورباتشوف ويلتسين بوقت طويل. منذ زمن بعيد، قطعت الطريق على آلاف السلاف الشباب إلى المرتفعات، إلى الغيوم والدوامات الهوائية. لن نُخطئ في حق الحقيقة إن قلنا: هلكت الإمبراطورية لأنها نسيت آلاف الطيور الرخيصة المصنوعة من قماش البيركال والشرائح والخشب الرقائقي. عن الطائرات الشراعية.

لا تضحكوا. فآلاف الأشياء في العالم متصلة ببعضها البعض بخيوط خفية، تكاد تكون غامضة.

كان ألكسندر بوكريشكين أعظم طيار روسي في الحرب العالمية الأولى. في مائة وسبع وثلاثين معركة جوية، أسقط 62 طائرة معادية. وكان إريك هارتمان أعظم طيار ألماني، حيث حقق 352 انتصارًا في 825 معركة. في كل تصادم، دمر بوكريشكين 0.45 طائرة معادية، وهارتمان 0.42.

كان كلاهما طياري طائرات شراعية. في عام ١٩٣٦، نظّم بوكريشكين ناديًا في معمل كريمسكايا للتعليب، وبنى هناك "طائرة" بدون محرك. أما والدة هارتمان، إليزابيث، فقد علّمت ابنها قيادة طائرة شراعية في سن العاشرة. وبعد أن جعلته طيارًا شراعيًا بارعًا في سن السادسة عشرة، أصبحت مدربة في مدرسة في شتوتغارت.

لكن الفكرة لا تقتصر على أن طياري الطائرات الشراعية يصبحون طيارين ممتازين، أو ملوكًا في سلاح الجو العسكري. مع أن هذا أمرٌ عظيم أيضًا. فالأمر الرئيسي مختلف: فبعيدًا عن الشجعان اليائسين الذين اقتحموا السماء بآلات بدون محرك، يُصنع محاربون حقيقيون، أصحاب شجاعة جامحة. بعد أن سبروا أغوار السماء، وتسللوا إلى قلب السحب الرعدية، نادرًا ما يصبحون أرواحًا تافهة أو خونة للوطن.

طائرة شراعية بجانب مقاتلة حديثة أشبه بمركب شراعي بجانب طراد نووي. ولكن لقيادة عملاق صاروخي ذي قوة شيطانية، يجب عليك أولًا أن تكتسب مسامير، وأن تسحب حبال الرفع والأغطية على متن سفينة شراعية. هكذا تُصقل الإرادة والشخصية. تذكروا كوكبة الأبطال التي أنتجها أسطول الإبحار الروسي - أناسٌ من فولاذٍ خالص.

الطائرات الشراعية هي سفن القرن العشرين الشراعية. من جرّبوا عنصر الهواء على متنها قد لا يصبحوا طياري تنانين تفوق سرعة الصوت. لكنهم يستطيعون أن يكونوا دبلوماسيين، يُقاتلون بشراسة من أجل مصالح روسيا. أو سياسيين-قادة، يقودون البلاد بثبات إلى قمم عالمية. هذا هو الأهم - الشجاعة والإرادة، والقدرة على تجاوز الخوف والارتقاء فوق المصالح الذاتية التافهة. ما أسعد الوطن حقًا عندما ترتفع فيه جحافل الشباب إلى عنان السماء. هكذا تولد أرستقراطية الروح، صفوة الأمة. وليس مجرد احتياطي من الطيارين. بماذا تُقارن الطائرة الشراعية؟ ربما بسيف الساموراي. أمضى كلٌ من الطيارين المقاتلين اليابانيين في ثلاثينيات القرن الماضي والمصرفيين اليابانيين في تسعينياته ساعات طويلة من حياتهم في ممارسة فن المبارزة بالسيوف. مع أن السيف قد يبدو عديم الفائدة تمامًا في قمرة قيادة طائرة زيرو أو في مكتب مُحوسب، إلا أن تمارين السيف الطويلة تُصقل الإرادة والشجاعة، وتُنمّي روحًا قتالية ورغبة في الفوز.

منح القرن العشرون دولتين عظيمتين ارتعد العالم أمامهما - الروس والألمان. وكلاهما كانا شغوفين بالطيران الشراعي في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي. بعد هزيمتهم على يد الغرب عام ١٩١٨، صنع الألمان آلافًا من طيور القماش والخشب الرقائقي وسجّلوا أرقامًا قياسية عالمية. وبحلول عام ١٩٣١، أُنشئت في بلدنا اثنتان وثلاثون مدرسة للطيران الشراعي ومئات النوادي في المصانع والمعامل. كنا نسعى جاهدين للوصول إلى السماء، وفي خضم هذا الاندفاع، تقدّم أناس من بين العمال والمهندسين والفلاحين والطلاب.

وهكذا صُنع جمال الإمبراطورية وفخرها - أبطالها، جيل من الناس المجنحين، لا الديدان. وبينما أصبح الشباب الغربي أسيرًا للأشياء، يُضيّعون سنواتهم في سعيٍ عبثي وراء المال وفي حاناتٍ دسمةٍ مليئةٍ بالدخان والخمور، أنجب الروس والألمان عباقرةً عسكريين ذوي روحٍ سماوية، يحتقرون الحياة التافهة المُضاغِطة. الحياة التي أنجبت الجيل الحالي من التفاهات التي تحكمنا.

اندفع طيارو الطائرات الشراعية الروس نحو السحاب، وألقوا بأنفسهم مباشرةً في جبهات العواصف الرعدية، وأحيانًا كانت أجهزتهم الهشة تنهار في دواماتٍ هادرةٍ وفي تياراتٍ من الشظايا الجليدية. في ومضاتٍ من البرق،

أصبح هؤلاء الرجال نخبةً حقيقية. ستيبانتشونوك، غافريش، يونغمايستر، أنتونوف، غروشيف، غولوفين، أوفسيانيكوف... أناسٌ أسطوريون. أحتفظ بعناية بكتاب ممزق بعنوان "على أمواج المحيط الجوي" لـ ن. بوبروف وأ. فينوكوروف، نُشر عام ١٩٥٧.

"أول ما شعرت به في ظلمة السحابة كان هزة قوية. ارتطمت بالمقعد... وفي الوقت نفسه، ارتطمت الطائرة الشراعية من جانب إلى آخر، كما لو أن قبضات قوية خفية تضربها. كل هذا كان مصحوبًا بصافرة مدوية، وزئير، وعويل للريح. ارتطمت بجوانب مقصورتي الضيقة، وارتطمت بالمظلة. مع رفع مقدمتها، اندفعت الطائرة الشراعية..."

لكنها كانت تنطلق صعودًا في الظلام الدامس الكئيب... فجأة بدأ المطر ينهمر مع البَرَد.

ضربت حبات البَرَد وجهي بشكل مؤلم؛ سمعتها ترتطم بأغطية الطائرة الشراعية. انهمر المطر عليّ، كنت أتنفس بصعوبة، أبصق الماء الذي دخل فمي بين الحين والآخر. سرعان ما تبللتُ حتى الجلد.

طوال هذا الوقت، كانت الطائرة الشراعية تُجري عشرات من أعنف المناورات. كانت أجنحتها تهتز، ورغم أنني لم أستطع رؤية لوحات التحكم، إلا أنني شعرت بها تنحني. وكان كل هذا يحدث بسرعة حوالي 200 كيلومتر في الساعة، أي ما يقرب من أربعة أضعاف السرعة الطبيعية. أصبح الوضع حرجًا؛ كان الحمل الزائد على الطائرة الشراعية... كبيرًا جدًا.

شعرت بالقلق... لمعت في ذهني عشرات الطرق المختلفة لإنقاذ نفسي كالبرق. أولها كان القفز من السحابة. لكن... السرعة هائلة بالفعل... قفزة بالمظلة؟... إذا شوّهت تيارات الهواء المضطربة طائرة شراعية قوية كهذه، فماذا سيحدث للمظلة؟ حتى لو انفتحت، ستتمزق في الهواء، أو الأسوأ من ذلك، ستتشابك خيوطها، وسأُلقى على الصخور...

ترددت في أذني صافرة، وهمهمة الريح، وطقطقة مريبة، وزئير متواصل، صدى مؤلم. كنت متعبًا، وبدأت يداي توخزان، وعظامي تؤلمني كما لو كنت أعاني من الروماتيزم... استمرت الطائرة الشراعية في التطاير كشظية. كانت ترقص رقصة وحشية بين السحب، في أي وضع غير طبيعي.

توقف البَرَد فجأة كما بدأ، لكن المطر استمر بقوة لا هوادة فيها. غمرت المياه الأكواب، ولم تعد الأدوات مرئية. مزّقت الأكواب، وفي تلك اللحظة أصبح خفيفًا. "نظرتُ إلى أسفل، فرأيتُ الأرض"، هذا ما يتذكره نيكوديم سيمونوف، الذي ألقى بطائرته الشراعية في قلب عاصفة رعدية في 17 سبتمبر/أيلول 1933.

نقدم لكم هذا المقتطف لتتعرفوا ولو قليلاً على عالم هؤلاء الأشخاص الرائعين.

سمّوهم نسورًا أو صقورًا. استشعروا سحر مواجهة قوى الطبيعة وجهًا لوجه، هذا السحر الذي يأسر الشجعان، يا قارئنا! ربما كنتم تجلسون أمام شاشة كمبيوتر، "ترشدون" "مقاتلًا" خياليًا عبر "سماوات" إلكترونية غير طبيعية. في غرفة دافئة، على كرسيّ ناعم ومريح. افهم يا صديقي، الحاسوب بديل، بديلٌ عن حياة الضعفاء. وما اختبره أسلافنا هو واقعٌ حقيقي.

لهذا السبب نعلم أن القادة السوفييت امتلكوا أقوى الوسائل لبناء مجرة كاملة من الشعب الإمبراطوري. ففي النهاية، الطائرة الشراعية شيءٌ غير مكلف. أرخص بكثير من حاسوب بنتيوم الحالي، الذي يُفترض أنه قادر على "قيادة" طائرة بوينغ. لقد أعطانا أجدادنا هذه الأداة. في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، كان بإمكان عشرات، بل مئات الآلاف من الطائرات الشراعية أن تُحلّق في سماء البلاد!

لكنها لم تُحلّق. لقد جعلونا بمهارة أمةً بلا أجنحة، مُدمّرين أساس الإمبراطورية - الروح القتالية، والسعي نحو السماء. أرسى كبار شخصيات الكرملين البليدين والضعفاء أسس الاضمحلال، واستبدال القيم الحقيقية بالزائفة. أصبح من المرموق ألا نكون، بل أن نمتلك. ألا نكون أقوياء وشجاعين، بل أن نمتلك - سراويلٌ من أنابيب الصرف، وجهاز فيديو، و"سيارة". وهكذا وُلد جيلٌ يُقدّس علب العلكة الأمريكية التي تُحلّق في السماء. يتبعها كقطيعٍ من العِقاب، كما لو كان وراء عمودٍ مُظلمٍ من الرب. غير مُبالٍ بكل ما لا يُهمّ جيوبهم، أو بطونهم، أو أعضائهم التناسلية.

أسير مع زوجتي في سوق تشيركيزوفسكي للسلع المستعملة في موسكو، وسوائلٌ مُقززةٌ تتدفق تحت أقدامي، وأختنق من صخب الحشد. يُزعجني الكلام الأذربيجاني. يا إلهي، كم يُذكرني بحشود الصراصير على كومةٍ من نفايات المطبخ! ويبدو أن وطني الأمّ قد تحوّل إلى هذه الكتلة المُتلويّة المُقززة. مواطنو بلدي يتدافعون، ويهرعون بلا هدىً بين أكوام الخرق. غير مُبالين حتى بحقيقة أن يلتسين وقّع أمس على استسلام روسيا لآلافٍ من بلطجية الشيشان، مُتعهدًا بدفع الجزية المُبتزّة من الشعب الروسي. هؤلاء لم يعودوا بشرًا. إنهم كتلة حيوية. بلا معنى. بلا وطن ولا فخر وطني. ملعونون "بضعة أناس"، مستهلكون. بدين "الأنا"، بشعار "العطاء". وفي هذا الوحل، لا تغرق إلا قلوب شجاعة وصادقة.

هناك أحد أعراض انحلال المجتمع. يشبه ظهور "البلوز" وغيرهم من المنحرفين. إنه اختفاء عبادة الطيارين، وتأليه أسياد الجو. لا يولد بناة الإمبراطوريات ومدافعوها في أجواء اللجان الإقليمية الخانقة أو في عقم مكاتب البنوك التقليدية الباردة. لا تتكاثر هنا إلا الحشرات غير البشرية. من أولئك المستعدين لتمزيق البلاد إلى آلاف الأجزاء المجهرية. ليجلسوا عليها كقياصرة أو حكام أو رؤساء. يعرفون كيف يكسبون المال، لكنهم لا ينجزون المآثر.

لقد جعلنا احتراق السماء من أهل الليليبوت. أهل الليليبوت يحكموننا، ويعلموننا من صفحات الصحف ومن شاشات التلفزيون. أعرف صحفيًا واحدًا. هذا تُطلق على المقاتلين الشيشان اسمًا خاصًا بها، وتحصل على ثلاثة آلاف دولار مقابل كل رحلة إليهم. إنها تُحب هذه الحياة! أعرف صحفية أخرى، يهودية في الثلاثين من عمرها، تعيسة في حياتها الشخصية. ترتجف فرحًا، متأثرة ببياض مكاتب البنوك، وحشوها المستورد. من المستحيل إثبات أن هذا الفخامة قد تحققت على حساب التجارة الهمجية بالمواد الخام، وعلى حساب تدمير التكنولوجيا الروسية.

معجزات لم يشهدها العالم قط. لكنها لا تعرف ذلك ولا تريد أن تعرفه. وكلتا السيدتين تعملان في صحف كبرى، تُعلّمان ملايين الناس كيف يعيشون.

ولكن أين أنتم أيها الروس المجنّحون، ملائكة عصر الفولاذ، أنصاف الآلهة؟ تنظر إلينا فقط من صفحات مصفرة، ونلتقط بشوق انعكاسات بعيدة لعالمك الجميل والمرعب:

"... كانت سحابة رعدية تقترب على شكل جدار رمادي داكن متموج... كان ظهور جبهة عاصفة رعدية غريبًا للغاية. الآن، بالقرب من "تشايكا"، ظهرت أولى خيوط السحب الرمادية. تألقت بشكل مذهل في أشعة الشمس النادرة، وهذا اللمعان آذَى العيون. خلف بقايا السحب، نمت سلسلة من السحب السوداء ذات الحفيف...

... لمعت في ذهني فكرة مغرية - أن أدخل مركز السحابة وأسير معها. هذا ما فعلته. اختفت الأرض على الفور عن الأنظار. غطى كل شيء ضباب رمادي كثيف. بالكاد أستطيع رؤية أطراف الأجنحة، وجّهت الطائرة الشراعية باستخدام الأدوات...

... كان الجو رطبًا، باردًا، مظلمًا. لم تعمل البوصلة، ولم أكن أعرف إلى أين تتجه السحب - إلى البحر، إلى الجبال، أو إلى الشرق، إلى السهل. إن جرفتني الرياح إلى الجبال، فسأسقط؛ وإن جرفتني الرياح إلى البحر، فسأغرق..."

يا أصحاب الهمم العالية، حاملي سيف الإمبراطورية - من أبعد عن عالم المستهلكين الأغبياء، والكتبة الفاسدين، والسياسيين الأغبياء القادرين على تدمير بلدٍ ما لمصالحهم الشخصية وطموحاتهم؟ في قديم الزمان، كُتبت رواية خيال علمي في أمريكا، قُسّمت فيها الأرض بعد الحرب إلى آلاف الدويلات الصغيرة، التي انخرط زعماؤها في عداوات لا تنتهي فيما بينهم. ثم أعاد الطيارون النظام إلى الكوكب.

يبدو لي أن بلدي قد تحوّل الآن إلى حطام. لكن أين الطيارون القادرون على جمع القطع المتناثرة؟ أين أصحاب الروح المتوقدة، الذين يعشقون اللعب بالموت لا من أجل المال أو الرتب أو النفوذ، بل لأنه من طبعهم؟

هؤلاء موجودون اليوم، ومنهم نستطيع أن نبني جيش الإمبراطورية الجديدة، جيش إعادة التوحيد. هل تذكرون شهر يوليو/تموز عام ١٩٩٣ المروع، عندما نفذ البسماتشي مجزرة في الموقع الثاني عشر في طاجيكستان،

وكانت جحافل المجاهدين المسلحة تجهز نفسها للاندفاع نحو الوديان؟ كانوا يبحثون عن عشرات الآلاف من العبيد لمزارع المخدرات، ومناجم اليورانيوم في تشكالوفسك التي تضم عمالاً روساً، ونقطة انطلاق لهجوم على آسيا الوسطى وكازاخستان، ومخرج إلى الحدود الجنوبية العاجزة لروسيا اليوم.

ثم نُقل فوج الطيران الهجومي ١٨٦ من مقاطعة موسكو إلى منطقة الحرب. هاجم الطيارون الروس المجاهدين بعنف، مُمطرين إياهم بما يصل إلى ثمانين طناً من القنابل والصواريخ يومياً. وأوقفوا هجوم العدو. لكن من في روسيا علم بإنجاز هؤلاء الأبطال الذين حلّقوا تحت صواريخ ستينجر التي أطلقها البرابرة المتوحشون؟

في ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٤، بدأت عملية لتدمير "الورم السرطاني" في الشيشان. في الفترة من 1 ديسمبر إلى 17 مارس 1995، دمر الطيارون الروس، على متن طائرات قديمة مهترئة، أسطول دوداييف الجوي بأكمله، المكون من 265 طائرة وثلاث مروحيات. كما أحرقوا 20 دبابة و25 مركبة مدرعة، و6 مدافع ذاتية الحركة، و130 سيارة، وسبعة جسور، والعديد من مستودعات الذخيرة والوقود. وليس ذنب جنودنا الأبطال أنهم أُرسلوا للدفاع عن وحدة دولة غير موجودة أصلاً، وأن هذه الحرب شنها من استغلوها لتحقيق مكاسب مادية، ومن باعوا الأسلحة والخطط السرية للعدو. وحتى يومنا هذا، لا يستطيع الصحفيون العسكريون الحديث عن مآثر الطيارين الذين قاتلوا من دمروا وحدة البلاد. فبسبب غياب الدولة، وفي ظل الفوضى العارمة التي تعم روسيا، يمكن للوحوش الشيشانية أن تذبح بسهولة عائلات الطيارين انتقاماً، أينما كانوا. ففي نهاية المطاف، تسيطر المافيا القوقازية الآن على كل شيء من سمولينسك إلى كامتشاتكا. خاصة الآن، بعد أن استسلمت حثالة الكرملين لآلاف البلطجية...

في السنوات الأخيرة، نشأت هنا في موسكو "ثقافة" استهلاكية خاصة - سكان النوادي الليلية والعروض والمنصات. شيء بلا جنس، طويل الشعر، هزيل وشاحب، كالعث. يلتقطهم التلفزيون بشراهة بعدسات الكاميرات، ناشرًا صورهم للأرواح الشريرة كقدوة يُحتذى بها. فنانو مكياج مخنثون، متخصصون في مستحضرات التجميل، ينفقون الأموال. مصممو أزياء "زرق" المظهر يُمنحون جوائز بآلاف الدولارات لمجموعة من الملابس الفاخرة. يا له من شوقٍ لرؤيتهم يصطدمون بوجوههم بحذاء رقيب مزيف! أو طردهم إلى حقول البطاطس، في مهب الريح النفاذة. حيثُ ينتمون. فقط لأنهم، الجهلاء، يجنون آلاف الدولارات، بينما يُصيب خبراء الطاقة النووية جباههم برصاصة من الفقر، بينما يفقد الطيارون الشجعان زوجاتهم ويتلقون بنسات زهيدة. وعندما تكتشف أن الشيشانيين أطلقوا النار على والد ووالدة المحقق إيغور غلاتشينكو، الذي يقود قضية شامل باساييف، سترغب في تحطيم هذا "العالم" اللامع والمرح إلى أشلاء.

ها هو ذا، ثمن السماء المحروقة!

ولكن - بعيدًا عن عالم العجائب. لندخل إلى عالم الفولاذ اللامع والمخيف، حيث تسود العبقرية الروسية في دقات البرق وفي مرمى خيوط الليزر الياقوتية! وطريقنا يكمن في محيط العالم...

الفصل 13. "إيلات" تتجه نحو القاع. على خطى الكابتن نيمو. الاختراق الروسي في محيط العالم.

1

انتهت الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967 بالفعل. في 21 أكتوبر، غزت المدمرة البحرية الإسرائيلية "إيلات" المياه الإقليمية المصرية مرة أخرى. في الساعة الخامسة مساءً من بورسعيد

انطلق زورقان صاروخيان مصريان، روسيان من طراز كومار، للهجوم. استُرشدا بالعدو من مواقع ساحلية، وأطلقا صاروخين على منتهك الحدود عند اقترابهما.

رصدهما الإسرائيليون على مسافة ستة أميال، لكنهم ظنوا أنهما يمران. إلا أن ذيول الصواريخ استدارت: صوبت رؤوسها الموجهة بدقة نحو الهدف...

... في محاولة يائسة لإنقاذ أنفسهم، أطلق اليهود النار على الصواريخ من مدافع مضادة للطائرات سريعة الإطلاق عيار 40 ملم. اهتزت سفينة إيلات بكامل بدنها، ووصلت إلى سرعة قصوى بلغت 36 عقدة، مناورةً بحماس على أمل الفرار. لكن دون جدوى...

أصابت الضربة الأولى الهيكل العلوي، وهز انفجار قوي السفينة. وبعد ثوانٍ قليلة، اخترق الصاروخ الثاني جانب السفينة، وتناثر في غرفة المحركات. أصابت المدمرة المحترقة مركزها تقريبًا، ففقدت سرعتها... تمكن اليهود من إخماد النيران وضخ الماء من المحرك عندما ارتطم الصاروخ الثالث بمؤخرتها. تدفق الماء إلى الحفرة مدويًا، وبدأت إيلات تغرق بسرعة. لم تكد القوارب والطوافات تنطلق من السفينة المقلوبة حتى أصاب الصاروخ الرابع مؤخرتها وأنهى المهمة.

هكذا غرقت إيلات، مدمرة ليست قديمة جدًا من طراز Z، بُنيت في إنجلترا عام ١٩٤٤. جمالٌ سريع، إزاحته ٢,٥ ألف طن، بمحرك قوي بقوة ٤٠ ألف حصان، مُسلحة بأربعة مدافع عيار ١١٤ ملم، وستة مدافع مضادة للطائرات، وقاذفات هاون، وأنابيب طوربيد. وممن؟ من قذائف كومار الروسية الغريبة!

تعرضت المدمرة الإسرائيلية لهجوم من قوارب روسية صممها مكتب ألماز المركزي للتصميم البحري عام ١٩٥٦، وكانت كل منها مزودة بصاروخي كروز من طراز P-15. بُنيت هذه القوارب في فلاديفوستوك وسانت بطرسبرغ - ١١٢ قاربًا بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٥.

قلبت لدغة "كومار" القاتلة الاستراتيجية البحرية لأواخر الستينيات رأسًا على عقب. حتى ذلك الحين، كان يُعتقد أن قوارب الصواريخ سلاح الضعفاء والفقراء، وأن صاروخ كروز لا يستطيع تدمير سفينة سطحية كبيرة. أما أمريكا، الفخورة بعمالقتها الفولاذية - حاملات الطائرات والطرادات - فقد نظرت بازدراء إلى "القذائف" الروسية.

كان موت "إيلات" صدمةً وإثارةً. وتنافس الخبراء الأجانب على الحديث عن كيف يمنح الاختراع الروسي الأساطيل الصغيرة قوةً هجوميةً تعادل قوة أسراب السفن الكبيرة. ومنذ عام ١٩٧٠، ينهمك الغرب في بناء قوارب الصواريخ الخاصة به. "جاغوار"، "أشفيل"، "سوردفيش"، "بيغاسوس"...

2

لنستبق الأحداث، نقول: إنهم لم يتمكنوا قط من اللحاق بنا، نحن الروس، في مهارة بناء حاملات الصواريخ الصغيرة. لم يفهموا تمامًا أنه في الحرب البحرية، لا تنجو إلا السفن الكبيرة المدرعة المحمية جيدًا. واصل الغرب إنتاج الطرادات والمدمرات والفرقاطات من السبائك الخفيفة والألمنيوم والبلاستيك، مما جعلها عرضة للسفن الصغيرة التي تحمل صواريخ كروز.

في السبعينيات والثمانينيات، وحتى في عهد غورباتشوف، كانت إمبراطوريتنا تمتلك أقوى أسطول من زوارق الصواريخ وأكثرها عددًا في العالم.

بعد تدمير إيلات عام 1967 وإغراق المدمرة الباكستانية الأكبر حجمًا "خيبر" في ديسمبر 1971 (بعد هجوم شنته زوارق هندية من طراز أوسا)، أغرقت صواريخ كروز السفن الحربية الغربية أيضًا.

في عام ١٩٨٢، خلال حرب جزر فوكلاند، هاجم الأرجنتينيون الأسطول البريطاني بصواريخ إكزوسيت ضعيفة نسبيًا باستخدام طائرات ضعيفة. في ٤ مايو ١٩٨٢، حلّقت طائرتان من طراز إتاندار على ارتفاع منخفض إلى مسافة ٥٠ ميلًا من المدمرتين بليموث وشيفيلد، فأصابتهما بصواريخ. لم تكن ضربة كهذه لتتسبب في أضرار جسيمة لطراد من أواخر القرن التاسع عشر مثل أورورا أو فارياج. ومع ذلك، في عام ١٩٨٢، لم تصطدم إكزوسيت بدروع بوتيلوف، بل بصفائح ١٠ ملم الخاصة بطراد شيفيلد.

قُتل ٢٠ بريطانيًا. أصيب العديد منهم بحروق نتيجة ذوبان الهياكل البلاستيكية وحواجز الألومنيوم. وتسمم بعضهم بالدخان السام الناتج عن احتراق البوليمرات. غرقت شيفيلد، التي تبلغ قيمتها ٢٧٠ مليون دولار، محملة بالإلكترونيات والأسلحة النووية، بسبب صاروخ بقيمة مليون دولار.

اتضح أن جميع السفن الحربية الغربية تقريبًا في الثمانينيات كانت أشبه بقشر البيض. وفي 17 مايو/أيار 1987، أصاب صاروخان عراقيان (أحدهما لم ينفجر!) الفرقاطة الأمريكية ستارك، فانفجرت فجأةً. واندلع حريقٌ هائل، تمامًا مثل حريق شيفيلد.

ولكن في أوائل السبعينيات، أطلقت طائرة أمريكية عن طريق الخطأ صاروخًا مضادًا للرادار من طراز Shrike على الفرقاطة ووردن، محققةً نجاحًا باهرًا.

بعد أن انفجر الصاروخ على ارتفاع 25-30 مترًا فوق السفينة، دمر هياكلها العلوية الخفيفة، مما أدى إلى شلل الفرقاطة بسبب ماس كهربائي، وتعطيل جميع الأنظمة، وقطع الكابلات الموضوعة في المناطق المفتوحة من ووردن.

ولذلك، لو هاجمت سفننا الإمبراطورية هذه السفن بصواريخ Termit القوية، لكان مصيرها واحدًا - الموت.

3

لم يكن الاتحاد السوفيتي يخشى وجود أحد في مياهه. لأن سفن كومار استُبدلت عام ١٩٦٠ بسفن واسب، التي بُنيت حتى عام ١٩٧٠. كانت تُصيب العدو بصواريخ تيرميت من مسافة ثمانين ميلاً، وليس أربعين ميلاً. (تذكروا أن سفن شيفيلد أُصيبت بجروح قاتلة من مسافة ٥٠ كيلومتراً). وقد بنينا ما يصل إلى أربعمائة قارب واسب!

في عام ١٩٧٣، صمم مصممو ومهندسو ألماز قارب مولنيا. يُطلق عليه حلف شمال الأطلسي اسم "الرتيلاء"، نسبةً إلى العنكبوت ذي الذيل.

اللسعة الأشد فتكًا. منذ عام ١٩٨٠، بنى الاتحاد السوفيتي السلسلة الثانية من سفن "مولنيا" - وهي سفنٌ تجمع بين القوة والسرعة والتكنولوجيا الروسية. ولأنها أصغر بخمس مرات من سفينة مثل "إيلات" وأصغر بثماني مرات تقريبًا من "شيفيلد" (إزاحة "مولنيا" ٥٠٠ طن فقط)، فقد حملت هذه السفن السريعة قوةً ضاربةً تعادل قوة الطراد.

من جانبي القارب، الذي يبلغ طوله ٥٦ مترًا، هددت حاويتان مجنحتان من سفن "النمل الأبيض". يُحوّل اصطدامها حتى حاملة طائرات ضخمة إلى جحيمٍ مُشتعل، ولا داعي للحديث عن المدمرات والفرقاطات الأمريكية. بعد إطلاق صواريخها، دخلت "مولنيا" من المشروع ١٢٤١,١ (١٩٨٠) في معركةٍ حتى مع مُدمرةٍ حديثة، مُخترقةً جوانبها الرقيقة بنيران أفضل بندقية AK-176 سريعة النيران عيار ٧٦ ملم في العالم. كما أنها تُمطر العدو بقذائف من رشاشين من طراز AK-630 بستة براميل، موجهين برادار Vympel.

تحمل هذه السفينة الصغيرة، التي تزن خمسمائة طن، نفس أسلحة الفرقاطة الأمريكية من فئة ستارك، بإزاحة 3605 أطنان وطول 135 مترًا! لأن ستارك تحمل نفس المدفع عيار 76 ملم وستة رشاشات عيار 20 ملم.

لن تكون مولنيا أيضًا فريسة سهلة للمدمرة الأمريكية من فئة سبروانس، لأنها لا تحمل سوى حاملتي مدفعية عيار 76 ملم على متنها. وإذا أطلقت صاروخًا مضادًا للسفن من طراز هاربون على زورق روسي، فإن مولنيا قادرة على إسقاطه بنيران مدافعها الست براميل بمعدل إطلاق 6 آلاف قذيفة في الدقيقة، مما يُمكّنها من رصد صاروخ الكروز في الرادار.

هذه الأنظمة فائقة السرعة هي التي يجب أن تحمي سفن "لايتنينغ" الروسية التي تهاجم الأساطيل الغربية عندما يبدأ الأمريكيون بالدفاع عن أنفسهم بصواريخ كروز والمروحيات والهجمات الجوية. ولمواجهة هذه الهجمات، زودت سفننا بحزم صواريخ إيغلا المضادة للطائرات في مؤخرتها، وهي تتفوق على صواريخ "ستينجر" الأمريكية الشهيرة.

بتشغيلها محركين توربينيين متنقلين بقوة 12 ألف حصان لكل منهما، ومحركين توربينيين مسيرين بقوة 4 آلاف حصان لكل منهما، تندفع "لايتنينغ" للأمام بسرعة 40 عقدة - 73 كيلومترًا في الساعة.

وصفنا مدفع AK-176 في سفننا بأنه الأفضل في العالم. وهو كذلك: مدفع معجزة عيار 76 ملم، طُوّر في مصنع غوركي لبناء الآلات، ودخل الخدمة في الإمبراطورية عام 1979. يستطيع هذا المدفع إصابة أهداف جوية وبحرية وبرية برشقات من القذائف المحملة بـ 400 غرام من متفجرات A-1X-2 القوية. تبلغ قوتها حد إصابة

انفجار القذيفة لطائرة أو صاروخ يحلق في دائرة نصف قطرها ثمانية أمتار. ولإطلاقها، زُوّدت هذه القذائف بفتيل رادار AR-51L (موديليست-كونستركتور، العدد 4، 1996).

يستطيع هذا المدفع إطلاق النار على مسافة 15.7 ميلاً و13 كيلومتراً. وبفضل توجيهه بواسطة رادار وكاميرا تلفزيونية مزودة بمقياس مدى ليزري، يمكنه تدمير صواريخ كروز الأمريكية من طرازي هاربون وتوماهوك، التي تعتبرها الولايات المتحدة سلاحاً معجزاً.

٤

منذ عام ١٩٨١، أُطلقت في سانت بطرسبرغ أربعة عشر قاربًا من مشروع ١٢٤١ RE، يُطلق عليها الأمريكيون اسم "تارانتول-Z". هذه الغواصات الروسية فائقة السرعة. وهي مُسلحة بصواريخ "موسكيت" المضادة للسفن، والتي لا مثيل لها في العالم حتى يومنا هذا (سنتحدث عنها في فصل "الحرب البحرية في بداية الألفية الثالثة...").

بدأ تحديث السلسلة الثانية من غواصات "لايتنينغ" في عهد غورباتشوف. زُوّد القارب R-71 بنظام "كورتيك" الفريد، القادر على تدمير صاروخ كروز أو طائرة أو مروحية أو قنبلة موجهة في دائرة نصف قطرها ثمانية أميال وعلى ارتفاعات تصل إلى أربعة كيلومترات، بفضل إطلاق الصواريخ ومدفعين سداسيي السبطانة عيار ٣٠ ملم (١٠ آلاف طلقة في الدقيقة). يُشكّل هذا النظام قبةً غير مرئية، لكنها منيعة، فوق السفينة، قادرة على تغطية مدينة صغيرة. حتى الآن، بعد تفكك الاتحاد السوفيتي بالقوة، طوّر مكتب ألماز للتصميم قارب المشروع 1241.8، الذي عُرض في معرض آيدكس-93 في أبوظبي. يحمل القارب بالفعل صواريخ من الجيل الجديد، أورانوس، بمدى أكبر.

مع هذا الأسطول القوي والرخيص، كان خوف الكرملين من البحرية الأمريكية إجراميًا. ليس فقط قبالة السواحل الروسية.

كان لدينا حلفاء في العديد من النقاط الاستراتيجية حول العالم. جزيرة سقطرى اليمنية والساحل العراقي قادران على حماية الخليج العربي من هجمات الزوارق. ليبيا - وسط البحر الأبيض المتوسط. الصرب - البحر الأدرياتيكي. كوبا - خليج المكسيك. كوريا الشمالية وفيتنام، وقاعدتنا في كام رانه - خليج تونكين، وحتى اليابان. أنغولا - جنوب أفريقيا.

كان الغرب يخشوننا كالنار في الهشيم، رغم تظاهرهم بالعداء. وهكذا تنفسوا الصعداء عندما بدأ غورباتشوف وخلفاؤه عملهم القذر، ودمر يلتسين أخيرًا الأسطول الإمبراطوري.

5

لقد انجرفنا قليلاً في سرد قصة نوع واحد فقط من الأسلحة البحرية للإمبراطورية. لكن لنعد إلى عام 1967، عندما صُدم العالم بغرق إيلات. لم يقتصر الأمر على أن الروس أذهلوا الجميع مرة أخرى بسلاح جديد، بل لم يقتصر الأمر على أن هذا السلاح، وهو من بنات أفكار الثقافة السلافية الأرثوذكسية، قد أغرق سفينة الشعب المختار، الذي كان يدّعي النفوذ العالمي، بعد أن استولى على زمام الحكم الحقيقي في الولايات المتحدة. المغزى إذن هو أن تدمير إيلات أعلن مرة أخرى: الروس يقتحمون محيط العالم!

قبل عام من الهجوم على بورسعيد، في ربيع عام 1966، صُدم العالم بالخبر: أبحرت الغواصتان النوويتان الروسيتان K-133 وK-116 حول العالم في ثلاثة أشهر،

دون أن تطفو على السطح. ليس تمامًا مثل سفينة نوتيلوس للكابتن نيمو - تلك التي طفت على السطح - بل تحت الماء من البداية إلى النهاية.

بعد مغادرتها خليج كولا في 2 فبراير، عبرت القوارب الروسية المحيط المتجمد الشمالي، وعبرت المحيط الأطلسي من الشمال إلى الجنوب، وعبرت خط الاستواء، ودخلت مياه أنتاركتيكا العاصفة. بعد أن دارت حول كيب هورن، مهددةً بالصخور تحت الماء والعواصف العاتية، اجتازت ممر دريك، المليء بالتيارات والعواصف الغادرة، وعبرت المحيط الهادئ، ولم تطفُ على السطح إلا في وجهتها - كامتشاتكا.

تبعتها السفن النووية في زوج قتالي - الصاروخ K-116 والطوربيد K-133، محميين إياه من قوارب العدو المقاتلة. في ذلك الوقت، لم تكن غواصاتنا تعرف بعد كيفية إطلاق الصواريخ من تحت الماء، ولذلك كان على الغواصات الصعود إلى السطح لضرب الأهداف، لتصبح هدفًا سهلًا لضربات من تحت أمواج البحر. ولهذا الغرض، زُوّدت حاملات الصواريخ بـ"حراس" طوربيدات نووية. في تلك الرحلة، قاد غواصاتنا "النوتيلوس" كلٌّ من الأدميرال أ. سوروكين، والنقيب من الرتبة الثانية ف. فينوغرادوف، و ل. ستوليياروف. يستذكر أحد المشاركين، الأدميرال فالنتين كوزلوف، تفاصيل هذه الرحلة في مجلة "التكنولوجيا - الشباب" العدد 6 لعام 1966.

... كان عليهم أن يسلكوا مسارات مجهولة. ومن مركز القيادة المركزية في منطقة موسكو، أرسلوا رسائل مشفرة إلى الغواصات حول الوضع على طول الطريق، وذلك لتجنب الاصطدام بالسفن الأجنبية. كان الأمر صعبًا للغاية في جنوب المحيط العالمي، الذي لا يزال يزخر بـ"المناطق الخالية" لعلماء المحيطات. لا يُعرف الكثير عن التيارات المحلية، وتضاريس القاع بهضابها وأوديتها وسلاسلها الجبلية تحت الماء. وكان من المخيف والغامض بشكل خاص المنحدرات الضخمة تحت الماء، التي ترتفع من مملكة الليل الأبدي، من عمق 2-3 كيلومترات، ولا تصل إلى السطح إلا بمسافة 200 متر.

تُشكّل هذه المياه ما يُسمى بالمياه الضحلة في المحيطات، ولم يُبذل العلماء جهدًا كبيرًا لرسمها بدقة على الخرائط من قبل - فهي في النهاية لا تُشكّل أي خطر على السفن السطحية. لولا الهيكل الضيق لغواصة تتحرك بسرعة 15-20 عقدة، لكان الاصطدام بجرف تحت الماء مُهددًا بالموت.

كان الماء سيندفع إلى الهيكل المُنهار مُدويًا، وكان ضغط المحيط الهائل سيضغط الهواء داخل حجراته في لمح البصر، كما يضغط مكبس ديزل عليه في أسطوانة، مُولّدًا حرارة تصل إلى مئات الدرجات على الفور. وكان الطاقم سيحترق حيًا، كما لو كان في فرن عملاق.

لكن الغواصات الروسية تجنبت هذه المخاطر. تخيّل، أيها القارئ، أنها كانت تُبحر بأقصى سرعة، ومفاعلاتها تعمل بأقصى طاقتها - في الأعماق حيث لا يخترقها شعاع واحد من ضوء الشمس! كانوا يُبحرون، مُخيفين أسماكًا مُتوهجة غريبة. لم تكن هناك نوافذ في هياكلها - لأنها كانت ستُضعف من قوتها، وكان على الغواصة أن تصمد أمام موجات الصدمة الناتجة عن انفجارات قنابل الأعماق والطوربيدات القريبة. لهذا السبب، لم تكن هناك رسوم توضيحية من جول فيرن، حيث تشق نوتيلوس طريقها عبر الظلام بشعاع قوي من أشعة الكشاف، وينظر القبطان، ذراعيه متقاطعتين، إلى الأعماق من خلال زجاج غرفة القيادة البلوري. لا، كان غواصونا يتابعوننا في الظلام، وكانت أعينهم عبارة عن سونار وأجهزة صدى وخرائط. هاويات بطول كيلومترات تمتد تحت قيعان السفن، والغرق فيها يعني موتًا محققًا. راقب الميكانيكيون عن كثب عمل المفاعلات والتوربينات. كما هدد حريق في سمكة فولاذية محكمة الإغلاق بالموت.

افتح خرائط قاع المحيط الهادئ أيها القارئ. ألقِ نظرة عن كثب على العالم المجهول وغير المرئي الذي حلقت فوقه الغواصات الروسية. صدع كلاريون. جبال ماركوس-نيكر. خندق ماريانا، بعمق 12 ميلًا. نجحنا في إتمام هذه الرحلة الاستكشافية الكبرى. أكملناها دون أن تلاحظها الأساطيل الغربية. حتى ذلك الحين، كانت الغواصة النووية الأمريكية "تريتون" وحدها هي القادرة على الإبحار حول العالم في فبراير ومايو 1960، وحتى حينها اضطرت للصعود إلى السطح مرتين. المرة الأولى كانت لتسليم بحار مريض إلى الطراد "ماكون". أما المرة الثانية فكانت بسبب مشاكل فنية.

كانت التكنولوجيا الأمريكية المُفاخرة بها تتعطل. تعطل جهاز قياس الصدى والسونار، وكذلك أنظمة أحد المفاعلات. وحدث تسرب كبير في ختم عمود المروحة الأيمن. في الوقت نفسه، اعتمدت "تريتون" على المساعدة من كل مكان: فقد رُسم مسارها بحيث تلتقي بأكبر عدد ممكن من الطرادات وحاملات الطائرات.

لم يكن لدى أبطالنا من يتوقعون المساعدة. كانت رحلتهم أشبه برحلة بين النجوم، حيث لا يمكنك الاعتماد إلا على نفسك وعلى موثوقية سفنك. لقد تحملوا أحمالًا هائلة.

وأيُّ حمقٍ هذا الذي جلس في الكرملين إن لم يُقِموا نُصُبًا تذكاريةً للمشاركين في تلك البعثة، ولم يُصَوّروا أفلامًا عنهم، ولم يُكَرِّموهم كأوائل رواد فضاء! كان ينبغي على كلِّ شابٍ في بلدنا أن يعرف أسماءهم.

كان الأمرُ بمثابةِ صاعقةٍ فوق رؤوس الغرب: انطلق الأسطول الروسي إلى المحيط، مُحمَّلًا بأسلحةٍ لسحق حصون العدو العائمة. بعد إعلان وزير دفاع الاتحاد السوفيتي، روديون مالينوفسكي، انتهاء الرحلة، أُقيل رئيسُ الاستخبارات البحرية الأمريكية آنذاك.

منذُ تأسيسه على يد بطرس الأكبر، لم يكن الأسطول الروسي أسطولًا عابرًا للمحيطات. مآثر الأدميرالات أوشاكوف، وسنيافين، وناخيموف، وكورنيلوف، ولازاريف، والرحلات النارية في الحرب الوطنية العظمى - جميعها لم تتجاوز بحر البلطيق، والبحر الأسود، والبحر الأبيض المتوسط.

كانت الحملات البحرية للأسطول الروسي حتى ذلك الحين تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة. في عشرينيات القرن الثامن عشر، قام بيتر بتجهيز بعثة استكشافية

من فرقاطتين لغزو جزيرة مدغشقر - محاولة جريئة من الأسطول الروسي الشاب! ولكن بمجرد مغادرتهم ميناء بالتييسكي في إستونيا، الذي استُعيد من السويديين، انفتح ثغرة في مخازنهم. فشلت المغامرة.

في عام ١٧٧٠، أبحر سرب الكونت أورلوف حول أوروبا باتجاه البحر الأبيض المتوسط. كانت الحملة صعبة. لكن الروس تمكنوا من الاستيلاء على بيروت، وتقديم المساعدة للمتمردين اليونانيين في موريا، وإحراق الأسطول التركي بالكامل في تشيسما.

في عام ١٨٥٤، طاردت القوة الأنجلو-فرنسية بقيادة الأميرالين برايس وديبوينت سرب الأميرال بوتياتين الضعيف والصغير عبر مساحات المحيط الهادئ الشاسعة، محاولة تدمير سفنه المتفرقة واحدة تلو الأخرى. لكن لم يُفلح ذلك. بعد فرارها إلى بيرو من القوات الأنجلو-فرنسية، هبت الفرقاطة "أورورا" المزودة بـ 44 مدفعًا، بقيادة إيزيلميتيف، لنجدة حامية بتروبافلوفسك-كامتشاتسكي الصغيرة، التي هاجمتها أسراب برايس وديبوينت. صدّ الروس الهجوم.

في عام 1863، دخلت الفرقاطتان البخاريتان الروسيتان "فارياج" و"فيتياز"، والفرقاطات "ألكسندر نيفسكي" و"بيريسفيت" و"أوسليابيا" مع البارجة "ألماز"، المحيط الأطلسي متجهةً إلى نيويورك. كان هدفهم دعم حكومة الولايات الشمالية ورئيسها لينكولن في حرب ضارية مع ولايات العبودية في الجنوب. في هذه الحرب التي دارت رحاها بين عامي 1861 و1865، دعم البريطانيون الجنوبيين من ديكسي ضد الشماليين من اليانكي.

كان من مصلحتهم فصل جنوب القطن عن الولايات المتحدة الأمريكية، مما وفّر لبريطانيا مواد خام رخيصة ومشتريًا موثوقًا لسلعها الصناعية. وأيضاً لتقويض النمو السريع للصناعة في أمريكا الشمالية. ونقل البريطانيون الإمدادات العسكرية إلى الجنوب عبر المحيط الأطلسي. لكن إنجلترا عدو روسيا. وقررت سانت بطرسبرغ إرسال سرب طرادات إلى نيويورك لتهديد البريطانيين بمطاردة شرسة لسفنهم التجارية، مما ساعد اليانكيين. لو كنا نعرف حينها كيف سيشكروننا!

وأخيراً، في عام ١٩٠٤، عندما اندلعت الحرب الروسية اليابانية، غادر السربان الثاني والثالث بحر البلطيق والبحر الأسود في رحلة شاقة إلى الشرق الأقصى. بلا قواعد، عبر ثلاثة محيطات، في ظل عداء تام من إنجلترا وأمريكا. للأسف، وصلت السفن إلى الشواطئ اليابانية بمحركات متهالكة وقيعان متضخمة. في ظل حرارة المحيط الهندي الاستوائية الرطبة، تبللت شحنات البيروكسيلين في الذخيرة، وكان الطاقم منهكاً وغير متدرب. ففي النهاية، كان عليهم حمل كل شيء على أنفسهم، ولم تكن هناك فرصة حتى لإجراء تدريب على الرماية. خرج اليابانيون لملاقاتنا أقوياء، نشيطين، ومدربين. دمر الأدميرال هيهاتشيرو توغو أسطولنا قرب جزيرة تسوشيما. حظي اليابانيون برعاية سخية من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية...

لأكثر من نصف قرن، من عام ١٩٠٤ إلى ستينيات القرن الماضي، كان أسطولنا عالقًا في "مجاري" البحار الساحلية الضيقة. وفجأة - حدث اختراق مذهل! قلب كل حسابات الغرب القائلة بأن الدب الروسي قوي فقط على اليابسة، وأننا لن نتمكن من بناء سفن عابرة للمحيطات - مراكز القوة التكنولوجية في القرن.

على الرغم من أننا تذكرنا وصية بطرس بأن للدولة يدين - جيشًا وبحرية، إلا أن البحرية الروسية كانت تعيسة الحظ منذ منتصف القرن التاسع عشر. خلال حرب القرم، اضطررنا إلى إغراق البوارج الشراعية والفرقاطات التابعة لأسطول البحر الأسود، مما سد الطريق أمام السفن البخارية الأنجلو-فرنسية إلى خليج سيفاستوبول. بجهودٍ جبارة، تمكنا مع نهاية القرن الماضي من بناء رابع أقوى أسطول مدرع في العالم. والذي خسرناه تقريبًا بالكامل في الحرب مع اليابان!

ومرة أخرى، بين عامي ١٩٠٧ و١٩١٤، استعدنا قوتنا البحرية بجهدٍ مُضنٍ. لكن عام ١٩١٧ جاء، وأمر المفوضون ذوو الشعر المجعد، بعد أن سلموا جزءًا كبيرًا من البلاد للألمان، بإغراق أسطول البحر الأسود بالقرب من نوفوروسيسك. وطرد الرانجليت جزءًا منه إلى الخارج، هربًا من شبه جزيرة القرم عام ١٩٢٠. وسيُجبر أسطول البلطيق على الانهيار، وستقوم حكومة روزنفيلد-أبفيلباوم بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٣ بتفكيك العديد من السفن للحصول على المعادن، وبيعها في الخارج. ولم يستثنوا حتى البارجة الحربية الشهيرة "بوتيمكين". الأسطول في بحر البلطيق محاصر في جيب خليج فنلندا، وجميع مخارج البحر مغلقة بواسطة الجزر والبطاريات الساحلية للدول المستقلة حديثًا - إستونيا ولاتفيا وفنلندا. يجد أسطولنا نفسه في مرمى المدافع الأجنبية - ليس فقط الثقيلة، ولكن أيضًا التقليدية، الميدانية. أصبحت الثورة كارثة حقيقية لبحريتنا. في أغسطس 1919، بدأ البريطانيون في ضرب المرسى الرئيسي لأسطولنا - كرونشتادت مباشرة من فنلندا المنفصلة. أقلعت طائرات العدو من القاعدة في بيورك، وبدأت في قصف أرصفتنا ومستودعاتنا بعد ثماني دقائق. وكانت سرعة الطائرات في ذلك الوقت مائة وخمسين كيلومترًا في الساعة فقط! وصلت ثمانية زوارق طوربيد من الخشب الرقائقي تم إحضارها إلى تيريوكي الفنلندية إلى هدفها في عشرين دقيقة. تمكنوا من إطلاق طوربيد على الطراد أندريه بيرفوزفاني وقاعدة الغواصات باميات أزوفا. فقط شجاعة طاقم المدمرة جافريل أنقذت الميناء: دمرت مدافعها ثلاثة أعداء. ثم انتزعوا من الماء الملاح الإنجليزي الملازم نابير، حفيد الأميرال الذي حاولت سفنه مهاجمة كرونشتادت خلال حرب القرم.

دعونا نعطي ستالين حقه: بعد أن قمع الجناح اليهودي الكوزموبوليتاني في الحزب، شرع في إحياء القوة البحرية للإمبراطورية. في عامي ١٩٣٩ و١٩٤٠، ضمّ دول البلطيق إلى البلاد، ودمر...

الأنظمة الموالية للغرب فيها. في حرب الشتاء الشرسة، استولت فنلندا على مساحات شاسعة من الأراضي والجزر التي تسد مخرج خليج فنلندا. أُعطيت لنا تيريوكي وفيبورغ. أكمل ستالين بناء ثلاث طرادات كانت موضوعة في عهد القيصر، وحدّث البوارج الحربية الثلاث المتبقية من طراز دريدنوت من الفترة 1911-1916. على مدار خطتي ما قبل الحرب الخمسيتين، تم بناء أربع طرادات أخرى، وسبع طرادات قيادية، و30 مدمرة، و18 سفينة دورية، و38 كاسحة ألغام، وزرّاعة ألغام واحدة، وأكثر من مئتي غواصة. تلقت البلاد ثماني سفن حربية من طراز ريفر مراقب.

ولكن هذا كان قليلًا جدًا. على سبيل المثال، بحلول عام 1939، كان لدى إنجلترا 15 دريدنوت مقابل ثلاث طرادات وست حاملات طائرات لدينا، بينما لم يكن لدينا أي شيء. كان لدى البريطانيين ما يصل إلى 66 طرادًا و119 مدمرة. كان لدى اليابان عشر سفن حربية ونفس العدد من حاملات الطائرات، و36 طرادًا، و113 مدمرة. حتى ألمانيا، التي كان أسطولها يُعتبر الأضعف في الغرب، كانت متفوقة علينا: اثنتان من أقوى سفن دريدنوت في العالم، و11 طرادًا، و42 مدمرة.

شهدت الفترة من 1941 إلى 1945 خسائر فادحة. خلال اختراق أسطول البلطيق من تالين إلى سانت بطرسبرغ، خسرنا 16 سفينة من أصل 32. وغرقت في البحر الأسود سفينتا القيادة موسكفا وطشقند، والطراد تشيرفونا أوكرانيا، والعديد من المدمرات. وتوقف بناء سفن دريدنوت سوفيتسكي من فئة سويوز وطرادات كرونشتات، وبعد الحرب، كان لا بد من تفكيكها وتحويلها إلى خردة معدنية لإعادة إعمار البلاد المنكوبة.

في الوقت نفسه، اكتسبت أمريكا، عدونا اللدود، في عام ١٩٤٥ قوة بحرية غير مسبوقة: ١٢٥ حاملة طائرات، ٢٣ بارجة، ٦٧ طرادًا، ٨٧٩ مدمرة، ٩٠٠ فرقاطة، ٣٥١ غواصة! كانوا قادرين بالفعل على تنفيذ عمليات على ملايين الأميال المربعة من المحيط، وأحاطونا بحلقة من قواعدهم. كانوا أول من بنى غواصة نووية، وأطلقوا حاملات طائرات نووية استراتيجية واحدة تلو الأخرى. لكننا مع ذلك اقتحمنا مياه الكوكب في الستينيات وجعلنا الأمريكيين يخشوننا! في الستينيات والثمانينيات، بلغ الروس ذروة قوتهم البحرية في تاريخهم الممتد لألف عام.

أجبر أسطولنا، بمجرد وجوده، الغرب على التراجع. في عام ١٩٨٦، بدأت الولايات المتحدة غارات جوية مكثفة على ليبيا. ولكن بمجرد دخول طرادنا الأدميرال دروزد وإرسائه في ميناء طرابلس، توقف القصف. لفهم عمق صدمة الأمريكيين من اختراقنا للمحيط، لا بد من التعمق في جوهر حضارتهم اليهودية البروتستانتية. على مر تاريخها، لم يكن للولايات المتحدة أعداء أقوياء على مقربة منها. لطالما اعتبرت نفسها جزيرة واسعة تنطلق منها لشن غارات قرصنة على السفن دون عقاب. وكانوا على يقين تام بقدرتهم على الحفاظ على احتكارهم للقوة البحرية. ثم - يا لها من ضربة موجعة!

لهذا السبب، بدأت الولايات المتحدة في ستينيات القرن الماضي عملاً دؤوباً ومنهجياً لتفكيك نخبتنا الحاكمة من الداخل، وبدأت بتجنيد عملاء مؤثرين من الحزب والنخبة السوفيتية. في ذلك الوقت، وُلدت خطط لرشوة البيروقراطية السوفيتية الكسولة والمُفقرة. تزامنت ذروة صعود القوة البحرية الروسية مع بداية التفكك السريع للقوة الداخلية للإمبراطورية. عندها، يُقلل من شأن عمل المهندسين والعلماء، وتُقارن أرباحهم برواتب سائقي حافلات الترولي. تُقَلَّص التطورات المحلية، وتُوضَع الاختراعات الروسية على الرف - ثمة توجه نحو كل ما هو أجنبي. بطل ذلك العصر، بكل بساطة، ليس مُبدعًا شجاعًا، بل مدير متجر أو جزار لحوم.

خلال تلك السنوات، انتزع الإيطاليون مئات الملايين من الدولارات من الاتحاد السوفيتي لبناء VAZ بتقنيتها المتخلفة أصلًا. وأُودِعَت الرشاوى الأولى في الحسابات السويسرية لكبار أعضاء النخبة. ثم، لإضفاء الشرعية عليها، سيتجهون نحو انهيار الاتحاد وتدمير الأسطول. للمرة الرابعة خلال القرن ونصف الماضيين...

الفصل الرابع عشر. رحلة "أورلان" المتقطعة. الطرادات الروسية - ثقيلة، نووية، صاروخية...

1

لسنا بصدد تأليف هذا الكتاب رثاءً لفقدان العظمة. على الرغم من أننا نستطيع ملء عشرات الصفحات لوصف الوضع الحالي (المكتوب عام ١٩٩٦) لما كان يومًا ما أسطولًا لقوة عظمى، إلا أننا نريد أن نظهر ما كان بإمكاننا أن نصبح عليه. إيمانًا راسخًا بالصعود المرتقب للدولة الأرثوذكسية الروسية، نحن على يقين بأن علمنا سيعود إلى المحيطات. العلم الإمبراطوري!

...في أوائل الثمانينيات، طورت بلادنا مشروعًا لعمالقة المحيطات المدرعة - طرادات الصواريخ النووية الثقيلة (TARK) من نوع أورلان. كانت سفن أورلان، التي تبلغ إزاحتها ٢٨ ألف طن، وطولها ٢٥١ مترًا، وعرضها ٢٨,٥ مترًا، مصممة لتكون سفنًا خارقة للبحار بسرعة ٣٠ عقدة ومدى إبحار غير محدود. من القطب الشمالي إلى القارة القطبية الجنوبية، ومن جزر الكوريل إلى رأس الرجاء الصالح. وكان من المقرر أن تصبح كل واحدة منها سفينة رائدة لسرب، قوة ضاربة.

تم أخذ دروس جميع الحروب الأخيرة في الاعتبار عند تصميم طرادات الصواريخ النووية الثقيلة (TARK). قوة فتك صواريخ كروز للسفن ذات الحماية الخفيفة، وقوة الطيران الغربي المزود بأسلحة فائقة الدقة، والكفاءة العالية للغواصات الأمريكية. بل وحتى ضرورة الاستعداد ليس فقط لحرب نووية أو مطاردة غواصات الناتو. فقد صُمم هذا النوع الجديد من الطرادات أيضًا كآلة قوية لضرب القوات البرية المعادية بالمدفعية.

لكن المهمة الرئيسية لطراد TARK كانت تدمير حاملات الطائرات والبوارج والطرادات.

السفن الأمريكية - التي حققت اختراقًا بفضل دفاعاتها القوية، وضرباتٍ قاتلة بصواريخ كروز. لا يوجد منها سوى ثلاث في روسيا الآن. اثنتان في الخدمة، وواحدة غير نشطة لعدم خضوعها لإصلاح شامل منذ خمس سنوات.

لا يُمكنك أن تُغفل هذه السفن الرائعة. خطوط سريعة وواجهة أمامية عالية (لتحمل الأمواج العاتية بأقصى سرعة). وحتى هيكلها الهرمي الضخم لا يجعلها خرقاء.

ها هم، حكام بحار حضارة إمبراطورية لم تتمكن بعد من كسر شوكتها القديمة. تجمدنا أمامهم، كما فعل عالم الآثار كولدوي ذات مرة أمام أسوار الإمبراطوريات القديمة المهيبة. كما لو كنا أمام دليل على القوة الجبارة لشعبنا، الذي يُسمع عن ضعفه وعجزه الهمس والصراخ من كل حدب وصوب...

أطلع قائد تارك "الأدميرال ناخيموف" بفخر نائب رئيس الوزراء النبيل آنذاك، أوليغ سوسكوفيتس، على السفينة. كان ذلك في مايو 1996، لكن الثلج كان يتساقط فوق سيفيرومورسك. لم نلحظ ذلك...

إذا رصدت أنظمة المراقبة في ناخيموف هجومًا من طائرات أو صواريخ كروز معادية، فسيبدأ العمل بمنظومتي إس-300 "ريف" على متنها - في المقدمة والمؤخرة. هما نظامان فريدان قادران على إصابة صاروخ معادي بصواريخهما. الأمر أشبه بإسقاط رصاصة أُطلقت عليك برصاصة. كلا نظامي إس-300 قادران على "تتبع" اثني عشر هدفًا في وقت واحد. ذخيرتهما مئة صاروخ مضاد.

ولكن إذا اخترق أي منهما، فسيبدأ نظام أوسا المضاد للطائرات قريب المدى بالعمل. أو نظام فورت، الذي يجمع بين صواريخ عالية السرعة ومدافع عيار 30 ملم بمعدل إطلاق يبلغ 6000 طلقة في الدقيقة. أي شيء يخترق نظام تارك على مسافة خمسة أميال سيُدمر. سواءً كانت صواريخ هاربون وتوماهوك المجنحة، أو فانتوم أو تورنادو، أو قنبلة انزلاقية، أو قارب طوربيد سريع.

عندما تضرب "الحصن"، تمتد ومضات الطلقات إلى أشعة حمراء باهتة طويلة. ويبدو أن أنظمة ليزر رائعة قد ضربت الطراد. معجزات التكنولوجيا المتقدمة، تُنشئ "الحصون" الصاروخية-المدفعية دروعًا غير مرئية وخفيفة الوزن، وفي الوقت نفسه، أقوى "درع" للطراد.

ماذا؟ غواصة معادية؟ عشرة أميال، تحمل مائتين وسبعين؟ يُطلق مجمع فودوباد من أنبوب طوربيد ناخيموف. بعد التقاط أثر تحت الماء وإدخال البيانات في جهاز الكمبيوتر الموجود على متن السفينة، ينطلق "السيجار" الطويل من البحر، مُشغلًا محرك الصاروخ. بعد سقوطه في الأمواج عند النقطة المُحددة، سيخترق فودوباد سمك الماء كطوربيد موجه. بهدف واحد فقط - اللحاق بالعدو وتمزيق بدنه المتين. يستطيع فودوباد ضرب غواصات العدو ضمن دائرة نصف قطرها 45 ميلاً من الطراد. ولمحاربتها، تحمل ناخيموف ثلاث مروحيات مخبأة في حظيرة متينة على سطح السفينة. وخلف مؤخرة السفينة، تُسحب محطة سونار حساسة "فولنا".

هل نجحوا في إطلاق النار؟ هل يُسمع صوت مراوح الطوربيد؟ في لحظة، تتجه ثلاث قذائف هاون ذات عشرة أنابيب نحو مصدر التهديد. تنطلق القذائف النارية مع هدير قوي. تُنشئ هذه القذائف "مجالاً واقياً" عائماً على مسار طوربيد يندفع نحو الطراد. بعد سقوطها في الماء، تتحول القنبلة إلى لغم صوتي صغير، مدعوم على السطح بعوامة. ولن يخترقها طوربيد العدو: ستُفعّل الألغام بفعل صوت مراوحه القريب. سيرتفع جدار من الانفجارات في البحر، ومنه ستنفجر رؤوس الطوربيد الحربية، وتنقسم هياكلها...

سيتعرض كل ما يقع في مرمى بصر TARK لإطلاق النار من برجها الأمامي عيار 130 ملم المزود بمدفعين.

يطلق بمعدل 90 طلقة في الدقيقة - مثل فرقة مدفعية كاملة من الحرب العالمية الثانية. أو مثل مدفعية ثلاث طرادات من فئة كيروف من عام 1941 إلى عام 1945 مزودة بـ 27 مدفعًا. وهنا - برج واحد فقط! في تبادل إطلاق نار بحري، يفوز من يطلق النار بشكل أسرع وأكثر دقة. مدافع TARK موجهة بالرادار... "ناخيموف" تعيدنا إلى أحلام الطفولة. هكذا تخيلنا المعارك بين السفن الفضائية في أعماق الفضاء...

لكن القوة الضاربة الرئيسية لـ TARK هي 70 صاروخ كروز أسرع من الصوت من طراز "جرانيت" بنصف قطر قتالي يبلغ 600 كيلومتر. فجأة، انفتح الغطاء المدرع الثقيل على مؤخرة الطراد بسهولة، ومن هناك، وسط الدخان وعلى "عمود ناري"، انطلق صاروخ. بعد أن تلقى "جرانيت" تحديد هدفه من المدفعي الموجه بالطائرات، بدأ مساره القتالي، ضاغطًا نفسه في رحلته نحو الماء. أطلق "ناخيموف" نيرانًا شبه متواصلة "موتًا مجنحًا" - تُحمّل الصواريخ في مخزنها في نظام أسطوانة خاص - مثل خراطيش المسدس. لا تزال "جرانيت" سلاحًا لا يُضاهى حتى يومنا هذا. تُقدم تضحيات في "سرب تفكير"، تتبادل المعلومات فيما بينها، وتوزع الأهداف فيما بينها. تُعطّل محطات التشويش على متنها عمل أنظمة الدفاع الجوي للعدو.

وحتى لو تمكن العدو من إسقاط معظم "جرانيت"، فإن الباقي منها سيخترق جوانب العدو، مُبعثرًا أجزائه المعدنية بانفجارات. وإذا كانت الرؤوس الحربية الصاروخية نووية، فحتى حاملة طائرات بطول ثلاثمائة متر،

تحمل مئة طائرة وطاقمًا قوامه ثلاثة آلاف فرد، ستتحول إلى سحابة من الغاز الساخن من صاروخ "جرانيت" واحد.

لكن "ناخيموف" لن تخوض المعركة وحدها. فهي مركز السرب، وحولها مدمرات وسفن كبيرة مضادة للغواصات وغواصات تابعة لسفينة القيادة. وهي أيضًا ترصد العدو وتضربه بدقة ودون رحمة.

"ناخيموف"

دخلت "موف" الخدمة عام ١٩٨٩ - وهي الثانية بعد شقيقتها "أورلان" - "الأدميرال أوشاكوف". يُقال لنا اليوم: لم يكن الأسطول جاهزًا لها، ولم تُبنَ أحواضٌ لمثل هذه السفن. يُقال إن البلاد لم تكن تمتلك القوة الكافية. لكننا نرى الاتحاد الروسي الحالي، وهو بالفعل أضعف وأفقر بست مرات من الاتحاد السوفيتي. ونرى كيف يُقيمون في "إيريفيا" هذه، دون ادخار أموال طائلة، نماذج خرسانية لكاتدرائية المسيح المخلص، بالإضافة إلى أشياء أخرى كثيرة. نحتاجها اليوم، كمدرسة باليه لصد هجوم دبابة. وعندما يُقال لنا إن هذا لا يتم على حساب الميزانية الفيدرالية، بل على حساب الميزانية المحلية (موسكو، الإقليمية، خارج الميزانية)، نجيب: كذب. لأن كل هذا من نفس الموارد، نفس قوات الشعب الروسي الواحد!

كان بإمكاننا بناء أحواضٍ لـ"أورلان". لكن لكي يحدث هذا، كان على المحاربين والوطنيين الجلوس في الكرملين. الثمانينيات، لا خونة ضعفاء ذوي ألسنة طليقة.

انقطعت رحلة سفن أورلان.

3

كان بإمكاننا إبحار الكثير، وكانت القوات الرئيسية للإمبراطورية في أسطولي الشمال والمحيط الهادئ. كان لدينا شيء آخر غير سفن أورلان.

هل تذكرون الطراد الخفيف "الأدميرال دروزد"، الذي وصل إلى طرابلس عام 1986؟ كان أيضًا سلاحًا قويًا - أربعة أنظمة مضادة للطائرات وثمانية صواريخ مضادة للغواصات، ومدافع، ومدافع هاون، وطائرة هليكوبتر. ينبغي أن ترافق سفن أورلان هذه السفن. المروحيات على متن هذه السفن هي طائرات كا-27 الرائعة، وهي مروحيات مضادة للغواصات مزودة بأربعة طوربيدات موجهة وقنابل عمق.

في منتصف الثمانينيات، كانت الإمبراطورية تمتلك أيضًا أفضل المدمرات في العالم، من فئة سوفريميني، التي بُنيت ليس فقط لصيد الغواصات، ولكن أيضًا كحاملات لصواريخ كروز من طراز موسكيت. كان لدينا أيضًا مدمرات من فئة أودالوي، وهي غواصة حقيقية. رعب.

مياه المحيط مُرَتَّبة، ككعكة نابليون. ولكل طبقة درجة حرارتها الخاصة. إذا كان الفرق كبيرًا بما يكفي، تتشكل طبقة حرارية، وهي نوع من المرآة التي تنعكس عنها نبضات أجهزة تحديد المواقع بالصدى التي تبحث عن الغواصات. بالغوص تحت الطبقة الحرارية، يهرب الغواصون من السفن المطاردة التي تطاردهم. سفينة أودالوي مُجهزة بسونار منخفض التردد، قادر على "رؤية" العدو من خلال الطبقة الحرارية، وتدميره بطوربيدات فودوباد الصاروخية. والتي، وفقًا لتوم كلانسي، تتفوق على نظام آسروك الأمريكي المماثل من حيث المدى القتالي ودقة التوجيه.

ولكن في عام ١٩٨٥، كان لدينا أيضًا "الخيول" القديمة الجيدة - الطرادات المضادة للغواصات من فئة كييف. مع ١٣ طائرة إقلاع عمودي من طراز ياك-٣٨ و١٧ مروحية من طراز كا-٢٧ على متنها. حتى قبل حرب فوكلاند عام ١٩٧٢، كانت هذه السفن مُسلَّحة أيضًا بصواريخ مضادة للسفن ومضادة للغواصات. طوربيدات صاروخية. هذا لا يشمل المدافع، و12 صاروخًا مضادًا للطائرات، وقاذفات صواريخ، وعشرة أنابيب طوربيد.

في عام 1972، بدأ بناء السفينة الشقيقة لكييف، مينسك. أُزيلت أنابيب طوربيداتها، ولكن تم تحسين معدات البحث الخاصة بها، وزاد أسطول طائراتها بمقدار مرة ونصف.

ثم ظهرت طرادات نوفوروسيسك وباكو. حملت الأخيرة 12 صاروخًا مضادًا للسفن، ورُفع عيار مدفعيتها إلى 100 ملم. (ظلت هذه السفن في الخدمة حتى عام 1993، عندما سُحبت من الخدمة بسبب ضائقة الميزانية).

منذ عام 1983، دخلت طرادات فئة سلافا الخدمة، وحملت 16 صاروخًا من طراز بازالت، وهو صاروخ مُدمر للسفن. ما مدى قوة الضربة التي تمتع بها "السفن الروسية المُرغاة"؟ في عام 1975، دخلت صواريخ بازالت المضادة للسفن الخدمة. كما كتب ألكسندر شيروكوراد في الصحيفة. "إستوكي" (العدد 3، 1995)، استُخدمت لتجهيز طرادات من طراز كييف وسلافا.

هاجمت صواريخ البازلت العدو في سرب. (كانت أهدافها تشكيلات حاملات طائرات أمريكية). في هذه الحالة، لعب أحد الصواريخ في السرب دور "القائد"، متحكمًا بالصواريخ الأخرى وموزعًا الأهداف بينها. كانت هذه "الروبوتات القاتلة" مزودة بنظام تحكم "أرغون"، الذي كان يُضبط بواسطة نظام الاستطلاع والاستهداف بالأقمار الصناعية البحرية. بمعنى آخر، كان من الممكن توجيه "البازلت" بواسطة مركبات استطلاع رادارية دخلت الخدمة عام 1976.

وهكذا، عمل أسطول المحيط الروسي كوحدة واحدة مع أسطول الفضاء الإمبراطوري!

4

يمكن كتابة مجلدات كاملة عن أسلحة سفننا. ولكن لا بد من ذكر أمر واحد تحديدًا - محطات الرادار التي تزودها جمعية "ساليوت" في موسكو لأسطولنا منذ عام 1942.

الرادارات هي عيون السفينة. في في حروب اليوم، من المهم أن نكون أول من يكتشف العدو، سواءً أكان طائرةً معاديةً أم صاروخًا أم مدمرة. كثيرًا ما يتحدث الغرب عن تخلفنا في مجال الإلكترونيات. ولكن حتى في عهد غورباتشوف، استطاعت "ساليوت" تزويد الأسطول بمحطتي "الفرقاطة" و"بودبيريزوفيك". هذه معداتٌ لا تحتوي على هوائيات الرادارات المتأرجحة والدوارة المعتادة. بدلًا من ذلك، تمتلك الأنظمة الروسية مصفوفات طورية، أو مصفوفات طورية، سبق أن كتبنا عن خصائصها في الفصول المخصصة لـ"حرب النجوم". في العقود الأخيرة، بدأت الولايات المتحدة تعتمد بشكل كبير على قدرة أسرابها على إعاقة رادارات سفننا بمولدات التشويش الخاصة بها. بحيث تصبح شاشاتنا مجرد "حليب". وميضٌ يُمكن تحته شنّ هجماتٍ على الروس من حاملات الطائرات، وصواريخ "هاربون" و"توماهوك" المجنحة. لكن أشعة "الفرقاطات" القوية و... تخترق "بودبيريزوفيك" مناطق الفضاء "المحاصرة" بتدخل العدو.

قوة أجهزة تخزين الطاقة الفريدة ومضخمات الطاقة. في الوقت نفسه، تحمل رادارات المصفوفة الطورية الروسية، كما ذكرت صحيفة كراسنايا زفيزدا في ١٢ مايو ١٩٩٦، "سرًا" يجعلها منيعة ضد تأثير النبضة الكهرومغناطيسية للانفجار النووي، والتي تُعتبر قاتلة للإلكترونيات. وتستطيع هذه المصفوفات الطورية تحمل تأثير موجة هوائية تُدمر رادارات التصاميم السابقة.

وقع حادثٌ مُذهل أثناء اختبارات نظام فريغات. انفجرت قذيفة في فوهة مدفع المدمرة التي رُكّب عليها الرادار الجديد. وأحدثت شظايا من فوهة المدفع ثقبًا في شبكة الرادار. لكن كبير مصممي فريغات، ليونيد روديونوف، صرّح بأنه سيعمل بهذا الشكل أيضًا. وكان مُحقًا.

ما مدى فعالية أنظمتنا؟ سنُطلق على هذه الأرقام اسم فريغات، ونضع بيانات بودبيريزوفيك بين قوسين. تتراوح بيانات المسح بين ١٥٠ و٣٠٠ ميل (٥٠٠). ارتفاعها يتراوح بين ٢٠ و٣٠ كيلومترًا (٤٠). تُكتشف المقاتلة على بُعد يتراوح بين ٥٨ و٢٣٠ ميلًا (٢٤٠ و٤٠٠ كيلومتر). الصاروخ على بُعد يتراوح بين ١٧ و٥٠ كيلومترًا (٤٥ و٧٠ كيلومترًا). السفينة في الأفق.

يُحدد مدى الهدف بخطأ ١٢٠ (١٥٠) مترًا، والاتجاه إليه دقيقٌ حتى ١٤-٢٤ دقيقة (٢٤). هل هذا كثير أم قليل؟ دائرة الأفق المرئية من السفينة مقسمة إلى ٣٦٠ درجة. والدرجة الواحدة ٦٠ دقيقة.

كما تم إنشاء مُجمّع فريد لحاملة الطائرات النووية الضخمة "فارياج". ومع ذلك، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، استولت سلطات "دولة أوكرانيا" على هذا العملاق غير المكتمل. باعوا فخر الأسطول الروسي مقابل خردة معدنية. لكن "فارياج" هي التي كان من المفترض أن تصبح سفينةً لا تُعمى أعينها.

حتى يومنا هذا، تُخزّن شركة سالوت تطورات فريدة في أجهزة كمبيوتر جديدة تُقلّل حجم ووزن الرادارات الروسية...

...مع ذلك، دوّت الإصلاحات الديمقراطية في روسيا، وأدى حثالة السلطة إلى انهيار الأسطول. لا أحد يطلب العمل من سالوت، على الرغم من أن رادارات السفن، التي أنهكها خمس سنوات من السوق، تتعطل. المشترون الوحيدون هم من جنوب شرق آسيا، تايلاند - التي اتضح أنها أغنى من روسيا. إنهم يُفكّرون أكثر في أسطولهم هناك.

لكن هذا هو حالنا اليوم. وفي النصف الثاني من الثمانينيات، عندما بدأ الكرملين يُعلن في جميع أنحاء البلاد تأخرنا عن الغرب في مجال التكنولوجيا العسكرية المتقدمة، كانت سالوت تُصنّع بالفعل معدات رادار عالمية المستوى...

تحدث ستالين كثيرًا عن أعداء الشعب والخونة. لا أعرف عنك، لكن بالنسبة لي، هذه الكلمات ليست مجرد صوت...

...يقولون إنهم يُبنون روسيا جديدة. لكن هل هذه البقعة الكابوسية من الأرض، حيث تُصوَّر صراعات رؤساء الأوبريتات وخصومات زعماء العصابات على أنها قمة السياسة، هي حقًا روسيا الجديدة؟ أفتحُ التلفاز اللعين، فأرى كيف يُملي الشاب الشيشاني المتغطرس، عمدة غروزني، إرادته على لوجكوف "الجبان"، فيوافق على بناء منازل في وكرٍ لقطاع الطرق، كما لو أن على روسيا أن تُعيد الجزية إلى الحشد، مُرسلةً حرفييها إلى ساراي، العاصمة. كأننا هُزمنا ونطالب بتعويضات. ومن؟ عصابات من الأبرياء شبه الأميين! نحن الذين حكمنا المحيط مؤخرًا!

أرى بيريزوفسكي، الخاضع لإسرائيل، هذا الكيان الصغير النحيل، وقد رُفع الآن إلى مجلس الأمن، وهو يتملق القادة الشيشان. يُقسم نيابةً عن روسيا أنه "سيدفع أي ثمن من أجل السلام في القوقاز"...

شيءٌ ما يضغط على حلقي، يُثقلني ويخنقني. وروحي تتوق شوقًا لا يُطاق لرؤية المحيط أمواجه الرغوية وهي تتدحرج على الشاطئ. أن أستنشق رائحة اليود المُسكِرة للفضاء برئتي الممتلئتين. وأن أرى هناك، في الضباب، الكتلة الغامضة للطرادات الإمبراطورية. في مثل هذه اللحظات، تُريد أن تشعر بمقدمة سلاح مصقولة بين يديك، تُصدر صوتًا وتُطلق رشقةً على الشاشة المكروهة، قاطعًا تيارات الأمواج الخانقة. أن تُسقط اللافتات البراقة بعقب البندقية. أن تُثقب نوافذ النوادي الليلية بالرصاص، فتسقطها كشلال زجاجي. وأن تُرعد بأحذية مُسمرة على أحجار موسكو المرصوفة بالحصى بنفس الطريقة التي تُطلقها بها. مع أولئك الذين قاتلوا في البوسنة وطاجيكستان، وفي ترانسنيستريا والشيشان. لأُزيل هؤلاء البائسين، المتكبرين، المرتشين...

أحبكِ أيتها الإمبراطورية، يا من قررتِ مصير العالم، يا من اجتاحتِ المحيطَ الواسعَ بأسرابٍ فولاذية. و"جذع بيلوفيزسكايا" الحالي أمامكِ قزمٌ مُقعد، بـ"قوته" و"دبلوماسيته" حان وقتُ إطلاق قوارب ورقية في بركةٍ في حديقة.

حلمتُ مؤخرًا. كأن كلامًا عذبًا يُسمع في شارعي، ورجالٌ ملتحون بقبعات أستراخان يقودون حشدًا رماديًا خاضعًا من سكان موسكو بضرباتٍ من أعقاب بنادقهم. أسمع ضحكاتهم الشريرة، وأسرع باحثًا عن زوجتي. أجري عبر الأفنية والبوابات، مُكتئبًا ومُرعبًا. لكن خلفي أسمع نباح كلب راعي...

أكره روسيا هذه، ليليبوتيا هذه، حيث يتحدث الصغار الصلع ذوو الشعر الداكن ويتملقون اللاإنساني باسمي. يجب تغيير الحياة - وإلا فلن تُغرق الطرادات الروسية أبدًا في البحار الشاسعة. أبدًا...

الفصل 15. جبهة البحر. روبوتات كاميكازي مجنحة، وقاتلو سفن. "المذنبات" - ضد حاملات الطائرات. صدمة من طائرة إكس-22 وتحدي البحرية.

لكن كل شيء بدأ بقوة وموثوقية، وبدا أن الهيمنة الروسية في البحر لن تنتهي أبدًا. إن احتلال مكانة بين أعظم القوى البحرية هو إنجاز روسي ظل مجهولًا تمامًا. أطلق الإغريق القدماء على الهيمنة في البحر اسم البحرية.

لقد نجحنا في أن نصبح ثالاسوقراطيين، مجبرين الغرب على إفساح المجال...

بدأت انطلاقتنا في محيط العالم في وقت عصيب: في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات. أخبرني والدي، الذي نشأ في مدرسة داخلية، كيف كانت الحياة في أوديسا بعد الحرب. الكثير من المعوقين، وشقق مشتركة، ونصف جوع، وأناس يرتدون ملابس رثة إلى الأبد. كانت السلطات تقضي بقسوة وبلا رحمة على العصابات الإجرامية المنتشرة. ومع ذلك، كانت هناك إرادة لا تلين للقفز إلى الأمام، نحو المستقبل.

ثم وجدت البلاد نفسها محاطة بأساطيل العدو. أمريكا مهددة بحاملات الطائرات والبوارج والطرادات في كل الاتجاهات. وأصبح أسطولنا بعد الحرب الوطنية العظمى أضعف مما كان عليه في عام ١٩٤١، عندما كان رمزًا أكثر منه قوة بحرية حقيقية. وكان من الضروري تغطية منطقة القطب الشمالي الشاسعة وساحل المحيط الهادئ. كان كتاب "حرب المحيط الهادئ" للأمريكيين ديرلينجر وغاري، الصادر عام ١٩٣٧، لا يزال حاضرًا في الأذهان، حيث قالا بكل جدية: في حال نشوب حرب مع اليابان، ستضطر أمريكا لاحتلال بتروبافلوفسك-كامتشاتسكي. لأن الأسطول الروسي ضعيف، والولايات المتحدة بحاجة إلى قواعد ملائمة.

الآن هُزمت اليابان، وأصبحنا "العدو الأول" للولايات المتحدة. كان علينا أن نفكر في كيفية الحفاظ على موقع استراتيجي جديد - جزر الكوريل، الغارقة في الدماء الروسية. ففي نهاية المطاف، قاتل اليابانيون من أجلها عام ١٩٤٥ بشجاعة الأسود. لاستعادة جزر الكوريل وجنوب سخالين اللذين خسرهما القيصر، كان علينا تسليح البارجات، وإدخال سفن الصيد المُعدّلة على عجل، وسفن الشحن الجاف، والسفن الهيدروغرافية إلى المعركة.

أصبحت السيطرة على سلسلة جزر الكوريل مسألةً تتعلق بمستقبلنا كقوة عظمى في المحيط الهادئ. لم يكن من الممكن أن تكون فلاديفوستوك، الواقعة على ساحل بحر اليابان، القاعدة البحرية الرئيسية في الشرق الأقصى. كان قوس اليابان، حيث أقيمت القواعد الأمريكية، يسد المخرج إلى المحيط. أما المخرج إلى الجنوب، فيمكن سده بحقول الألغام وخطوط الدفاع المضادة للغواصات في مضيق كوريا - وهو ممر ضيق بين الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة وكوريا الجنوبية، التي تحتلها الولايات المتحدة أيضًا. يمر الطريق من فلاديفوستوك شمالًا عبر مضيق لا بيروز بين سخالين واليابان، ثم عبر أرخبيل الكوريل. ويمكن أيضًا زرع الألغام بين الجزر. إذا فقدت روسيا جزر الكوريل، فستظهر عليها قواعد عسكرية أجنبية، وسيجد أسطولنا في المحيط الهادئ نفسه محاصرًا بإحكام في موانئه. لقد أدرك ستالين هذا الأمر جيدًا عندما استعاد سخالين وجزر الكوريل من اليابانيين. كما أدركت الولايات المتحدة، التي كانت تعول على ضعف البحرية الروسية بعد الحرب، هذا الأمر أيضًا. في أغسطس/آب 1945، كتب إلينا الرئيس ترومان: "ترغب الولايات المتحدة في الحصول على حقوق قواعد جوية للطائرات البرية والبحرية على إحدى جزر الكوريل. ويفضل أن تكون ضمن المجموعة المركزية، لأغراض عسكرية وتجارية". في العام نفسه، طالب الاتحاد السوفيتي بضم الجزء الشمالي من اليابان، جزيرة هوكايدو. لكن لم يكن هناك أسطول - واضطررنا للانسحاب. يا له من هوكايدو - أردنا التمسك بدمائنا!

ولكن كانت هناك أيضًا مياه شمالية يمكن للعدو من خلالها شن ضربات ذرية على سانت بطرسبرغ ومورمانسك وموسكو، والحزام الصناعي لجبال الأورال، وقطع الطريق البحري الشمالي الرئيسي، وحكم على مناطق شاسعة من سيبيريا والقطب الشمالي بالموت جوعًا وبردًا. كان الأسطول الشمالي للإمبراطورية لا يزال شابًا وضعيفًا. تأسست بأمر من ستالين عام ١٩٣٧ فقط.

تذكرنا كيف اندفع الألمان إلى هنا خلال الحرب، وكيف هلكت كاسحة الجليد "سيبيرياكوف" في معركة غير متكافئة مع الطراد الثقيل "الأدميرال شير"، بعد أن نجحت في تحذير قوافل القطب الشمالي - ففي النهاية، كان القراصنة الهتلريون على وشك قطع طريق بحر الشمال. تذكرنا أيضًا كيف اضطررنا للقتال مع مجموعات الاستطلاع الألمانية في نوفايا زيمليا - أرض التجارب النووية المستقبلية للإمبراطورية. بالمناسبة، تمكنت محطة الأرصاد الجوية الألمانية من العمل هناك سرًا حتى عام ١٩٤٣، حيث كانت توجه الغواصات والطائرات من النرويج إلينا. لكن أساطيل الناتو بحلول أوائل الخمسينيات كانت أقوى بكثير من الأسطول الألماني.

وماذا عن الجنوب، على البحر الأسود؟ خلال الحرب العالمية الثانية، تمكن الإيطاليون من نقل الغواصات المزودة بقوارب طوربيد إلى هنا عبر السكك الحديدية وعلى طول نهر الدانوب. وبعد الحرب، ظلّ منفذ حوض البحر الأسود، مضيقي البوسفور والدردنيل، في أيدي تركيا، العضو في حلف شمال الأطلسي (الناتو). وكان بإمكانها في أي لحظة عرقلة القوات الروسية، مما سمح للسفن الأمريكية بالمرور.

في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، اعتمدنا دفاعًا شاملًا على الجبهات البحرية، مما جعلهم يحترموننا. في تلك السنوات، كنا نُعدّ الأفراد والأسلحة لاقتحام المحيطات.

2

بدأ كل شيء في سوكولنيكي بموسكو. في عام 1947، تأسس هناك هيكل جديد لوزارة التسليح في الاتحاد السوفيتي - المكتب الخاص رقم 1. وكان أحد قادته سيرجي بيريا. نعم، نعم، ابن ذلك... نقيب مهندس شاب، كان قد دافع لتوه عن أطروحته في أكاديمية سانت بطرسبرغ للاتصالات. فيما يتعلق بموضوع صواريخ الطائرات الموجهة لاسلكيًا والمُصممة لمحاربة السفن...

في تلك السنوات، قررنا الاستفادة من خبرة أعدائنا السابقين، معتمدين على الحرب الجوية والغواصات في معركة البحار. كانت الخبرة الألمانية قيّمة للغاية. فبعد أن خسرت أسطولها الجبار عام ١٩١٨، كانت ألمانيا لا تزال أضعف في البحر بعد عشرين عامًا من إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، كل على حدة. لكن أساطيلها من قاذفات الطوربيدات وقاذفات الانقضاض والغواصات نجحت في إلحاق خسائر فادحة ببحرية التحالف المناهض لهتلر.

مبدأ "

كان لا بد من تحديث معركة داود وجالوت، وهي معركة قوة صغيرة لكنها دقيقة ضد قوة كبيرة. باتباع هذا النهج، ابتكرنا، على سبيل المثال، السلاح الذي تعرفونه بالفعل - زوارق الصواريخ. لكن هذا لم يصبح ممكنًا إلا بعد ظهور سلاحنا الخارق - الصواريخ المضادة للسفن، التي حوّلت سفينة أو طائرة ضعيفة إلى مدمرة "جزر عائمة" عملاقة تبلغ قيمتها مئات الملايين من الدولارات. اقترحت اليابان مبدأ طائرة صاروخية موجهة تصطدم بسفن العدو. في الحرب، استخدمت طائرات مليئة بالمتفجرات مزودة بنظام توجيه مبتكر - طيارون انتحاريون. أو كاميكازي، والتي تعني "الريح المقدسة" في الترجمة. كما استخدم الساموراي أول صاروخ كروز مضاد للسفن في العالم "أوكا" ("زهرة الكرز الجبلية")، الذي كان يحمل طنًا من مادة تي إن تي، وكان يُسيّره أيضًا انتحاري. لكنهم لم يحالفهم الحظ: قاذفات ميتسوبيشي، التي كانت تُعلق بها سفن أوكا، أصبحت بطيئة الحركة معها، والأمريكيون، الذين كانوا يسيطرون على الأجواء، أسقطوها قبل وقت طويل من تمكن اليابانيين من الاقتراب من السفن في مرمى الصواريخ. إمبراطوريتنا، وإن كانت أقل قوة من الأمريكيين من حيث البحرية، إلا أنها، على عكس اليابان، كانت تمتلك أفضل قاذفات نفاثة في العالم. كل ما تبقى هو اختراع صواريخ كاميكازي لهم. استبدال البشر فيها بالروبوتات ومعدات التوجيه. وكان الرائد في هذا المجال هو بيريا الابن، المصمم الموهوب للغاية للصواريخ المجنحة والمضادة للطائرات. يكتب عالم مضادات الطائرات المتميز غريغوري كيسونكو، الذي لم يكن لديه سبب لمحبة نظام ستالين (كان والده مقموعًا)، باحترام كبير عن سيرجي لافرينتيفيتش. ("المنطقة السرية"، موسكو، 1996). نعم، كانت تلك هي الأوقات. ثم ذهب أبناء النخبة الحزبية لبناء قوة البلاد. وليس إلى التجارة الخارجية ونهب الدولة، كما حدث لاحقًا. في عام ١٩٥٢، دخلت البلاد الخدمة بصاروخ "كوميتا" المجنح المضاد للسفن. يشبه في شكله الخارجي طائرة ميج-١٥، ويحتوي على ما بين نصف طن و٨٠٠ كيلوغرام من المتفجرات، ويضرب العدو في دائرة نصف قطرها ٨٠ كيلومترًا من موقع الإطلاق، وينطلق بسرعة ١٠٦٠ كيلومترًا في الساعة. قوة هائلة! في عام ١٩٨٢، كان صاروخ إكزوسيت بمدى قتالي يبلغ ٥٠ ميلًا و١٥٠ كيلوغرامًا من المتفجرات كافيًا لإغراق مدمرة بريطانية. بسرعة ٠,٩٣ من مقياس الصوت، اخترق جانب المدمرة البريطانية بسهولة، محولًا إياها إلى هيكل منصهر. كان صاروخ "كوميتا" أقوى بخمس مرات من "إكزوسيت".

والآن يمكنك تخيل قوة تأثيره. يستشهد ألكسندر شيروكوراد في مقاله "عاصفة حاملات الطائرات" (التكنولوجيا والأسلحة، العدد 1، 1996) بذكريات بيريا الشخصية عن تجربة إطلاق النار على الطراد القديم "كراسني كافكاز". كان أقوى بكثير من الطراد الإنجليزي "شيفيلد"، ومُدرّعًا، وكان أكبر بمرتين ونصف من المدمرة التي غرقت عام 1982. لكن صاروخ "كوميتا" اخترقها من جانب إلى آخر. بالنسبة لسفن حلف شمال الأطلسي في

السبعينيات والثمانينيات، بحمايتهن المضادة للرصاص والتشظي في أحسن الأحوال، كانت ضربة من قذائفنا القديمة قاتلة بكل بساطة. وكما أفاد أ. شيروكوراد، في عام 1952، كانت لدينا خطة لضرب حاملات الطائرات الأمريكية قبالة سواحل كوريا بفوجين من طائراتنا من طراز "تو-4" "القلاع الطائرة"، وإطلاق خمسين صاروخًا من طراز "كوميتا" عليها. لكن الفكرة أُلغيت - بسبب تداعيات الحرب العالمية الثالثة.

وماذا لو حدث مثل هذا الهجوم؟ يمكننا أن نتخيل نتائجه. في عام ١٩٦٧، كادت حاملة الطائرات "فورستال"، التي يبلغ وزنها ٧٦ ألف طن، أن تُدمر بالكامل بصاروخ زوني صغير غير موجه. كانت تُبحر قبالة الساحل الفيتنامي، مُستعدةً لغارة جوية، وطائراتها مُحمّلة على سطحها. فجأة، انطلق صاروخ زوني من تحت جناح إحدى طائرات "فانتوم"، مُصيبًا خزان الوقود الممتلئ لطائرة "سكاي هوك" القريبة. انطلقت عاصفة من اللهب والقطع المعدنية في الهواء. اشتعلت النيران في "فورستال"، مُهتزةً بفعل انفجار خزانات الوقود والقنابل من طائرتها. امتلأ سطح السفينة بثقوب هائلة. استمرت معركة البقاء على قيد الحياة لحاملات الطائرات العملاقة ثماني عشرة ساعة. هبّتت حاملتا الطائرات "أوريسكاني" و"بون هوم ريتشارد"، بالإضافة إلى مدمرتين، لنجدتها. نجحوا في إنقاذ العملاق المُحترق، لكن ١٣٢ شخصًا و٢٩ طائرة لقوا حتفهم على متنها. كل ذلك بسبب صاروخ رخيص!

تخيل الآن أن "فورستال" لم تُصب بصاروخ زوني صغير، بل بصاروخ "كوميت" ثقيل. أو بصاروخين من هذا النوع. مُخيف؟ هذا صحيح. وهناك غواصات روسية تجوب في الجوار، وتُشكّل النيران العائمة التي توقفت عن الحركة وسفن الإنقاذ المُتجمعة حولها هدفًا ممتازًا لها. وتُهدد الأسراب الروسية بشن غارات جوية جديدة. لكانت طائرة "فورستال" تلك في قاع البحر. لحسن الحظ، كان الفيتناميون هم من عارضوها، وليس نحن.

3

تبعت طائرة "كوميت" عام 1960 طائرات آلية أخرى. ثم جاء صاروخ كروز "كيه-10"، الذي استُخدم لتسليح أفواج من قاذفات "تو-16". أطلق الأمريكيون على هذا النظام لقب "سيلت". يُنسب إليه كلانسي في فيلم "العاصفة الحمراء" باستخفاف دور أهداف طُعم لمقاتلات سرب حاملات الطائرات الأمريكية.

لكن طائرات "سيلت" تُمثل خطرًا كبيرًا. فبمدى قتالي يبلغ 325 كيلومترًا وطن من المتفجرات، فهي قادرة على الوصول إلى سرعة تتراوح بين 0.85 و0.95 من سرعة الصوت. وإذا كان لا بد من توجيه "كوميت" بواسطة شعاع رادار طائرة، فإن صاروخ K-10 كان يوجه نفسه بالفعل.

كان بإمكانه حمل رأس نووي و

وشحنة تقليدية في الرؤوس الحربية التراكمية شديدة الانفجار. عند إصابة الهدف، تُوجَّه طاقة الانفجار إلى الأمام بواسطة نفث من الغازات الساخنة بسرعة كونية. يخترق هذا "الشعاع" حتى درع سفينة دريدنوت، ويصل إلى مخازن البارود والقذائف. ويمكن للرأس الحربي FK-1M أن يضرب حتى الجزء تحت الماء من السفينة بنفث تراكمي. ثم طورنا K-12B - خصيصًا لقوارب بيريف-10 الطائرة ذات الأجنحة المائلة، والتي بُنيت بين عامي 1957 و1960. كانت فكرة مبتكرة للغاية في ذلك الوقت. ولأن الإمبراطورية لم تكن تمتلك حاملات طائرات في ذلك الوقت، كان على طائرات بي-10 المائية المزودة بصواريخ كروز أن تعمل في المحيط. بسرعة 875 كيلومترًا في الساعة ومدى 1250 ميلًا، هبطت مباشرة في عرض البحر، حيث كانت تنتظرها ناقلات الغواصات. وبعد إعادة التزود بالوقود، وصلت الطائرة إلى الأجزاء الوسطى من المحيطين الأطلسي والهادئ، مهددةً بضرب حاملات الطائرات الأجنبية وقوافل النقل. رصدت معدات طائرة بي-10 مدمرة معادية على مسافة 150 ميلاً حتى في الأمواج العاتية بقوة 4-5. بإطلاق صاروخ من مسافة 93-110 كيلومترات، تمكنت الطائرة المائية من تدمير هدف كبير.

لاحقًا، جعل تطوير الدفاع الأمريكي المضاد للغواصات من المستحيل إعادة تزويد طائرة بي-10 بالوقود في البحر، لكن طائرة كيه-12بي ظلت سلاحًا فتاكًا لأمريكا. توجه هذا الروبوت إلى العدو بمساعدة رادار توجيه، وقطع الهواء بسرعة 2.5 ألف كيلومتر في الساعة، أي ضعف سرعة النماذج السابقة. لم تتمكن كل مقاتلة من اعتراضه أثناء الطيران! حتى ضربة من رأس حربي عادي يزن 216 كيلوغرامًا لمثل هذا الصاروخ خطيرة

للغاية. عند ملامسة هدف بزاوية أقل من 45 درجة، انفجرت شحنة K-12B داخل السفينة، مما أدى إلى سحق بطنها. أما إذا كانت الزاوية أقل، فإن الصاروخ ينفجر متحولاً إلى كتلة من الغازات الساخنة بالقرب من الجانب.

تبع هذا الطراز في عام 1962 طائرة صواريخ KSR برؤوس حربية تزن 800 كيلوغرام ومدى 150 ميلاً. حملت طائرة Tu-16 صاروخين من هذا النوع تحت جناحيها.

ثم في عام 1964، حصلت الإمبراطورية على صواريخ KH-22 الكاميكازية.

4

لا تزال هذه الصواريخ تُشكل كابوساً للأميرالات الغربيين. فبوصولها إلى سرعة طيران تبلغ 3600 كيلومتر في الساعة (كيلومتر في الثانية!) ومدى قتالي يتراوح بين 300 و500 ميل، تُوجه صواريخ KH-22 ضربات ساحقة. عند اصطدامها بجانب الضحية، تُحدث حفرة مساحتها 20 مترًا مربعًا، وتحرق بطن السفينة حتى عمق 12 مترًا بنفث تراكمي! ليس عبثًا أن تُلقَّب في الولايات المتحدة الأمريكية بـ"كينغفيش" - أي "السمكة الملكية".

للمقارنة، كان عرض قاذفة شيفيلد التي أصابها صاروخ "إكزوسيت" الضعيف 14.2 مترًا فقط! تستطيع قاذفة "كيه-22" ضرب قلب حتى طراد ثقيل مثل "تيكونديروجا" الأمريكية. تم تركيب قاذفة "كيه-22" على الطراد الطائر الروسي الأسرع من الصوت "تو-22إم زد". هذه هي طائرات "العاصفة الحمراء" التابعة لـ"كلانسي" التي تدمر مجموعة حاملات الطائرات الغربية، ولكنها لا تُغرقها لسببٍ ما.

لنترك هذا الأمر للضمير الأمريكي. لكن هناك أمرٌ آخر واضحٌ لنا: بمثل هذا السلاح الخارق، لم يكن الكرملين ليخشى الأساطيل الغربية. ومع ذلك، كان الناتو يخشى "السمكة الملكية"، وكيف. ففي النهاية، تستطيع طائرة "تو-95" أيضًا حمل قاذفات "كيه-22" - قاذفاتنا الإمبراطورية بعيدة المدى، وهي طائرات أنيقة بأربعة محركات وأجنحة مائلة. كان للطائرة تو-95، الملقبة بـ"الدب" في الولايات المتحدة، مدى هائل بلغ 18 ألف ميل. انطلقت من شبه جزيرة كولا حاملةً صاروخ KH-22، ما مكّنها من ضرب السفن الغربية في شمال الأطلسي. ومن قواعدها في الشرق الأقصى الروسي، وصلت إلى ساحل المحيط الهادئ للولايات المتحدة. شكلت طائرة KH-22 حجة قوية لدرجة أن الأمريكيين لم يجرؤوا على إرسال سفنهم السطحية إلى "المنطقة المتنازع عليها" في البحر الأبيض.

والحقيقة هي أنه وفقًا للمعايير الدولية، لا يمكن أن تتجاوز حدود الدولة البحرية 24 ميلًا من الساحل. لذلك، ووفقًا لهذه المعايير، يمكن للأمريكيين بسهولة الالتفاف حول شبه جزيرة كولا ودخول البحر الأبيض. ويخترق البحر الأبيض مناطقنا الشمالية بخليج عميق. دون انتهاك للقانون الدولي، يمكن للسفن الحربية الأمريكية الإبحار بالقرب من جزر سولوفيتسكي، والاقتراب من أرخانجيلسك وسيفيرودفينسك، ووضع بيتروزافودسك وتشيريبوفيتس تحت مرمى الصواريخ. هنا، على البحر الأبيض، تقع أحواض بناء السفن، والموانئ، والقواعد البحرية، وصناعتنا، وقاعدة بليسيتسك الفضائية. كان الغرب هنا بالفعل - في عام ١٨٥٤، عندما صد الرهبان الشجعان في سولوفكي هجومًا شنته فرقاطتان بخاريتان إنجليزيتان. أو في عامي ١٩١٨-١٩١٩.

لكن ستالين رسم خطًا بأنبوبه بين رأسي سفياتوي نوس وكانين نوس، قاطعًا البحر الأبيض عن المحيط العالمي. بعد أن أعلن: هذه هي المنطقة المائية التاريخية لدولتنا، تغسل أراضي بومور القديمة، والويل لمن يغزوها.

استاءت أمريكا، وصرخت ضد القانون الدولي، لكنها خشيت دخول هذا المكان على متن السفن. لأنها كانت تعلم: أن حقوق روسيا في البحر الأبيض كانت مدعومة بشكل موثوق من قبل أفواج من طائرات تو-٢٢ تحمل طائرات كينغفيشر تحت أجنحتها.

كان هذا هو الحال في ظل الإمبراطورية الجبارة. وماذا سيحدث الآن، عندما يحتل الكرملين أنصار "الديمقراطية العالمية"؟ ولكن في منتصف الثمانينيات، عندما بدأ الثرثار الأصلع في الكرملين يُذل نفسه ويُذلّ الغرب، لم يكن لدينا ما نخشاه. كانت لدينا طائرات إكس-22!

كانت موجودة حتى عندما جاء إلى الكرملين مُدمنٌ على الشراب، خادمٌ مخلصٌ للولايات المتحدة، ذو كلامٍ لزجٍ يُشبه القيء...

5

نحن الروس، بعد "الثاني والعشرين"، أنشأنا ترسانةً كاملةً من الأسلحة الحديثة

صواريخ لم تسمح للولايات المتحدة بالشعور بأنها "سيدة البحار والمحيطات". في سبعينيات القرن الماضي، بنى الاتحاد السوفيتي صواريخ Kh-29 الخفيفة، سابقةً بذلك عصرها.

صواريخ "التسعة والعشرون" هي أسلحة تُحوّل حتى الطائرات والمروحيات الخفيفة إلى سفنٍ مدمرة. وإذا كانت صواريخ روسيا المضادة للسفن، حتى ذلك الحين، تزن ما بين طنين ونصف إلى ستة أطنان تقريبًا، مما يتطلب قاذفات ثقيلة، فإن صاروخ Kh-29 يُستخدم لتسليح طائرات الهجوم Su-25 وSu-17 وSu-34. يُعلّق تحت أجنحة طائرات الميغ - "التسعة والعشرون"، "27"، "29"، تحت أجنحة قاذفة القنابل الخفيفة Su-24. صاروخ Kh-29، مثل صاروخ "إكزوسيت" الفرنسي، سلاحٌ هجوميٌّ منخفض المستوى. وحدها الفرنسية أغرقت السفن الإنجليزية بوزن نصف طن فقط من المتفجرات، بينما صاروخ "الموت المجنح" الروسي مُحمّل بـ 320 كيلوغرامًا. لا تزال سرعة طيران صاروخ "تسعة وعشرين" سرية. أمر واحد واضح: إنه أسرع من الصوت، يضرب كالبرق.

صُمم لتدمير أهداف برية وبحرية يصعب اختراقها، ولإغراق سفن تصل إزاحتها إلى 10 آلاف طن. بمعنى آخر، يمكنه التعامل حتى مع طراد أو غواصة نووية. صاروخ KH-29 هو سلاح "أطلق وانسى". على سبيل المثال، يحتوي طراز "T" على نظام توجيه تلفزيوني يلتقط الهدف حتى قبل إطلاق الصاروخ. أما طراز KH-29L، فهو مصمم للإضاءة بالليزر من الطائرات المهاجمة. لهذا السبب، حصلت طائرات MiG و Su-17 الروسية على أنظمة بصرية إلكترونية "Shkval" و "Kaira" و "Klen". تتراوح دقة الصاروخ المزود بـ"إضاءة" بين متر ومترين.

في أواخر الثمانينيات، عندما بدأت مجموعة من كُتّاب الصحف بتشويه سمعة الدولة والشعب الروسي، واضعين أشخاصًا مثل يلتسين في مكانة مرموقة، أطلق بعض حثالة الصحفيين على وطني اسم "فولتا العليا بالصواريخ". لكن فولتا العليا لا تجيد صنع الصواريخ. كما أن العرب الممتلئين بالدولارات لا يستطيعون فعل الشيء نفسه. ورغم أن الأمريكيين وصفونا بـ"دولة متخلفة" بكل قوتهم، إلا أنها كانت حربًا دعائية. في الواقع، كانوا يعلمون أنهم يواجهون أقوى إمبراطورية في تاريخ البشرية، مركز القوة العلمية والصناعية الهائلة.

لماذا صُدموا إلى هذه الدرجة من ظهور طائرة إكس-29 في بلدنا؟ لأنها كانت إشارة إلى أن الروس قد تلقوا أسلحةً لشن غارات جوية من حاملات طائرات إمبراطورية مستقبلية. إشارة إلى أن محيط العالم بأكمله سيكون قريبًا في متناول الاتحاد السوفيتي - الدب الشمالي!

٦

السبب بسيط: صواريخ كروز السابقة للاتحاد الأوروبي بقيت أسلحة للطائرات الثقيلة، التي لا يمكن أن ترتكز على حاملات الطائرات. وطائرة X-29 مُسلحة بطائرات سريعة وخفيفة قادرة على الإقلاع من على متنها. لذا، قرر الروس بناء حاملات طائرات في النهاية!

صدمة الأمريكيين مفهومة. ففي السابق، كانوا يشعرون بأمان شبه تام وهم في جنوب المحيط الأطلسي، أو المحيط الهندي، أو في أقصى أقاصي المحيط الهادئ. هجمات الغواصات الروسية؟ إنهم محميون منها بدروع قوية مضادة للغواصات من المدمرات والفرقاطات والمروحيات. غارات من طائرات روبوتية؟ سيتعين عليهم التحليق لساعات طويلة عبر آلاف الأميال دون غطاء من المقاتلات، والهجوم في حدود مداها. يقولون إننا سنكتشف القاذفات الروسية المُحمّلة بثقلها مُسبقًا، وسنرسل طائرات F-15 وF-14 الأسرع من الصوت الرشيقة لمواجهتها. بسبب ثقلها، واضطرارها لتوفير الوقود، وبطء طيرانها مقارنةً بالمقاتلات، سيتم إسقاط الروس. حتى لو طوّر الأسطول الأمريكي قدراته وبدأ عمليات مراوغة، فإن الروس، عند حدود مدى طائرات توبوليف، سيخسرون فرصتهم الأخيرة للمناورة واستخدام "الهجمات الكاذبة" - لن يكون هناك وقود كافٍ. باختصار، كل شيء "على ما يرام"!

لكن الآن... الآن عليهم الاستعداد لظهور حاملات طائرات روسية عملاقة في مياه العالم، قادرة على الهجوم بأفضل مقاتلات العالم وعلى متنها طائرات إكس-29! والآن سيضطرون للقتال ليس فقط مع أسراب جوية مهاجمة، وليس فقط بالزوارق، بل أيضًا مع أنواع مختلفة من جثث الموت - مع تشكيلات حاملات الطائرات الروسية. كانت "النجوم والمشارب" متأخرة عنا كثيرًا في تطوير صواريخ كروز المضادة للسفن. لطالما اعتبرت الولايات المتحدة نفسها سيدة البحار، ولم تتوقع ببساطة ظهور قوات روسية ضاربة هناك، والتي ستضطر للقتال معها. الآن، على الأمريكيين اللحاق بنا في هذه الأسلحة، وخطر تكاليف باهظة جديدة يُخيم على الميزانية الأمريكية. كانوا يرتجفون خوفًا. وكانت إصلاحات الكرملين هبة من الله لهم.

7

طائرة X-29 معجزة، ليس فقط في جودتها القتالية، بل أيضًا في رخص ثمنها. في خريف عام 1993، اندلعت فضيحة: أجرت إدارة الرقابة التابعة للرئيس يلتسين، والتي كان يرأسها آنذاك إليوشينكو، المسجون حاليًا (وُضعت في صيف عام 1996)، تدقيقًا في أعمال تصدير الأسلحة.

اتهم أتباع إليوشينكو القائد العام للقوات الجوية، بي. دينكين، ورئيس لجنة صناعة الدفاع الحكومية، ف. غلوخيخ، بتوقيع عقد باطلة مع أذربيجان في أبريل 1992 لإنتاج 180 صاروخًا من طراز Kh-29 بقيمة إجمالية بلغت 153.4 مليون روبل. في مصنع إيغليم في باكو. بمعنى آخر، كان سعر سلاحنا الرهيب، حتى بعد تحرير الأسعار، يزيد قليلاً عن 6.5 ألف دولار للصاروخ الواحد.

للمقارنة: يُكلّف صاروخ إكزوسيت واحد حوالي مليون دولار. بمعنى آخر، في عام ١٩٨٥، كان بإمكان الاتحاد السوفيتي إنفاق المال على صاروخ مضاد للسفن مرة واحدة يوميًا.

أقل بعشرين مرة مما أنفقته الولايات المتحدة على أجهزتها. فهل يريدون أن يثبتوا لنا أننا كنا نختنق في سباق التسلح؟

دعونا نذكركم مرة أخرى: مدمرة الصواريخ الموجهة البريطانية شيفيلد، التي دُمرت بضربة إكزوسيت، كلفت 270 مليون دولار. وصاروخ إكس-29، الذي كان أقوى بمرتين من إكزوسيت، كلفه 6.5 ألف دولار فقط!

للأسف، كدنا نفقد إنتاج صواريخ إكس-29. فبالإضافة إلى مصنع باكو، كانت هناك أربعون شركة أخرى تُورّد المكونات. وقد جُهزت هذه الشركات برؤوس حربية في مصنع فوسكريسينسك للركام. بعد أن دمّروا الإمبراطورية وقطعوا روابط الإنتاج، حرم رجال العصابات والمافيا الذين استولوا على السلطة الروس من سلاحهم المعجزة...

...ولكن في صراعهم على الحدود البحرية، صنعت الإمبراطورية أيضًا صواريخ كروز أخرى قادرة على تدمير الأسطول الأمريكي. في مدينة كوروليف، شبه العادية، بضواحي موسكو، أتقن مصنع زفيزدا لبناء الآلات إنتاج مركبة Kh-31A، وهي مركبة تكتيكية مضادة للسفن مزودة بمحرك نفاث يعمل بالوقود الصلب ونظام توجيه راداري. إنها مركبة هجومية آلية خفيفة الوزن رائعة، تزن 690 كيلوغرامًا فقط، وهي سلاح لطائرات ميج-29، وسو-27، وسو-34، والمروحيات. روبوت بسرعة ثلاثة ماخات، ومداه يتراوح بين 50 و70 ميلًا.

صُممت مركبة Kh-31A كسلاح يمكن استخدامه دون دخول منطقة نيران الطائرات المضادة للهدف المهاجم، في ظل نيران كثيفة وتدابير إلكترونية مضادة من العدو. تخترق سطحها أو جانبها برأس خارقة للدروع وزنها 90 كيلوغرامًا، وتندفع بسرعة تعادل سرعة أفضل القذائف البحرية - 1000 متر في الثانية!

في عام ١٩٨٣، أي قبل عامين من وصول الخونة-المدمرين إلى السلطة في الإمبراطورية، بدأت زفيزدا بتطوير صاروخ X35، وهو صاروخ خفيف مضاد للسفن مُصمم للطائرات والسفن والمروحيات.

ولكن ما تأثير صاروخ X-35 "الخفيف" الذي يندفع بسرعة كيلومتر واحد في الثانية؟ في ٢٤ مايو ١٩٤١، اخترقت قذيفة واحدة عيار ٣٨٠ ملم ووزن ٨٠٠ كيلوغرام، أُطلقت من سفينة بسمارك التابعة لهتلر، من أقصى مدى لها تقريبًا، دروع وسطح البارجة البريطانية الضخمة "هود"، مُفجرةً مخازن البارود الخاصة بها. تُعادل الطاقة الحركية لضربة صاروخ KH-35 ‎٨٠٪ من قوة ضربة قذيفة بسمارك. ومع ذلك، فإن "هود"، على

عكس حاملات الطائرات والطرادات الأمريكية الحديثة، كانت مغطاة بدروع قوية، يصل سمكها إلى ٣٠ سنتيمترًا. هذا يعني أن صاروخنا الخفيف سيخترق جوانب وأسطح السفن الأمريكية وصولاً إلى مراكزها الحيوية، وينفجر داخلها بكرة غازات ساخنة ساحقة.

جُهز الصاروخ بمحرك نفاث ونظام توجيه مُدمج يتغلب على أي تداخل إلكتروني. كما تم تعديله للإطلاق من المنشآت الساحلية، مما يمنح الدفاع الساحلي للإمبراطورية مجموعة من الأسلحة متعددة الأغراض بدقة عالية.

كان من المقرر أن يدخل صاروخ KH-35 الخدمة عام 1995. ولكن للأسف، قبل ذلك بثلاثة عشر عامًا، لم يكن المصممون ليتخيلوا ما سيحدث لإمبراطوريتنا. كان من المتوقع تركيب هذه الصواريخ حتى على طائرات ميج-21 "العتيقة". كان من الممكن أن يكون هجوم سرب من هؤلاء "المخضرمين" الأسرع من الصوت على حاملة طائرات آخر هجوم لها. وكان من المقرر تركيب ثمانية صواريخ من هذا النوع على طائرة توبوليف-142 المضادة للغواصات. تبلغ سرعتها 300 متر في الثانية فقط. لكن ميزتها الرئيسية ليست سرعتها. يبلغ مدى إطلاق هذا النظام 130 كيلومترًا، ويحلق في البداية على ارتفاع 5-10 أمتار فقط، وعند اقترابه من الهدف، يضغط على سطح البحر على ارتفاع 3-5 أمتار. وبذلك، أصبح منيعًا عمليًا ضد الصواريخ الغربية المضادة. جاهزًا للإطلاق، يمكن تخزين صاروخ KH-35 لسنوات في خرطوشة أسطوانية قابلة للاستخدام مرة واحدة - حاوية إطلاق. يحتوي "دماغ" الصاروخ على عدة قنوات توجيه وبرنامج مرن للمناورة المضادة للطائرات. ولمنع خداعه بالأهداف الخاطئة، تُعزز "رؤية" رادار الروبوت بالحرارة والأشعة تحت الحمراء. ومثل KH-31، يمكن لصاروخ KH-35 العمل في درجات حرارة تتراوح من القطب الشمالي إلى المداري (من -50 إلى +50 درجة مئوية). ووزن رأسه الحربي مناسب، 145 كيلوغرامًا...

كنا نستعد لاعتماد صواريخ كروز أخرى مصممة لإغراق السفن التي يصل وزنها إلى 8 آلاف طن. كان من المفترض أن تخترق هذه الصواريخ جوانب الكائنات الفضائية بضرباتها، مخترقةً أحشائها الرقيقة بلسعة نارية قوية. كانت البلاد، كما أقرّ غورباتشوف عام ١٩٨٥، تمتلك قوى هائلة، خاصةً فيما يتعلق بصواريخ كروز المضادة للسفن.

في عام ١٩٨٠، ابتكر مكتب رادوغا للتصميم نموذج M80-3 موسكيت لتسليح السفن ومقاتلات سو-٢٧ك. يتميز هذا "الموت المجنح" السريع برأس توجيه راداري، محمي جيدًا من محاولات خداعه. في الغرب، كان يُطلق عليه اسم "صن بيرن" - "صن بيرن". فعندما تُهاجم سفينة بصواريخ كروز، تُقاتل من أجل حياتها حتى النهاية، وتُشغّل مولدات التشويش بكامل طاقتها، مُطلقةً سحبًا من رقائق الألومنيوم وأهدافًا زائفة في الهواء. بهدف واحد فقط: تشويش رادار التوجيه الخاص بالروبوت الانتحاري المُندفع نحوها. من الصعب إبعاد موسكيت عن مسارها القتالي بالتشويش. كان الأمر صعبًا للغاية لدرجة أن البحرية الأمريكية (عام ١٩٩٦) تدرس جديًا شراء دفعة من الصواريخ الروسية من هذا النوع. (سنتحدث عن صواريخ موسكيتس لاحقًا). كما صنعت شركة رادوغا نفسها صاروخًا بعيد المدى.

صاروخ ثقيل من طراز Kh-65SE مُصمم خصيصًا لتجهيز "طراداتنا الطائرة" الأسرع من الصوت من طراز Tu-22MZ.

نكتب هذه السطور في نهاية عام ١٩٩٦، وبعد خمس سنوات من الانهيار والفوضى، لا يزال الروس يتبوأون الصدارة العالمية في صناعة صواريخ كروز البحرية. هذا هو احتياطي الطاقة للحضارة الروسية المنهارة.

يقول أحد قوانين التاريخ: لا يصنع الإنسان المعجزات إلا تحت وطأة الضغوط الشديدة. كان هذا هو الحال في عامي ١٩٤١-١٩٤٢ البعيدين، عندما تمكنا من تزويد الجيش بأسلحة أفضل من الألمان... صنعت الإمبراطورية صواريخ كروز وهي تحت ضغط حلقة معادية. سيطر العدو على المحيطات وسمائها. لم تكن لدينا حاملات طائرات ولا غواصات مزودة بصواريخ نووية.

وأنجبنا أفضل القنابل الطائرة على وجه الأرض، تلك التي لا تحتاج إلى مساعدة طائرات توجيه أو أجهزة تحديد الأهداف. برؤوس توجيه قادرة على مسح البحر لعشرات الأميال واختيار هدف بناءً على "الصور" الإلكترونية للسفن المخزنة في "أدمغتها". تخزن ذاكرة روبوتات المدمرات لدينا معلومات حول تشكيلات السفن المختلفة - تشكيلات قتالية ومسيرة، والصاروخ نفسه يتعرف على ما أمامه: مجموعة حاملات طائرات، أو سرب إنزال، أو قافلة نقل. يختار بنفسه الأهداف الرئيسية ويندفع إليها، متجاوزًا الأهداف الثانوية. تبدو صواريخ كروز الغربية

بطيئة جدًا، عاجزة جدًا مقارنةً بصواريخنا. مع ذلك، سنقدم لمحة من الحياة، مأخوذة من "النجم الأحمر"، لما فيها من سحر وجاذبية...

...بعد هدير محرك الإطلاق، انطلق الصاروخ، وهو يزبد قليلًا على سطح البحر، من عمق الماء، ورسم "تلة" ثم أبطأ سرعته لبضع لحظات، كما لو كان ينتظر شيئًا ما. بعد الصاروخ الأول، واحدًا تلو الآخر، خرجت عدة صواريخ أخرى من أحضان البحر.

وسرعان ما اتضح سبب "تباطؤ" من أطلقوا الهجوم أولاً: كجنود مدربين في استعراض عسكري، اصطفوا ثم اندفعوا نحو الهدف - مجموعة من سفن الهجوم المعادية، التي حسمت أدمغتهم الإلكترونية الباردة مصيرها على الفور، موزعةً الأهداف فيما بينها ومختارةً تكتيكات الهجوم. لم يعد بإمكان النيران الكثيفة لأسلحة المدافعين المضادة للطائرات تغيير أي شيء - كانت تصرفات الجانب العقابي متعمدة للغاية، وكان الهجوم مفاجئًا لا يُقاوم...

8

كان لدينا الكثير. الكثير لنكسب مكانةً جديرةً في البحار ونحمي شواطئنا.

دعونا نذكركم مرة أخرى: إن إغراق أحدث المدمرة البريطانية، شيفيلد، وعلى متنها أسلحة نووية في مايو 1982، والذي صدم العالم أجمع، كان نتيجة صاروخ إكزوسيت فرنسي واحد، وهو صاروخ ضعيف برأس حربي يزن 150 كيلوغرامًا. جميع "روبوتاتنا الانتحارية" التي تحدثنا عنها تحمل رؤوسًا حربية تتراوح أوزانها بين طن و320 كيلوغرامًا من المتفجرات. ولا يتفوق على هذه الفئة من "الأسلحة الثقيلة" سوى صاروخي Kh-31A (90 كيلوغرامًا) وKh-35 (145 كيلوغرامًا).

الصاروخ الأمريكي الرئيسي المضاد للسفن هو صاروخ هاربون، بشحنة 225 كيلوغرامًا ومداه 120 كيلومترًا. أما صاروخ سي سكوا البريطاني، فيبلغ مداه 24 كيلومترًا، بحمولة 35 كيلوغرامًا من المتفجرات.

أسلحتنا أفضل وأقوى من الأسلحة الغربية. فماذا كان ينتظر أساطيلهم في المعارك البحرية مع الروس؟ في ربيع عام 1982، اقترب سرب إنجليزي مكون من 136 سفينة من جزر فوكلاند التي استولت عليها الأرجنتين - وهو أسطول غربي نموذجي. انطلق السرب من نفس أنواع السفن التي كانت في خدمة عدونا - الولايات المتحدة. لم يشتبك الأسطول الأرجنتيني مع البريطانيين، بل اقتصرت الهجمات على الهجمات الجوية. خسرت إنجلترا سبع سفن. عشر سفن أخرى تضررت بشدة، على الرغم من أن نصف القنابل الأرجنتينية الأمريكية الصنع لم تنفجر!

دُمّرت فرقاطة الصواريخ الموجهة "أردنت" بأربع قنابل وزنها 225 كيلوغرامًا. اشتعلت فيها النيران: كانت هياكل العزل والمغنيسيوم والألمنيوم مشتعلة بشدة. ولم تنجُ بأعجوبة سوى المدمرة أنتريم والفرقاطة أرجونوت، إذ أُصيبتا بقنابل وزنها 454 كيلوغرامًا لم تنفجر.

ثم هلكت الفرقاطة أنتيلوب (بسبب قنبلتين وزن كل منهما 454 كيلوغرامًا) والمدمرة كوفنتري (ثلاثة من نفس "الأشياء" في وسط الهيكل). وتبعتهما سفينة النقل الجوي العملاقة "أتلانتيك كونواير"، التي أُصيبت بصاروخين من طراز "إكزوسيت". ثم جاءت سفينة إنزال الدبابات "سير جالاهاد"، التي اخترقتها ثلاث قنابل. لاحقًا، قدّر الخبراء أنه لو انفجرت جميع القنابل الأرجنتينية، لأغرقت ثلث الأسطول البريطاني، وخسرت 91 طائرة فقط!

ماذا لو لم يكن لدى الأرجنتينيين قنابل رديئة الجودة ولا قنابل "إكس" الفرنسية منخفضة الطاقة، بل قنابل "إكس-22" التي تحرق دواخل السفن؟ أو قنابل "موسكيتو"؟ مسكين الأسطول البريطاني! وصف أحدهم السفن الحربية الغربية، عن جدارة، بأنها "قشور بيض مسلحة بمطارق". نعم، كانت تحمل أنظمة صواريخ نووية. ولكن في الوقت نفسه، ومن أجل الاقتصاد، صُنعت من سبائك خفيفة للغاية وبلاستيك، وهو غذاء ممتاز للنيران. كانت تحمي من صواريخنا بنفس طريقة حماية ورقة منديل من رصاصة من مسافة قريبة.

فهل كان من الضروري حقًا الاستسلام للغرب، وهو يصرخ من تخلفه، ويمتلك مثل هذه الأسلحة ضد سفنه - "ألعاب نارية عائمة" و"قشور بيض"؟

لنتبع مثال كلانسي ونطلق العنان لخيالنا.

تم رصد سرب العدو بواسطة قمر صناعي. بعد عشر دقائق، انطلقت طائرات ميج-29 إم من على سطح فارياج. حلق الكابتن كلاشينكوف بالطائرة على ارتفاع منخفض، وكادت أن تقطع قممها.

أمواج المحيط الأطلسي، تتفادى رادارات العدو. كان من المفترض أن يهاجم هو ومساعده سفن الحراسة التابعة لسفينة العدو الرئيسية، حاملة الطائرات نيميتز.

لم يُشغّلا الرادارات على متنها حرصًا على التخفي. السرعة ١٣٠٠ ميل. كانت فارياج متأخرة مئتي ميل. عادت رسالة الاتصال الداخلي من الخوذة للعمل:

— المئة، أنا الثالث. هدفان. المسافة — مئتان، الاتجاه — مئة وعشرون. المسار مئتان وخمسة وثلاثون بسرعة ٢٨ عقدة.

شعر كلاشينكوف بقشعريرة عارمة. في مكان ما أمامه، على بُعد ساعتين، بين السحب، كانت طائرة استطلاع رادارية تُرسل إليه إحداثيات الهدف. ما هذا؟ سفن دورية رادارية بعيدة المدى، بالتأكيد. مدمرات أو فرقاطات مزودة بصواريخ موجهة. يمكنهم بالتأكيد التصدي لصواريخ سوخوي القادمة من الخلف. إلى الأمام!

كانوا متوترين هناك أيضًا. كانت المدمرة كونز والفرقاطة أوليفر هـ. بيري تحلقان في تشكيلٍ ذي حافةٍ تحملية، على بُعد ثلاثة أميال، وهوائيات رادارهما تخترق الهواء بنبضاتٍ كهرومغناطيسية. غطّت غيومٌ كثيفة السماء على ارتفاع ستمائة قدم. تجمدت أطقم القتال في مواقعها بتوتر...

ضغط كلاشينكوف على الزر، مُفعّلاً رؤوس صواريخ Kh-29T. كان يقترب من الأهداف من الجناح. لتصيب الصواريخ الجانب الأيسر للعدو. حان الوقت، إنها قريبةٌ بالفعل!

انطلقت طائرات الميغ بسرعةٍ هائلة، مُصطدمةً بدواماتٍ رماديةٍ من السحب الثلجية. شغّلت راداراتهما. رصدتا كلا الهدفين على بُعد خمسة وثلاثين ميلاً. بدأت إشارات التحذير تُصدر أصواتاً مع اقتراب رؤوس الصواريخ من الهدف. أطلق كلاشينكوف ومساعده الصواريخ في وقتٍ واحد. والآن اندفعت ذيول الصواريخ إلى الأمام...

- هدفان جويان! السرعة - ألفان... - أبلغ مشغل الرادار على متن سفينة أوليفر هـ. بيري. - أطلقوا أربعة صواريخ يا سيدي! المسافة - عشرون، بزاوية ١٠٥ درجات!

اندفعت تفريغات كهربائية للأوامر من مراكز القيادة الرئيسية للسفينتين:

- فعّلوا التشويش السلبي! أطلقوا النار على الطائرات! فالانكس - أطلقوا النار!

أدارت مدافع التتار المضادة للطائرات دلائلها، ووجهت كتائب النيران السريعة فوهات صواريخها بحزم. ضربت التدفقات الحارقة من فوهات الصواريخ بزئير. انحرفت طائرات الميغ فجأة، مبتعدة عن هجوم الصواريخ المضادة للطائرات، مطلقةً أهدافًا زائفة. الآن، كل شيء يدور حول صواريخ KH-29 المُطلقة...

أدارت المدمرة والفرقاطة مقدمتيهما لمواجهة الخطر. كان بإمكانهما بالفعل رؤية أربعة صواريخ تقترب من الماء. زأرت الكتائبان، مطلقتين ألفي قذيفة في الدقيقة.

لكن الصواريخ الروسية كانت تُثبت السفن في مرمى رادارها، وكانت الآن تنطلق بسرعة، مُنفذةً مناورة مضادة للطائرات. أُصيبت إحداها بنيران المدافع وانفجرت كرةً نارية. ألقت المدمرة والفرقاطة سحبًا من عاكسات القش الفضية في الهواء.

حدث كل ذلك في ثوانٍ معدودة. استحوذت سفينة كونز، التي كانت تتحرك خلفها قليلًا، على صاروخ من طراز Kh-29، لكن نظام رصد الصاروخ وجّهه مجددًا نحو الهيكل العلوي لمقدمة المدمرة. أسقطته سفينة فالانكس، واهتزت السفينة بفعل موجة الانفجار. مع ذلك، اصطدم صاروخ Kh-29 الثاني بمؤخرته محملًا بـ 320

كيلوغرامًا من المعدن والمتفجرات. أما بيري فكانت أقل حظًا. أصابها الصاروخ في جانبها، أسفل جسر القبطان. اخترق الصاروخ الهيكل كما يخترق السكين الزبدة، واشتعلت فيه النيران في حجرة ضباط الصف. انقطعت مقدمة الصاروخ الرئيسي، وتمزق جزء كبير من جانبه. تدفقت المياه الغزيرة إلى داخل الثغرة.

أمر القبطان نصف الأصم، ممسكًا بجانبه المصاب: "اتركوا السفينة!". اشتعلت النيران في الفرقاطة، ومنع تيار من المعدن الساخن طاقم الطوارئ من الوصول إلى موقع الانفجار. كان محرك الصاروخ المنفجر لا يزال مشتعلًا، ينبعث منه دخان سام. تومضت شاشات أجهزة الكمبيوتر الناجية وانطفأت، وغرق جسر السفينة في انعكاسات النيران الدامية - احترقت الحافلة الرئيسية التي تحمل التيار.

من جسر "كونتس"، رأوا كيف بدأت الفرقاطة، المغطاة بالدخان والبخار، تميل إلى اليسار. رقصت ألسنة اللهب فوق مقدمتها. وكانت المدمرة نفسها تفقد سرعتها بشكل كارثي...

تمكنت طائرات الميغ من الانعطاف يمينًا واقتربت من الأهداف على ارتفاع منخفض. حلقت فوق الماء بسرعة تفوق سرعة الصوت، مطلقةً ستة صواريخ من طراز Kh-31A. حُكم على كونتس بالفشل. تشبث القبطان بجهاز إعادة البوصلة الجيروسكوبية بيأس. غطّى الدخان الكتائب، واقتربت النيران من الصواريخ المضادة للطائرات.

"اتركوا السفينة!" هتف في الميكروفون بصوت أجش...

أحيانًا أتجمد في مكاني، مفتونًا بقوتنا المجنحة. يا إلهي، لماذا أخفوا كل هذا عنا؟ لماذا حرمونا من فخرنا الوطني المشروع؟

سئمت من تلفزيون اليوم. ها هو بوريس أبراموفيتش بيريزوفسكي الأصيل مع هجين - الكاتبة المسنة بوغوسلافسكايا - يمنحان جائزة العام لليهودي فوينوفيتش، الذي لم يقاتل قط. مبتكر صورة الأحمق تشونكين، "الجندي الروسي". تتكون لجنة تحكيم المسابقة من "أبناء المحامين" فقط - النحات نيزفيستني، و"الشاعر" فوزنيسينسكي، وبعض عازفي الكمان. بقايا متجددة من جنون الستينيات. مجموعة من المخلوقات، تتدافع بشراهة على حوض الحلوى - سواءً أكانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي أم رجل أعمال يهودي. ولا شيء على الشاشة سوى برامج عن إسرائيل، برامج حزينة عن البيتلز ومسلسلات تلفزيونية.

نريد شيئًا مختلفًا. قوةً وسلطة. نريد إمبراطورية!

الفصل السادس عشر: "أسلحة سريعة" للإمبراطورية. "تونغوسكا" و"إس-300" - ضد "صواريخ توماهوك". "كورتيك" اللعينة و"بانتسير" الموثوق. حتى ضد روبوتات بسرعة ثماني سرعات الصوت...

1

ثلاثة

تتربص الغواصات الأمريكية في قاع بحر بارنتس الجليدي، على بُعد ثلاثين كيلومترًا من الساحل الروسي. فوقها طبقة من الماء بسمك ستين مترًا. إنهم ينتظرون إشارة...

...في الوقت نفسه، هاجمت ثلاث غواصات بريطانية سفينة دورية روسية وأربعة زوارق كانت تقوم بدوريات على الساحل على الحدود الإمبراطورية النرويجية بالطوربيدات. ظنّ الروس أن قوات الناتو بدأت تخترق البحر الأبيض، فاضطروا إلى الدفع بقواتهم الرئيسية لصد الهجوم الكاذب. ممهدين الطريق للأمريكيين المتربصين. نظر قائد الغواصة النووية "شيكاغو" بتوتر إلى ساعته. في الساعة 16:02 بتوقيت غرينتش، كان من المفترض أن يطلق 12 صاروخ توماهوك كروز. أمر قائلًا: "ابدأوا سلسلة الإطلاق!".

أضاءت مؤشرات حالة نظام الأسلحة باللون الأحمر. أدخل القائد والضابط الأعلى مفاتيح الإطلاق في لوحة التحكم، وأدار الضابط الأدنى المفتاح إلى اليسار. كانت الصواريخ مُجهّزة. استيقظت أنظمة التوجيه الخاصة

بصواريخ توماهوك الاثني عشر في مقدمة الغواصة. تدفقت بيانات نقطة انطلاقها الأولية إلى حواسيبها، وسُجِّلت الوجهات في ذاكرتها مُسبقًا.

"أطلق!"، بدأت الأجسام الشبيهة بالسيجار، وهي تتناثر على أمواج بحر بارنتس، في الارتفاع واحدًا تلو الآخر، وانطلقت أعمدة من اللهب من فوهاتها. اندفع ستون صاروخ توماهوك نحو الهدف. وعندما انزلقت من الأعماق، رفعها مُعزِّز الوقود الصلب إلى ارتفاع ثلاثمائة متر. وهناك، بسطت الصواريخ أجنحتها القصيرة وفتحات الهواء، وشغَّلت محركاتها. هبطت كل صاروخ بسلاسة، ووصل ارتفاعها إلى عشرة أمتار. بدأ الرادار الموجود على متن الغواصة بالعمل، وانطلق الصاروخ في مساره المُحدَّد. أبقت الرادارات الصاروخ قريبًا من الأرض، مُرسِمةً مساره وفقًا للتضاريس المُخزَّنة في ذاكرة حاسوبها.

اكتشفت ستة رادارات روسية إطلاق الصاروخ. لكنها فقدت الإشارة فور هبوطها على ارتفاع منخفض. اخترقت صفارات الإنذار الصاعقة مراكز قيادة الدفاع الجوي للاتحاد السوفيتي على الفور. استعدت الطائرات الاعتراضية للإقلاع من المطارات في جميع أنحاء الجزء الشمالي من البلاد.

بعد أن تغلبت على المنحدرات الشديدة لساحل كولا، اندفعت صواريخ توماهوك فوق التندرا المستنقعية المنبسطة. كانت هذه التضاريس مثالية لها، مما سمح لها بالتحليق على ارتفاع عدة أمتار بسرعة 800 كم/ساعة. حلقت جميع الطائرات الستين فوق بابوزيرو شرق مورمانسك، حيث تباعدت مساراتها. انطلقت المقاتلات الروسية من المطارات، وامتدت في سلسلة طويلة جنوب البحر الأبيض، بما في ذلك رادارات الرؤية المنخفضة. إلى أين كانت الصواريخ متجهة؟ إلى موسكو؟ ففي النهاية، كان بإمكانها الطيران حتى البحر الأسود. لكن صواريخ توماهوك، بعد أن تجاوزت بابوزيرو، وصلت إلى غابة صنوبر قزمة، وهناك انعطفت فجأة إلى الغرب، إلى اليمين. فقدت إحداها السيطرة وسقطت على الأرض. وذهبت أخرى بالخطأ جنوبًا. لكن البقية اندفعوا مباشرةً نحو الهدف: إلى مطار أومبوزيرو-يوجني، إلى قاعدة قاذفات توبوليف-22 إم زد الرهيبة، التي دمرت مؤخرًا السرب الغربي في المحيط الأطلسي. إلى أربعة مطارات جنوب مدينة كيروفسك المنجمية...

...حدّق طيار طائرة توبوليف التي كانت تقترب للهبوط بدهشة في الجسم الأبيض الغريب الذي ظهر مباشرة فوق المدرج. كان يعلم أن ثلاثة أفواج دفاع جوي مزودة برادارات وبطاريات صواريخ مضادة للطائرات متنقلة منتشرة على التلال المحيطة بكيروفسك...

...مرت أول اثنتي عشرة صاروخ توماهوك بزاوية طفيفة فوق المدرج. انفتحت أغطية مقدمة الطائرة غير الحادة، وتناثرت مئات القنابل الصغيرة وحلقت باتجاه طائرات توبوليف-22 المتوقفة في الأسفل. كانت كل واحدة منها بقوة قذيفة هاون عيار 107 ملم. بعد أن تناثرت حمولتها القاتلة، حلّق كل صاروخ توماهوك إلى الأعلى كالشمعة، ثم هبط ليسقط ويقذف ينابيع من الوقود المشتعل.

تحولت المطارات إلى بحار من اللهب. وانفجرت القاذفات الروسية التي كانت تضرب الأرض واحدة تلو الأخرى. دُمّرت واحدة وعشرون من أصل خمس وثمانين. وتضررت حوالي ثلاثين...

2

اقتبسنا هذه الحلقة من كتاب توم كلانسي الدعائي "العاصفة الحمراء" الصادر عام ١٩٨٦. كتب من تلك الفترة، عندما كانت الولايات المتحدة في عهد ريغان متحمسة بشكل خاص في دعايتها لتدمير الروس عسكريًا. تدمير الدب الشمالي المتخلف، الدب الأحمر، بمساعدة التقنيات المتقدمة...

كان التوماهوك أحد أوهام الولايات المتحدة في تلك السنوات. لقد عبدوه حرفيًا. سلّحوا به الغواصات والطرادات والقاذفات والبوارج الحربية الحديثة "أيوا"، التي صُنعت في الحرب العالمية الثانية.

كعادته، التزم كلانسي الصمت بشأن بعض الأمور. لم تكن صواريخ التوماهوك قادرة على الطيران من بحر بارنتس إلى البحر الأسود إلا بشحنة نووية خفيفة. عند تجهيزها برأس حربي أثقل وزنًا بنصف طن من المتفجرات التقليدية، ينخفض مداها من ألفين ونصف إلى ألف ونصف كيلومتر. وحتى في عام ١٩٨٥، عندما كُتبت "العاصفة الحمراء"، كان بإمكان الغواصات إطلاق صواريخ توماهوك على بُعد لا يقل عن ٨٠٠ ميل من الشاطئ - وإلا لما توافر الوقت الكافي لأنظمتها على متنها لإجراء جميع الحسابات.

في يناير/كانون الثاني وفبراير/شباط ١٩٩١، اختبرتها الولايات المتحدة عمليًا - ضد العراق بدفاعاته الجوية المتخلفة وقواته البحرية الضعيفة. قصفوا بغداد بأعداد كبيرة بصواريخ توماهوك، انطلاقًا من سفن في الخليج العربي. ضربوا مراكز التحكم والمخابئ الحكومية ونقاط الاتصال ومراكز أنظمة دعم الحياة. دمروا محطات توليد الطاقة - وغاصت بغداد في الظلام. دمروا محطات وأنظمة الضخ.

شبكة الصرف الصحي - غمرت المياه المدينة بالمياه والصرف الصحي، وتفشت الأمراض المعدية. نقلت جهات الاتصال الغربية بشغف لقطات: عراقيون يطوون رؤوسهم على أكتافهم بينما تحلق "سيجار" رفيعة الأجنحة فوق رؤوسهم مدويًا. في عام ١٩٩٥، استخدمت الولايات المتحدة صواريخ توماهوك ضد الصرب في المناطق الجبلية والغابات. وفي عام ١٩٩٦، استخدمتها مجددًا ضد العراق. ظنوا أنهم سيتمكنون من ضرب نقاط قوة إمبراطوريتنا بصواريخ توماهوك من أساطيلهم بالطريقة نفسها.

لكنهم كانوا مخطئين. لدينا وسيلة مضادة لروبوتاتهم المجنحة لا يمتلكها العراق ولا حتى الولايات المتحدة. لنسمها "سلاح الإمبراطورية السريع". كلانسي، الذي يكذب بلا خجل في "عاصفته الحمراء"، لا ينطق بكلمة واحدة عنها...

أسماؤها "تونغوسكا" وأنظمة إس-٣٠٠. آلات لا مثيل لها في العالم أجمع. عندما بدأنا هذا الفصل، كانت لدينا بعض الشكوك - فالأمر لا يقتصر على القتال في البحر. لكننا بعد ذلك طرحنا شكوكنا جانبًا: "الأسلحة السريعة" تُستخدم في المحيط والبر، لصد ضربات الصواريخ من أساطيل العدو. تحمي السفن والمطارات والمدن وأرتال القوات الروسية أثناء تقدمها وفي المعركة.

نجحت قوة العقل الروسي والقاعدة العلمية والصناعية "المتخلفة" للإمبراطورية في حل مهمة بالغة الصعوبة: إنشاء أنظمة قادرة على ضرب صواريخ كروز والصواريخ الباليستية الطائرة. كان هناك طريقتان. الأولى هي صنع صاروخ صغير فائق السرعة قادر على اعتراض صاروخ "توماهوك" مندفع. بمعنى آخر، إسقاط رصاصة طائرة برصاصة أخرى. والثانية هي تصميم مدفع فائق السرعة، يُصوّب بسرعة ودقة مذهلتين على هدف يصعب إصابته يندفع بسرعة هائلة.

نجحت الإمبراطورية في حل هذه المشكلات، بعد أن جمعت بين الطريقتين في آلات "الأسلحة السريعة"، وزوّدت كلاً من السفن والقوات البرية بها.

٣

في ربيع عام ١٩٩٦، قُتل فالنتين سميرنوف برصاصة في وجهه عند هبوط منزله. أكاديمي، حائز على جائزة لينين، مصمم إمبراطوري، أحد مبتكري منظومة إس-٣٠٠، السلاح الروسي الخارق.

قُتل بأمر من كبير المحاسبين في شركة تجارية، أُجبر على العمل فيها "تحت حماية" مجموعة أورالماش. كان يُفكك أجزاءً تحتوي على الذهب من صواريخ قتالية. أُجبر على كسب المال بهذه الطريقة ليُكمل آخر أعماله - تصميم المناطيد الروسية في القرن الحادي والعشرين. بمناسبة وفاته، لم يُبدِ أهلنا من ذوي الشعر المجعد والثرثارين نفس البكاء والحداد الذي سادهم قبل عام، عندما قُتل "أخوهم بالدم"، رجل الأعمال التلفزيوني اليهودي ليستيف. اشتهر بمظهره الشبيه بليون تروتسكي الشاب، وبإضحاكه ملايين الناس بألعابه التلفزيونية وبرامجه الرائجة، المقتبسة من عارضات أزياء أمريكيات.

بضغطة زر واحدة، فقدت روسيا صوابها، الذي يساوي رؤوس جميع أبناء "الطبقة المثقفة الديمقراطية". وكذلك رؤوس جميع التجار الروس الجدد بأكوابهم الإجرامية، وخواتمهم على أصابعهم السمينة، وظهور رؤوسهم المسطحة، وستراتهم البورغندية.

كان سميرنوف هو من صدم الغرب بفكرته المبتكرة. في عام ١٩٧٩، ابتكر مكتب ألماز المركزي للتصميم أول نموذج لمجمع إس-٣٠٠ المتحرك والقابل للنقل، المصمم لتدمير أي أهداف جوية، بما في ذلك الطائرات منخفضة التحليق وصواريخ كروز. أطلق عليه الأمريكيون اسم إس-١٠.

إسقاط رصاصة طائرة برصاصة... حقق إس-٣٠٠ هذا الحلم الرائع. استخدم النظام إطلاقًا عموديًا للصواريخ: لم تكن هناك حاجة لتوجيه كامل كتلته نحو الهدف، مما أدى إلى إضاعة أجزاء ثمينة من الثانية. كان مسار الصاروخ المضاد المُطلق يُحدد بواسطة مُحدد متعدد الوظائف لكشف الهدف وإضاءته. احتوت كل قاذفة S-300 على أربعة صواريخ.

وفر نظام S-300 المُعدّل، المُصمم في شركة NPO Antey التابعة لفينيامين إفريموف، غطاءً من الصواريخ الباليستية وصواريخ كروز (ناهيك عن الطائرات من جميع الأنواع) لمئات الكيلومترات المربعة. أُطلق صاروخ باتريوت الأمريكي ست طلقات على صاروخ سكود واحد، بينما أُطلق صاروخ S-300 طلقة واحدة.

صُنع هذا النظام في مصنع كالينين لبناء الآلات في يكاترينبورغ، الذي تأسس عام 1866 في سانت بطرسبرغ كمصنع مدفعية، ونُقل إلى جبال الأورال عام 1941 (العرض العسكري، العددان 8-9، 1994).

أحدث تعديل لصاروخ S-ZOOPM-1، المُنتج في مصنع لينينغراد الشمالي، يُمثل دفاعًا ضد الضربات الجوية على المدن والمصانع ومراكز البنية التحتية العسكرية. كما تم تركيب "الثلاثمائة" من النسخة البحرية "ريف" على طرادات فئة أورلان - على طرادات أوشاكوف وناخيموف وبيوتر فيليكي. صُنع هذا الصاروخ من قِبل شركة ألماز بين عامي 1985 و1989. مُسلح بصواريخ N6E48 كونبورو فاكل، ومُزود برادار مصفوفة طورية، يُصيب طائرات العدو على مسافة مائة وخمسين كيلومترًا. للمقارنة: أنظمة "سي سبارو"، المُجهزة بها حاملات الطائرات العملاقة الأمريكية، تُصيب طائرات العدو على مسافة 20 كيلومترًا فقط. أي أقرب بسبع مرات ونصف! ونظام "سي دارت"، الذي جُهزت به المدمرة شيفيلد التي أُغرقت بصاروخ كروز، لا يُصيب إلا على مدى 30 ميلًا. وحتى في هذه الحالة، لا يُصيب إلا الأهداف التي تُحلق على ارتفاع يزيد عن 156 مترًا. أما إذا انخفض عن هذا المستوى، فستصبح بعيدًا عن متناول العدو. يصيب نظام S-ZOOPM-1 الطائرات والصواريخ المجنحة في نطاق 150 كيلومترًا. حتى لو كانت تحلق على ارتفاع عشرة أمتار من الأرض أو الماء بسرعة 10 آلاف الأميال في الساعة! وهو يُسقط صاروخًا باليستيًا ضمن دائرة نصف قطرها 40 كيلومترًا...

عشرة آلاف كيلومتر في الساعة تعادل 2.77 كيلومتر في الثانية. تبلغ السرعة الابتدائية لرصاصة أحدث تعديل على الكلاشينكوف 900 متر في الثانية. بمعنى آخر، يستطيع نظام إس-300 إصابة أهداف تطير أسرع بثلاث مرات من الرصاصة! بينما حلقت صواريخ توماهوك كلانسي بسرعة 800 ميل في الساعة فقط. إنه "سلاح الإمبراطورية السريع" الذي لا مثيل له في الغرب. يُطلق نظام إس-300 مسافة 30 كيلومترًا في الهواء، ويمكنه إطلاق النار على 6 أهداف في وقت واحد، وتوجيه 12 صاروخًا منه في الوقت نفسه وإطلاق ثلاثة منها في الثانية. هل ما زلت تُصدق حكايات التخلف الروسي؟ يحتوي نظام إس-300 على 48 صاروخًا في "مشبكه" ويمكن نشره للاستعداد القتالي في خمس دقائق. في عام ١٩٩٣، عندما عُرض نظام إس-٣٠٠ في معرض أسلحة بأبو ظبي، شاهد الأجانب "سلاحنا السريع" وهو قيد الاستخدام في موقع اختبار ماكادرا. دُمّرت الأهداف التي أُطلقت - صواريخ كروز - برصاصتين.

في منافسة أنظمة "الأسلحة السريعة"، لم نكن نتفوق على الولايات المتحدة فحسب، بل على الغرب بأكمله مجتمعًا. روّج الأمريكيون على نطاق واسع لنظامهم المماثل - إم١إم-١٠٤ "باتريوت". صُنع هذا النظام بحلول عام ١٩٧٧، ولم يُعلّموه إطلاق صواريخ العدو إلا في سبتمبر ١٩٨٦. (تعلمنا فعل الشيء نفسه عام ١٩٨٤). نظام "باتريوت" أسوأ بكثير من إس-٣٠٠. يجب توجيه قاذفه الثقيل نحو الهدف. إذا كان مدى S-300 يبلغ 90 ميلاً، فإن النظام الأمريكي لا يمكنه القيام بذلك إلا على ارتفاع 60 ميلاً. يدمر نظامنا الأهداف على ارتفاعات تتراوح من 10 إلى 25000 متر، بينما يمكن لنظام باتريوت القيام بذلك على ارتفاعات تتراوح من 60 إلى 24000. يمكن لأحد أنظمتنا توجيه 12 صاروخًا إلى الأهداف في وقت واحد، بينما لا يمكن للنظام الأمريكي القيام بذلك إلا على ثمانية. نطلق صاروخين على كل هدف لضمان التدمير، بينما لا يمكن للنظام الأمريكي القيام بذلك إلا على هدف واحد. فشل الباتريوت في شبه الجزيرة العربية بسبب الحرارة وسحب الرمال التي تثيرها الرياح، بينما يمكن لنظام S-300 العمل في درجات حرارة منخفضة تصل إلى -50 درجة مئوية، وفي درجات حرارة عالية تصل إلى -50 درجة مئوية. في الوقت نفسه، يمكن لنظام S-300 العادي إسقاط الأهداف التي تحلق بسرعة قصوى تبلغ 2.255 كيلومترًا في الثانية، بينما لا يمكن لنظام باتريوت إسقاط الأجسام التي تطير بسرعة لا تزيد عن 1.2 كيلومتر في الثانية. في عام ١٩٩١، اختبروا صواريخ الباتريوت في حرب العراق. ضربت الأخيرة إسرائيل والمملكة العربية السعودية بصواريخ سكود التكتيكية السوفيتية (R-14) من طراز ١٩٦٥. علاوة على ذلك، لم تُجدِ عملية التحديث نفعًا. لكن حتى هذه الصواريخ القديمة، لم يُسقط الباتريوت سوى ٣٦٪ من الحالات. كان أكبر حزن للأمريكيين هو إصابة ثكناتهم في داران، المملكة العربية السعودية، بصاروخ

سكود، حيث قُتل ٢٨ أمريكيًا. بمعنى آخر، كان لدينا "سلاح سريع" مضاد للصواريخ، أكثر فعالية بثلاث مرات تقريبًا من السلاح الأمريكي. كما كان لدى الإمبراطورية أيضًا رأس سميرنوف، القادر على ابتكار المزيد.

بعد تركيب نظام إس-٣٠٠ على السفن، تمكنا من شن هجمات صاروخية على الولايات المتحدة وأسرابها. لكن غارات روبوتاتهم المجنحة على الاتحاد السوفيتي، التي أُطلقت من طراداتهم، ربما لم تكن بهذه الروعة.

الجدول 4. خصائص بطارية صواريخ S-ZOOPM-1 من 6 صواريخ ("العرض العسكري"، العدد 3-4، 1995)

منطقة التدمير، كيلومترات

المدى الأقصى/الأدنى: 150/3-5 (100 لصاروخ "باتريوت")

الارتفاع: 27/0.01 (0.06 لصاروخ "باتريوت")

أقصى سرعة للهدف، كم/ساعة: 10,000

أدنى سطح عاكس للهدف، متر مربع: 0.02

أقصى مدى للاشتباك مع الهدف، كم:

- طائرات تكتيكية واستراتيجية: 120-150
- قوة استهدافية: الصواريخ على ارتفاع طيران يتراوح بين 0.06 و0.1 كم - 28-38
- الصواريخ الباليستية - 40
- وزن الرأس الحربي (كجم) - 143 (80-70 لصواريخ باتريوت)
- احتمال إصابة الأهداف:
- الطائرات - 0.8-0.93
- صواريخ كروز استراتيجية - 0.8-0.95
- عدد الأهداف/الصواريخ الموجهة التي تُصيب في وقت واحد - 36/72
- زمن استجابة النظام (بالثواني) - 10-8
- معدل إطلاق النار (بالطلقات/الثانية) - 3
- وقت النشر من المسيرة (بالدقائق) - 5 (30 لصواريخ باتريوت)

وكانت مفاجأة أخرى للغرب هي مدفع تونغوسكا S62 ذاتي الحركة - وهو "سلاح سريع" يجمع بين أنظمة مضادة للصواريخ ومدافع عالية السرعة. بدأ بناؤه عام ١٩٧٠ في مصنع أوليانوفسك الميكانيكي التابع لوزارة صناعة الراديو في الاتحاد السوفيتي، وكان المصمم العام هو الأكاديمي أركادي شيبونوف.

هيكل ضيق، مسطح عن الأرض. البرج مزيج رائع من هوائيات الرادار والصواريخ وأنابيب إطلاق الصواريخ. هذه هي تونغوسكا. هكذا كانت، محترقة ومحطمة، في قلب غروزني، مراسل صحيفة "زافترا"، الكابتن فلاديسلاف شوريغين. في ليلة رأس السنة عام ١٩٩٥، ألقى أحد الحمقى بقوات في هجوم ليلي على غروزني. مباشرة في متاهة الشوارع، في مصائد النيران، في كمائن مُجهزة. أُصيبت المعدات وأُحرقت بقاذفات القنابل، وأطلقت عليها النيران من الأسطح والأقبية. دُمرت جميع مركبات تونغوسكا الست التابعة للواء مايكوب ١٣١ آنذاك. على غرار القيادة الديمقراطية الحالية. في النهاية، تونغوسكا مقاتلة ضد صواريخ كروز والطائرات. وظيفتها هي التضاريس المفتوحة، وتغطية أرتال الدبابات. هنا، وليس في المدن المزدحمة، مهمتها.

تونغوسكا مسلحة بمدفعين من طراز A382 بمعدل إطلاق يصل إلى 5 آلاف طلقة في الدقيقة. (للمقارنة: يبلغ معدل إطلاق الكلاشينكوف 600 طلقة في الدقيقة). وثمانية أنابيب إطلاق لصواريخ M3119 المضادة للطائرات.

يمكنها إطلاق النار أثناء الحركة ومن وضع الثبات. ليس لها "طرق مسدودة".

مناطق، مثل الأنظمة الغربية، تُشكل "حفرًا ميتة" فوق الآلة مباشرةً. سيتم إسقاط أي هدف طائر ضمن دائرة نصف قطرها 8 أميال (بالنسبة لصواريخ تونغوسكا) و4 كيلومترات (بالنسبة لمدافعها). يمكن للهدف أن يحلق على ارتفاع منخفض: تعمل صواريخ M3119 على ارتفاعات تتراوح بين 10 أمتار و3.5 كيلومترات. وتصيب المدافع التي تقذف المعادن العدو على ارتفاعات تتراوح بين صفر متر وثلاثة أميال...

يراقب جهازان لتحديد المواقع مقاومان للتداخل الأهداف. أحدهما للكشف وتحديد الهدف بمدى 20 ميلاً. يميز بوضوح الأهداف المتحركة على خلفية الأجسام المحلية. أما الآخر فيوجه الطائرات والمروحيات، ويرسل أوامر التحكم إلى صواريخ تونغوسكا.

"عقل" الآلة هو نظام حاسوبي رقمي يتحكم في نظام التوجيه الهيدروليكي. إذا اكتشف الرادار هدفًا، فسيعطي إشارة دقيقة للنظام الكهروضوئي، الذي يتكون من منظار بتكبير ثماني مرات ومعدات إخراج بيانات لتوجيه الصاروخ بدقة.

أفضل دعاية لتونغوسكا هي شهادة محترمة من العدو. في كلانسي، كان الأمريكيون محظوظين. أصاب صاروخ سفينة تنقل جنودًا روسًا إلى أيسلندا، وعند إخماد الحريق المشتعل، عطّلت مياه البحر المالحة احتياطي تونغوسكا من الصواريخ الموجهة (التي تُطلق عليها كلانسي اسم SA-11 على الطريقة الأمريكية). في روايته، يُسقطون حتى طائرات الشبح:

"... حدد إيسلي إشارات رادار الكشف والتعرف على إحدى طائرات SA-11. كان إلينغتون يُحلق بسرعة 600 كم/ساعة فوق الطريق أسفل قمم الأشجار مباشرةً، واقترب منها على بُعد ثلاثة كيلومترات. انفصل صاروخ Sidearm من تحت الجناح وانطلق نحو جهاز الإرسال. في اللحظة نفسها، اندفع صاروخان نحوهما. ضغط ديوك على دواسة الوقود إلى أقصى حد، ثم انعطف شرقًا فجأةً، مُسقطًا رقائق معدنية وعلامات تتبع. تشابك أحد الصاروخين في سحابة من رقائق معدنية وانفجر. التقط الآخر إشارة رادار ضبابية منعكسة من الطائرة Chip ولم يهدأ. انطلق إلينغتون بسرعة هائلة وانحرف على الفور إلى أقصى قوة جاذبية، مُحاولًا خداع الصاروخ. لكن طائرة SA-11 كانت سريعة جدًا. انفجرت على بُعد ثلاثين مترًا خلف الطائرة Chip. قفز الطياران على الفور من الطائرة المنهارة... (الطائرة Chip هي اسم طائرة الشبح F-19 Ghost Rider). ... كان القائدان... يدرسان الخريطة. مع تولاند.

"لكن يجب أن نبتعد عن صواريخ سام. يقول من زاروا ألمانيا إن صاروخ SA-11 سيء للغاية..."

"فليجرب سلاح الجو صواريخ B-52 مرة أخرى،" اقترح أحد الخبراء. "سيأتون كما فعلوا من قبل، ولكن..." ثم أجرى بعض التغييرات على نمط الهجوم. "الآن وقد أصبح لدينا الجاكاس، قد ينجح الأمر."

"إذا كنت تريد مساعدتي، أيها الكابتن من الرتبة الثالثة، فربما عليك أن تكون أكثر تهذيبًا." من الواضح أن طيار برولر لم يعجبه أن تُطلق على طائرته التي تبلغ قيمتها أربعين مليون دولار هذا اللقب. "يمكنني التشويش على رادارات توجيه صواريخ سام، لكن لا تنسَ أنها مزودة برؤوس تعمل بالأشعة تحت الحمراء أيضًا. على بُعد خمسة عشر كيلومترًا من منصة الإطلاق، فإن احتمال إرسالك إلى العالم الآخر هو واحد لواحد." أكثر ما يُزعج في صاروخ SA-11 هو أنه يكاد لا يُخلف أي أثر دخان. لهذا السبب يصعب رصده. بل ويصعب أكثر تفادي صاروخ لا يُمكن رؤيته..."

ولهذا السبب، كان مشهد هجوم صاروخ كروز على المطارات الروسية سيبدو مختلفًا بعض الشيء في الواقع...

...استدارت صواريخ توماهوك فوق بابوزيرو وهرعت إلى المطارات جنوب كيروفسك. لكن إشارات الإنذار كانت قد انطلقت بالفعل في أفواج الدفاع الجوي التي تُغطي قواعد الطيران السوفيتي الثقيل. منذ بداية الأعمال العدائية، كانت صواريخ تونغوسكا مُرابطة في الخدمة على المرتفعات المحيطة بالمطار. والآن، عندما انطلق الإنذار، كانت راداراتها تُراقب الهواء فوق التندرا.

اثنا عشر هدفًا من الشمال الشرقي! كان المدى عشرين ميلًا. استدارت أبراج خمس صواريخ تونغوسكا برفق لمواجهة الهجوم. استغرق هذا ثانية واحدة، قطعت خلالها صواريخ توماهوك مسافة 222 مترًا فقط. تمسك

مدفعيو المركبات بمناظيرهم، فرأوا العدو وحددوا الأهداف المختارة بدقة. قامت أجهزة الكمبيوتر الموجودة على متن صواريخ تونغوسكا بتحليل التداخل والطقس والسرعة والارتفاع للأهداف. كما اختاروا نوع السلاح - صواريخ ومدافع. استغرق هذا خمس ثوانٍ أخرى. قطعت صواريخ توماهوك مسافة 1.1 ميل أخرى.

بقيت ست عشرة ثانية قبل دخول صواريخ توماهوك منطقة إطلاق المركبة الأولى. نشرت طائرتا تونغوسكا البعيدتان أبراجهما لاعتراض صواريخ كروز. وجّه الملازم سيبيرتسيف الصاروخ، محتفظًا بتحديد الهدف بدقة. بعد أن أصابته حزمة من النيران، اندفعت صواريخ تونغوسكا نحو العدو بسرعة 900 متر في الثانية. على بُعد ثلاثة كيلومترات شمال تونغوسكا في أقصى اليمين، أصاب صاروخ M3119 صاروخ توماهوك الأول في جبهته مباشرة، وظهرت كرة نارية فوق التندرا. أزاحت موجة الصدمة الناتجة عن انفجار صاروخ كروز صاروخًا آخر عن مساره، وسقط قطريًا على الأرض المغطاة بالطحالب.

حلّقت الصاروخ الثاني من تونغوسكا فوق صاروخ توماهوك الذي كان يحلق على الأرض. لكن فتيل التفجير غير الملامس عمل، فانفجر الصاروخ الروسي، مُطلقًا حلقة من قضبان معدنية طول كل منها 60 سم، وسحابة من الشظايا، مكعبات فولاذية تزن من 2 إلى 3 غرامات، ونصف قطرها خمسة أمتار. انطلقت بسرعة كونية، مع...

اخترقت قضيبٌ وشظايا عدة دبابات توماهوك، فامتدت على شكل شريطٍ ناري.

انفجرت مدافع عيار 30 ملم لآليتين روسيتين بنيرانٍ عاتية. كشفت آلات العدو الطائرة جوانبها لها. أطلق مدفعيو تونغوسكا سريعو النيران "أشعة" طويلة من اللهب، فشتتوا أربعة صواريخ توماهوك أخرى إلى قطع. تمكنت المنشأة الثالثة من إصابة عدو آخر بالصواريخ. وكانت الأفاعي النارية التي أُطلقت من منشآت إس-300 تندفع بالفعل نحو "الأمريكيين". لم تخترق سوى ثلاثة صواريخ الهدف. شتم العقيد إيفانوف بصوتٍ عالٍ: ست قاذفات احترقت. امتدت طبقةٌ عريضة من الدخان الأسود من الحطام المشتعل في التندرا...

هكذا كان الهجوم الذي وصفه كلانسي سيُحبط بواسطة تونغوسكا. فهي تُمثل تكثيفًا لأفضل قدرات إمبراطوريتنا في الثمانينيات. مع نهاية الحرب، ظهر صاروخ تونغوسكا-إم بنظام تثبيت مُحسّن ودقة إطلاق أعلى. وبدأ العمل على إدخال أنظمة تتبع الأهداف الآلية في الوضع البصري. كما عُدّلت المعدات المحمولة على متن الصواريخ لزيادة مداها من 8 إلى 10 كيلومترات. ولكن...

لكن غورباتشوف وديمقراطيته ظهرا.

5

وهكذا، امتلكت الإمبراطورية "سلاحًا سريعًا" لا يزال الغرب لا يُضاهيه (1996). افتتح صاروخا إس-300 وتونغوسكا حقبة جديدة في تطوير الأسلحة، وخاصة في الشؤون البحرية.

في أوائل الثمانينيات، كان على الأسطول الروسي التفكير في كيفية الدفاع عن نفسه من عدو جديد - أحدث صواريخ كروز الأمريكية. قام الأمريكيون بتركيبها على سفنهم. أصبحت غواصاتهم قادرة على إطلاق صواريخ "هاربون" من تحت الأمواج: عبر أنابيب طوربيد. حلّق هؤلاء الأعداء على ارتفاعات منخفضة جدًا بسرعات تفوق سرعة الصوت، وبدأوا مناورات مضادة للطائرات عند اقترابهم من الهدف. كانت رؤوسهم الحربية متعددة الطبقات مغطاة بالدروع.

كان من الضروري إنشاء "غطاء مضاد للصواريخ" فوق سفننا. ولكن كيف؟ فقط باستخدام "أسلحة سريعة"، وبتصنيع مدافع تطلق 5 آلاف طلقة في الدقيقة، وذلك لإطلاق أكبر عدد ممكن من القذائف على نافذة الاقتراب المُصممة لصاروخ العدو. وهكذا، في أواخر السبعينيات، ابتكر مكتب تصميم الآلات، بقيادة أركادي شيبونوف نفسه، مجمع الصواريخ والمدفعية ZM87 "كورتيك"، الذي طوّر الفلسفة التي وُضعت سابقًا في "تونغوسكا". "كورتيك" قادر على إصابة كل شيء يطير بالصواريخ على مدى يتراوح بين 8 و1.5 كيلومتر، ثم إطلاق النار على الهدف بمدافع رشاشة عيار 30 ملم (على مسافات تتراوح بين 1500 و500 متر).

يبلغ معدل إطلاق النار الإجمالي لمدفعي كورتيك سداسيي السبطانة 10,000 طلقة في الدقيقة! يُعدّ مدفع رشاش فولكان-فالانكس، المعروف بـ"صائد صواريخ كروز" وفخر الولايات المتحدة الأمريكية ذات التقنية العالية، قاذفًا قويًا يُطلق 2000 طلقة فقط. جمع شيبونوف بين كورتيك وتونغوسكا: فهما مُسلحتان بنفس الصواريخ مع جزء متفجر من قضبان الشظايا. يُكمّل توجيه كورتيك بالرادار منظارًا تلفزيونيًا بصريًا. يُصيب النظام ستة أهداف في الدقيقة، مُصيبًا إياها في ممر بعرض 350 مترًا يمينًا ويسارًا. يُدمر هذا النظام طائرة على مسافة ثمانية كيلومترات، وصاروخ كروز على مسافة خمسة أميال (الهندسة والأسلحة، العدد 5، 1995).

في عام 1983، تم تركيب نموذج أولي من كورتيك على زورق صاروخي من طراز مولنيا. ودخل الخدمة بعد ست سنوات. وُضعت ثمانية حوامل على حاملة الطائرات الأدميرال كوزنيتسوف، وستة على الطراد النووي الأدميرال ناخيموف. رُكّبت وحدتان على سفن الدوريات من فئة نيوستراشيمي. كان من المقرر إضافة مدافع "كورتيك" إلى ترسانة حاملتي طائرات إمبراطوريتين قيد الإنشاء، ولكن...

في عام ١٩٩٤، توقف إنتاجها. لماذا؟ اسألوا يلتسين، وتشوبايس، ويورينسون، وغيرهم من المُصلحين.

لكن لا تظنوا أن الأسطول لم يكن يمتلك "أسلحة سريعة" من قبل. ففي عام ١٩٦٣، بدأ ف. غريازيف وأ. شيبونوف تطوير مدفع AK-630 "المحرك" متعدد السبطانة عيار ٣٠ ملم، والذي يدور بغازات البارود. وقد حققا بالفعل معدل إطلاق نار هائل - ٥ آلاف طلقة في الدقيقة. في عام ١٩٧٦، دخلت هذه المدافع الخدمة في الأسطول. واستُخدمت (باحتياطي ألفي قذيفة) لتجهيز قوارب من نوع "مولنيا". وانتهى بها المطاف على أسطح مدافع الطراد الحامل للصواريخ "فارياج"، وعلى الطرادين القديمين "زدانوف" و"سينيافين"، وعلى السفن الكبيرة المضادة للغواصات من نوع "٦١ إم". بحلول خريف عام ١٩٩٤، وردت تقارير عن إنشاء منصة صواريخ ومدفعية "بالاش" في معهد توتشماش للأبحاث النووية، وهي سلاح خارق آخر للأسطول الروسي.

تطلق مدفعتاها الآليتان، سداسيتا الفوهات، ١٠ آلاف طلقة في الدقيقة! وتبلغ سرعة ثمانية صواريخ، مُدمجة مع منظومة بانتسير، ١,١ كيلومتر في الثانية كحد أقصى. وتصيب هذه الصواريخ هدفًا على مسافات تتراوح بين ١٠٠ متر و١٢ ميلًا، وعلى ارتفاعات تتراوح بين خمسة وستة آلاف متر.

وإذا كانت هذه المعجزة قد تحققت في دولة يلتسين الفقيرة، فماذا عساهم يفعلون في الإمبراطورية؟

٦

نقول بكل مسؤولية: في أواخر الثمانينيات، تفوقت الإمبراطورية على الغرب في تطوير "الأسلحة السريعة". ولذلك، يُعتبر نظام كروتال الفرنسي، شقيق تونغوسكا، أحد أفضل أمثلتها. بمدى كشف أهداف مماثل لمدى صواريخنا، تطير صواريخها بسرعة 800 متر في الثانية (9009 - M311 متر في الثانية)، وتصيب أهدافًا منخفضة التحليق على ارتفاع 50 مترًا. بينما صواريخ تونغوسكا - على ارتفاع 10 أمتار. تستطيع طائرتنا تدمير جميع...

وعلى ارتفاع مترين إلى ثلاثة أمتار - بنيران مدافعها. وهو ما لا تملكه كروتال إطلاقًا.

تُجهّز تونغوسكا بنظام "ربط" بأنظمة دفاع جوي أخرى. وبالتالي، يُمكن إنشاء مناطق دفاع كاملة من هذه الآلات، مع دعمها بأنظمة إس-300. يُفسد هذا جميع خطط توجيه ضربات بصواريخ توماهوك الأمريكية إلى مراكز القوة ودعم الحياة في الدولة.

جعلت هذه الأنظمة، بالإضافة إلى النسخ البحرية من إس-300، سفننا الحربية شديدة الصعوبة في مواجهة الهجمات الصاروخية الأمريكية. بدا أن "السلاح السريع" يُنزل حاجزًا واقيًا غير مرئي فوق طراداتنا وحاملات طائراتنا. كانت لدينا كل القوى والوسائل للمضي قدمًا في تعزيز قوة الدفاع المضاد للصواريخ. والآن، لصد الهجمات بصواريخ غير مرئية للمواقع السابقة. صواريخ مُصنّعة باستخدام تقنية "الشبح" (Stealth).

في عام 1991، عُرضت على الرئيس الأمريكي بوش صورة لصاروخ ASM من إنتاج شركة جنرال ديناميكس لأول مرة. صاروخ شبحي مسطح يشبه سمكة الراي اللاسع. يتراوح مداه بين 2500 و2700 ميل، وسرعته تفوق سرعة الصوت بـ 0.9 مرة (ف. أنيسيموف، إ. فولك. الهدف 2001 - جوكوفسكي، 1991).

لكننا سبق أن كتبنا عن تطوير أسلحة مضادة - رادارات طويلة الموجة وحاملاتها بدون طيار (انظر فصل "الروبوتات الهوائية" مقابل "الشبح"...). ستتيح هذه الأنظمة، إلى جانب معدات التوجيه من صواريخ "تونغوسكا" و"بانتسير" و"كورنيك"، رصد اقتراب "الأجسام غير المرئية" على بُعد مئات الأميال، ورصدها بدقة باستخدام الأشعة القوية لأجهزة تحديد المواقع التقليدية.

وبعد ذلك، ظهر سلاح سريع فائق السرعة، تعمل مدافعه على "البارود السائل". بقذائف بدون أغلفة - ذخيرة "تلسكوبية". بل وأكثر من ذلك - قذائف موجهة لإطلاق شظايا على شكل مخروط قاتل. أو أسلحة مبنية على مبادئ فيزيائية جديدة - البلازما والشعاع. هذا عدا عن الصواريخ المضادة المحمولة من الجيل الجديد.

7

من المرير الاعتراف بذلك، لكننا اليوم نفقد التفوق الروسي في "الأسلحة السريعة". المعجزات لا تحدث - من المستحيل التقدم إذا كان المصممون فقراء، وإذا كان صاحب عدة أكشاك يكسب شهريًا أكثر من أكاديمي متخصص في الأسلحة خلال عشر سنوات من العمل الدؤوب، وإذا كانت الدولة تُخصص بنسات زهيدة للدفاع والعلوم.

كان الأمر سيستغرق من الأمريكيين سنوات و3-4 مليارات دولار لإنشاء نظام مشابه لنظام إس-300. لكن في عام 1995، اشتروا النظام في بيلاروسيا مقابل 64 مليون دولار. أبرمت الصفقة شركة "بيلتيك إكسبورت"، التي سترسل بعد ذلك بقليل، بالتعاون مع شركاء من "أوكرانيا المستقلة"، قذائف فريدة للنظام إلى الولايات المتحدة.

لم يسبق قط أن تعرضت القوة الروسية لمثل هذه الهزيمة والإذلال! نقل موقع "تكنولوجيا - شباب" عن صحيفة "واشنطن بوست" في هذا الشأن:

"هبطت طائرة نقل عملاقة من طراز AN-124 بحمولة غير عادية في مطار هانتسفيل بولاية ألاباما... كانت تحمل أجزاءً من أحدث أنظمة الدفاع الجوي الروسية، التي حصلت عليها وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) بموجب صفقة سرية أبرمتها شركة "BDM" - مقابل 64 مليون دولار، زودت الولايات المتحدة الأمريكية بمنظومات S-300) SA-10).

اشترت هذه الشركة المتخصصة في تكنولوجيا المعلومات أسلحةً تسعى وكالة المخابرات المركزية والبنتاغون جاهدةً للحصول عليها منذ سنوات. ويُزعم أن هذا جزء من استراتيجية الولايات المتحدة الرامية إلى إذلال روسيا وإضعافها عسكريًا. تم تسليم مكونات SA-10 عبر السفن والطائرات. والآن، سيتم تجميعها ليتمكن المهندسون الأمريكيون من تحسين نظام باتريوت ونظام الدفاع الجوي الجديد الذي تطوره شركة لوكهيد مارتن.

يمكن تصنيف من يبيعون الكنوز الوطنية في روسيا على أنهم خونة. ولا تزال الولايات المتحدة تبحث عن أسرار عسكرية وتكنولوجية روسية. تحولت روسيا إلى سوق عسكري ضخم، يحكمه أقوى رجال المافيا...

في 18 ديسمبر/كانون الأول 1996، أفاد مراسل صحيفة "روسيسكايا غازيتا"، الكولونيل بوريس يامشانوف، أن شركة "بيلتيك إكسبورت" نفسها اشترت مجمع S-ZOOMU من الكازاخستانيين "المستقلين" في ربيع ذلك العام، والذي بقي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في ميدان التجارب في ساري شاغان، ثم اشترت معدات الحوسبة "إسكي" من روسيا يلتسين الفقيرة - جهاز UB40 مع جهاز YUB13، وهو مختبر خاص به. في نوفمبر/تشرين الثاني 1996، انتقل كل هذا مرة أخرى إلى بيلاروسيا، حيث بدأت الشركة التي ذكرناها سابقًا، بالتعاون مع شركة "أوكتا"، الاستعدادات المسبقة! ولكن لو لم تُقسّم الإمبراطورية إلى مجموعة من "الإمارات" اللصوصية، لما استطاع أي فيروس أن ينفذ مثل هذه العملية. واضطر الأمريكيون في تلك الحالة إلى إنفاق مبالغ طائلة لكشف أسرارنا دون أي ضمان للنجاح. أكرهكم أيها الأوغاد الديمقراطيون!

"تونغوسكا"، المعجزة الروسية... حتى نظام يلتسين منع تصديرها ككنز وطني. ولكن في أكتوبر/تشرين الأول 1992، وبدعم من نائب تشيرنوميردين آنذاك، السيد خيزها، باع رئيس "سبيتسفنيشتكنيكا"، اللواء و"ابن المحامي"، برايلوفسكي، "تونغوسكا" وأحدث دبابة T-80U إلى شركة ليبيرية (مسجلة في أفريقيا!) "أ بايندر إنك"، ثم سلمها إلى إنجلترا. مع مجموعة من الصواريخ والقذائف. لكن جمعية برايلوفسكي انتزعت عمولة قدرها 1.1 مليون دولار. البلاد في حالة حركة! ماذا تريدون؟ هذه الحقيقة رصدتها إدارة الرقابة.

من قِبل إدارة يلتسين، ونُقلت إلى مكتب المدعي العام. ولم يحدث شيء.

ما المُفاجئ؟ خلال "الاستئثار الكبير" بالخصخصة بين عامي 1991 و1994، كان تشوبايس ذو الشعر الأحمر يرأس لجنة ممتلكات الدولة، وتدفقت إليها كمٌ هائل من المعلومات حول المعاهد العلمية العسكرية ومصانع الدفاع. تشوبايس، هذا الرجل المُفضّل لدى الغرب، وتاجر التوليب السابق في سانت بطرسبرغ، لا يزال دوره المُريب في أحداث السنوات الأخيرة ينتظر مُحققيه. عندما كان مسؤولاً عن لجنة ممتلكات الدولة، كان العديد من الموظفين هناك يتحدثون الإنجليزية بلكنة أمريكية. وكان جوناثان هاي، المستشار الرئيسي للرجل ذو الشعر الأحمر، وثيق الصلة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والذي لم تُغادر أي وثيقة الوزارة دون توقيعه.

يُعتبر تشوبايس ذا قيمة كبيرة للغرب لدرجة أنه بعد استقالته في ديسمبر 1995، سارع مدير صندوق النقد الدولي كامديسوس بنفسه إلى موسكو مُوجّهاً إنذاراً نهائياً. هل ترغب في الحصول على قروض؟ أعيدوا تشوبايس. وقد فعلوا!

الأمريكيون بارعون في استغلال عقول الآخرين. في القرن العشرين، انصبّ تفكيرهم على الربح السريع، ففقدوا مهاراتهم الهندسية. ويحاولون الشراء بشكل متزايد. وبينما كنا نكافح لابتكار تكنولوجيا الصواريخ في عشرينيات القرن الماضي البعيدة، بينما كان الألمان منشغلين بذلك، فضّلوا بيع الكحول متحديين "القانون الجاف" وتنظيم احتفالات عالمية بروح رواية "غاتسبي العظيم". صُنعت لهم المروحيات على يد المهاجر الروسي إيغور سيكورسكي، مبتكر أول قاذفة روسية "إيليا موروميتس". أُنشئ لهم التلفزيون على يد الروسي فلاديمير زفوريكين، واكتفى اليهودي سارنوف بتمويله. حصلوا على محركات نفاثة من إنجلترا خلال الحرب العالمية الثانية، حيث عانى ويتلي منها لعقد ونصف. صنع الألمان لهم صواريخ باليستية وفضائية. الطفيليات الكبرى التي انغمست في الجنس الجماعي والمخدرات بالملايين في الستينيات، كنزٌ من العفن العاطفي، أتيحت لهم فرصة جديدة لامتصاص عقول الآخرين. الآن - عقولنا.

لكن هذا هو الحال الآن. وفي عام ١٩٨٥، كنا نفوز في سباق التسلح من حيث "الأسلحة السريعة". احتاجت الولايات المتحدة آنذاك إلى سنوات ومليارات الدولارات للحاق بالروس. وكانت صرخات الكرملين حول تخلف الإمبراطورية خداعًا لشعبه. ولم نكن نحن، بل هم من كانوا يختنقون في سباق التسلح.

بعد كل شيء، كانت سفننا تستعد بالفعل لمعارك مع الطائرات الروبوتية الأمريكية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت!

٨

في الثمانينيات، بدأت "النجوم والمشارب" العمل بجد على طائرات قتالية بدون طيار قادرة على الطيران بسرعات صوتية متعددة. صنعت منعطفات لا يستطيع تحملها ليس فقط الشخص في قمرة القيادة، بل حتى الصاروخ الذي يطاردها، بسبب الأحمال الزائدة العالية. على سبيل المثال، طائرة روبوتية بدون طيار، تحمل سلاح ليزر أو ميكروويف، وتتحمل حمولات زائدة تزيد عن 10-20 ضعفًا. ويتوقعون بدء الإنتاج التسلسلي لهذه الطائرات بحلول عام 2015 فقط! تولت شركة بوينغ مشروع طائرة مقاتلة-قاذفة بدون طيار من طراز LSF بقيمة 15 مليون دولار للطائرة الواحدة. يجب أن تتحكم مقاتلة F-22 مأهولة بثلاث طائرات قاتلة، تعمل على بُعد عشرات الكيلومترات أمامها، وتناور بحمولة زائدة تصل إلى 20 وحدة. بمعنى آخر، على مدى 20-30 عامًا، كان الأمريكيون يعتزمون بدء "حرب النجوم" على الأرض.

لكن "الأسلحة السريعة" للسفن الروسية في الثمانينيات كانت جاهزة للقتال مع الروبوتات الطائرة الغربية في عام 2015! ولنفس نظام S-300، طور مكتب تصميم Fakel صواريخ لا مثيل لها في العالم. على سبيل المثال، صاروخ V555، الذي يندفع بسرعة 1300 متر في الثانية. في المرحلة الأخيرة من الرحلة، ينتقل الصاروخ إلى

وضع تتبع الهدف. بمعنى آخر، يصبح الصاروخ بمثابة "I" الثاني للمدفعي المضاد للطائرات، وهذا التوجيه يجعل نظام V555 غير حساس للتداخل والأهداف الخاطئة. كما أن الإقلاع العمودي للصاروخ، عند استدارته نحو الهدف وهو في الجو، يسمح بوضع نظام S-300 حتى على السفن الصغيرة، بين الهياكل الفوقية والصواري. بينما اضطر الأمريكيون إلى إفساح مساحة كبيرة لحاويات دوارة مزودة بمضادات صواريخ، كان التحفة الفنية الحقيقية هي مقذوف آخر لنظام S-300 - صاروخ N6E48، بسرعة 2800 متر في الثانية (10 آلاف كيلومتر في الساعة)! من المستحيل النجاة من هذا الموت المفاجئ حتى بسرعة تفوق ثمانية أضعاف سرعة الصوت، مع مناورة بحمولة زائدة 25 ضعفًا. هذا السيف عالي التقنية قادر على ضرب طائرات منتصف القرن المقبل. لا يشترط حتى أن ينفجر مثل هذا الصاروخ عند اصطدامه بالهدف - فالطاقة الحركية لآلة تحلق بسرعة 2.8 كيلومتر في الثانية تتجاوز طاقة ارتطام قذيفة عيار 406 ملم من سفينة حربية عملاقة من الحرب العالمية الثانية، تُطلق من مسافة قريبة. أي طائرة ستُدمر ببساطة.

الفصل 17. الروس، حاملات الطائرات. مخاوف من قرطاج جديدة. سيفٌ مسلط على شانغريلا الغربية.

1

بحلول نهاية التسعينيات، كانت الإمبراطورية تُهيئ الولايات المتحدة لأكبر هزيمة لها في سباق التسلح البحري. لأربعين عامًا كاملة، راقب الأمريكيون بقلق: هل كان الروس يبنون حاملات طائرات؟ ولأربعين عامًا أخرى، تنفسوا الصعداء. على مر السنين، اعتاد الغرب على هذا الأمر، وأمل ألا يستحوذ الروس أبدًا على هذه السفن العملاقة. وهكذا انتشرت الأخبار التي تفيد بأن الدب الشمالي سيحتوي على وحدات حاملة طائرات في كل مكان.

يا "النجوم والمشارب"، يا من تلوح في الأفق. لقد كانت خطوةً مقدسةً وغامضةً بحقٍ للإمبراطورية.

2

بدأ عصر حاملات الطائرات في الحرب العالمية الثانية. دارت المعارك البحرية في مساحاتٍ شاسعةٍ تمتد لآلاف الأميال المربعة، حين كانت المسافات بين الخصوم مئات الكيلومترات. تبيّن أن مدافع البوارج المدرعة الضخمة عديمة الفائدة - إذ لم تكن تصل إلى أكثر من أربعين إلى خمسين ميلاً. كانت حاملات الطائرات قادرةً على ضرب العدو من البحر المجاور. ثم تبيّن أنها قبضاتٌ ضاربةٌ للعدوان. لم تُحوّل البحار إلى "خنادقٍ مائيةٍ حصينة"، بل بيئةً خصبةً لجزرٍ فولاذيةٍ مليئةٍ بالطائرات. من الآن فصاعداً، يمكن أن تصبح كل دولةٍ على الجزر أو على البحر هدفاً لضرباتٍ جويةٍ بحريةٍ مدمرةٍ من الأساطيل المجنحة، انطلاقاً من سطح السفينة.

اتخذت أمريكا الخطوة الأولى نحو هذا في 18 أبريل 1942، عندما هبطت قاذفات بي-25 الأمريكية على طوكيو كعاصفة ثلجية في عز الصيف. صُدم اليابانيون - بدا أن الأمريكيين لا يملكون منطلقًا للإقلاع. استولت القوات اليابانية على جميع الجزر الواقعة ضمن دائرة نصف قطرها آلاف الأميال. في اليوم التالي، مازح الرئيس روزفلت قائلًا: انطلقت قاذفاتنا من أرض خيالية - شانغريلا. في هذا الدور، كانت حاملة الطائرات "هورنيت"، التي اقتربت من اليابان لمسافة خمسمائة ميل - 926 كيلومترًا. ثم سيأتي عصر الطائرات النفاثة، وستتضاعف قوة ضربات حاملات الطائرات أضعافًا مضاعفة.

سيفرح الغرب طويلًا: فالروس لا يملكون حاملة طائرات واحدة. في صيف عام ١٩٥٠، عندما دفعت دبابات كوريا الشمالية مجموعة قوامها ١٥٠ ألف جندي أمريكي-كوري جنوبي إلى البحر في أقصى جنوب البلاد، بالقرب من ميناء بوسان، كانت حاملات الطائرات هي من ستنقذها، وستغطيها من الجو. بفضلها، ستنزل الولايات المتحدة قواتها في مؤخرة القوات الكورية الشمالية، في إنتشون، وستنقذ كوريا الجنوبية في نهاية المطاف.

سيتضح أن المدن العائمة والقواعد الجوية أداة مثالية للحرب المحلية. كانت تتحرك بحرية على طول ساحل شبه الجزيرة، متجاوزةً خط المواجهة، وكانت أسراب الطائرات المنبعثة منها تضرب مؤخرة العدو، مدمرة الجسور ومفترقات السكك الحديدية والأنفاق، ومحرقة مستودعات الوقود. في الوقت نفسه، ظلت "السفن الحربية" نفسها بعيدة عن متناول الكوريين. في تلك الحرب، سينفذ الطيران القائم على حاملات الطائرات ثلث جميع الطلعات القتالية، ملقيًا قنابل على أرض هدوء الصباح أكثر مما استُخدم في الحرب العالمية الثانية بأكملها.

في عام ١٩٦٥، وبعد أن جلب الأمريكيون مجموعة من حاملات الطائرات بقيادة سفينة إنتربرايز النووية إلى سواحل فيتنام، بدأوا عملية "الرعد المتدحرج" - غارات على المراكز الصناعية والدفاعية الفيتنامية الشمالية، وعلى مشارف هانوي وهايفونغ، وعلى محطات الطاقة... ورغم أن هذا لم يُجدِ نفعًا للولايات المتحدة، إلا أن الجيش كان راضيًا.

في عام ١٩٨٦، شنت طائرات من حاملات الطائرات غارات على ليبيا خلال عملية "نار البراري" - بمشاركة أكثر من ٣٠٠ طائرة من ثلاث سفن. لم يُوقف الولايات المتحدة سوى وصول الطراد الروسي "الأدميرال دروزد"...

اتضح أنه لا يوجد سلاح أفضل للسيطرة على البحار، ونقاط التقاء المضائق العالمية، والاتصالات البحرية. للحفاظ على السيطرة على حقول النفط في الخليج العربي، وعلى المحيط الهندي.

كما قالت رئيسة أركان البحرية الأمريكية، إلما زومفولد، في سبعينيات القرن الماضي، فإن أمريكا جزيرة عالمية تعتمد تجارتها وصناعتها على طرق الشحن البحري. لذلك، للقوات المسلحة الأمريكية مهمتان: السيطرة على طرق الشحن، والتواجد في نقاط استراتيجية في الخارج. وقد أصبحت حاملات الطائرات أداةً لهذه الاستراتيجية الأمريكية - قرطاج جديدة، تبني قوتها على التجارة البحرية وتشتيت المراكز التجارية والدول التابعة حول العالم.

بعد تولي ريغان، عدو روسيا اللدود، السلطة في الولايات المتحدة، طرح وزير البحرية آنذاك، ليمون، برنامجًا: تحتاج أمريكا إلى 15 حاملة طائرات عملاقة، كل منها قادرة على توفير المراقبة الجوية ضمن دائرة نصف قطرها 800 ميل.

دمرت "الجزر العائمة" الأمريكية لبنان، داعمةً إسرائيل. وخلال الحرب مع العراق عام 1991، ألقت الولايات المتحدة بثمانية من وحوشها عليه، مهاجمةً العرب من البحر الأحمر والخليج العربي. ثم، في صيف عام 1995، قضت الولايات المتحدة على صرب البوسنة من حاملات الطائرات، ممهدة الطريق لهجوم القوات الإسلامية والكرواتية.

لقد تبيّن أن هذه المطارات العائمة لـ"القرطاجيين الجدد" آلاتٌ فعّالةٌ للغاية. لم تعد هناك حاجةٌ لبذل قواتٍ ومواردَ هائلةٍ في بناء قاذفاتٍ فائقة المدى، أو في غزو قواعدهم والاحتفاظ بها. لم تعد هناك حاجةٌ لاختراق الطرق إلى النقطة المطلوبة بضرباتٍ عنيفة - فرق الدبابات والآليات، كما فعل الروس والألمان. ليس عليك إزهاق آلاف الأرواح، بل قاتل بسهولةٍ ويسر. إيصال مئات الطائرات الخفيفة نسبيًا عبر البحر الذي خلقه الله إلى حيث تريد الذهاب.

منصاتُ الضرب؟ كفى. البحر الأبيض المتوسط، يخترق أعماق أوروبا وجزءًا من آسيا، مما يسمح لك أيضًا بالسيطرة على شمال إفريقيا. تُمكّن "منافذ" الخليج العربي والبحر الأحمر من تهديد إيران والعراق وأهمّ خطوط الاتصالات البرية واحتياطيات النفط العالمية، وحتى الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي. مياه المحيطين الهادئ والهندي تفتح مساحاتٍ شاسعةً من آسيا للضربات الأمريكية.

وظل "القرطاجيون الجدد" هادئين: طالما أن الروس لا يملكون حاملات طائرات، فإننا نغلق بشكل موثوق إمكانية وصول أسطولهم إلى البحر الأسود.

من شمال الأطلسي، إلى منصات حفر النفط والغاز في بحر الشمال. سنتمكن من حماية إنجلترا وأوروبا الغربية، وتغطية قوافل القوات والمعدات، والتي ستتجه في حالات الطوارئ من الولايات المتحدة الأمريكية إلى القارة.

تبين أن حاملة الطائرات هدفٌ يصعب ضربه. للوهلة الأولى، تبدو مستودعًا عائمًا للذخيرة ووقود الطائرات، لكنها في الواقع كتلة من المواد القتالية، تخترق الفضاء بأشعة الرادار، وتخترق أعماق البحر بنبضات السونار. منها تُقلع طائرات الرادار E-2C "عين الصقر" ("عين الصقر")، القادرة على اكتشاف أي تهديد على بُعد مئات الأميال. ستُقابل الغواصات والطرادات المزودة بصواريخ كروز وموجات من القاذفات عند الاقتراب البعيد

بطائرات تنطلق من على سطحها. بالإضافة إلى ذلك، تُمثل كل حاملة طائرات مركزًا لسرب، محاطًا بفرقة من سفن الدوريات والصواريخ والسفن المضادة للغواصات. وكل منها جزء من خطوط الدفاع القوية عند الاقتراب من حاملة الطائرات. أسراب من المروحيات المضادة للغواصات تُثرثر بغضب في السماء، وأسراب الدوريات تُحلّق. حاولوا اختراق مركز كل هذه القوة!

ولهذا السبب دلّلت الولايات المتحدة أسطولها من حاملات الطائرات، وبحلول نهاية الثمانينيات، كان لديه خمس عشرة جزيرة عائمة. أكبرها تشيستر نيميتز، بإزاحة 91.4 ألف طن، والتي دخلت الخدمة عام 1975. عملاقة بطول ثلث فيرست، بمحرك نووي، تحمل 80-100 طائرة. بدونها تصبح ضعيفة وعاجزة، كحوت ضخم بلا أنياب. 40 طائرة هجومية من طراز A-E6 Intruder، و20 مقاتلة من طراز F-14، و6 طائرات حرب إلكترونية من طراز Prowler، و6 مروحيات مضادة للغواصات والإنقاذ، و12 طائرة صيد غواصات من طراز Viking S-3A. وبالطبع، طائرات استطلاع رادار من طراز Hawk Eye.

بسرعة 30 عقدة ومدى إبحار يبلغ 800,000 ميل (37 دورة حول العالم)، يمكنها العمل بشكل مستقل لمدة 340 يومًا. أصبحت نيميتز السفينة الرائدة في سلسلة من حاملات الطائرات الهجومية النووية. تلتها أيزنهاور، وكيه-وينستون، وتي. روزفلت، وأبرام لينكولن، وجورج واشنطن، وجيه. ستينيس، والولايات المتحدة.

كل منها سفينة رائدة. على سبيل المثال، تقود "نيميتز" قوات الرد السريع، وتعمل جنبًا إلى جنب مع الطرادين النوويين "كاليفورنيا" و"ساوث كارولينا"، بالإضافة إلى غواصات الصواريخ من فئة "راي". بالإضافة إلى هذه القواعد الجوية العائمة، تمتلك الولايات المتحدة أربع حاملات طائرات من فئة "فورستال" بُنيت بين عامي 1955 و1959 (60 ألف طن، 80 طائرة)، والسفينة الكبيرة "إنتربرايز" (1959، 85 ألف طن، 100 طائرة)، وغيرها. لتخيل قوة هذا الأسطول، لنفترض أن ضربةً من أربعين طائرة هجومية (بحمولة قتالية أربعة أطنان على كل منها) تُسقط 160 طنًا من القنابل والصواريخ عالية الدقة على الهدف. طائرات الهجوم قادرة على القيام بعدة طلعات جوية يوميًا. وبالتالي، فإن الجناح الجوي الهجومي لحاملة الطائرات "نيميتز" فقط يُضاهي في قوته خمسة عشر طرادًا أمريكيًا من فئة "تيكونديروجا" مُزودة بـ 24 صاروخًا من طراز "توماهوك" على كل منها (وزن الرأس الحربي نصف طن).

ومع الأسف، خمسة طرادات نووية روسية من طراز "أورلان" مُزودة بـ 70 صاروخ كروز من طراز "جرانيت". تُعتبر الطائرات السلاح الرئيسي لسفن "ليفياثان" الأمريكية. أما بقية تسليحها، فهو ضعيف بشكل مُفاجئ: منظومتان أو ثلاث صواريخ مضادة للطائرات من طراز "سي سبارو" بمدى 20 ميلًا، وما يصل إلى ثلاثة رشاشات من طراز "فولكان-فالانكس" عيار 20 ملم بستة براميل (بإطلاق ألفي طلقة في الدقيقة).

لنبدأ بقراءة "كتاب البحرية الأمريكية 1988/1989" الألماني. تعمل حاملات الطائرات نيميتز وكارل فينسون، وإنتربرايز، وكونستليشن، ورينجر، وإندبندنس في المحيط الهادئ. أما في المحيط الأطلسي، فتعمل حاملات الطائرات "أيزنهاور" و"روزفلت"، و"جيه. كينيدي"، و"كيتي هوك" و"أمريكا"، و"فورستال" و"ساراتوجا".

لم يكن خبر بناء الروس لحاملات طائرات قوية وسريعة أقل إثارة للدهشة بالنسبة لهم من ظهور البوارج والفرقاطات الروسية في بحر البلطيق في القرن الثامن عشر بالنسبة للسويديين والإنجليز.

4

لفهم مشاعر الغرب، علينا أن نضع جميع عواقب ظهور حاملات الطائرات الإمبراطورية في البحار والمحيطات على الرف. فكلمتان لا تكفيان هنا.

في الشؤون العسكرية، لا تصلح الحسابات البسيطة. هنا، "ثلاثة زائد واحد" يمكن أن يساوي ستة وعشرة. حتى ظهور ثلاث حاملات طائرات روسية في مواجهة خمس عشرة حاملة طائرات معادية يُحدث خلطًا جذريًا في موازين القوى على الجبهة البحرية. كان الأمر أشبه بضربة مُركّزة من يدٍ في قفاز فولاذي، مُوجّهة مباشرةً إلى قلب هيكل مُعقّد ومُكلف وهشّ نوعًا ما.

أولًا، كان هناك تأثير بسمارك، وهو تأثير امتلاك الإمبراطورية القارية قوات صغيرة قوية ومتحركة مُوجّهة ضد قوة بحرية مُضطرة إلى إنفاق موارد هائلة لحماية اتصالاتها البحرية المُمتدة.

كان هذا هو الحال في الفترة من ١٩٣٩ إلى ١٩٤١، عندما كانت إنجلترا، التي تمتلك ١٥ بارجة دريدنوت مقابل سفينتين ألمانيتين، تُخشى منهم بشدة. إذ كان على البريطانيين حماية طرق التجارة، وفتح السواحل والموانئ من جميع الجهات، وحماية مواقعهم في أفريقيا وآسيا، مُشوّهين بذلك سمعة قواتهم البحرية في جميع أنحاء العالم.

أما الألمان، وهم قوة برية وقارية بحتة، ليس لديهم مستعمرات أو قواعد خارجية، فلم يُضطروا إلى الحيرة بشأن هذا الأمر. وقد ألقوا بسمارك وتيربيتز في مطاردة مجانية. الذين كانوا مثل الذئاب التي اقتحمت قطيعًا من الأغنام. خطان

تبيّن أن نباح هتلر أقوى من خمسة عشر نباحًا بريطانيًا!

في مايو 1941، نجح البريطانيون بصعوبة بالغة في إغراق بسمارك بقوات متفوقة، فخسروا أفضل دريدنوت لديهم، هود. وما زالوا فخورين بهذا "الإنجاز"!

لكن ثاني دريدنوت ألماني، تيربيتز، بقيت في النرويج المحتلة. أجبر تقرير كاذب عن مغادرتها البحر عام 1942 البريطانيين على الفرار، تاركين قافلة السفن التجارية PQ-17 التي كانت تبحر من أيسلندا إلى مورمانسك دون غطاء، مما تركها لتتعرض للتدمير على يد الغواصات الألمانية واليونكرز.

لم تذهب تيربيتز إلى أي مكان. تولى الألمان أمرها. لم يتنفس البريطانيون، بأسطولهم الضخم، الصعداء إلا عام 1944، عندما أغرقت الطائرات بارجة هتلر الحربية.

إن ظهور ثلاث حاملات طائرات روسية للولايات المتحدة يُشبه ظهور حاملتي الطائرات بسمارك وتيربيتز في البحر للبريطانيين في الحرب العالمية الثانية. فالولايات المتحدة قوة بحرية، والاتحاد السوفيتي كتلة قارية مُركّزة بإحكام نحو المركز، تربطها السكك الحديدية والطرق السريعة.

وإذا اضطرت الولايات المتحدة للدفاع عن سواحلها الشاسعة على المحيطين الهادئ والأطلسي بمدن ضخمة وتجمعات صناعية، فلن يواجه الاتحاد السوفيتي مثل هذه المشاكل. أما السواحل الشمالية؟ فهي محمية بشكل موثوق. ليس فقط بالقوة العسكرية، بل أيضًا بجليد القطب الشمالي. وبينها وبين المركز الأوروبي للبلاد آلاف الأميال من التندرا والتايغا. أما بحر بارنتس والبحر الأبيض؟ فهما مُغطّيان بقواعد جوية في شبه جزيرة كولا، وسور من الصواريخ وأسراب من الغواصات. لن تصل إليهما.

جرّب دخول البحر الأبيض، بأذرعه الثلاثة العميقة التي تتوغل في عمق الأراضي الروسية! علاوة على ذلك، أعلن ستالين أنها المياه التاريخية لروسيا، وأن أي شخص يغزوها سيُدمّر. الشرق الأقصى؟ مُغطى أيضًا، إن شاء الله. علاوة على ذلك، تتمركز الحاميات والأسراب الروسية في أراضٍ قليلة السكان تمتد لآلاف الأميال داخل البلاد. لن تصل حتى طائرة واحدة أقلعت من حاملة طائرات أمريكية قرب فلاديفوستوك إلى جبال الأورال. لكن طائرة من سفينة روسية في مكان ما قبالة سان فرانسيسكو أو نيويورك يمكنها ضرب أضعف نقاط أمريكا.

كيف الرد؟ اختراق في البحر الأسود، الذي "يخترقه" الروس تمامًا؟ سيغرقون حاملات الطائرات في مضيق البوسفور. لم يتبقَّ سوى الغضب وإنفاق مليارات الدولارات الجديدة على بناء حاملات الطائرات - هذه المرة لتحييد أسراب حاملات الطائرات الروسية.

أصبحت المحيطات، التي كانت في حقبة "الاتحاد السوفيتي ما قبل حاملات الطائرات" خط دفاع موثوق للأمريكيين، منطلقات للضربات الروسية في قلب الولايات المتحدة. كان نظام السيطرة الأمريكية الشاملة على "برميل النفط" الغربي - الخليج العربي - ينهار. كانت حاملات الطائرات الإمبراطورية تلوح في بحر الشمال، بالقرب من حقول النفط والغاز، وبالقرب من "خزان الوقود الاحتياطي" في أوروبا الغربية. كانت بريطانيا ودول البنلوكس، المناطق الصناعية في جمهورية ألمانيا الاتحادية، معرضة لهجمات محتملة من الطيران الروسي المتمركز على حاملات الطائرات.

في مثل هذه الظروف، كان الأوروبيون سيحاولون استرضاء الروس بكل الطرق الممكنة، رافضين دعم الولايات المتحدة بسبب سياستها العدوانية المفرطة.

كانت النتيجة الثانية لظهور قوات حاملات الطائرات في الاتحاد السوفيتي هي الزيادة الحادة في الإمكانات البحرية لإمبراطوريتنا. فقد توّجت حاملات الطائرات هرم قوات الغواصات الروسية، والقاذفات الاستراتيجية، و"قاتلات السفن" السياحية، والطرادات الصاروخية. كما لو كانت تُضاعف هذه القوات.

كيف ذلك؟ دعونا نشرح. تفوقت الإمبراطورية الروسية على الولايات المتحدة الأمريكية بثلاث مرات تقريبًا في عدد الغواصات، النووية والتقليدية. لكن الأمريكيين ظلوا هادئين: فالروس لا يملكون حاملات طائرات، وستضطر غواصاتهم الصاخبة إلى اختراق المطارات الأمريكية العائمة عبر حاجز من طائرات فايكينغ المضادة للغواصات ومروحيات سي كينغ. وهذا سيدمر الزوارق الروسية أو يستهدفها بطوربيدات صاروخية مضادة للغواصات من سفن الحراسة قبل وقت طويل من وصول غواصات الاتحاد السوفيتي إلى خط الهجوم.

سيضطر قادة الغواصات الروسية إلى المناورة بجنون وتفادي المطاردين، بدلاً من حساب وابل الطوربيدات. بالطبع، الطيران المضاد للغواصات بطيء. لكن ما الذي يخشاه؟ المقاتلات الروسية من البر لا تصل إلى مسافات المحيط، والاتحاد السوفيتي لا يملك حاملات طائرات. السماء صافية وآمنة.

مع ظهور مطاراتنا العائمة، انقلب كل شيء رأسًا على عقب. هددت الغواصات الإمبراطورية بالعمل، خلفها تشكيلات حاملات طائرات هجومية. الآن، أصبحت القوارب مغطاة من السماء بطائرات ميج-29 وسو-27 الروسية، التي سرعان ما أخلت المجال الجوي للطائرات الأمريكية المضادة للغواصات. حتى ضجيج قواربنا، مقارنةً بالقوارب الأمريكية المزودة بحاملات طائرات، لم يعد يُشكل مشكلة كبيرة.

واجهت الولايات المتحدة تهديدًا حقيقيًا مزدوجًا في أقصى بقاع المحيطات: من الجو ومن الأعماق. وحتى لو أمكن إسقاط جميع طائراتنا على سطح السفينة، فقد تغرق أسراب السفن الغربية في الأعماق بسبب هجمات الطوربيد التي تشنها الغواصات الإمبراطورية.

وفي المياه الأقرب إلى الاتحاد، ظهر تهديد ثالث - قاذفات بعيدة المدى تابعة للاتحاد السوفيتي مزودة بصواريخ كروز كارثية. إذا كان الأمريكيون، قبل ظهور حاملات الطائرات في أيدي أعدائهم، يعلمون أنهم قد يتعرضون لهجوم من قاذفات توبوليف في أقصى مداها، دون غطاء، بطواقم مُنهكة وشبه عُزلة في مواجهة الأمريكيين، المقاتلات، ولكن الآن... الآن ستُعاقَب الأجنحة المقاتلة للسفن الأمريكية في معارك مع طائرات سو-27 وميغ الروسية المتمركزة على حاملات الطائرات. والآن، سيُضطر قادة البحرية الأمريكية، الذين يُحاولون بحماس التهرب من هجمات الغواصات الروسية، إلى صد هجمات صواريخ كروز المُطلقة من طائرتي تو-22 إم زد وتو-95. هنا، حتى العقول الإلكترونية المُتباهى بها لأجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم مُهددة بالزوال.

ثالثًا، أصبح "الظهور الأول للإمبراطورية الحمراء على حاملات الطائرات" مُريعًا بشكل مُضاعف للولايات المتحدة، حيث تتفوق مقاتلات سو-27 وميغ-29 في نواحٍ عديدة على "المقاتلات الجوية" الأمريكية المتمركزة على حاملات الطائرات - مقاتلات إف-14 وإف-18. تمّ تكييف طائرات "سوخوي" لحمل صواريخ "موسكيت" التي لا تُضاهى - وهي قذائف خارقة للدروع تفوق سرعة الصوت، والتي لا تستطيع هجماتها صد أنظمة الدفاع الصاروخي للأسطول الأمريكي. كانت غالبية حاملات الطائرات غير المدرعة أشبه بصناديق كرتونية أمام طلقات نارية متطايرة. أطلقت طائرات الميغ وسو صواريخها المضادة للسفن دون أن تدخل في مرمى مدافع سي سبارو المضادة للطائرات المعادية. وهددت نتائج المعارك الجوية فوق البحر بأنها لن تكون في صالح الولايات المتحدة "المتقدمة تكنولوجيًا". وأخيرًا، بُنيت حاملات الطائرات الروسية نفسها وفقًا لفلسفة مختلفة تمامًا عن نظيراتها الأمريكية. كانت أقوى وأكثر حداثة من نظيراتها الأمريكية من نواحٍ عديدة. نعم، كانت سفننا أقل حجمًا من الجزر العائمة الأمريكية وعدد الطائرات الموجودة عليها (نيميتز بإزاحة 91.4 ألف طن مع 80-100 طائرة - مقابل الأدميرال كوزنيتسوف بإزاحة 55 ألف طن و50 طائرة). لكن حاملات طائراتنا الرائعة لم تُصنع كمطارات عائمة فحسب، بل كطرادات قوية أيضًا، قادرة على محاربة غواصات وقوات سطحية معادية حتى بدون طائرات على متنها. أما نيميتز، فهي عاجزة تمامًا بدون طائرات. تتحول إلى صندوق عملاق ضعيف يحمل آلاف الأطنان من الوقود المتفجر، مسلح بثلاثة أنظمة مضادة للطائرات من طراز "سي سبارو" فقط، وأربعة مدافع سريعة الإطلاق من طراز "فولكان-فالانكس" من عيار صغير. تسليحها يعادل تسليح مدمرة روسية صغيرة! لكن حاملة الطائرات الثقيلة "الأدميرال كوزنيتسوف" مسلحة بثمانية قاذفات صواريخ مضادة للطائرات، وقاذفتي صواريخ، و12 نظام صواريخ كروز مضادة للسفن! بمعنى آخر، إنها هائلة حتى مع فقدان جميع طائراتها. يمكنها إغراق حتى سفينة حربية مزودة بأسلحة على متنها، ناهيك عن حاملة طائرات أو طراد

أو مدمرة. وإذا كانت حاملة الطائرات "نيميتز" مزودة بأربعة مدافع "فالانكس" فقط (20 ملم و2000 طلقة في الدقيقة)، فإن حاملة الطائرات "كوزنيتسوف" مزودة بثمانية مدافع صاروخية "خناجر" بمعدل إطلاق أعلى بثلاث مرات. تستطيع حاملة طائراتنا مواجهة صواريخ كروز التي تُطلق عليها بوابل من الصواريخ المضادة، لكن نظيرتها الأمريكية لا تمتلك نفس الأسلحة. إنها أكثر عرضة للهجمات الجوية من قواعدنا الجوية العائمة. وإذا كنتَ تعتقد أن حاملات الطائرات الروسية صُممت للتعامل مع أقوى طرادات الصواريخ في العالم من طراز أورلان، والتي تفوق قوتها ضعف قوة طرادات تيكونديروغا الأمريكية، فأنتَ الآن تُدرك لماذا يُعاني البنتاغون من الأرق.

5

في أبريل 1976، وافق قرار صادر عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ومجلس وزراء الاتحاد السوفيتي على بناء طرادين حاملين للطائرات بإزاحة 60 ألف طن.

بعد العديد من المؤامرات والتأخيرات، في سبتمبر 1982، وُضعت حاملة الطائرات الثقيلة ريغا على منحدر في نيكولاييف. أُعيدت تسميتها في البداية إلى ليونيد بريجنيف، ثم تبليسي، وفي عام 1991 إلى الأدميرال كوزنيتسوف. أُعلن عن تشغيلها النهائي في عام 1995.

أميرال أسطول الاتحاد السوفيتي ن. ج. كوزنيتسوف. سريعة وقوية، إنها "عربة الآلهة" بحق، من بنات أفكار الحضارة الروسية. بجانبها، تبدو نيميتز كفارس توتوني ضخم وذو زوايا حادة، مقارنةً بالفارس الروسي السريع والرشيق. إزاحتها ٥٥ ألف طن، وطولها ٣٠٤ أمتار وعرضها ٣٨ مترًا. سرعتها ٣٢ عقدة. مئتا ألف قوة في الماكينة. أنظمة صواريخ مضادة للطائرات والسفن قوية.

السفينة مقاتلة، تحمل مقاتلات ميج-٢٩ك وسو-٢٧ك، وطائرات هجومية سو-٢٧ك، ومروحيات كا-٢٧. لا، ليس هدفها شن هجمات إرهابية على سواحل الدول الأخرى، بل تهدف إلى العثور على العدو وتدميره في المحيط. في مبارزة. إنها محاربة، ونيميتز عقابية وقاتلة. وهاتان السفينتان تمثلان تقاليد مختلفة لحضارتين: روما الثالثة التي تعود إلى ألف عام، وقرطاج الجديدة، الماكرة. حظي بناء حاملات الطائرات السوفيتية بموافقة رائد عقيدة البحرية الإمبراطورية، وبطل الحرب الوطنية العظمى، أميرال أسطول الاتحاد السوفيتي، سيرجي غورشكوف. في عام ١٩٧٢، وقبل أي حرب فوكلاند، نصح المحارب القديم بتخفيض حمولة السفينة قليلاً والتأكد من تركيب صواريخ مضادة للسفن عليها. هل كان الروس متأخرين تقنيًا؟ كوزنيتسوف مجهزة بنظام ليزر فريد لتوجيه الطائرات أثناء الهبوط، لونا.

ومع ذلك، لم تبلغ كوزنيتسوف ذروة العبقرية الروسية بعد. لم تكن أول حاملة طائرات إمبراطورية مزودة بطائرة كشف رادار طويلة المدى كاملة المواصفات مزودة بهوائي "صحن طائر" فوق جسمها، مثل طائرة "هوك آي" الأمريكية. تم تخصيص دورية الرادار لطائرات الهليكوبتر. كما أن كوزنيتسوف لا تحتوي على محرك نووي.

ومع ذلك، كانت حاملتا الطائرات التاليتان، اللتان كانتا راسيتين على أرصفة أحواض بناء السفن الإمبراطورية في نيكولاييف، جوهرتين ثمينتين للأسطول الروسي. "فارياج" و"أوليانوفسك".

محطات طاقة نووية. إزاحة 70 ألف طن. 66 طائرة على متنها. طائرات رادار دورية بعيدة المدى خاصة بها. سرعتها تزيد عن 30 عقدة.

هذه "فارياج"، جزيرة عائمة حقيقية بطول 304 أمتار وعرض 38 مترًا. إنها هائلة حتى بدون طائرات على متنها. اثنا عشر قاذفة صواريخ "جرانيت" مجنحة - إبادة للعدو السطحي. أربعة وعشرون نظامًا صاروخيًا مضادًا للطائرات من طراز "داغر" وثمانية أنظمة "كورتيك"، "أسلحة سريعة"، جاهزة لمواجهة أي هجوم جوي بنيران قاتلة. ستة مدافع رشاشة بستة براميل قادرة على حشو قطاعات شاسعة من السماء بالمعدن. وقذيفتا هاون من طراز "أوداف" بعشر براميل كفيلة بتدمير أي غواصة معادية.

"يا مليكي بحري!" كان الأتراك سيُنوحون عندما يظهر هذا العملاق في الضباب الأرجواني قبالة شواطئهم. لم يخطر ببالهم قط إرسال مبعوثين إلى القوقاز الروسي. "يا ملك البحار!" كان الإيطاليون واليهود واليونانيون والفرنسيون سيهتفون، وهم يلتقطون صورته الظلية الضخمة بمناظيرهم. كانت القشعريرة تسري في صدورهم عندما تُقلع الطائرات الروسية من سطحها الواسع (75 مترًا!). نعم، هكذا صنعوا هذا الموبي ديك الروسي، هذا التيرانوصور ريكس مياه العالم. وبدا قتاله مع نيميتز الأمريكية كسحلية ضخمة بلا أسنان تُهزم من قِبل تنين متحرك، مُتجمعًا في كتلة من العضلات الفولاذية.

أنا متأكد: كان ينتظر أمريكا في البحار نفس الشيء الذي انتظره الإسبان في القرن السادس عشر. عندما انقضت السفن الإنجليزية، الأصغر حجمًا والأكثر قدرة على المناورة والمُجهزة بالمدفعية، على السفن الشراعية الضخمة البطيئة الحركة، القوة التي كانت لا تُقهر سابقًا في المحيط. دعوني أذكركم: في الوقت نفسه، كانت الإمبراطورية تستعد لتسليح طائراتها بصواريخ قتالية جوية جديدة فائقة المدى، يفوق مداها مداها بأربعة أضعاف أسلحة المقاتلات الأمريكية تقريبًا. وكان بإمكان طياري البحرية الروسية تحويل المناوشات المحتملة فوق البحر إلى مجازر شنيعة للولايات المتحدة.

في الوقت نفسه، كان العمل جاريًا لاعتماد صواريخ كروز جديدة لا تُقاوم، قادرة على تدمير السفن والطائرات وطائرات إيكرانوبلاين الحاملة للصواريخ، وأنظمة الاستطلاع الخاطف الفضائية، و"صائدي البحار" - طائرات سو-34 الهجومية الفائقة المدرعة بالتيتانيوم. أمام كل هذا، بدت البحرية الأمريكية أشبه بسفن ينك صينية قديمة وخرقاء - أمام فرقاطة مدرعة. لأن البحرية الأمريكية كيان عريق. وقد سقطت بالفعل أفضل طرادات الصواريخ في العالم من نوع أورلان وقوات الغواصات المتفوقة على المستوى الروسي. هنا أيضًا، كنا نتجه نحو النصر.

وجدت الولايات المتحدة نفسها في وضع غير سار. كانت طائراتهم الجوية تتكون من آلات أقدم في التصميم من فيلق "نسور البحر" لدينا. ومع ذلك، إليكم ما كتبه كلانسي، مغني القوة الأمريكية:

"... وجد الطيران البحري نفسه في موقف صعب كفرع من فروع القوات المسلحة.

دخلت طائرة إف-14 توم كات المقاتلة القاذفة الخدمة لأول مرة في ستينيات القرن الماضي، عندما كان سانشيز ينهي دراسته الثانوية ويتساءل متى سيُسمح له بقيادة سيارة. اختُبرت طائرة هورنت كطائرة YF-17 في أوائل السبعينيات، وصُممت طائرة إنترودر في الخمسينيات... لم تكن هناك طائرات جديدة مصممة للبحرية في ذلك الوقت. قامت البحرية بمحاولتين فاشلتين لتحديث أسطولها بأحدث طائرات الشبح، أولاً برفضها المشاركة في مشروع إف-117 التابع لسلاح الجو، ثم بشراء طائرات هجومية من طراز إيه-12 أفنجر، والتي اتضح أنها تتمتع بتقنية شبح ممتازة وقادرة على التهرب من الرادار. لكن أداءها كان سيئًا للغاية..."

ولإضافة إلى هذه الاعترافات الأمريكية، نضيف: كنا نستعد لاستخدام سو-34. طرادات روبوتية طائرة على حاملات طائرات! اتضح أن راداراتها الحساسة قادرة على رصد آثار غواصات تتحرك تحت الماء بالكاد تُرى - بفعل الدوامات على السطح. ويمكن لطائرة سو-34 أن تصبح أقوى صائد للغواصات النووية الأمريكية في العالم. وقد وجّه سرب من طائرات "34"، انطلق من حاملة طائرات، ضربةً تُضاهي في قوتها غارة ربما شنّها جناح كامل من سلاح الجو الأمريكي. وهكذا، عندما علم الغرب بهذه الأعمال عام 1995، مسح عرقه البارد عن وجهه بارتياح: الحمد لله أن غوربي و"الرئيس يلتسين" حطما الإمبراطورية في الوقت المناسب! ففي النهاية، فشلت أمريكا فشلاً ذريعاً في صنع طائرة حاملة-أرضية مماثلة لطائرة سو-34، مناسبة لكل من البحرية والقوات الجوية - وهي قاذفة المقاتلة إف-111.

لم تُطلق طائرة فارياج إلا بحلول أغسطس 1991. ووُضعت طائرة أوليانوفسك على أرصفة السفن. لكن القوة العظمى انهارت، وخُنت، وبيعت من الداخل. ونجت سفينة "شانغري لا" الأمريكية. في عام ١٩٩٣، ألغت شركة "إيريفيا" (الروسية) التابعة لـ"يلتسين" الطرادين "مينسك" و"نوفوروسيسك"، وتجمدت حاملة الطائرات "أدميرال غورشكوف" (باكو سابقًا) في مورمانسك دون إصلاحات...

ومع ذلك، لنفترض أن الأمور سارت بشكل مختلف. لم يصل إلى السلطة غورباتشوف الضعيف، بل الزعيم الروسي الفولاذي.

الآن يمكننا الحديث عن...

إيلو: كانت الولايات المتحدة تُعاني من الهزيمة في الحرب البحرية، وتجد نفسها على شفا انهيار اقتصادي أيضًا. أجبر خبر بدء بناء حاملات الطائرات الروسية الولايات المتحدة على الإعلان عن مشروع لبناء حاملة طائرات عملاقة من طراز القرن الحادي والعشرين، عملاقة بإزاحة تزيد عن مئتي ألف طن! مزودة بمنجنيقات كهرومغناطيسية، لا بخارية، لإطلاق الطائرات، وأسلحة ليزر وشعاعية دفاعية. في الوقت نفسه، كان يجري تطوير مشروع لحاملة طائرات نيميتز مُحدثة بإزاحة مئة ألف طن، بالإضافة إلى رسومات لحاملات طائرات صغيرة تتراوح أوزانها بين 40 و60 ألف طن. لكن الرغبات شيء، والإمكانيات شيء آخر. حاملة طائرات القرن الحادي والعشرين وحدها هددت بتكلفة عشرات المليارات من الدولارات، ناهيك عن الأفكار الأخرى.

لم يستطع الاقتصاد الأمريكي تحمل هذا الضغط. ففي النهاية، لا تزال هناك برامج باهظة التكلفة لـ"حرب النجوم" وطائرات الشبح، وصواريخ MX، وقاذفات B-1 العملاقة، وإنتاج دبابات أبرامز وغواصات ترايدنت، ومقاتلات ATF، والروبوتات القتالية. كانت أزمة الاقتصاد الأمريكي حتمية. وحيث كان علينا إنفاق مليار روبل، اضطر الأمريكيون للبحث عن ملياري دولار. ولم ينقذ أمريكا من الهزيمة بالمعنى الحرفي للكلمة إلا الاستسلام الطوعي لديمقراطيينا.

7

وُلدت حاملات الطائرات الروسية طويلًا وبشق الأنفس، من خلال مؤامرات وألاعيب خفية.

عندما كان غورباتشوف يتربع على عرش الكرملين، وكان يلتسين يعمل السكرتير الأول للجنة مدينة موسكو للحزب الشيوعي السوفيتي، بدأت إمبراطوريتنا أخيرًا "عصر حاملات الطائرات" الذي طال انتظاره في تاريخها، مهددةً بأن تصبح حاكمة البحار مع الغرب. الدولة التي كانت تسيطر على ثلاثة أرباع ثروات الأرض في العالم، طالبت الآن بثروات الجرف المحيطي. وكانت هذه المطالب على وشك أن تلقى دعمًا من "قبضات" حاملات الطائرات النووية.

لكن المأساة تكمن في أن الحثالة الموالية للغرب، قليلة الحماس، التي استولت على السلطة في الدولة خلال تلك السنوات، بدأت بالفعل العمل على انهيارها. وبينما كان الطيارون الروس يتدربون على الإقلاع والهبوط على أسطح السفن في امتداد شبه جزيرة القرم، كانت المسيرات الديمقراطية تشتعل في موسكو، وكانت الدعوات تُطلق لإنهاء "سجن الأمم - الاتحاد السوفيتي"، وكان جلاد الدولة المستقبلي - يلتسين - يُلقي خطابًا غاضبًا من المدرجات.

ثم دعا، من أجل "رفاهية الشعب"، إلى خفض الإنفاق على الرحلات الفضائية والجيش والبحرية. المحرض الرئيسي لحملة تدمير حاملات الطائرات "باهظة الثمن" هو مساعد غورباتشوف، "المصلح" البارز، مدير معهد الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، جورجي أرباتوف.

في تلك السنوات، كان يُطلق عليه في الولايات المتحدة لقب "كبير الاستراتيجيين السوفييت". وسيُبجَّل لاحقًا كممثل بارز لـ"النخبة اليهودية ما بعد السوفيتية" في روسيا. وصفته مجلة "إليمنتس" بأنه المقاتل الرئيسي ضد حاملات الطائرات المحلية. لكننا نعلم أن الإمبراطورية بحاجة إلى حاملات طائرات متكاملة. لأن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم، ومواجهة العدو من مسافات بعيدة. أصبحت حاملات الطائرات، التي تُنشئ حقول قوة حماية حولها في السماء، بمثابة مراكز "قباب شفافة" لا يستطيع العدو اختراقها. وبتجمعها تحت غطائها، ضاعفت الغواصات والطرادات الصاروخية الروسية قوتها الضاربة.

حاملات الطائرات مفيدة للإمبراطورية. كل واحدة منها توفر مبالغ طائلة، إذ تحل محل مئات الطائرات البرية وناقلات الوقود الطائرة، مما يوفر آلاف الأطنان من وقود الطائرات الثمين، مما يجعل بناء طرادات إضافية مزودة بصواريخ كروز غير ضروري. هذا لا يشمل التوفير في تكاليف الصيانة، وأطقم العمل، والمطارات. ويمكن لكل "جزيرة عائمة" أن تخدم لمدة 40-50 عامًا.

كم عدد حاملات الطائرات التي نحتاجها؟ يُثبت ألكسندر ستيبانوف (عناصر، العدد 1، 1992): ثمانية. أربعة في كل من الأسطول الشمالي وأسطول المحيط الهادئ...

كنا قريبين من هذا الهدف. قريبين جدًا. لو لم نُخان! لو لم نُسلم البلاد لرحمة تجار الجيف الذين انتزعوا منها مئات المليارات من الدولارات!

أكره...

8

من الصعب إنهاء هذا الفصل. صعب جدًا. مهرج ثمل، بعد أن صعد على دبابة في أغسطس 1991، قمع انقلاب الأوبريت الذي دبّرته مجموعة من الضعفاء وضعيفي الإرادة، ودمر الدولة في ديسمبر 1991. انتهى المطاف بمدمرتي فارياج وأوليانوفسك قيد الإنشاء في دولة ذات سيادة، "أوكرانيا مستقلة"، تحت سيطرة كبار الشخصيات المحليين، يُلوّحون بذيولهم أمام واشنطن.

في 4 فبراير 1992، أمر نائب رئيس أوكرانيا، ماسيك، ببدء تفكيك هيكل أوليانوفسك. وتوقف العمل على حاملة الطائرات "فارياج"، التي كانت قد اكتملت بنسبة 70%.

وكما أفاد إيغور أليكسييف (TM، العدد 8، 1995)، أرادوا بيع معدن حاملة الطائرات لشركة أجنبية مقابل 530 جنيهًا إسترلينيًا للطن. ثم خفضوا السعر إلى 120 جنيهًا إسترلينيًا - بمساعدة الرشاوى. انتهكت أوكرانيا الاتفاق مع روسيا بشأن إمدادات السفن. فهي لا تستطيع بناء أو صيانة أسطولها بنفسها. يريدون بيع "فارياج" غير مكتملة - إما للهند أو الصين. باعت شركة سيفاستوبول التجارية "أوجيفيتش" حاملة الطائرات المضادة للغواصات "لينينغراد" إلى ألمانيا الغربية مقابل مليون و94 ألف دولار فقط، وذهب هذا المبلغ إلى البنك المالطي! كما أن الطراد "مينسك" الشقيق للينينغراد في المحيط الهادئ كان "يقوده" الكوريون - تحت بيت دعارة عائم. سيختفي المال أيضًا، الله أعلم أين!

الغرب منتصر. لا يزال شانغريلا ملكه، ويحكم في...

يا إلهي. تستطيع حاملات طائراتهم الآن الاقتراب من شواطئنا دون أي خوف يُذكر - فروسيا الفقيرة، الدولة العاجزة، تعاني من انهيار نظام دفاعها الجوي، وأسطولها تحول إلى غبار صدئ. اليوم، تضرب حاملات طائراتهم الصرب. وغدًا؟ غدًا، ستجلب "كورتايا إستونيا" مع تالين الجبارة وحدات "كايتسيليتي" إلى منطقة بسكوف، وسيُسمع صراخ من واشنطن: "موسكو! لا تتدخلوا!" وإلا، ستُدوّي محركات "الدخلاء" و"القطط" فوق سانت بطرسبرغ...

من هو هذا ماسيك الذي أصدر الأمر بتقطيع حاملة الطائرات؟ كان يعمل سابقًا في لجنة أوديسا الإقليمية للحزب الشيوعي السوفيتي، وفي حوالي عام ١٩٨١ نُقل إلى منصب نائب رئيس مجلس وزراء جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفيتية. هنأ والدي، الذي كان يعمل في صحيفة "برافدا" آنذاك، ماسيك على ترقيته. وردًا على ذلك، سمعتُ: "الآن لديّ بلدٌ كامل. ربع طن من الفولاذ في أوروبا، وكل طن (لا أذكره) من الفحم والخبز..." دهشتُ حينها: لماذا يتحدث ماسيك عن أوكرانيا كدولةٍ مستقلة؟ لكنني الآن أعرف: في عهد بريجنيف المُتهالك، جرّبت النخبة المتغطرسة المتغطرسة ثياب قادة "الدول ذات السيادة". ولم يكن أمام الأمريكيين سوى دعم ذلك.

أرى بمرارةٍ رسومات حاملات الطائرات الروسية، عمالقة الحضارة الإمبراطورية التي لم تولد بعد. أرى روسيا منهوبةً ومضطربةً، وأوكرانيا الحبيبة، وقد وُضع شعبها في حالةٍ وحشية، على حافة الفقر...

لن أسامحهم على هذا أبدًا. أبدًا...

التراجع التاريخي 2. روما الثالثة للألفية وإرادة الأرثوذكسية النووية.

١

لا بد أنك سئمت من ضجيج الأسلحة العسكرية، أيها القارئ العزيز؟ حان الوقت للإجابة على سؤال طال انتظاره. لماذا اضطررنا لخوض معركة شرسة ضد العالم الغربي وقائدته، أمريكا، لمدة نصف قرن؟ ولأي غرض؟

لطالما غرسوا في أذهاننا فكرة أن البلاد كرّست الكثير من طاقتها للاحتياجات العسكرية، مما أدى في النهاية إلى الفقر والسخط. يُقال لنا إن الاتحاد كان "إمبراطورية شريرة"، ولا جدوى من الندم على انهيار القوة العظمى. حيث، كما يقولون، سادت الرتابة الشاملة، والبيروقراطية الكاذبة، والأيديولوجية الشيوعية الرسمية المملة والميتة. نحن مدعوون إلى العودة إلى نهج الغرب، إلى حرية المبادرة والتعبير والحياة الشخصية. مع أن أحدًا لا يعرف حقًا أين تكمن هذه الحرية. نحن مدعوون إلى مملكة تُرفع فيها أهواء وهموم شخص تافه وبسيط إلى مصافّ محور العالم، إلى مصافّ الآلهة.

حقًا، باسم أيّ حلم، ومن أجل أيّ مستقبل كان على الروس ألا يتخلّوا عنه في أواخر الثمانينيات؟ ها نحن ذا نُطأطئ رؤوسنا بتنهيدة ثقيلة. فبلادنا عام ١٩٨٥ لم يكن لديها هدفٌ كهذا، قادرٌ على إشعال قلوب الملايين بلهيبٍ مُتأجج، مُعبّرٌ عنه بوضوحٍ وتميّز. وهذا كلّفه حياتها، رغم جبروتها المادي والتقني. في ذلك الوقت، كانت الأيديولوجية الشيوعية قد تلاشت تمامًا، ولم تُسبّب سوى التثاؤب والملل. تمكّن قطيع "كهنة" الحزب الرماديّ، بمهارةٍ مذهلة، من تحويلها إلى كومةٍ ميتةٍ، باهتة، بلا وجه، من الكتب التي لا يقرأها أحد. كتبٌ فارغةٌ بلا حياة، لا يملأها سوى الكلام الفارغ. لم يستطيعوا أن يُجيبوا الروس: لماذا نحتاج إلى القتال؟ لكن هذا لا يعني أن جهودنا ونضالاتنا ذهبت سدى. فكثيرًا ما كنا، دون وعي منا، نخدم هدفًا عظيمًا لم يُخبرنا به أحد. وفي البلاد، كانت ولا تزال، عقول قادرة على رسم معالمه بوضوح.

إن عدم قيام نظام الكرملين بذلك، وتحرير البلاد من قوقعة الماركسية القديمة، هو جريمته الكبرى. إن عدم سماحه لشعوب شرق السلافية العظيمة بفتح أكتافها، وعدم إطعام الحضارة الجديدة الناشئة، لن يُغفر له أبدًا.

ما هو هذا الهدف؟ قبل الحديث عنه، علينا أن نجيب على أسئلة جوهرية. من نحن؟ إلى أي نوع من الناس نُقسّم؟ ومن يتحمل عبء الباني والحامي الإمبراطوري؟

2

كثيرًا ما ترى بجانبك نوعًا من ذوي الأرجل المزدوجة. ها هو أحدهم - بنوع من النشوة، يعانق صندوقًا فيه جهاز تلفزيون مستورد، اشتريته من سوق السلع المستعملة. يأخذه إلى منزله كطفل محبوب، يلمس "الحفاضة" الكرتونية بحنان.

أي شيء قد يحدث حوله - لا يُلاحظ شيئًا سوى ما اشتراه. لتشتعل حرب أهلية، حيث يغتصب البرابرة الجدد النساء السلافيات أو يستعبدون الرجال. ليُجوع أطفال الروس المذبوحين في دور أيتام دوشنبه، عبيدًا مستقبليين للسادة الطاجيك. لتنهار المراكز العلمية التي كانت يومًا ما فخورة، وتحكم عصابات الإرهابيين البلاد. ليأخذوا مدنًا بأكملها رهائن - مثل هذا الشخص، يختنق من الفرح، يأخذ إلى منزله جهاز تلفزيون مستورد، كحاج متحمس سابقًا - قطعة من القبر المقدس. قلبه مغطى بالصوف، وأذناه ممتلئتان بالشمع. لا يُلاحظ حتى أنه في مدينته فجّر أحدهم عربة مترو أنفاق بقنبلة أو شوّه حافلة كهربائية في الصباح.

لا يحلم إلا بالعودة إلى المنزل بأسرع ما يمكن، وتشغيل الجهاز، والالتصاق بالشاشة. أيامٌ متواصلة، منغمسين في دوامة الإعلانات، وأوهام "الحياة الرغيدة"، في عالم الأشياء، سنيكرز، وألعاب الجوائز، والمسلسلات.

بدلاً من الصندوق المستورد، هناك أشياءٌ أهم - شقةٌ مُشتراة، سيارة، رحلةٌ إلى إنجلترا. أو حتى بنكٌ خاصٌ بك، أخيرًا.

ج. لكن بالنسبة لملايين هؤلاء الأفراد، نادرًا ما تعلو السعادة فوق تلفاز مستورد، أو معطف فرو، أو جهاز فيديو.

أحيانًا، لا يسعك إلا أن تحسد انسجام وتكامل نظرتهم للعالم. بدلة رياضية مستوردة، عمل في كشك أو شركة تجارية، رحلات نهاية الأسبوع مع زوجتك إلى أسواق الجملة لشراء طعام مستورد. كل شيء بسيط وواضح، مُغلّف وجاهز للأكل. حتى الأفكار تأتي إلى ذهنك جاهزة - مباشرةً من الشاشة أو الصحف الشعبية. حيث تشغل تقارير مقتل رتل من القوات الروسية وزواج مغنية بوب مُسنّة من شاب مُحبّ للكبار نفس المساحة، كمعلومات مُماثلة.

لا توجد أفكار أو هموم مؤلمة. لا يكترثون بمصير البلاد ومستقبلها. لا يقرأون كتبًا خالدة. ولماذا يفعلون؟ هناك بيرة بأسعار معقولة، وتبغ، وتسجيلات لمغنين مُجرمين، وكتب صغيرة بأغلفة براقة. سيُشكّلون أطفالهم ليصبحوا نفس الأشخاص.

نعم، هناك ملايين من هذه الكائنات ثنائية القدمين تغمر مدننا اليوم. من وجهة نظرهم، الواقع يكاد يكون جميلاً. عن أي جيوسياسية، وعن أي فكرة روسية تتحدثون؟ عن نشوة في المعركة؟ يا له من هراء! متطوعون في حرب الشيشان؟ مجانين، عاجزون عن العيش وكسب المال.

كومة من الفضلات البشرية المتعفنة مقززة للإنسان الحقيقي. لكنها بالنسبة للديدان جنة متجسدة. إنهم مثل هذه الديدان على جسد إمبراطورية مدمرة، نرى مثل هؤلاء "الأفراد ذوي أجهزة التلفزيون". الغالبية العظمى منهم لا يقفون على رأس الحكومة الحالية. لكن كل الإصلاحات تُجرى لإرضائهم، بموافقتهم الضمنية.

من وجهة نظرهم، ما نحاول فهمه الآن مجرد كلام فارغ.

3

أنت، عزيزي القارئ، لست من هؤلاء الأفراد ذوي القدمين. على الأقل لأنك اشتريت هذا الكتاب وقرأته حتى هذه النقطة. ولذلك سنصل إلى استنتاج جوهري: الناس ليسوا متساوين، وهم منقسمون إلى عدة أنواع. في كل مكان وزمان.

قسّم الجغرافيّ والمؤرخ الروسيّ الكبير، ليف غوميليوف، الناس إلى شغوفين، وشخصيات متناغمة، وأشخاص أقلّ شغفًا.

أرقى أنواع الشغوفين هم الشغوفون. فهم ذوو إرادة قوية وشجاعة، مستعدّون للتضحية بكلّ شيء في سبيل مُثُلٍ وأهدافٍ يؤمنون بها إيمانًا راسخًا وحماسًا. الشغوفون هم أوّل من يحمل السلاح عندما يهاجم العدوّ البلاد، ويسعون للقتال، ويندفعون نحو الغزو، وقادرون على التوجّه بكلّ قوّتهم نحو رشاشات العدوّ.

بنفس الحماسة، يخترع الشغوفون، ويؤلّفون الكتب، ويحافظون على الإيمان، وينشرونه. ليست الممتلكات المادية الدنيوية هدفًا لهم، بل هي فقط وسيلةٌ لخدمة القضية التي يُكرّسون لها أنفسهم.

يُصبح الشغوفون أنبياءً وقادةً لحروب التحرير، وقادةً منتصرين، وعلماءً زاهدين عظماء. إنهم ملح الأرض، وبناة الدول، وحُماتها. أولئك الذين يستطيعون التضحية بممتلكاتهم، بل بحياتهم، من أجل هدفٍ عظيم.

الشغوف دائمًا في المعركة. حتى لو كان عدوه أقوى منه بعشر مرات. حتى لو تحدث كل من حوله عن تهوره. مبدأ هؤلاء هو: "إن لم أكن أنا، فمن إذن؟" كلٌّ منّا يعيش نجاحات وإخفاقات البلاد كما لو كانت ملكه.

تذكروا ما قلناه عن التربية القاسية المتقشفة للنخبة؟ هل تذكرونها كمسألة لا تقل أهمية عن بناء أسطول أو ترسانات صواريخ؟ هذا التعليم تحديدًا هو ما يرفع المتحمسين إلى القمة من جميع طبقات المجتمع، أو ما يُصفّي "النفايات" من الجماعات الحاكمة.

يجب أن يكون المتحمسون على رأس الدولة. المتحمسون فقط!

نقيضهم المطلق هم المتحمسون، كائناتٌ شريرةٌ ثنائية القدمين. فلسفتهم هي "ابحث عن الأفضل"، "كن دائمًا إلى جانب الأقوياء"، أو "اتبعنا، حتى الطوفان". أهم ما لدى الخاضع هو رغباته الأنانية، وشغفه بالممتلكات المادية، والشبع، والمال. تصبح هذه الرغبات بالنسبة له هدفًا في الحياة لا وسيلةً. من أجلهم، سيخون ويبيع الجميع - رفيقه، وطنه، أمه. يُنتج المتعصبون خونة، وعصابات مافيا كثيرة، وفارين من ساحة المعركة. إنهم جبناء وخاضعون أمام حكومة قوية. لكن ما إن تضعف حتى يتحولوا إلى وحوش ضارية.

إنهم حثالة بشرية. بغض النظر عن التعليم والدين والأصل. قد يكون المتعصب ديمقراطيًا أو شيوعيًا، ليبراليًا أو محافظًا، حسب حزبه، ويغير لونه بسهولة.

وأخيرًا، في كل أمة يعيش أفراد متناغمون، متناغمون، تتوازن دوافعهم العالية مع شغفهم بالرخاء والحياة الهادئة. وإذا قادهم المتعصبون، يصبح المتعصبون عمالًا صادقين، وملاكًا أقوياء، وجنودًا صامدين، وآباءً صالحين لأسرهم.

يعتمد مصير أي بلد بشكل مباشر على نوعية الأشخاص الذين يسودون فيه، والأهم من ذلك، على الحكم. إذا انتهى الأمر بسلطةٍ في أيدي أصحاب العواطف السطحية، فالنتائج واحدةٌ دائمًا: دولةٌ مفككة، وحرائقٌ في مواقع مراكزَ كانت عظيمةً سابقًا، ومعاهداتُ استسلامٍ مُهينةٍ للجيران. في نسختنا، أضفنا قصفًا لمدننا، وإغلاقًا لوحدات محطات الطاقة النووية، وموانئَ فضائيةً مُكتظةً بالأعشاب الضارة.

دعونا، أيها القارئ، نفهم تمامًا أنه في الواقع لا يوجد يمينٌ ويسار، بل هناك تقسيمٌ مختلفٌ تمامًا للناس - إلى شخصياتٍ عاطفيةٍ ومتناغمةٍ حقًا، وذريةٍ من الشيطان، وغواصات. في الأعلى و...

أدنى. إلى سادة بالفطرة وعبيد منذ المهد. والويل للشعب الذي يحكمه من يسلكون كالأتباع. ليست الأقوال ولا برامج الأحزاب التي يتلاعب بها الجميع، بل أفعال الناس هي التي تحدد مظهرهم الحقيقي. وهذا الانقسام يقلب الصورة الحالية رأسًا على عقب.

الآن يعرضون تسجيلات فيديو قديمة من عامي ١٩٨٩ و١٩٩١. أرى كيف يعانق خاسبولاتوف يلتسين، وكيف يشيد حزب الاتحاد الوطني لروسيا الاتحادية بروتسكوي. كيف يصوت تجمع من الحمقى، مجلس نواب الشعب الروسي، على "استقلاله وسيادته"، مفجّرًا بذلك الإمبراطورية العظيمة بأكملها. بعد عام ونصف أو عامين، سيطلقون على أنفسهم اسم "المعارضة" وسيبدأون متأخرين في محاربة يلتسين نفسه. صحيح، لقد قضوا على الإمبراطورية التي قضوا عليها. بالنسبة لنا، هم نفس مخلوقات حزب الاتحاد الوطني لروسيا الاتحادية، وبوربوليس، وتشوبايس، وغايدار، ولوجكوف، وغيرهم.

افهم يا قارئ - لا توجد مشكلة فساد، بل مشكلة أشخاص وغير أشخاص في السلطة. يمكنك سن أي قوانين، وتهيئة أي شروط، ولكن إذا لم تُرسل المتعصبين إلى الحظيرة، فلن يُثمر ذلك شيئًا على الإطلاق. حتى لو وزعت السلطة عشر مرات بين فروعها، أو سلمتها لديكتاتور، أو عيّنت حكامًا، أو تقاسمت السلطة مع الأقاليم، فإن كل شيء سيذهب إلى الجحيم إذا لم يكن لدى الدولة اختيار واضح للأشخاص وحاضنات لأرستقراطية حقيقية. أناس بقلوب محاربين ووجوه زهاد. 4% فقط من أعضائها سيحكمون المجتمع دائمًا. والسؤال كله هو كيف نجعل هؤلاء الأربعة بالمائة متعصبين؟

التعصب، وصقله بمهارة - هذا هو السلاح الذي أطاح بنا به الغرب. قيل لملايين الناس بين عامي 1987 و1991: أنتم تعيشون في فقر، بدون سيارة مرسيدس وسجق، لأن هناك قوة عظمى. تخلوا عنها - وستعيشون حياة رغيدة وغنية. لقد صدقوا ذلك. صوّتوا لانهيار الإمبراطورية. لكن الأغلبية لم تنعم بالشبع والرخاء. الآن نسمع الآريين القدامى، هذه المرة يتحدثون عن روسيا. يردد الأغبياء بطاعة: "لماذا نحتاج إلى الشيشان؟" (إذن - لماذا نحتاج إلى تتارستان، وبشكيريا، وبريموري، وتوفا، وياقوتيا، إلخ). نحن نكره ونحتقر الغواصات. ونحن مستعدون لابتزازهم بلا رحمة، نازعين منهم كل شيء، والأهم من ذلك - أطفالهم. حتى لا ينشروا أخلاقهم الفاسدة في نفوس الشباب الجاهلة. من الأفضل أن نأخذ كل شيء من عشرة ملايين غواصة، لكن نمنح الأطفال حياة طبيعية، وكتبًا حقيقية، وتعليمًا حقيقيًا.

سامحني أيها القارئ، على الانجراف قليلًا. ولا تخف من قسوة خطاباتنا. هكذا نحن، وهذا عالمنا الذي تسير عليه. عالمٌ لا تُعتبر فيه لوحة "المربع الأسود" لماليفيتش تحفةً فنية، بل لوحةً مُلطخة، ويبدو فيه الدكتور جيفاغو مُتذمرًا ضعيفًا مُتذمرًا.

في الاتحاد السوفيتي في منتصف الثمانينيات، كانت هناك هذه الأنواع الثلاثة من الناس. وكان من المفترض أن يُنشئ المتحمسون، إلى جانب عازفي الأكورديون، حضارةً جديدةً ويضعوا هدفًا عظيمًا للبلاد، مُصوغين إياه في أيديولوجية قوية ومتناغمة.

4

كفى المتحمسون آنذاك، ولدينا ما يكفي الآن. هم من انتصروا في الحرب الوطنية العظمى، مُنثرين عظامهم في ساحات المعارك بغزارة. أنعشوا البلاد من الأنقاض. مدوا أنابيب الغاز وخطوط الكهرباء. قاتلوا في البحر والبر والجو، مُنشئين قوة الاتحاد السوفيتي الجبارة. أحيانًا دون أن يتلقوا أي رتب أو أوامر مقابل ذلك. وحقيقة أننا لا نزال صامدين بعد سنواتٍ من الانهيار، ولم نفقد تمامًا وسائل النقل والمصانع ومحطات الطاقة، هي فضلهم.

كان المتحمسون في أواخر الاتحاد السوفيتي هم من أصبحوا مهندسين ومصممين وجنودًا ومخترعين بارزين. أحيانًا، بمقابل مادي زهيد، وبفضل عجز الغواصات، حققوا الكثير من التقدم، ودافعوا عن مصالح البلاد على الساحة الدولية. حاربوا من أجل مواقع الإمبراطورية في أدغال فيتنام، وفي رمال مصر، وفي جبال أفغانستان. أنجب المتحمسون الطيار تشكالوف والتكنوقراطي كوروليف في صفوفهم. كان من الممكن العثور عليهم في أعلى مستويات السلطة، في الوزارات، وفي الإدارات الإقليمية.

إن فساد هؤلاء الناس، وعدم عزلهم عن عامة الناس، بل وتدميرهم، هو أكبر جريمة ارتكبتها "النخبة" الحاكمة في أواخر الاتحاد السوفيتي، أي أنظمة خروتشوف وبريجنيف وغورباتشوف. لنلاحظ نمطًا آخر: المتحمسون لدينا هم في الغالب أبناء البيئة السلافية الأرثوذكسية الشرقية، من الروس والبيلاروسيين والأوكرانيين. كان السلاف في الاتحاد هم من قاتلوا، وتوجهوا إلى مكاتب التصميم وعمالقة الصناعة. كان أقلهم شأناً مديرو التجارة، وأيديولوجيو الحزب الثرثارة، وجميع أنواع المتحمسين، الذين يلعقون مؤخرة أي حكومة بنشوة - ما يُسمى بـ"المثقفين المبدعين". لن نُخطئ في حق الحقيقة إذا قلنا إن سلاف الاتحاد كانوا حماة الإمبراطورية وبناتها، يؤدون رسالتهم كما لو كانوا في الظل، دون دعم من أيديولوجية الدولة. ولم يكن من قبيل الصدفة أن أطلق الأمريكيون على مواطني الاتحاد السوفيتي لقب الروس. علاوة على ذلك، أنكرت الأيديولوجية الماركسية السائدة هذا التقسيم للناس حسب صفاتهم.

يمكننا أيضاً قول شيء آخر: سمح الحزب الشيوعي السوفيتي بتدفق جماعي من ذوي النزعة العاطفية الفرعية إلى الجهاز الإداري، والتجارة والعلوم الاجتماعية، ومجال التعليم والثقافة، ووسائل الإعلام. باختصار، من هنا، ستأتي أفكار سياسة البيريسترويكا، ثم الإصلاحات. سيُولد هؤلاء أيضًا قادتهم - غور.

باتشيفو، يلتسين، ياكوفليف، وشيفرنادزه. من بينهم ستبرز نخبة قوى اليوم - المصرفيون، الرؤساء، الدبلوماسيون، أسياد تدفق المعلومات. وملايين الأتباع الحاليين الذين تكاثروا في مدننا وقرانا هم أيضًا على ضمير سلطات عصر الاشتراكية المتقدمة.

الأتباع يستولون على السلطة العليا على أكتاف الجماهير المخدوعة. والآن بات الأمر واضحًا: وحدهم المتحمسون قادرون على حمل همم حضارة جديدة وبناتها. حماة تقاليد روسيا الأرثوذكسية البيزنطية العريقة، التي تسللت إليهم من اللاوعي. يجب أن يظل الأتباع دائمًا عبيدًا للأسياد المتحمسين. القانون، بالطبع، قاسٍ. لكن من قال إن قوانين الصراع على البقاء في الساحة العالمية والتاريخية لينة ورحيمة؟

لا تتهمنا بالقسوة، أيها الصديق المجهول. ألا ترى كيف يحيط بنا ذئاب ضارية في صورة بشرية؟ مستذئبون يرتدون الفراء والبدلات الفاخرة، مستذئبون في السلطة، على خشبة المسرح والتلفزيون وصالونات النخبة. يمرحون وينعمون بالرفاهية، ويقيمون الحفلات ويتبادلون الجوائز. لا يقلقهم إطلاقًا وجود امرأة روسية في الثلاثين من عمرها، قرب جبال القوقاز، ذات شعر رمادي، يحترق عقلها المشوش برغبة واحدة فقط: العثور على رأسي طفليها المقطوعين، وخياطتهما بالخيط على الجثث المشوهة في مكان ما على مشارف غوديرميس.

لا يكترث المستذئبون بهذا، ولا بملايين المشاكل الأخرى. على خلفية القتل الحقيقي لشعبنا، كل من يستمر في الاستمتاع هو مستذئب، هو تابع. تراهم كل يوم عندما تفتح بريدك الإلكتروني. قلوبهم مشبعة بالصوف. وأفضل علاج لهم هو النار والسيف والسوط! بسم الله الرحمن الرحيم...

5

والآن، بعد هذه الرحلة في أعماق الطبيعة البشرية، يُمكننا تحديد أهم ملامح الهدف الأعظم، مشروع مستقبل شعبنا. المشروع الذي كان ضروريًا عام ١٩٨٥، والذي لا يزال ضروريًا حتى اليوم.

الركيزة الأولى هي بناء مجتمع مُناهض للاستهلاك، حيث لا تتحكم الأشياء بالناس، بل تخدمهم. حيث لا يكون الناس عبيدًا للأشياء والمال، بل أسيادًا لهم. الغرب مبني على العكس. المواطنون هنا هم في المقام الأول مشترون ومستهلكون. الرغبة الجامحة في الثراء السريع، والسعي المُرَوّع وراء الكم الهائل من الأشياء - هذه هي مملكة التبعية. شعوب الغرب اليوم تتدهور بسرعة، وتتحول إلى حشود من المنحرفين جنسيًا، والمعاقين عقليًا، والمدللين، إلى حشود من مدمني المخدرات والأنانيين. على الرغم من الوفرة المادية، فإن شعوب الغرب تتلاشى وتشيخ، وتُنجب أطفالًا قليلين، وتفقد إرادة القوة والسلطة.

كان علينا أن نقول لأنفسنا: لنفترض أننا لا نملك أجهزة فيديو، ولا مراحيض بإضاءة خلفية، ولا أجهزة تلفزيون تدور حول محورها. وماذا في ذلك؟ ففي النهاية، من الأهم مئة مرة أن نربي أطفالنا كعمالقة ذوي بشرة برونزية وعضلات مفتولة في رحاب الإمبراطورية الشاسعة. أليس الأهم ألف مرة أن نوفر لهم فرصة تناول طعام رخيص ونظيف، وأن نربيهم ليكونوا أشخاصًا أقوياء مكتملي الأهلية؟ ففي النهاية، هذه الفيديوهات هي في 95% منها موجة من "ثقافة" إباحية مشوهة، فارغة وبدائية للغاية. ففي النهاية، نحاول حماية أنفسنا من بكتيريا الطاعون، ونحمي أنفسنا من مرض الزهري - فلماذا لا نحمي أنفسنا من هذه العدوى التي تنهش أرواحنا؟ والأهم من ذلك كله - من الشباب. وفي النهاية، فإن أبناء صهيون الماكرين - سادة هوليوود - هم من يزرعونها.

ما هو أثمن بمليون مرة هو أننا في عام ١٩٨٥ ما زلنا نفتقد (أو نكاد لا نفتقد) ظلمة المصائب المدمرة للفرد. إدمان المخدرات. هيمنة ثقافة الانحرافات الجنسية الفرعية.

تيارات السادية والعنف تتدفق من الشاشات. البطالة والخوف الأبدي من سعر صرف الدولار ودورات الأزمات الاقتصادية.

يمكننا أن نقول لأنفسنا: لماذا نطارد الغرب لإنتاج آلاف الأشياء، ونقطع الغابات، ونسمم الماء والهواء؟ ففي النهاية، أصبحنا صورة كاريكاتورية لأمريكا في سعينا "لتحسين رفاهية العمال". لقد كرّسنا الكثير من الجهد للخطط والمشاريع والتكليفات. لكن كان من الضروري إنتاج الناس، لا الأشياء. محاربون وفنانون ومبدعون عريضو الأكتاف وأسنانهم بيضاء. لم تكن هناك حاجة لسيارات "زيغولي" لهذا - بل لملاعب وصالات رياضية ومنتجعات جبلية ويخوت شراعية. لماذا نتبع الغرب في إنتاج سلع هشة وقصيرة العمر؟ لنتبع تقاليد أخرى - الجودة والاستهلاك المعقول، التي رُفضت قبل نصف قرن، عندما بدأ جنون الاستهلاك. قبل ذلك، كان الناس يصنعون ساعاتٍ تدوم عقودًا. "فولكس فاجن"، بسيطة، تخدم الناس طوال حياتهم. أو أجهزة استقبال صلبة، كالسكرتيرات القديمة. الآن فقط - باستخدام تقنيات اليوم المتقدمة. كان من الضروري فقط منح الناس منظومة قيم مختلفة تمامًا، وتعزيزها ونقلها عبر جميع القنوات. حتى يصبح من المخجل أن يُعرّف المرء بالضعف، وضعف الإرادة، وهزال الجسم، والمرض.

يمكننا القول: دع الغرب يغرق في صناعة المتعة والاستهلاك الجنوني. فهناك خطٌّ من الراحة والرفاهية، يتجاوزه انحطاط الناس، ويحولهم إلى أغبياء، لا يستطيعون سوى الضغط على زر. سلالات من ملحقات الآلات، مخلوقات غبية بأجهزة فيديو، لا تعرف حتى كيف تعمل. دع التخصص والخدمة يجعلان منهم أنصاف أغبياء، لا الروس.

فليصنعوا أجهزة تلفزيون بمئة قناة يتحكم بها صوت صاحبها. فكم بالأسوأ بالنسبة لهم - فالتلفزيون يقتل العقل والخيال، ويمنع الناس من القراءة، ويغرق العقل في فوضى المعلومات المتفرقة، ويحرم الإنسان من نزاهة رؤيته للعالم. يُضعف التلفزيون قدرات الإنسان، ويجعله صندوقًا فارغًا لمن يزرعون فيه الأفكار والصور

والمشاعر. التلفزيون والفيديو هما أقوى المخدرات، ووسيلة للسيطرة على العالم لأبناء صهيون الأشرار، الذين يحلمون بتحويل بقية البشرية إلى روبوتات بدائية مطيعة، بلا عقول.

أمور أخرى أهم بالنسبة لنا، والتي ستجعل الأمة قوية وصحية. نفضل أن ننفق قوانا ومواردنا المتاحة في المقام الأول على نشر الكتب الحكيمة، وعلى الملاعب، وعلى نوادي الطيارين، وطياري الطائرات الشراعية، والفنيين الشباب. على المساكن الصحية بدلًا من الثكنات العسكرية الضخمة، وعلى زراعة الغابات، وعلى مراكز الترفيه في منطقة البحر الأسود. الأهم بالنسبة لنا هو صنع أدوية جيدة، وفطام الناس عن التبغ والكحول.

يجب أن يُحدد المشروع الروسي العملاق بوضوح احتياجات الإنسان ومتطلباته في عالم اليوم، وهي تنقسم إلى صحية ومتدهورة. يجب تلبية الأولى، بينما تُكبت الثانية. سقف فوق الرأس، وغذاء صحي، ورياضة، ومسارح - هذه طموحات صحية. المخدرات، والتبغ، والكحول بكميات مفرطة - هي طموحات متدهورة. من يرغب في امتلاك الكثير هو متدهور. أما من يتمتع بالقوة والشجاعة، والذكاء، والتطور - فهو شخص متكامل. هناك احتياجات غامضة تتحول إلى متدهورة أو صحية، حسب المحتوى المُستثمر فيها، وحسب الأغراض التي تُستخدم من أجلها. التلفزيون والفيديو هما أبرز مثال على ذلك.

نعم، يجب تلبية الاحتياجات الصحية أولاً. يجب أن تكون جميع السياسات الداخلية للدولة، واقتصادها بأكمله، خالية من أي غبار أيديولوجي، مثل "الاشتراكية الحقيقية" أو "السوق" أو أي شيء آخر. الهدف هو تقوية الأمة، وتوطيد الإمبراطورية. إذا كنا بحاجة إلى الخصخصة لإنجاب المزيد من الأطفال الأصحاء، وزيادة عدد السكان والتعليم، وخفض معدلات الانتحار، وتحقيق المزيد من الاختراعات، فليكن. التأميم - سنفعله أيضًا. هناك معايير واضحة لنجاح هذه السياسة: القوة البدنية للناس، ومتوسط العمر المتوقع، وعدد الأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية، ومعدل ذكاء الأفراد، وقوة الأسرة. إذا ارتفعت هذه المؤشرات، فهذا نجاح. وإن لم ترتفع، فعلينا تغيير المسار. وبالنظر إلى هذه الأرقام، فإن الإصلاحات الحالية هي ببساطة إبادة جماعية للروس.

لن نصنع أجهزة كمبيوتر وهمية غبية مع الواقع الافتراضي. نفضل أن نمنح الروس طائرات شراعية حقيقية وطائرات خفيفة وقوارب ومظلات. دعهم يختبرون الواقع الحقيقي، لا الواقع المزيف، ويقوي أرواحهم وأجسادهم. ما فائدة ماكينات القمار السخيفة التي تُسبب المخدرات؟ من الأفضل أن نوفر للناس قواعد للتزلج وتسلق الجبال، وقوارب كاياك وقوارب شراعية سهلة الوصول، ومعدات غوص وخيام، وطائرات شراعية معلقة، ومناطيد هواء ساخن. دعهم يتنفسون هواء الإمبراطورية العليل، ويمتصون طاقة الشمس العظيمة مع أبنائهم.

دع الغرب يسمن ويضعف ويتحول إلى قطيع شرس. دعونا، بكل قوتنا الإمبراطورية، ننشر القوة والصحة، وبهجة الإبداع، ونشوة النضال، مندمجين مع تاريخنا والطبيعة الروسية العظيمة. هذا هو بالضبط ما يجب أن تهدف إليه جميع الإصلاحات. فبهذه الطريقة نصبح أقوى شعوب العالم، وننقذ الأرض من الدمار والتسمم.

نقول: فوق مملكتكم من الأشياء المفترسة وغير الضرورية بالنسبة لنا، يكمن بناء شعب من الأبطال، حكام قوى الجبال. بالنسبة لنا، نحن الروس، فإن الاختراقات في الفضاء العالمي وفي أعماق البحار أهم. تريدون "جنة" بائسة مع بيرة وبطاطا مقلية أمام تلفزيون يعرض مسلسلات. نريد عجلات قيادة سهام فضية تفوق سرعة الصوت، وإثارة السرعة، وأذرع آلات جبارة.

تريدون الاختناق في مدن ضخمة مليئة بأطفال الشيطان - السيارات. تريدون التنفس والهدر في غرف غاز غابات الخرسانة، في جبال نفاياتكم من الإطارات، وهياكل السيارات الصدئة، والتغليف، والأشياء التي تُرمى. وسنبني مدنًا مشرقة، تغرق في خضرة الغابات، ونُطلق فيها وسائل نقل كهربائية نظيفة.

تريدون الجنون، تريدون بدائل للحياة والكفاح، كل سراويل الجينز البالية والهيبيين. تريدون "إيراكوا" المصبوغ من البانك غير المغسول، والذوق السيئ المتحدي لملابس "الزنوج البيض" - مغنيي الراب. نريد الحياة الحقيقية بكل ما فيها. أنتم - "ممارسة الحب" الدهنية مع نساء صاخبات وغير صحيات، أنتم - نوادي الشهوة الجماعية. نحن - حب حقيقي للأشخاص الأقوياء الأصحاء.

أنتم - دخان الماريجوانا، والهيروين، والكلام الفارغ. نحن - الكتب والأسلحة. ومملكة حكام القوى الكونية، التي خُلقت في أحلام إيفان إفريموف. اختنقوا بحماقاتكم من "الاستهلاك الجماهيري"! وسنتعرف على رمال جوبي، وفوهات المريخ، وسمك مياه المحيطات، وأنهار الباميرالجليدية.

يمكننا القول: نعم، لنتحول إلى بدو رحل جدد في أمريكاكم، نتنقل من مدينة إلى أخرى في مقطوراتكم. أنتم، أيها الصغار البائسون ذوو العقول الموحّدة، مرتدون ملابس زيّ رسمي، في سراويلكم الجينز وقمصانكم وقبعات البيسبول البائسة. أنتم، يا من التهمتم الطبيعة وطحنتموها في بلدكم. ولكن أن تفرضوا...

لا نجرؤ على امتلاك "جنة" ماكدونالدز وكوكاكولا وبيتزا! سنسحقكم رمادًا أيها المجترات الأمريكيون الأغبياء!

نحن آلهة الفضاءات الشاسعة، قبيلة من المحاربين النجوم. والوقت في صالحنا. ما يحدث في الغرب يصب في مصلحة الروس. هل توزعون الحقن على مدمني المخدرات لديكم وتثيرون ضجة حول المثليين؟ هل لديكم بالفعل مئات الآلاف من "المثليين" والمثليات في لوس أنجلوس؟ حسنًا. لن يصبح مدمنو المخدرات محاربين أو عمالًا صالحين، ولن ينجبوا ذرية سليمة. والأكثر من ذلك - اللواطيون. اقتلوا أممكم، وسنحرق هذه الحثالة. بعد أن عزلنا أنفسنا عنكم بسياج صحي محكم.

أنتم لا تقرأون الكتب، تشاهدون التلفزيون والفيديوهات فقط، هل تحبون القصص المصورة وألعاب الكمبيوتر؟ حسنًا. الحمقى الذين نشأوا بدون كتب لن يصبحوا مصممي صواريخ أو قادة حقيقيين. سنُهدي أمتنا كتبًا.

أنتم تُعبدون "السوق الحرة"، وتُقدّسون المال، وتجتهدون في تحصيل أقصى ما يمكن بأقل جهد؟ حسنًا. أنتم تعيشون بالفعل في الديون، وتشترون المزيد والمزيد من الأشياء بالدين. تدفعون فوائدها طوال حياتكم، فتصبحون عبيدًا لتجاركم. وتشترون المزيد والمزيد من الأشياء الجديدة بالتقسيط. لهذا السبب لا تستطيعون تحمل تكاليف الإنجاب. انقرضوا - ستكون الأرض لنا. ألهوا السوق، وأعلنوا احتياجات رجل من بين الحشد مركز العالم. نحن نعرف إلى أين يقود هذا - إلى مملكة الأكشاك، وعلب البيرة، والصحف الصفراء الملطخة بالدهون، إلى ألعاب التلفزيون مع مقدمي البرامج ذوي الشعر المجعد.

سنسلك طريقًا مختلفًا. سيعرف جمهورنا أنه جمهور، وأن أذواقه دنيوية، ولغته بشعة وغير متعلمة. لا يمكنكم إرضاء أذواق الأغلبية. يجب أن يعلم الأدنى أنه أدنى. ويجب أن يفهموا: لكي ترتقوا، يجب أن تتطوروا. لن تحمل تلفزيوناتنا وصحفنا وكتبنا ومجلاتنا إلا أرقى الثقافات. ولن نتحدث إلا بلغة أدبية، دون مصطلحات. حسنًا، وأنتم - ستصبحون دولةً ذات مستوى متوسط عدواني، تعتبر نفسها مركز الكون.

هل تأكلون طعامًا "سريعًا" غير صحي - همبرغر، وشرائح بيتزا دسمة، وهوت دوغ، وبطاطس مقلية، وتشربون كل ذلك بمشروبات الكولا الكيميائية؟ حسنًا. كلما أسرعتم في التحول إلى أمة سمينة، مسمومة بالكوليسترول، سنُنجب محاربين أصحاء مفتول العضلات.

هل يستمتع شبابكم بحفلات الرقص الصاخبة، مستنشقين غاز الضحك على أنغام هذه "الموسيقى"؟ حسنًا. كلما أسرعتم في إنجاب ملايين من البشر، كان ذلك أفضل. هل تُغرقون أطفالكم بالوحوش والمهووسين والساحرات منذ الصغر؟ سنربي مستقبلنا على حكايات أسلافنا الشماليين القديمة، حيث ينتصر الخير دائمًا على الشر.

هل قيل لنا إنه لا يمكننا تحويل بلد إلى حصن محاصر؟ لماذا لا؟ لحماية أنفسنا من "سحر" الغرب، كل الوسائل واردة. أليس هذا أحد الأهداف العظيمة للروس؟

إنهم يحاولون باستمرار وضعنا أمام خيار زائف. يقولون: إما عالم ديمقراطية السوق الناقص، أو - فاتنيك، ومعسكرات العمل القسري، و"الغربان" السوداء. كلا، أيها السادة، لن تخدعونا. هناك طريق ثالث آخر. نحن فقط مقدرون على خوضه. لقد اكتسب الروس الحق فيه بتاريخهم الطويل!

6

إذن، فإن مناهضة الاستهلاك هي الركيزة الأولى للحضارة الروسية الأرثوذكسية، الآريوسلافية، التي اخترقت أحجار نظام بائد عام 1985. على الرغم من وجودها بجوار مستنقع هائل من الحثالة ذوي العواطف الجياشة،

وسط أسراب من "الأفراد ذوي الأرجل المزدوجة مع جهاز تلفزيون". ولو كنا قد أنشأنا دولةً بهيمنة المتحمسين آنذاك، لكانت أمريكا قد هُزمت وانهار اقتصادها في سباق التسلح والمواجهة العالمية مع بداية الألفية الثالثة.

نعم، كانت الصور التي رسمناها ستتطلب جهودًا وجهدًا من الإمبراطورية. ولكن من أجل هدفٍ صحيٍّ قابلٍ للتحقيق تمامًا. ألم يكن على شعبنا أن يعاني أحد عشر عامًا فقط لملء جيوب حفنة من اللصوص؟

في عام ١٩٨٥، كانت لدى الإمبراطورية جميع الفرص والوسائل لبناء "حضانات" للمحاربين والمبدعين، لشعب السيف والمطرقة.

الملاعب والمسابح ليست باهظة الثمن. استهلكت ناطحة سحاب واحدة من شركة غازبروم اليوم ما لا يقل عن الأموال اللازمة لبناء مئة مبنى من هذا القبيل. في الاتحاد السوفيتي الجائع والفقير في ثلاثينيات القرن الماضي، بُنيت آلاف الطائرات الشراعية والطائرات. بموارد أكبر بعشرات المرات، كان بإمكان الاتحاد السوفيتي في الثمانينيات أن يفعل الشيء نفسه. ما الذي كان سيكلفه إحياء إنتاج طائرة يو-2 الرائعة، هذا الجهاز البسيط المصنوع من الخشب الرقائقي والقماش ومحرك صغير؟ لا شيء! لكننا كنا سنستقبل ملايين من الشعب الإمبراطوري المجنح حقًا.

ما هي المظلة؟ قطعة من القماش الصناعي ذات خطوط. كان لدى البلاد أعداد لا تُحصى منها. ولو تطور القفز بالمظلات في الثمانينيات كما حدث قبل نصف قرن، لوجدنا جحافل من الروس الذين عرفوا السماء. ينظرون إلى الغرب من أعلى. ما هي الطائرة الشراعية المعلقة؟ بضعة أنابيب معدنية ملحومة وقطعة قماش. ما الذي منع مئات الآلاف من الطائرات الشراعية المعلقة من الإقلاع؟

نعم، كانت هناك عقبة. في أولئك الذين جلسوا في الكرملين. في أولئك الذين كانوا يحملون الخيانة في نفوسهم المتعصبة.

٧

كان من الممكن أن يكون الركيزة الثانية للحضارة الروسية الجديدة اندفاعًا لا يُقاوم نحو المستقبل. ليس للحاق بالولايات المتحدة على طريقة خروتشوف، وليس لتكرار ماضيهم - بل للانطلاق للأمام!

بحلول منتصف الثمانينيات، كان الروس قد أنجبوا عددًا هائلًا من العقول و"الأيادي الذهبية". سبعون عامًا، قضاها ملايين...

كان بإمكان الناس الدراسة مجانًا، وجني ثمارها. كانت الإمبراطورية تمتلك إمكانات هائلة - ولكن للأسف، لم يُطالب بها أحد! - لتقنيات ومواهب واختراعات غير مسبوقة. وليصمت كل من يُثرثر عن تخلفنا!

تصفحوا ملفات مجلاتنا من السبعينيات والثمانينيات - "تكنولوجيا للشباب"، "العلم والحياة"، "المعرفة قوة". انظروا إلى ما كان موجودًا بالفعل في النماذج الأولية، في المعادن، ما كان يعمل بالفعل.

روبوتات الغوص. روبوتات الإصلاح. محركات بالاندين فائقة الكفاءة. مركبات كهربائية. أطقم دولاب الموازنة. أنظمة حاسوبية بهندسة فريدة. مواد خفيفة الوزن ومتينة. سيارات عالمية المستوى. مركبات فائقة لجميع التضاريس. خطوط كوشكين الدوارة للمصانع الآلية. صواريخ تسيفروف للسفر تحت الأرض. آلات التدريس في معهد موسكو للفيزياء والهندسة. المسرعات الكهرومغناطيسية لنمو المحاصيل الزراعية...

...يمكننا إطالة هذه القائمة لعشرات الصفحات، دون استنفاد كل ما نعرفه عنها. كان المجمع الصناعي العسكري الإمبراطوري هو من قدّم نخبةً هائلةً من العلماء والمهندسين والتقنيين المتميزين. كان هؤلاء الأشخاص مُلِمّين بحل أعقد المشكلات التقنية. لم يكن من الضروري سوى نقلهم من المجال العسكري إلى مجال آخر وتهيئة ظروف عمل مماثلة.

امتلك الاتحاد السوفيتي رصيدًا لا يُقدّر بثمن من التقنيات المتطورة التي لم تضمن فقط طفرةً في الألفية الثالثة، بل أتاحت لنا أيضًا فرصةً لكسب مليارات الدولارات، وتحرير ملايين العمال، وأنهارٍ من النفط، وبحارٍ من الغاز.

للاستغناء عن الاقتصاد الضخم والمُبذر للمراجل وشبكات التدفئة. كانت هناك تقنيات حيوية و"معجزات" إلكترونية، ومواد مُركّبة، وإنتاج مُوفّر للطاقة.

كان بإمكاننا خلق عالم تكنولوجي مختلف تمامًا عن العالم الغربي. لا يخفى على أحد أنه إذا كان جول فيرن قد وصف الأمريكيين في القرن التاسع عشر بأنهم شعب المهندسين، فقد كان من الممكن في القرن العشرين منح هذا اللقب للروس.

ففي نهاية المطاف، استنفدت الحضارة اليهودية البروتستانتية لعدونا، الولايات المتحدة الأمريكية، نفسها وانحطت. وكما كتب توم كريشتون في روايته البوليسية الأكثر مبيعًا "الشمس المشرقة"، فإن الأمريكيين يفضلون أن يصبحوا محامين أو ممولين على أن يصبحوا مهندسين. عقولهم ورغباتهم موجهة نحو جني المال بسرعة. وهذا بلا جدوى. إنه طريق لا يؤدي إلى أي مكان. ولهذا السبب، يكتب كريشتون، فإن الولايات المتحدة الأمريكية أدنى من اليابان، وتفقد مكانتها في صناعة التكنولوجيا المتقدمة، وتضطر إلى استيراد "العقول الهندسية" إلى البلاد.

بأي حماس سارعت الولايات المتحدة لشراء علماء الرياضيات والمبرمجين والفيزيائيين والمهندسين لدينا بعد تدمير الاتحاد السوفيتي! كيف يبدو أطفالنا، طلاب المدارس العادية، عندما يلتحقون بمؤسسات مماثلة في أمريكا؟ كأطفال عباقرة. لأن التعليم الثانوي في الولايات المتحدة (باستثناء المؤسسات التعليمية النخبوية التي يصعب الوصول إليها) قد تدهور منذ زمن طويل.

لقد فشلنا في استغلال إمكانات عباقرة الهندسة والعلم لدينا. لا في ظل الاشتراكية، ولا في ظل "سوق" الإصلاحيين.

لكن كان بإمكاننا ذلك. في عام ١٩٨٥، بالإضافة إلى آلاف معاهد الأبحاث الحكومية، كان هناك العديد من المختبرات ومكاتب التصميم الطلابية والفرق الإبداعية والنوادي للإبداع العلمي والتقني.

كان ينبغي أن ننشئ على أساسها مدنًا علمية وتكنولوجية ومجمعات تكنولوجية، ونربطها بالقوة التنظيمية للدولة وصناعات المواد الخام - النفط والغاز، والغابات، والمعادن.

وبعد ذلك، مع تحرير التجارة الخارجية، كانت الدولارات الناتجة عن الصادرات الضخمة من المواد الخام من البلاد ستتدفق ليس إلى جيوب اللصوص، وليس إلى البنوك السويسرية، بل إلى إنتاج معدات وتقنيات المستقبل المتطورة. لن تكون المكاتب الحمقاء، ولا آلاف سيارات المرسيدس عديمة الفائدة، بل ستكون القفزة الكبرى نحو المستقبل لنا. في ثلاث أو أربع سنوات فقط!

هذه ليست كلمات جوفاء. بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٤، كان الفرق بين الأسعار داخل روسيا وفي السوق العالمية كبيرًا لدرجة أن الصادرات حققت أرباحًا خيالية ومذهلة بمئات الآلاف. ولو "ربطنا" هذه الأرباح بتطوير المدن التكنولوجية، لدخلت البلاد عصرًا جديدًا. لكان هذا العصر قد شهد انتصار الحضارة الروسية الجديدة، الحضارة الثالثة.

بينما كنا نتنقل من معرض إلى آخر في عصرنا الحالي، كنا نكتشف في كل مرة آثارًا حية لهذا العالم الخفي، تمامًا كما يعثر عالم آثار على آثار نفس الأشخاص من جبال الكاربات إلى جبال الأورال. وباستخدام مقياس إجهاد صغير، نكتشف فجأة أنه قبل عرضه على شركة غازبروم، كان موجودًا حتى على متن مركبة بوران الفضائية. وأنه صُنع في مصنع "إزميريتل" بموسكو، واختبر في طبقة الستراتوسفير الجليدية، حيث عمل في درجات حرارة منخفضة تصل إلى أربعين درجة وحرارة تصل إلى خمسين درجة.

ونحن نحمل هذه القطعة المعدنية اللامعة بين أيدينا بدهشة، نسمع: إنها أفضل من مستشعرات شركة "دراك" الغربية الشهيرة، التي تعمل في نطاق درجات حرارة يتراوح بين صفر وخمسين درجة مئوية. لكنها أرخص بخمس مرات. ولكن لسبب ما، يصرّ ملوك النفط والغاز الحاليون على شراء الأجهزة الأجنبية. وتتجسد مأساة الحضارة التي لم تولد بعد فجأةً في هذه الوحدة الصغيرة.

لا يوجد عددٌ من هذه الاكتشافات البليغة. إنها أشبه بتماثيل رائعة مُستخرجة من رماد مدينةٍ دمرها تخريبٌ قديم. يا للأسف، إنها "داخلية" خاصة بهم. إنها دليل على انطلاقةٍ مُبكرة.

لكن "المصلحين"

فضّل نمط غورباتشوف-يلتسين شيئًا آخر. دولارات بيع الوقود - تُحوّل إلى سلع فاخرة مستوردة، إلى استهلاكٍ عديم الفائدة لحفنة من "المختارين". على حساب انهيار القوة العلمية والتقنية.

نعلم: كان أساس الحضارة الروسية التي لم تولد بعد عام ١٩٨٥ هو القفزة الكبرى التي لا تُضاهى. باسمها، كانت تستحق النضال وتحمل المشاق.

٨

الركيزة الثالثة للمشروع الروسي العملاق للمستقبل هي معاداة الغرب المتشددة، معركةٌ لا هوادة فيها ضد الغرب، باعتباره وليد الظلام والشيطان، وتهديدًا للحياة على الأرض.

يجب أن نقول للعالم أجمع: "فليُقضَ على هذا المُفترس العالمي للبشر ولجسد الأرض!"

الغرب، بقيادة الولايات المتحدة، طفيليٌّ لا يشبع، يُسمّم ويُلوّث العالم. هل يدّعي أنه يهتم بالبيئة؟ هراء! لقد نقل ببساطة مكبات النفايات والصناعات القذرة إلى أماكن أخرى في العالم. تلتهم الولايات المتحدة وحدها نصف المواد الخام في العالم، و26% من المنتجات النفطية، وتطلق ثلث النفايات الضارة في هواء الأرض.

استشهد الصربي الشجاع دراغوس كالايتش بإحصائيات من المعهد الأمريكي لمراقبة العالم لعام 1990 في كتابه "الحرب العالمية الثالثة". بإلقاء 290 مليون طن من المواد السامة في الهواء سنويًا، استهلكت الولايات المتحدة 273.75 ألف طن من الورق في النفايات الإدارية والدعائية لوزارة الخارجية وحدها، مما أدى إلى إتلاف 4.7 مليون شجرة قوية. هذا على الرغم من أن نسبة سكان الولايات المتحدة لا تتجاوز عشرين شخصًا على وجه الأرض.

مهما صرخوا ضد وحشية الاقتصاد الروسي وإسرافه، فإن الاتحاد السوفيتي، الذي ينتج 60-70% من الإنتاج الأمريكي، أنتج نفايات أقل بعشر مرات من الولايات المتحدة. هدفنا الأسمى هو أن نعلن للغرب: "سنعصر طعامكم، وستلتهمون أنفسكم". لم يكونوا هم، بل نحن من اضطررنا لشن حرب لا هوادة فيها عليهم. ففي النهاية، نحن الاكتفاء الذاتي الإمبراطوري العظيم، والاكتفاء الذاتي الروسي الهائل. الإمبراطورية لا تحتاج إلى بقية العالم؛ فبعرق ودماء أسلافهم، غزى الروس أغنى أراضي العالم. ولم يكن عبثًا أن أطلق هالفورد ماكيندر، أب الجغرافيا السياسية الأنجلوساكسونية، على الإمبراطورية الروسية اسم "قلب العالم" - "الأراضي الأساسية"، محور تاريخ العالم، وحكم مصير البشرية.

بعباءات ستريلتسي وزي سوفوروف، وتحت النسر ذي الرأسين والراية الحمراء، اكتسبنا من أجل أحفادنا كنوزًا وثروات لا تُحصى من القوة. النفط والغاز والمعادن، وعُشر احتياطيات المياه العذبة في العالم، وخُمس تدفق أعظم أنهار الأرض. هذا على الرغم من أن الغرب يشعر بقلق بالغ إزاء النقص المرتقب في المياه النظيفة، ويناقش خططًا لسحب جبال جليدية من أنتاركتيكا وغرينلاند إلى شواطئه!

لقد كانوا مهددين بـ"خسائر فادحة" في خضم الصراع العالمي المُنهك. لكن لم يكن لدينا ما نخشاه: فاليابانيون والصينيون، الذين يُعانون من "مجاعة الموارد"، سينجذبون إلينا باستثماراتهم. إمبراطورية مركزية فولاذية، بيدها في قفاز فولاذي تضمن النظام والاستقرار على سدس الأرض، كانت أكثر جاذبية للمستثمرين من "كيسل" روسيانين الدموي والإجرامي الحالي في عهد يلتسين. ولكانت لدينا قوة كافية، مدفوعة بالاستثمارات الأجنبية.

سنسحب سنويًا عشرات المليارات من الدولارات من الولايات المتحدة واليابان مع سلعنا، التي ستستثمر فينا، في حاجة إلى الموارد. ولم يفت الأوان بعد لتطبيق هذه الخطة!

في عام ١٩٨٦، بدأ غورباتشوف يُصرّح بالصواب. أن العالم مُثقل بالأسلحة، ويُعاني من مشاكل بيئية. ثم جاء التذمر والنحيب: نوع من "التفكير الجديد"، ورفض بلادنا الأحادي الجانب إجراء تجارب نووية. في النهاية، انتهى كل شيء بالدمار الذاتي ومذبحة يلنيا.

كان لا بد من تغيير كل شيء. أن نقول بحزم وحزم: أعلنتم الحرب علينا، ووعدتم بإرسال الروس إلى "مزبلة التاريخ"؟ تريدون الحرب، وستحصلون عليها. فلا تتوقعوا الرحمة!

عندما استولت قوات المرتزقة القرطاجية عام 218 قبل الميلاد على مدينة ساغونتوم في إسبانيا، متحالفة مع روما، توجهت سفارة رومانية برئاسة كوينتوس فابيوس إلى القرطاجيين.

وقف بثبات أمام تجمع النبلاء القرطاجيين - نخبة الدولة السامية من التجار وقراصنة البحر الذين كانوا يحتقرون محاربي روما العظيمة. طوى طرف ثوبه، وقال:

"ها أنا أحمل إليكم الحرب والسلام؛ فاختاروا ما شئتم!"

- اختر بنفسك! - أجابوه بغطرسة. فأجاب المحارب ذو الشعر الرمادي، وقد خلع ثوبه:

- أحمل إليكم الحرب...

استمر ذلك الصراع الأصعب على روما ستة عشر عامًا. لكنهم هزموا جيوش العدو المرتزقة، وأسسوا أسطولهم الخاص، وضربوا قرطاج في قلبها على ساحل شمال إفريقيا. ورفعوا أيديهم اليمنى في تحية آرية قديمة - راحات اليد للأسفل. احتفالًا بالنصر وتأسيس الإمبراطورية الرومانية.

لا يمكن نسيان التاريخ حتى بعد آلاف السنين. خاصة وأن الولايات المتحدة هي قرطاج عصرنا. كل شيء - من التركيبة العرقية لحكام أمريكا الحقيقيين، المصرفيين، إلى رهان الولايات المتحدة على المال والتجارة والقوة البحرية - يُشبه إلى حدٍ كبير العدو السامي القديم للرومان...

9

السمة الرئيسية التالية لمشروعنا الإمبراطوري العملاق (أو هدف المعركة العالمية) هي التفاني العميق للتقاليد. أجل، أجل، ينبغي لنا (وينبغي علينا) أن نجمع بين التطلع إلى المستقبل والانطلاق نحو عصر تكنولوجي جديد وذكرى أسلافنا الممتدة لألف عام!

لقد نجح اليابانيون والصينيون الحكماء في الجمع بين التكنولوجيا المتقدمة والعادات القديمة.

أيامي. مع قانون الساموراي "بوشيدو"، ومع أطروحة "هاجا كوري"، ومع تقاليد الكونفوشيوسية العريقة. والله نفسه يأمرنا برفع قباب الكاتدرائيات الذهبية، ليس بدلاً من المفاعلات النووية والموانئ الفضائية، بل بجانبها. ليس بدلاً منها، مثل يلتسين ولوجكوف وآخرين، بل معاً! يربط "حكاية حملة إيغور" بطائرات إيكرانوبلان، و"صلاة دانيال الأسير" بـ"الأسهم" فائقة السرعة، و"الثالوث" لأندريه روبليف، بالتقنيات النووية.

عهود أسلافنا هي الأرثوذكسية، وهي عقيدة استوعبت طبقات أعمق من الذاكرة التاريخية والتقاليد القديمة. إنها تحتوي على أقدم معتقدات السلاف في عصور رود وسفاروج، وبيرون، وياريلو، وفيليس. إنها تحتوي على مسافات خلابة، وعادات وأعياد، ضاعت أصولها في أعماق القرون.

الأرثوذكسية هي "الجينوم" الذي يجعلنا روسًا. أرثوذكسية بازدرائها لعالم الأشياء والمال، بدافعها الذي لا يُقاوم نحو الأبدية. أرثوذكسية يخشاها الغرب ويكرهها، ويحاول تدميرها منذ خمسمائة عام. لا يهم كيف - بإرسال ديمتري الكاذب، أو هجمات صاروخية وقنابل على الصرب، أو طوائف، أو عدوان مستهلكي التلفزيون.

يتحدث العديد من علماء الاجتماع السوفييت المعروفين عالميًا، مثل كارليل وفيبر، ولوبون وليونتييف، وغوميليف وتوينبي، عن نفس الشيء. أن كل أمة تصبح أمة في المقام الأول بفضل إيمان واحد، يوحد الناس في كائنات ضخمة تُسمى "روسًا" أو "فرنسيين" أو "عربًا".

فالإيمان الذي يسكن الناس من قرن إلى قرن ليس مجرد مجموعة من العقائد أو مجلدات من الأعمال اللاهوتية. إن غالبية الشعب ببساطة لا تعرف كل التفاصيل اللاهوتية الدقيقة. الإيمان هو روح الشعب، وهو مستودع القيم والعادات والتقاليد، وأحكام الخير والشر، والجميل والمعيب التي تراكمت على مر القرون. وُلد الإيمان وحُفظ في بوتقة أشدّ المحن. الأرثوذكسية هي التي منحت الروس القوة للبقاء والانتصار في محنة الستمائة عام الماضية. لقد صقلَت أنماط الروسي العظيم، والروسي الصغير-الأوكراني، والبيلاروسي، المتشابهة بشكل مؤلم تحت راية آل رومانوف وتحت الراية الحمراء.

الأرثوذكسية وقيمها، بعد أن تغلغلت في لحمنا ودمنا، في اللاوعي وفي حياتنا اليومية، حوّلت الملحدين الظاهرين إلى أناس يحتقرون الموت. ألقوا بأنفسهم تحت دبابات هتلر، وربطوا أنفسهم بالقنابل اليدوية.

قاتلوا حتى النهاية في أنقاض قلعة بريست المنصهرة، سيفاستوبول.

القيم والمعتقدات الأرثوذكسية، المتأصلة في العائلات الأبوية، وفي أعماق الشعب، صاغت النموذج الروسي. لا يعشقون العبارات الرنانة والترويج للذات، بل يصنعون المعجزات. أبناء القرى، يغزون الفضاء.

الأرثوذكسية لغزٌ عظيم. لا يستطيع أي علم نفس أو علم اجتماع غربي استيعابها، أو فهم كامل قوة تأثيرها. تصوف إيماننا يكمن في كل شيء. انظر إلى خطوط المعبد الروسي ذي القباب الخمس، وإلى ظلال الفارس الروسي بخوذته المقببة، وإلى خطوط مجمع بوران الفضائي في بدايته. فيها تشابهٌ مذهل في الخطوط، وطموحٌ صاعد. نوعٌ من الشغف نحو حدود النجوم.

إذا أردتَ أن تتعرف على الروح الروسية، فاذهب إلى كولومينسكوي. في زخارف كنيسة الصعود البيضاء، وفي ارتفاع خيمتها - الخطوط المستقبلية لطائرة ميج-29، وظل مبنى جامعة موسكو، وأبراج صواريخ سويوز. في ضخامة كنيسة يوحنا المعمدان - قسوة التسلسل الهرمي للإمبراطورية العسكرية، وأبراج دبابات تي-34، والخطوط المتينة لمباني مفاعلات محطات الطاقة النووية المستقبلية.

عندما يضعف إيمان الشعب، وينقسم، ويذبل، وعندما تنتشر الديانات الأجنبية بين الناس - يهلك الشعب، ويتدهور. يفسح المجال تحت الشمس لأمم شابة، لم ينطفئ فيها التعصب الديني المتعصب. كيف أطاح العرب المتعصبون في القرن السابع بالفرس والرومان الضعفاء غير المؤمنين.

لا يُسمح للأديان الأجنبية، المولودة من شعوب أخرى، بدخول دولتكم. فهذا أشبه بغزو فيروس خيالي، يُفسد الجسم، ويُسبب طفرات.

أدرك القدماء، الذين امتلكوا نوعًا من الذكاء الفائق مقارنةً بنا، أن إيمان أسلافهم الذي يعود تاريخه إلى ألف عام يجب حمايته كقرة عين. لهذا السبب لم يعتبر الروس من اعتنق الكاثوليكية أو الإسلام روسًا. ولهذا السبب، ثار الأوكرانيون الأرثوذكس في القرن السابع عشر على النبلاء البولنديين الذين كانوا ينشرون الكاثوليكية. ولهذا السبب، أباد الفرنسيون، الذين نشأوا على الكاثوليكية، بالنار والسيف مواطنيهم الذين اعتنقوا ديانات أجنبية مرتين - المانويين الكاثاريين في القرن الثالث عشر، والبروتستانت الهوغونوتيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وأحرق الروس الزنادقة - الستريغولنيكيين واليهوديين - أحياءً وأغرقوهم في الأنهار، وطردوا الخليستيين والمولوكانيين، والمعمدانيين، وأولئك الذين اعترفوا بسيادة البابا - الاتحاديين. كان الإيمان هو ما ناضل الروس من أجله عندما دافعوا عن دير الثالوث-سرجيوس ضد البولنديين الذين حاصروه عام ١٦٠٨. لم يروا فيه مجرد نقطة حصينة على الطرق الاستراتيجية، بل اعتبروه قبل كل شيء قلب الأرثوذكسية. إن قوة الإيمان والتمسك بالتقاليد القديمة لا يقلان أهمية في الحفاظ على سلطة الدولة عن الجيوش والقوات البحرية. وقد كان هذا مفهومًا جيدًا في عهد نيكولاس الأول، الذي أنشأ إدارة خاصة تابعة لمستشارية جلالته الإمبراطورية لمراقبة الطوائف وغير المؤمنين. أما ستالين، الذي لجأ إلى

أفوسلافيو في السنوات الصعبة ١٩٤١-١٩٤٥.

يقاوم الشعب السليم دائمًا محاولات غزو دين غريب لحياته. منذ نهاية القرن السادس عشر، حاول الغرب، إن لم يكن هدم الأرثوذكسية، فإخضاعها لروما. في القرن السادس عشر، ولّد الرهبنة اليسوعية، هؤلاء المتآمرون المتوحشون، القتلة، ومستغلو الرذائل البشرية، طفرةً قبيحةً - التوحيدية. ديانةٌ لها طقوس الأرثوذكسية، لكنها تابعة للبابا. كاد ستالين أن يُدمّر التوحيدية، حين حظرها عام ١٩٤٦.

في بداية القرن السابع عشر، عندما كان البابا يُمثّل الغرب الموحد، أرسلت روما مُحتالًا منحطًا إلى روسيا. وها نحن نُغرق أنفسنا في دماء الحرب الأهلية، والقرى مُدمّرة، والمناطق الوسطى خاوية. الإيمان هو روح الشعب، وبتدميره ستهزمهم.

هذا أمرٌ يدركه جيدًا المتخصصون في الحرب السرية والنفسية في الغرب. ولهذا السبب توافد علينا العديد من المبشرين والطائفيين والهرطقين. ولهذا السبب، في ربيع عام ١٩٩٦، قام قطاع طرق شيشان، مُسيَّرون من الخارج، بصلب جنود روس في قرية غويسكوي. ويفرح الاتحاديون بتقسيم معقلين أرثوذكسيين عظيمين - روسيا وأوكرانيا - مُفيدين جدًا للغرب.

يجب تعزيز النواة الأرثوذكسية لإمبراطوريتنا. النواة التي حاولوا تدميرها بتعاليم ماركس اليهودي التي جلبوها من الغرب. والآن - مع أوم شينريكيو والتبشير التلفزيوني الأمريكي.

ولكن ليس لإحيائها كعرض سيرك، كما هي الآن، حيث يُبارك الكهنة السمان افتتاح ما يُشبه الكازينوهات والنوادي الليلية. بل كأرثوذكسية عسكرية إمبراطورية، مُشتعلة في توترٍ مُفرط! أرثوذكسية نووية، إن شئت. الجمع بين الإيمان وصواريخ كروز والرادارات المرحلية، والمركز النووي في أرزاماس-16 وآثار سيرافيم ساروف.

إن الانجذاب إلى الأرثوذكسية الحية والمناضلة واضح حتى الآن. سواء كان صليبًا على صدر شاب سقط برصاص القوات العقابية في أكتوبر 1993، أو ماءً مقدسًا في زجاجة بلاستيكية، يحفظها بعناية جندي أصلع من القوات الخاصة في سفوح جبال الشيشان. علينا أن ندعم هذا الدافع، بكل قوة الدولة.

إن قوة وحيوية إيمان عمره ألف عام هي جوهر هدفنا الأسمى في محاربة الغرب. الأرثوذكسية هي التي رسمت طريقنا نحو المستقبل على لسان الراهب فيلوثيوس في القرن الخامس عشر: "سقطت روماتان. الثالثة صامدة. لن يكون هناك رابعة!" كتب فيلوثيوس هذه السطور في دولة موسكو الفتية الصاعدة، التي تخلصت من نير الحشد.

اتضح أن الشيوعيين أكثر غباءً مما ظنوا في القرن الماضي. كان فيلسوفنا الإمبراطوري الأرثوذكسي، قسطنطين ليونتييف، الذي تعاطف مع الاشتراكية في أواخر حياته، واثقًا من أنها ستُدمج مع ديننا في روسيا. لم يكن ليتخيل حتى أن الثورة الاشتراكية سيقودها اليهود، الذين كان يكرههم بشدة! لقد محا ثوارنا الاجتماعيون الكنائس الأرثوذكسية عن وجه الأرض، ودفعوا ثمن ذلك. ومع ذلك، بدأ بطرس الأكبر بإزالة الأجراس من الكنائس، وانتزعت كاترين العظيمة أراضي الأديرة، وهُدمت الكنائس في عهد آل رومانوف. اندفع القادة الحاليون مجددًا نحو "الأرثوذكسية". سمينون، أقوياء، وغير أخلاقيين، عندما يُغدق الكهنة على المجرمين واللصوص. لسبب ما، لا تتشوش عقولهم بحقيقة أن الكنائس التي بناها كبار رجال الدين اليوم تنهض وسط بحر من الدماء والمعاناة، وسط فساد الأطفال وإبادة الشعب الروسي. على خلفية انهيار مصادر قوة الأمة الروسية، وعلى حساب هذا! يُشيدون بلوجكوف الذي يُنفق التريليونات على كنائس خرسانية، مع أن السلطات في هذا الوقت تحديدًا لا تملك المال الكافي لإنقاذ مئات الآلاف من الروس من المذابح والنهب في الأراضي الانفصالية، في الشيشان التي استولى عليها البلطجية! لكن هذه "أرثوذكسية"، وليست أرثوذكسية...

إذن، الإمبراطورية الروسية، موسكو هي روما الثالثة. روما الثالثة التي عمرها ألف عام. وريثة أعمال روما القديمة والقسطنطينية. معقل الأرثوذكسية. مركز حضارة عظيمة تُعارض الغرب. تقليدية وثورية في آن واحد.

الأرثوذكسية منارتنا، ومقياس القيم، وبوصلتنا في عالم متناقض. الإيمان دليلنا في تطور كل شيء. عسى أن تتخلل الأرثوذكسية علوم وتكنولوجيا واقتصاد روما الثالثة!

ألا تفهم منطقنا؟ لكن يكفي أن تفهمه، وسترى العالم من حولك بطريقة مختلفة تمامًا. الاتحاد السوفيتي، وروسيا اليوم تحديدًا، هما مملكة السلع المستوردة. ولكن ما الذي يجب استيراده وما الذي لا يجب استيراده من وجهة نظر الأرثوذكسية؟ لا حرج في شراء غسالة ملابس أوتوماتيكية جيدة من أجنبي، إذا لم نصنعها نحن. فهذه الآلات ستساهم في الحفاظ على جمال نسائنا، وستمنحهن وقتًا أطول لتربية أطفالهن - المحاربين والمبدعين الأرثوذكس في المستقبل. وبالمثل، يمكنك شراء الأدوية المستوردة التي لا نملك لها مثيلًا بعد.

لكن المنطق الأرثوذكسي نفسه سيدفع السلطات إلى جعل استيراد قطع الغيار والمنتجات شبه المصنعة، وليس السلع الجاهزة، أكثر ربحية، وذلك لإنتاج الآلات والأدوية هنا، مما يعود بالنفع على الصناعيين والعمال الروس. الذين سيتعلمون قريبًا كيف يصنعون أشياءً لا تقل سوءًا عن المنتجات الأجنبية.

سيضع هذا المنطق حاجزًا أمام استيراد كل ما يُضعف الروس أو يُضعفهم، ويحولهم إلى عبيد للرذيلة، ويستنزف قوة الأمة. من وجهة النظر الأرثوذكسية، لسنا بحاجة إلى سيارات مرسيدس فاخرة، فكل واحدة منها متساوية.

بثمن آلاف علب الأدوية الضرورية. أو حشود من أجهزة الكمبيوتر بألعابها وواقعها الافتراضي. في النهاية، تُنتج هذه الأجهزة حشودًا من الحمقى الذين لا يكتفون بتوجيه أصابعهم إلى الأزرار، ولا يدركون ما يحدث داخلها. في النهاية، تُنتج أجهزة الكمبيوتر الشخصية اليوم أشخاصًا لا يملكون حتى معرفة المبرمجين الحقيقيين - ولهذا، نحتاج إلى أجهزة أكثر تعقيدًا بكثير لا تتسامح مع عامة الناس ذوي التدريب البسيط. لكن هذه "ثقافة حاسوبية فرعية" لأفراد مدمنين على الشاشات الوامضة، على الواقع الافتراضي. هذا الواقع، هذا التقاطع الحالي بين الغرائز الدنيئة والتكنولوجيا المتقدمة، يسمح للعبد بالفطرة وللشخص المتمرس بالانقياد لإشباع رغباته: القتل، والتنمر، والقوة، والسلطة، دون بذل أي جهد. هذا الواقع يوقظ أسوأ ما في نفوس الأطفال، ويمنحهم وهم الوصول إلى قمة الحياة دون عناء أو تعب. لقد ظهر بالفعل الجنس السيبراني الافتراضي - سخرية الشيطان التكنولوجية من كل من الشرائع الأرثوذكسية وتقاليد الحب المقدسة الآرية القديمة. هذا دون احتساب العواقب الأخرى لـ"شبكة الكمبيوتر" المستوردة - الأساليب الخفية للتأثير على عقول الجالسين أمام شاشات حواسيبهم الشخصية، و"غسل الأدمغة" وسرقة المعلومات.

لهذا السبب تقول الأرثوذكسية: "لا" لتصدير هراء الكمبيوتر والألعاب الشيطانية. الواقع الافتراضي - تحت رقابة صارمة. على سبيل المثال، يمكن استخدامه لتدريب الجنود والطيارين ورجال الصواريخ. أو حتى هذه الألعاب، يجب على مبرمجينا تغيير هذا الواقع الافتراضي من أجل أطفالنا. ليس من الصواب أن يجلس فانيشكا أو بيت أمام الكمبيوتر للعب لعبة مقاتلة، لكن عليه إسقاط طائرات ميغ وسو الروسية. لنأخذ الإيرانيين كمثال، الذين يعيدون صياغة جميع ألعاب الكمبيوتر بروح إسلامية، ويقدمون أبطالهم ووصاياهم الخاصة.

هكذا بالضبط يجب أن نغرس إيماننا في حياتنا كلها. لن تُبعدنا الأرثوذكسية عن مواطنينا المسلمين. فالضعف الحالي والانحلال والتبعية العمياء للغرب تُشجع أتباع محمد على اعتبار الروس سكارى ومنحطين ضعيفي الإرادة. صور يلتسين وهو ثمل يقود أوركسترا، أو روسي جديد شبه أمي يضرب زوجته على مؤخرتها أمام كاميرا التلفزيون تُعزز هذا الانطباع. المحاربون الأرثوذكس مفتولو العضلات، الذين يحترمون عهود أسلافهم ويعرفون كيف يفصلون الظلام عن النور، سيُلهمونهم احترامهم. يجب على الأرثوذكسية أن تُزيل من صفحاتها وشاشاتها كل ما يجعلنا وحوشًا ضعيفة وجبانة - عروض التعري والنوادي الليلية، و"خطب" الفساد والانحراف، والذكور المخنثين، والهراء الطليعي.

الأرثوذكسية، والأرثوذكسية فقط!

١٠

جزءٌ لا يتجزأ من هدفنا العظيم في النضال العالمي هو الانتصار على الغرب، كقوى النور على جيوش الظلام.

علينا أن نُعلّم أطفالنا وكبارنا يوميًا: الغرب عدونا، الذي تُحاك على ضميره محاولاتٌ عديدة لتدميرنا. وهو لا يكره الشيوعية، بل يكره الروس والأرثوذكس وإمبراطوريتنا.

حاولوا فعل ذلك قبل عام ١٩٨٥ وبعده، تحت سلطة الحزب الشيوعي السوفيتي. لكن حشدًا من الشيوخ العاجزين، والانتهازيين الفضوليين، والبيروقراطيين ذوي البشرة الرمادية، فعلوا ذلك بعجزٍ شديد، مستخدمين لغةً مملةً وكليشيهاتٍ ماركسيةً مبتذلة، مما أثار رد فعلٍ عنيف.

عادةً ما كانوا يعملون بمثالين فقط: غزو النازيين وتدخل الغرب بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠.

عندما اختلط الأمريكيون وغيرهم بالانفصاليين ووضعوا خططًا لتفكيك روسيا إلى عدة "دول".

ولكن هل كانت لدينا شيوعية أم قوة سوفيتية عندما بدأ الفرسان الألمان في القرن الثالث عشر بمهاجمة روسيا التي مزقتها الحرب؟ هل كنا لينينيين عندما حاول البولنديون والسويديون تدمير بلادنا في بداية القرن السابع عشر؟

لم يرفرف الراية الحمراء فوقنا عام ١٨١٢، أثناء غزو نابليون. ولا بين عامي ١٨٥٣ و١٨٥٦، عندما أرسل الغرب أسرابًا وقوات إنزال إلى شبه جزيرة القرم ومنطقة آزوف، وخليج فنلندا وكامتشاتكا، وشبه جزيرة كولا والبحر الأبيض.

حينها خططت إنجلترا لانتزاع منطقة البحر الأسود ودول البلطيق والقوقاز من روسيا. ثم شهد الروس، مستخدمين سيفاستوبول مثالًا، قصفًا مكثفًا للمدن لتدمير كل شيء وكل شخص. لكن الغرب آنذاك لم يكن لديه سوى مدافع ملساء وصواريخ بدائية وقذائف مدفعية محشوة بالبارود، ولم يكن لديه قاذفات قنابل.

لم نناضل من أجل الشيوعية عام ١٩١٤ أيضًا، عندما كانوا في ألمانيا يتحدثون عن ضرورة انتزاع الأراضي الغربية من روسيا وتدمير أقوى دولة سلافية.

يمكننا أن ندفع ثمنًا باهظًا للغرب. ويجب شرح حقيقة أنه أسوأ عدو لنا وأبدي لنا بوضوح ووضوح. لا يزال لدينا كل شيء من أجل هذا: التلفزيون، والمطابع، وجحافل من المعلمين.

روسيا مُلزمة بامتلاك سلاح خارق. فالغرب لا يحترم إلا القوة، ولا يرتدي ثياب حفظ السلام إلا أمام من يستطيعون سحق أضلاعه. ولكن إذا كان الغرب واثقًا من إفلاته من العقاب، فهو قاسٍ، كأي كائن جبان. لعلمهم أن الإثيوبيين، المسلحين أحيانًا بالرماح وبنادق الصوان، لن يصلوا إليهم، قصفهم الإيطاليون بقذائف الغاز المسيل للدموع عام ١٩٣٥. ولعلمهم أنهم لن يُردوا، هاجم الأمريكيون...

لقد ملأت فيتنام بالنابالم، "العامل البرتقالي" السام. أو محوت قرى صربية عن وجه الأرض.

ولذلك، يجب أن تكون الدولة الروسية قوية في وجه العدو اللدود الأبدي.

في إحدى روايات الخيال العلمي للكاتب الأمريكي ر. هاينلاين، ثمة حادثة تُصوّر بإيجاز رائع جميع العلاقات الروسية الغربية. هناك، بعد أن نُقلت الشخصيات إلى فرع موازٍ من التاريخ، انتهى بها المطاف على المريخ، محتلة من قبل الروس. روس لم يشهدوا ثورة عام ١٩١٧، ولا يزال لديهم قيصر. أمر قائد أركاننا على الفور ضابطي صف باستهداف سيارة الأبطال وأمر باعتقالهما كجواسيس محتملين.

سنبقى دائمًا مصدر قلق ورعب للدول. في ظل السوق الحرة والاشتراكية، في ظل القيصر أو الأمين العام. فلنكن روسًا قبل كل شيء!

١١

دولتنا، مع كل هذا، مُلزمة بأن تصبح جيوسياسية. ويجب أن تتغلغل الجغرافيا السياسية في لحم ودم كل روسي.

لقد دفعنا ثمنًا باهظًا لنسياننا هذا العلم. فما هو أساسه، ومبدأه الجوهري؟ ها هو ذا: لا يهم أي نظام قائم في الدولة. الاشتراكية، الرأسمالية، أو العبودية - ستبقى مصالح البلاد، وتطلعاتها العالمية كما هي. ولنستبدل الأقواس بالبنادق، والبنادق بصواريخ كروز، وستبقى اتجاهات التوسع وبؤر الصراع كما هي. كان المؤرخ الأمريكي آرثر شليزنجر الابن يردد: حتى لو أصبحت أمريكا الولايات الاشتراكية المتحدة، فإنها ستواصل صراعها على الخليج العربي الغني بالنفط، وصراعها مع روسيا.

الجيوسياسية تُثبتها الحياة. كما أنها تُفسر الحروب الحالية - لأنها تشتعل في موقع معارك ضارية من القرنين الرابع عشر والتاسع عشر. البلقان والقوقاز، وبلاد ما بين النهرين، وأيرلندا الشمالية ليست سوى أمثلة صارخة. تُقلب الجغرافيا السياسية الفرضية الماركسية القائلة بأن السياسة الخارجية تعتمد على السياسة الداخلية، وعلى النظام الاجتماعي للدول. يُقال إنها في ظل الرأسمالية شيء، استغلالي وعدواني، وفي الاشتراكية شيء آخر تمامًا. لم يعد هناك فرضية أكثر ضررًا وزيفًا. يُجبر الروس على تعلم قواعد الجغرافيا السياسية الصارمة من المدرسة: هناك صراعات أبدية بين الحضارتين الروسية والغربية. يمكن للغرب أن يُقدم دولة أو أخرى كقوة صادمة معادية لروسيا، لكن جوهر الصراع لن يتغير على مر القرون، بغض النظر عن النظام الذي سيسود روسيا.

حاول الغرب تدميرنا عندما كنا دولة عبودية - على يد البولنديين والسويديين وأوروبا الموحدة تحت رايات نابليون. ثم على يد ألمانيا القيصرية، عندما كانت لدينا الرأسمالية وحتى مجلس الدوما (برلمان). ثم أرادوا محونا من على وجه الأرض بأيدي هتلر. حتى بعد سقوط الاشتراكية وتفكك الإمبراطورية، لا يزال الغرب يُبقي على قوات عسكرية ضخمة ضدنا، ويسعى جاهدًا لتوسيع حلف الناتو إلى حدود بقايا الإمبراطورية - الاتحاد الروسي. ومن أمريكا نسمع تصريحاتٍ تُنبئ بأننا دولةٌ لا قيمة لها على خريطة العالم.

إنّ الأطروحة الماركسية القائلة بأن السياسة الخارجية تعتمد على النظام الداخلي سمحت لمصلحينا الديمقراطيين بخداع عقول الملايين. يقولون إن الولايات المتحدة تكرهنا لأن لدينا نظامًا شيوعيًا. فلنُنشئ سوقًا وديمقراطية - وسيُحبوننا. لكنهم لم يفعلوا. لا يُمكننا تكرار هذا الخطأ مرةً أخرى. كان الغرب، ولا يزال، وسيظل عدوًا لنا. ولذلك يجب علينا دائمًا مُعارضته بالقوة!

لم تعتمد مصالح روسيا، بل وحتى أساليب عملها، يومًا على نظامها الداخلي. هل نندم جميعًا أمام العالم أجمع على إدخال دباباتنا إلى بودابست عام ١٩٥٦ وعلى الاستيلاء على براغ عام ١٩٦٨؟ لكنها كانت في نطاق نفوذنا. لكانت روسيا القيصرية ستتصرف بنفس الطريقة تمامًا. كما قمعت بلا رحمة الانتفاضات البولندية بقيادة سوفوروف عامي ١٨٣١ و١٨٦٤. وبعد تحرير بلغاريا من الأتراك عام ١٨٧٨، حاولنا تعيين جنرالاتنا نوابًا للحكام البلغار. تمامًا كما عيّننا الروس أمناءً ثانيين للجان الحزب الإقليمية في "الجمهوريات الوطنية" للاتحاد السوفيتي. لكن في بلغاريا، اضطررنا للتراجع، والتفت المثقفون البلغاريون، الذين أنقذناهم من مذبحة الأتراك، إلى النمساويين. ولطالما أرسلت الولايات المتحدة قواتها إلى الدول التي حاولت الخروج من دائرة نفوذها، دون أن تندم على ذلك.

المبدأ الثاني في الجغرافيا السياسية الذي يجب غرسه في نفوس الجميع هو فضل الإمبراطورية على حفظ السلام. يمكن لدولتين أن تقتتلان بشراسة قبل مئات السنين من عصرنا. يمكنهما أن يصبحا جزءًا من الإمبراطورية، التي ستوقف القتل المتبادل بقبضة من حديد لمدة قرن أو قرن ونصف. لكن ما إن تنهار الدولة، حتى يبدأ من لم يحملوا خناجرهم لأجيالٍ عديدة في تدمير بعضهم البعض بشراسةٍ لا تقلّ عنها. لا شيء أسوأ من الإمبراطوريات المتهالكة، التي تتفشى على أنقاضها أوبئة الدمار المتبادل لشعوبٍ عاشت يومًا بسلامٍ ووفرة. في الوقت نفسه، يبدأ الجيران في شدِّ شظايا البلاد نحوهم، مُضيفين بمهارةٍ وقودًا إلى نار الحروب التي اندلعت.

وربما تكون أهم وأقدم مُسلّمةٍ في الجغرافيا السياسية، والتي لا بدّ من نقشها حرفيًا في أذهان شعبنا. إنها في جواب أمراء الهون للصين:

"خذوا خيولنا - سنحصل على خيولٍ جديدة. خذوا زوجاتنا - سنجد المزيد".

خذوا الأطفال، سنلدهم. لكن لا تمسوا أرضنا! "فليُصبح هذا المبدأ قانوننا! أي أرض، حتى أكثرها وعورةً وخلوّاً، لها قيمةٌ قصوى. ففي النهاية، تُروى بدماء الأجداد. قد نجد فيها اليورانيوم والذهب والنفط والغاز غداً. أي قطعة أرض قد تُصبح محوراً رئيسياً يعتمد عليه مستقبل الشعب بأكمله. ليس لدى البلاد أرضٌ فائضة!

مثال؟ منذ عام ١٩٩١، تحاول الصين انتزاع مئات الهكتارات من أراضي المستنقعات منا في وادي نهر توماناي، عند ملتقى حدود الصين وكوريا وروسيا. إذا نجحوا، فسيبنون ميناء تومانجيانغ هناك، مما يُتيح لهم الوصول إلى بحر اليابان والمحيط الهادئ بأقصر الطرق. سيُغلق تدفق البضائع من منطقة المحيط الهادئ والولايات المتحدة على الفور هذا الميناء وخطوط السكك الحديدية الصينية، التي تستمر إلى آسيا. وسيسلك التدفق المعاكس للبضائع والمواد الخام نفس المسار. موانئنا فلاديفوستوك وناخودكا سيتلاشى، وسيتلاشى خط السكة الحديد العابر لسيبيريا، ولن ينهض نظام BAM الذي بُني بصعوبة بالغة. سيخسر الروس المكاسب التي حققوها على مدى نصف ألف عام من العمل والمعارك. ستذهب مآثر بوياركوف وخاباروف، وديزهنيف وستادوخين، ودماء مقاتلي خاسان وخالخين-غول أدراج الرياح. سنخسر مليارات الدولارات من الإيرادات، بسبب بضع مئات من الهكتارات!

ليس لدى الروس أراضٍ إضافية! ولذلك، فإن كل من يتنازل عن أرض للإمبراطورية مجرم، حتى لو كان الحاكم الأعلى. يجب أن يصبح هذا جزءًا من لحم ودم كل مسيحي أرثوذكسي - من حارس البوابة إلى الوزير. وبالتالي - لعنة على غورباتشوف وشيفاردنادزه ويلتسين وليبيد!

جيوسياسيًا، تناضل إمبراطوريتنا من أجل الوصول إلى البحار منذ قرون، وتتحرك جنوبًا وشرقًا. لقرون، تصد العدوان الغربي، وتنشئ حزامًا أمنيًا في أوروبا. وهذا يعني أن هذه الطموحات... مُقدّسة بالتاريخ، خالدة لا تتغير. ومن يتبع سياسةً مُغايرة فهو يهوذا... هذا المبدأ مُدوّنٌ بوضوحٍ ووضوحٍ في كتاب ألكسندر بروخانوف "آخر جنود الإمبراطورية":

"الجغرافيا السياسية باقيةٌ دائمًا. الفضاء باقٍ دائمًا. الموارد باقيةٌ دائمًا. إنها بحاجةٍ إلى الحماية. أيُّ شعبٍ يسعى لتوسيع سيطرته على الفضاء، ويقاتل من أجل الموارد. هكذا كان وما زال. روسيا تمتلك أكبر مساحة، والعديد من الصيادين يتطلعون إلى أراضيها. لذلك، سيحتل الجيش والدفاع والمجال التكنولوجي العسكري المكانة الرئيسية في الواقع الروسي...".

لكن جمهورنا صفق لغورباتشوف ويلتسين عندما سلما سواحل البحر الأسود وبحر البلطيق للغرب. لقد صوّت لمن، بـ"إصلاحاتهم"، فصلوا الشرق الأقصى عن البلاد. كنا فخورين بكيفية إشادة عدونا، الغرب، بغورباتشوف بألف طريقة، أولًا، ثم يلتسين.

12

وهناك ركيزة أخرى للمستقبل الإمبراطوري للبلاد، وأساس آخر للمستقبل الروسي - الفلاحون. أساس أسس أمة سليمة. ولم يكن عبثًا أن دمر أمثال روزنبلوم وروزنفيلد الفلاحين الروس بجنون، أحيانًا تحت ستار مفوضي الحزب منذ سنوات عديدة، وأحيانًا تحت ستار الإصلاحيين المصرفيين اليوم. ولم يكن عبثًا أن تُبدد قوات الأمة في عهد خروتشوف عبثًا في حرث الأراضي الكازاخستانية ونقلها. هناك، يتواجد أفضل وأكفأ المزارعين الأرثوذكس على حساب تدمير المناطق الروسية الأصيلة في الدولة.

المزارع، مهما تجهم متعجرفو المدن "النخبة"، هو خير جندي. شجاع ومخلص، لا يهاب الحر والصقيع. إنه أرثوذكسي متدين. الفلاحون هم الأقل تأثرًا برذائل المدن. حتى لو بدوا لك أحيانًا مضحكين وضيقي الأفق، فلا تجرؤ على السخرية منهم! فهؤلاء الناس هم من يوفرون الحياة والأساس الأساسي لاستقلال البلاد، ومخزونها من الطاقة لبناء أمة سليمة - الخبز. إذا كان لديك خبزك، فلديك بقية الطعام.

لا يمكنك أن تقول لدولة ذات فلاحين أقوياء: استسلم وإلا فلن نطعمك. أو لن نشتري زيتك أو أخشابك أو معادنك مقابل أرجل دجاج. لا يمكنك أن تحول شعب هذه الدولة إلى قطيع مريض، يتغذى على معلبات منتهية الصلاحية أو جيف مدخنة أو أرجل طيور. محشو بالمضادات الحيوية. أو أملاح المعادن الثقيلة والمواد الكيميائية والمضادات الحيوية. تمامًا كما يفعل الغرب الآن مع روسيا الضئيلة، بلد المدن الفقيرة والقرى المهجورة

والصناعة المتعثرة. وليس عبثًا أن اليابانيين والصينيين الحكماء لا يفتحون أسواقهم للأغذية المستوردة، رغم أن منتجاتهم أغلى ثمنًا. إنهم لا يراعون مصالح المستهلكين، مفضلين الحفاظ على الفلاحين.

بحلول عام ١٩٨٥، كان على حكومة الحزب الشيوعي السوفيتي حل العديد من المشاكل. لم تقتصر المشكلة على اللحوم والنقانق على الرفوف. كانت المشكلة شيئًا آخر - فقد دُمرت قرى البلاد بسبب التحضر القبيح والتجارب غير المسؤولة. لقد وقعنا بالفعل في اعتماد كبير (وإن كان ضئيلًا بمعايير اليوم) على الخبز الأمريكي ولحم البقر الأرجنتيني. أُخليت أغنى مناطق الأرض السوداء في روسيا من السكان، ووجد ملايين السلاف أنفسهم في أراضي كازاخستان الوعرة. حيث المحاصيل قليلة، والعمل شاق، والعواصف السوداء تعصف، ممزقةً طبقة من التربة المحروثة.

ما العمل؟ قوة الأمة هي ليست بلا حدود. ولذلك، من الضروري تركيز جهودهم على استيطان ونهضة منطقة الأرض السوداء. مناطق تولا، وأوريول، وليبيتسك، وتامبوف، وفورونيج. هناك

إعادة توطين السلاف من كازاخستان وآسيا الوسطى، وبناء الطرق ومراكز المعالجة وشبكة التغويز هناك، وتركيز التقنيات الزراعية المتقدمة والاستثمارات هنا. في عام ١٩٨٥، كانت الإمبراطورية تمتلك قوة وموارد تفوق بعشرة أضعاف ما تمتلكه إيريفيا-روسيا العاجزة والشبيهة بالمافيا. كلا، فضّل الكرملين إنفاق ملايين لا تُحصى على شراء الخبز من الخارج، على مشاريع حمقاء في منطقة الأرض غير السوداء!

لو كنا قد رفعنا مستوى الأراضي في الجنوب، لكانت البلاد قد زوّدت نفسها بالحبوب واللحوم والحليب والصوف إلى الأبد! ولكن كانت هناك أيضًا مناطق خصبة في جنوب أوكرانيا، مخازن حبوب شمال القوقاز القوزاقية، بشعب قوي ومناضل واقتصادي. ويجب أن تكون هناك أيضًا نقاط نمو، مراكز لتبلور الزراعة السلافية.

لا تظنوا أننا نتحدث بازدراء عن منطقة الأرض غير السوداء. لا نحب هذا الاسم، لأنه في الواقع يجب أن تُسمى هذه الأرض شمال غرب روسيا، مهد الروس العظماء. هنا جوهرنا العرقي، مراكزنا المقدسة، مراكز أرثوذكسية مقدسة. موروم وفلاديمير، سوزدال وروستوف الكبرى، نوفغورود، تورجوك وبسكوف... علينا أن نعيد إحياء مجدها وقوتها السابقتين، وكانت الإمبراطورية السابقة تمتلك ما يكفي من القوة لذلك. هنا، حول الأديرة المُعاد إحياؤها، يُمكننا تطوير مراكز حرفية وصناعات صغيرة عالية التقنية، ومدن تكنولوجية ومراكز تقنية، ومجمعات لحوم وألبان. لنُحوّل مرة أخرى المراكز المقدسة إلى معاقل ليس فقط للروح والثقافة، بل أيضًا إلى مفاتيح للحياة الاقتصادية. سيُجذب إليها الأكثر صحةً وجدّاً ورصانة. عائدين إلى أرض أجدادنا من آسيا الوسطى، حتى لو بقيت جزءًا من الإمبراطورية. وفي بلادنا، يا للعجب، عقولٌ نيرة تُجيد إحياء نسيج الأمة العريق، وأساسها. ها هو أحدهم، المهندس المعماري الروسي وعالم الثقافة فلاديمير بوبوف، عضو أكاديمية العلوم الطبيعية، ورئيس نادي "التركة الروسية" التابع لليونسكو. مُخلصٌ لعمله حتى التعصب. يرتدي علامة الشمس على شعاره. وهو مدير مجمع "فلاخيرنسكوي-كوزمينكي" في موسكو، وهو ضيعة الأمراء غوليتسين السابقة.

إن إحياء هذه الضيعات لا يقتصر على ترميم القصور والمباني القديمة، أو تنظيف البرك، أو استصلاح الأرض. فالضيعة، في نهاية المطاف، ليست مجرد جدران وحدائق ومنحوتات، بل هي كائن حيّ حقيقي. لقد كانت الضيعات النبيلة هي التي أسست الثقافة الروسية العظيمة. لقد أصبحت عوالم مصغرة، لكل منها وظيفة ثقافية واقتصادية واجتماعية. يجب إعادة كل شيء! - يؤكد بوبوف، مازحًا، ويصف نفسه بـ"أمير الأجرة". لديه الكثير من العمل للقيام به. انظروا إلى البرك! كانت تُربى هنا أسماك الكارب الصليبي، وكارب الحشائش، والرمادي. وماذا عن الحدادة، والساحة الحمراء، ومزرعة الخيول؟ وسلوبودكا؟ يجب أن تنبض هنا حياة جديدة - مسرح، وحرف يدوية، ومراكز حرفية فريدة. لينهض "دار اللقطاء" من جديد، حيث يُحوّل أطفال الشوارع المشردين إلى مبدعين، وحُماة لتراث أجدادهم. حتى لا يتورطوا في "البربرية الجديدة" ونسيان يلتسينيا الوطنية القبيحة. بل سيصبحون علماء وفنانين وحرفيين.

كل شيء مُدبر. يجب أن تبدأ جمعية الثقافة الروسية العمل هنا، والتي ستوحد الفنانين والكتاب، ورواد المسرح ورعاة الأعمال، والنحاتين والصناع. سيتم إحياء هذا العقار من خلال الاستثمار الخاص. المبدأ هو هذا: إذا كنت تريد أن تصبح راعيًا للفنون، فاستولِ على، على سبيل المثال، على "ساحة الخيول" واجعل منها مشروعًا تجاريًا. نعم، مع الربح، وعلى مستوى عالمي! ومثل هؤلاء رواد الأعمال موجودون. ليس كلهم يُبذرون المال في جزر البهاما، فليُفكّر أحدهم في الأراضي الروسية. ليس كلهم يستثمرون في "المتعطشين للتلفاز" الأغبياء، مثل غوسينسكي وبيريزوفسكي...

لا يسعني إلا الإعجاب بهذا الروسي المتأجج، الذي يحلم بإحاطة موسكو اليوم، الغارقة في فظائع الغربة، بسلسلة من العقارات المُعاد إحياؤها. إنه أستاذ عظيم، يُضفي تقاليد وطنية على المساكن. كم يكره أولئك الذين جاؤوا من أكواخ قذرة، من بؤس تفوح منه رائحة الثوم والعرق، والذين وصلوا إلى السلطة عام ١٩١٧ وحولوا حياة الروس إلى فظاعة مكتظة. لكنه لا يقل كرهًا عن إخوانهم، الذين يبنون موسكو الآن بمعابد زجاجية بلا وجوه - أهرامات، وواجهات تجارية ضخمة.

نعرف كيف نعيد بناء أساس أمتنا، روما الثالثة الأرثوذكسية!

١٣

لدينا أناس يمكن اعتبارهم احتياطيًا ذهبيًا روسيًا حقيقيًا. جسدهم مجرد هيكل غير مكتمل. لكنهم في الحقيقة هم الدولة نفسها. يشعر هؤلاء الأفراد باتساعها كامتدادٍ لهم، ويختبرون جميع محن روسيا العظمى كتجارب شخصية. أصبح انهيار الإمبراطورية مأساة حياتهم، كما لو أنهم فقدوا أذرعهم وأرجلهم. يتردد صدى الصراع الأهلي الدامي في نفوسهم بألمٍ رهيب، كما لو أن لحمهم يُقطع.

لهؤلاء الناس عقليةٌ كوكبية، ويتحدثون إلى أسلافهم الذين رحلوا منذ زمنٍ بعيد كما لو كانوا يعيشون بالقرب منهم. إن إحساسًا فريدًا بالوطن، والطاقات التي تتجول فيه، ومراكز القوة الآخذة في النضج، تجعلهم نحاتي المستقبل. وكما تتنبأ الأم بمرض طفلها، فإنهم يدركون ولادة كوارث الإمبراطورية المستقبلية. هناك شيءٌ غامضٌ وعميقٌ في نفوس هؤلاء. نوعٌ من السمع الداخلي، يسمعون و...

أنين الموتى، وهدير التوترات الجيوسياسية، وارتعاش المجتمعات، وتيار قوى الحياة في البلاد، الذي لا يكاد يُرى، والذي لا يتزعزع للعين المجردة.

كم هم بعيدون عن مسؤولي الكرملين البليدين، ذوي القلوب الممتلئة بالفراء، الذين لم يقرأوا الكتب منذ زمن، وعقولهم غارقة في أبخرة الفودكا، وقلوبهم مليئة بصناديق النقد! كم يختلفون عن هؤلاء البشر القبيحين ذوي العيون الماكرة، الذين لا يستطيعون إلا نسج مكائد صرصورية حتى لو كلفهم ذلك تدمير دولتهم! لكنهم ليسوا أقل غربة من "الفتيان" المهذبين، الاقتصاديين والتجار، الذين ينحصر عالمهم في "حلقة الحديقة"، وفي رؤوسهم فقط مبادئ الليبرالية الغربية وكتالوجات المتاجر الفاخرة. لأن معرفة بلدك هي اندماج معه، واكتساب رؤية ثاقبة وقدرة على احتضان مساحات لا حدود لها بنظرة واحدة. هذه الطريقة في فهم الشعوب الإمبريالية بعيدة المنال عن الغرب. فهي لا تهيمن عليها إلا الحسابات المادية البدائية، العقلانية، التي تسعى إلى تفكيك وحدة العالم المعقدة إلى مكونات بسيطة. وهذا أشبه بتفكيك لوحات دافنشي. إنهم يُجزئون كل شيء إلى مكونات أولية: هنا السياسة، وهنا الاقتصاد، وهنا الفولكلور. كما أنهم يُجزئون روسيا باستمرار، إما إلى مناطق أو إلى مستويات. الغرب هو مملكة التحليل، لكنه غير قادر على التوليف. لكن التفريق، حتى من أجل المعرفة، يعني القتل.

ويتصرف الشعب الإمبريالي كأسياد التوليف، قادر على بناء مستقبل البلاد كوحدة واحدة، حيث ترتبط قباب الكاتدرائيات والعقارات وصواريخ كروز، حيث ترتبط محطات الطاقة والتقاليد بروابط مشتركة. مهما بدا هذا القول متناقضًا لشخص ذي عقلية عقلانية غربية، فإن أحد هؤلاء "الرومان الثالث" يعيش بيننا - النحات والمهندس المعماري الروسي كونستانتين بتشلنيكوف. الذي أعلن عام ١٩٧٠ خطر انهيار الإمبراطورية، وتحدث عن ضرورة تنظيم الفضاء الروسي بطريقة جديدة. يُعد بتشلنيكوف من الذين أدركوا تفرد الإمبراطورية الروسية - الاتحاد السوفيتي، التي لا مثيل لها في تاريخ العالم. يرى بتشلنيكوف أوراسيا الشاسعة كحوض عملاق، تحده من أطرافه جبالٌ مُستهدفة - جبال البرانس والبلقان، والكاربات والقوقاز، وتيان شان، والهيمالايا، والتبت. في طرفيها الشرقي والغربي، بعيدًا عن "العدسة" المقعرة للفضاء الروسي، تتدفق أوروبا والصين إلى المحيط، ويفصل بينهما سلسلة جبال هندوكوش، الهندوستان. هما خارج حوضنا. سكنه السلاف الشرقيون، ونظموا له فضاءً شبه دائري، مركزه موسكو، تمتد منه خيوط الاتصالات الشعاعية. والنتيجة هي دائرة سحرية، عجلة مقدسة، يحيط بها ما يصل إلى ٧٠٪ من جميع الموارد الطبيعية للأرض. الوعاء مستقر من منظور تاريخي، على عكس جزيرة العالم - أمريكا، المغلقة في شبكة من الاتصالات البحرية غير المستقرة والزائلة. الوعاء هو سرة العالم، محور تاريخه. بتشلنيكوف مقتنع: يجب على الروس إنشاء نظام جديد للاتصالات الكوكبية - من البرتغال إلى موسكو، ومن خلالها، عبر سيبيريا بأكملها - إلى مضيق بيرينغ، الذي يفصل تشوكوتكا الأوراسية عن ألاسكا الأمريكية. هناك، يتم إلقاء جسر عملاق عبر المياه وتظهر مدينة متألقة، بيرينغوغراد، والتي يمر

عبرها الطريق إلى القارة الأمريكية. من محور العالم هذا، يجب أن تمتد الطرق السريعة الزوالية جنوبًا - إلى إفريقيا والهند والصين. ويجب أن يحرس هذا المحور للنظام العالمي الجديد عملاق فولاذي هائل - إمبراطوريتنا المستقرة. بإنشاء شبكة طرق عالمية جديدة، سنُسهم في تراجع دور مضيق فارس ومضيق هرمز، وقناة السويس، وسنغافورة، بعد أن اكتسبنا ثروة طائلة وريادة عالمية...

في عام ١٩٦٥، انضم بتشلنيكوف إلى اللجنة الديموغرافية بجامعة موسكو. وتوقع انخفاضًا في معدل المواليد في التسعينيات، واقترح مخرجًا من الأزمة القادمة: وقف تشتت السلاف الشرقيين من مراكز توطينهم الأصلية إلى أطراف الإمبراطورية، إلى أطراف الكأس المقدسة. ثم إعادة جذبهم إلى مركزها، واستعادة جوهر روسيا الذي "اندثر" في القرنين الثامن عشر والعشرين، واستعادة احتياطي القوة الحضارية. في عام ١٩٧٠، اقترح مخططًا للاستيطان الحركي - حول المراكز الحضارية وخطوط الكهرباء، مع نظام تحويل للاستغلال الصناعي على الأطراف. كان بتشلنيكوف مقتنعًا بضرورة استعادة النظام المكاني الروسي المفقود، جوهر دولتنا العرقية.

يُقارن كل هذا ببناء قبة كاتدرائية ضخمة في قلب العالم الروسي، سترتفع حولها قباب الدول الصغيرة والمتوسطة والمدن والشركات. تتحول المدن إلى "أبراج فلكية"، وتُزال "الحظائر ومواقع البناء والصناعات الضارة بيئيًا" من قلب روسيا.

يحلم بتشلنيكوف بجعل مركز الاتصالات - آرتبوليس في حي بيتسيفسكي بارك جنوب موسكو - مركز هذا المركز والوعاء الكبير. هرم ثماني الأضلاع مقسم إلى نصفين، يُشكل في المخطط نجمة آرية ثمانية الرؤوس - ثقلًا موازنًا للرمز السداسي للحضارة اليهودية البروتستانتية. هنا مركز البنوك والبورصات ومكاتب الشركات ووكالات المعلومات ونقاط الاتصالات الفضائية. عنق ضيق، وساقان...

وهو تبادل للقيم الثقافية والتكنولوجية والتنظيمية تحت سيطرة الشعب الأرثوذكسي. إنها بلورة إبداع فريدة. ولكن، للأسف، هي بالفعل في فضاء ما بعد الاتحاد السوفيتي المتهالك والمتفكك. ولكن لكي نتقن فن الاتصالات، ونسيطر على الفضاءات ونستغلها. نضع تقنيات الأعمال المالية الحديثة في خدمتنا، ونشرك رؤوس أموال العالم أجمع في تنمية ثروات الكأس المقدسة وتنفيذ مشاريع عملاقة. تحت السيطرة الروسية! بضغط الكتلة العرقية للسلاف الشرقيين على المركز التقليدي للإمبراطورية، يُطلق "مفاعل" تُوفر طاقته دفعة حماسية جديدة، وتوسعًا جديدًا للإمبراطورية. يا له من تجاوز عظيم!

في عهد غورباتشوف، كانت لدينا قوة أكبر بمئة مرة لنتولى مشروع المستقبل الأرثوذكسي الإمبراطوري. بل وأكثر من ذلك - في أوائل السبعينيات. أساطيل جوية، وأساطيل دبابات، وتجمعات من القوة العلمية والتقنية متمركزة في مراكز فريدة - كانت لا تزال مكتملة آنذاك، ولم تنضب كما هي الآن. يُضاف إلى ذلك تدفق دولارات النفط، التي بددها نظام بريجنيف ببذخ على الملابس المستوردة. وأيضًا - نظام قوة فريد من نوعه، قوامه قوة تعبئة هائلة، قادرة في يد القائد النحات على صنع معجزات غير مسبوقة (حول بتشلنيكوف - انظر "اليوم"، العدد 17، 1992، "زافترا"، 37 و52، 1995).

أمثال هذا المفكر رسموا صورة العالم بعد انتصارنا في الحرب العالمية الثالثة، الحرب الباردة التي استمرت نصف قرن. عندما اعترف الغرب، المنهك من محاولاته التفوق على الروس في سباق التسلح، بعبثية جهوده وأعلن استعداده للمشاركة في مشروعنا العملاق. عندما تمكنا نحن أيضًا من ضخ قواتنا المحررة من المجال العسكري فيه.

لكن هل كان بإمكان كبار مسؤولي الكرملين البليدين والضعفاء أصلاً، الذين لم تكن عقولهم تحتوي سوى على "المسار القصير للحزب الشيوعي لعموم الاتحاد (البلاشفة)" والفودكا والبانياس، أن يفهموا ويقبلوا كشوفات بتشلنيكوف الغامضة؟ هل كان بإمكان نخبتنا الاجتماعية والديموغرافية آنذاك، كل هؤلاء الأكاديميين اليهود أمثال بروملي وبيرشيتسي وزاسلافسكي، أن يرحبوا به؟ في النهاية، هم محللون ومفككون، لكن بتشلنيكوف توليفة. على عكسهم، فهو روسي متحمس، ومشروعه لا يمكن أن ينشأ إلا في عقل ممثل شعب ذي تقاليد إمبراطورية عريقة وتقاليد آرية عمرها آلاف السنين، في عقل من يُواصل قضية الكونية الروسية. ولكن ليس في عقول أحفاد من جاءوا من أحياء فقيرة ضيقة ومشاجرة، وحشود من التجار والصيارفة. بغض النظر عن التعليم، نرث أحيانًا ذكرى أسلافنا الكثر - من خلال التربية العائلية والأحاديث والأساطير. إن سعة فكر سليل المحاربين والفاتحين في مساحات شاسعة، القادرين على بذل جهود خارقة، تختلف اختلافًا حادًا عن نظرة أولئك الذين كان أسلافهم صيادلة وتجارًا وساعاتيين في المدن الصغيرة.

في تلك السنوات، كان هؤلاء الأكاديميون يتحدثون في اجتماعاتهم الخاصة عن مصير البلاد، ويحلمون بالعيش على الطريقة الغربية، ويرفعون نخب ثورة جديدة. بعد قليل، سيظهر السياسي الأحمق ساخاروف الراشد بأفكاره الهذيانية لسلف إسينغوفيا - اتحاد الجمهوريات ذات السيادة. في خضمّ علم الاجتماع الديموغرافي السوفييتي المتأجج، ستولد السيدة العملاقة ستاروفويتوفا، الديمقراطية المستقبلية وداعية فكرة تقسيم روسيا إلى خمسين دولة، والبروفيسور يانوف، مُنظّر تغيير النمط الإثنو-نفسي للروس نحو الأمركة والليبرالية. يا له من ألمٍ عاناه بتشلنيكوف عندما رأى أن الإمبراطورية تملك كل شيء لتنفيذ مثل هذا المشروع. كل شيء، إلا شيئًا واحدًا - الإرادة.

أنت وأنا نعلم يقينًا: هناك أناسٌ في البلاد يمتلكون تقنياتٍ إمبراطوريةً فائقة. إنهم صانعو روما الثالثة الألف عام القادمة!

١٤

لقد حاولنا فقط رسم الخطوط العريضة الأكثر عمومية للهدف الروسي واستراتيجيته للنصر في الصراع العالمي. ولم نتوصل إلى أي جديد. بحلول منتصف الثمانينيات، كان هناك بالفعل الكثير من الناس في البلاد الذين عبّروا عن أفكارٍ متشابهة بشكلٍ عام.

في عام ١٩٨٠، ولأول مرة، بدأ الناس ذوو القمصان السوداء بالاحتفال بذكرى معركة كوليكوفو، تلك الولوج الأول إلى الساحة التاريخية للروس العظماء، ورثة روس القدماء وحضارة كييف-دنيبر. في عام ١٩٨٢، كنت أنا وأصدقائي، ونحن ندرس في الصف التاسع، نقرأ الكتاب المنشور حديثًا - والذي للأسف، بعد وفاته! كتاب "ذاكرة" لفلاديمير تشيفيليخين، الذي قادنا فيه المؤلف إلى أقدم الأصول الروسية. أبدع الفنان الكبير إيليا غلازونوف، وظهرت وجوه قادة الحرب الوطنية العظمى الشجاعة على لوحاته إلى جانب وجوه دميتري دونسكوي وسرجيوس رادونيج. قرأنا أعمال المؤرخ ف. شاخماغونوف، وبرز التاريخ الحي من صفحاتها. ألقى ليف غوميليف أيضًا محاضرات، بعد أن عانى من اضطهاد الأكاديمي بروملي وأسرار حياة الأمم. وكان هناك بالفعل عشرات الطلاب إلى جانبهم.

لقد جمعنا ببساطة الأفكار التي عبّر عنها ليونتييف ودانيليفسكي في القرن الماضي. أصبحت الأيديولوجية الرسمية، التي تحمل شعار "المجد للحزب الشيوعي السوفيتي!"، مجرد قشرة جامدة، نضج تحتها مبدأان في الثمانينيات. الأول هو مزاج أولئك الذين كانوا يقدسون الغرب ويحلمون سرًا بالاستفادة من تدمير البلاد. الاتجاه الآخر هو الاتجاه الروسي الأرثوذكسي الإمبراطوري. نزعات عاطفية وعاطفية. مأساتنا هي خاتمتنا.

هو أن المبدأ الأول تبلور أسرع من الثاني، بدعم من يد الغرب الماهرة. ومن خضعوا له وجدوا أنفسهم في السلطة. وفي هذا، ساعدتهم الأيديولوجية السائدة، الماركسية - وهي تحريف بشع منبثق من الليبرالية، بنفس أولوية المادية والعقلانية البدائية.

لم يتسنَّ للمبدأ الروسي الوقت الكافي للتبلور، مع أنه كان جنين حضارة جديدة. وحظيت الآراء التي طرحناها بقبول متزايد بين من أطلقنا عليهم لقب "أهل السيف والمطرقة". وكلما طال الزمن، ازداد الشعور بأننا اندفعنا عبر مفترق طرق نحو المستقبل، مختارين المنعطف الخطأ. شعورٌ بضياع فرصة عظيمة.

كتب ألكسندر بروخانوف: "ثلاثة جزارين، شمروا عن سواعدهم، انقضّوا على الاتحاد السوفيتي ومزقوه إربًا إربًا بالفؤوس. لم يقطعوا الحزب، ولا الشيوعية، ولا الصواريخ الاستراتيجية، بل "الحضارة الروسية" التي نشأت في أعماق الاتحاد السوفيتي، مستندةً إلى الاكتشافات العلمية والتكنولوجية العظيمة، وإلى إدراك الله والكون، وإلى تبجيل الإنسان للإنسان، وإلى حماية الطبيعة الأم. إلى أعقد تركيبات البناء الأرضي والاندفاع نحو عالم مجهول، والذي تبلور في أواخر السبعينيات، وسط صمت اجتماعي وجمود خارجي، في بنية أرضية جديدة - الحضارة الروسية. وكما أن الأم الحامل، بعد أن شعرت بنبض جنينها، تهدأ، ويتغير وجهها، وتتجنب المظاهر الخارجية، وتركز على كيانها الداخلي، على تنمية غامضة، كذلك بلدنا، غير مثقلٍ بوصف "راكد"، راكم قوةً، وصبها في الطفل البطل المستقبلي. مُستعدّين للولادة. كان القتلة، كما في مثل ذبح الأبرياء والملك هيرودس (يُشبّه يلتسين بالملك هيرودس لدى الأرثوذكس)، يبحثون عن هذا البطل والمُخلّص المُستقبلي، فقطّعوا الأمّ الصارخة بلا رحمة...

كان الغرب يعلم أن الروس يُنجبون بطل الشمس، الذي لن يتمكّن من مقاومته أبدًا. وتمكّن من حشد كلّ قوى الشرّ، وكلّ سحر الدسائس القديم والسيطرة على العقول لهدف واحد: لمنعنا من صنع معجزة!

لكننا نعرف معالم مُستقبلنا العظيم. هل تُريد أن تعيش في العالم الذي انفتح علينا وأن تبني إمبراطورية كهذه؟

نحن لا نطلب من مُتعصّبي القلوب...
الفصل 18. حرب بحرية مع بداية الألفية الثالثة. "السفن الثلاثية" الرهيبة للرومان الجدد. "حروق الشمس" و"الرتيلاء" بلسعة قاتلة. قوارب شراعية - ضد الغواصات النووية. هجوم "الزواحف" الروسية. طيور حرب الغواصات. المصير المؤسف لـ"قوارب الناقلات".

1

في يوليو 1993، صُدمت الولايات المتحدة بخبرٍ مثير. اكتشف الروس صاروخًا مضادًا للسفن يتفوق على جميع التطورات الغربية، سلاحًا ذا تأثيرٍ لا يُقاوم، صُنع في "مدينة دوبنا الذرية"، في مكتب تصميم "ألتير" في ثمانينيات القرن الماضي. وصُنع في مصنع أرسينييف، بالقرب من فلاديفوستوك.

سُمي هذا السلاح المعجزة للإمبراطورية بصاروخ "موسكيت" M-80E3 المضاد للسفن. وأطلق عليه الأمريكيون اسمًا شعريًا: "حروق الشمس". هدفها تدمير قوات العدو السطحية، سواءً كانت حاملات طائرات أو طرادات أو مدمرات أو سفن إنزال أو قوافل نقل.

هيكل ضيق وقوي، فضي اللون، بطول 9.3 أمتار، مصنوع من أحدث السبائك. وكما ذكر كبير مصمميها، سيرجي كليموف، في مجلة "العرض العسكري" (العددان 8-9، 1994)، فإن جميع إنجازات قوتنا العلمية تتركز في "موسكيت". محرك نفاث، يوفر سرعة هائلة تبلغ 2.5 ماخ - "صوت". تقع مرحلة التعزيز مباشرة في غرفة الاحتراق الرئيسية، "كروز". سرعة الطيران المذهلة على ارتفاع 5 أمتار فقط لا تترك للعدو وقتًا كافيًا لإعداد نظام مضاد للصواريخ. حتى لو علم العدو مسبقًا بإطلاق "موسكيت"-"صن بيرن" عليه، فسيكون قادرًا على مواجهته بصاروخه المضاد للطائرات على مدى لا يتجاوز خمسة إلى سبعة أميال. لأن أجهزة الكمبيوتر القتالية المتاحة للولايات المتحدة لن تتمكن من حساب بيانات نيران الدفاع الجوي بشكل أسرع في الوقت القصير (3-4 ثوانٍ) الذي يظهر فيه أول صاروخ "موسكيت" مهاجم ضمن نطاق رؤية أجهزة تحديد المواقع الأمريكية.

يندفع الصاروخ في سحابة من رذاذ الماء، عاكسًا أشعة الرادار بشكل ضعيف. يُوجَّه صاروخ "موسكيت" بشكل مستقل، بواسطة شعاع ليزر ومستشعر أشعة تحت الحمراء، وهو مزود بمحطة حرب إلكترونية على متنه تُعيق "الرؤية اللاسلكية" للعدو. ولكن سيكون هناك أكثر من صاروخ واحد - فقارب واحد فقط من قواربنا من طراز "تارانتولا" قادر على إطلاق أربعة صواريخ "صن بيرنز" في 15 ثانية.

...كتب جون مينجي، المراسل العسكري لصحيفة واشنطن بوست، والمقرب من البنتاغون، في صحيفته: "السفن الأمريكية ضعيفة الحماية ضد صواريخها. فهي تحلق على ارتفاع 15 قدمًا فوق الأمواج، بسرعة تفوق سرعة الصوت مرتين ونصف، وتدور بشكل متعامد على كلا الجانبين قبل أن تصيب هدفها. ووفقًا للتقارير العسكرية، فهي قادرة على التغلب على الإجراءات المضادة الإلكترونية الأمريكية المصممة لتحويل مسار الصاروخ المقترب عن هدفه."

عند الهدف نفسه، الذي يلتقطه الصاروخ برأسه التوجيهي النشط-السلبي، يقوم الروبوت الانتحاري الإمبراطوري الأسرع من الصوت بحركة متعرجة حادة: "يسار-يمين-يسار-إلى الهدف". وبأقصى سرعة، يدور بزاوية تقارب 90 درجة. هذا

يُعطّل التعرج توجيه مدافع العدو المضادة للطائرات سريعة الإطلاق، ويُعطّل أجهزة حاسوب الاستهداف لديه. عند رمي الصاروخ من جانب إلى آخر، يتعرض جسمه لضغط زائد يُقدّر بخمسة عشر ضعفًا. إنه قوي جدًا لدرجة أنه قادر على تحمّلها. لكن الصواريخ الأمريكية المضادة للطائرات المُطلقة نحو "موسكيت" تُجبر على

الاندفاع خلفه بنفس الطريقة، فتنكسر إلى نصفين من شدة الضغط. قبل إصابة الهدف، يقوم "موسكيت" بمناورة غير متوقعة. ولا أحد يعلم أين سيصيب: الجانب، أو الجسر، أو سطح السفينة.

بحسب كليموف، لا يستطيع العدو إطلاق النار على "موسكيت" المندفعة نحوه إلا مرة واحدة. ببساطة، لا مجال للتكرار. وإذا هوجمت سفينة أمريكية بثلاثة أو أربعة "صواريخ قاتلة" روسية دفعة واحدة، فلن يكون لديها الوقت إلا لإسقاط واحدة فقط، بينما ستصيبها البقية.

الصاروخ "ذكي" بشكلٍ لا يُصدق. يبحث حاسوبه الموجود على متنه عن هدف من بين أهداف أخرى، ويختاره وفقًا للمعايير المُحددة. أُمرت بضرب سفينة من نوع "حاملة الطائرات" - متجاهلةً الأهداف الأصغر. كما تُركز على عمل مُحددات موقع الضحية المُختارة.

يصطدم هذا العملاق، الذي يزن قرابة أربعة أطنان، برأسه الخارق للدروع، بسرعة صوتية تبلغ سرعتها 2.5، وهو قادر على اختراق حتى حزام درع البارجة الحربية الذي يبلغ سمكه عدة بوصات والانفجار من الداخل. السفن الأمريكية الأخرى لا تتمتع إلا بحماية خفيفة، وسيخترقها صاروخ "موسكيتو" كرصاصة تخترق اللحم الطري، مُمزقًا بطن السفينة بانفجار. 150 كيلوغرامًا من المتفجرات ستُحوّل غرفة المحركات إلى فوضى عارمة من النار والمعدن المُلتوي. ستُفجّر خزانات وقود حاملة الطائرات، وسترفع مخازن الذخيرة في الهواء. "موسكيتو" سلاح عالمي. تُسلّح به زوارق الصواريخ الروسية والمدمرات من فئة "سوفريميني"، والطائرات المقاتلة، وأنظمة الدفاع الساحلي البرية. تُعلّق طائرة "موسكيتو" تحت أجنحة طائرات سو-27 المُثبتة على سطحها. حتى أنها أُطلقت من طائرات "كاسبيان مونسترز"، طائراتنا القتالية من طراز "إيكرانوبلاين". هجومٌ تُنفّذه أسرابٌ إمبراطورية ووحدات بحرية مُسلّحة بصواريخ "موسكيتو" قادرٌ على تدمير سربٍ بحريٍ أمريكيٍ كاملٍ في دقائق.

على مدى السنوات العشر الماضية، أتعب الأمريكيون العالمَ بإعلاناتهم المُتطفلة عن صاروخهم "هاربون" المُضاد للسفن. يُمجّدونه ويُصنّفونه الأفضل على وجه الأرض. لكن مقارنةً بسلاحنا الخارق، فإنّ آليّتهم أشبه ببندقيةٍ قديمةٍ مقارنةً ببندقية كلاشينكوف الهجومية. عند تصوير المعارك بين الأسطولين الروسي والأمريكي في فيلم "العاصفة الحمراء" عام 1986، لم يُشر كلانسي إلى طائرات "موسكيتو". مع أنها "تُسلّح" الولايات المتحدة بأسلحةٍ لم تُوجد بعد. لكان من المُمكن أن يُحقّق نجاحًا مُماثلًا لو صوّرت حربًا مُستقبليةً مع ألمانيا عام 1940 دون التطرّق إلى طائرات "ميسرشميت" التابعة لها.

الجدول 5. الخصائص المقارنة لصاروخ موسكيت، الاتحاد السوفيتي، وصاروخ هاربون، الولايات المتحدة الأمريكية (العرض العسكري، العدد 8-9، 1994)

بيانات صاروخ موسكيت هاربون

سرعة الطيران، ماخ 2: 0.8-0.85

ارتفاع الطيران في القسم المتجول، 20.15 مترًا

وزن الإطلاق، 4000 كجم، 667

رأس حربي خارق للرصاص

وزن الرأس الحربي، 300 كجم، 225 كجم

وزن الشحنة المتفجرة، 150 كجم، 95

أدنى مدى، 13 كم

أقصى مدى، 120 كم، 110-130

الزمن بين الطلقات، 5 ثوانٍ

3

في هذا الصاروخ، جسّدت الإمبراطورية مبدأ "تدمير مائة دولار بروبل واحد". طائرة أو قارب صغير، بعد إطلاق صاروخ "موسكيت"، قادر على تدمير عملاق بقيمة مليار ونصف إلى ملياري دولار.

2

لنُطلق العنان لخيالنا في عالم الخيال التاريخي. حسنًا، لنتخيل ولو لنصف ساعة أنه بدلًا من النفوس البائسة عام ١٩٨٥، وصل إلى السلطة في الإمبراطورية قادة حقيقيون - أرستقراطيون ووطنيون ومحاربون. كيف سيكون أسطولنا البحري عام ٢٠٠٠؟ ما هي زوارق "الرومان الثالث" القتالية القادرة على شق أمواج المحيط العالمي؟

ربما، لنبدأ بأصغر سفن الدولة - بزوارق الصواريخ من الفئة ١٢٤٢١. أو "تارانتول-٣"، المُطوّرة في مكتب ألماز للتصميم المعروف لدينا. أربعة صواريخ "موسكيت" مُثبّتة على منصات الإطلاق. ١٢ نظامًا صاروخيًا صغيرًا مضادًا للطائرات من طراز "إيغلا-١إم"، يتفوق على صواريخ ستينجر الشهيرة من جميع النواحي.

مدفعية تارانتول-3 مُرعبة حتى بالنسبة لمدمرة. يُطلق حامل مدفع AK-176M عيار 76 ملم نيرانه من مقدمة السفينة. ومن مؤخرة السفينة، يوجد مدفعان سريعان من طراز AK-630M عيار 30 ملم. ومع ذلك، يُمكن تركيب نظام كورتيك، وهو "سلاح سريع" يُطلق 10,000 طلقة في الدقيقة، بدلاً من ذلك. يُشكّل هذا النظام "قبة أمان" حول السفينة الروسية من صواريخ كروز أو القنابل المُوجّهة التي تُطلق عليها.

لكن القوة الرئيسية لهذا "القارب الثلاثي المجاديف في القرن الحادي والعشرين" تكمن في غواصات موسكيتو المألوفة. مقارنةً بسابقتها، تارانتول-1، فإن هذا القارب أقوى وأكثر خطورة بنسبة عشرين بالمائة تقريبًا. كما كتب فويني باراد (العدد 8-9، 1995)، فإن القارب مُجهز بأحد أفضل أنظمة التحكم في السفن في العالم، وهو نظام ZTs-80E، مما يجعل تارانتول-3 سايبورغ قتالي فعال، حيث تتقاطع شجاعة البحار مع سرعة الحاسوب. بفضل هذا، يمتد مدى إطلاق غواصات موسكيتس، على عكس القوارب السابقة، إلى ما وراء خط الأفق المرئي من السفينة، ليصل إلى 120 ميلاً. لماذا؟ لأنه بدلاً من رادار هاربون-إي، يحتوي هذا القارب على نظام هاربون-بال-إي، الذي يكتشف الأهداف البعيدة عن الأفق. هذا حاسوب نشط-سلبي.

نظام متكامل يتتبع خمسة عشر هدفًا في آنٍ واحد، ويوجه أسلحته نحو ستة منها في آنٍ واحد. يوجد على متن السفينة جهازان إضافيان لتحديد المواقع: الأول يتحكم في إطلاق النار (MP-123-02)، والثاني يوفر تغطية عامة (Pozitiv-E). عُدِّل الأول لتحسين قدرته على إصابة الأهداف المنخفضة الطيران، وزيادة مناعته ضد التداخل عند العمل ضد الساحل. يوفر "Pozitiv" تغطية عامة، حيث يُوجِّه خمسة أهداف في آنٍ واحد، ويُرسل هذه البيانات إلى جهاز تحديد المواقع MP-123-02 لتوجيه أكثر دقة. وبالتالي، ازدادت فعالية إطلاق الأسلحة على متن السفينة على الأجسام الطائرة بنسبة 10%.

هل يتعرض القارب لهجوم من صواريخ فضائية؟ ستُنشئ منصتان من طراز PK-10، تُطلقان مقذوفات تداخل مُدمجة، ظواهر ضوئية حول السفينة تُخدع روبوتات العدو القاتلة، سواءً كانت أنظمة رادار، أو ليزر، أو تلفزيون، أو بصرية، أو أنظمة توجيه مُدمجة.

القتال في ظروف الحرب النووية والبكتريولوجية، أثناء الهجمات بالغاز؟ نعم. سيلجأ الطاقم إلى ثلاث قلاع على متن القارب، مُجهزة بثلاثة أنواع من الفلاتر. هل استخدم العدو ألغامًا مغناطيسية؟ نظام تضليلهم مُفعّل. هل نُختبر بواسطة شعاع تحديد مواقع فضائي؟ زوّد مصممو ألماز الهياكل الفوقية للسفينة بمنحدرات خاصة لتشتيت إشارات رادارات الفضائيين.

يقولون إن معدات القتال الناجحة لا بد أن تكون جميلة. وللتارانتولا 3 جمالياتها الخاصة والمُهيبة. هيكلها شبه شراع، مع نتوء على شكل ريدان و"كرينولين" في مؤخرتها. مصنوعة من فولاذ متين منخفض السبائك. هذه السفينة الجبارة صغيرة الحجم: إزاحتها 550 طنًا فقط، طولها 56 مترًا، وعرضها 8.75 مترًا. ويبلغ عدد طاقمها أربعة وأربعين بحارًا فقط. لكنها تستطيع الوصول إلى سرعة 38 عقدة. وبسرعة اقتصادية تتراوح بين 12 و13 عقدة، يمكنها السفر لمسافة 2400 ميل. يعمل بمحرك توربيني غازي روسي بقوة 32 ألف حصان.

بلا مبالغة، يُعدّ تارانتول-3 الأفضل في العالم، لا سيما من حيث قوته الضاربة. نظيراته الأجنبية مُسلّحة بصواريخ هاربون وإكزوسيت أضعف بكثير.

3

تتمتع البحرية الإمبراطورية بقوة هائلة حتى مع أصغر سفنها. ها هو ابتكار آخر من ألماز، وهو زورق دورية من طراز 10410، يُلقّب بـ"فايرفلاي" في الغرب، يُطلق "شوارب" رغوية.

حتى هذا الزورق الصغير، الذي يزن 382 طنًا، ويبلغ طوله 49 مترًا، قادر على توجيه ضربة قاضية لكل من يحاول انتهاك حدود الإمبراطورية أو الاقتراب من قواعدها البحرية. فهو مُسلّح بصواريخ كروز من طراز KH-35، التي تعرفها أيها القارئ، من فصلنا عن روبوتات الكاميكازي. وفي الوقت نفسه، مُزوّد بأفضل رادار إمبراطوري "هاربون-بال"، مما يسمح له بضرب العدو على مسافة 130 ميلًا. تتحرك السفينة، مرسلةً نبضاتٍ لتحديد المواقع بالصدى إلى الأعماق، مُبحرةً في البحر بمساعدة نظام أقمار صناعية. وابل مدافعها قوي: فمقدمتها A-176M قادرة على إطلاق رشقاتٍ - 120 قذيفة عيار 76 ملم في الدقيقة. ويُمازح ضباط البحرية: يمكننا قطع نصف حتى مدمرة معادية. وفي مؤخرتها، يوجد غطاء AK-630 المألوف، القادر على إطلاق 4-5 آلاف طلقة في الدقيقة. ستواجه السفينة هجمات جوية من طائرات تورنادو أو إف-16 للعدو بالتحول إلى قنفذ مزود بصواريخ إيغلاس. لديها ثمانية أنظمة احتياطية.

٤

"انتبهوا! "قاتلو حاملات الطائرات!" - تُدوّي موجات الأثير الأمريكية بقلق. منذ عام ١٩٧٩، تُشيّد الإمبراطورية ستة طرادات من المشروع ١١٦٤. لدى الولايات المتحدة ما تخشاه: فهذه السفن مُسلّحة بأقوى الأسلحة المضادة للطائرات والغواصات والسفن، ويمكنها اختراق أقوى خطوط الدفاع.

يُدرك القادة الأمريكيون قوتهم جيدًا. ستة عشر قاذفة من صواريخ بازالتس المجنحة. ثمانية قاذفات صواريخ فورت مضادة للطائرات، لا تقلّ شأنًا عن تونغوسكا. أربعة مدافع مضادة للطائرات من طراز أوسا-إم. وفوق كل ذلك، ستة مدافع سداسية السبطانة عيار ٣٠ مم، ومدفع مزدوج عيار ١٣٠ مم، وقاذفات صواريخ وطوربيدات! السرعة: اثنان وثلاثون عقدة ونصف. السفينة أشبه بطائرة فايكنغ دراكار قتالية مُشوَّشة بالفولاذ. هذا الطراد قادر على إحراق سرب كامل من طائرات إف-١٤ أو إف-١٦ الهجومية في الجو. أسقطه. أطلقت عليها صواريخ هاربون وتوماهوك نيرانًا كثيفة من سفن "فورتس". أغرقت الغواصات وفجّرت الطوربيدات المتجهة نحوها.

لكنها ليست وحدها. تبحر مع شقيقتها، حاملة الطائرات الروسية، أمامها. وقائد الوحدة الأمريكية يفكر بحماس. لذا، تهاجمها طائرات ميج وسو، المنطلقة من فارياج، من الجو. ستواجه موجة طائراته وابلًا كثيفًا من النيران من طائرتين من طراز "1164"، ومدمرتين من طراز "سوفريميني" و"أودالوي"، وصواريخ من الغطاء الجوي الروسي. وفي مكان ما غربًا، تلتقط الصوتيات ضجيج "قطيع ذئاب" من الغواصات الروسية الملعونة! تومض شاشات الكمبيوتر بتوتر. حتى لو أُغرقت جميع الغواصات الروسية، سيقتصر التشكيل على قرون وأرجل.

مع ذلك، دعونا نعود مجددًا إلى توم كلانسي، الذي يصف معركة افتراضية بين الروس وسرب تابع لحلف الناتو في شمال الأطلسي. قواتهم تتكون من ثلاث حاملات طائرات، والطرادات "تيكونديروجا" و"فيرجينيا" و"كاليفورنيا"، وتسع سفن مرافقة (مجهزة بصواريخ مضادة للطائرات) وست سفن مضادة للغواصات. هاجمتهم 70 قاذفة روسية من طراز Tu-22MZ، وأطلقت 140 صاروخ كروز من طراز Kh-22 على الهدف. ولنتذكر أن هذه الصواريخ اخترقت الغلاف الجوي الأسود.

من بين مائة وأربعين طائرة من طراز X-22، أسقطت منصات تيكونديروجا المضادة للطائرات، بعد إطلاق جميع مخازنها، ثمانية وخمسين طائرة منها بـ 92 صاروخًا. دخلت سفن أخرى مزودة بأنظمة مضادة للطائرات المعركة، ودمرت 15 طائرة أخرى من طراز X-22. توجهت خمسة روبوتات كاميكازي نحو حاملة الطائرات نيميتز، وتمكنت من إسقاط طائرتين من طراز X-22 في الجو بنيران سريعة، وخدعت الثالثة بإطلاق هدف زائف. أُصيبت حاملة الطائرات ساراتوجا وطراد. غرقت حاملة الطائرات فوش، بعد أن أصيبت بثلاثة صواريخ روسية. دُمرت فرقاطتان ومدمرة.

لكن هذا مجرد هجوم جوي! والآن، دعونا نضيف إلى هذا هجوم أربعين طائرة من حاملة الطائرات فارياج، وهذا يعني أربعين صاروخًا مضادًا للسفن. بالإضافة إلى ذلك، تُطلق طراد من فئة أورلان (35-40 صاروخ جرانيت) وما لا يقل عن عشرين صاروخ بازالت من طراد من فئة 1164. (ويستطيع فارياج نفسه صدها باثني عشر صاروخ جرانيت). لنفترض أن لدينا أربع مدمرات من فئة سوفريميني. ستطلق 24 صاروخًا من فئة موسكيت، وهي فئة مرعبة للأمريكيين، وغير قابلة للكشف. وإذا اقترنت المعركة بهجوم روسي من تحت الماء - بصواريخ مضادة للسفن! - فإن هزيمة سرب الناتو ستكون ساحقة. ففي النهاية، لم نحسب بعد الطوربيدات التي تطلقها الغواصات، وصواريخ سفن الدوريات والسفن المضادة للغواصات.

وما هذا الذي يندفع فوق الذئاب؟ يكاد يقطع قممها، مندفعًا بسرعة 400 ميل في الساعة على ارتفاع أربعة أمتار فقط؟ نعم، هذا هو "وحش قزوين"، حاملة الصواريخ "لون" القتالية من طراز إيكرانوبلان! من ابتكار الراحل روستيسلاف أليكسييف.

تنمو عائلة الطائرات الشراعية فوق الأمواج في الأسطول الإمبراطوري. ها هي "أورليونوك" - طائرة برمائية سريعة مزودة بمحرك توربيني قوي في أعلى ذيلها، تحمل أربعين طنًا من البضائع بسرعة 375 كيلومترًا في الساعة لمسافة ألفي ميل. فوق قمرة القيادة، يتحرك برج مدفعي ذو سبطانة مزدوجة. أنفها يشبه سمك الحفش.

هنا قفزت إلى الشاطئ الساحلي، وجلست. انحنى رأس قمرة القيادة إلى الجانب، كغطاء ضخم لمحبرة قديمة، وخرجت ثلاث ناقلات جند مدرعة تحمل جنود مشاة البحرية من رحم مفتوح.

ومع ذلك، توجد بالفعل "أورلياتاس" سياحية تنقل الركاب في الرحلات البحرية، مما يوفر للبلاد دخلًا من العملات الأجنبية. نعم، وشركة "إيكرانوفلوت" - بالإضافة إلى "إيروفلوت".

لكن الأهم هو أن هذه "الوحوش" الرشيقة أصبحت سلاحًا خارقًا للقوات البحرية الإمبراطورية. أحد مكونات الهجوم - إلى جانب حاملات الطائرات والطائرات والغواصات. الغرب يخشى منها بشدة، لأنه لا يملك ما يشبهها. في ستينيات القرن الماضي، غرس أليكسييف في عقول أبنائه "خبرة" كبيرة لم تتمكن الولايات المتحدة، بحواسيبها المتباهية، من فهمها بعد. سفن "إيكرانوبلانز" هي "ثلاثية المجاديف" هائلة أخرى للإمبراطورية، أسلحة هيمنة في المحيطات الشاسعة. إنها لا تخشى طوربيدات وألغام العدو. إنها قادرة على اللحاق بأي سفينة أمريكية والتعامل معها.

وعلى أرصفة الاتحاد السوفيتي في عام 2000، كانت سفن "إيكرانوبلانز" البرمائية الأرضية-الجوية التي تزن آلاف الأطنان قائمة بالفعل. قريباً سيظهرون فوق أمواج المحيط الأطلسي والهادئ، قرب أشجار نخيل البحر الكاريبي وجزر بولينيزيا المرجانية الخلابة. آلاف العيون ستراقبهم باحترام، منحنية أمام قوة روما الثالثة الكونية.

على جوانبهم أعلام سانت أندرو البيضاء ذات الصليب الأزرق المائل. رايات قديمة لأسطول بطرس الأكبر. وبجانبهم - بأحرف حمراء كبيرة - "الاتحاد السوفيتي"!

... إذا شاهدت تلفزيون اليوم، سيصاب عقلك بالجنون. لا يوجد عليه أي مُبدعي طائرات إيكرانوبلان. أشعر بالأسف على من وُلدوا في عام ١٩٨٠، على سبيل المثال. سينشأون مقتنعين تمامًا بأن العالم قائم على عارضات الأزياء، وعارضات الصور، ودمى البوب، ومصممي الأزياء. عالم بائس كدعامة مسرحية. يا إلهي، كيف ينقلب وعي الناس رأسًا على عقب إذا وضعوا المهرجين فوق كل شيء - جميع أنواع خازانوف، أركانوف، بتروسيان. دون أن يعرفوا ولو قليلاً عن العباقرة الروس الحقيقيين...

ومع ذلك، وبعد استخدام طائرات إيكرانوبلان، تم تزويد الأسطول الإمبراطوري بطائرات صيد عالية السرعة أخرى تابعة لمجموعات حاملات الطائرات الأمريكية. حوامة "سيفوتش" ذات الزعانف (المشروع 1239)، التي لا مثيل لها في العالم. طوافات قتالية من تصميم العبقري فاليريان كورولكوف. تم تركيب أول قارب "سيفوتش" عام 1984 في مصنع في زيلينودولسك، بالقرب من قازان.

وذكرت مجلة "تكنيكا-مولوديزي" (العدد 10، 1996) أن سبيكة الألومنيوم والمغنيسيوم الفريدة للهيكل تم توريدها من قبل سكان سامارا، وأن محركات التوربينات الغازية من شركة نيكولاييف الأوكرانية، ومحركات الديزل من سانت بطرسبرغ. الرادارات من كييف، وأجهزة قياس الصدى من كيشيناو. وأصبحت القوة الضاربة الرئيسية للسفينة السريعة ذات الزعانف هي "موسكيتو". المدفعية هي مدافع تولا سداسية السبطانة فائقة السرعة AK-630M وAK-176. نظام الدفاع الجوي هو نظام صواريخ أوسا-إم إيه. في عام ١٩٨٩، انضمت أول سفينة من المشروع ١٢٣٩، "بورا"، إلى أسطول البحر الأسود.

هيكلان ضيقان مغطى بمنصة مشتركة، بطول ٦٤ مترًا وعرض ١٨ مترًا. في المقدمة، توجد حاجز مرن - "مئزر". عند هبوطه، تُحدث المراوح ضغطًا تحت القاع، مما يرفع السفينة. ينخفض الغاطس من ٣,٣ إلى متر واحد. توربينان غازيان بقوة ٦٠ ألف حصان لكل منهما ينقلان سرعة ٥٥ عقدة. حتى على الأمواج التي يبلغ ارتفاعها مترين. (لحركة اقتصادية وخفية، يوجد محركا ديزل). بفضل...

عند تحميلها، لا تتأرجح السفينة حتى في عاصفة من أربع درجات. لذلك، يُطلق صاروخ "موسكيت" منها على بُعد 120 كيلومترًا من الهدف، ويُصيبه في مئة حالة من مئة. لا تأرجح - فصواريخ "أوسا" والمدافع الجانبية تُصيب الهدف بدقة أكبر.

للأسف، لم يسمح انهيار الاتحاد بإنشاء أسطول من صائدي حاملات الطائرات. فقط في عام 1993، وصلت السفينة الثانية من هذا النوع، "ساموم"، إلى البحر الأسود. قال كورولكوف نفسه: "مهمة قوارب الكاتاماران القتالية ليست الانخراط في القتال، بل التأهب على خط الهجوم، بعيدًا عن مدى نيران العدو ومعدات الرادار. بحيث يُمكنها فجأة، كإعصار "ساموم" العربي الساخن، أن تُحلق نحو مجموعة هجوم العدو على بُعد وابل من الصواريخ. ففي النهاية، تحمل كل سفينة "سيفوتش" ثمانية صواريخ "موسكيت"!

في الوقت نفسه، يستطيع نظام الحرب الإلكترونية في القارب ذي الهيكل المزدوج إسقاط مناظير صواريخ هاربون أو إكزوسيت المعادية التي تُطلق عليه. لكن سرعتها أقل بأربع مرات من سرعة القارب موسكيت، ومن السهل اكتشافها وتدميرها بنيران المدافع ذات الست براميل الموجودة على متنها من تولا. سرب من هذه القارب ذي الهيكل المزدوج، بعد أن غادر قاعدتنا المهجورة مؤخرًا في جزيرة سقطرى قبالة الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، يمكن أن يُبقي الأسطول الأمريكي بأكمله في الخليج العربي في حالة من الترقب الشديد. أجبرت سفن أسود البحر، التي كانت تعمل بمحركات الديزل، الأمريكيين على إبقاء أسراب الطائرات في الجو فوقهم باستمرار، مما أدى إلى حرق أطنان من الوقود الثمين واستنزاف المحركات باهظة الثمن دون داعٍ. في اللحظة الحاسمة، كانت سفن أسود البحر وحدها قادرة على إغراق معظم أسطول العدو. وفي النهاية، كانتً هناك طراداتنا ومدمراتنا وغواصاتنا. ما الذي كان يخشاه غورباتشوف؟ لم تتح لي الفرصة أبدًا للإبحار على متن قارب روسي. لذلك، أُعطي الكلمة للصحفي نيكولاي تشيركاشين:

"وذهبتُ إلى الجانب الآخر من الخليج الشمالي - حيث وقف وحش البحر، أشبه بقطعة صخرية مرقطة الزوايا منه بسفينة عادية. كنتُ قد سمعتُ الكثير عن "بور" - قاذفة الصواريخ التي تزن ألفًا ونصف طن، وتطير على الأمواج بسرعة 55 عقدة (ما يقارب مئة كيلومتر في الساعة). فخر الأسطول. أولوية روسيا...

— ...وضحية بيريسترويكا،" لخّص قائد السفينة الفريدة، الكابتن نيكولاي غونتشاروف، الضابط الوسيم، ذو اللسان الحاد، والسريع، نظير سفينته.

— لماذا ضحية بيريسترويكا؟ احكم بنفسك: عندما فُرض على المجمع الصناعي العسكري نظام "حصص التجويع"، بقيت سفينة قتالية فريدة من نوعها، بطاقم مُدرّب، بعد أن أكمل 13 عملية إطلاق صاروخي، في الخليج لعدة سنوات حتى بدأ هيكلها، المُتآكل بفعل التآكل، بالتسرب. بفضل كرافشينكو، أمر بوضع بورا في الحوض ونقلها إلى لواء سفن الصواريخ النشط. وضعنا تحت سيطرته الشخصية. حتى أنه تولى مهمة K-1 بنفسه. لا أحد يتذكر قائد أسطول يتفقد تنظيم الخدمة على أي سفينة!

بالطبع، بورا ليست "أي سفينة": من حيث حداثة وغرابة تطوراتها التقنية، تُعتبر نقلة نوعية في القرن الحادي والعشرين. من بين قوارب الغوص العشرة الحاملة للصواريخ من نوع سيفوتش التي وُضعت، تمكن اثنان فقط من مغادرة منحدر الإنزال، وواحد فقط، بورا، اجتاز دورة كاملة من اختبارات الدولة...

يخترق عواء توربينات التدفئة السفينة بأكملها. يهتز سطح السفينة، وترتجف الحواجز. ثلاث قطط تصطاد الفئران، عيونها متسعتان من الرعب، تضرب ذيولها بعصبية.

"انتبهوا!" يُحذر الكابتن فلاديمير إرمولايف، من الرتبة الثالثة. "لا تحملوها - ستُمسك بها. ستُصاب بالجنون عندما تغادر."

أعطيتُ القطط التي تصطاد في البحر مسافةً واسعة. لكن كلب السفينة، غراف، يرقد كما لو لم يحدث شيء على سطح السفينة، ويحرس الممر.

لم تُكلَّل فكرة تفتيش "بورا" من أعلى إلى أسفل بالنجاح. فعلى الرغم من أبعادها الصغيرة - طولها 64 مترًا وعرضها 17 مترًا - تحتوي السفينة على 197 غرفةً مختلفة، وحظائر، ومقصورات، وكبائن، وغرف قيادة، وأرباع. لم يكن لدينا الوقت الكافي سوى لإلقاء نظرة على غرفة المحركات مع نائب القائد إيرمولايف، وعلى وحدة التحكم في الطاقة والبقاء، حيث يجلس المهندس الميكانيكي، الملازم أول س. غولوبكوف، أمام لوحة التحكم متعددة اللوحات - المعروفة باسم "البيانو". لم يكتفِ إعجاب الضيف، الذي أذهلته بعض الشيء كل ما رآه وسمعه على متن سفينة القرن الحادي والعشرين، بتجاهله، فسحقه، أي أنا، بملاحظة احترافية:

ـــ من حيث القوة لكل طن إزاحة، تُعدّ بورا أقوى سفينة في العالم. الأتراك لا يملكون شيئًا كهذا. والأمريكيون أيضًا لا يملكون.

لا يزال هناك القليل من الوقت لنغوص في أعماق حاملة صواريخ السرب.

ـــ ربما لا ينبغي لنا ذلك، أليس كذلك؟ ـــ ينتفض مرشدي.

ـــ يجب علينا ذلك.

ننزل عبر السلم العمودي إلى الفتحة الفولاذية في حجرة الطاقة. الهواء، المضغوط بفعل الزئير المدوّي، يضغط على الآذان بشدة. لا تُجدي سماعات الأذن نفعًا، فيلجأ البحارة إلى الطريقة القديمة المُجرّبة - يُدخلون مصابيح صغيرة من مصابيح يدوية في آذانهم. إنهم، حراس غرفة المحركات، من يدفعون ثمن السرعة القياسية بصحتهم.

التواجد هنا أثناء الحركة، وسط الطاقات والضغوط والتوترات المُستعرة في الأسطوانات وخطوط الأنابيب، أمرٌ مُخيف. لم تُختبر المعدات بالكامل بعد، وليس من قبيل الصدفة أن يُطلق البحارة على "بورو" اسم "سفينة الثلاثمائة مفاجأة"، ففي أي لحظة يُمكن توقع اختراق أو انفجار أو حريق. كل طلعة جوية تُمثل خطرًا كمهمة قتالية. بالنسبة لهؤلاء الرجال - مُشغّلي التوربينات، وميكانيكيي المحركات، والكهربائيين - السلام أشبه بالحرب. الموت من انفجار زيت ساخن أو صدمة كهربائية أكثر احتمالًا بالنسبة لهم من الموت من ضربة صاروخية.

ي. سأمنحهم جميعًا شهادات امتياز، مثل "الأفغان"...

صعدنا إلى غرفة القيادة. القائد، منتظرًا الأمر النهائي، يذرع من زاوية إلى زاوية، كالوشق في قفص. ربان السفينة الجالس أمام عجلة قيادة طائرة حزين أيضًا. سيلغون الخروج، فلماذا المخاطرة بفكرة قائد الأسطول المفضلة؟

- وداعًا للخروج من بوابات الرفع!

حسنًا، أخيرًا!

تزمجر محركات الكروز، وترتفع "بورا" بشكل ملحوظ من الماء. في القوس الزجاجي للنوافذ الأمامية، تطفو ببطء بانوراما جبلية لمدينة سيفاستوبول، متوجة بغطاء مونوماخ لكاتدرائية الأمير فلاديمير.

حتى عند السرعات المنخفضة، تطفو ضفاف النهر على كلا الجانبين بسرعة غير عادية. لكن الآن، تُركت شبكات بوابات الرافعة، واندفع البحر، الذي هاجته بورا، خلف المؤخرة كشريط رغوي.

هذا ليس إبحارًا - إنه تحليق جنوني. ليس تأرجحًا، ولا تدحرجًا - فالتأرجح العمودي يُلقي بالسفينة صعودًا وهبوطًا، مُنهكًا الروح، ويضرب على الساقين بهزة خفيفة تُذكرنا بالصدمات الكهربائية في عربة بحرية قديمة. لكننا - نحن نطير، لا نسير! وفي هذا الطيران النصفي السريع - السعادة العسكرية لبورا. بهذه السرعة، لا تملك وقتًا للوقوع في قبضة الصواريخ الموجهة، ولن يلحق بها طوربيد، وحتى انفجار لغم مُضطرب سيبقى بعيدًا خلف المؤخرة. لكن صواريخ كروز الثمانية التي يحملها الغواص سلاحٌ مثير للإعجاب للغاية. وهناك ما يُمكّننا من صد العدو - مدفع مضاد للصواريخ سريع النيران عيار 76 ملم مُثبّت على مقدمة السفينة، وزوج من الرشاشات المضادة للطائرات عيار 30 ملم، إلى جانب صاروخ الدفاع الجوي "أوسا-إم"، يُمكّننا من محاربة عدو جوّي.

يشتكي القائد قائلاً: "هناك أمرٌ سيء، فالبحارة، الذين لا يُجيدون القراءة والكتابة بعد المدرسة الحالية، لا يملكون الوقت الكافي لدراسة معداتنا في عامين. لذا، تقع القدرة القتالية للسفينة بالكامل تقريبًا على عاتق الضباط".

سيكون من الخطأ عدم ذكر أسماء قائد وحدة الصواريخ والمدفعية القتالية، الكابتن من الرتبة الثالثة أ. إيساكوف، أو قائد بطارية صواريخ كروز، الملازم أول ر. إبراغيموف، وهو من القدامى - منذ إنشائها. ولا يقلّ حماس ضباط الصف: رئيس طاقم المحركات، إله الديزل ف. ليونيدوف، ورئيس فريق التحكم، الضابط الأول م. شفيدوف.

"بورا"، كسفينة من الدرجة الثانية، لها مطبخ خاص بالضباط. لكن الطاقم بأكمله يأكل من قدر واحد. هذا القدر ليس سميكًا جدًا: بحثتُ بنفسي عن اللحم في الحساء بملعقة، متبلًا بالحنطة السوداء والبطاطس، وعن المقبلات - سلطة الملفوف، وعن الطبق الرئيسي - بطاطس مهروسة مع لحم مفروم وكومبوت - عاصفة - بدون سكر تقريبًا. صحيح أنهم يوزعون على الرحلة شوكولاتة منتهية الصلاحية من المساعدات الإنسانية الألمانية.

والسفينة تحلق! تجرفها الأمواج بعيدًا، دون أن تجد وقتًا للانحناء، مثل أفاعي الكوبرا، متجمدة، مسحورة بأصوات مزامير أريحا الصادرة عن التوربينات الهادرة.

"ثلاث ساعات أخرى بهذه السرعة، وسنكون قد عبرنا البحر الأسود من شاطئ إلى شاطئ"، يلاحظ القائد بفخرٍ مُخفي.

حقًا، ما الذي لا يحبه الروسي في القيادة السريعة! يا ليتني كنتُ في بيت القيادة!...

5

الولايات المتحدة مصدومةٌ مرةً أخرى. قادة أسطول غواصاتهم يُلقون بعنفٍ التعليمات والأدلة القديمة على حواجز كبائن القيادة. لسنواتٍ طويلة، لُقِّنوا: لا تخشوا السفن الروسية الصغيرة، التي تصل إزاحتها إلى 350 طنًا، فهي لا تملك أنظمة صواريخ مضادة للغواصات. لقد غُرست فيهم هذه المقولة: إذا أُطلق عليك صاروخٌ مضادٌ للغواصات من بعيد، فافعل ذلك على السطح حتى عمق 40-60 مترًا. حينها ستنجو. لأننا في الغرب لا نملك أسلحةً صاروخيةً مضادةً للغواصات قادرةً على ضرب غواصةٍ على هذا العمق الضحل. وإذا لم يكن غربنا المتقدم يمتلكها، فإن هؤلاء البرابرة القادمين من الشرق لا يمتلكونها بالتأكيد.

لكن كل الحسابات تنقلب رأسًا على عقب - فقد استحوذت الإمبراطورية على مجمع ميدفيدكا، الذي طُوِّر في معهد موسكو للهندسة الحرارية، والذي تُجهَّز به حتى سفن الدوريات الصغيرة من نوع موخا. أطلق القارب صاروخًا في الهواء على غواصة نووية أمريكية تم رصدها تحت الماء. بعد أن حدد مسار الصاروخ، فتح "ميدفيدكا" مظلته وهبط بسرعة، وسقط في الأمواج كطوربيد. صُنع هذا القارب بأيدي روسية في مصنع

فوتكينسك، ويمكنه تدمير قوارب العدو على أعماق تتراوح بين 15 و500 متر (الأمريكيون لا يغوصون أعمق من ذلك). وبسبب عادته، وبالغوص إلى عمق ضحل للغاية، تعرض القبطان الأمريكي نفسه لضربة قاضية من طوربيد صاروخي.

لكنه نجا بأعجوبة، بعد أن تمكن من الصعود إلى السطح على عمق أقل من 15 مترًا. ظهر برج قيادة قاربه فوق الماء. وعلى الفور، حطمت طلقة قاتلة من مدفع مقدمة قارب الدورية الروسي، الموجه بجهاز تحديد المواقع، هيكله. وسقط القارب ذو الثقب الهائل في الأعماق مرة أخرى. طاقمها يغرق في المقصورات المخترقة...

كما صرّح بوريس لاغوتين، المصمم العام لمعهد الهندسة الحرارية، ونائبه نيكولاي كارياجين في العرض العسكري (رقم 3-4، 1995)، فإن الطوربيد الصغير الحجم لصاروخ ميدفيدكا البسيط والرخيص قد طُوّر من قِبل معهد جيدروبريبور للأبحاث. صُنع نظام التحكم في الإطلاق من قِبل جمعية جرانيت العلمية والإنتاجية. حتى أنه يأخذ في الاعتبار تصحيحات الميلان، ويرسل البيانات إلى لوحة التحكم الرئيسية في برج القيادة. يستطيع ميدفيدكا حتى إصابة الغواصات فائقة الصغر في المياه الضحلة. وقد صُنع مع مراعاة تجربة حرب الخليج 1980-1988.

لقد تمكنوا من صنعه في عهد غورباتشوف. وكان بإمكانهم تزويده لحلفائنا - سوريا وكوبا وبلغاريا والهند. وكان بإمكانهم أيضًا تزويده للعراق.

ليبيا، بعد أن حصلت على عملة أو نفط عالي الجودة مقابل ذلك. وهو أيضًا عملة.

6

تجوب سفن الدوريات الروسية (SKR) من نوع بوريفيستنيك، المشروع 1135، المحيط. تُطلق عليها أمريكا اسم "الفرقاطات المُغنّية" - بسبب صوت توربيناتها العالي. احذروا يا قادة الغواصات الأجانب! تشقّ سيقان سفن الدوريات الإمبراطورية اللازوردية البحر الأيوني والتيراني، ويمكن رؤيتها من شواطئ صقلية وهوكايدو وأيسلندا والنرويج. في غضبٍ عاجز، يُخفض الأعداء مناظيرهم: فقد رُصدت سفن الدوريات الإمبراطورية في أماكن تُسيّر فيها غواصاتها الحاملة للصواريخ الاستراتيجية دورياتٍ في نقاطٍ رئيسية - في البحر الأبيض المتوسط وبحر الشمال، بالقرب من مضايق النرويج.

بإمكانها اكتشاف وتدمير وحوش تحت الماء، دون السماح لها بإطلاق صواريخ على الاتحاد السوفيتي. وهذا أمرٌ مزعجٌ للغاية، لأن الغواصات الأمريكية الحاملة للصواريخ هي قوتها الضاربة الرئيسية. سفينة دورية تطارد غواصة أمريكية حاملة للصواريخ، تمامًا كقاذفة أمريكية تحلق باستمرار فوق منصات الصواريخ الروسية في مكان ما في سيبيريا أو منطقة الفولغا. لكن الروس يستطيعون متابعة غواصاتهم في المحيط الحرام، لكنهم لا يستطيعون إرسال قاذفاتهم إلى عمق روسيا.

صُممت فرقاطات فئة بوريفيستنيك في الإمبراطورية خصيصًا للبحث عن غواصات العدو وتدميرها، وللدوريات البحرية طويلة الأمد. وفي الوقت نفسه، لحماية القوافل البحرية. وقد أثبتت التجربة أن طرادات المروحيات من فئة موسكفا والسفن الكبيرة المضادة للغواصات من فئة بيركوت بارعة في مطاردة القراصنة تحت الماء، لكنها باهظة الثمن. لهذا السبب قررنا إنشاء بوريفيستنيك - أرخص. فبعد أن تقلص حجمها، احتفظت بنفس قوة تسليحها.

صُنعت فرقاطة SKR في مكتب التصميم الشمالي TsKB-53، الذي سُمي لاحقًا بمكتب التصميم الشمالي، وكان والدها ن. سوبوليف. سلاحها الرئيسي هو نظام صاروخي-طوربيدي رباعي الفوهات، قادر على تدمير الغواصات ضمن دائرة نصف قطرها خمسون ميلاً. بالإضافة إلى ذلك، تحتوي على أنابيب طوربيد لتدمير العدو على مسافات متوسطة وقصيرة.

تتمتع سفينة "بوريفيستنيك" بحماية من الغارات الجوية بواسطة قاذفتي صواريخ مضادة للطائرات من طراز "أوسا-إم" مع احتياطي من أربعين صاروخاً. وقد أثبتت هذه القاذفات جدارتها في تدمير أحدث الطائرات الغربية في الحرب الأنغولية الجنوب أفريقية. كما تتميز مدفعيتها بقوة عالية - قاذفتا صواريخ من طراز "إيه كيه-762"

عيار 76.2 ملم، قادرتان على إطلاق رشقات نارية تتراوح بين 180 و200 طلقة في الدقيقة - على مسافة 15.7 ميلاً.

سفن متينة الصنع وجميلة، بإزاحة 3200 طن، وطولها 123 متراً وعرضها 14.2 متراً. محركها توربيني غازي بقوة 45000 حصان. وفي وضع الحارق اللاحق، تصل سرعتها إلى 32 عقدة. وفي الوضع الاقتصادي، يسمح لك بالسير لمسافة 4000 ميل دون إعادة التزود بالوقود - 7220 ميلاً. (للمقارنة: يبلغ طول الطريق البحري من نيويورك إلى سانت بطرسبرغ 8200 كيلومتر). "بوريفيستنيك" مُجهزة بمُثبِّت UKA-135 فريد من نوعه، يُقلِّل من تدحرج السفينة بمقدار أربعة أضعاف. أُطلِقت أول فرقاطة من هذا النوع عشية عام 1971 في مصنع يانتار في كالينينغراد-كونيغسبرغ. بُني ما مجموعه ثماني سفن من هذا النوع هناك. سبع سفن أخرى - في "زاليف" في كيرتش الروسية القديمة. ست سفن - في سيفيرنايا فيرف في سانت بطرسبرغ. في عام 1972، وُلد مشروع مُحدَّث - M1135، الذي كان مُزوَّدًا بمدفعين من طراز AK-100 عيار 100 ملم مع نظام توجيه جديد. بنت يانتار إحدى عشرة سفينة من هذا النوع من طراز SKR بين عامي 1975 و1981.

في أواخر عهد الإمبراطورية، ظهر مشروع SKR 11356. ولولا الإصلاحات، لكانت البحار قد غمرتها المياه بسفينة مزودة بنظام صواريخ أوران الهجومية (مدى قتالي - 130 ميلاً)، وحاملات شتيل (25-3 كيلومترًا) وكلينوك (12-1.5 كيلومترًا) المضادة للطائرات، و"سلاح سريع" كورتيك، ومدفع جديد عيار 100 ملم. مع مروحية كاموف وأحدث الأسلحة، لتضاعفت قوة SKR. إنها رعب حقيقي لأسطول الغواصات الأمريكي.

7

وربما، بالإضافة إلى حاملات الطائرات، كنا سنرى سفينة حربية روسية من القرن الحادي والعشرين.

في ثمانينيات القرن الماضي، اتضح أن المنظرين العسكريين أخطأوا في حساباتهم باستبعاد سفن عملاقة مدرعة ثقيلة ومدافع من العيار الثقيل من الأرشيف. بعد أربعين عامًا من الحرب العالمية الثانية، ساد الاعتقاد بأن حاملات الطائرات القادرة على إطلاق موجات من الطائرات الهجومية والأسلحة النووية تُفقد البوارج الحربية المدرعة أي فرصة للنجاة.

لكن اتضح أن الصواريخ الحديثة المضادة للطائرات و"الأسلحة السريعة" تُمثل وسيلة ممتازة لحماية السفن العملاقة من الجو. كما أن صفائح الدروع التي يتراوح سمكها بين 200 و300 ملم تُمكّن البوارج الحربية من تحمل ضربات صواريخ كروز بشكل أفضل بكثير من السفن الحديثة المصنوعة من المغنيسيوم والألمنيوم وغير المدرعة.

قارن الخبراء الأمر بحزن: فقد غرقت البارجة اليابانية المدرعة موساشي عام 1944 بإطلاق 20 طوربيدًا و17 قنبلة جوية عليها - أي ما يعادل حوالي 15 طنًا من المتفجرات. أما شيفيلد وسفن بريطانية أخرى فقد هلكت بسبب قنابل وصواريخ وزنها 400 كيلوغرام اخترقت جوانبها الرقيقة.

اتضح أن هناك حروبًا غير نووية في العالم، حيث يتعين على الأسطول توجيه ضرباته نحو الساحل. واتضح أن إطلاق الصواريخ متعة باهظة الثمن. القذائف القديمة التي يتراوح قطرها بين ١٢ و١٥ بوصة، والتي يُمكن إخفاء منزل من طابقين في حفرها، تُعدّ خيارًا أنسب بكثير في كثير من الحالات.

في عام ١٩٨٦، أوقف الأمريكيون تشغيل أربع من سفنهم الحربية من فئة آيوا، التي يبلغ عمرها نصف قرن، وأعادوا تسليحها بصواريخ كروز. وقد استخدموها بنجاح في حرب العراق عام ١٩٩١.

لم يكن لدينا ما نُخرجه من الخدمة. ورثنا

دُمِّرت البوارج الحربية التي أمر بها القيصر: واحدة على يد البلاشفة عام ١٩١٨، وثلاث فُصِّلت إلى خردة معدنية في عهد خروتشوف. كما فُكِّكت البوارج الحربية من طراز سوفيتسكي من فئة سويوز، التي وُضِعَت في عهد ستالين، دون أن تُكَمَّل بعد الحرب - فقد أصبحت الأوقات عصيبة للغاية.

وجَّه خروتشوف ضربات قاصمة للأسطول الروسي المدرّع. يستذكر الأدميرال فلاديمير كاساتونوف (مجلة أعمال القتال، ١٩٩٥) بمرارة كيف فُصِّلت أربع من الطرادات الست - وهي سفن شقيقة لسفينة كيروف الشهيرة - إلى خردة معدنية، وكيف حُطِّمت الأدميرال ماكاروف (نورمبرغ سابقًا) وكيرش (إيمانويل فيليبرتو سابقًا...) إربًا إربًا. وقُضِيَت سلسلة من ٣٢ طرادًا ثقيلًا مزوَّدًا بمدافع صاروخية من طراز zif٦٨-bis٦٨، سابقة لعصرها بثلاثين عامًا، في مهدها. وعندما بدأت الولايات المتحدة في منتصف السبعينيات بإعادة تسليح بوارجها الحربية بالصواريخ، لم يكن لدينا ما نرد عليه.

لكننا على يقين: لو عاشت الإمبراطورية، لظهرت في المحيط بارجة روسية جديدة كليًا، بدلًا من أن تُطلقها في الخليج العربي وجنوب شرق آسيا. عملاقة بطول ثلاثمائة متر، مزودة بمدفعين عيار 406 ملم في برجها الأمامي، ومجهزة بأحدث أجهزة تحديد المواقع الروسية ذات المصفوفة المرحلية ورادارات هاربون-بال. مزودة بأسلحة سريعة، مثل "ميدفيدكا" و"موسكيت". مزودة بـ"عقل" حاسوبي وأنظمة حماية ضد صواريخ كروز.

كان درعها سيُدمج، من المعدن والسيراميك، مع حماية ديناميكية متفجرة على أهم أجزاء السفينة. من النوع الذي سيصد صواريخ العدو التي تصيب البارجة بانفجار.

كان من شأن هذه البارجة الفضائية أن تحتوي على أنظمة مضادة للطوربيدات والغواصات، ومروحيات كا-28. وبطنها الضخم يتسع لفوج من مشاة البحرية الإمبراطورية مع معداته وأسلحته. يجب توجيه قذائف مدافعها الضخمة، لتحلق إلى حيث تُنير طائرات الاستهداف الأهداف بالليزر. مساحات الشرق الأوسط الضيقة، حيث يمكن لقذيفة مدفع ثقيلة أن تطير نصف إسرائيل - هذا هو مسرح عمليات هذه "الحصون العائمة"...

8

"- دفة الميمنة عشرين درجة. للأمام بثلثي الحمولة. حدد المسار -175.

- برج القيادة، أنا سونار. جهة اتصال جديدة، مروحتان، شغّلت للتو محطة الموجات الصوتية المائية منخفضة التردد. على ما يبدو، مدمرة من فئة "أودالوي"، سرعتها خمس وعشرون عقدة، وتحمل 350 دون تغيير. تغير مسار الطوربيد، واتجه إلى الخلف، ثم اختفى.

"ممتاز،" أومأ مكافيرتي. "التقطت المروحية الطُعم. لا داعي للعبث بهذا. أمامنا، ثلثها ممتلئ، بعمق 330 مترًا...

لم تكن "سوفريميني" مثيرة للقلق، لكن "أودالوي" كانت أمرًا مختلفًا تمامًا. كانت المدمرة السوفيتية الجديدة مجهزة بسونار منخفض التردد، قادر في ظروف معينة على اختراق طبقة الثيرموكلين. بالإضافة إلى مروحيتين وطوربيد صاروخي ذي مدى ودقة توجيه أكبر من "آسروك" الأمريكية.

يا إلهي! إنه سونار منخفض التردد. لقد رصدتهم من أول مرور...

اقتبسنا هذه الحلقة من فيلم الإثارة التقنية لكلانسي عام ١٩٨٦، والذي يتناول حربًا غير نووية بين أمريكا والاتحاد السوفيتي. لنُذكّركم مجددًا: طبقة الترموكلين هي الحد الفاصل بين طبقات الماء ذات درجات الحرارة المختلفة، والتي تعكس بشكل كبير نبضات جهاز قياس الصدى. بالغوص تحت طبقة الترموكلين، أفلتت القوارب من مطارديها. بُنيت أول مدمرة من فئة أودالوي عام ١٩٨٠، والأخيرة عام ١٩٩١. استلمت الإمبراطورية ١٢ من هذه السفن، وكانت ستستمر في استلامها. لولا الكارثة الديمقراطية.

تُعدّ المدمرة تحفة فنية في بناء السفن العسكرية، وقد طُوِّرت من قِبل مكتب التصميم الشمالي في عاصمتنا الثانية، بقيادة فالنتين ميشين. صُممت أودالوي كمقاتلة ضد قوارب وطائرات وطوربيدات العدو، وكمدافعة عن الأسطول والقوافل. ولجعلها خطرة على الغواصات ومقاومة لهجمات صواريخ كروز، زُوّدت المدمرة بـ... نظام صوتي مائي ممتاز، مروحيات، أحدث الرادارات، صواريخ مضادة للطائرات متعددة القنوات.

استند هذا النظام إلى فلسفة شمولية القتال. بمعنى آخر، يستطيع نظام التحكم الإلكتروني الحاسوبي القوي في السفينة تركيز ضربات جميع الأسلحة على نقطة واحدة، وتوجيهها لحل مشكلة واحدة. كلاعب كاراتيه نحيف وهشّ، يُهشّم الطوب بضربة من حافة كفه، مُركّزًا على تركيزه.

أصبح النظام الصوتي المائي الفريد أبرز ما في السفينة. ولتقليل التداخل في تشغيله، قام علماء من معهد كريلوف لبناء السفن بـ"لحس" خطوط الهيكل بحيث أصبحت المدمرة هادئة للغاية أثناء البحث، وفي ظروف التشغيل الاقتصادي، وفي السرعات القصوى. وفي الوقت نفسه، منحوا جوانب "أودالي" شكلًا يجعلها أقل وضوحًا لرادارات العدو. وُضعت المحطة الصوتية في منطقة الانتفاخ عند نقطة تحول مقدمة السفينة إلى عارضة السفينة.

كما ذكر ف. ميشين نفسه في صفحات "العرض العسكري". (رقم 8-9، 1995)، يمكن تزويد السفينة بالوقود والماء والمؤن مباشرة في البحر، حيث تتلقى إمدادات الوقود والماء والمؤن من سفن أخرى. تقلل عوارض القارب والمثبتات من ميلها بمقدار ثلاثة أضعاف.

هذا السلاح، المصمم بأسلوب شمولي قتالي، يخضع لإرادة نظام المعلومات والتحكم، الذي يستقبل البيانات ويعالجها من مصادر متعددة. بالإضافة إلى نظام الصواريخ المضادة للغواصات، تحتوي أودالوي على طوربيدات موجهة عيار 533 ملم. ضد الغواصات والسفن السطحية.

السفن. يمكنها تدمير الغواصات القريبة من المياه الضحلة وفيها، وتفجير طوربيدات العدو بنيران قاذفتي صواريخ RBU-6000.

تغطي صواريخ كلينكا السماء بصاروخين مضادين للطائرات. وهما قادران على صد حتى الهجمات الضخمة بصواريخ كروز منخفضة الارتفاع من مسافة تصل إلى 12 ميلاً. لا يوجد نظام مضاد للطائرات من هذه الفئة في العالم قادر على ذلك. تذكروا: الغرب لا يمتلك حتى الآن صواريخ كروز مماثلة لصاروخ موسكيت الروسي.

يكتمل تسليح أودالي ببطاريتين من طراز AK-630 عيار 30 ملم، كل منهما مزودة بتوجيه راداري. بالإضافة إلى برجين من طراز AK-100 عيار 100 ملم. السفينة مغطاة بدرع قوي من نظام الحرب الإلكترونية - مزود بمحطات كشف التداخل النشط، وقاذفات تداخل سلبي.

كانت سفينة أودالوي السفينة الرئيسية للقوات الخفيفة التابعة للبحرية الإمبراطورية، وكانت خير رد على من يدّعون تخلفنا التكنولوجي عن الولايات المتحدة في سباق التسلح. وهذه السفينة نفسها دليلٌ قاطع على أن السوق الحرة والقوة التكنولوجية لا علاقة لهما إطلاقًا. الجدول 6. خصائص أودالي (العرض العسكري، العدد 8-9، 1995)

الإزاحة القياسية/الكاملة، طن - 8200/6840
الأبعاد - الطول/العرض، متر - 9/163
السرعة (كاملة/اقتصادية)، عقدة - 14/29.5
المدى عند 18 عقدة، ميل - 40000
الطاقم (أفراد) - 249
التسليح المضاد للغواصات:
- قاذفة صواريخ مضادة للصواريخ رباعية السبطانات - 2
- أنبوب طوربيد رباعي السبطانات 533 مم - 2
- قاذفة صواريخ 12 RBU-600 سبطانة - 2
تسليح الطائرات بالصواريخ والمدفعية
قاذفة صواريخ عمودية "كلينوك" - 3
بطارية حامل مدفعية عيار 30 مم من طراز 2 - AK-630
المدفعية التسليح
حامل مدفعية عيار 100 ملم من طراز 2 - AK-100
تسليح الطائرات
مروحية 2 - Ka-27

والآن، أيها القارئ، لنكشف لكم ما هي هذه الوسائل لتضليل وإسقاط صواريخ كروز المعادية؟ ففي النهاية، كانت هذه الوسائل مُجهزة على متن سفن الأسطول الإمبراطوري.

إحدى هذه الوسائل هي منظومة PK-10، التي تُطلق مقذوفات رادارية وتشويش بصري-إلكتروني. ظاهريًا، تُشبه إلى حد كبير أنبوب تلسكوب مطوي ذو طرف حاد.

شهدنا استخدامها في الأسطول الشمالي، عندما أُطلق صاروخ موجه على سفينة كبيرة مضادة للغواصات خلال زيارة نائب رئيس الوزراء أو. سوسكوفيتس هناك.

سُمع دوي انفجارات حادة، وظهرت سحابة من الدخان الأبيض المخضر المُبهر، كثيف بشكل غير طبيعي، في البحر بالقرب من السفينة المُستهدفة. كان ساطعًا لدرجة التوهج. واصطدم الصاروخ بهذا الغطاء المهتز، ضاربًا الأمواج برذاذٍ هائل.

قيل لنا إن نفس السحب الوهمية يمكن "تعليقها" في السماء - في مسار الصواريخ التي تُطلقها طائرات العدو. هذه السحب عبارة عن مضارب من جزيئات دقيقة - عاكسات ثنائية القطب. تُنشئ مضاربها أهدافًا وهمية تبدو وكأنها سفن حقيقية لأنظمة توجيه صواريخ الكروز.

إذا احتجنا إلى محاكاة سفينة صغيرة، نطلق قذيفة واحدة. مدمرة - اثنتان أو ثلاث. وطراد - وابل كامل من القذائف.

يمكن تركيب PK-10 على أي سفينة، بدءًا من القارب. قاذفات قذائف الطعم بسيطة للغاية - مشبك من عشرة أنابيب ولوحة تحكم. تحتوي على جهاز برمجة إطلاق.

10

كان لدى الإمبراطورية احتياطي قتالي قوي آخر غير مستغل - نشر... أسطول بحري مضاد للغواصات.

لا تضحكوا كثيرًا. أتاح تطور التكنولوجيا الروسية في ثمانينيات القرن الماضي إمكانية إنشاء سفن حربية شراعية. فهي في نهاية المطاف فائقة الصمت مقارنةً بالسفن الحالية ذات الدفع اللولبي، والتي تعمل بنظام الجر الميكانيكي. إنها أجهزة تتبع غواصات مثالية، قادرة على قضاء أسابيع دون إهدار غرام واحد من الوقود. الغواصات لا تسمعها!

وهكذا، هيكل خفيف الوزن ذو خطوط هوائية مصنوعة من الألياف الزجاجية أو البلاستيك. أشرعة صناعية متينة على شكل "يخت"، يتم التحكم بها بواسطة جهاز كمبيوتر بسيط. (أو أشرعة هوائية صلبة على شكل أجنحة عمودية). وحدات طاقة رياح كهربائية قادرة على ضمان مسارها ضد الرياح.

هذه السفينة الشراعية مزودة بمحرك توربيني غازي احتياطي بقوة 45 ألف حصان، يعمل لحظة اكتشاف العدو ومطاردته. بالإضافة إلى جهاز تحديد المواقع بالسونار منخفض التردد، "نيدلز"، ونظام "سلاح سريع" قابل للسحب، وطوربيدات صاروخية، و"ميدفيدكا". ربما بطارية صواريخ صغيرة مضادة للسفن من فئة "X". وبالتأكيد - اتصالات عبر الأقمار الصناعية.

يمكن لعشرات هذه القوارب الشراعية أن تجوب محيطات العالم، مستغلةً الرياح التجارية، جامعةً بين المهام القتالية وتدريب البحارة المبتدئين. لتصبح بذلك شبكة ممتازة لجمع البيانات. والأهم من ذلك - أنها رخيصة الثمن، وقادرة على تدمير قوارب العدو المكتشفة في اللحظات الحرجة.

تطوير تكنولوجيا الإبحار. ستحصل الإمبراطورية أيضًا على وسيلة إثراء قوية. فبالتوازي مع الجيش، سيتم بناء سفن الشحن والصيد الشراعية وفقًا لمخطط راسخ، مما يوفر مئات الآلاف من الأطنان من الوقود الباهظ الثمن، وقادرة على الإبحار حتى ضد الرياح. نحن لا نتحدث حتى عن حقيقة أن القوارب الشراعية يمكن أن تصبح وسيلة لتنشئة شباب أصحاء أقوياء - أساس مستقبل الإمبراطورية.

يمكننا إخراج رجالنا من الأحياء الخرسانية القذرة والمداخل ذات الرائحة الكريهة إلى البحار الشاسعة، إلى الجزر المرجانية والبحيرات...

...للإنتاج المتسلسل والمتدفق من...

كان روسنكوف العصر الجديد يمتلك كل شيء. أكبر معهد لأبحاث بناء السفن في العالم، والذي سُمي على اسم الأكاديمي كريلوف، في سانت بطرسبرغ، ويعود تاريخه إلى عام ١٨٩٤. أحواض بناء السفن الضخمة في نيكولاييف، وأحواض بناء السفن في سانت بطرسبرغ، وكالينينغراد، وكومسومولسك-نا-أموري. كانت هناك مراكز كيميائية في أوكرانيا، ومراكز علمية في مينسك وكييف.

كان هناك كل شيء للنجاح...

١١

مع بداية الألفية الثالثة، كانت الإمبراطورية تُنشيء أسطولاً عظيماً. كان يكتسب قوة غير مسبوقة. منذ عام ١٩٨٢، تم نشر نظام الملاحة العالمي "غلوناس" (GLONASS) المكون من ٢٤ قمراً صناعياً في مداره. في غضون عشر ثوانٍ، يساعد النظام سفينة روسية (وكذلك طائرة أو قائد فرقة برية) على تحديد إحداثياتها على سطح الأرض بدقة تصل إلى مئة متر. بخلاف نظام تحديد المواقع العالمي الأمريكي (GPS)، يتيح نظام "غلوناس" الملاحة حتى في خطوط العرض القطبية الشمالية المرتفعة.

في روسيا، ابتكر معهد كريلوف المركزي للأبحاث تقنيات فريدة لبناء السفن - 80 هكتارًا من المنشآت التجريبية في سانت بطرسبرغ و100 هكتار في نيجني نوفغورود. والآن، في عصر الانهيار، يُبدع 60 طبيبًا و450 مرشحًا في المعهد (العرض العسكري، العددان 8-9، 1994).

كان هو من ابتكر مجموعات الدفة والمراوح للطرادات، التي اختفى أثناء استكشافها السباح البريطاني الكابتن كراب في ظروف غامضة عام 1957. (المزيد عن ذلك لاحقًا). ويجري حاليًا تطوير طائرات إيكرانوبلاين جديدة، ومركبات حوامة، وطائرات شراعية. وتتيح المراوح الجديدة المزودة بمراوح اعتراضية من طراز كريلوفيت زيادة قوة دفعها ثلاثة أضعاف بنفس قوة المحرك...

وشهد الأسطول الروسي أيضًا تحولًا جذريًا آخر. تم توحيد الأسراب في وحدة واحدة بفضل أنظمة معلومات وتحكم جديدة، تُجسّد مبدأ الشمولية القتالية، مُكتسبةً القدرة على تركيز القوات لشنّ هجمات على العدو.

هذا مبدأ معروف في علم التحكم الآلي - ربط عدة كائنات حية معًا يُولّد كائنًا حيًا خارقًا بخصائص جديدة تمامًا. هل تذكرون كيف في رواية "سولاريس" لليم، يتحول كوكب بأكمله إلى دماغ وحشي؟

نظام المعلومات والتحكم الخاص بالسرب، الذي يربط أجهزة تحديد المواقع وأجهزة الكمبيوتر وأسلحة العديد من السفن في "وحدة شمولية"، يجعلها كائنًا واحدًا يسمع ويرى كل شيء، يتمتع بقوة ضاربة هائلة. هنا، "5 + 5" يُعطي المجموع عشرين وليس عشرة. وكنا على أعتاب هذا.

12

تحلق طائرة مجنحة ضخمة على سطح الخليج. يلفت انتباه الناظر أنفها الطويل، الذي يشبه مقدمة المدمرة، وعارضة الطائرة النحيلة، و"سيجارين" مقطوعين من محركات نفاثة. يصبح صرير التوربينات حادًا، وترفع الطائرة، وهي تقذف "شعيرات" رغوية، أنفها عن الماء، متحولة إلى طائرة شراعية ضخمة. ثوانٍ معدودة - وتنطلق، منعطفة بشكل حاد فوق الخليج، ويحجب ظل أجنحتها المنحنية الشمس.

ها هي تلامس الماء مجددًا وتنزلق فوق الأمواج، متجهة نحو الشاطئ الرملي. تصدر المحركات صوتًا حادًا حادًا، وتتدحرج الطائرة نحو الشاطئ، حافيةً الشاطئ بعجلات الهبوط المحررة وهي لا تزال في الماء.

هذه ثمرة حضارتنا، التي لا مثيل لها، لا في الولايات المتحدة الأمريكية ولا في الغرب بأكمله. طائرة ألباتروس المائية A-40، من ابتكار مكتب جورجي بيريف للتصميم، قادرة على الهبوط والإقلاع في عرض البحر، على أمواج يصل ارتفاعها إلى مترين. مدمرة غواصات نووية، حطمت 126 رقمًا قياسيًا عالميًا.

باستخدام معدات بحث بالصدى تحت الماء، استنادًا إلى مبادئ جديدة (لا تبحث عن الغواصة نفسها، بل عن أثرها في عمق البحر)، أتاحت هذه الآلات التحكم في ملايين الأميال المربعة. والحقيقة هي أنه في الغرب بعد الحرب العالمية الثانية، باءت محاولات تصنيع الطائرات المائية القتالية بالفشل. ولكن هنا بالقرب من تاغانروغ، في موقع التجارب المائية في غيليندزيك، ظهرت "طائرات حرب مضادة للغواصات" واحدة تلو الأخرى. منها القارب النفاث Be-10، الذي كان قادرًا أيضًا على مهاجمة السفن السطحية بصواريخ كروز (1961). وصائد الغواصات Be-12 التوربيني (1964)، المزود بجناح على شكل طائر نورس وغطاء سونار على شكل دولفين. كان بإمكان هذه الطائرة الإقلاع من المطارات العادية ومن سطح البحر.

كانت طائرة ألباتروس ذروة صناعة الطائرات المائية الإمبراطورية، التي صنعها خليفته، جينادي باناتوف، بعد وفاة جورجي بيريف. للأسف، كان غورباتشوف آنذاك قد بدأ بالفعل في "إعادة بناء" البلاد من قوة عظمى إلى مجموعة من "العصابات السيادية".

ولكن لولاه، لكنا قد حصلنا بحلول الألفية الثالثة على سلاح هيمنة بحرية غير معروف للغرب، قادر على إغراق غواصاته الحاملة للأسلحة النووية قبل أن تطلق صواريخها على الإمبراطورية.

في الوقت نفسه، أصبحت الطائرات المائية الفريدة أساسًا لتطوير طائرات الركاب والبضائع التي لم تتطلب مطارات باهظة الثمن. أصبح من الممكن التقدم في أسواق الطيران في جنوب شرق آسيا، وهي منطقة غنية جدًا، غنية بالخلجان والبحيرات والجزر. لتدفقت مليارات الدولارات إلى الخزينة. في النهاية، نجحنا في صنع مثل هذه الآلات - طائرة الركاب والإنقاذ بي-٢٠٠، وهي طائرة ألباتروس أصغر حجمًا. أو بي-٤٢، وهي طائرة عائمة فريدة من نوعها لمكافحة الحرائق والإنقاذ. في أواخر الثمانينيات، وجد اليانكيز أنفسهم في وضع حرج للغاية. إن تطوير الأسلحة الروسية تحت الماء وصواريخ كروز المضادة للسفن يجعل أسطول الغواصات الأمريكي بأكمله مجموعة من السفن الهشة والضعيفة. هياكلها الفوقية الضخمة

كانت سفن "أويكا"، المجهزة بأكثر المعدات تعقيدًا، أهدافًا مثالية للطائرات الروبوتية. صواريخ "إكزوسيت" الضعيفة، التي نجحت بسهولة في التعامل مع "شيفيلد" عام ١٩٨٢ و"ستارك" عام ١٩٨٧، أثارت مخاوفًا من إمكانية توجيه ضربات بصواريخ إمبريالية أقوى بكثير.

هذا يعني أن مئات المليارات من الدولارات التي أنفقها عدونا على حاملات الطائرات والطرادات والمدمرات والفرقاطات قد تذهب سدى. ثم وضعت الولايات المتحدة خطةً شبه مجنونة لإنقاذ قوتها البحرية. وقد اقترحها عليهم... العراق خلال الحرب مع إيران بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٨.

في محاولة لتقويض اقتصاد العدو، ضرب العراق ناقلات كانت تحاول المرور عبر الخليج العربي. ثم أصاب ١٣٣ صاروخًا من طراز "إكزوسيت" ناقلات النفط. دون إغراق أي منها! واتضح أن ناقلات النفط الممتلئة بالنفط كانت أقوى من السفن الحربية. لقد نجا جانبها السفلي وفولاذ الهيكل المتين، مما ميزها بشكل ملحوظ عن السفن الحربية الطويلة المصنوعة من سبائك خفيفة. كان سمك طلاء الناقلة أكبر بخمس مرات من سمك المدمرة الأمريكية المتوسطة!

ثم في الولايات المتحدة، وبفضل براعة الأدميرال جوزيف ميتكالف (1988)، وُلد مشروع سفينة أرسنال (ترسانة عائمة) - وهو هيكل قبيح للغاية. شكله ضيق وطويل، "سيجار" يبلغ طوله حوالي مائتي متر، مع جانب يبرز من الأمواج بثلاثة أمتار فقط - وهو ارتفاع أدنى مستوى للصواريخ المضادة للسفن. في الداخل، يُقسّم الهيكل إلى 8-11 حجرة. وبين طبقتي الطلاء، كان من المخطط حشو قطع الأنابيب: للحماية من ضربات الطوربيد.

لا توجد هياكل علوية بارزة: عيون "كبسولة الناقلة" هي سفن المرافقة، والطائرات الصغيرة المجانية على متنها، وأقمار الاستطلاع. كان من المفترض أن تُغطي أجهزة خاصة، تعمل بطاقة حركة السفينة، السفينة بشلالات من الماء في اللحظة المناسبة، بحيث تتخذ مقذوفات الطائرات المهاجمة هذه النوافير قممًا للأمواج وتحلق فوق هذا

الوحش "الشبيه بالناقلة". السلاح الرئيسي لهذه المنصة العائمة (التي كان من الصعب تسميتها سفينة) هو ما بين 360 و600 صاروخ كروز من طراز توماهوك، والتي يجب على هذا الوحش القابل للتصرف إطلاقها بسرعة على أهداف محددة مسبقًا على البر ("العرض العسكري"، العدد 3، 1997). كل هذا مُركب على نظام آلي كامل وطاقم لا يزيد عن عشرين شخصًا - مقابل ألفين أو ثلاثة آلاف على حاملات الطائرات.

مع ذلك، فإن الفكرة ليست جديدة. ففي ثمانينيات القرن التاسع عشر، اقترح صانع السفن البحرية الروسي س. ديز هفيتسكي تصميمًا لمدمرة مدرعة بالماء. عند مهاجمة العدو بالطوربيدات، كان لا بد من غمر ثلاثة أرباعها في الماء، وأصبحت طبقة الماء حماية من القذائف. لكن ما الذي وعدنا به هذا التحول في سباق التسلح البحري؟ لم يكن بإمكان هذه التوابيت نصف المغمورة أن تضرب الإمبراطورية إلا من ساحل النرويج، وعلى بُعد مسافة قصيرة من البحر الأبيض المتوسط، ومن المحيط الهادئ (حتى بريموري ومنطقة أمور). ضربة واحدة على هذه "الناقلة" كفيلة بتدمير عدد كبير من صواريخ كروز دفعة واحدة. (خلال الحرب مع العراق عام ١٩٩١، استنفدت الولايات المتحدة ٢٣٢ صاروخ "توماهوك").

كثقل موازن لهذه الصواريخ نصف المغمورة بطيئة الحركة، استطاعت الإمبراطورية نشر أنظمة استطلاع وهجوم قوية، تربط بين الغواصات وقاذفات إيكرانوبلاين، والطائرات وسفن الهجوم السطحي، "المرتبطة" بأقمارنا الصناعية للاستطلاع، وبأنظمة الفضاء القابلة لإعادة الاستخدام. كان بإمكاننا إبقاء هذه "التوابيت" المائية تحت أنظارنا طوال الوقت، وتدميرها في بداية إطلاق هائل لصواريخ "توماهوك".

ولم تُنجِ هذه الخطة "النجوم والمشارب" من الهزيمة.

13

في نهاية الألفية الثانية، ومهما كان إدراك هذا الأمر مُرًّا ومؤلمًا، كانت الإمبراطورية تُجهّز لإطلاق "سفنها الثلاثية المجاديف" في المحيطات، تاركةً السفن الغربية خلفها بعيدًا.

بدأت تظهر حالة جيوستراتيجية، تُشبه ما وصفناه في الفصل الأول من "حرب النجوم": ضربة من "الجُبن" الروسي على نظام الغرب الضخم والمُكلف وغير المُستقر. إذ كان على الغرب إبقاء العديد من السفن في المحيط العالمي لتغطية اتصالات مُمتدة، ولحماية مواقعه الأمامية.

كانت الحضارة الروسية تُجهّز لإطلاق أسطول من نوع مُختلف: أسطول "هزيل"، مُجمّع في وحدات قتالية مُتحركة، يُجوب البحار. مطرقة مُتحركة، تُهدّد الغرب كل ساعة بضربة ساحقة هنا وهناك. صُوّر الغرب السفينة الحربية الروسية في القرن الحادي والعشرين على أنها أصغر من عمالقة سفنه، لكنها أكثر خطورة بكثير. "قارب روما الثالث" هو كنزٌ من الطاقة والتقنيات الفائقة. سريع، بهيكل ومراوح يخت سباق. وكان درعه الرئيسي هو "السلاح السريع"، الذي يُحدد خطًا سحريًا منيعًا حول السفينة، لا يُرى بالعين المجردة. صواريخ فريدة من عائلة إس-300، تُطلق عموديًا تمامًا، مما يُغني عن منصات الإطلاق الدوارة الضخمة. ولذلك، تُعتبر السفن الروسية أقل وزنًا مقارنةً بالسفن الأمريكية، و"كثافة أسلحتها" أعلى.

أضعفت هذه "السفن الحربية" قوة أسراب حاملات الطائرات الغربية عدة مرات. لكن في ظل حاملات الطائرات الروسية، زادت قوتها الضاربة عشرة أضعاف.

لا يُمكنك حتى تخيّل نوع الأسلحة التي وُلدت للسفن في الإمبراطورية. تمكنت جمعية "سبلاف" العلمية والإنتاجية، التي اشتهرت حتى ذلك الحين بإنتاج قذائف الهاون الصاروخية "غراد" و"أوراغان"، من إنتاج مجموعة كاملة من المعدات البحرية ("فوي").

(الاستعراض العسكري، العدد 9-10، 1995، ص 134).

على سبيل المثال، منظومة "أوداف-1إم" التي تُدمر الطوربيدات المتجهة نحو السفن على مسافات تتراوح بين مائة وثلاثة آلاف متر. تتكون من نظام بعشر براميل، مُحمّل تلقائيًا بمقذوفات دفاعية عميقة وصوتية مائية. الأولى تُفجر الطوربيدات، والثانية تُحرف مسارها بأهداف زائفة.

منظومة RPK-8 المضادة للغواصات، ذات الاثنتي عشرة براميل، تُطلق صاروخًا خاصًا، وتُدمر غواصات العدو على عمق يصل إلى كيلومتر واحد. تبدأ من مسافة 600 متر وتنتهي عند خط طوله 4.3 ميل. عند اصطدامها بالماء، تُطلق الصواريخ مقذوفات موجهة بالجاذبية في الأعماق. يُمكن لـ RPK-8 أن يُدمر الطوربيدات والغواصين المُخربين تحت الماء.

صواريخ "كاتيوشا البحر" و"دامبا" و"دوزد" هي صُممت هذه القذائف عادةً لمواجهة سباحي العدو تحت الماء والغواصات الصغيرة التي تتسلل إلى السفن لتفجيرها.

في معهد نيمي (NIMI)، وهو معهد البحث العلمي للهندسة الميكانيكية، طُوّرت قذائف ذات قوة متزايدة للمدافع البحرية عيار 100 و76 ملم. هذه القذائف، المملوءة بمتفجرات هكسوجينية قوية، لا تقتصر قدرتها على تدمير سفن العدو أو أرتال الدبابات على الشواطئ فحسب. فتائلها الحساسة، التي تتفاعل مع قرب الهدف، تُصيب صواريخ كروز والطائرات بالشظايا ("العرض العسكري"، العدد 3-4، 1995، ص 52).

وهذا كله من صنعنا، ثمرة جهود وعقول روسية. كانت البحرية الإمبراطورية حامية هذا التقليد العريق، معتمدةً فقط على قوتها الذاتية. في عام 1866، أصدر القيصر ألكسندر الثاني مرسومًا ينص على: "يجب تنفيذ جميع أوامر وزارة الحرب ووزارة السكك الحديدية، بالإضافة إلى الإدارات الأخرى، داخل الدولة، بغض النظر عن أي صعوبات أو عقبات قد تنجم عن ذلك في البداية". كتب سفيرنا في بريطانيا، برونوف، إلى القيصر عام ١٨٦٥: "سيؤدي هذا الإجراء في الوقت المناسب إلى تحرير روسيا من سلطة إنجلترا، التي لا يمكن الاعتماد عليها بثقة كبيرة". (مجموعة الوقائع البحرية - لينينغراد، ١٩٩٠، ص ٣٣).

في ذلك الوقت، لعبت إنجلترا دور الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، وكانت زعيمة العالم الغربي. ولن يتمكن قادتنا الحاليون، الذين يشترون كل شيء من الخارج، من مقارنتهم بالوطنيين الروس الحقيقيين.

١٤

لا، لم نخسر معركة المحيطات تقنيًا. لم ننهار فيها بلا قوة، منهكين اقتصاديًا. الآن، لا يملك نظام يلتسين الإصلاحي ما يكفي من المال لأي شيء. في عام ١٩٨٥، كان لدى الاتحاد السوفيتي أموال للبحرية، وللتعليم المجاني، ولمراكز صحة الأطفال، ولرغيف الخبز بعشرين كوبيكًا. وفي تلك السنوات، لم يدرس كاتب هذه السطور في الجامعة فحسب دون أن يدفع... كوبيك، بل صارع وسبح مجانًا، وكان بإمكانه شراء تذكرة إلى غاغرا براتب أربعين روبلًا. في الوقت نفسه، دعم الاتحاد السوفيتي حلفاءه في جميع أنحاء العالم!

أعرف شيئًا آخر - لقد طُعنّا في الظهر، وباعتنا نخبتنا الحاكمة بأموال يهوذا. جبناء، عديمو الموهبة، متغطرسون. سأخبر أبنائي وأحفادي عن هذا، وسأحاول أن أنقل إليهم الكراهية التي تغلي في داخلي.

أعرف أيضًا شيئًا آخر: لقد انهارنا على بُعد خطوتين من النصر فقط لأننا نسينا حقيقة واحدة - أن سيف الإمبراطورية يجب أن يكون في أيدي الأبطال، لا التافهين. لقد أنشأنا قوة تقنية هائلة - لكننا نسينا تثقيف النخبة.

اتضح أن الروح القتالية والأرستقراطية، والنبلاء والإخلاص للأمة، لا تقل أهمية لقوة الإمبراطورية حتى عن مدمري أودالوي.

أحد عظماء الروس الذين عرفوا الإمبراطورية من من جليد القطب الشمالي إلى رمال جوبي، كتب العالم والكاتب البارز إيفان إفريموف عام ١٩٦٩:

"إن عدم كفاءة "الأولاد" و"البنات" وكسلهم ومرحهم في أي مسعى سمة مميزة لهذا العصر. أسميها "انفجارًا للانحلال الأخلاقي"، ويبدو لي أنها أخطر بكثير من حرب نووية. يمكننا أن نرى أنه منذ العصور القديمة، كانت الأخلاق والشرف (بالمعنى الروسي لهذه الكلمات) أكثر أهمية بكثير من السيوف والسهام والفيلة والدبابات والقاذفات الانقضاضية. كل دمار للإمبراطوريات والدول... يحدث من خلال فقدان الأخلاق. هذا هو السبب الحقيقي الوحيد لجميع الكوارث في التاريخ، ولذلك، بدراسة أسباب معظم الكوارث، يمكننا القول إن التدمير له طابع التدمير الذاتي...

مغنيٌّ لامعٌ للقوة الروسية، حلم بخلق جيلٍ من البشر الخارقين الأقوياء، وسفنٍ فضائيةٍ تخترق الفضاء بشعاعٍ مباشر، تنبأ بـ"إصلاحاتنا".

عملاقٌ اكتشف الطاقات الغامضة للثقافات الآرية العظيمة، إيران والهند القديمتين، ورأى في العالم صراع مبادئ النور والظلام - شاكتي وتاماس - في عام ١٩٦٩، سمى بدقةٍ مرتكبي الكارثة الحالية - "فتيان" و"فتيات" مُدللون، باعوا كل شيء وكل شخصٍ من أجل الورق الأخضر وحُلي الغرب.

كان يكره بشدة الثقافة الغربية - البائسة، البدائية، التي تُفسد كل شيء بدينها الأناني والمال. أليس هذا ما حوّلنا إلى حطامٍ بائس؟ اليوم؟

قبل اثنين وعشرين عامًا من مأساة بيلوفيجسكايا، كتب إلى زميل أمريكي:

"الأجيال التي اعتادت على أسلوب حياة شريف ستفنى خلال العشرين عامًا القادمة، وعندها ستحدث أكبر كارثة في التاريخ في..."

فكرة ثقافة أحادية تقنية واسعة الانتشار، تُرسّخ أسسها باستمرار في جميع البلدان، وحتى في الصين وإندونيسيا وأفريقيا..."

الفصل 19. أساطير دمرت الإمبراطورية. حول المورلوكس الجدد والإيلوي الحديثين.

ألم تتعبوا من القوة البحرية في الماضي القريب؟ يبدو أنه يجب علينا مقاطعة قصة ترسانات الدولة مجددًا، والعودة إلى حل سؤال آخر. سؤال فلسفي عميق.

لماذا، لماذا بحق الجحيم انهار هذا العملاق ذو القوة الهائلة؟

1

كثيرًا ما تطاردني نفس الصورة. أرى مرارًا وتكرارًا سفينتين حربيتين ضخمتين تلتقيان في المحيط - بوارج حربية مُدجّجة بالمدافع. العلم الروسي، الذي يحمل صليب القديس أندرو المائل، يرفرف فوق أبراج إحداهما المهيبة، بينما تُحجب الأخرى بنجوم وخطوط مكروهة.

التوربينات العملاقة هديرٌ عالٍ، تجمد القادة أمام لمعان أقفال المدافع، وأصدرت أجهزة التصويب المركزية أزيزًا. وفجأة...

... وفجأة، تباطأت حصننا العائم، وحطم الطاقم المجنون، ضاحكًا، المناظير، وأنزل العلم. استدارت مدافع العدو لتلتقي، وبدأ القادة يطلقون النار بشراسة، دافعين القذائف إلى الهياكل العلوية، ومليئين سطح السفينة بشظايا دموية. في مكان ما في بطن البارجة، دوّت الانفجارات، وتحطم العملاق المقاتل إلى أشلاء...

ما زلنا لم ندرك تمامًا أننا بأيدينا دمرنا إمبراطوريتنا العظيمة. أننا استسلمنا للعدو دون قتال، ممتلكين ترسانات مليئة حتى السقف وأفضل أسلحة في العالم. لم يشهد التاريخ مثل هذا العار. جميع الإمبراطوريات، سواء كانت رومانية أو عثمانية أو فارسية أو نمساوية-مجرية، هلكت في المعركة. والأكثر من ذلك - الرايخ الثالث. لماذا دولتنا، التي كانت لديها كل فرصة لتصبح حاكمة العالم، هل ننهار؟

لا، لا تبحثوا هنا عن أسباب اقتصادية، كما يحلو للثرثارين ذوي الشعر المجعد والنظارات الطبية التحدث عنها. لقد انهارنا لأننا نسينا وأذللنا أبطالنا ومحاربينا، شعب السيف والمطرقة، الذي أنجب جبناء جشعين للمادية وجهلاء.

قيل لنا: يجب أن نتخلى عن حاملات الطائرات، وعندها سنعيش رغيدًا وسعادة. لكننا رفضنا، فأصبحنا أفقر بعشر مرات وأكثر تعاسة. والآن، نحن الضعفاء، نُطرد من عقود النفط المربحة في السودان والعراق، حيث

تضرب الصواريخ حقول النفط عندما يكونون مستعدين لتوقيع اتفاقيات معنا. اخرجوا أيها الروس المساكين! من يحتاجكم الآن بدون أساطيل ومدافع؟ وستذهب العقود إلى الشركات الغربية...

كان هناك خطأ ما في أيديولوجية روسيا القيصرية، التي انهارت في فوضى عارمة بين عامي ١٩١٧ و١٩٢٠. لكن خليفتها، الإمبراطورية الحمراء - الاتحاد السوفيتي، كان لديه أيضًا فيروس التدمير الذاتي. في تلك الأيديولوجية التي سيطرت علينا سبعين عامًا.

ولكن ما هذه الرذائل الفطرية الخبيثة؟

2

أتذكرون كيف غرسوا في رؤوسنا قبل عشر أو خمس عشرة عامًا: "السلام للعالم!"، "نحن مع التعايش السلمي"، "لا للحرب!"؟ وقبل عشرين وثلاثين عامًا أيضًا. ثم، بعد عام ١٩٨٥، بدأوا يقنعوننا بأننا محاطون بجيران طيبي القلوب وملائكة، تُعلي "حقوق الإنسان" المقدسة من شأن كل شيء؟

من فعل هذا نال ما أراد. بدأ ملايين الروس ينظرون إلى الجيش على أنه نوع من الإسراف المزعج، كرفاهية لا داعي لها، كطفيلي شره لا طائل منه. لقد نسينا جميعًا حقيقة بسيطة لكنها قاسية: السلام هو الحرب. وتاريخ البشرية بأكمله هو صراع أبدي بين الشعوب والدول من أجل مكانة مرموقة، من أجل الحق في الوجود. نسينا أن مصير الضعفاء والوديعين في هذا العالم هو مصير العبيد المرير.

في عام ٤٩٠ قبل الميلاد، السلتيون الذين قدموا من وراء جبال الألب هزموا جحافل روما الفتية الضعيفة. ولإنقاذ مدينتهم المقدسة من الأسر والنهب، عرض الرومان على السلتيين الذهب. فوافقوا. ولكن عندما وُزن المبلغ المطلوب، فكّ القائد السلتي برينوس سيفًا ثقيلًا من حزامه وألقاه على الوعاء ذي الأثقال. وصرخ في وجه الرومان الساخطين: "ويل للمهزومين!".

هذا المبدأ ساري المفعول منذ خمسة آلاف عام من التاريخ البشري الملحوظ. فلتحل الدبابات محل العربات الحربية، والرشاشات محل السيوف، والطائرات المقاتلة محل الخيول، لكن صرخة "ويل للمهزومين!" ستتردد وستتردد في أرجاء العالم.

هذه الحقيقة يدركها جيدًا أصحاب السلطة في أمريكا. في عام ١٩٦٤، معلنًا بدء الحرب في فيتنام، صاغ الرئيس ليندون جونسون مقولة مأثورة: الضعف لا يضمن السلام، والتراجع لا يضمن الأمن.

هذه بديهية. لم تؤمن بها أمريكا آنذاك. لكنها... كان الضعف والتراجع تحديدًا ما اختاره جميع قادتنا، بدءًا من عام ١٩٨٥، كل هؤلاء غورباتشوف ويلتسين وأمثالهما.

"ويل للمهزومين!" نسمع الآن هذه الكلمات، مُغطاة بعبارات دبلوماسية منمقة، موجهة إلينا. فلا شيء أقسى على الضعفاء من السياسة الدولية. بالمقارنة معها، حتى أخلاق عصابات الشوارع تبدو شبه نبيلة.

للأسف، دعا شيوعيونا، ثم دعاة السوق الليبرالية، من سوسلوف إلى ياكوفليف وغايدار، إلى سلمية المخصيين وأنصاف البشر. لقد قمعوا، وقضوا من جذورهم، ما يجعل الدولة قوية - عبادة الأبطال العسكريين.

كنا بحاجة إلى أيديولوجية مختلفة تمامًا، وكان لا بد من نشرها.

يُنشر من شاشات التلفزيون وصفحات الصحف. "نحن حضارة روسية أرثوذكسية مميزة، محاطة بحلقة من العيون الحاقدة. نعيش بين أعداء يحسدوننا على قوتنا ومجدنا ومواردنا الهائلة وصحتنا ونقاء شعبنا العظيم. إنهم أنفسهم يموتون من الفجور والفساد والمخدرات، والروس كشوكة في خاصرتهم. لن يترددوا في تدميرنا، وهم مسالمون ظاهريًا فقط، بينما نحن أقوياء ونستطيع سحقهم بالنار والسيف. وإذا كنت روسيًا، فافعل كل ما في وسعك لتكون قويًا." كنا نطلق على أي ادعاء بأن الحرب هي أعظم اختبار لقوة وشجاعة أي أمة اسم الفاشية. ولكن أليس كذلك؟ أليست الحرب هي التي يبرز فيها الأبطال، ويتساقط الجبناء والعاجزون والخونة؟ ألا يُنتج السلام الطويل المنافقين والبيروقراطيين والحثالة، المنافقين والحثالة التافهة؟

نعم، إنه قاسٍ. قاسٍ جدًا. لكن الحرب شيءٌ لا يتغير. إنها بمثابة ذئبٍ في الطبيعة، يُطهّرها من المرضى والمنحطين. تتطلب الحرب أناسًا شجعانًا نشيطين مُخلصين للدولة، يغرقون في زمن السلم في طينٍ كريه. ولذلك، مهما بدت الحروب قاسية، فإنها تُقوّي الأمة وتُقوّيها.

لكننا نُعلن لعنةً على الحرب طوال سنوات ما بعد الحرب. وهذا، جزئيًا، انعكاسٌ لحالة شعبنا النفسية، الذي تحمّل وطأة أشدّ معارك التاريخ دموية. "ليتها لم تكن حربًا!" لا نستطيع لومهم. نحن نفهمهم.

لكن قوانين حياة الأمم والدول لا تُقهر، كقوانين الفيزياء. قد لا نُحبّ مبدأ الجاذبية الكونية أو شيخوخة الجسم البشري. ومع ذلك، فإن الأشياء المهجورة لن تكفّ عن السقوط، ولن يُخلّد البشر. ومع ذلك، كتب بعض جنود الصفوف الأمامية قصيدة:

"سنموت على مشارف نيويورك..."

لقد أثمرت الدعوة إلى السلمية و"السلام" نتائجها القذرة. نسينا أن الإمبراطورية بحاجة إلى المحاربين قبل كل شيء. تصرفنا وفقًا للمبادئ الماركسية اللينينية - ودمرنا البلاد. في غضون ثلاث سنوات تقريبًا، وبعد أن خسرنا كل ما بذلنا من أجله دماءً في الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٤٥، حوّلنا النصر العظيم إلى نصر عظيم بلا جدوى.

إذا وُلدت روسيا من جديد، فلتنقش على أساسها النقش الذي يزين نصب الأدميرال ماكاروف: "تذكروا الحرب!"، لا سيما وأن العالم بأسره بدأ يزحف مجددًا نحو فترة من الاضطرابات الدموية في نهاية القرن العشرين.

الآن أفتح التلفاز وأرى كيف يستمر نفس العمل التدميري. رسوم متحركة للأطفال، "حكايات روسيا الجديدة". صوت طفل يثرثر: "في قديم الزمان، قررت الطيور أن تثبت للجميع أنها الأشجع والأقوى والأكثر صدقًا...". طوابير من المخلوقات برؤوس صقور تسير عبر الشاشة، ومروحيات قتالية تطلق نيرانها، وتلمع سيوفها. "... الأذكى والأجمل..."، يستمر الثرثرة. "أمي، هل هم أغبياء؟"

هكذا يحارب بعض أمثال شندروفيتش "الفاشية". أو، ببساطة، يجعلون من الأطفال الروس عظامًا شاحبة، يستمتعون بينما يبدأ متعصبون آخرون في مكان ما بحرق الروس أحياءً أو نشرهم بالمناشير الدائرية. كما حدث بالفعل في طاجيكستان ومولدوفا، وفي الشيشان وأذربيجان. هكذا يدمرون أساس الشعب السليم - روحه القتالية. يجعلون منا كائنات شهوانية وجبانة، مخنثة، ضعيفة الشخصية.

وبينما يُملأ أطفالنا بقصص "روسيا الجديدة"، تُعلّم زوجات مقاتلي طالبان الأفغان أو الشيشان أبناءهن: نحن الأذكى والأشجع والأكثر صمودًا. سيغرسن في أبنائهن حب البندقية والخنجر، والقنبلة اليدوية والرشاش. سيُربّينهم على مثال آبائهم الذين دبّروا الرعب في مدن روسية بأكملها. سيجعلونهم بلا رحمة مع كل من ليس من عشيرتهم وقبيلتهم. سيُخبرن آلاف المرات كيف أخضعن بشجاعة هؤلاء الروس الكسالى السكارى الذين انقلبوا إلى خونة. كيف استقبل يلتسين نفسه قادتهم في الكرملين.

لا، أيها القارئ. يجب أن تكون روسيا الجديدة بلدًا للمحاربين. وإلا فلن تنجو. وإلا ستكون فريسة للقبائل الشابة الشريرة والقوية.

نحن نتحول ببطء ولكن بثبات إلى إيلوي - مخلوقات ضعيفة وحمقاء لا مبالية من "آلة الزمن" لويلز. الإيلوي، الذين ابتلعهم أحفاد العمال - المورلوك - وهم يخرجون من الزنازين ليلاً. لم تعد حدود الإمبراطورية السابقة سوى الحدود الجنوبية والجنوبية الغربية كموطن لهم. هل يُحسد على هذا المصير - أن تستمتع بحماس، مهما كلف الأمر، وتتوقع في كل لحظة أن تموت بانفجار قنبلة في المترو أو تحترق أحياءً، بألم ورعب؟

لا، أيها السادة، على الروس أن يصبحوا محاربين أشداء وأقوياء، قساة لا يرحمون عندما يتعدى أي عدو على بلادهم. وكل من يدمر روحنا القتالية - هو نفسه عرضة للهلاك.

السلمية، التي ارتقت حتى في الكلمات إلى مرتبة مبدأ الدولة، خلقت شيئًا فظيعًا. في الواقع، قاتل الاتحاد السوفيتي كثيرًا. لكنه في الوقت نفسه اختبأ ونسي أبطاله. لم يخلق عبادة للمجد العسكري وقوة الإمبراطورية. وهذا، كما نعلم، لا يقل أهمية عن إنشاء حاملات الطائرات أو أسراب القاذفات الأسرع من الصوت.

ومن أقوى وسائل بناء مثل هذه العبادة الإمبراطورية الحفاظ على الآثار في

الين ومظاهر بطولة شعبها.

انظروا إلى اليابان. لقد حافظت على البارجة ميكاسا، التي هزم على متنها الأدميرال توغو الأسطول الروسي عامي ١٩٠٤-١٩٠٥. في ضريح ياسوكوني، حيث تُحفظ ألواح تحمل أسماء جميع قتلى الحرب الأخيرة، يوجد أيضًا طوربيد بشري "كايتن" وطائرة انتحارية. آثار حديدية، ونصب تذكارية لشجاعة الشعب الجامحة، و"هزازات السماء" وأبناء "الريح المقدسة".

حتى الدول التي ودعت العظمة الإمبراطورية منذ زمن بعيد، حتى تلك التي تُجسد معاداة الإمبريالية، تحافظ أيضًا على آثار عسكرية. الأمريكيون والبريطانيون، على سبيل المثال.

وماذا عنا؟ في بلدنا، كما لو كان ذلك محض صدفة، بل في الواقع - بتخطيط وهدف بعيد المدى! - بيد قاسية، دُمّرت الأضرحة الإمبراطورية العسكرية.

في عهد خروتشوف، قُطعت أول بارجة روسية، بيوتر فيليكي، التي خدمت في البحرية لمدة 80 عامًا، بلا رحمة لتحويلها إلى خردة معدنية. وكذلك أول كاسحة جليد قوية في العالم، يرماك، التي صممها الأدميرال ماكاروف نفسه، بطل حروب 1877-1878 و1904. كان ذلك بمثابة إبادة جماعية للآثار التي جسدت الصلة الوثيقة بين الإمبراطوريتين القيصرية والحمراء.

في عهد خروتشوف، قُطعت أول ووحيدة من سفن دريدنوت الروسية التي نجت بعد عام 1917 إلى خردة معدنية. الثلاثة جميعًا! تم تخريد المدمرات الروسية الفريدة من فئة نوفيك، التي أبحرت لمدة أربعين عامًا. في عهد خروتشوف وبريجنيف، خاضت جميع المدمرات السوفيتية التي قاتلت في الحرب الوطنية العظمى حملات مروعة، وسط الموت والهجمات الشرسة من قبل اليونكرز الألمان، وأُرسلت إلى المذابح.

طرادات الحراسة "كراسني كريم" و"كراسني كافكاز"، اللتان تُخلّدان ذكرى الصراع الشرس على البحر الأسود، وعمليات الإنزال الناري في شبه جزيرة القرم، والدفاع عن سيفاستوبول، حُوّلتا إلى أهداف عائمة، وأُطلقت عليهما صواريخ كروز.

أُلغيت أول طراد سوفيتي "كيروف"، بطل الدفاع عن سانت بطرسبرغ، من الخدمة عام ١٩٧٤. ومثل العديد من غواصات الحرب الوطنية العظمى - "شوك" و"كاتيوشا"، و"ماليوتكا"، و"ديكابريست" و"إيسوك".

اختفت فخر ومجد سلاح الجو الإمبراطوري في ثلاثينيات القرن الماضي - طائرات TB-3 العملاقة ذات المحركات الأربعة - دون أن تترك أثراً تقريباً. أما تلك التي طارت إلى القطب الشمالي، فقد هزمت اليابانيين في خالخين غول، وأفشلت أولى عمليات الإنزال الجوي. وبعد أن أصبحت قديمة الطراز، هلكت في معارك غير متكافئة مع طائرات "ميسرشميت" التابعة لهتلر. لم تنجُ أي طائرة روسية من طراز بي-8، من طراز "القلعة الطائرة" التي قصفت برلين. أساطير المعارك فوق البحار والبراري - طائرات الهجوم إيل-2 وقاذفات الطوربيد إيل-4 - اختفت تقريبًا.

يروي بيوتر ساجين قصةً مؤثرة في كتابه "سجلات سيفاستوبول". عام ١٩٦٨. قدامى المحاربين ذوي الشعر الرمادي بقيادة الأدميرال فوركوف بيكون، وداعًا المدمرة "سوبراسيتيلني". مع سفينة حراستهم، اشتعلت شعلة اللهب بلا هوادة، قضمت جوانب المدمرة البحرية الرائعة.

كانوا يقتلون من قطع مسافة ثلاثة وستين ألف ميل تحت النيران والقنابل. نقلوا قواتهم إلى سيفاستوبول المحاصرة من قبل الألمان، وأصابوا الجرحى والأطفال والنساء. أنزلوا أربع وحدات إنزال. دمروا عشر بطاريات و٣٠ دبابة وثماني كتائب من مشاة العدو. أسقطوا خمس طائرات. صمد أمام مئات الهجمات بالطوربيدات والقنابل.

لماذا؟ ففي النهاية، أنتج الاتحاد السوفيتي فولاذًا أكثر من أي دولة أخرى في العالم. لقد قضوا على الذاكرة عمدًا. دمروا المواقع المقدسة لحضارة الأبطال...

لقد خسرنا بسبب هذا أكثر بكثير مما يبدو للوهلة الأولى. فروسيا، على سبيل المثال، اليوم ليست مجرد دولة وُجدت، لنقل، في الأول من يونيو/حزيران ١٩٩٦. كل دولة، كما كانت، تتجه نحو الماضي، تمتد إلى قرون. والشعب الروسي ليس مجرد مجموعة من الناس الذين يعيشون في البلاد، لنقل، في الأول من يونيو/حزيران ١٩٩٦، بل هو أيضًا جميع أسلافنا، موتانا. أولئك الذين ضحوا بحياتهم وقوتهم، دفاعًا عن الدولة وتوسيعها وتعزيزها. ولذلك، فإن الشعب الذي ينسى الماضي لا مستقبل له. وأولئك الذين يمزقون تاريخهم - أكثر من ذلك بكثير.

نحن بلد حارب أعداءً أشرارا "منذ تلك العصور". ولذلك، كانت كل هذه الآثار، التي دمّرناها، بمثابة روابط روحية تربطنا بعالم الأجداد. بلمس الأسلحة القديمة، نستوعب ذكريات العصور الماضية، ونتحد مع أسلافنا، ونستمدّ شرفهم وبسالتهم.

لو حافظنا على الشواهد القديمة للمعارك القاسية، لوجدنا ملايين الصبية هناك، ولدخلت في قلوبهم شحنة غامضة. أرواح أسلاف لمسوا هذا الدرع نفسه، وهذه الرافعات وعجلات القيادة نفسها.

أعرف هذا من تجربتي الشخصية. أعرف الرهبة التي تشعر بها عندما تلمس يدك قفل مدفع بحري محفور عليه "مصنع أوبوخوف الإمبراطوري". عندما تبدو الصور وكأنها تومض أمام عينيك: ألسنة من نار، وقائد على الجسر وسط شظايا صفير، ونوافير من رذاذ القذائف، وعلم القديس أندرو الذي لا يُقهر يرفرف في الريح...

...مُدمرين الماضي الحي وشهود مجدنا، كدّس حثالة الكرملين المتواضعون نفاقًا أصنامًا خرسانية بلا وجوه في المقابل. يهتفون نفاقًا: "لا أحد يُنسى. لا شيء يُنسى".

واليوم يفعل لوجكوف وتسيريتيلي الشيء نفسه.

3

في قصة "صائد القوافل" لألكسندر بروخانوف، تُصوَّر صورة الكابتن رازوموفسكي - صورة رجل السيف. أحد أولئك الذين أصبحوا فيما بعد من صفوة الحضارة الإمبراطورية الأريوسلافية الناشئة. طبقة النبلاء الجدد في الإمبراطورية.

"كان رازوموفسكي قريبًا لفوج معروف خلال الحرب..."

سائق من عائلة عسكرية نبيلة. ترقى في الرتب بسهولة وسرعة، وفي كل ما فعله، كان هناك لمسة من الحظ والسهولة. قاتل بشغف ومهارة، واكتسب خبرة قيّمة من الحرب بجشع، وانتهز الفرصة الفريدة لإتقان فنون القتال. لم يترك له الفضول والجشع اللذان قاتل بهما مجالًا لليأس، بل حرراه من الانزعاج والغضب. درس الباشتو والداري، ودوّن مذكرات عن العمليات العسكرية، ودوّن ملاحظات عن المناخ والطبيعة، ودرس الإثنوغرافيا والعادات. كانت سيقان وأزهار الصحراء المتقزمة مرفقة برسائله إلى الوطن، وفي موسكو جمعت زوجته منها معشبة. وهناك، في الأظرف، وُضعت أيضًا رسومات بأقلام فلوماستر، ورسومات ميدانية سريعة، حيث كان رجال البنادق ذوو العمائم يطلقون النار على رتل من شاحنات كاماز، وكانت مجموعة من القوات الخاصة تفتش أمتعة الجمال، وكان رجال شيوخ ذوو لحى سوداء يجلسون على سجادة أمام طبق. ذكّر أوكوفالكوف بضابط قيصري سابق جمع بين الحرب والمعرفة الفضولية بالأراضي والشعوب، تاركًا وراءه أطالس البلدان، وقوائم العادات، وأبحاثًا في اللغات وعلم النبات في الأكاديميات العسكرية. وفي الأماكن التي كانت تتمركز فيها أفواجهم، تشكّل تحالف غير عسكري معقد مع السكان المحليين. على أسوار الحامية، بجوار الكنيسة الأرثوذكسية ذات الشكل البصلي، شُيّد مسجد أو معبد.

مات رازوموفسكي وهو يبحث عن صاروخ ستينغر مع مجموعة استطلاع. لكنه، أمثاله، من استطاع أن يصبح أرستقراطيًا في روما الثالثة الناشئة، إمبراطورية الألف عام.

صورته تُشبه الروس العظماء، الذين وسّعوا البلاد، وبنوا الحصون، وأجروا مفاوضات معقدة مع الخانات والأمراء، وشدّوا خيوط السكك الحديدية.

في روسيا القيصرية السابقة، كان هناك مثل هذا النوع من الناس. من استطاع، خلال حياة قصيرة، أن يكون دبلوماسيًا، وفاتحًا للحصون، وضابط مخابرات، ومستكشفًا للقطب الشمالي؟ بفضل جهودهم، شُيِّد بناء الدولة المهيب.

لم يُقضِ أكتوبر 1917 تمامًا على هذا النوع من الرجال الخارقين. كانوا أيضًا في خليفة الإمبراطورية البيضاء - الاتحاد السوفيتي. للأسف، ظلّ جيشهم طيّ النسيان، ولا تُخبرنا إلا أسطر قصيرة في الكتب محدودة التوزيع عن أولئك الذين بفضلهم وُلِدنا ونشأنا.

ماذا نعرف، على سبيل المثال، عن الملازم الأول إيفان تورغانوف؟ عن ذاك الذي قاتل مع الباسماتشي في ثلاثينيات القرن الماضي، وأصيب بجروح بالغة ومُنح وسام الراية الحمراء، الذي كان يُعادل وسام نجمة البطل لاحقًا؟ عن ذاك الذي قاتل في يوليو 1941، وهو يقود قطارًا مُدرّعًا من الفوج 77 التابع لجهاز الأمن السوفييتي عند نهر زبروخ بالقرب من تيرنوبل، مع الدبابات الألمانية وقاذفات القنابل الانقضاضية؟ عن ذاك الذي نجح لاحقًا في كسر الحصار؟ بضع فقرات فقط في كتاب يُوزّع منه عشرات الآلاف من النسخ. عن آلا بوغاتشيفا، على سبيل المثال، كُتب أكثر من ذلك بألف مرة، ناهيك عما قيل على التلفزيون.

النظام الذي أنشأه الحزب الشيوعي السوفيتي في السبعينيات والثمانينيات دفع الجنود إلى الخلفية، إلى غموض. لا، لم يُدمروا ماديًا - ففي النهاية، كان على أحدهم محاربة المجاهدين وتوجيه الصواريخ في حروب الشرق الأوسط، ومد أنابيب الغاز، وبناء الطرادات النووية.

لكن قبيلة نشطاء كومسومول برزت - أناسٌ يفتقرون إلى الشجاعة، لكنهم يتمتعون بشجاعةٍ مرنة، لا يتألقون بمواهب المحاربين أو المهندسين، بل يعرفون كيف يُرضون رؤسائهم بحماماتٍ عامة وفتياتٍ وفودكا. أناسٌ يعرفون كيف يجدفون لأنفسهم. ما زالوا يحكموننا. كائناتٌ تبيع بسهولة، كسلعٍ قابلةٍ للرمي، ثمار قرونٍ من جهد أجيالٍ كاملةٍ من الروس.

بجانبهم قبيلةٌ أخرى - قبيلةُ قادة رازوموفسكي. صامدون، يغزون مساحاتٍ معاديةً في مركباتٍ قتاليةٍ ضيقةٍ، تشبه قوارب فارانجيان. شعرهم قصير، إرادةٌ قوية، وحيويون. يجيدون فنون القتال. بدأوا يرون أنفسهم فارسًا جديدًا. وكان هناك أيضًا أناسٌ صنعوا أفضل أسلحة العالم، أعظم قوةٍ علميةٍ وصناعيةٍ في العالم. كوكب.

ما هي الأمزجة التي تولدت بين رجال السيف والمطرقة هؤلاء؟ يلعن رازوموفسكي غباء كبار شخصيات الكرملين ويفكر في المستقبل:

"لم نستعد جيدًا للحرب! لا نعرف البلاد، ولا نعرف اللغة، ولا نعرف العادات. ضباط القيصر - كانوا يعرفون الشرق، وعرفوا الإسلام. ونحن نقاتل بلا مبالاة. لماذا نقاتل هنا أصلًا؟ كنت أستعد للتمثيل في المسرح الأوروبي. بهذه الأيدي أستطيع تدمير مقر فرقة، ومركز اتصالات فضائية، ومجمع استطلاع وضربات! لماذا بحق الجحيم أركض خلف الجمال على طول الحدود الباكستانية؟ أمشط القرى بخرقها! هل هذه وظيفة الجيش؟

...رازوموفسكي، حفيد شقيق المارشال، الذي نشأ في عائلة نبيلة، عرف ورأى أمورًا ظلت غامضة بالنسبة لأوكوفالكوف. بصوت مكتوم، ووجهه شاحبٌ بالكراهية، تحدث عن الحثالة الفاسدة التي استولت على السلطة، وعن الخراجات التي يجب فتحها. تحدث عن اتحاد الضباط الشباب الذين، بعد أن وصلوا إلى رتب عالية، وحصلوا على مناطق وجيوش، سيطهرون البلاد من الحثالة...

أدركت حثالة البيروقراطية والحزبية المتعصبة ما الذي يهددهم. لقد كانوا متقدمين على آل رازوموفسكي. إذا كانوا قبل عام ١٩٨٥ قد دفعوهم إلى الظل فحسب، ثم منحوهم بطريقة ما بعض المنافع المادية، فبعد ذلك تحول الأبطال إلى متسولين تمامًا. اسألوا فقط عن رواتب أبطالنا - قادة سرايا الاستطلاع في الشيشان!

متعصبون

أغلقت نخب الحزب بإحكام باب وصول العسكريين إلى المناصب المدنية. ودُمرت مؤسسة الحكام العامين القيصرية، التي وحّدت السلطة العسكرية والمدنية في أخطر بقاع الإمبراطورية، كالقوقاز وآسيا الوسطى والشرق الأقصى.

كانوا جرذانًا بيروقراطيين رماديين، يخشون الأبطال، يخشون مجدهم، يخشون من يستطيعون الاستيلاء على السلطة الحقيقية. وبكلمات أخرى، في معارضة للغرب، طبّقوا مبدأه بثبات - فصل السلطات المدنية عن العسكرية. ليدفع الأبطال ثمن عدم مسؤولية جرذان الحكم والجبناء. ثم استُنزفوا وهُجروا. كان هذا هو الحال في أفغانستان، وهو الحال في الشيشان.

ومع ذلك، بدأ التدمير "الهادئ" للأبطال المتحمسين قبل عام ١٩٨٥. توفي روستيسلاف ألكسييف، أبو طائرات إيكرانوبلاين "كاسبيان"، عام ١٩٨٠، منهكًا من صراع دام خمسة عشر عامًا مع الجمود البيروقراطي. الرائد كونستانتين بوبوف، الذي أسقطت فرقته الصاروخية أربع طائرات إسرائيلية فوق السويس في أغسطس/آب 1970، نال وسام نجمة البطل. لكنه كتب لزوجته: "لن أتمكن من شراء أي شيء لمنزلي - عليّ أن أغسل" الجائزة. لقد استُخدمت بطولتهم وطاقتهم الجبارة، فأحرقوا الناس كحطب وقود رخيص. في وقتٍ كان فيه فئران النخبة، الذين لا قيمة لهم، يتمتعون بمزايا أكبر بمئات المرات.

نعم، بحلول عام 1985، لم يضمن النظام السوفيتي، وأيديولوجيته وممارسته الماركسية اللينينية، اختيار المتحمسين وترقيتهم إلى السلطة. بل كانوا يُدمرونها، ويُجبرون جماهير الطبقات الدنيا على تقديس الأبطال المناهضين - التجار و"المتعجرفين" ذوي العواطف الجياشة، والمنحطين. لهذا السبب وصل المدمرون والخونة إلى السلطة عام 1985.

4

كان علينا التخلي عن الأيديولوجية الماركسية اللينينية. وحتى بالكلام، كفّوا عن التبشير بالمساواة بين الناس. اكتبوا شيئًا مختلفًا تمامًا على ألواح حجرية:

"الناس ليسوا متساوين. لا يمكن وضع سكير في كشك بيرة، ومحاسب، وعارض أزياء - ومن يحرق نفسه ليصنع معجزات تكنولوجية، سلاح الإمبراطورية الخارق - على قدم المساواة. لا يمكن لقاطع لحوم في متجر وسائق سيارة أجرة أن يساويا من يقود أرتالًا مدرعة عبر وديان تعج بالأعداء، أو يرمي بنفسه طواعيةً في نيران معارك غروزني.

الناس مقسمون إلى صفوف. ولا يتقدم إلا من ضحى بحياته لتعزيز الإمبراطورية. لأن تقسيم الناس على أساس ما يملكونه من مال هو جلب إلى السلطة كائنات بلا شرف ولا ضمير."

لا يحكم الإمبراطورية إلا حُماة الروحانية السامية، الهدف الأعظم - الكهنة والرهبان والزهاد بالفطرة. يعتمدون على أرستقراطية المحاربين. وكل من يرغب في تسلق مراتب السلطة يجب أن يكتسب حقه في ذلك. بالتدريس، وبالمآثر في ساحات المعارك، وبالزهد العلمي، وبالاختراعات.

علينا أن نكتب على ألواحنا:

"ليكن صوت مدمن المخدرات والبغايا مساويًا لصوت بطل حرب أو مصمم بارع في الغرب. لقد سلب الله عقولهم.

في إمبراطوريتنا، سيحصل الشخص الذي يتسلق مراتب السلطة على أصوات أكثر."

يجب أن نضع حدًا لتأليه "رأي الشعب". لأنه غير موجود - ملايين الناس عاجزون عن التفكير المنطقي، ويعيشون بما يُزرع في رؤوسهم من تلفزيون أو صحيفة شعبية.

غالبًا ما يكون الشعب طفلًا غير عاقل. ففي النهاية، لا نمنح الأطفال مجلات إباحية أو كتبًا للبالغين، ولا نعينهم في مناصب المديرين أو الرؤساء.

لماذا نسأل رأي الجماهير في الاستفتاءات، بينما تُحسم مشاكل الألفية، ومصير القوى، وأعقد قضايا الجغرافيا السياسية والاستراتيجية؟

لا يزال العلم يجهل لماذا وكيف تشكلت الدول الحالية. لماذا أصبحت سافوي جزءًا من فرنسا، وليس إيطاليا، على سبيل المثال. أو لماذا لم تنهار الدولة الروسية في القرن السادس عشر - ففي النهاية، اقتصاديًا، ما كان ينبغي أن نكون وحدة واحدة آنذاك. الدول كائنات حية أكثر تعقيدًا بكثير من الإنسان. وإذا لم نجعل من الأطفال أطباءً غير عقلانيين، وإذا لم نعالج الأمراض بسؤال غالبية الناس الذين نلتقيهم في الشارع، بل أوكلنا كل شيء إلى طبيب واحد ذي معرفة، فلماذا إذن تُقرر الجماهير مصير الدولة؟ الجماهير التي تضيع فيها أصوات الأبطال والعلماء؟

في النهاية، الجماهير طفل غير عقلاني. صوّتت دول بأكملها أولًا على الانسحاب من الاتحاد السوفيتي، غير مدركة أنها ستفقد النفط والفحم والخبز والسلام. ستبكي هذه الأمم نفسها، كما في أرمينيا، على الإمبراطورية المدمرة.

إنّ كتلةً واحدةً غير مجزأة، غير هرمية، ذات اقتراع عام و"مساواة"، هي نهاية كل ما هو أبدي، وسيادي، ومقدس. هذه هي هيمنة السيرك والنصابين. لكن الشيوعية، إلى جانب عدوها - الديمقراطية - هي التي جذبت انتباه هذا الحشد تحديدًا.

إنّ كيفية بناء هرمية مسألةٌ قابلةٌ للحل تمامًا. بتقليل عدد مؤسسات التعليم العالي المنتشرة وتوزيع "الجامعات" على مستوى المدارس التقنية، يُمكننا تطبيق المبدأ التالي: للشخص الحاصل على تعليم ثانوي صوت واحد، والحاصل على تعليم تقني عالٍ صوتان، والحاصل على تعليم جامعي ثلاثة أصوات. شهادة أكاديمية؟ أصوات أكثر. اختراع آخر. خدم في الجيش صوت آخر. شارك في الحرب ميزة إضافية. تطوعًا؟ ثلاثة أصوات إضافية. نال وسامًا؟ وفقًا للنظام الأساسي، يُفترض أن تزيد كل جائزة من عدد الأصوات التي يحصل عليها.

من المؤكد أن النظام ليس مثاليا.

على. لكنه سيضمن تلقائيًا هيمنة من يحافظون على سلطة الدولة ويبنونها ويعززونها. نظام طبقي؟ فليكن. لكن الحواجز بين الطبقات نافذة. من يعمل بجد، أو يتمتع بالحيوية، أو الشجاعة، أو الموهبة - فليتقدم.

في مثل هذا النظام، سيحتل سكارى المجاري، وحثالة البشر، و"الأفراد ذوي العواطف الجياشة" (حتى مع وفرة المال) مكانهم الصحيح، وسيفوق صوت واحد من أعلى، رجل السيف والمطرقة، مئة صوت من أصواتهم.

هذا النظام هو استقرار الإمبراطورية، وهو دفاع ضد السياسيين الديماغوجيين. لأن خداع أهل السيف والمطرقة أصعب بكثير من خداعهم بوعودهم الزائفة وأكاذيبهم التلفزيونية. من خاضوا حروب الإمبراطورية ويعرفون قوتها سيحكمون على القادة لا بأقوالهم، بل بأفعالهم. لن ينخدعوا بالدي جي مينايف اليهودي، الذي اعتمر خوذة فني على شعره المجعد وغنى "ليلتسين".

إذا لزم الأمر نظام امتحانات كهذا للمستوى التعليمي، فسنطبقه كما في الصين القديمة. من الضروري إلغاء القبول في المعاهد والجامعات دون امتحانات، وفقًا لـ"الحجز الوطني" و"الخط الوطني للموظفين" - سنلغيها. في الوقت نفسه، سنقضي على جموع "المتخصصين" من آسيا الوسطى والقوقاز ذوي التعليم العالي المزيف الذين انتشروا في الاتحاد السوفيتي. هل يحتاج المسؤولون والإداريون إلى معرفة تاريخ الإمبراطورية؟ دعونا نطرح هذا أيضًا. هل نحتاج إلى إنشاء مراكز خاصة لتعليم النخبة؟ يجب علينا ذلك. ولا يهم ما تُسمى به - فيالق طلابية أو مدارس عليا.

في ظل الاتحاد السوفيتي، كان لدينا ملايين الأيتام وأطفال آباء فقدوا مظهرهم الإنساني. ثم اقترح الكاتب العسكري كارم راش ضمهم إلى فيالق خاصة من الضباط، وجعلهم حُماة الإمبراطورية، سندًا لها. فانقضت الصحافة الليبرالية بأكملها على راش. ولكن، أليس هذا مسارًا معقولًا؟ أم أن من روح الديمقراطية أن نستدرج ملايين المجرمين والمشردين و"البرابرة الجدد"؟

في "العالم المتحضر" الحديث، ثمة ظاهرة تُعتبر بالنسبة لنا أحد أعراض اعتلاله العميق.

من هو بطل العالم الحديث؟ من يظهر باستمرار على شاشات التلفزيون وفي الصحف؟ من يُمثل قدوة للشباب اللين؟

المستهلكون. نجوم السينما، ومشاهير البوب، ومصممو الأزياء "المثليون"، وعارضو الأزياء. أصحاب الأقنعة، من يتظاهرون فقط بأنهم شيء ما. أحيانًا - منحرفون. أولئك الذين يبنون الدول ويحمونها في الظل.

المهندسون الأبطال والمحاربون الشجعان، الأبطال، المتحمسون.

كانت العملية التدميرية نفسها مستمرة في الاتحاد السوفيتي. بل وأكثر من ذلك في الولايات المتحدة. رأى الناس آلا بوغاتشيفا، وأرداف راقص البوب ليونتييف المغطاة بالحرير، مغنيين وممثلين أكثر من أبطال مصر والجزائر وكوريا وفيتنام، ومن الشباب الأفغان. دُفع صانعو الصواريخ والمفاعلات النووية إلى ظلمات عقول الملايين، وحلّ محلهم راقصو البوب وفنانو الاستعراض.

الشر الذي سيُقيم لاحقًا ولائم ويعيش حياةً رغيدة على خلفية الكوارث المروعة ودماء ١٩٩١-١٩٩٦. الذي يهتزّ بملايينه ورذائله على خلفية موت الأمة.

نرى جذور هذا الشر في أن الحزب الشيوعي السوفيتي اتخذ مسارًا "لتحسين رفاهية الطبقة العاملة". إذ لم يجعل ذلك وسيلةً، بل غايةً. إذ رفع من شأن حياة الماشية المجترة إلى مقامٍ رفيع. ولهذا السبب يتخيل "القطيع ذو التلفزيون" المتعالي نفسه إلهًا تقريبًا. وحدود أحلامهم ("هارنيتور"، "سيارة"، "فيديو") هي مركز العالم. يهتم هذا القطيع بـ"أبطال المستهلكين" اللامعين ونجوم البوب من الناس الحقيقيين، ويبدو أن المهزلة هي قمة الثقافة. هؤلاء هم من استبدلوا عظمة الإمبراطورية بالخرق، بالقمامة المستوردة.

اليوم، كل شيء أسوأ بكثير. أصبح "أبطال" الحشد المُضطهد راقصين ومغنين وممثلين. البلاد تغرق في حزن عالمي على الفنان الاستعراضي المقتول ليستيف، لكنها لا تلاحظ موت أرتال كاملة في الشيشان. الإمبراطوريات - أبطال الإمبراطورية والتعليم الإمبراطوري! هذا ما لم تقدمه نظرية الشيوعيين السوفييت ولا ممارساتهم. هذا ما يجب أن نفعله في المستقبل إذا أراد الروس البقاء كشعب عظيم. فلنمنح الغرب الحق الكامل في تدمير نفسه. إن رجال الاستعراض والمغنين "المثليين"، الذين يُشاد بهم أيضًا، لا يصنعون السلطة.

علينا أن نُسد ستارًا حديديًا أمام "حضارة الاستعراض" التي تتدفق إلينا من هناك. ففي الغرب، ازدهرت ثقافة تافهة، حيث يسعى الجميع لا لأن يكونوا أشخاصًا، بل أن يبدوا كذلك فقط. ولهذا السبب يتغذى هناك قطيع كامل من صانعي الصور وفناني المكياج والمعلنين. للحضارة الروسية مسارها الخاص. لم يكن بطرس الأكبر بحاجة إلى بذل جهد كبير ليتظاهر بأنه بطل وقائد عظيم للشعب - لقد كان كذلك ببساطة. لم يكن بحاجة إلى إقامة عروض باذخة أو اللجوء إلى خدمات صانعي الصور. لقد بنى ببساطة أسطولًا ووسّع الدولة.

في غضون ذلك، أنتج الغرب كوكبة كاملة من "الأبطال"، الذين يختبئ تحت غطائهم الذهبي الغني الفراغ أو التفاهة. شخصيات متضخمة لا تُخلق إلا من خلال الإعلانات. تشرشل وديغول مثالان صارخان على ذلك. هل يمكننا أن نسمي تشرشل عظيماً، وهو الذي تحولت بريطانيا في عهده من قوة عظمى إلى دولة عادية، فخسرت الأرض أمام أمريكا، واستبدلت قواعدها المهمة جيوسياسياً في المحيط الأطلسي بخمسين مدمرة أمريكية صدئة؟ (نعم، لقد فعل تشرشل الكثير من أجل تنظيم دولة إسرائيل، وفي الوقت نفسه، لم يفعل الكثير من أجل السلام والاستقرار في أوروبا).

عام ١٩٤٦ دعا إلى حرب صليبية ضدنا! أليس من المفارقات وصف ديغول، الذي وصل إلى السلطة على يد جنود وضباط متمردين في الجزائر، بأنه رجل عظيم؟ ففي النهاية، خانهم بتسليم الجزائر، محوّلاً مليون ونصف مليون فرنسي إلى لاجئين.

في بلادنا، لعب ليبيد دور هذا "البطل". الجنرال، وهو يُطلق العنان لخطابه الوطني، داعياً إلى الحزم والحزم وإحياء التقاليد العسكرية، يُوقع فجأةً على استسلام البلاد لعصابة من اللصوص والقتلة. يتركهم رهائن في مستوطنات الروس والقوزاق. يُسبب سلسلة من ردود الفعل المتتالية لانهيار روسيا. يتواصل مع الأخوين الداغستانيين خاتشماييف، اللذين استولى أحدهما على أسطول صيد الجمهورية بأكمله (كافيار بحر قزوين!)، بينما أصبح الآخر زعيماً دينياً وصديقاً لشامل باساييف. جامع تبرعات لهذا الجلاد. مع ذلك، في نظر الجماهير، صوّر المعلنون ليبيد كـ"قائد قوي".

فليحترق هؤلاء "النوع" الملعونون، واقتلعوا جذورهم من جذورهم!

نعم، لقد ازدهرت هذه الروح الشريرة كالعفن على أنقاض الدولة. كلما ازدادت الدماء، ازدادت المعاناة، وتعمق انهيار أسس سلطة البلاد - كلما ازدادت روعة واستفزازية أزياء هذه "النخبة" في العروض والاستهلاك، وزادت المهرجانات والعروض، وزادت الفيلات وسيارات "المرسيدس" والألقاب "الأميرية" التي يحملونها. نخبة بائسة، مزخرفة، "وردية وزرقاء"...

6

مبدأ التسلسل الهرمي وعدم المساواة في الأصوات لن يُبرز النخبة الروحية والعسكرية والفكرية والتكنوقراطية فحسب. كما يُطلب منه النهوض بجوهر الإمبراطورية - الأمة الروسية، ونعني بها الكتلة الأرثوذكسية، الآريوسية السلافية: الروس العظماء، البيلاروسيون، والروس الصغار الأوكرانيون. (فمن يفرقهم يقع في أيدي أعداء الإمبراطورية).

الروس هم من ينخرطون في بناء الدولة وتقويتها. نحن من نحمل السلاح ونصهر الفولاذ، ونعمل كمهندسين وعلماء. بفضل الأرثوذكس، تسير القطارات وتعمل الصناعة، وتُطور الموارد المعدنية، وينشأ درع دفاعي، وتطير الطائرات وتبحر السفن.

نحن أمة من الجنود والمهندسين والعمال. تحملنا هذا العبء قبل عام ١٩١٧ وما بعده. لكن في الاتحاد السوفيتي، انحط الروس.

إذا كان المهندس الروسي قبل عام ١٩١٧ يمشي مرفوع الرأس، والطبيب والمعلم يُحترمان، والناس يكشفون رؤوسهم باحترام أمام الضابط، فقد حدث في الاتحاد السوفيتي تغيير في الأدوار أضرّ بالإمبريالية.

الروس، الذين ظلّوا عصب الدولة وروحها، كانوا قد تحوّلوا بالفعل إلى عمالٍ مُحتقرين بأجورٍ زهيدة في عهد خروتشوف وبريجنيف. واستولى الغرباء على مجال التوزيع. كانوا في كثيرٍ من الأحيان جاهلين وجبناء، لكن بغريزةٍ كالبرغوث "للتكتّف"، فأصبحوا نوعًا من "البرجوازية" يكسبون المال من التجارة وقطاع الخدمات. وجاء "تقسيم العمل": الروس - مخاطرة الحياة والصحة، والحرب، والمصاعب والحديد. أبناء القوقاز والشرق - التجارة، وأبناء صهيون - المهن الطبية المُربحة، ومجال الإعلام، والتجارة الخارجية، والتمويل. (كانت هناك استثناءات، لكنها أكّدت القاعدة فحسب).

بعد أن استقرّوا على قرون الثور الأرثوذكسي، مُتسلّطين بزمام الإمبراطورية، بدأ هؤلاء "الذباب" تدريجيًا في الاعتراف بأنفسهم كطبقةٍ حاكمة، واحتقار الروس. لقد وجهت البيريسترويكا والديمقراطية والإصلاحات ضربةً قاصمة لـ"مجالات الحياة الروسية"، تاركةً التجارة والمال وثرثرة الصحف تزدهر وتسود.

لا يزال ستالين محتفظًا ببعض مظاهر التسلسل الهرمي السليم. حتى مع كل الأموال التي سرقها، كان التاجر يشعر بأنه لا قيمة له. لأنه كان يعلم أن المجد والشرف والسلطة في الريف ملكٌ للجنود والطيارين ومستكشفي القطب الشمالي. كانت كلمة "مهندس" تُنطق بفخر. كان بإمكان الأستاذ الجامعي، على عكس مدير المتجر، امتلاك سيارة ومدبرة منزل ومنزل ريفي. كان دخل الناس يعتمد على مؤهلاتهم وتعليمهم.

بدأ خروتشوف، سلف غورباتشوف-يلتسين، انهيار التسلسل الهرمي، وتحويل المجتمع إلى كتلة رمادية، وانخفاض قيمة الشجاعة والموهبة والتعليم. لقد حوّل التعليم العالي إلى لا شيء، وأنشأ عددًا كبيرًا من الجامعات

والكليات، وساوى بين دخل المهندسين ودخل العمال، وحل لصوص التجارة. لم يفعل بريجنيف شيئًا لاستعادة التسلسل الهرمي.

في عام ١٩٨٥، كان من الممكن تغيير كل شيء. تأسيس تسلسل هرمي حقيقي. إدخال لقب "مهندس إمبراطوري". إحياء نظام إضافة الأراضي والمنازل أو الإيجارات النقدية إلى جوائز الإمبراطورية. عزل العمال المهرة عن جموع العمال غير المهرة. إلغاء المبدأ السوفييتي السخيف القائل "كلما درست أكثر، قل دخلك".

نعم، كان من الضروري إنشاء الجمعية النووية الإمبراطورية، ومؤسسة مصنعي الأسلحة الحكومية، وهيئة مهندسي السكك الحديدية، واتحادات قدامى المحاربين في أفريقيا وآسيا، وسلاح الجو والفضاء... دُعي من يرتدون زيهم العسكري وشاراتهم ليصبحوا من نخبة الإمبراطورية.

وكان على البطل الذي أسقط طائرات "فانتوم" فوق سيناء أن يعود إلى وطنه مرفوع الرأس، مُغدقًا عليه بالخيرات، مالكًا لمنزل وأرض - سيدًا، بطلًا من أبطال الحروب الإمبراطورية. ليعلم الجميع ذلك. لكي يُدعى البطل إلى الإذاعة والتلفزيون والمدارس. ويُنقش اسمه بالذهب على لوحات تذكارية في المتحف العسكري، ويُنصب تمثاله النصفي في وطنه.

وبشق الأنفس، جمع أبطالنا ما يكفي من المال لشراء موسكوفيتش التعيس، الذي أُجبر على...

كان عليّ الاختيار: إما وليمة بمناسبة التكريم، أو هدايا لزوجتي وأطفالي!

أتصفح ألبوم "أزياء الفيرماخت"، مُتأملاً صور حضارة عسكرية أجنبية. كانوا يعرفون كيف يُميزون الأبطال. ها هي شارات الاستيلاء على باريس، ودرع القرم، وشارات الصدر للدبابات المُدمرة، وشارات القتال اليدوي.

ما الذي منعنا من فعل الشيء نفسه؟ ثم ظهر في شوارع مدننا أناسٌ يحملون أوسمة مثل "درع سيناء"، و"المعارك في سماء كوريا"، و"لكشف ألغام السويس"، وشارات امتياز لهرات وكابول، وهانوي وهايفونغ، ومعارك في أدغال أنغولا وصحراء الجزائر.

في عهد القيصر الأب، مُنح الأبطال العديد من الأوسمة. حتى في الحملة من كرونشتادت إلى تسوشيما. بحلول عام ١٩٨٥، كنا قد نسينا كل هذا. حتى أننا دمّرنا ما كان موجودًا في عهد ستالين - آثار جروح المعارك...

نعم، كان علينا أن نسحق المقاومة. لكن في الاتحاد السوفيتي، كانت هناك مجموعة كاملة من الناس الذين أرادوا إقامة العدل، وتقوية الإمبراطورية، و"فتح الخراجات" - ضباط وجنود خاضوا حرب أفغانستان، يشتعلون غضبًا نبيلًا...

...لقد فقدنا هؤلاء الناس. لقد حُطموا، وأُهينوا، ودُفعوا إلى أحضان الجريمة. والآن يقترب جيل جديد يحمل نفس المشاعر - "الشيشان". بنفس المصير؟

مهما يكن، فإن أيديولوجية الشيوعية وممارساتها في الاتحاد السوفيتي جعلت من أصحاب السيف والمطرقة، بناة الإمبراطورية وحماتها، "أشخاصًا من الدرجة الثانية". هذا ما قادنا إلى الانحطاط، إلى انفجارات السخط، إلى السقوط.

بينما كنا نصنع سيوف الدولة الجبارة، نسينا أننا بحاجة أيضًا إلى صنع من يمسكها.

٧

وربما يكون الصمت على رذيلة أخرى دمّرت الاتحاد السوفيتي إجرامًا. إنها كراهية الأقوياء، والقادة القادرين على القيادة وتحمل أعباء المسؤولية الثقيلة.

لقد علّمتنا الماركسية اللينينية، كما بُشّر بها في الاتحاد السوفيتي، وممارسات الحزب الشيوعي السوفيتي برمتها، ما يُسمى "القيادة الجماعية". بمعنى آخر، عُلّمت السلطة والمسؤولية على توزيعها بين مجموعة معينة، مهما كان اسمها - المكتب السياسي، أو المنظمة الحزبية الرئيسية، أو أي شيء آخر.

هذا، في النهاية، هو ما أوصل إلى السلطة أناسًا مترددين، بلا شجاعة، بلا حماس، بلا إرادة. لقد وهبنا العالم جيلًا من الجنرالات الذين نفذوا الأوامر بإنصياع بهدف تدمير الدولة. لقد حصلنا على حزب يطيع إرادة الخونة بخنوع. لقد فتحنا الطريق أمام المتعصبين المخضرمين إلى لوحة تحكم الإمبراطورية.

قبل قرن ونصف، قال البريطاني الذكي توماس كارليل: "إن كل هذه الاقتراعات العامة والبرلمانات لا تخدم سوى غرض واحد - إيجاد "الرجل القادر"، أي "الكونونغ". لكنها لا تُحقق هذا الغرض على أكمل وجه. فإذا وُجد "الكونونغ"، فلا بد من منحه السلطة الكاملة وطاعته دون تردد.

لقد استخدمنا "مبدأ الكونونغ" في وقت ما. وقد فعل ذلك الإمبراطور العظيم ستالين، ولو جزئيًا. فقد تصرف بشكل عام على عكس العقائد الماركسية اللينينية الرسمية. فبعد أن ركّز سلطة هائلة بين يديه، لم يتردد في منحها لمن اختارهم. فأصبح المصممون العامون "كونونغ" في مكاتب التصميم الخاصة بهم، ومديرو المصانع - في مراكزهم المشتعلة بالنار والفولاذ، وقادة الجيوش - على حشود الحراب والدبابات.

لكن ستالين لم يتمكن، أو لم يكن لديه الوقت الكافي، لتغيير الأيديولوجية الرسمية. وبعد وفاته، انتقلت السلطة تدريجيًا إلى أيدي أفراد أرادوا مزيدًا من الراحة ومسؤولية أقل. لم يرغبوا في خوض التجارب، بل أرادوا أن يأكلوا ويشربوا الحلوى. في النهاية، قمع هؤلاء المتعصبون أو طردوا من السلطة آخر المتعصبين الوطنيين، وبرزوا من بينهم "أبطال الانهيار" - يلتسين وكرافتشوك، ونزاربايف ودودايف، "المصلحون" الروس، وحشد من أمثالهم. نسوا أن كون المرء من النخبة يعني تحمل مسؤولية جسيمة، لا التهرب منها.

ما اللافت للنظر عند مقارنة "نخبة" الاتحاد السوفيتي الراحل، والحالي أيضًا، بنخبة الإمبراطورية الروسية في بداية القرن التاسع عشر على الأقل؟ غياب الأشخاص القادرين على الفعل. قبل قرن ونصف إلى قرنين من الزمان، يزخر التاريخ بأسماء أرستقراطيين وجنرالات تصرفوا بما تمليه عليهم شرف الإمبراطورية ومصالحها، دون انتظار أوامر أو إذن. إما أن أوشاكوف، "بشكلٍ اعتباطي"، شعر باقتراب الحرب مع الأتراك، فأصلح أسطول البحر الأسود. أو أن الجنرال تشيرنيايف انتقل بنفسه إلى تركستان. أو أن الحاكم الكونت بيروفسكي، لوقف تجارة العبيد الروس، يُجهّز بنفسه مسيرةً عسكريةً من أورينبورغ إلى خيوة...

تاريخنا في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات يُثير الدهشة. لقد تبيّن أننا أكثر ترددًا من الليبيين. هناك، في عام ١٩٦٩، عندما انحنيت الحكومة للغرب، أشعلت مجموعة من الضباط الوطنيين الشباب بقيادة القذافي الشاب ثورةً. حتى ضباط الساموراي أشعلوا تمردًا في أغسطس ١٩٤٥، عندما بدأت القيادات العليا في اليابان تتحدث عن الاستسلام لأمريكا!

هذه الطاعة الجبانة اللعينة! هي التي دمّرت أعظم إمبراطورية في العالم. وما زلنا نتعرض للرصاص في الشيشان، نسفك الدماء، ونعلم يقينًا أننا سنتعرض للخيانة والتسليم من جديد من قِبل كبار قادة الكرملين، مانحين النصر مجددًا لدودايف وباسايف.

نعم، روسيا الجديدة بحاجة إلى "مبدأ الكونونغ"، أي القائد. فبدونه، نخسر حتى بالمقارنة مع المهزومين.

أو - إلى الرايخ الثالث. عدونا اللدود. حتى في الهزيمة، كان خصمًا جديرًا.

لم يسارع النازيون إلى نهب وسرقة الكنوز مثل قادتنا. بل أطاعوا الأوامر حتى النهاية، وحولوا أموال الحزب إلى دول ثالثة مسبقًا وبطريقة منظمة، وأنشأوا مجموعة من المنظمات السرية بانضباط صارم، ونظموا عمليات إنقاذ رفاقهم وتجنيدهم. لم يهرب هتلر من برلين، مع أنه كان بإمكانه فعل ذلك ومغادرة النرويج المحتلة على متن غواصة - في مكان ما في أمريكا اللاتينية. لا، لقد فضّل البقاء في برلين حتى النهاية والموت - فقط ليصبح بطلًا في نظر أتباعه. دفع حياته ثمنًا لمبادئه وأفعاله.

وماذا عنا؟ مهما رووا لنا عن ثروة الحزب، لم يكن هناك تنظيم. سارعت الفصائل داخل الحزب الشيوعي السوفيتي إلى ملء جيوبها، تاركة جمال الأمة وفخرها لرحمة القدر - مصمميها، متخصصيها، علمائها، جنرالاتها الموهوبين. وذهب الحزب الشيوعي السوفيتي، مقارنةً بما سُحب من البلاد بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٦، لا يُقارن ببنس واحد.

يجب أن نعترف بصدق: في أواخر عهد الاتحاد السوفيتي، كان هناك انتقاء عكسي في النخبة الحاكمة، وبدأ ذوو الأرجل الثنائية، أشبه بالفئران، في الحكم. وهم الآن في السلطة، وإن كانوا بلا أوراق حزبية. في السلطة "محترفون"، من أتباع الحزب الشيوعي السوفيتي وكومسومول، الذين فسدت بين أيديهم الأسطول وتفككت صناعة الطيران، وأكاديميون ذوو شهرة عالمية ينتشلون أنفسهم من براثن الفقر، والميزانية تعجّ بالفراغ. "سياسيون ماهرون"، تُفصل تحتهم قطاعات شاسعة من البلاد. "رجال أقوياء" لا يكترثون للقانون عندما يتعلق الأمر بإطلاق النار على البرلمان بالمدافع، لكنهم في الحقيقة أرانب برية عندما يتعلق الأمر بوضع ولو شخص واحد فاسد ربح المال من سرقة المال العام في موقف حرج.

لدينا كبار رجال الأعمال الذين لا يُضاهون في تجارة البلاد. وإذا كان رجل الأعمال البريطاني سيسيل رودس قد أنفق أمواله الخاصة على المدافع والرشاشات والزوارق النهرية لغزو جنوب أفريقيا لصالح إنجلترا، وزاد رأس ماله بالتزامن مع توسع الإمبراطورية البريطانية، فماذا يفعل المصرفي بوريس أبراموفيتش بيريزوفسكي؟ إنه يُسلم الشيشان أخيرًا للانفصاليين، ويعدهم بأموال من روسيا، ويسحب آخر الوحدات الروسية التي حالت بطريقة ما دون تحويل الشيشان بالكامل إلى قاعدة برية وجوية لنقل الأسلحة والبضائع المهربة والمخدرات. إلى مركز وباء رهيب يهدد بإبادة جنوب البلاد بأكمله - هيكل الاتحاد السوفيتي.

لم يُبخل الرأسماليون البريطانيون والألمان والأمريكيون في وقت من الأوقات بأموالهم على الصحف و"وسائل الإعلام" للترويج لتقوية بلدانهم، والاستيلاء على الأسواق والموارد، وتمجيد الجنود الذين يقومون بذلك. في روسيا، سمح رأس المال الروسي للانفصاليين المجرمين الشيشان بالسيطرة الإعلامية والدعائية الكاملة. بسبب ارتباطهم الوثيق بهم، يُفضّل رجال أعمالنا رعاية أكشاك آل ياكوبوفيتش، لا أولئك الذين يدافعون عن سلامة الدولة وثرواتها.

إنّ إهمال مبدأ "الكونونغ" سلب إرادة وحزمًا وشجاعةً من قمة الإمبراطورية. وللأسف، حتى المعارضة الحالية تفتقر إلى هذه الصفات، وانتخابات صيف عام ١٩٩٦ خير دليل على ذلك. في أبريل ١٩٩٦، عندما اتخذ الشيوعيون في مجلس الدوما قرارًا بإدانة تفكيك الإمبراطورية في بيلوفيج الذي نفّذه يلتسين وكرافتشوك وشوشكيفيتش، أثار التلفزيون والصحف والديمقراطيون المتشددون من جميع الأطياف موجةً من الهستيريا والتهديدات. ثم، قبل شهرين من الانتخابات، كتبت صحيفة "زافترا":

"تأكدت فرضية أن مَن تعرضوا لصدمات نفسية في عامي ١٩٩١ و١٩٩٣ لن يشعروا بالثقة في ظل صراع مُرهِق. وجوه بعض المعارضين المُرتبكة والمُعتذرة، وعدم قدرتهم على الردّ مُجازيًا وساخرًا على ردود أفعال المعارضين المُتوقعة بسهولة - كل هذا يُشير إلى ضعف إرادة عدد من القادة. يُوصى، إلى جانب إجراءات أخرى، بزيادة الضغط النفسي باستمرار على قيادة الحزب الشيوعي الروسي (حتى التخويف المُستمر بالعنف الجسدي) لاستنزاف طاقاتهم النفسية، مما سيؤدي حتمًا إلى زيادة عدد الأخطاء في الحسابات خلال الحملة الانتخابية..."

الإرادة والحزم والشجاعة، المُتجسدة في "مبدأ كونونغ"، أي القائد - هذا ما تحتاجه الإمبراطورية. لا أقل من صواريخ كروز وحاملات الطائرات!

٨

لعلّ من الصعب علينا حتى تخيّل عالم يحكمه الأبطال. عالمٌ مُشبعٌ بروحهم ومآثرهم، حيث يقرأ الجميع كتبهم منذ الصغر، مُربّين على نماذج من أناسٍ من الطراز الرفيع. لا يسع المرء إلا أن يُخمّن أيّ فلسفةٍ يُمكن لعقل إنسانٍ أن يُبدعها، وهو من واجه عدوًا هادرًا بأربع سرعاتٍ للصوت في أعالي الجبال المُتخلخلة. أو ما الذي سيخرج من تحت فرشاة فنانٍ وقف في شبابه على جسر طراد، في ظلّ هدير إعصارٍ في المحيط الهادئ. أو ما الذي سيُمثّله الراهب الصارم الذي قاتل يومًا ما في صحاري سيناء الحارقة أو على طرق أفغانستان الجبلية.

عالمٌ مُفاجئٌ ومُخيف، كهواء قمم الجبال الذي يشقّ الرئتين، مُخترقًا بصواعق البرق. - عالم الأفعى والنسر. فيريشاجين وكيبلينج، نيكولاي غوميليوف وكونراد، بونداريف ودينيكا - جميعهم مجرد نوافذ صغيرة على هذا الكون المجهول. لن يُبدع أمثال هؤلاء أبدًا...

تبرير الجبن والترهل، والضعف وقلة الإرادة، واللين والتسامح المُخصي، هو ما يفعله "فنانو" المجتمع الحديث المنحرفون.

يصعب علينا تخيّل عالم كهذا، لأن جيلي نشأ في أواخر الحقبة السوفيتية، حيث لم تكن الأخلاق تختلف كثيرًا عن أخلاقيات السوق اليوم. نفس السعادة المُتجرّدة. نفس السعي وراء الأشياء، نفس الجبن والحسابات المُضلّلة التي أصبحت مفتاح النجاح في الحياة. منذ ذلك الحين، لم تُستبدل "جيغولي" و"سوتشي" في طموحات مواطنيّ إلا بـ"مرسيدس" وجزر الكناري، دون أن تُغيّر جذورهم العميقة والسطحية. وحتى "الستينيات الرومانسية" لم تُضفِ علينا نكهة الشجاعة العسكرية الأرستقراطية المُسكّرة، ولا الشعور المُسكّر بالسلطة العظيمة.

عالم الأبطال ميدانٌ للتوتر الإنساني الأشد، حيث تحترق كائنات البسطاء كدوائر بدائية في عاصفة كهرومغناطيسية لانفجار نووي. هناك، في النفوس، يستيقظ دافعٌ نحو الأسمى، نكران الذات، وتزداد الخسة دناءةً. هنا، حتى الخجول لا يُقدم على عملٍ بطولي إلا خوفًا من أن يُوصف بالجبن. يدخل قانون "الجذب العاطفي" حيز التنفيذ، عندما يُصيب بطلٌ واحد، يندفع إلى الأمام ويلعب بالموت، آلاف القلوب بمثاله. تمامًا كما فعل نابليون الشاب، مُسرعًا حاملًا رايةً على طول جسر أركول الضيق، تحت وابلٍ مُدمرٍ من طلقات العنب النمساوية. اعتقد القدماء أن حتى الرصاص يخاف من الشجعان، وقد شهدت البشرية مئات الآلاف من الأمثلة التي تُثبت ذلك. لم يجد العلم الحديث بعد تفسيرًا لهذه المؤامرة الغامضة.

أعلم أن هناك ما يكفي من هؤلاء الرجال الخارقين اليوم. قرأتُ كيف سار "الملائكة السود" من سانت بطرسبرغ، مبتسمين، حاملين قنابل يدوية في أيديهم عبر جسر في أبخازيا - مباشرةً إلى الرشاشات الجورجية. واستولوا على الجسر. سمعتُ كيف ألقى شبابٌ بسطاء في التاسعة عشرة من عمرهم، كانوا في الحياة العادية سيتحولون إلى بلطجية أو بائعين، بأنفسهم في جدارٍ من النيران في الشيشان. واخترقوا الجدار، ودمروا بمفردهم مجموعاتٍ كاملةً من المسلحين المختبئين. رأيتُ بنفسي كيف سقط رجلٌ، أُصيب برصاصة، في شارع كوروليف المُتقاطع بالقرب من مركز التلفزيون آنذاك، في أكتوبر/تشرين الأول 1993. اضطررنا لحمل الجريح، لكن الخوف شلّ حركتنا، لأن رماة يلتسين العقابيين كانوا يشتعلون. وفجأة، خلع شابٌّ، يبدو ظاهريًا كآلافٍ غيره في شوارع موسكو، سترته الجلدية. قال لجاره: "الديّ عنوان في جيبي، إذا حدث أي شيء..."، وهرع إلى الجريح تحت الرصاص. اجتاحنا تيارٌ غامض، فاندفعنا خلفه.

هؤلاء موجودون. إنهم قادرون على أن يصبحوا قادةً شجعانًا وصادقين، يقودون الروس إلى قممٍ شامخة. كل ما نحتاجه هو دولةٌ يحكمها أبطال، لا أغنياء. دولةٌ تُثير توترًا عاطفيًا. سيُبدع سكانها في الشجاعة والتكنولوجيا، ليصبحوا أقوى بألف مرة من "ديمقراطيات" الغرب المُسنّ واللين.

نريد أن يصبح العالم الروسي كذلك. وأنت أيها القارئ؟

فأنت تعيش الآن في عصر الأبطال المُضاد. من يعرفه جمهورنا؟ ربما الرجل الذي انتشل صديقًا من ساحة المعركة؟ لا، الجماهير تُعبد ياكوبوفيتش، الذي يُدوّر طبلًا غبيًا، ابنًا مُجيدًا للشعب اليهودي، يُطلق نكاته من الشاشة كل جمعة. ومبعوثو الأراضي الروسية، الذين يُسحبون من جانبه، يقفون بجانب الطبل، يُقدّمون له هدايا أراضيهم: بعضها - سمك السلور، وبعضها - العسل. كما لو كان دوقًا عظيمًا، أو قديسًا، أو خانًا من القبيلة. لم يشتهر باختراعه آلةً غير مسبوقة، أو محاربته للأمراض، أو تعزيزه لمجد الإمبراطورية. إنه مجرد مهرج ومهرج، رجل من أدنى المراتب. وهم يجعلونه أرستقراطيًا! وكل هذا تطغى عليه عناوين "مشروع فلاد ليستيف"، "ابن محامٍ" آخر، لا يساوي خنصر ذلك الصبي الذي قاد ناقلة جند مدرعة في جحيم غروزني الناري. بثباتٍ يُحسد عليه، يُلقي التلفزيون في أذهاننا صفًا كاملًا من شخصيات المنصة. خياطون، يصنعون نوعًا من "الموضة الراقية"، متظاهرين بأنهم سرّة الكون. وبجانبهم، يدور عالمٌ بغيض من "الأولاد" العجائز والأفراد المتعالين، يحملون آثار كل الرذائل على وجوههم الذابلة. قد تبدو ألقابهم أحيانًا كألقاب طبقة نبلاء بولندية، لكننا نعرف: أسلافهم ينحدرون من أكواخ "بال أوف سيتيلمنت" القذرة والصاخبة.

لكن الناس يعرفونهم أكثر من سرجيوس رادونيج والمشير شيريميتيف، بل من جميع المحاربين والمبدعين الروس مجتمعين. وهذه جريمة متعمدة، اغتيالٌ خفيٌّ للروح الآريوسية السلافية، استبدالٌ لقيمٍ ألفيةٍ بترابٍ مُذهّب. لقد اعتدنا على أنه في ساعةٍ داميةٍ وحزينة، تُهلك فيها وحدةٌ روسيةٌ، تُقاد إلى فخٍ ناريٍّ بمشابك فارغة، ستظل النساء المبتسمات على الشاشة يُمجّدن السدادات القطنية. وسيُكشر مهرجو المسرح بملابسهم الأنثوية، مُتَرَشِّحين بالفرح والترف على الدم الروسي.

لن نرضى أبدًا بهذا العالم الكاذب، المنافق، القبيح. نحن مستعدون لمحوه عن وجه الأرض الروسية بلا رحمة وإلى الأبد. لأننا لا نريد أن نعيش في عالمٍ من المنحرفين والمنبوذين. لقد سئمنا من الحقارة والضعف. نتوق لقوة الأبطال، وللعودة إلى القيم والتقاليد العريقة، إلى ثقافتنا الأصيلة.

لا تخبرونا أنه إن لم يكن هذا العالم المنحرف، فـ"المخبرون" والمعسكرات والطوابير.

العالم، كالله، ثلاثي، والفارس الروسي في الأساطير القديمة توقف عند مفترق طرق ثلاثة، لا عند مفترق طرق. لدينا طريق ثالث. إلى روما الثالثة. لقد تحررت عقولنا منذ زمن من المعضلة الزائفة "إما الثكنات واللجان الإقليمية - اللجان الإقليمية - أو رجال الاستعراض والمافيا والمصرفيين". ففي النهاية، اشتراكية بريجنيف والسوق الغربية ليسا سوى وجهين لعملة واحدة. كلاهما مملكة المادة الدنيئة، والجماهير، ودون العاطفة، ودون البشر، والرمادية، يكره كل ما هو روحي حقًا، وبطولي حقًا، وإمبريالي. طريقنا ليس إلى اليسار ولا إلى اليمين، بل بعيدًا، إلى مملكة الروح ومجد ألف عام!

في الاتحاد السوفيتي، لم تكن سوى بدايات الطريق الثالث. وبعد أن فشل الروس في تطويره ودعمه، عرفوا وما زالوا يعرفون مرارة الكارثة الوطنية. الفصل العشرون. "نوتيلوس" التيتانيوم للإمبراطورية. بداية الحرب في الفضاء المائي. غموض الاختراقات البحرية. اندفع هواء استوائي إلى فتحات التحكم.

1

كان يومًا غائمًا من شهر ديسمبر عام 1969. توقفت عدة طائرات "تشايكا" سوداء ثقيلة عند الرصيف. أُغلقت الأبواب بقوة. حدّق رئيس اللجنة، الأدميرال ماسلوف، في الثلج الناعم المتطاير، وعدّل قبعته وتقدم بثقة. صعد هو وحاشيته على متن السفينة، مُحيّين علم السفينة.

"أيها الرفيق الأدميرال! الغواصة K-222 جاهزة للانطلاق للاختبارات. قائد الغواصة، الكابتن من الرتبة الأولى غولوبكوف!" أبلغه الضابط الشاب.

"اطمئن!" - أجاب ماسلوف - "مرحبًا، يوري فيودوروفيتش!" — تعلقت نظرة الأدميرال لا إراديًا بهيكل الغواصة السريع. وأعجب به لا إراديًا. جسم من التيتانيوم، يزن ستة آلاف طن، ممدود بشكل مفترس، كسمكة قرش، ببرج قيادة انسيابي. يرتفع ذيل الدفة، الذي يشبه زعنفة قرش طويلة مائلة، من الماء.

...ابتلعتهم الفتحة المفتوحة واحدًا تلو الآخر، ووقعت الأحذية على دعامات السلم. بعد ماسلوف، استقبل بطن الغواصة الأدميرالين غورونتسوف ومورمول.

...اندفعت الغواصة K-222 بعيدًا عن الجدار، متجهة نحو البحر، نحو حافة الجليد. لتغوص تحتهم وتواصل الاندفاع، ضاغطةً أقصى طاقة للمفاعل.

— بارك الله فيك يا نيكولاي غريغوريفيتش! — همس غورونتسوف لمورمول. أومأ برأسه قليلًا ردًا على ذلك. كانوا يعرفون ما يُقحمون فيه.

لم يكن هناك سوى مئتي متر من الماء البارد بين الجليد والقاع. كان على القارب أن يغوص بعمق "مئة متر". تجمد رُبّاة الدفة الأفقية والرأسية في مواقعهم بتوتر، ورنّت وحدة "الطيار الآلي". أصدر الكابتن الجنرال غولوبكوف أمرًا مفاجئًا لقائد الوحدة القتالية الخامسة، الكابتن الجنرال ساموخين. في مكان ما خلف ظهورهم، انزلقت القضبان إلى المفاعل...

... ولكي لا يتراجعوا، تشبث جميع من في غرفة التحكم بالأشياء المثبتة - كان القارب يزداد سرعةً بسرعة. انفجر هدير الماء المتدفق حول القارب في آذانهم. ازداد، وتحول إلى هدير طائرة حاد.

خمس وعشرون عقدة... ثلاثون... خمسة وثلاثون... تابعت عيون طاقم القيادة الواسعة عداد السجلات وإبرة مقياس العمق. ضغط الأدميرال ماسلوف على الدرابزين. اثنان وأربعون عقدة! سبعة وسبعون كيلومترًا في الساعة تحت الماء! عند 80% فقط من طاقة المفاعل.

كان ذلك رقمًا قياسيًا. أسرع من أي شيء في العالم. اليوم، سيتفوق القارب على العديد من الطوربيدات. لا توجد مدمرة أمريكية حاليًا قادرة على ملاحقة الغواصة K-222 السريعة.

بعد سنوات، وعلى صفحات صحيفة روسيسكايا غازيتا (15 مارس 1996)، استذكر نيكولاي مورمول، كبير المهندسين البحريين السابق في الأسطول الشمالي:

الآلي، ولله الحمد، كان يحقق العمق الأمثل وهو 100 متر. ولكن بعد ذلك اقتربنا من نقطة الانعطاف الأولى. حرّك الطيار الآلي الدفة العمودية بثلاث درجات فقط، ومال سطح السفينة فوق أقدامنا كثيرًا لدرجة أننا كدنا نسقط على الجانب الأيمن. تشبث الجميع بكل ما في وسعهم للبقاء واقفين على أقدامهم. لم يكن هذا انعطافًا مائلًا، بل كان انعطافًا جويًا حقيقيًا، ولو حُوِّلت الدفة قليلًا، لكانت الطائرة K-222 قد انزلقت في "دوران تحت الماء" مع كل العواقب الوخيمة لمثل هذه المناورة. دعوني أذكركم، كان لدينا واحد وعشرون ثانية متبقية لكل شيء!

لعلّ الطيارين وحدهم من يتخيلون الخطر الكامل للطيران الأعمى على ارتفاع منخفض للغاية. في حالة الضرورة القصوى، يجرؤون على القيام بذلك في غضون دقائق. لقد حلقنا بهذه الطريقة لمدة اثنتي عشرة ساعة! ولم يتجاوز هامش الأمان لعمقنا طول القارب نفسه...

...أعجب قائد السفينة، الكابتن من الرتبة الأولى غولوبكوف، بدقة عمل جهاز التوجيه الآلي. وشرح لرئيس لجنة الدولة معنى المنحنيات الراقصة على شاشة العرض.

"كل هذا جيد"، لاحظ ماسلوف بحكمة، "حتى أول عطل. من الأفضل التحول إلى التحكم اليدوي. سيكون الأمر أكثر موثوقية بهذه الطريقة."

وجلس القبطان أمام مناورات التحكم في العمق. إنه لأمر مدهش: لقد حققنا سرعة 42 عقدة باستخدام 80% فقط من طاقة المفاعل. وفقًا للمشروع، وُعدنا بسرعة 38 عقدة. حتى المصممون أنفسهم لم يأخذوا في الاعتبار منطقية تصميم الهيكل الذي توصلوا إليه. وكان التصميم أصليًا تمامًا: صُممت مقدمة الغواصة على شكل "رقم ثمانية"، أي أن الحجرة الأولى تقع فوق الثانية، بينما في جميع الغواصات الأخرى، تم اعتماد الترتيب الخطي الكلاسيكي للحجرات - "في سلسلة"، واحدة تلو الأخرى. على جانبي "رقم ثمانية" - في "الفراغات" بين الدائرتين العلوية والسفلية - عشرة...

غواصات "إينرز" مزودة بصواريخ "أميثيست" المضادة للسفن. شكّل هذا الجزء الأمامي القوي منحنيات تُشبه شكل جسم الحوت. وإذا أضفنا إلى ذلك ريشًا متطورًا من المثبتات والدفات، يشبه ريش الطائرات، يتضح أن الرقم القياسي للسرعة المطلقة لم يُحقق فقط بفضل قوة التوربينات والتصميم الخاص للمراوح ذات الثماني شفرات.

بعد اثنتي عشرة ساعة من الإبحار بأقصى سرعة، صعدوا إلى السطح والتقطوا أنفاسهم. هنأوا الطاقم على الرقم القياسي، وشكروا فريق التسليم، وممثلي العلوم، والمصممين، والمسؤول عن البناء، ب. ف. غولوبوف. بعد ذلك، أرسلوا رسالة مشفرة إلى ل. إ. بريجنيف، موقعة من رئيس اللجنة وقائد اللواء:

"نبلغكم! "الشريط الأزرق" للسرعة في أيدي الغواصات السوفييتية."

في عتمة ليلة ديسمبر عام ١٩٦٩، مليئة بالانطباعات غير المسبوقة، عدنا إلى القاعدة. رغم تأخر الوقت، استقبلتنا القيادة العليا بفرح. صحيح أن حامل الرقم القياسي بدا أشبه بمقاتل منه بمقاتل احتفالي. جردت تيارات المياه الطلاء حتى المعدن. أثناء الدوران، مزقت المقاومة الهيدروديناميكية باب برج القيادة الضخم، بالإضافة

إلى العديد من فتحات الهيكل الخفيف. كانت هناك خدوش هنا وهناك. لكن كل هذا لم يفسد فرحة النصر. بعد تقرير نتائج الاختبار، جلسنا على مائدة الطعام واستمتعنا حتى الصباح. بعد بضعة أيام، حدّثنا رقمنا القياسي: مع تطوير كامل - 100% - طاقة محطات الطاقة على كلا الجانبين، وصلنا إلى سرعة تحت الماء تبلغ 44 عقدة (80.4 كم/ساعة). على مدى ربع قرن، يُعد هذا الرقم القياسي إنجازًا عالميًا باهرًا. لا أعرف إن كان مسجلًا في موسوعة غينيس للأرقام القياسية، ولكنه محفور بأحرف من ذهب في تاريخ أسطول غواصاتنا. هذا هو الطابع الروسي الأصيل - الاندفاع، المخاطرة بالحياة، عدم الاختباء من الخطر خلف أبواب المقر الرئيسي والنجوم الكبار على أكتافك!

هذه الرحلة القياسية للغواصة K-222 ليست سوى حلقة واحدة من حلقات الصراع الكبير على المحيط الذي خاضته إمبراطوريتنا وأمريكا. أو بالأحرى، على أعماقه. ويا له من انتصار للعبقرية الروسية وقوتها!

الآن، في إريفيا يلتسين الكئيبة، حيث يُعتبر إكمال بناء غواصة واحدة، موضوعة في الإمبراطورية، نجاحًا غير مسبوق، لم يعد هذا ممكنًا. اليوم (1996)، تُغمى على زوجات الملازمين الشباب في الأسطول الشمالي من الجوع لأن أزواجهن ذهبوا إلى البحر دون أن يتقاضوا رواتبهم التي تكفيهم لستة أشهر. اليوم، كالأرانب، ندفن رؤوسنا بين أكتافنا، لأن شياطين الديمقراطية، يتجولون بحرية في أرضنا، يزرعون القنابل في مترو موسكو، ويعطلون الحافلات والترولي باص معهم.

هذا هو الآن. ثم، نحن أبناء القوة العظمى، حاربنا من أجل المحيط. بدأ تصنيع الغواصة K-222 عام 1959، بعد عامين فقط من إبحار أول غواصة نووية روسية، "مقلدة" من الأمريكيين. حينها، كانت قفزة نوعية.

صُنعت الغواصة K-222 كسفينة تجريبية، كمركبة اختبار لإيجاد حلول تقنية، تلك التي ستُستخدم لاحقًا لبناء أسطول غواصات قوي للإمبراطورية. في وثائقنا السرية، أُدرجت تحت اسم "المشروع رقم 661" "أنشار". (أطلق عليها اليانكيون لقب "بابا"). استغرق بناؤها عشر سنوات، وتم بناؤها دون أي بنوك تجارية أو برامج رئاسية أو صرافات. صُنع هيكلها من التيتانيوم فائق الخفة والمتانة.

ولتحقيق ذلك، كان من الضروري إنشاء صناعة معدنية جديدة كليًا في الدولة - التيتانيوم. وفي الوقت نفسه، تقنية سبائك التيتانيوم لا مثيل لها في العالم.

صُممت هذه الغواصة من مشروع "661" في مكتب التصميم المركزي في سانت بطرسبرغ-16، وكان كبير مصمميها الأكاديمي نيكولاي إيسانين، إلى جانب رفاقه من بناة السفن ن. شولجينكو وف. بوريسوف، وب. سيمينوف وف. بولوجينتسيف، وأ. أنتونوفيتش وإ. كورسوكوف.

كان لهذه الخطوة الجريئة أيضًا هدف عسكري محدد: بناء غواصة غارة للعمليات في المحيط الأطلسي، مُهددةً بذلك الطرق البحرية لـ"قرطاج الجديدة" الأمريكية. غواصة قادرة على اللحاق بأي سفينة، والتعامل معها، والهروب بسرعة من المطاردة.

مصير هذه الغواصة المعجزة مؤسف. لم تدخل الإنتاج بسبب ضجيجها المفرط، ولكنها قدّمت العديد من الحلول التقنية، فأُرسلت إلى مقبرة السفن في سيفيرودفينسك في أواخر الثمانينيات. سيكون من الرائع تحويله إلى نصب تذكاري، ولكن هل يملك "القادة" الحاليون الذين يعتبرون "مرسيدس" ما وراء البحار قمة العبقرية البشرية ما يكفي من المال لذلك؟

2

أنشأ الاتحاد السوفيتي أقوى أسطول غواصات، مما حال دون تحقيق الولايات المتحدة الأمريكية هيمنة مطلقة في محيط العالم. فإذا كانت حاملات الطائرات أحد ركائز القوة البحرية، فإن الغواصات هي الركيزة الثانية.

حتى في بداية القرن، عوملت بازدراء، واصفين إياها بـ"سلاح الفقراء" و"الشراغيف الصفيحية". كان قادة سفن الدريدنوت المدرعة، المجهزة بمدافع عملاقة بعيدة المدى، ينظرون بازدراء إلى هذه السفن القبيحة. أنكر عليهم الكاتب العظيم صاحب الرؤية وكاتب الخيال العلمي هربرت ويلز حقهم في الحياة، معتقدًا أن مهاجمة سفينة حربية من قارب أعمى تحت الماء أشبه بإطلاق النار على فيل بمسدس صغير، ومعصوب العينين...

سارع الألمان إلى دحض هذا الاعتقاد الخاطئ خلال الحرب العالمية الأولى. أغرقت "الشراغيف" عمالقة السطح المُغلّفة بأصداف سميكة. كادوا يخنقون إنجلترا، ويقطعون عنها إمدادات الخبز والمواد الخام. جنّ جنون ركاب السفن من فرط الترقب.

هجمات الطوربيد من تحت الماء. شُبّه الإبحار في مياه تعجّ بغواصات يو الألمانية بدخول غرفة مظلمة مليئة بالثعابين السامة. لذا، كان لا بد من إنشاء دفاعات مضادة للغواصات، وقنابل أعماق، وسفن صيد على عجل.

كانت حرب الغواصات خلال الحرب العالمية الثانية أكثر رعبًا. عملت "قراصنة العمق" التابعون لهتلر من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي، ولم تستسلم آخر سفن الأدميرال دونيتز إلا في يوليو 1945. شنّ اليابانيون هجومًا في المحيط الهندي، وأغرقوا سفنًا بالقرب من مدغشقر.

بنى اليابانيون قوارب عملاقة تحمل طائرات مائية خفيفة في حظائر مغلقة - قاذفات سيران - حتى أنهم قصفوا الولايات المتحدة بها مرة واحدة. كان يُعتقد أن قاذفات سيران قادرة أيضًا على حمل قنابل بأسلحة بكتيرية، وهو ما لم يجرؤ الساموراي على استخدامه قط.

وبعد أن صنع الألمان غواصات فريدة من نوعها عابرة للمحيطات من السلسلتين السابعة والحادية والعشرين وسربًا من ناقلات الغواصات، كانوا يصممون بالفعل "غواصات يو"، التي كان من المقرر إطلاق صواريخ كروز V-1 منها. سعت هذه الغواصات إلى مكانة بين الأسلحة الاستراتيجية القادرة على ضرب أعماق أراضي الدول المعادية من البحار. في الحرب العالمية الثانية، ظهرت بوادر الحرب العالمية الثالثة. في عام 1945، عندما بدأت الحرب الباردة، أو ما يُعرف بالحرب العالمية الثالثة، مباشرةً بعد تحية النصر، كان الألمان المهزومون هم رواد أسطول الغواصات. منهم تعلمنا نحن، والولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا. بعد أن دخلوا الحرب بـ 57 غواصة، بنى الألمان 1153 "غواصة يو" بحلول عام 1945. وعلى الرغم من خسارتهم ثلاثة أرباعها، إلا أنهم تمكنوا من إغراق 3 آلاف سفينة بسعة إجمالية تبلغ 15 مليون طن و200 سفينة حربية. لا تزال فرق كاملة من الدبابات والطائرات ترقد في الأعماق المظلمة بفضل كريغسمارينه الرايخ الثالث.

عندما حصلنا على الغواصات الألمانية التي تم الاستيلاء عليها، انبهر غواصونا بخصائصها. وخاصةً "القوارب الكهربائية" من سلسلة XXI. كانت انسيابية، صامتة، بسرعة تحت الماء تبلغ 17.5 عقدة - أي ضعف سرعة غواصاتنا "شوكا" أو "كاتيوشا" أو القوارب الأمريكية. مزودة بأنابيب طوربيد لا تُصدر فقاعات كاشفة عند إطلاقها. مزودة بطوربيدات كهربائية لا تُترك أثراً، تُوجهها ضوضاء المراوح، مع أجهزة سبر صدى وسونار.

كان من اللافت للنظر بشكل خاص أنبوب التنفس - وهو أنبوب يسمح للغواصة بالغوص تحت الماء بمحركات الديزل. كان عنقه مغطى بمادة صناعية، مما جعله غير مرئي لرادارات العدو. مزود بهوائي خاص يكشف عمل رادارات العدو.

خطط الألمان لبناء 233 غواصة من هذا النوع بحلول عام 1945 (30 غواصة شهريًا). في نهاية الحرب، خططوا لعملية هانيبال - وهي حرب غواصات ضخمة ضد الأنجلو-أمريكيين لقطع الإمدادات عن قواتهم في أوروبا. وكان هذا التهديد، وفقًا للمنظر البحري البريطاني، اللورد روسكيل، حقيقيًا تمامًا.

مهما يكن، أصبح الألمان معلمين لنا وللولايات المتحدة. وبدأ عصر حرب جديدة. هذه المرة، لم يواجه الروس ألمانيا القارية القريبة، بل "جزيرة عالمية" بعيدة، هي الولايات المتحدة المحيطية.

3

بدأت المواجهة في وضع صعب للغاية بالنسبة لنا. كانت غواصاتنا شجاعة لدرجة الجنون، لكن لثلاثة أجيال أُجبروا على القتال بشكل رئيسي في "حمامات" بحر البلطيق والبحر الأسود الضيقة. لم تكن لدينا خبرة في العمل في المحيط، وخاصة في المحيط الأطلسي. الآن - في المسرح الرئيسي للحرب الجديدة. وتكبد أسطول غواصاتنا خسائر فادحة. كان الألمان على دراية تامة بمهاراتهم.

حقيقةٌ بليغة: غواصات يو-بوت النازية التي استولينا عليها خدمت أسطولنا حتى منتصف خمسينيات القرن الماضي.

كنا في حالةٍ من الدمار، بينما كانت الولايات المتحدة في حالةٍ من الازدهار. كان لدينا ملايين الأرامل والأيتام والمعاقين، بينما لم يفقدوا سوى 200 ألف روح في الحرب. وكان لديهم عشرة أضعاف عدد القوارب.

وكان حلف الناتو قد ظهر بالفعل، وكانت الانقسامات الغربية المتنامية تُخيم علينا، تغذيها شحنات الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. كانت أمريكا تُهددنا بحربٍ حقيقية. كان لا بد من فعل شيءٍ ما، كان علينا التوجه إلى المحيط الأطلسي. فبدون حاملات الطائرات، وبدون سفن السطح الثقيلة، لم يكن بوسعنا الاعتماد إلا على القوارب.

كان علينا القيام باندفاعٍ هائلٍ للحاق بالولايات المتحدة. وبينما كنا نبذل قصارى جهدنا لصنع قنبلةٍ ذرية، اضطررنا أيضًا لصنع قوارب ذرية. لأن الولايات المتحدة سبقتنا هنا أيضًا...

في يوليو 1947، زارت مجموعة من ضباط البحرية الأمريكية النشيطين، بقيادة الكابتن من الرتبة الثانية هايمان ريكوفر، مركز لوس ألاموس النووي. وفي حديث مع إدوارد تيلر، أبو القنبلة الهيدروجينية، اقترح ريكوفر: على الولايات المتحدة بناء غواصة بمحرك نووي! وقد أعجب تيلر بالفكرة.

استغرق ريكوفر، هذا "الروبوت ذو القبضات الحديدية"، ثماني سنوات طويلة لتنفيذ خطته. في عام 1947، انضم إلى لجنة الطاقة الذرية الأمريكية برئاسة أكبر رجل أعمال يهودي، برنارد باروخ، وفي عام 1950، قرر الكونغرس الأمريكي تخصيص أموال للاستعداد للحرب العالمية الثالثة التي توقعتها هيئة الأركان المشتركة. وبدأت الأمور تتسارع.

في 14 يونيو، وُضعت عارضة أول غواصة نووية، نوتيلوس، احتفالًا في حوض بناء سفن في نيو لندن، كونيتيكت. بعد ثلاثة أشهر، في 17 سبتمبر/أيلول 1952، وقّع ستالين مرسومًا بإنشاء غواصة نووية في الاتحاد السوفيتي. وحذينا حذوه.

في 17 يناير/كانون الثاني 1955، وصلت رسالة راديوية من نوتيلوس: "نحن بصدد تطوير الطاقة الذرية!"

بدأ عصر جديد من سباق التسلح. وأصبح ريكوفر بطلاً قومياً لأمريكا.

بالنسبة لنا، كان الأكاديمي نيكولاي نيكيتيش إيسانين أب الغواصات الذرية. وإذا كان ريكوفر قد نال قسطاً من المجد، وإذا كان كل أمريكي يعرف اسمه، فقد توفي إيسانين في مارس 1990، مجهولاً لشعب بلده، سواءً في حياته أو بعد مماته. العبقري الروسي المتفاني، المولود عام 1904، والحائز على جائزة لينين وجائزة الدولة، وبطل العمل...

كان اللحاق بركب الولايات المتحدة صعباً واستغرق وقتاً طويلاً. تم وضع أول غواصة ذرية إمبراطورية، K-3 "لينينسكي كومسومول"، في مصنع بناء الآلات الشمالي في سيفيرودفينسك عام 1955، وأُطلقت في البحر عام 1958. لكن الأمريكيين كانوا قد سبقوهم بالفعل. كانوا يستعدون لإنتاج غواصات من نوع "جورج واشنطن"، تطلق صواريخ باليستية استراتيجية من تحت الماء. كانت هذه بالفعل غواصات الجيل الثاني، وأبحرت أول غواصة منها في الولايات المتحدة عام ١٩٦١، عام رحلة يوري غاغارين.

وكنا لا نزال نكافح مع الجيل الأول. افتتحت "لينينسكي كومسومول" سلسلة من ١٣ غواصة نووية، أُطلق عليها في الغرب اسم "نوفمبر". ثم جاءت سفن المشروع ٦٦٨ - ٨ غواصات، والتي سُميت في الخارج بسلسلة "هوتيل". وأخيرًا، أطلق الاتحاد السوفيتي ٢٩ من أحدث غواصاته من طراز المشروع ٦٧٥ - على متنها ثمانية صواريخ كروز، أُطلقت من السطح. كانت هذه الغواصات قادرة أيضًا على حمل غواصات تخريبية فائقة الصغر. واستمرت في الخدمة لفترة طويلة - حتى عام ١٩٩٢.

"لن تشهدوا مثل هذه المعارك!" كان ذلك زمن سباق محموم. في أواخر الخمسينيات، وصلت الغواصتان الأمريكيتان نوتيلوس وسكيت إلى القطب الشمالي وصعدتا إلى السطح، مخترقتين الجليد بأبراج القيادة الخاصة

بهما. كانت رحلة محفوفة بالمخاطر: خلال الرحلة تحت الماء، اندلع حريق على متن غواصة نوتيلوس. تم إخماده.

4

في عام 1962، توجهت غواصتنا "لينينسكي كومسومول" نحو القطب الشمالي، بقيادة الكابتن ليف جيلتسوف، من الرتبة الثانية. برفقة "روريك الحديدي" - المهندس الميكانيكي تيموفيف. أصبح كلاهما أبطال الاتحاد. ثم انطلق قادة آخرون في رحلات محفوفة بالمخاطر تحت الجليد. ألكسندر بيتلين. يوري سيسويف. بروتوبوف. تشيرنافين. أسماء روسية مجيدة!

كانت فترة صعبة ومتوترة. كانت رائحة الحرب النووية تفوح في الهواء. آنذاك، كان الأمر ممكنًا للغاية. بعد أن تفوقت علينا الولايات المتحدة في تطوير الغواصات النووية، كانت متلهفة لدخول مياهنا القطبية الشمالية. نحفظ بعناية كتاب م. كورينيفسكي "المسار الشمالي، الإبحار تحت الجليد"، الصادر عام ١٩٦٧. ونقرأ سطوره، ونستشعر نبض تلك السنوات:

... "استراتيجية القطب الشمالي"، التي تتوخى ضرب الاتحاد السوفيتي عبر مناطق أقصى الشمال، يطورها البنتاغون منذ العقد الثاني... على مدى السنوات القليلة الماضية، نُفِّذت حوالي اثنتي عشرة رحلة بحرية تحت الجليد في القطب الشمالي للغواصات النووية الأمريكية لأغراض عسكرية بحتة.

وصرح الأدميرال الأمريكي ب. هـ. هوكس بأن هذه الرحلات فتحت "مسرحًا جديدًا كليًا للعمليات الاستراتيجية".

وكتبت مجلة "نافي": "المسافة بين منطقة سفالبارد وأهم الأهداف الروسية صغيرة نسبيًا".

وقال قائد الأسطول الأمريكي، نائب الأدميرال إي. غرينفيل:

"ستكون السيطرة على القطب الشمالي من أهم مهامنا، ولن تُنجزها إلا الغواصات..."

أعلن ستالين بحكمة أن "إسفينًا" قطبيًا ضخمًا هو الأراضي الروسية، رأسُه على القطب، وقاعدته على الحدود الشمالية للإمبراطورية. وكيف تنبأ بأن المقر الرئيسي الأمريكي سيرسم مسارات ضربات الصواريخ النووية من بحار بارنتس وكارا ولابتيف؟ كان من الضروري حماية هذا الإسفين من الغزوات الأجنبية، وقد وقعت هذه المهمة على عاتق الأسطول الإمبراطوري، الذي لم يكن قد وصل بعد إلى المحيط.

تسلل الأمريكيون إلى المحيط المتجمد الشمالي بشجاعة يائسة. يتذكر قبطان سفينة "سكيت"، جيمس كالفرت، كيف اضطر لاختراق الجليد أثناء صعوده إلى السطح، وكيف "شدّ عضلاته لا إراديًا تحسبًا لضربة قوية قد تُنذر بكارثة"، كما لو أنه "انقلب تمامًا"، وكيف "حدث شيء غريب للسفينة...". بعد اصطدامها بالجليد الرقيق، بدأت "سكيت" فجأة بالسقوط في هاوية المحيط، وبالكاد تمكن الطاقم من إيقاف الغوص على عمق ستة وأربعين مترًا.

لكننا لم ندع الأمريكيين يسيطرون على قطبنا الشمالي. أتقنا الرحلات فوق هاوية الأعماق الباردة الكئيبة، فوق قمم سلسلة جبال لومونوسوف تحت الماء. يا إلهي، كان الأمر صعبًا! قرب القطب، تُطلق البوصلات المغناطيسية نبضاتٍ جنونية. كما بدأت البوصلات الكهربائية، المُثبتة على الجيروسكوبات، بالكذب بلا خجل. هنا، اضطر الملاحون إلى التحول إلى نظام شبه إحداثيات، مقلبين الجغرافيا المألوفة رأسًا على عقب. عند القطب، تحرك القطب نفسه نحو خط الاستواء للملاحين، ومعه انقلبت شبكة خطوط الطول والعرض رأسًا على عقب. يمر "شبه خط الاستواء" عبر القطب المعتاد.

"... الآن، تُفصل السفينة التي تعمل بالطاقة النووية عن سطح الأرض حاجز قوي - درع جليدي متعدد الأمتار. يشعر الناس بهذا الحاجز جسديًا تقريبًا - حتى أولئك الذين لم يختبروا الغوص تحت الجليد لأول مرة. وكل من يحتاج إلى المرور عبر العمود المركزي يُحدق لا إراديًا في مقياس الجهاز الذي يُظهر سُمك الجليد. وأنت تريد أن تنظر إلى شاشة التلفزيون تحت الماء: هل هناك على الأقل فجوة في القبة السوداء فوق السفينة؟ الفجوة هي المخرج إلى السطح..."

وليف زيلتسوف

يفكر الآن في الصعود: أُمر بالصعود إلى السطح بعد خط العرض 83. هذا يعني أن البحث يجب أن يبدأ قريبًا.

ستلتقط عدسة جهاز المراقبة التلفزيونية ثقب الجليد. إذا أظهر مقياس الجليد "صفرًا"، فهذا يعني أن "عين المراقبة" لم تكن مخطئة: هناك مياه صافية فوق السفينة. ومع ذلك، يريد رؤية ثقب الجليد أو الرصاص بأم عينيه. لذلك، عُيّن مراقب في منظار مضاد للطائرات...

"يائس!" - إما أن المراقب يمزح أو غاضب. وفجأة: - أرى ثقب الجليد!

بدأت المناورة الصعبة. من الصعب جدًا - الوصول من عمق كبير إلى مركز الرصاص بالضبط. ولا يمكن ارتكاب خطأ. يحتاج القائد، والمشغل الأفقي، وميكانيكيو الأحواض، والكهربائيون إلى دقة متناهية في أفعالهم حتى يتجمد السيجار العملاق، متغلبًا على جمود القوة الهائلة (الكتلة هائلة!)، في اللحظة المناسبة، ويتحرك قليلًا للأمام أو للخلف - ليس أكثر من متر واحد مما هو مطلوب، -

هكذا يروي صحفي شهد تلك البعثات.

5

تبعت الملحمة القطبية رحلة حول العالم عام 1966. ومع ذلك، كنا لا نزال متأخرين. في عام 1960، كان لدى الولايات المتحدة ثلاث غواصات مزودة بثمانية وأربعين صاروخًا. لم يكن لدينا أي صاروخ واحد آنذاك. في عام 1961، ظهرت غواصات من طراز جورج واشنطن، القادرة على ضرب الأهداف من مسافة 2200 كيلومتر. لم يكن بإمكاننا التباهي بشيء كهذا آنذاك.

ومع ذلك، لم نستسلم. كنا نضع خططنا الخاصة لإنشاء أسطول غواصات قوي. قررت الإمبراطورية: سيكون لديها حاملات صواريخ غواصات لضرب الأراضي الأمريكية. لن يقتصر الأمر على "مدمري المدن" هؤلاء فحسب، بل سيشمل أيضًا غواصات نووية - مدمرة لغواصات العدو النووية. وإلى جانب الغواصات النووية، غواصات تعمل بالديزل والكهرباء، والتي كانت الولايات المتحدة مترددة في استخدامها.

ولقد فعلناها!

6

لنبتعد عن وصف الجوانب التقنية. لنحاول فهم ما فعله الروس خلال أربعين عامًا، بدءًا من عام ١٩٤٥.

دخول قوات الغواصات الإمبراطورية إلى المحيطات، وكسر الحصار المحكم لبحر البلطيق وبحر آزوف-الأسود، الذي كنا محصورين فيه لقرون! في غضون جيل واحد، وصلت غواصات بيترز وإيفان الروسية من ريازان وموروم ومنطقة الفولغا إلى المياه الاستوائية والقطبية الشمالية، وتوغلت في أعماق المحيطين الهندي والهادئ، وترسخت في المحيط الأطلسي!

...سلسلة جبال ريكيانيس، وحوض لوفوتن، وجبل أمبير، والخندق الأيرلندي. هل تعرف هذه الجبال والأحواض؟ هل سمعتَ بسلسلة جبال شمال الأطلسي، أو جبال والفيس، أو سلسلة جبال العرب والهند؟

كل هذا موجود في قاع المحيط. عندما سافرنا إلى مياه العالم، وجدنا أنفسنا في عالمٍ أقل شهرةً بكثير من وجه القمر. مُختبئًا خلف ظلمة المياه الكثيفة.

كان علينا دراسته، ورسم خرائط دقيقة. ولم يُطلعنا أحد على أي معلومات حول هذا الموضوع. كان علينا دراسة أسرار التيارات الدافئة والباردة، وقياس الانحرافات المغناطيسية، ودراسة حركات الجبال الجليدية، وكيفية تناوب درجات الحرارة على أعماق مختلفة، وقياسها بدقة متناهية.

حتى لا تصطدم القوارب في المحيط بقمم الجبال تحت الماء، ولا تضيع في الأعماق، ويمكنها، عند الضرورة، النزول تحت طبقة الحماية الحرارية - طبقة المياه الباردة، التي تنعكس عنها نبضات سونار العدو.

ولهذا، أطلقنا أسطولًا أوقيانوغرافيًا قويًا في مياه العالم. مع السفينة الرئيسية - سفينة الأبحاث "فيتياز". تعرفت الإمبراطورية على أعماق البحار، ورسمت خرائطها. وفي الوقت نفسه، اكتسبت مجموعة هائلة من المعارف الفريدة حول محيطات العالم. انطلقت سفن "أكاديميك كريلوف" و"كورتشاتوف"، و"باسات" و"أليتا"، و"أكاديميك بوغوروف" و"تايغا"، والمركب الشراعي غير المغناطيسي "زاريا" والغواصة "سيفريانكا" في رحلات طويلة...

من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٧٦، أجرت الإمبراطورية ٧٠٧٧ رحلة استكشافية لعلوم المحيطات. أكثر من أي دولة أخرى في العالم، متقدمة بفارق كبير على الولايات المتحدة الأمريكية التي أجرت ٢٩٧٦ رحلة علمية. كنا نتصفح المحيط ككتاب قديم مليء بالأسرار، نكشف أسراره، بعد أن حققنا العديد من الاكتشافات. اكتشفنا ودرسنا سلسلة جبال لومونوسوف، ومندلييف، وجاكِل في المحيط المتجمد الشمالي، واكتشفنا واستكشفنا تيارات معاكسة قوية (لومونوسوف، وجزر الأنتيل-غيانا) في المناطق الاستوائية والشمالية الغربية من المحيط الأطلسي.

نعم، حتى تتمكن غواصاتنا من الإبحار بحرية في المحيط الأعظم!

كتب فناننا البحري جينادي ليسوف:

"لو... تبخرت كل مياه المحيطات فجأة، لرأينا مشهدًا مذهلاً. فبدلاً من حوض ذي جدران ملساء وقاع يتعمق من الحواف إلى المنتصف، كما اعتدنا على تخيل البحر منذ الصغر، لرأينا صورة مختلفة تمامًا. أعمق المنخفضات... تقع في الواقع على حواف "الحوض"، وأكبر ارتفاعات القاع تقع في المنتصف. أما بقية قاع المحيط، فتنتشر فيه وديان وديان لا حصر لها، وقمم شاهقة وقنوات متعرجة من الأنهار تحت الماء، وحواف عملاقة... وتلال تمتد لعدة كيلومترات على حدود خنادق تحت الماء. وفي الجزء الأوسط من المحيطات، ترتفع أروع وأروع التكوينات الجبلية على وجه الأرض - تلال منتصف المحيط...

...السمة الرئيسية للتلال تحت الماء هي انخفاض ضيق يشبه الشق يقطع سلسلة الجبال على طول المحور على طولها تقريبًا. وقد منح العلماء هذا الشق..." الاسم "شق" - "صدع"...

تمكنا من رؤية هذا العالم المجهول، الذي حلقت فوقه هياكل السفن السطحية لمئات السنين. لامست أسرار آلاف السنين، وغموض التاريخ العظيم.

في عام ١٩٧٩، انطلقت البعثة

توجهت سفينة "فيتياز" إلى جبل أمبير العملاق تحت الماء قبالة سواحل البرتغال. فقد كشفت صور سابقة لقمته، التقطتها بعثة سفينة "جامعة موسكو"، عن هياكل غامضة تشبه أطلال أسوار مدينة قديمة. كما اكتشفت "فيتياز" ألواحًا وكتلًا غامضة تشبه بقايا طريق.

في عام ١٩٨٤، انطلقت رحلة استكشافية أخرى تحت الماء. وبدا أننا على وشك حل اللغز القديم - الحضارة التي غرقت في الهاوية، أتلانتس...

ومن يدري كم من الاكتشافات كانت تنتظرنا لو لم تنهار دولتنا. وتبع العلماء غواصون صارمون يرتدون قبعات سوداء ذات حواف بيضاء. وبخرائط دقيقة، رسموا مسارات دورياتهم القتالية.

وأخذوا تشابك الطرق البحرية في مرمى نيران الطوربيدات، وحددوا مواقع إطلاق الصواريخ. وساهمت ساعات طويلة في دراسة الخرائط في رسم معالم المعارك المحتملة.

كان سائقو "النوتيلوس" الإمبراطوريون يحسبون أين يمكنهم الذهاب تحت طبقة الثيرموكلين، وأين يمكنهم المناورة بين طيات القاع، مربكين مواقع العدو بأصداء تنعكس مرارًا وتكرارًا من الجبال تحت الماء. كانوا يعرفون أين يضغطون بالقرب من بقايا السفن الغارقة في الحرب الأخيرة، خادعين أجهزة قياس المغناطيسية في سفن الصيد. بحيث تُلقي انفجارات قنابل الأعماق بحطام "القتلى" وبقايا الوقود من خزاناتهم، مما يُربك المطاردين.

كانت هناك حرب مستمرة تحت الماء. طاردت القوارب الأمريكية والروسية بعضها البعض، محاولةً إبقاء الخصم تحت مرمى طوربيداتها. حاولنا نحن والولايات المتحدة ربط قاربنا القاتل عالي السرعة بغواصات العدو الحاملة للصواريخ. حتى لا يسمحوا لها بإطلاق "الموت الباليستي" في اللحظة الحاسمة.

لا تزال هذه السباقات ذات المنعطفات القاتلة في الأعماق تنتظر من يكتبها. وفي أواخر السبعينيات، تعلم الغواصون الروس الفرار من مطارديهم الأعداء. من سواحل النرويج، انطلقوا نحو أيسلندا، التي تمتد منها سلسلة جبال ريكيانيس تحت الماء إلى الجنوب الغربي. دون أي إبطاء، بدأت القوارب الروسية تشق طريقها بين قممها ومنحدراتها الصخرية، وتخلف العدو، خائفًا من الاصطدام بالمنحدرات تحت الماء بأقصى سرعة. أطلق الأمريكيون على هذا المسار اسم "سكة حديد المارشال غريتشكو"، في محاولة يائسة للعثور على دليل على جرأة ومهارة القباطنة الروس. اتضح أن غواصاتنا مزودة بمقاييس جاذبية حساسة "تستشعر" الجبال المقتربة أمامها مباشرة. لم تكن الولايات المتحدة تمتلك مثل هذه الأجهزة في ذلك الوقت.

7

كان هناك شيء غامض في اختراقنا تحت الماء في المياه البعيدة. كانت قوارب الإمبراطورية الروسية تعج الآن في البحر التيراني، وهو حوض متدرج تضيق عليه إيطاليا وصقلية وكورسيكا وسردينيا. كانت هذه المنطقة مركز تمركز الأسطول السادس الأمريكي الرئيسي لشن هجوم على المناطق الصناعية الجنوبية لبلادنا، وكان من المفترض أن تُعطلها السفن الروسية بوابل من صواريخها وطوربيداتها.

ولكن لماذا سُمي البحر التيراني؟ نسبةً إلى شعب التيرانوس القديم. هكذا أطلق الرومان القدماء على الحضارة الأترورية الغامضة في القرنين السابع والسادس قبل الميلاد، والتي تعلمت منها روما فن بناء المدن والعديد من الفنون والحرف. الأتروسكان، الذين قدموا من حيث لا يعلم أحد، تركوا وراءهم قبورًا ومنحوتات ولوحات جدارية ونقوشًا بلغة غامضة.

من هم هؤلاء الناس؟ قام أحد علمائنا المجهولين بفك رموز نقوشهم. كان الأتروسكان مولعين برسم صور مضحكة، حيث تُكتب خطابات الشخصيات فوقها، كما هو الحال في الرسوم الكاريكاتورية في الصحف الحديثة. تُصوّر إحدى اللوحات الجدارية أسدًا حجريًا، يتدفق من فمه جدول ماء، ورجلًا يمسك هذا الجدول بيده. كُتبت عبارة "اتبعني" فوق رأس الرجل. ويجيب الوحش الحجري: "اسحبه". تُثبت لنا هذه اللوحات أن لغة الإتروسكان التيرانيين، هؤلاء المعلمين الأوائل للرومان، بناة الإمبراطورية العالمية الأولى، كانت قريبة من لغتنا السلافية. وحتى تناغم كلمتي "إتروسكان" و"روسي" ليس صدفة.

وهكذا، قبل أربعين عامًا، وصلت غواصات روسية إلى البحر، تحمل اسم شعب ابتلعه الزمن. ربما كانوا أحفاد التيرانيين. وأيضًا، بناة الإمبراطورية العظيمة، روما الثالثة، خليفة الإمبراطورية القديمة. عندما نفكر في هذا، تتسلل إلى أرواحنا موجة من شعور غامض، وإن كان قويًا جدًا، فيدور رأسنا فوق هاوية آلاف السنين.

كنا نختتم دائرة القرون العظيمة، وانزلقت هياكل الغواصات الروسية الشبيهة بالسيجار عبر مياه البحر الأبيض المتوسط الكثيفة، بين مهد الحضارات الأولى على الأرض، وفوق هياكل السفن الثلاثية المجاديف القديمة المتراكمة في الطمي. سار الروس على نفس دروب شعب آخر منح روس اليوم جزءًا من دمه - دروب الفارانجيين النورمانديين الشماليين، الذين اخترقت سفنهم الحربية البحر الأبيض المتوسط قبل ألف عام. إيغور، أوليغ - ما زلنا نحمل هذه الأسماء الفارانجية القديمة، ومدينة توروف في بيلاروسيا البعيدة ذات الغابات أخذت اسمها من الأمير الإسكندنافي الشجاع تور.

يبدو أحيانًا أن ظلال أسلافنا، أبناء الآلهة الآرية العظيمة - ثور وبيرون، وسفاروج وأودين، ودزدبوغ وفريا - كانوا فخورين بنا آنذاك. وقد استكملت طاقة مفاعلاتنا بطاقة ألفية آتية من أعماق الزمن التي لا تُصدق.

نعم، هنا يكمن سرّ الاختراق المحيطي. من أنهار وغابات روسيا، وسهوبها

في مساحات شاسعة وضواحي هادئة، عدنا شعبًا فضائيًا اكتشف الكوكب بأسره. سرنا على خطى أسلافنا المنسية، ولمسنا أطلانطس الغامضة. وتبعت سفينة "فيتياز" السوفيتية مسار السفينة الحربية القيصرية التي تحمل الاسم نفسه في ثمانينيات القرن التاسع عشر، والتي حملت على متنها آنذاك العالم الروسي العظيم وضابط المخابرات ميكلوهو ماكلاي. وهناك، إلى المياه الاستوائية، إلى أرض بابوا وغينيا الجديدة.

8

بين عامي 1945 و1985، تمكن أسطول الغواصات الروسي من استكشاف العالم بأسره والتغلغل في مياهه النائية.

في عام 1962، عندما كانت إندونيسيا الناشئة المستقلة تستعد للحرب مع هولندا المتداعية، التي كانت لا تزال تسيطر على الجزء الغربي من غينيا الجديدة، غادرت الغواصتان S-236 وS-292 فلاديفوستوك متجهتين إلى سورابايا. غواصتان روسيتان تعملان بالديزل والكهرباء. وتبعتهما أربع غواصات أخرى، بالإضافة إلى القاعدة العائمة "أياختا". اتخذنا مواقع قتالية وراء خط الاستواء، في بحر جاوة ومضيق الملوك. أشرقت كوكبة الصليب الجنوبي فوق أبراج غواصاتنا، واندفع الهواء الاستوائي عبر الفتحات المفتوحة.

استمعوا إلى أسماء تلك الأماكن: جزيرة سولاويزي، بحر فلوريس، جزيرة كاليمانتان، ساحل ماكلاي. وصلنا إلى إحدى النقاط المحورية لطرق التجارة العالمية.

في القرن السادس عشر، اخترقت سفن الكارافيل البرتغالية هذه المنطقة - إلى الذهب والتوابل وأنواع الأخشاب النادرة، وإلى أسواق نابضة بالحياة. في القرن السابع عشر، استولى الهولنديون على هذه الجزر في حرب ضارية. في عام ١٩٤١، سُمعت صيحات النصر للقوات الإمبراطورية اليابانية فوق هذه المياه.

ثم، في عام ١٩٦٢، هنا نبضت خطوط تدفقات شحنات النفط القوية، المتجهة في ناقلات النفط من الشرق الأدنى والأوسط إلى اليابان سريعة النمو. هنا انطلقت سفنٌ محملة بخامات الحديد والفحم، محملة بالحبوب من أمريكا إلى موانئ اليابان وهونغ كونغ البريطانية.

وعلى هذه الشرايين الحيوية والنابضة بالحياة في الغرب، هذه "قرطاج الجديدة" - تاجرة الكواكب، كانت هناك غواصات روسية هائلة مزودة بطوربيدات قتالية مسلحة، وأمر من القائد العام للأسطول الإمبراطوري، سيرجي غورشكوف: بإغراق الجميع ابتداءً من منتصف ليل الخامس من أغسطس، دعماً لعملية محتملة لإندونيسيا ضد العاصمة الهولندية.

ثم تراجع الغرب جباناً، وتخلت هولندا عن مستعمراتها. مُنحت القوارب لإندونيسيا المستقلة الشابة.

لاحقاً، أُطيح بنظام سوكارنو الموالي لروسيا هناك. لأن الكرملين لم يكن محتلاً من قبل زعيم فولاذي، بل من قبل "نيكيتا الذرة" الكسول. لولا ذلك، لسيطرت إمبراطوريتنا على مفترق طرق الممرات الملاحية العالمية في دائرة نفوذها بيد من حديد.

ورغم أن انتصارنا كان قصير الأمد، إلا أن قادة أسطول الغواصات اكتسبوا خبرة قيّمة في العمل في مياه استوائية مجهولة لنا، في متاهة من الجزر الصغيرة. أظهرت تلك الحملة أن الروس قادرون على التحكم بمصير الدول على نطاق كوكبي، بفضل النطاق المحيطي لعمليات أسطولهم.

كان ذلك أعظم إنجاز منذ عهد بطرس الأكبر. وستكون هناك إنجازات أخرى لاحقًا - عندما تبدأ غواصات الإمبراطورية المصنوعة من التيتانيوم، المزودة بـ"قلوب" مفاعلات نووية، بالحفر في أعماق البحر...

9

ننظر إلى هروب الناس الصغار من النافذة ونبتسم بمرارة. ستبقى سنوات 1989-1996 في ذاكرتنا كسلسلة سوداء مخزية. ليلة تعجّ في ظلامها مخلوقات دنيئة ولزجة.

في أواخر الثمانينيات، دخلت قبيلة "الستينيات" معترك السياسة، جيل يفتوشينكو وفوزنيسينسكي. جيلٌ من مُحبي الأغاني العاطفية المُتدفقة على وقع عزف الجيتار. مُحبي أوكودزهافا وماندلستام. شعروا بنوعٍ من الكراهية الوحشية لعالم المحاربين، لعالم قوة الآلات الهادرة.

سحقت هذه الستينيات، بفرحٍ عارم، القوة الإمبريالية وحطمتها. وماذا يُمكن توقعه منهم؟ ففي النهاية، سيُقبّل هؤلاء الأنصاف البشر لاحقًا لحى المقاتلين الشيشانيين ويطالبون بـ"إنهاء الحرب القذرة". كما لو لم يكن هناك آلاف الرجال والنساء الروس الذين تعرضوا للاغتصاب والذبح والبيع كعبيد في "الشيشان المُحبة للحرية" بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٤.

وعلى أي حال، فإن غالبية جيل الستينيات ليسوا روسًا، وليسوا أرثوذكسًا - بولات شالفوفيتش ومارك إسحاقوفيتش.

يُستبدل هذا الجيل بأبناء آخرين من زمن الانحطاط. نشأوا في أجواء المكاتب الجديدة المعقمة، بين أشياء مستوردة بالكامل، حيث حتى مشابك الورق غريبة. مصقولة ومتطابقة، كالروبوتات. يحتقرون ظاهريًا، لكنهم في أعماقهم يخشون المحاربين الحقيقيين ذوي الدم الحار.

أتذكر كيف زرتُ صدفةً، حوالي عام ١٩٩٣، المكتب المتألق لبنك ستوليشني، مقر إقامة رجل الأعمال اليهودي الكبير سمولينسكي. في الطابق العلوي، حيث كانت شاشات الكمبيوتر تومض، جلس التجار - شباب في العشرين من عمرهم، أنوفهم مخاطية، مشغولون بشراء وبيع العملات. كان سينيا رودنشتاين ذو الشعر الأحمر يروي بحماس كيف ربح تريليونات دون أن يترك جهاز الكمبيوتر.

ما هي الإمبراطورية بالنسبة لهم؟ ما هي غموض الاختراقات البحرية لهذه الزوائد البروتينية للحاسوب الغربي العظيم؟ ما هي مأساة الروس بالنسبة لهم؟ لا شيء. لم تكن هذه أول سنة من العمل الصحفي، فقد اكتشفنا نمطًا صارمًا. أينما يُثار الحديث عن سرقة مئات المليارات أو إذلال بلدنا، فإن دور المُدمّرين يُلعبه دائمًا تقريبًا... همم... أصحاب الجنسية الديمقراطية. ويواجهون معارضة السلاف.

لسببٍ ما، يعمل هؤلاء الآن كأصحاب شركات "الجنس عبر الهاتف"، أو ناشري صحفٍ مُشبّعة بالاستمناء، أو مصرفيين. لكن تحت نيران العدو في الشيشان

أو طاجيكستان، آل إيفانوف يُقضمونها. هم، لا أحد غيرهم، يواصلون النزيف حتى الموت، محافظين على جزء من الإمبراطورية على الأقل. ألا ترون ذلك بأنفسكم؟

وهل تعلمون لماذا يسارعون للدفاع عن القتلة الشيشان؟ لماذا يردد هؤلاء الشباباد والغيدار واليافلينسكي، بكل وقاحة، كلمات دعاة الشيشان ويلعنون "الحرب القذرة"؟ ولماذا لم يتذكروا قط من عُذبوا وقتلوا على يد هؤلاء الشيشان أنفسهم في سنوات ١٩٩١-١٩٩٤ المروعة؟

لا، ليس لأنهم يُحبون الشيشان. إنهم ببساطة يخشون خوفًا شديدًا أن يخرج من بوتقة حرب وحدة البلاد أناسٌ ذوو دمٍ حارّ ومتعطشون للعدالة، فيبدو "هؤلاء" أمامهم كظلال ليلٍ باهتة. أن يختفي القطيع الكسول ذو العيون الفارغة، المسكون بغرائز بدائية، جمهور مستهلكي "الفانتا" و"التامباكس" و"المسلسلات". ويحل محله صفوف من الناس الحقيقيين.

وعندها سينهار هذا "النظام" البائس، وسيرى الجميع حقيقتهم - صغار، تافهون، متوسطو الشأن، غارقون في عقد النقص، بلا شجاعة ولا إرادة. أن "فنهم" مجرد أكوام من القمامة، وتغليف وقاذورات في زجاج. أن تعدديتهم ليست سوى هيمنة الانحرافات، الجنسية والروحية، وأن أفكارهم مجرد هذيان. إنهم يخشون ديكتاتورية الأقوياء، العاديين بشكل مؤلم، الذين يعرفون كيف يبدعون، ويدافعون عن الوطن، ويحبون المرأة.

يخشون أن يُبعد هؤلاء الناس المثليين الصارخين عن المسارح وموسيقى البوب، وأن يُبعدوا عن شاشات التلفزيون الأفراد المتوترين المتلعثمين الذين لا يعرفون الروسية، وأن يُشعلوا النيران في جرائدهم وكتبهم المُنهكة، ورسوماتهم على اللوحات القماشية، وهذيان "حقوق الإنسان".

تتجمد الأرواح الشريرة لمجرد التفكير في الأمر. إنهم خائفون: ماذا لو هدم هؤلاء الأقوياء، قصيرو الشعر، ذوو الوجوه المُرهقة، لافتاتهم الصارخة بضربات من أعقاب بنادقهم؟ أن يُلصقوا أحذية مزورة في وجوههم غير البشرية؟ أن يُفرقوا دعاة الببغاوات والطائفيين، كل هؤلاء "الأومس" و"الأعشاب"؟

من هذا الخوف، يواصل "مثقفونا" بجنون سكب السم في عقول الناس. ليتْهم ظلّوا نفس الكتلة البليدة من "الناخبين"! ليتْهم ظلّوا نفس السائل الرمادي، لا يتذكرون حتى ما حدث قبل ستة أشهر!

رمزهم فقاعات ضعيفة الإرادة - بالونات مطلية بإعلانات صارخة. ورمزنا هو سهام فضية لآلات تفوق سرعة الصوت، تتجمع في اندفاعة واحدة، تغزو الفضاء.

أبناؤهم هم شباب وبنات التلفزيون الأنيقون الذين يرسمون وجوهًا ساخرة عند رؤية رجل ساحة المعركة. أولئك الذين يدعون للحياة في مجتمع هادئ "ذكي".

يا حمقى! أصبحت الحروب حتمية بمجرد أن قسم ثلاثة من الأشرار في بيلوفيجسكايا بوشا الإمبراطورية. أصبح الدم حتميًا مضاعفًا عندما أمضى "أبطالهم" ثلاث سنوات في إعداد وتسليح دولة قطاع الطرق في القوقاز. وثلاثيًا - عندما بدأوا مذبحة الشيشان، بعد أن فعلوا كل شيء لضمان انتصار العدو.

أصبحت الحرب حتمية مضاعفة بمجرد أن ركعنا أمام عصابة باساييف في يونيو 1995. وحتمية تمامًا عندما استسلمنا لنفس المخلوقات بعد عام. بعد أن سحقنا واستنزفنا كل شيء بحلول ذلك الوقت - الجيش والبحرية والقوات الجوية والدولة نفسها.

في برق العاصفة القادمة - خيار. إما أن نولد من جديد أو نهلك.

الفصل 21. عملية "أترينا". الغواصات النووية الإمبراطورية: قرطاج الجديدة - تحت وطأة "الأعاصير" و"ألفاس". "زيب" - سيد سيوف الإمبراطورية. اختراق جليد غرينلاند.

1

على أبراج قيادة أحدث سفنهم، كان هناك دب قطبي يخترق الصورة الظلية السوداء لغواصة معادية بين كفيه. الفرقة الثالثة والثلاثون من الأسطول الشمالي للإمبراطورية، رعب المحيطات. في عام 1987، غادرت خمس من سفنها قاعدة زابادنايا ليتسا، ودارت حول الدول الاسكندنافية واختفت في المياه الباردة العاصفة.

طاردتهم سفن وطائرات الناتو، واخترقت الأعماق بنبضات السونار، وفحصتهم بأجهزة قياس المغناطيسية. استمعنا إلى أصوات البحر بميكروفونات حساسة لأنظمة مُخبأة على حواف قاع البحر. لكن دون جدوى. سلكت قواربنا طريقًا مجهولًا لأمريكا، حيث ظهرت في أضعف بطون أمريكا المذهولة - في جزر برمودا. وسُمي ذلك - عملية أترينا.

سافروا آلاف الأميال، في مملكة الظلام الأبدي للأعماق والضغوط الهائلة، من الكتل الجليدية حيث تسبح حيتان النروال الحاملة للسيوف وأسراب سمك القد، إلى المياه الدافئة اللازوردية حيث تتلألأ أسراب الأسماك الغريبة بكل ألوان قوس قزح. إلى "مثلث برمودا" المشؤوم. وأبحروا هناك في تيارات تيار الخليج القوية.

مسح الأمريكيون عرقهم البارد. شعرت جلودهم الرقيقة بأطراف الرؤوس الحربية الروسية الباردة، وسقط الخوف في بطونهم ككتلة لزجة مقرفة.

في عام ١٩٨٩، كان الأسطول الشمالي وحده يمتلك مئة غواصة نووية جاهزة لتوجيه ضربات قاتلة للعدو. خذ أي شخص خدم في الثمانينيات على متن سفن ذلك الأسطول، وسيخبرك بالكثير. كيف واجهوا غواصة بريطانية وجهاً لوجه، وكيف، عجزوا عن التحمل، انصرفوا وتراجعوا. كيف طاردتهم الطائرات الأجنبية، محاولةً إلقاء قنابل أعماق خاصة. تلك التي تُغطي الهيكل ببقع من الطلاء العاكس للصوت. ولم يكن هناك عار أعظم من منح هذه العلامات: ففي النهاية، وُضع القارب في الرصيف للإصلاح، وسُرح الطاقم.

وعندما سُكروا،

سيروي كيف تعطل جهاز قياس الصدى يومًا ما، وكيف ارتطمت غرفة القيادة بقاعدة جبل جليدي متجول. كيف اندفعت المياه إلى المقصورة، وكيف أنقذهم القبطان، الذي أبحر في الأعماق لعشرين عامًا. العمل مع الدفات العمودية. ستسمعون اهتزاز هيكل السفينة بفعل إشارات صدى أجهزة التجسس الأمريكية التي تناثرت في قاع المحيط.

بالنسبة لمن ولدوا في أواخر الستينيات وما بعدها، بدت قوة أسطول غواصاتنا النووية شيئًا أبديًا، شيئًا بديهيًا. في الأربعين عامًا التي تلت الحرب، بنى الاتحاد 245 غواصة نووية من أربعة أجيال - أكثر من نصف إجمالي الغواصات في العالم. كنا في الصدارة حتى عام 1989 - حتى تخلى زعيم الكرملين ذو البقعة على رأسه الأصلع عن ادعاءات الروس بالهيمنة على محيط العالم. حتى في أوائل التسعينيات، من بين 360 غواصة نووية في العالم، كانت 167 منها مملوكة للروس، و122 للولايات المتحدة، و22 للبريطانيين، و11 لفرنسا، وسبع فقط للصين.

لن نخطئ إذا قلنا إنه بحلول عام 1985، نشأ في الإمبراطورية عالمٌ كاملٌ من الغواصات النووية، بأبطاله وتقاليده، ومواقع تدريبه، وأساطيره. عالمٌ معروفٌ ومحترمٌ في الغرب، لكن القادة السوفييت الراحلين الأغبياء أخفوه عن شعبه. ربما لهذا السبب كان من السهل إقناع ملايين السذج بأننا لا نملك سوى مشاجراتٍ حمقاء في شققٍ مشتركة، وبلهاء يرتدونستراتٍ مبطنة، ونخبةٍ من المثقفين "المتعجرفين" الغاضبين - أمثال بيرغهولتس، وأوكودزهافا، وفوينوفيتش؟

لكن في نظرنا، هؤلاء المتذمرون عديمو الحيلة لا يساويون ولو جزءًا من ألفٍ من قاعدة الغواصات النووية الرائعة للاتحاد السوفييتي. بُنيت الغواصات في مصنعي سيفيرودفينسك سيفيرني ماشينوستروتيلني وأمور. وبُنيت في كراسنوي سورموفو في نيجني، وفي جمعية سانت بطرسبرغ للأدميرالية. دُرِّب ضباط الغواصات النووية في المدرسة البحرية العليا في سانت بطرسبرغ، بينما دُرِّب المهندسون في سيفاستوبول. كما بُني مركز تدريب فريد من نوعه لتدريب الطواقم في بالتييسك، بالقرب من كالينينغراد-كونيغسبرغ.

الجدولان 7 و8: بناء الغواصات النووية في العالم وروسيا، 1953-1993. (العرض العسكري، العددان ٣-٤، ١٩٩٥)
الإمبراطورية الأمريكية، بريطانيا، فرنسا، الصين
العدد الإجمالي ٢٤٣ ١٧٩ ٢٤ ١٢ ٦
الديناميكيات حسب السنوات:

١٩٥٥-١٩٦٠ ٨ ١٤

١٩٦١-١٩٦٥ ٣١ ٤٢

١٩٦٦-١٩٧٠ ٤٧ ٣٦

١٩٧١-١٩٧٥ ٤٩ ١٨

١٩٧٦-١٩٨٠ ٤٠ ١٠

١٩٨١-١٩٨٥ ٢٥ ٢٩

١٩٨٦-١٩٩٠ ٢٧ ١٦

١٩٩١-١٩٩٣ ١١ ١٤

٢

...في الستينيات، كانت الإمبراطورية تلحق بسرعة بالأمريكيين، الذين كانوا قد تقدموا عليها. في عام ١٩٦٧، ظهرت أولى طرادات الغواصات الحاملة للصواريخ من مشروع ٦٦٧أ، وهما ناليم ونافاجا، في الاتحاد السوفيتي. كانت هذه الطرادات قادرة على إطلاق صواريخ باليستية بمدى ٢٥٠٠ ميل من تحت الماء. حملت كل واحدة منها ميغاطن واحد، أي ما يعادل مليون طن من مادة تي إن تي. (خلال الحرب العالمية الثانية، ألقت الولايات المتحدة ٢,٧ مليون طن من القنابل على ألمانيا). بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٢، أُطلق ٢٥ غواصة من هذا النوع في سيفيرودفينسك. أصبحت هذه الطرادات نسخًا روسية من الغواصات الأمريكية من فئة جورج واشنطن. ولهذا السبب أطلقت عليها الولايات المتحدة لقب "يانكي". وأطلق عليها غواصونا أحيانًا مازحين اسم "فانيا واشنطن". في النصف الثاني من ثمانينيات القرن العشرين، جُهزت عدة غواصات من طراز "٦٦٧" بصواريخ كروز استراتيجية دون سرعة الصوت من طراز "الرعد"، والتي كانت تُطلق مباشرة من أنابيب طوربيد. في الوقت نفسه، كنا نُصمّم غواصات المشروعين 670 و671 (تشارلي وفيكتور، كما يُطلق عليهما أعداؤنا)، وكانت الغواصات 670 مُسلّحة بصواريخ كروز من طراز أميثيست من شركة الأكاديمي تشيلومي، مُخصّصة لمحاربة تشكيلات حاملات الطائرات الأمريكية. كانت تُطلق من تحت الماء، من عمق خمسين مترًا، ثم تحلق الغواصة أميثيست على ارتفاع 60 مترًا، باحثةً عن هدف ضمن دائرة نصف قطرها 80 ميلًا. في عام 1965، صمّم بناة السفن الإمبراطوريون سلسلة كاملة من الزوارق عالية السرعة - صائدات السفن والغواصات، والزوارق القاتلة. تلك التي يُطلق عليها الغرب اسم "المنتصرين" - الفائزين. صُمّمت جميعها من قِبل شركة مالاخيت، تحت إشراف ج. تشيرنيشوف: الأنواع 671، وV671، وK671 ("راف")، وRT671، وRTM67 "شوكا". تم إطلاق ما مجموعه 48 سفينة من هذا النوع. سبع غواصات من طراز RT671 (أو "فيكتور-11"، 1967-1978)، بسرعة 30 عقدة، مُسلحة بأنابيب طوربيد 650 ملم وصواريخ مضادة للغواصات. حتى عام 1987، بنت الإمبراطورية 26 غواصة من طراز RTM667 (شوكا أو "فيكتور-3"). منذ منتصف الثمانينيات، زُوِّدت بصواريخ كروز استراتيجية دون سرعة الصوت. كما أن طوربيداتها ذات المدى الموسع 650 ملم جعلتها سلاحًا فتاكًا.

"...معك حق بشأن غواصات "فيكتور". أحد هؤلاء الأوغاد مزّق سفينتي السابقة إلى نصفين تقريبًا."

"أتعاطف معك بشدة، لكن عليك أن تعلم أن إيفان يُوظّف أفضل القادة على متن غواصات "فيكتور". إنها أكثر موثوقية من أي غواصات روسية أخرى في القيادة، وهذا يعني الكثير لسائق ماهر. إذًا، كنت تتعامل مع قائد ماهر. هل هاجمكم من الخارج؟

هز موريس رأسه:

- رصدناه متأخرًا جدًا، عندما كان يُبطئ سرعته، ولم تكن الظروف الصوتية شديدة الحرارة، لكننا سمعناه، على بُعد لا يزيد عن خمسة أميال. رفعنا مروحية، وكدنا نرصده، ثم انقطع الاتصال وظهر فجأة داخل التشكيل (داخل تشكيل قافلة من السفن، التي كانت تحرسها مدمرات وفرقاطات أمريكية - الكاتب).

- نعم، تستطيع "المنتصرون" فعل مثل هذه الأشياء. أسميها "خدعة مع ضخ خارجي". يدخل في واحدة.

إلى جانب، ثم ينعطف فجأةً إلى الجانب الآخر، ويُحدث دوامة في الماء ويلقي طُعمًا صوتيًا فيه. ثم يغوص تحت الطبقة ويركض بسرعة إلى هناك. لقد مارس الروس هذا التكتيك لسنوات عديدة، وقد عانينا كثيرًا حتى وجدنا حلولًا مضادة. نحتاج إلى طاقم مروحيات قوي جدًا وفريق عمل ممتاز هنا في غرفة التحكم.

... خدعة الضخ هي أفضل ما يمكن أن تفعله طائرات "فيكتور"، ويجب الانتباه إليها بشكل خاص، نظرًا لقدرتها على التسارع السريع والانعطاف الحاد... عندما تنعطف طائرة "فيكتور" يسارًا، تذكر أنها في الواقع تنعطف يمينًا...

- وإذا أخطأت؟

- إذن أخطأتَ يا ربّان... إذا غادر، فلن تتمكن من اللحاق به... "-

هكذا يصف كلانسي قواربنا من هذا النوع.

منذ عام ١٩٧٢، أُطلقت غواصات من سلسلة ٦٦٧ بي، أطلق عليها الغرب اسم "دلتا" ونحن اسم "مورينا". تستطيع هذه الغواصات، التي يبلغ طولها ١٣٩ مترًا، التحرك على عمق ٥٥٠ مترًا بسرعة ٢٦ عقدة. بفضل هيكلها المصنوع من الفولاذ منخفض المغناطيسية، زادت قدرة هذه القوارب من الجيل الثاني على التخفي. بطاقمها المكون من ١٢٠ فردًا، حملت "مورينا" اثني عشر صاروخًا باليستيًا من طراز RSM-٤٠ (بقوة ١,٥ ميغا طن) بمدى يزيد ثلاثة أضعاف ليصل إلى ٩١٠٠ ميل.

في ذلك الوقت، كان عليها أن تتسلل عبر حدود نظام الكشف الغربي "سوسوس" - عبر سلاسل أجهزة الاستشعار المثبتة في القاع. غطّت هذه الغواصات السواحل الشرقية والغربية للولايات المتحدة، مختبئة. على سفوح الجرف القاري. امتد خط "سوسوس" أيضًا على طول حدود الدفاع الغربي المضادة للغواصات. أغلق الخط الفاصل بين رأس الشمال النرويجي وجزيرة بير في بحر جرينلاند المخرج من شبه جزيرة كولا إلى شمال المحيط الأطلسي. ينخفض قاع البحر عند هذا الخط بشكل حاد إلى أعماق تتراوح بين كيلومترين وثلاثة كيلومترات، مشكلًا حوض لوفوتين.

امتد الخط الثاني من ألسنة جرينلاند الجليدية إلى أيسلندا التي تغلي بالينابيع الحارة والحمم البركانية. ثم - على طول المياه الضحلة للهضبة الفارو الأيسلندية تحت الماء - إلى جزر فارو المكسوة بالطحالب، وينتهي قبالة ساحل شمال اسكتلندا. أخبر شخصًا من القرن التاسع عن هذا الخط الدفاعي، لقال إنه كان دفاعًا ضد البوارج-الدراكار التابعة للفايكنج الشرسين، الذين كانوا يخوضون غارات بحرية على أوروبا. لكننا كنا الفايكنج-الفارانجيين في النصف الثاني من القرن العشرين.

أصبحت "دلتا موراي" قواربنا القتالية في السبعينيات. ثماني عشرة سفينة، من بنات أفكار المصمم س. كوفاليف. بدن بطول 139 مترًا مصنوع من فولاذ منخفض المغناطيسية، قادر على الإبحار بسرعة 26 عقدة تحت عمق نصف ميل من الماء. خدمت اثنا عشر من غواصاتهم من مشروع B667 في الأسطول الشمالي، وثماني غواصات في أسطول المحيط الهادئ. كل منها هددت اثني عشر صاروخًا من طراز RSM-40/R-29U.

ثم، في الفترة من 1973 إلى 1975، بُنيت أربع سفن من مشروع BD667 - "موراي-إم" - في أحواض بناء السفن في سيفيرودفينسك. تمركزت هذه السفن بالقرب من مورمانسك، في غادجييفو، وحملت كل منها ستة عشر صاروخًا عابرًا للقارات.

1976-1981. استلمت القوات الشمالية للإمبراطورية أربع عشرة غواصة من فئة كالمار (BDR667). كانت غواصات "دلتا-111"، كما كانت تُسمى في الولايات المتحدة الأمريكية، هائلة ببطارياتها المكونة من ستة عشر صاروخًا برؤوس حربية متعددة - RSM-50. وبالفعل في بين عامي 1981 و1991، ظهرت سبع غواصات من طراز "دولفين" (BRDM667) في قاعدة خليج أولينيا. وبفضل هدوءها المتزايد، وصواريخها عالية الدقة من طراز RSM-54، تمكنت من ضرب الأمريكيين على مدى 8300 كيلومتر، دون مغادرة قواعدهم في شبه جزيرة كولا. منذ منتصف سبعينيات القرن الماضي، دأبت الإمبراطورية على بناء غواصات نووية من الجيل الثالث. في عام 1980، ظهرت غواصتان نوويتان من تصميم ب. بوستينتسيف وإ. بازانوف في خليج زابادنايا ليتسا - قوارب المشروع 949. سويفت (30 عقدة)، وهي مسلحة بـ 24 صاروخ كروز مضاد للسفن من طراز جرانيت بمدى 550 كيلومترًا (وهي نفس الصواريخ الموجودة على طرادات فئة أورلان). تتميز هذه الروبوتات المجنحة بسرعة تفوق سرعة الصوت، على عكس صواريخ هاربون وتوماهوك الأمريكية الشهيرة. لذلك، تستطيع غواصات 949 ضرب أسراب السفن الأمريكية دون دخول منطقة دفاعها المضاد للغواصات. تستطيع القوارب اختراق أكثر حدودها تشعبًا. تتبادل غواصات الجرانيت، التي تُطلق من القوارب، المعلومات أثناء

الطيران، وتوزع الأهداف فيما بينها، وتُربك الدفاعات الجوية للسفن المُهاجمة. تُسمى هذه الغواصات في الولايات المتحدة "أوسكار-1". وتُسمى الغواصات الروسية المقاتلة لحاملات الطائرات من طراز "أنتي" (A949)، التي بُنِيَت منذ عام 1986، "أوسكار-2". بحلول عام 1993، سُلِّمت أربع من هذه الغواصات إلى أسطول المحيط الهادئ، وسبع إلى الأسطول الشمالي. تستطيع غواصات "أوسكار" الغوص لمسافة نصف كيلومتر بسرعة 28 عقدة.

لا تزال غواصات "قاتلة حاملات الطائرات" - غواصات الصواريخ النووية "أنتي" من مشروع A949 - في الخدمة، وهي جزء من مجمع الاستطلاع والهجوم (RUK)، الذي يجمع الغواصات النووية والأقمار الصناعية المزودة بالرادارات، بالإضافة إلى طائرات الاستطلاع وتحديد الأهداف. تحمل كل غواصة نووية 24 صاروخًا من طراز "جرانيت" تفوق سرعتها سرعة الصوت (M=2.5) بعيد المدى (550 كم)، مزودة بنظام توزيع أهداف ذاتي في وابل...

لا توجد نظائر لغواصاتنا من مشروعي 949 وA949 في الأسطول الأمريكي. صواريخ كروز المضادة للسفن من طراز توماهوك BGM-109G، التي تقل سرعتها عن سرعة الصوت، ويبلغ مداها الأقصى 450 كيلومترًا، والمسلحة بغواصات أمريكية من فئة لوس أنجلوس، ليست جزءًا من سلاح البحرية الملكي البريطاني (RUK) ولا تحتوي على نظام توزيع أهداف، مما يقلل بشكل كبير من تأثيرها.

"فعالية استخدامها وزيادة استهلاك الصواريخ"، هذا ما كتبته مجلة "مور" في ديسمبر 1995 ضمن مختاراتها من الصحافة الأجنبية.

في مايو 1982، وبينما كانت معارك ضارية تدور في جنوب المحيط الأطلسي البعيد بين السرب الإنجليزي والطيارين الأرجنتينيين، وضع سكان نهر الفولغا أول غواصة تيتانيوم من مشروع "945" ("المريخ") في "كراسنوي سورموفو". وبحلول مايو 1990، لم نتمكن من بناء سوى ست سفن من هذا النوع. أطلق العدو على هذه السفن الجميلة اسم "سييرا". بهياكلها الرشيقة الشبيهة بالطائرات بطول 112 مترًا، وبرج قيادة منخفض وطويل انسيابي. تصل هذه الغواصات إلى هاوية بعمق 800 متر وتندفع عبرها بسرعة مدمرة - 35 عقدة. وُلدت هذه الغواصات في مكتب تصميم "لازوريت"، بقيادة نيكولاي كفاشا. كانت قادرة على القتال بقنابل الأعماق والصواريخ المضادة للغواصات، وضرب الأهداف الساحلية بصواريخ كروز. صواريخ.

تُعيد أسماؤها إلى الأذهان غواصات البحرية الإمبراطورية الروسية المجيدة. "باراكودا"، "كوندور"، "كراب"، "وولففيش"، "بيرش". خشيت هذه الحثالة المرصعة بالنجوم منها! في 11 فبراير 1992، انتهى الاتحاد. تمزقت الإمبراطورية إربًا إربًا تحت سيطرة حثالة بشرية فاسدة. غزت الغواصة الأمريكية "باتون روج" مياهنا الإقليمية بالقرب من جزيرة كيلدين، على المداخل الغربية لخليج كولا. اندفعت غواصتنا "باراكودا" لمواجهة هؤلاء المتغطرسين، واصطدمت الغواصات في معركة تحت الماء. عادت الغواصة الأمريكية المتضررة إلى ديارها.

منذ عام 1982، وُلدت إحدى عشرة مقاتلة رائعة من طراز شوكا-بي (النوع 971 أو أكولا وفقًا لتصنيف حلف شمال الأطلسي) على سواحل كومسومولسك-أون-أمور وسيفيرودفينسك، في بقع من الشرر الأزرق الناتج عن اللحام الكهربائي. ن. تشيرنيشوف، الذي صنعها في... قدمت شركة مالاخيت ردًا سهلًا على العدو. إزاحة 7900/5700 طن. الهيكل ليس مصنوعًا من التيتانيوم باهظ الثمن، بل من فولاذ منخفض المغناطيسية أرخص - بطول 108 أمتار. لم يسعَ المصمم إلى تحطيم الأرقام القياسية في أعماق البحار والسرعة: 500 متر و35 عقدة. ولكن في الوقت نفسه، تتميز شوكا-بي بصمتها المذهل. لا يرتفع برجها المخروطي كبرج أو زعنفة، بل يشبه تدفقًا ناعمًا على هيكل مثالي الشكل يشبه السيجار. تتناقص تدريجيًا نحو المؤخرة، وتتوجها قطعة عرضية من الدفات الأفقية والرأسية، تشبه ذيل الطائرة. الدفة العلوية تشبه تمامًا ذيل طائرة توبوليف، وتتوجها جسم على شكل دمعة. لا تزال مقاتلة سرية تحت الماء، مسلحة بصواريخ RK-55 الرهيبة ذات الشحنات النووية، وهي سلاح متعدد الأغراض للإمبراطورية. ثمانية أنابيب طوربيد تهدد العدو منها: أربعة غواصة من عيار 650 ملم وغواصة من عيار 533 ملم. في ربيع عام 1995، حاولت السفن الأمريكية مطاردة أحد هذه الغواصات قبالة الساحل الشرقي لأمريكا. تباطأت سرعتها، وبعد تجاوزها خط 6-9 عقد، فقدت البحرية الأمريكية الاتصال بها. واعترفت هي نفسها بأن غواصة شوكا-بي تتفوق على أهدأ غواصاتها من فئة لوس أنجلوس من حيث الهدوء والتخفي. وهكذا، أصبحت هذه الغواصات سلاح انتصارنا في سباق التسلح البحري الذي استمر نصف قرن. ولم تعد الولايات المتحدة تملك حجة: "الروس لديهم غواصات أكثر منا، لكنها رديئة الصنع". فقط "قنبلة

غورباتشوف"، التي ضربت الإمبراطورية بشظايا سامة من الخيانة والفساد، أوقفت انتصار أسطول الغواصات الروسي!

لكن ذروة أسطول الغواصات النووية الروسية كانت غواصات "أكولا" من مشروع 941، والتي يُفضل الآن تسميتها على الطريقة الأمريكية "تايفون". لا تزال... أقوى الغواصات للضربات الاستراتيجية. تحمل غواصات "شاركس" 200 رأس حربي على عشرين صاروخًا من طراز RSM-52 تعمل بالوقود الصلب. إنها السيف الذي لا يُقاوم لروما الثالثة. حتى أكثر أنظمة الدفاع الفضائي الأمريكية تطورًا لن تتمكن من الصمود أمام ضربات غواصاتها RSM ذات الرؤوس الحربية المتعددة، حتى لو نجحت في إطلاق "حرب النجوم".

مركبات قتالية ضخمة، بإزاحة 24.5 ألف طن وطول 175 مترًا، لا تقل حجمًا عن طرادات المعارك العملاقة في الحرب العالمية الأولى. ولكن، على عكسها، تغوص حتى عمق ربع ميل وتخوض تحت الأمواج بسرعة 27 عقدة. وللتخفي، تحتوي على مراوح خاصة، ومثاقب - "مسامير أرخميدس" - في أنفاق خاصة تحت الهيكل. إنها صامتة لدرجة أن صوتيات العدو غالبًا ما تخلط بين صوت "شاركس" الخافت وهو يزحف بسرعة منخفضة وضجيج الحيتان. أطلقوا على الغواصة الروسية اسم "الشبح". مروحة "كاتربيلر".

تصميم القارب فريد من نوعه. هيكله عريض جدًا، وبرج القيادة منقول إلى مؤخرته. تقع بطارية صواريخ البارجة النووية أمامه. تقع منصات الإطلاق بين هيكلين قويين. كما أن أسلحة الدفاع الذاتي، والطوربيدات الصاروخية، ومركز التحكم مُحاطة بـ"كبسولات" منفصلة - هياكل قوية. يتميز القارب بمتانة فائقة، فقد صُمم للمعارك العنيفة، حيث يتعين عليه تحمل ضربات صواريخ العدو وقنابل الأعماق. في رواية كلانسي "مطاردة أكتوبر الأحمر"، تصمد غواصة من طراز 941 أمام ضربة طوربيد وتواصل القتال، وتصطدم بقارب آخر بساقها القوي، ثم تبقى في الخدمة!

أدى مدى صواريخ "أكولي" الباليستية إلى ولادة استراتيجية جديدة: يمكن للقوارب المناورة في المياه المحمية بالكامل من قبل الأسطول السطحي الروسي، وتوجيه الضربات من هناك، دون خوف من هجمات الآخرين ("العرض العسكري"). مارس-أبريل 1995). هذا السلاح ممكن

صُممت غواصات الإمبراطورية في مكتب روبين المركزي للتصميم -18 تحت إشراف س. كوفاليف. في الفترة من 1977 إلى 1984، أطلقنا ست غواصات من طراز 941، لتسليح الأسطول الشمالي بها. تتمركز هذه الغواصات بالقرب من مورمانسك، في آخر مجاري تيار الخليج الدافئ، عند مصب نهر كولا، وزابادنايا ليتسا، وخليج نيربيشيا. تُلحق ضرباتها جروحًا قاتلة بأمريكا حتى لو دمرت جميع صواريخ سلاحنا الجوي أو الأرضي بسحر رهيب. دعونا نقارن غواصة أكولا-تايفون بنظيراتها الغربية. تمكنت الولايات المتحدة من بناء ثماني غواصات باهظة الثمن من فئة أوهايو، تحمل 24 صاروخ ترايدنت سي-4. تحتوي كل منها على 8 شحنات مائة كيلوطن بمدى 7400 ميل. سبع غواصات أخرى من طراز أوهايو مجهزة بصواريخ ترايدنت-2 (10000 كيلومتر، 8 رؤوس 100 كيلوطن). غواصاتنا من طراز RSM-52 مزودة بعشر رؤوس، قوة كل منها 200 عقدة! وكل غواصة من طراز Typhoon-Akula تعادل غواصتين من طراز Ohio من حيث القوة الضاربة!

في أواخر عهد الإمبراطورية، قامت مجموعة من العلماء بقيادة يفغيني كورميليتسين ببناء غواصة ذرية من الجيل الرابع ضمن مشروع 885. وللأسف، لم يبدأ بناء أول غواصة، Severodvinsk، إلا في 28 ديسمبر 1993. كل ما هو معروف عن هذه الغواصات هو أنها هادئة، وسرعتها 31 عقدة، وإزاحتها 8200/5800 طن، وطولها 111 مترًا. وهي مسلحة بـ 24 صاروخًا مضادًا للسفن من طراز Oniks من أحدث طراز.

وفقًا لمحللي البحرية الأمريكية، تتفوق غواصة المشروع 885 على أحدث الغواصات النووية الغربية في جوانب عديدة، لا سيما في مستوى الضوضاء. ويُشار إلى أنه في هذا المعيار، لا تضاهيها في ذلك سوى الغواصة النووية الأمريكية من الجيل الرابع "سي وولف"، كما كتبت مجلة "مور" في ديسمبر 1995.

أفادت التقارير أن روسيا بدأت بتصميم نسخة مُحسّنة من الغواصة النووية "سيفيرودفينسك"، التي يصنفها الأمريكيون على أنها غواصة من الجيل الخامس. وفي رأيهم، ستكون هذه الغواصة النووية أقل ضوضاءً من أي غواصة أمريكية (بما في ذلك "سي وولف")...

كيف لنا أن نعرف كل هذا؟ لنأخذ تقرير منظمة "بيلونا" النرويجية "البيئية" الصادر في 19 أبريل 1996. هؤلاء الأشخاص يُجيدون تصفية الكثير من المعلومات من الصحافة المحلية. ولم يكن من قبيل الصدفة أن فرض ستالين حظرًا على الأجانب في دراسة الصحف المحلية!

3

لا تزال غواصات التيتانيوم إحدى جواهر عبقريتنا الوطنية. كان سلفها هو K-222 Anchar، الذي سبق أن أخبرناكم عنه. ظهرت غواصات التيتانيوم Nautiluses في ستينيات القرن الماضي، عندما صنعت الولايات المتحدة معدات فائقة الحساسية لكشف السفن تحت الماء - مغناطيسية وصوتية. كنا بحاجة إلى غواصات نووية خفية ومنخفضة الضوضاء، ذات أعماق غوص قياسية وسرعة فائقة. ولهذا، ابتكرت العقول الإمبراطورية فكرة استخدام تقنيتين: هياكل تيتانيوم خفيفة ومتينة ذات مغناطيسية منخفضة، ومفاعلات المعادن السائلة (LMR).

ما هي مفاعلات المعادن السائلة؟ الغواصة النووية تشبه إلى حد كبير الباخرة. فقط، بدلًا من فرن يعمل بالفحم الساخن، تحتوي على مفاعل يحدث فيه تفاعل متسلسل لليورانيوم. تحوّل الحرارة الماء إلى بخار، ويدير توربينات السفينة. ومع ذلك، لا يُضخ الماء، الذي يتحول إلى بخار يدفع الآلة، مباشرةً في "المرجل النووي"، بل يُسخّن بواسطة سائل تبريد يدور عبر المفاعل في ما يُسمى بالدائرة الأولية. والماء الذي يُسخّن بواسطته، والذي يُحوّل إلى بخار للتوربينات، هو الدائرة الثانوية. في مفاعل LMR، يكون سائل التبريد مزيجًا من المعادن منخفضة الانصهار والرصاص والبزموت. اختُبر هذا المفاعل لأول مرة عام ١٩٦٢ على متن غواصة K-27 (المشروع ٦٤٥). وتبيّن أن هذا النظام يكتسب الطاقة بشكل أسرع بكثير، وأن بدء تشغيله يتطلب طاقة أقل بكثير من المفاعل التقليدي. لذلك، أصبح من الممكن تقليل كتلة البطاريات الموجودة على متن السفينة بمقدار الربع. بفضل حجمه الصغير وانخفاض ضجيجه، أصبح مفاعل LMR هبة من السماء لأسطول الغواصات الروسي.

صُمّمت K-27 بواسطة SKB-143 في سانت بطرسبرغ. ويُعهد إليه أيضًا بتصميم غواصة "ألفا" الشهيرة من طراز "٧٠٥". في البداية، كان المصمم الرئيسي للسفينة هو م. روسانوف، ثم ف. رومين. وافقت وزارة الدفاع السوفيتية على تصميم الغواصة في أبريل 1961...

في الواقع، كان الأمريكيون هم من أطلقوا على هذه المعجزة اسم "ألفا". وأطلقنا على غواصات هذا النوع اسم "ليرا". أصبحت هذه الغواصات بمثابة غواصات قتالية حقيقية، لا مثيل لها حتى اليوم. زودها نظام التبريد المعدني السائل بقوة أربعين ألف حصان وسرعة طوربيد مندفع تتراوح بين 41 و42 عقدة. ولم يتطلب هيكل التيتانيوم معدات إزالة مغناطيسية ضخمة. كانت ملامح الغواصة لافتة للنظر بشكلها الانسيابي الشبيه بالدموع، وكانت المثبتات والدفات تشبه طائرات القاذفات عالية السرعة. وهذا ليس مفاجئًا - ففي النهاية، عند سرعة أربعين عقدة في بيئة مائية كثيفة (أكثر كثافة من الهواء بـ 800 مرة)، كان أدنى خشونة في الهيكل يتسبب في هدير هائل وهدير دوامات مضطربة.

ألفا، وحش بحري مفترس بإزاحة 2900 طن (3800 طن عند الغمر)، بطول 80 مترًا، صُممت لتكون مدمرة "لقاتلي المدن" الأمريكيين - الغواصات التي تحمل صواريخ باليستية وحاملات طائرات استراتيجية. ستة أجهزة في مقدمة السفينة، وعشرون طوربيدًا أو "صواريخ تحت الماء" مخصصة لها، وأنظمة احتياطية ثلاثية. مع ذلك، دعونا نعطي الكلمة لإيغور بوتشين (مجلة "تكنولوجيا-مواليدي"، العدد 10، 1996):

- صُممت في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي، عندما بدأ الأمريكيون في بناء حاملات طائرات هجومية.

غواصات نووية مضادة للغواصات وحاملة للصواريخ، بإزاحة 75 ألف طن، مزودة بصواريخ عابرة للقارات، - أوضح قائد السفينة، الكابتن من الرتبة الأولى ف. روغوزين. - لمواجهتها، كانت هناك حاجة لمقاتلات حاملات طائرات عالية السرعة وقادرة على المناورة. في البحرية، أُطلق عليها اسم "المدافع الرشاشة"...

صُنع الهيكل الانسيابي المثالي، على شكل دمعة، من سبائك تيتانيوم متينة للغاية، مصممة لتحمل الضغط العالي، ومغطاة بقشرة تمتص نبضات المعدات الصوتية المائية. صُممت مقدمة السفينة بشكل بيضاوي. صُنع غلاف

غرفة القيادة أقل ارتفاعًا من المعتاد، ووُضعت فيه إضافة جديدة - كبسولة إنقاذ منبثقة. وهي عبارة عن حجرة مغلقة بقطر يقارب قطر غرفة القيادة، وتحتوي على مقاعد بسيطة على طول محيطها. في حالة وقوع حادث، يجب أن يتسع الطاقم بأكمله داخلها، ويُغلقون الفتحة السفلية بإحكام، وبعد الصعود إلى السطح، ينتظرون رجال الإنقاذ.

نزلنا إلى غرفة القيادة أولاً، ومن هناك، على سلم شديد الانحدار، انتقلنا إلى مركز صغير، ولكنه واسع... أقرب قليلاً إلى المؤخرة يقع كرسي القائد الدوار، ومنه تظهر بوضوح مواقع المتخصصين مع مخططات الاتصالات للأجهزة والوحدات. علاوة على ذلك، فهي مرتبة ترتيبًا منطقيًا. على سبيل المثال، يجلس على الجانب الأيسر "المتخصص النووي"، يليه مدير التوربينات، وهكذا.

...عبر فتحة ضيقة، انتقلنا واحدًا تلو الآخر إلى المقصورة الأمامية، المزدحمة بالكتل والآليات، والمتقاطعة مع خطوط الأنابيب والطرق السريعة. توقفنا في ممر لا يستطيع شخصان المرور فيه.

- في الأسفل حاجز للسونار، وفي الأعلى أنابيب طوربيد وطوربيدات احتياطية - قال القائد.

- وأين أماكن البحارة؟ - تفاجأ فناننا.

- لماذا؟ - ابتسم روغوزين. - يتم التحكم في جميع الأجهزة من المركز المركزي، حيث يتم تلقي المعلومات من المقصورات باستمرار. تتم معالجته بواسطة نظام المعلومات والتحكم القتالي (CICS)، ويساعد في توجيه السفينة.

...وفقًا لأوامر المركز الرئيسي، يتم اختيار الذخيرة (طوربيدات، طوربيدات صاروخية، إلخ) عن بُعد، وتُحمّل الأجهزة، وتُدخل بيانات الإطلاق، ونظرًا لعدم الحاجة إلى إبقاء حراس في المقصورات، اقتصر الطاقم على 30 متخصصًا... في الغواصات النووية الأمريكية من طراز "بيرميت" و"سكيبجاك" و"دريدنوت" الإنجليزية، ذات الإزاحة والأبعاد المتقاربة، بلغ عدد الطواقم 107 و93 و98 غواصًا على التوالي. وقد تم إنشاؤها بالتزامن مع "المدافع الرشاشة" الروسية!

...صرح القائد أن نظام المعلومات والتحكم القتالي مزود أيضًا بنمط بحث صوتي مائي: نشط - حيث تستكشف المعدات المحيط بنبضات، وتستقبل إشارات صدى من الأهداف، أو سلبي - حيث يستمع فقط إلى الأعماق. في هذه الحالة، يمكن للغواصة أن تتجمد في حالة تعليق على عمق معين، وتدور ببطء - وهي ميزة كانت ولا تزال فريدة من نوعها... لا يحتاج القائد إلى الصعود إلى السطح تحت المنظار من حين لآخر لفحص سطح البحر والجو، فنظام المعلومات والتحكم القتالي نفسه يراقب البيئة المحيطة. تعمل معدات الملاحة أيضًا تلقائيًا، حيث تراقب موقع السفينة في أي منطقة من محيط العالم. نادرًا ما ترفع المنظار الرأسي لبضع ثوانٍ فقط لالتقاط الشمس أو القمر أو بعض النجوم - وهو ما يكفي للحاسوب الذي يحسب الإحداثيات ويضعها على الخريطة... كانت "الغواصات الآلية" تقريبًا أول من زُوّد بأجهزة قياس صدى الصوت، مما سمح لها بقياس سمك الجليد القطبي، وتضاريسه، والعثور على الخيوط والخطوط الطولية.

كان من المفترض بناء غواصات المشروع 705 في سلسلة متكاملة. وُضعت السفينة التجريبية على منحدر مصنع الأميرالية في ديسمبر 1977، وبعد ست سنوات في سيفيرودفينسك - السفينة الرئيسية - لكنهم اضطروا إلى إجراء تعديلات كثيرة على أنظمة التشغيل الآلي الجديدة آنذاك، والأهم من ذلك، المفاعل. لم يتمكنوا قط من التعامل مع هذا الأخير، فاقتصروا على بناء ست سفن فقط. رفعت السفن الأخيرة أعلامها في أوائل الثمانينيات. عندما كنا في الشمال (عام 1991 - الكاتب)، كانت خمس "سفن آلية" مكتظة بائسة على الرصيف، وكان قارب آخر قيد التحديث...

- كان لمفاعل المعدن السائل مزايا لا يمكن إنكارها، ولكن كان هناك أيضًا الكثير من الضجة حوله: إما أن "يتجمد" سائل التبريد، أو أن ينفجر الخط الرئيسي - اشتكى القائد.

ومع ذلك، كانت قوارب المشروع 705 واعدة، متقدمة جدًا عن عصرها. يشير الأدميرال تشيرنافين بدقة في مذكراته إلى أن سرعتها كانت "قريبة من سرعة الطوربيد"، ولكن قيل لنا إنها تصل إلى 45 عقدة، مثل قارب طوربيد! أضف إلى ذلك قدرة مناورة رائعة وعمق غوص كبير. "بمجرد ظهور الغواصات النووية من فئة ألفا،

أولتها جهات الناتو اهتمامًا خاصًا على الفور، لأن خصائص سرعتها خلقت مشكلة خطيرة لقوات الدفاع المضاد للغواصات"، كما أشار الإنجليزي د. ميلر في كتابه "صائدو الغواصات". في أحاديثنا، قال بحارة الأسطول الشمالي بمرارة إن "علماء الذرة" كانوا سريعين جدًا لدرجة أنهم لم يخيبوا أملهم في مفاعلات المعادن السائلة. وبالفعل: من حيث الصفات القتالية، فإن "الآلات الآلية" المصممة قبل 30 عامًا لا تقل في كثير من النواحي عن الغواصات النووية متعددة الأغراض اليوم. على أي حال، "ربما

لم يكن "العدو" موجودًا، ولا يملك مثيلًا له...

في الخمسينيات، تأخرنا. في 17 يناير 1955، نقل قائد أول غواصة نووية في العالم، الأمريكية "نوتيلوس"، الكابتن ويلكينسون من الرتبة الثانية، إلى القاعدة الخبر المثير: "سنتجه نحو الطاقة النووية!"، ولم تبدأ الغواصة السوفيتية K-3 تجاربها البحرية إلا في يوليو 1958. ولكن بحلول السبعينيات، حقق الاتحاد السوفيتي التكافؤ مع الولايات المتحدة في الأسلحة الاستراتيجية، بما في ذلك الأسلحة البحرية، وتفوق عليها في بعض النواحي...

بناءً على "ألفا"، في عام 1984، بنت الإمبراطورية أقوى غواصة مقاتلة من طراز "685". غاصت هذه الغواصة، وهي من طراز "بريداتور"، بطول 117 مترًا وبسرعة 30 عقدة، إلى عمق يزيد عن كيلومتر واحد. ولم يكن هناك سلاح في العالم قادر على الوصول إلى هذا العمق. ضغط الماء دمر طوربيدات العدو وقنابله المضادة للغواصات.

أطلق عليها الأمريكيون اسم "مايك"، وأطلقنا عليها اسم "كومسوموليتس". أدى حريق مأساوي داخل هيكل السفينة، بعد احتراق الوصلات المحكمة، إلى إنهاء حياة هذه السفينة العملاقة عام ١٩٨٩...

كان بإمكاننا امتلاك سرب من هذه الغواصات فائقة العمق. لكن في عام ١٩٨٥، وصل الخونة إلى الكرملين...

كانت آخر غواصات التيتانيوم الإمبراطورية هي غواصات "المشروع ٩٤٥" - "سييرا" بالأمريكية. لم تكن هذه الغواصات أدنى قيد أنملة من أحدث الغواصات الأمريكية من حيث التخفي. بين عامي ١٩٨٢ و١٩٩٣، أُطلقت ست منها. غاصت ثمانمائة متر، واخترقت الأعماق بسرعة ٣٥ عقدة. تصعد طوربيدات الصواريخ المحمولة على متنها، التي تُطلق الهواء المضغوط من أنابيب الطوربيد، إلى السطح وتُشغل محركاتها النفاثة. في لحظة ما، تصطدم هذه الغواصات بالأمواج مجددًا وتندفع تحتها، باحثةً عن هدف...

4

هل كانت غواصاتنا النووية أسوأ من الغواصات الأمريكية؟ يدّعي أعداؤنا أنها كانت كذلك: صاخبة، وأجهزة كشفها ضعيفة. ورغم أن الأمريكيين بارعون في مدح أنفسهم، والتضليل الإعلامي، والحرب النفسية، فإننا سنستشهد بتصريحاتهم.

في ديسمبر 1994، نقلت الطبعة الروسية من المجلة الأمريكية "جندي الحظ" كلمات الأدميرال إيمري:

"يواصل الروس بناء الغواصات النووية، وربما ليس من دون سبب... الآن في مياه المحيط العالمي، لا يبحر سوى عدد قليل من الغواصات الروسية. ومع ذلك، يعمل المهندسون الروس بجد لبناء جيل جديد من الغواصات. وهذا الوضع مقلق بشكل خاص للأمريكيين الذين يضطرون للخدمة في أسطول الغواصات."

في رواية الإثارة التقنية "العاصفة الحمراء" (1986) لكلانسي، حيث يُغرق الأمريكيون غواصات روسية على شكل مجموعات، تظهر بين الحين والآخر اعترافات قيّمة.

على سبيل المثال، تُصيب فرقاطة أمريكية غواصة من المشروع 670 ("تشارلي") بطوربيد MK-46، لكنها لا تُغرقها:

"جميع الغواصات الروسية تقريبًا ذات هيكل مزدوج، وهذا الرأس الحربي الغبي الذي يزن 45 كيلوغرامًا على MK-46 لا يضمن الغرق في أي حال..."

في رواية أخرى لكلانسي، تُصاب غواصة تايفون، التي اختطفها قائد ليتواني خائن، بطوربيد من "ألفا"، وتنجو منه أيضًا.

تتضمن مناورة "العاصفة الحمراء" اعترافًا آخر: الطوربيدات الروسية المضادة للغواصات التي تستخدمها غواصاتنا ضد الغواصات الأمريكية، بسرعة 36 عقدة، تحمل رأسًا حربيًا يزن 150 كيلوغرامًا، مقارنةً بـ 45 كيلوغرامًا للطوربيدات الأمريكية. على الرغم من أن الولايات المتحدة لا تمتلك سفنًا قادرة على التفوق على طوربيداتنا...

كان الغرب خائفًا للغاية من غواصاتنا "ألفا". في مناورة "العاصفة الحمراء"، هاجم أحد هذه القوارب ثلاث غواصات أمريكية، مهاجمًا إياها من تحت القشرة الجليدية. نجا الروس من الطوربيدات التي أُطلقت عليهم، وأصابوا غواصتين نوويتين أمريكيتين. كان طاقم الغواصة الثالثة، "شيكاغو"، يستعد للغرق في المياه الجليدية، عندما أنقذهم ظهور قارب إنجليزي غير متوقع. أطلقت طوربيدًا من طراز سبيرفيش على طائرتنا ألفا، بسرعة ستين عقدة...

في الحاشية، يعترف كلانسي: هو من اخترع هذا الطوربيد بنفسه، ولم يكن الغرب يمتلكه ولا يمتلكه. لذلك، في الواقع، كانت ألفا ستُغرق جميع أعدائها. يا لها من مقاتلة خارقة من التيتانيوم! كان الأمريكيون يخشون حتى غواصات مشروع M670 (سكات إم، 1973-1980). للكاتب نفسه قصة - هاجمت قافلة بحرية بستة صواريخ كروز دون سرعة الصوت، متجنبةً المطاردة. لم يُجدِ إطلاق الأهداف الزائفة في الجو نفعًا للأمريكيين.

دوى انفجار في الأفق. لم تكن سفينة شحن. لم يكن الوميض الهائل سوى دلالة واحدة - صاروخ أصاب مخازن ذخيرة السفينة الحربية. ربما كان هو نفسه الذي مرّ بهم للتو. لماذا لم يتمكنوا من تدميره؟ سُمعت ثلاثة انفجارات أخرى. وصلت موجة صوتية إلى سفينة "فارس"، كقرع طبول على نغمة باص. كانت مروحية "سي سبرايت" تقلع لتوها من سطح السفينة، متجهة شمالًا لمحاولة دفع القارب الروسي أقرب إلى السطح. أمر موريس بخفض السرعة إلى خمس عقد، على أمل أن يعمل السونار بهذه السرعة بشكل أكثر فعالية. لا شيء... قام طاقم المروحية بتوزيع اثنتي عشرة عوامة صوتية. أظهر اثنان منها شيئًا ما، لكن الاتصال سرعان ما تلاشى ولم يُستعاد.
سرعان ما ظهرت أوريون وواصلت البحث، لكن القارب اختفى تمامًا، بعد أن أغرق مدمرة وسفينتين تجاريتين بصواريخه...

5

هل كنا نخسر سباق التسلح في أسطول الغواصات النووية؟ سأظل على يقين من أننا لم نخسر فحسب، بل فزنا أيضًا. سأخبر هذا لأطفالي و لأحفادهم.

كدنا ننتصر في حرب الغواصات. كانت لدينا تقنيات أتاحت لنا بناء غواصتين أو حتى ثلاث غواصات بنفس المبلغ الذي أنفقه الأمريكيون على غواصة نووية واحدة. ويكمن سرّ ذلك في مواهبنا الصاروخية.

دعوني أوضح: سعر الغواصة النووية يعتمد على مقطعها العرضي، أي قطر هيكلها. كان بإمكان الإمبراطورية البدء في بناء غواصات أضيق (وبالتالي أسرع!) حاملة للصواريخ. في الولايات المتحدة، لم تسمح صواريخ الغواصات بتقليل حجم هياكل الغواصات - كانت صواريخها طويلة جدًا.

وفي عام ١٩٥٨، اقترح مصممنا البارع فاليري ماكييف (١٩٢٤-١٩٨٥)، وهو روسي من قرية بروتوبوفو قرب كولومنا، طريقته الخاصة لجعل الصواريخ الباليستية مدمجة قدر الإمكان - بتحويل خزانات وقودها إلى عناصر هيكلية تحمل أوزانًا.

لاحقًا، سُمي مكتب تصميم باسمه، حيثُ صُنعت خلال حياته وبناءً على أفكاره المعجزة الروسية - الصاروخ الباليستي البحري Zyb RSM-25، المعروف في الغرب برمز "SS-N-6". كان هذا الصاروخ، الذي تفوق في قوته على سابقيه RSM-40 وRSM-50، أقصر بمرة ونصف - بطول يقل قليلاً عن 10 أمتار. في Zyb، لم يكتفِ ماكييف بفكرة تحويل خزانات الوقود إلى جدران صاروخية، بل دفع محركات المرحلتين إلى نفس الخزانات.

كان التفكير الغربي في الصواريخ كسولًا ومُصطنعًا. لم يبتعدوا عن المسار المطروق: الرأس الحربي، والمضخات، والخزانات، والمحرك - واحدًا تلو الآخر، في غلاف. في المرحلة الأولى، وفي الثانية. لهذا السبب كانت سفنهم الحاملة للصواريخ ضخمة وباهظة الثمن.

أتاحت لنا أسلحة ماكييف، التي بدأ مصنع كراسنويارسك لبناء الآلات بإنتاجها، فرصة إطلاق أسطول من الغواصات الخفيفة والرخيصة الحاملة للصواريخ. ولذلك، ليس نحن، بل هم، قد يُفلسون في سباق تسلح الغواصات.

كان "زيب" مفتاح نصرنا، سيف كلادنتس الإمبراطوري.

6

طوال هذه السنوات، دارت حربٌ في الفضاء بيننا وبين الأمريكيين. طاردت الغواصات الغواصات، وتبعتها السفن المضادة للغواصات، محاولةً ألا تغيب عن أنظارها. كل هذا ينتظر كتّابه، حتى لا يغرقوا في ظلمات النسيان.

أي تاجر أو سمسار يستطيع أن يشعر بتوتر المعارك تحت الماء؟ نعم، كان هناك أناسٌ في عصرنا. اليوم، يُعتبر النصر هو الاستيلاء على عش جبلي لمخلوقٍ قطاع طرق - لكننا كنا آنذاك نسيطر على نصف العالم، ونقارن قوتنا بعدوٍّ غنيٍّ عالمي. كيف نُعبّر عن توتر تلك المعارك؟ في كتاب ج. ليسوف "الإنسان ليس مخلوقًا بريًا"، توجد حلقةٌ واحدة فقط من الستينيات. يا لها من حلقة!

كانت الغواصة النووية K-19 من المشروع "658" (بُنيت عام 1959) في طريقها إلى موطنها عبر شمال الأطلسي. لكن مسارها كان يمر عبر منطقة مناورات بحرية تابعة لحلف الناتو. ولن يُفوّتوا فرصة البحث عن غواصة روسية إذا اكتشفوها. وكانت K-19 تبحر على عمق...

اكتشف السونار عمل سونار فضائي. إنذار قتالي! غاصت K-19 تحت طبقة من الطبقة الحرارية، محاولةً الهروب من نبضات سونار العدو - أجهزة تحديد المواقع بالصدى. ووفقًا للنظرية، يجب أن تعكس حدود درجة الحرارة بين الطبقات إشارات فوق صوتية.

ولكن ليس دائمًا. وقد وجّه قائد الغواصة فلاديمير لوجينوف القارب بحيث تقع مؤخرة K-19 ذات السطح الأقل انعكاسًا في مجال عمل السونار الغربي.

نجح الأمر. خفتت النبضات. استقرت الغواصة على ارتفاع منخفض. وفجأة، ضربت إشارة صدى الهيكل مع دوي هائل. "سونار محطة هليكوبتر"، أفاد ضابط البحرية في السونار. يبدو أن صائد مروحيات تابعًا لحلف الناتو حلّقَ فوق المنطقة، وأنزل محطة البحث على حبل سلكي أسفل طبقة الترموكلين. لولا السلم، لكانت المروحية قد أطلقت طوربيدات الآن.

كانت الغواصة K-19 تحاول الفرار بأقصى سرعة. لكن نبضات السونار استمرت في "ضرب" جسدها. وها هو جهاز تحديد موقع المروحية الثاني. كانت الغواصة تُحاصر في كمّاشة، وكانت تنطلق إلى أقصى عمق. رسم الملاحون بحماس مسارًا، وحددوا موقع المروحيتين على الخريطة، محاولين تخمين أساليب مطاردتهما. ماذا لو كانت هذه حربًا؟ هل سيكون لدينا الوقت لإطلاق وابل من الطوربيدات ردًا على ذلك؟

ماذا لو تحطمت إحدى المروحيات - أي شيء وارد - وسقطت في الماء فوق K-19؟ أبلغ مشغل السونار: انفجار على الجانب الأيسر، ثم ماذا؟

كانت K-19 تُلقي بأهداف وهمية في الماء - مُولّدات ضوضاء. قرر لوجينوف استخدام طريقة أخرى - فقد انعطف مؤخرة الغواصة بالكامل لتتمكن من "اختراق" أثرها. بدأ هيكلها يهتز بشدة، ودخل القارب في تيار المياه المتدفقة، مغلفًا إياه بـ"معطف فرو" سميك عازل للصوت.

"المروحيات على بُعد سبعة أطوال كابلات في المقدمة!" - أبلغ الملاح.

"حسنًا، حسنًا..." بالكاد نطق القائد عندما بدأت "نبضات" السونار تضرب معدن الهيكل مرة أخرى. لكن تلك كانت ضربة عرضية - لم تسمع سونارات العدو الإشارات المنعكسة من القارب. بدأت النبضات بالتراجع. ومع ذلك، تمكنت K-19، بسرعة منخفضة، من الفرار من مطارديها.

فقد العدو الاتصال. ولكن هل تخلّى عن المطاردة؟ لفترة طويلة، واصلت K-19 التحرك بحذر شديد. وفي موقعها المركزي، كان الضباط يحسبون الإجراءات المحتملة لمجموعة البحث والهجوم التابعة لحلف الناتو...

لا تزال K-19 تهرب من الصيادين. حدث ذلك في ستينيات القرن الماضي البعيدة، عندما كان أسطولنا قد دخل المحيطات للتو...

7

في أواخر السبعينيات، جهّز الأمريكيون غواصاتهم بصواريخ توماهوك كروز دون سرعة الصوت، والتي أطلقوها من تحت الماء. (يبلغ مدى القتال برأس نووي 2500 كيلوواط)

أمتار، مع المدى المعتاد البالغ 1500 كيلومتر). ردًا على ذلك، اعتمدت الإمبراطورية نظائرها - "الرعد" و"غرانات". صُممت هذه الصواريخ أيضًا لضرب الأهداف الساحلية، متجاوزةً "توماهوك" في المدى، ومحلقةً على نفس الارتفاع المنخفض (80-60 مترًا). لا يمكن لرادارات الدفاع الجوي الوصول إليها.

8

اتسم النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي بوميض ساطع، أشبه بوميض المغنيسيوم، وبانتصار فوري مماثل لأسطول الغواصات النووية الإمبراطوري. في ربيع عام 1986، غادرت الغواصة K-524 زابادنايا ليتسا في رحلة. لم يفتح قائدها، الكابتن العام فلاديمير بروتوبوبوف، الحزمة إلا في البحر، بعد أن تلقى مهمةً أُعدّت بسرية تامة - وهي إيجاد طريق جديد لاختراق شمال الأطلسي، متجاوزًا خط الدفاع الغربي المضاد للغواصات في غرينلاند - أيسلندا - اسكتلندا. برفقة بروتوبوبوف الحذر والمتأني، أبحر الأميرال البحري الشاب النشيط أناتولي شيفتشينكو.

لأصعب رحلة، اختاروا غواصة من طراز "شتوكا" RTM-671، ووفقًا لتصنيف الناتو - "فيكتور-3". كان على القارب السريع ثنائي المفاعلات (30 عقدة) أن يغوص تحت الجليد في مسار غير مألوف تمامًا - مثل سفينة فضاء في مجرة غير مألوفة. لو حدث شيء ما، لما استطاع أحد إنقاذ طاقمه المكون من مئة شخص.

اتجهت الغواصة K-524، دون أن تطفو على السطح، شمالًا، إلى أرخبيل فرانز جوزيف لاند المغطى بالجليد، لتكون أول غواصة في العالم تعبر مضائقه الضحلة وهي مغمورة بالمياه. ثم اتجهت نحو الشواطئ الشمالية لجرينلاند. تحت عارضة الغواصة، بقي حوض نانسن العميق، حوض أموندسن...

كانت الخطة جريئة: الالتفاف حول جرينلاند من الشمال، والضغط عبر مضيق روبسون وكين ومضيق سميث الضيق، الذي يفصل الجزيرة الجليدية عن جزر الملكة إليزابيث، والدخول إلى خليج بافن. (هذا البحر مضيق ضخم يقع بين الساحل الغربي لجرينلاند وجزيرة بافن الكندية). ثم، عبر مضيق ديفيس، التسلل إلى بحر لابرادور، الذي يصب في شمال المحيط الأطلسي. ثم - التوجه جنوبًا شرقًا، تاركًا شبه جزيرة لابرادور وجزيرة نيوفاوندلاند على الجانب الأيمن، مارًا بمصب نهر سانت لورانس، متجاوزًا ضفة نيوفاوندلاند الرملية الكبرى. ثم - الذهاب إلى بحر سارجاسو، إلى شبكة خطوط الشحن، إلى موقع إطلاق النار "عن قرب" على نيويورك. بعد أن دارت حول غرينلاند من الشمال، تجاوزت الغواصة K-524 خط الدفاع المضاد للغواصات التابع لجيش من الجهة اليمنى. (نيكولاي تشيركاشين. هاجمنا "أمريكا" سرًا... - صحيفة "روسيسكايا غازيتا"، 1996/12/17. مذكرات المشاركين مقتبسة من أعماله).

لكن هذا الطريق كان محفوفًا بالمخاطر. لم يُستكشف قاع البحر قبالة السواحل الشمالية لغرينلاند إلا قليلاً. فهو غني بالشعاب المرجانية والصخور تحت الماء. والجزيرة العملاقة نفسها مغطاة بالكامل تقريبًا بنهر جليدي يبلغ

سمكه مئات الأمتار، ويتدفق ببطء إلى المحيط. تنكسر ألسنة النهر الجليدي وتختفي كجزر عائمة خطرة - جبال جليدية. ويشكل الاصطدام بمثل هذا الجبل الجليدي خطرًا مميتًا على أي سفينة سطحية. بعد أن اخترق جبل جليدي جانبها الفولاذي، غرقت سفينة "تايتانيك" الضخمة عام ١٩١٢. لكن الجبل الجليدي يُشكل خطرًا مضاعفًا على غواصة تبحر في ظلمة الأعماق السحيقة، لأن ثلثي الجبال العائمة تغوص تحت الماء، مما يُهدد القوارب بزوايا حادة. والأخطر من ذلك أنه في المياه الضحلة قبالة سواحل جرينلاند، لا تبقى سوى طبقة ضيقة من الماء بين قاع البحر والحافة السفلية للجليد الدائم. بينما تستقر الجبال الجليدية الأخرى على سطح الماء. قبل عام، صعد أناتولي شيفتشينكو على متن السفينة الهيدروغرافية العسكرية "كولجيف" لدراسة ظروف الخروج من تحت الجليد: "نظرتُ إلى شاشة الرادار - أمي وجدتي! - كان كل شيء في حالة توهج: جبال جليدية - كحبة دخن على مجرفة! وكان ضلع كولجيف ثلاثة مليمترات، وقد تعطل كلا المستشعرين وفقًا لقانون مورفي..."

يتذكر الكابتن بروتوبوبوف كيف داروا حول منطقة الدفاع الأمامية لحلف الناتو تحت القشرة الجليدية ودخلوا مضيق روبسون الضيق، المغطى بطبقة سميكة من الجليد:

لم تُعطِ الخريطة قياسات دقيقة - لم يسبق لأحد أن ذهب إلى هناك. كنا نذهب، كما يقول الملاحون في مثل هذه الحالات، بالصحيفة، لا بالخريطة. كانت الفجوة بين الأرض والحافة السفلية للجليد تضيق باستمرار. أحيانًا بدا أن القارب سينزلق في هذه الوضعية، كإسفين، ولن نتمكن من الالتفاف...

...لم تكن هناك أعماق آمنة لنا في خليج بافن بسبب الجبال الجليدية. حددناها باستخدام السونار. وافترقنا معها تحت الماء وفقًا لتقارير خبراء الصوتيات. هل تذكرون فيلم "سر محيطين"؟

انطلقوا نحو المحيط الأطلسي، فوجئوا: حاملة الطائرات الأمريكية النووية "أمريكا" كانت تمر بهم في طريقها إلى القاعدة - وهي سفينة عملاقة ذات حماية خفيفة، إزاحتها 79 ألف طن، وعلى متنها 86 طائرة. يتذكر فلاديمير بروتوبوبوف: "هاجمناها سرًا. بالطبع، بشروط. عدنا إلى الوطن دون أن يلاحظنا أحد".

نضيف: في حالة الحرب، كانت أمريكا محكومًا عليها بالهلاك. اقترب القارب من ضربة طوربيد مباشرة، ولم يسمعها خبراء الصوتيات الأمريكيون، بمعداتهم المتطورة التي يتباهون بها! خاصةً وأن أمريكا لا تمتلك أسلحة مضادة للغواصات قريبة المدى. بالمناسبة، هل يعتقد أحدٌ أن سفننا تُصدر ضجيجًا زائدًا؟

أصبحت رحلة سفينة شوكا الخاصة بنا إلى غرينلاند، وعلى متنها صواريخ كروز، انتصارًا بحريًا روسيًا. كان ذلك يعني شيئًا واحدًا للأمريكيين: تجاوز خطوطهم الدفاعية.

والآن، سيتعين عليهم بناء حواجز جديدة - هذه المرة في خليج بافن، على مقربة من الولايات المتحدة. إنفاق مليارات الدولارات غير المتوقعة لتغطية قاع البحر بأجهزة استشعار السونار، ورسم مسارات جديدة لطائرات أوريون - وهي طائرات مضادة للغواصات باهظة الثمن. لم يستطع الغرب تحديد خط فاصل شمال وشمال شرق غرينلاند: فالبحر هناك متجمد إلى الأبد، والجليد يخفي القوارب الروسية عن أجهزة الطائرات الحساسة، ويسد طريق المدمرات والفرقاطات، ويجعل تركيب أجهزة استشعار تحت الماء مستحيلاً. كل ما تبقى هو نشر حواجز حراسة لمقاتلات الغواصات هناك، لمراقبة صعبة وخطيرة تحت القشرة الجليدية. لكن هذه الحواجز، للأسف، لم تكن حصينة. لكنها كانت باهظة الثمن. نعم، كان هذا انتصارنا. الذي بدد ثماره بحماقة مهرج الكرملين الأصلع. ثم - "لقد بدأت العملية، كما تعلمون". لكن غواصات الأسطول الشمالي لم تكن على دراية بذلك بعد. كان غورباتشوف على وشك التوجه إلى مورمانسك عندما بدأت عملية "أترينا" الشهيرة، التي خطط لها قائد الأسطول الأدميرال فلاديمير تشيرنافين، عام ١٩٨٧. انطلقت الغواصة K-524 إلى البحر مرة أخرى (تحت قيادة الكابتن من الرتبة الثانية إ. سميلكوف)، ومعها أربعة غواصات ششوكا أخرى، أي الفرقة الثالثة والثلاثين بأكملها. قادها بطل غارة غرينلاند، الأدميرال شيفتشينكو، وقاد السفن غواصات من الرتبة الثانية: الكابتن من الرتبة الثانية م. كليوييف، وف. عليموف، وب. موراتوف، وس. بوبكوف.

اعتاد الأمريكيون على أن الغواصات الروسية تتجه إلى شمال الأطلسي عبر طريقين. إما بتجاوز أيسلندا من الغرب، أو محاولة التسلل بين أرخبيلي فارو وشيتلاند. لقد أصبحوا ماهرين للغاية في اكتشاف قواربنا وتوجيهها. حان الوقت الآن لتلقين أمريكا درسًا وإثبات قدرتنا على العمل سرًا والرد إذا لزم الأمر. إلى جانب الغواصات، شاركت في عملية "أترينا" فرقة جوية وسفينتان من طراز "كولجيف" مزودتان بهوائيات سونار مرنة.

غادرت الغواصات "زابادنايا ليتسا" واحدة تلو الأخرى. وللمرة الأولى، لم تكن تبحر منفردة، ولا في أزواج، بل كسرب كامل! هنا، تجاوزت إحدى غواصات "شوكا" "الزاوية" - شبه الجزيرة الإسكندنافية، والثانية، والثالثة... كان الأمريكيون على دراية تامة بهذه الحملة. ولكن في اللحظة الحاسمة، اتجهت الغواصات، الممتدة في طابور ضخم في المحيط، "فجأة" غربًا وغاصت في مياه المحيط الأطلسي الباردة. وفي طريقها، كُلِّفت بمهمة استقصاء الوضع في هذا الجزء من المحيط، الذي لم تكن تغطيه جيدًا أنواع أخرى من استخباراتنا.

انزعج الأمريكيون من تحرك فرقة كاملة من طرادات الغواصات إلى شواطئهم، فحشدوا عشرات من طائرات الدورية، مستغلين كامل قوة قواتهم المضادة للغواصات. لكن دون جدوى. لمدة ثمانية أيام كاملة، اختفت غواصات ششوكا من جميع شاشات العرض. أُجري البحث عنها بجدية تامة. صرح القادة لاحقًا أنه كان من شبه المستحيل الصعود إلى السطح لإجراء اتصال سريع للغاية أو ضخ الهواء في الأسطوانات. تمكنوا من دخول بحر سارجاسو، المغطى بالطحالب، دون أن يلاحظهم أحد، مباشرة إلى مثلث برمودا. وسرعان ما أصبحت غواصاتنا على بُعد عشرات الأميال من قاعدة هاميلتون في برمودا، حيث تتمركز قوات الأسطولين الأمريكي والبريطاني. يتذكر الأدميرال تشيرنافين:

"سرعان ما أبلغني رئيس الاستخبارات البحرية أن ست غواصات نووية غادرت نورفولك للبحث عن مفرزة شيفتشينكو. هذا لا يشمل تلك التي كانت تقوم بدوريات قتالية منتظمة في المحيط الأطلسي. أُرسلت ثلاثة أسراب من الطائرات المضادة للغواصات، وثلاث مجموعات بحث وهجوم بحرية، إحداها إنجليزية، بقيادة حاملة طائرات مضادة للغواصات من فئة "إنفينسيبل"، وثلاث سفن استطلاع صوتية مائية بعيدة المدى لمواجهتنا.

لم يُصنّف البحارة الأمريكيون غواصاتنا تصنيفًا دقيقًا، إذ اعتبروها حاملة صواريخ بحتة، على الرغم من أن الفرقة كانت تعمل بتشكيلة مختلطة. هذا بالضبط ما أُبلغ به الرئيس الأمريكي ريغان: كانت الغواصات الروسية الحاملة للصواريخ قريبة بشكل خطير من السواحل الأمريكية. لهذا السبب أُرسلت قوات بحث وهجوم كبيرة ضد غواصاتنا. لاحقت هذه القوات مفرزة الأدميرال شيفتشينكو طوال رحلة العودة تقريبًا، ولم تتوقف عن العمل إلا في بحر النرويج. للانفصال عن هذا الأسطول، ولحماية أنفسنا من وسائل البحث النشطة، أذنتُ للقادة باستخدام أجهزة مضادة للضجيج المائي، وهي أجهزة تُجهّز بها الغواصات فقط في حالة العمليات القتالية الحقيقية. أطلقوا أجهزة تُحاكي ضجيج الغواصة النووية، مُضلّلين مطارديهم عن مسارهم الحقيقي، كما تتخلص السحالي من ذيولها المتلوية.

كما استخدموا أجهزة التضليل الإعلامي (LDCs) - وهي أهداف تضليلية كاذبة تُخفي مناورات طرادات الغواصات، بالإضافة إلى حيل أخرى.

أعترف أنني تابعت كل هذه الأحداث ليس فقط بصفتي القائد الأعلى لبحرية الاتحاد السوفيتي، بل أيضًا بدافع، إن صح التعبير، عائلي وشخصي. الحقيقة هي أن زوج ابنتي، الكابتن الملازم سيرجي كوروف، كان على متن إحدى الغواصات. كان كبير مساعدي قائد الغواصة K-524. مهما طمأنت عائلتي بأن هذه رحلة تدريبية روتينية، إلا أنني أدركتُ أنه لا توجد رحلات بحرية آمنة. لحسن الحظ، كانت حظوظ البحر رحيمة بنا هذه المرة. جميع الغواصات النووية الخمس لم تُسجل خسائر بشرية.

بعد أضرار جسيمة، عادوا سالمين إلى القاعدة..."

("روسيسكايا غازيتا"، ١٩٩٦/١٢/١٧)

خمس غواصات نووية روسية حشدت قوة معادية أكبر بعشر مرات! من السهل تخيّل مدى الإرهاق الذي كان سيصيب العلم الأمريكي لو أن خمسين غواصة على الأقل من الأسطول الشمالي خرجت إلى البحر!

كان علينا أن نحمل هؤلاء الناس بين أيدينا. لكن أسماءهم لم تصدح في جميع أنحاء البلاد، ولم يُنقلوا في سيارات ليموزين مكشوفة إلى مسيرات احتفالية، ولم تكن هناك "ثلج" من المنشورات المتساقطة من السماء. لم يتغنَّ بهم لا أوكودزهافا ولا فوزنيسينسكي. عاد رعاة الكرملين إلى تصنيف مآثر البحارة على أنها من شعبهم. بحلول ذلك الوقت، كانوا يستعدون لتسليم الإمبراطورية. سيكتب الصحفي نيكولاي تشيركاشين بمرارة بعد تسع سنوات:

"الكابتن المتقاعد من الرتبة الأولى فلاديمير بروتوبوبوف رجل هادئ ومتواضع لدرجة الخجل. نسخة حديثة من شخصية الكابتن توشين لتولستوي من رواية "الحرب والسلام". وفي زحام مترو موسكو، يُدفع بطل الجليد السابق ويُدفع، تمامًا كما يُدفع جميع البشر. مع أنه بطل الاتحاد السوفيتي، مُنقسم كجبل جليدي...

...كلما تعمقتَ في جوهر تلك الأحداث، اتضحت الصورة أكثر: حاملات الصواريخ الغواصة لم تدخل المحيط بإرادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ومكتبها السياسي الأكثر كسلًا. لو بقيت الملكية في روسيا، لكانت الغواصات النووية لا تزال تبحر في المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، تمامًا كما تدخل الخدمة القتالية الآن. تتغير الأنظمة السياسية في روسيا، لكن مصالحها الجيوسياسية والوطنية تبقى ثابتة. ولذلك، كما أبحرت أسراب أوشاكوف ولازاريف وسنيافين في البحر الأبيض المتوسط في القرون الماضية، كذلك تبحر "أسماك القرش" و"الفهود" الروسية هناك وستبحر هناك في هذا القرن. لكن في الوقت الحالي، لا يعتمد البحارة الروس إلا على ذكريات الحملات السابقة...

لا تزال طائرة بروتوبوبوف K-524 في الخدمة - وهي على الرصيف بعد تحديثها. قُلّصت جميع أنواع الإمدادات إلى الحد الأدنى. هناك نقص في كل شيء... والضباط، وهم في طريقهم إلى العمل، يُحضرون المصابيح الكهربائية إلى حجرات السفن التي تعمل بالطاقة النووية، ويخرجون المنازل من الممرات. ثم يُفكّون ويُحمّلون العجز حتى الصباح.

كان من المفترض أن يصبح هؤلاء الأبطال النخبة الحاكمة. لقد عرفوا كيف يُبدعون، لا أن يُروّجوا لأنفسهم بتباهي. لم يُفاخروا بخدودهم بفتور، مثل رجال المال بوريس-أبراميتش-بيريزوفسكي، ولم يُحققوا أرباحًا وسياسات عن بُعد، مثل الصهاينة-غوسينسكي، ولم يهربوا من قبة السيرك، مثل العرابين-اللوجكوف. وهؤلاء أيضًا لم يعرفوا كيف يبيعون بلادهم بثمن بخس، أو يسرقون أموال الخزينة مع الشيشان، أو يُرضون "الصديق بيل". وهكذا امتزجت أسماؤهم بالتراب تحت أنظار حشود الناخبين المُخدوعة.

لكننا نتذكركم يا أبطال بعثات الجليد الروس! ستدق ساعتكم. ساعة أولئك الذين كادوا قبل عشر سنوات أن يُحققوا النصر في الحرب الباردة في العالم الثالث...

الفصل 22: ديزل-كهرباء "أسماك قرش" روما الثالثة. "تانغو" قاتل و"ثقوب سوداء" في المحيط. الولايات المتحدة متأخرة. عشية ولادة سيف إمبراطوري خارق جديد: "ستيرلنغ" ضد المفاعل. تنبؤ من عام ١٩٣٨.

١

اعتمدت الولايات المتحدة كليًا على الغواصات النووية. أما نحن، فقد أطلقنا في مياه الكوكب سلاحًا أرخص بكثير، ولكنه لا يقل فتكًا في بعض الأحيان - قوارب مزودة بمحطات طاقة تقليدية. في معرض أبوظبي عام ١٩٩٥، أحدثت غواصتنا التي تعمل بالديزل والكهرباء من نوع "فارشافيانكا" ضجة كبيرة.

إنها "سيجار" سميك من مشروع ٨٧٧، ببرج قيادة ضخم، وتصميمها انسيابي تمامًا. هيكلها الخارجي، الذي يُسمى "خفيف الوزن"، مغطى بقشرة خاصة تُضعف أو تُحيّد نبضات أجهزة تحديد المواقع الصدى للعدو. هذه القشرة الكاتمة للصوت سوداء اللون، وهذا... لهذا السبب يشبه القارب حوتًا عملاقًا. نجح المصممون الروس في تصميم طلاء التمويه وعزل آليات الغواصة صوتيًا ببراعة، لدرجة أن ضجيجها يكاد يكون غير قابل للتمييز عن خلفية البحر الطبيعية. من الصعب جدًا سماعه وسط صرير ونقيق أسراب الأسماك، وأنين وصفير الدلافين، وصوت الأمواج المُقاس.

في سعيهم وراء التخفي، لجأ آباء الغواصات من مكتب روبين للتصميم الشهير إلى العديد من الحيل. على سبيل المثال، قاموا بتحريك الدفات الأفقية للمقدمة أقرب إلى برج القيادة. يُعد التخفي السلاح الرئيسي لـ Varshavyanka، بالإضافة إلى تركيزها على أحدث التقنيات. للوهلة الأولى، من حيث خصائصها، لا تختلف Varshavyanka كثيرًا عن غواصات هتلر التي تعود إلى نصف قرن مضى. ولكن في الواقع، تُمثل غواصتنا نقلة نوعية في مستقبل الحرب البحرية.

يوجد داخل الهيكل الخفيف الانسيابي هيكل قوي - حاوية للطاقم والإمدادات و... آليات، مقسمة إلى ستة أقسام. يوجد في مقدمة الغواصة ستة أنابيب لثمانية عشر طوربيدًا. يمكن لأنبوبين إطلاق "أسماك" يتم التحكم بها عن

بُعد، موجهة بأدق الأسلاك. بدلًا من الطوربيدات، يمكن للغواصة "877" استيعاب 24 لغمًا في مخازنها. يتم تحميل المدافع تحت الماء آليًا، وهذا ما يجعل معدل إطلاق الغواصة مذهلًا للأجانب. نظام التحكم في إطلاق النار متعدد الأغراض قادر على تتبع خمسة أهداف في وقت واحد، اثنان منها آليان. ويمكن للغواصة مهاجمة عدوين في آن واحد. إذا تعرضت لهجوم جوي على السطح، فستصد الهجوم بإطلاق صواريخ من نوع إيغلا (Tekhnika-Molodezhi، العدد 5، 1995).

راداران ومحطة صوتية مائية من الجيل الجديد قادرة على اكتشاف العدو قبل...

يُشير الرقم "877" إلى أن نظام الملاحة يحسب مسار الغواصة باستمرار، ويرصد مسارها، ويُزوّدها بإحداثياتها.

في السابق، كانت الغواصات التقليدية تتحرك على سطح الماء بمحركات ديزل، تُشغّل مولداتها في الوقت نفسه لإعادة شحن البطاريات. وتحت الماء، تعمل بمحركات كهربائية. أما "فارشافيانكا" فتستخدم محركات الديزل فقط لتشغيل الدينامو، وبالتالي لا تحتوي على نواقل حركة ميكانيكية ضخمة. القارب مزود بمحرك اقتصادي خاص ومحركين احتياطيين - للمناورة في الأماكن الضيقة أو عند الرسو في القاعدة.

وبالطبع، "فارشافيانكا" مُجهّزة بأنبوب تنفس، يُوفّر هواءً جوّيًا لتشغيل محركات الديزل عندما يكون القارب على عمق قريب من سطح الماء. باستخدام أنبوب التنفس، يُمكن للغواصة الغوص تحت الأمواج لمسافة تصل إلى 6 آلاف ميل. ستدخل غازات العادم إلى أنبوب العادم ذي التصميم الأصلي، مما يمنع تشكل أثر دخان ملحوظ. لذلك، تستطيع الغواصة "ملء" بطارياتها عالية السعة دون أن تطفو على السطح.

عانت غواصات السنوات السابقة على متن قوارب الديزل والكهرباء من ضيق المساحة: سرير واحد لثلاثة أشخاص في قمرة القيادة، حيث كان الناس مكتظين كقطع السردين في برميل. حتى الخزائن استُخدمت أحيانًا كمخازن. على متن الغواصة "877"، يُقيم الطاقم في كبائن. توجد عيادة خارجية، وسينما، وحمامات.

يعتقد يوري كورميليتسين، كبير مصممي روبين، أنه مع ظهور "فارشافيانكا"، فقدت الغواصات الأمريكية ميزة الصمت التي تمتعت بها لسنوات عديدة. في الولايات المتحدة، حيث كانت القوارب تُسمى "كيلو"، يُطلق عليها أحيانًا اسم "الثقب الأسود" في المحيط. من الصعب جدًا اكتشافها بالوسائل الصوتية.

سفينتنا، التي تبلغ إزاحتها السطحية 2300 طن (3036 طنًا تحت الماء)، يبلغ طولها 72.8 مترًا وعرضها 9.9 مترًا. وبقدرة تحمل تصل إلى 45 يومًا، تستطيع الغواصة "877" العمل في البحار والمحيطات. يتألف طاقمها من 52 بحارًا. بسرعة سطحية تبلغ 10 عقد وسرعة تحت الماء 17 عقدة، تغوص "السفينة السرية" الروسية إلى عمق عمل يبلغ 240 مترًا (أقصى حد للغوص هو 300 متر).

للأسف، أوقفت كارثة الإصلاحات الوطنية التي اندلعت عام 1985 عملية إعادة تسليح "أسطول الغواصات" الذي يعمل بالديزل والكهرباء بهذه السفن الرائعة. الآن، تُبنى هذه الغواصات بشكل رئيسي للتصدير، للدول التي تملك المال الكافي للدفاع عن نفسها. اشترت الهند وحدها عشر غواصات من طراز "فارشافيانكا".

2

منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي، دأبت الولايات المتحدة على بناء الغواصات النووية فقط. لطالما استهزأت بسفننا التي تعمل بالديزل والكهرباء. لكن تبيّن أننا أذكى. فالغواصات النووية، في نهاية المطاف، "وحوش" محيطية، ضخمة ومكلفة للغاية. استخدامها في البحار الساحلية الضحلة، المليئة بالجزر والسواحل المليئة بالخلجان والمضايق البحرية، أشبه بدفع حوت إلى بركة قرية.

اضطرت الإمبراطورية للعمل في المياه الساحلية الضحلة. هنا بحر البلطيق بمياهه الضحلة و"كتل السكر" من الصخور تحت الماء. وبحر بارنتس بمضايقه النرويجية - خلجانه الضيقة. والبحر الأسود بمدرجاته الساحلية. والبحر الأصفر والبحر الياباني، اللذان يفتقران إلى العمق. ولا نتحدث حتى عن بحر الشمال الضحل والعاصف شمال إنجلترا، أو البحر الأبيض المتوسط. من الصعب إرسال عملاق نووي لزرع ألغام سرية في موانئ العدو. والديزل خيار مناسب تمامًا. خاصة وأن هدف الاتحاد السوفيتي كان موانئ شمال وغرب أوروبا.

علاوة على ذلك، اتضح أن المفاعل النووي، على الرغم من أنه يوفر للغواصات سرعةً ومدى إبحارٍ واسعًا، إلا أنه لا يزال يُصدر ضجيجًا عاليًا، لا سيما بسبب تركيبه التوربيني الذي يُدير المراوح. وهو مكلف، إذ يتطلب قواعد خدمة أرضية باهظة الثمن وضخمة. بمعنى آخر، صناعة كاملة من "الخدمات النووية".

ولهذا السبب، على عكس الولايات المتحدة، لم نتخلى عن بناء الغواصات التقليدية. فهي قادرة أيضًا على إطلاق طوربيدات على سفن العدو وإغراقها بصواريخ كروز.

كانت أول وأكبر سلسلة من غواصات الديزل الروسية (DPL) هي "إسكي" - سفن من سلسلة "S"، والتي خدمت في أسطولنا حتى عام 1991. (لسببٍ ما، أطلق عليها الأمريكيون اسم "ويسكي"). من 13 مارس 1950 إلى 30 يونيو 1958، تم بناء 215 وحدة. انطلقت اثنا عشر غواصة من هذه الغواصات إلى إندونيسيا عام ١٩٦٢، مُهددةً مضيق ملقا بحرب غواصات. وعلى متن هذه الغواصات، نُصبت أول صواريخ كروز تُطلق من تحت الماء.

تمتاز هذه الغواصات من مشروع ٦١٣، المُطورة مع مراعاة خبرة الألمان، باستقلالية لمدة شهر واحد، وتغوص حتى عمق ٢٠٠ متر، وتستطيع البقاء في الأعماق لمدة مئتي ساعة. تُقارن هذه الغواصات بسهولة مع آخر (وأفضل) غواصات هتلر من سلسلة ٢١، وغواصة تينشي الأمريكية من النصف الأول من خمسينيات القرن الماضي.

الجدول 9. بيانات غواصات مقارنة من مقالات إيغور بوتشين في "تكنولوجيا-مولوديزي"، العددان 1 و3، 1996

بيانات الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة الأمريكية، الرايخ الثالث

المشروع 613 "تينش" XXI

الإزاحة، سطح/غواصة، طن: 1600/1050، 2400/1620، 1819/1621

السرعة، سطح/غواصة، عقدة: 13.1/18.2، 20/15، 17.5/15.5

المدى، سطح/غواصة، ميل: 353/8580، 18000/-، 185/11500

عمق الغمر، متر: 135/180/200

الطول/العرض، متر: 6.3/76، 8.2/81.9، 6.6/76.7

التسليح ٨ غواصات طوربيد، ١٢ غواصة طوربيد، ٨ غواصات طوربيد، ٦ غواصات طوربيدبيد.

وهكذا، لم تكن غواصات "الإسكي" معجزة تكنولوجية، أدنى من غواصات "التنش" الأحدث. ولكن كان من الضروري إنشاء أسطول غواصات بعد الخسائر الفادحة في الحرب الوطنية العظمى.

أصبحت مرحلةً في تطوير الغواصات الروسية. أجهزة إطلاق طوربيدات بدون فقاعات، وأنبوب تنفس، وتركيب آليات على ممتصات الصدمات لتقليل الضوضاء - كل هذا كان لأول مرة.

سلسلة أخرى من الغواصات الروسية كانت سفن مشروع "611"، التي أطلق عليها الأمريكيون لقب "زولو". أطلق عليها غواصاتنا اسم غواصات من النوع "ب" - "بوكي"...

... يُعد الأسطول كنزًا دفينًا من التقاليد الروسية. منذ عام 1918، أطلقنا على أحرف أبجديتنا اسم "أ"، "ب"، "هـ"... لم يُغير الأسطول شيئًا. هناك، لا تزال الأبجدية تُنطق كما كانت قبل ألف عام. "أز"، "بوكي"، "فيدي"، "غلاغول"، "دوبرو"...

"بوكي" كانت سفنًا كبيرة - 1831 طنًا من السطح و2600 طن من الإزاحة تحت الماء. بمدى إبحار يبلغ 22 ألف ميل (مقابل 8580 ميلاً لطرازات "613" و18 ألف ميل لطرازات "تينش"). بلغ استقلالية غواصات "بوكس" 75 يومًا في رحلات المحيط. غاصت "فيش" التي يبلغ طولها 90 مترًا إلى عمق 200 متر، بسرعة 17 عقدة على السطح و15 عقدة تحت الماء. هددت ستة غواصات في المقدمة وأربعة في المؤخرة العدو بطوربيدات عيار 533 ملم. أما بالنسبة للتعدين، فقد استطاعت غواصات "بوكس" حمل 32 لغمًا من طراز AMD-1000. كل منها مزود بطن من المتفجرات قادر على تمزيق قاع سفينة "تايتانيك" نفسها.

ولأول مرة، زودت الغواصة برادارين. الأول للبحث عن الأهداف، والثاني لكشف عمل أجهزة تحديد المواقع الأجنبية. كما تم تعزيز الهيكل الخارجي الخفيف على طول الجانبين للعمليات في الجليد.

كانت هذه غواصات إمبراطورية مخصصة للعمليات في المحيط. تم إلغاء آخر غواصة بوكا من مشروع 611 عام 1991.

4

في النصف الثاني من خمسينيات القرن الماضي، بدأت الإمبراطورية ببناء أفضل غواصات ديزل-كهرباء في العالم من سلسلة 641.

وصف المؤرخ التقني والملكي الروسي إيغور بوتشين هذه الغواصات في العدد السادس من مجلة "تكنيكا-مولوديزي" عام 1996.

بهيكلها الجميل ذي شكل السرج الخفيف وساقها المشطوف، صُممت هذه الغواصات الديزل للعمل في المحيطات المفتوحة. في الولايات المتحدة، أُطلق عليها الاسم الرمزي "فوكستروت".

تم وضع الغواصة الرئيسية عام 1956، واستقبل الأسطول 75 من هذه السفن الرائعة. أُنجزت فيها العديد من المهام لأول مرة، منها على سبيل المثال تركيب نظام الحاسوب الإلكتروني "لينينغراد-641" للتحكم في هجمات الطوربيد، أو نظام الاتصالات الموصل للصوت، الذي أتاح التواصل مع القوارب والسفن الأخرى في الأعماق. (لا تخترق موجات الراديو عمود الماء). أو جهاز Svet-M الروسي، الذي يسجل نبضات سونار الآخرين.

تم تزويد ليبيا وبولندا والهند وكوبا بغواصات فوكستروت. أطلق الأمريكيون على غواصتنا هذا اللقب، ملمحين إلى ضجيجها. ولكن في أوائل الستينيات، كانت مزودة بسلاح قوي وبعيد المدى، لدرجة أنها كانت قادرة على إصابة أي سفينة أمريكية ترصدها دون أن تدخل في نطاق أسلحتها المضادة للغواصات.

منذ أوائل السبعينيات، بدأ مكتب روبين للتصميم في تطوير غواصات من طراز B641 - الجيل الثاني من غواصات بوكاس، والتي كانت تُسمى تانغو في الغرب.

تميزت بخطوط هيكل أكثر انسيابية، وزيادة في الذخيرة بنسبة 5/1 لكل أنبوب طوربيد. (بينما كانت غواصات فوكستروت مزودة بستة أنابيب في المقدمة وأربعة في المؤخرة، كانت غواصة تانغو مزودة بستة قاذفات في المقدمة). ضمن نظام الملاحة الجديد التوجيه حتى في خطوط العرض القطبية الشمالية المرتفعة. لتحقيق مستوى قياسي من التخفي، زُوِّدت آليات السفينة بممتصات صدمات، وغُطِّيت الأنابيب بغطاء عازل للصوت. حصل قائد الغواصة على نظام معلومات وتحكم قتالي يُعِدّ بيانات إطلاق النار بشكل مستقل. كان للضباط كبائن مزدوجة، بينما كان للبحارة وضباط الصف أسرّة فردية. بين عامي ١٩٧٢ و١٩٨٠، تسلّحت الإمبراطورية بـ ١٧ سفينة من هذا النوع.

في رواية "عاصفة كلانسي الحمراء"، تجوب زوارق فوكستروت وتانجو شمال المحيط الأطلسي، مُطلقةً طوربيدات على قوافل القوات والإمدادات من الولايات المتحدة إلى أوروبا. ببساطة، لم تكن الولايات المتحدة

تمتلك هذه الزوارق. كذلك، في الرواية، تنجو السفن الأمريكية من الطوربيدات الروسية باستخدام نظام "قناع البراري"، الذي يُخمد ضوضاء السفن. اخترع كلانسي هذا النظام بنفسه. لم يكن موجودًا عام ١٩٨٦، ولا يزال غير موجود.

الجدول ١٠. غواصات الديزل الإمبراطورية من الجيلين الثاني والثالث (بيانات من إيغور بوتشين)
بيانات الاتحاد السوفيتي، الاتحاد السوفيتي، الولايات المتحدة الأمريكية، إنجلترا
المشروع ٦٤١، ٦٤١ب "تينش"، "أوبيرون"
الإزاحة (فوق/تحت)، طن ١٩٥٠/٢٥٠٠، ٢٧٠٠/٣٠٠٠، ١٦٢٠/٢٤٠٠، ١٦١٠/٢٤١٠
السرعة (فوق/تحت)، عقدة ١٦,٥/١٥,٥، ١٤/١٥، ١٥/٢٠، ١٢/١٧
القوة، محرك ديزل/كهربائي، حصان ٥٧٠٠/٥٥٤٠، ٥٧٠٠/٥٥٤٠، ٤٢٠٠/٥٢٠٠، ٣٦٨٠/٦٠٠٠
المدى (فوق/تحت)، ميل ٣٠٠٠٠/١٥-٤٠٠، ٣٠٠٠٠/١٥-٤٠٠، ١٨٠٠٠/- ٩٠٠٠/١٨٠
عمق الغمر، ٢٥٠ متر، ٢٥٠، ١٨٠، ٢٠٠
عدد أفراد الطاقم: ٧٥، ٧٨، ٨٣، ٦٨

ملاحظة: سفن "تينش" - بُنيت بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٣، وسفن "أوبيرون" البريطانية - بين عامي ١٩٥٩ و١٩٦٧. سفن "٦٤١" مُسلحة بعشرة طوربيدات، و٢٢ طوربيدًا، أو ٣٢ لغمًا. (يبلغ مدى هذه الغواصات تحت الماء ١٥ ميلًا عند سرعة ١٦ عقدة، و٤٠٠ ميل عند سرعة عقدتين). سفن "٦٤١ب" مُسلحة بستة طوربيدات TA و٢١ طوربيدًا. سفن "تينشي" تحمل ٦ طوربيدات TA في المقدمة وطوربيدين TA في المؤخرة، وسفن "أوبيرون" تحمل من ٦ إلى ٨ طوربيدات TA في المقدمة و٢٠ طوربيدًا.

٥

استمر بناء الغواصات الروسية، وبلغ ذروته في الثمانينيات بإنشاء "فارشافيانكا" التي لا تزال الأفضل في العالم والتي تعمل بالديزل والكهرباء. ولم ير الغرب أي حدود لتطوير غواصاتنا الإمبراطورية.

في البداية، خفت سخرية الأمريكيين من "الروس الأغبياء والبخلاء الذين يبنون سفنًا قبل أمس". ثم استُبدلت تمامًا بسخرية باردة.

من الخوف. كانت آخر أوراقهم الرابحة تتلاشى: ضجيج الغواصات الروسية. إضافةً إلى ذلك، فإن "الحملة الصليبية" التي أعلنها ريغان، والوعود الحربية بإرسالنا إلى مزبلة التاريخ، تطلبت زيادة الأسلحة البحرية. ثم اتضح أن الولايات المتحدة لا تملك غواصات ديزل، وأن الغواصات النووية أصبحت باهظة الثمن. إن بناء الغواصات النووية فقط لحل جميع المشاكل البحرية يعني تدمير الولايات المتحدة. لقد ضاعت خبرة بناء السفن التي تعمل بالديزل والكهرباء، وكان لا بد من استعادتها من الصفر. في عام ١٩٩٤، كتبت مجلة "جندي الحظ" الأمريكية:

"لأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، لا تتضمن الميزانية التي أقرها الكونغرس ووقعها الرئيس العام الماضي (١٩٩٣ - ملاحظة المؤلف) أي بنود تتعلق بنفقات شراء غواصات جديدة. على الرغم من استمرار بناء الغواصات الهجومية والحاملة للصواريخ، الذي أُمر به في عهد ريغان (١٩٨٠-١٩٨٧ - ملاحظة المؤلف)، إلا أنه لا يزال قائمًا.

أربعة عوامل أوصلت البحرية الأمريكية إلى حالتها الحالية من "النمو الصفري": انهيار الاتحاد السوفيتي، والارتفاع الهائل في تكلفة بناء السفن الجديدة، واتفاقيات الحد من الأسلحة الاستراتيجية، والمطالبات الشعبية بخفض الإنفاق العسكري.

حتى أن استراتيجيي البنتاغون يدرسون خيارًا كان سيُعتبر بدعة في عهد الأدميرال ريكوفر - وهو العودة إلى بناء غواصات الديزل..."

"أليس هذا مثيرًا للسخرية؟" يتساءل نائب الأدميرال جورج إيمري، قائد أسطول الغواصات الأمريكي في المحيط الأطلسي. نعود إلى ما كنا نفعله قبل خمسين عامًا، عندما كنا ننقل وحدات مشاة البحرية إلى جزر المحيط الهادئ النائية بقوارب ديزل...

بعبارة أخرى، بحلول عام ١٩٩٣، ورغم انهيار خصمها الرئيسي، الاتحاد السوفيتي، كانت الولايات المتحدة الغنية تحتضر. لم تستطع مواكبة وتيرة بناء الغواصات الجديدة التي حددها ريغان! لم تستطع، رغم أن انهيار الإمبراطورية ونهبها منحها الكثير من النفط والمعادن الرخيصة، ورأس المال المُصدّر من الاتحاد السوفيتي السابق، والتكنولوجيا، والمواد الخام. رغم أن إريفيا يلتسين احتفظت باحتياطياتها من العملات الأجنبية في سندات الحكومة الأمريكية، مُقرضةً اقتصادها. يا إلهي، كم ابتهجوا بانتصار يلتسين وديمقراطيته!

أنقذهم الله من ظهور شخصية قوية وصلبة في الكرملين. لأنه في هذه الحالة، ستضطر الولايات المتحدة إلى بناء أسطول من الغواصات من الصفر، مُستنزفةً اقتصادها مرة أخرى. بينما كانت الإمبراطورية تمتلك بالفعل أسرابًا من السفن الرخيصة والهادئة التي تعمل بالديزل والكهرباء، والقادرة على العمل في المحيط. كان بإمكانهم إيصال ليس فقط الألغام إلى مراكز البنية التحتية البحرية الأمريكية، بل أيضًا سلاحًا خطيرًا آخر - أسراب من السباحين المقاتلين. (سنخبركم عنها لاحقًا). كانت لدينا قوارب قادرة على إغراق قوافل الأطلسي، والبقاء تحت الماء لفترة طويلة في وضعية ثعبان مخفي. وفي الوقت نفسه، كانت قادرة على التربص وإغراق الغواصات النووية الأمريكية.

تمكن الأمريكيون من تطعيمنا بفيروس الخيانة، وبالتالي أنقذوا أنفسهم من الهزيمة في سباق تسلح الغواصات. وكما اعترفوا هم أنفسهم، بحلول عام 2000، كان من المفترض أن تمتلك الإمبراطورية 20% من غواصاتها في الخدمة بمستوى ضوضاء أقل من مستوى ضوضاء أحدث الغواصات النووية من طراز SSN 668-1. وقد عزوا مزايا غواصاتنا إلى قدرتها الممتازة على البقاء واستخدام أنظمة كشف غير صوتية قائمة على مبادئ فيزيائية جديدة. انخفضت القدرة المضادة للغواصات الأمريكية بشكل ملحوظ بحلول أوائل التسعينيات - حيث تعطلت طوربيدات صواريخ سابر بسبب قدمها، وانخفضت مدة صلاحية وقودها. انتهت صلاحيته، بينما لم يدخل طوربيد سي لانس الصاروخي الجديد حيز الإنتاج قط. ولذلك، في المعارك تحت الماء، اضطر الأمريكيون إلى الاعتماد فقط على طوربيدات عيار 533 ملم ضعيفة وبطيئة الحركة نسبيًا. تلقت غواصاتنا صواريخ قوية تحت الماء من طراز RU-100 بمدى مائة كيلومتر (مقابل 60 كيلومترًا لصواريخ "سابروس") وعيار 650 ملم. كما كان لدينا صاروخ APR-2 صغير الحجم، قادر على اصطياد وتمزيق الضحية حتى على عمق 600 متر. أما الطوربيد الروسي العملاق "شكفال"، فلم يكن له مثيل في العالم أجمع، إذ بلغت سرعته 200 عقدة (حوالي 370 كيلومترًا في الساعة) وكان من المستحيل تقريبًا تفاديها! ("سي"، ديسمبر 1995).

لكن مرافقة القوافل المتجهة إلى أوروبا عبر المحيط الأطلسي في الثمانينيات أصبحت تقريبًا الشغل الشاغل للبنتاغون. في هذه... لسنوات، اعتمدت الولايات المتحدة على مفهوم "الحرب النووية المحدودة". بموجب هذا المفهوم، لم يجرؤ أيٌّ من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على ضرب أراضي بعضهما البعض بصواريخ باليستية ثقيلة. وكان من المقرر تنفيذ العمليات العسكرية في أوروبا باستخدام أسلحة تقليدية، وفي أحسن الأحوال، صواريخ تكتيكية ضعيفة مزودة بشحنات نووية. في هذه الحالة، كان انتصار الولايات المتحدة يعتمد بشكل مباشر على قدرتها على تأمين تدفق مستمر للأشخاص والبضائع عبر المحيط. وتشبه حبكة رواية "العاصفة الحمراء"، التي كُتبت على وقع هستيريا ريغان المعادية لروسيا، هذا المفهوم إلى حد كبير. فجّر إرهابيون أذربيجانيون في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٦ أكبر حقول النفط في غرب سيبيريا، وقرر الروس، في ظل أزمة طاقة، غزو أوروبا. اندلعت حرب لم يجرؤ فيها أيٌّ منا أو الأمريكيون على استخدام القوة النووية. والصراع الرئيسي في الكتاب يدور تحديدًا حول الاتصالات البحرية. والتي - وهل يمكن أن تكون...

هل يختلف الكتاب الأمريكي؟ - الولايات المتحدة تنتصر، وإن بصعوبة بالغة.

لو كان الأمر واقعًا، لكان كل شيء قد انتهى. غواصات فارشافيانكا قادرة على قطع طرق الاتصال الغربية في المحيط الأطلسي. علاوة على ذلك، كان الروس يعملون على نوع جديد كليًا من الأسلحة تحت الماء، على غواصات القرن الحادي والعشرين. ليست نووية، ولا تعمل بالديزل والكهرباء أيضًا...

6

...بحلول نهاية السبعينيات، لم يعد اختراع غواصات هتلر، أنبوب التنفس، عصا سحرية لضمان سرية الغواصات. كانت الطائرات الأمريكية المضادة للغواصات أوريون وفايكنج ونيمرودز الإنجليزية تحلق في سماء المحيط. لم تعد الغواصة قادرة على الصعود إلى السطح سرًا، ولا حتى إخراج أنبوب التنفس. لم يعد من الممكن

التحرك على سطح الماء باستخدام طاقة الديزل، لشحن البطاريات المستنفدة. في مناطق الدوريات المكثفة، اكتشفت الطائرات قوارب الديزل بعد عشرين دقيقة من صعودها إلى السطح تحت أنبوب التنفس. بالإضافة إلى ذلك، عند تحريكه، يُصدر القارب ضجيجًا عاليًا، وتنطفئ مكبرات الصوت. أطلق الأمريكيون على الغواصات في هذا الوضع اسم "الأبقار الهادرة".

ولكن في عام ١٨١٦، اخترع الاسكتلندي ستيرلنغ محرك احتراق خارجي، وهو محرك ذو دورة مغلقة. يملأ سائل التشغيل فيه (ويمكن أن يكون هواءً عاديًا أو غازًا خفيفًا، أو هيدروجينًا أو هيليومًا) دائرة مغلقة من حجرتين متصلتين بمبادل حراري. يسخن الغاز في حجرة واحدة، ويتمدد، ويضغط على المكبس. بعد إتمام العمل، يدخل إلى الحجرة الأخرى، حيث يبرد وينتقل إلى الحجرة الأولى. مع ذلك، كانت تكنولوجيا عصر ستيرلنغ ناقصة للغاية، ونسيت البشرية اختراعه لفترة طويلة.

فتح التطور التكنولوجي الحالي آفاقًا جديدة لآلات ستيرلنغ، بما في ذلك أسطول الغواصات العسكرية. لبدء تشغيلها، ابتكروا فكرة حرق وقود الديزل العادي في غرفة مغلقة، وخلطه بالأكسجين السائل المخزن على متن القارب، والمخزّن في خزانات تبريد - أوعية ديوار كبيرة. أو، ببساطة، في ترمسات عملاقة. أُجريت بالتوازي أبحاث حول مشاكل استخدام محركات ستيرلينغ (أو محركات الدورة المغلقة - CCE) في الغواصات. في بلدنا - على غواصة من نوع بيلوغا، وفي السويد وأستراليا. عمل الأمريكيون أيضًا على هذه المشكلة، محاولين تكييف محركات الدورة المغلقة مع المركبات الفضائية. اتضح أن محركات ستيرلينغ تسمح للقارب بشحن بطارياته على أعماق كبيرة، وفي الوقت نفسه "بملء" أنظمة الإمداد والمعدات الإلكترونية بالطاقة. بالطبع، لا توفر محركات الدورة المغلقة سوى رحلة هادئة، لكن هذا يكفي لإعادة شحن البطاريات. من حيث المبدأ، أتاحت تقنية التبريد الروسية تجهيز هذه السفن السرية بأجهزة لتسييل الأكسجين مباشرة من الهواء الجوي. طُوّرت تقنيات متطورة في أوديسا خولودماش، وكتب والدي عنها في صحيفة برافدا. أتذكر كيف أحضر إلى المنزل ذات مرة ترمسًا كاملاً من الهواء السائل...

ولكن هذا ليس كل شيء. قبل ثلاثين عامًا، كان لدى الاتحاد السوفيتي مخترعٌ ابتكر محرك ستيرلينغ فائق، أصغر حجمًا بخمس مرات من أفضل النماذج الغربية - المهندس فاليري موخين من مصنع فولغا للسيارات. لم يبنِه بمكبس، بل بمكبس دوار، مخترعًا ختمًا دوارًا فريدًا، متغلبًا بذلك على تسرب سائل العمل. اتضح أنه لم يكن ذا فائدة لأحد، لا في عهد بريجنيف ولا في روسيا الجديدة (تقنية-مواليدي، العدد 11، 1996). ومع ذلك، هناك أمرٌ آخر مهم: في عام 1985، لم يكن قادة الإمبراطورية بحاجة إلا لإشارة يد للحصول على أحدث محركات DZT في العالم. وهذا ليس فقط لأسطول الغواصات - فمحرك موخين الدوار-ستيرلينغ قادر على منح سياراتنا "قلبًا" اقتصاديًا مع سمية عادم شبه معدومة وتآكل طفيف! يعمل موخين اليوم في شركة VAZ المساهمة المخصخصة، ويبدو أن على الرأسماليين الجدد استغلال اختراعه. ففي النهاية، هذا ما علمنا إياه ديمقراطيونا، متحدثين عن ركود الصناعة الإمبراطورية وطابعها المحافظ. لكن، بالطبع، لا يستغلونه! ويفضلون تبديد أرباحهم في الحانات وجزر البهاما. في الوقت نفسه، وُجدت طريقة أخرى لزيادة القدرة القتالية للغواصات التقليدية بشكل كبير - استخدام مولدات كهروكيميائية صامتة تمامًا، تحوّل حرارة وطاقة التفاعلات الكيميائية مباشرةً إلى تيار كهربائي. تم العمل على هذه الأنظمة في بلدنا في أكبر منشأة نووية في العالم، في وزارة بناء الآلات المتوسطة التابعة للاتحاد. وفي سانت بطرسبرغ، في معهد كريلوف المركزي لأبحاث بناء السفن. في هذا المجال، على سبيل المثال، عملوا على "غلايات" كيميائية عالية الحرارة، تعمل بالأكسجين والهيدروجين، وعلى بطاريات "المغنيسيوم ومياه البحر" المنشَّطة بالماء، بسعة طاقة تفوق البطاريات التقليدية بثلاث إلى أربع مرات، وعلى مولدات حرارية كهربائية. وفي الوقت نفسه، عملوا على محركات ستيرلينغ للغواصات. في الفترة من 1978 إلى 1986، نُفِّذَ عمل ناجح على تجهيز غواصاتنا بمولدات كهروكيميائية في منظمة ذات اسم غير مألوف - المكتب الخاص لبناء الغلايات. ومع ذلك، في عام 1987، قلَّص نظام غورباتشوف الفاسد برامج إنشاء آلات فائقة الصمت. لم يتمكنوا إلا من تطوير محطة طاقة لقارب بيرانا الصغير - وهو حامل لسبَّاحين-مخربين تحت الماء، وأتموا العمل بالكامل في عام 1991 ("العرض العسكري"، العدد 3، 1997). ثم تمكنا من حل المشكلة التي...

رضخ الغرب لإيجاد طريقة لتخزين الهيدروجين على متن الغواصات. فبينما كان منافسونا يُسيّلونه، ويخزنونه في "ترمسات"، أو يضخّون الغاز في أسطوانات ضخمة عالية الضغط، ابتكرت غواصاتنا فكرة صنع "بطارية هيدروجين" من مُراكمات بين فلزية تُطلق الغاز المرتبط بها تحت تأثير مُناسب.

إذا قرأت رواية الخيال العلمي "سر مُحيطين" لأ. أداموف عام ١٩٣٨، يُمكنك تخيّل ما نتحدث عنه. في تلك الرواية، تنطلق غواصة المحيط الإمبراطورية "بايونير" من بحر البلطيق إلى الشرق الأقصى مُقابل أسطول بلاد

الشمس المُشرقة، صدّةً هجومًا بطوربيدات مغناطيسية على طول الطريق، ومُرسلةً طرادًا يابانيًا إلى القاع. تتحرك هذه الغواصة بآلة كهروحرارية، تُشحن البطاريات باستخدام فرق درجات الحرارة بين طبقات أعماق المحيط المُختلفة.

بعبارة أخرى، كنا على وشك إنشاء فئة مُذهلة من الغواصات. أرخص بكثير وأكثر تخفيًا من الغواصات النووية، ولكن باستقلالية شبه متساوية في العمل. سفن كان من المفترض أن تحمل طوربيدات موجهة وصواريخ كروز. أسطول الحضارة الروسية الجديد، روما الثالثة...

كان دمج تقنيات DZT وECG مع أحدث صواريخ كروز من إمبراطورية الثمانينيات ("فولكانز" و"أونيكس" و"بوليدس") ينذر باختراق دفاعات الولايات المتحدة، والذي سيكلف "ترقيقه" عشرات المليارات من الدولارات، بالإضافة إلى التكاليف العسكرية المتضخمة أصلًا. ففي النهاية، كلفت طائرة دورية أوريون واحدة الخزانة الأمريكية 70 مليون دولار.

واجهت الولايات المتحدة خيارًا: إما خسارة حرب الغواصات أو التراجع أمام هجوم الإمبراطورية. اختارت الخيار الثالث - دعمت صعود مجموعة من الشخصيات المؤيدة للغرب إلى السلطة في الاتحاد السوفيتي، ممن كانوا يفكرون في الربح السريع. تبيّن أن مئة خائن في السلطة أقوى من مئتي غواصة نووية للأدميرال ريكوفر. في رواية أداموف، بالمناسبة، تُحيّد أجهزة الأمن الإمبراطورية العديد من الجواسيس الذين يحاولون تعطيل بناء "بايونير". لكن يتبين أن أحد الخونة كان من بين طاقم الغواصة...

بالنسبة لنا، وقد عايشنا تجربة السنوات الأخيرة المريرة، لا يبدو هذا ضربًا من الخيال. كل ما في الأمر أن أداموف في عام ١٩٣٨ لم يكن ليتخيل حتى أن الخونة قد يصلون إلى أعلى المناصب...

٧

أحيانًا تصل كراهية المدمرات إلى الحنجرة. نتذكر كيف صرخ سيرجي كورجينيان في عام ١٩٨٩ في "روسيا الأدبية"، بصوتٍ أجشّ:

"هؤلاء" يجرّوننا إلى كابوس، إلى شوارع غارقة بالدماء، إلى مفاعلات متوقفة، وإلى أنقاض مدنٍ يتصاعد منها الدخان.

وتوسل:

أوقفوا المجموعة البرلمانية الإقليمية لسوبتشاك وبوبوف وبوربوليس، التي تدفع يلتسين إلى الأمام ككبشٍ محطم. أوقفوا هذه المخلوقات اللاإنسانية التي تجوب أنحاء الاتحاد، تُدلل النازيين الجورجيين والبلطيقيين.

سخروا منه حينها. في عام ١٩٨٩، لم يكن أحد ليتخيل أكتوبر ١٩٩٣، أو غروزني المدمرة، أو مستشفيات الولادة التي استولى عليها متعصبون ملتحون. الآن، يتنبأ كورجينيان نفسه بشيء مختلف. الاستسلام المخزي في الشيشان هو بداية لسلسلة من الحروب الشرسة في الجنوب. ماذا بعد؟ ستدفعون ثمن غبائكم.

ستدفعون ثمنًا باهظًا. من أجل حكومة من الرجال العاجزين في بزات كاردان. من أجل فزاعة قاسية نصف ميتة على العرش، قادرة على إطلاق النار في قلب موسكو، لكنها جبانة بما يكفي لوضع لص أو خائن واحد على الحائط. من أجل احتفال لوجكوف بعيد زحل في موسكو، المجنون بالمال السهل، على خلفية الخراب الروسي والدماء والدموع.

نكره هذا العالم الكاذب والمُزيّف. لسبب وحيد هو أنه... سرق قادةٌ صلعٌ ذوو بطونٍ منتفخة مستقبلنا، وباعوه للغرب. وشممت أنوفنا رائحة الدماء الجديدة الفاترة المُسكِرة. اسمعوا، أيها الوحل غير المُقاتل، الذي حمى آباؤكم وإخوتكم الأكبر من الأحذية الألمانية، وباعوا الإمبراطورية بثلاثين قطعةً من الفضة! عاجلاً أم آجلاً، ستُحْدِث الساعة المصيرية، وربما تجوب الأرض أرواحٌ سوداءٌ مُنتقمة - أوردفاركي - بالصلبان والأسلحة. سيُثنون أطراف الصليب، وسيكون ذلك عالماً جديداً. عالمٌ من المحاربين والرهبان، والبنائين والشجعان. في هذه الأثناء، استمتعوا واضحكوا...

الفصل 23. مع غواصة وآلة. محاربو الإمبراطورية تحت الماء. أشباح بيرل هاربور الجديدة. طلقةٌ تحت الماء وشعبٌ برمائي. ظلال "البحر الروسي".

أمسيةٌ في أواخر الربيع في كان عام ١٩٩٠ يهطل على اليابسة، والأمواج الباردة تضرب شواطئ القرم بإيقاع منتظم. كان قاربان مطاطيان مموهان يتجهان نحو اليابسة، ومحركاتهما تُخرخر بخفوت.

كانت مهمة أفرادهما محددة بوضوح تام: اختراق قاعدة بحرية شديدة الحراسة، ووضع ألغام مغناطيسية "لزجة" على مراوح ودفات السفن الراسية هناك. كانت القاعدة تقع على شاطئ مصب خليج ذي شواطئ جرداء مفتوحة، بارزة بعمق في الساحل.

لم تتجه المجموعة إلى مصب المصب، بل إلى اللسان الضيق الذي يفصل مياهه عن البحر، لسحب قواربهم عبره في أحلك ليلة بلا قمر. ثم للذهاب إلى منابع الخليج، وإخفاء القوارب، واستطلاع القاعدة. هبت ريح منعشة، وأخفت موجة عالية قاربي تخريب عن الرادار وعن الكشافات التي تمسح سطح الماء. هنا البصاق. سقط ثمانية أشخاص على الرمال المتناثرة، وسحبوا بسرعة الأسلحة ومعدات الغوص والعتاد والمحركات وخزانات الوقود عبر البرزخ. ثم رُصفت المسارات بعناية.

أكلوا - سدوا الثقوب، ونثروا القصب الجاف والأعشاب البحرية.

كان المصب في الواقع بحيرة إسفينية الشكل، تتقلص نحو منابعها العليا. في بداياته، كانت هناك مطارات مائية للقوارب الطائرة، وكان الشاطئ مغمورًا بالضوء، مما أعمى أجهزة الرؤية الليلية للكشافة. لكنهم توجهوا إلى الهدف، مخاطرين في كل دقيقة بتمزيق جانب القارب بواسطة الحواجز والعوامات العائمة. تمكنوا من قطع مسافة خمسة عشر ميلًا حتى نهاية المصب، حيث ضاقت المسافة إلى ثمانمائة متر. هناك، ضغطوا أنفسهم على الشاطئ، مما قلل من سرعة المحرك إلى أقصى حد. انزلق شعاع الكشاف عدة مرات فوق القوارب، لكن غاطسها المنخفض، وسيرها الهادئ، وطلاء التمويه أنقذ المجموعة من الانكشاف.

كانت القاعدة على الجانب الأيمن. بعد أن وجدت المجموعة وادًا مناسبًا، أخفت القوارب فيه، وغطتها بشباك التمويه. في أعلى منحدر الوادي، ظهر مركز مراقبة، مُغطى بإحكام بشبكة وأعشاب بحرية ملقاة فوقه.

في الصباح، لم تتمكن المروحية ولا القارب الذي كان يُراقب مياه القاعدة من رصد المخربين. طوال اليوم والليلة التالية، مُختبئين في شقٍّ على تلٍّ خالٍ، راقب الكشافون الجسم، مُتفحصين نظامه الأمني. وفي الليلة التالية فقط، بعد أن ارتدوا معدات غوص خفيفة، سبحوا إلى الجسم، ولم يغوصوا إلا عند الهدف نفسه. انقسموا إلى مجموعتين فرعيتين. إحداهما، كانت تسحب ألغامًا مُقلدة، واختبأت تحت الأرصفة، ومن هناك، ضغطت على جوانب السفن الرابضة، وبدأت في وضع "شحنات" على مجموعات مراوحها ودفاتها. غاص أفراد البرمائيات تحت مؤخرة كل منهما وقاموا بعملهم. سمعوا محادثات الحراس على ارتفاع مترين تقريبًا فوقهم، وظلوا غير مرئيين لهم تمامًا، بل ورأوا وجوه البحارة.

توجهت المجموعة الفرعية الثانية إلى مقر القاعدة. استغرق الأمر منهم أربع ساعات من المراقبة الثابتة للعثور على موقع "سري" على مداخل القاعدة. قضوا على الحراس واستولوا على المقر. كانت 70% من سفن القاعدة ملغومة. في حال نشوب حرب حقيقية، يكفي ثمانية أشخاص فقط لتعطيل قاعدة بأكملها!

روى الملازم القائد أليكسي بودنيف هذه الحلقة من التدريب القتالي للقوات الخاصة في البحرية السوفيتية في كتابه "جندي الحظ" (العدد 7، 1996). وهو نفسه سباح مقاتل في الأسطول الإمبراطوري. كان الغرب يخشى بشدة من هؤلاء البرمائيين، هؤلاء المحاربين الروس الخارقين. كان يخشى أن يُشلّوا قواعده البحرية، بعد أن انطلقوا من سفن تبدو هادئة أو من غواصات صامتة.

"شعب الضفادع"، المخربون البحريون - ذاع صيتهم قبل نصف قرن. رسمت كتب المغامرات، ولا تزال، صورة رومانسية لمقاتل تحت الماء. ينزلق نجم هوليوود الجذاب، ذو العضلات الفولاذية، عبر أعماق البحيرات الشفافة والدافئة، بين الشعاب المرجانية القرمزية والأسماك بألوان قوس قزح...

في الواقع، عمل المقاتل تحت الماء شاقٌ للغاية. وخطيرٌ للغاية.

لم يكن الروس هم رواد هذا النوع من الحروب. فالأسبقية هنا تعود إلى كبار مخترعي التكنولوجيا العسكرية في النصف الأول من القرن العشرين - الإيطاليين. ففي الحرب العالمية الأولى، بنوا "عربات" بدائية - قوارب صغيرة شبه غواصة بطول سبعة أمتار، تُدار بواسطة مصدر هواء مضغوط في أسطوانات. كان الطاقم المكون من شخصين يتحكمان بالآلة، جالسين على ظهرها، ورؤوسهما بارزة فوق الماء. وبسرعة ضئيلة تبلغ عقدتين (3.74 كيلومترًا في الساعة)، حملت هذه الأجهزة شحنتين وزنهما 160 كيلوغرامًا من مادة تي إن تي. وكان النجاح الوحيد في تلك السنوات هو إغراق البارجة النمساوية "فيريبوس يونيتيس". صحيح أنها كانت قد وقعت بالفعل في أيدي حلفاء إيطاليا.

في عام ١٩٣٥، نشر الإيطاليون في قاعدة الغواصات في لا سبيتسيا اختراع الملازمين تيسي وتوشي - زوارق صغيرة كهربائية على شكل طوربيد، يقودها طاقم يرتدي أقنعة أكسجين. في ذلك الوقت، كان موسوليني يستعد لغزو إثيوبيا، وكان يخشى بشدة تدخل إنجلترا بأسطولها القوي.

في عام ١٩٤٠، تم إنشاء "أسطول النور العاشر" في إيطاليا بقيادة الأمير بورغيزي. تلقى سباحوه المقاتلون زوارق صغيرة، تحمل شحنة زنة ٣٠٠ كيلوغرام، يمكن إطلاقها من أي من الغواصات الثلاث الكبيرة في الأسطول. في ليلة ١٨ ديسمبر ١٩٤١، اخترق رجال بورغيزي في زوارق صغيرة ميناء الإسكندرية عند مصب النيل، وفجّروا آخر سفينتين حربيتين إنجليزيتين في البحر الأبيض المتوسط.

ثم أقام السباحون الإيطاليون قاعدةً لقواربهم في ناقلة نفط نصف مغمورة على بُعد أربعة أميال من القاعدة البريطانية في جبل طارق. وتمكنوا من إغراق السفن المغادرة من هناك بإزاحة إجمالية بلغت 43 ألف طن. حتى دمر رجال الضفادع البريطانيون عشهم عام 1943.

في عام 1942، تمركز الإيطاليون أيضًا في شبه جزيرة القرم، في فوروس، بعد أن أغرقوا سفينتنا "لينين". كانت مهمة طياري الغواصات الصغيرة الإيطاليين محاصرة سيفاستوبول من البحر، المحاصرة من قبل الألمان، ومنع غواصاتنا من الإبحار إليها محملةً بالبضائع إلى المدينة المنكوبة. وكما أفاد ك. ستريليبيتسكي في "أسرار الحرب تحت الماء"، في يونيو 1942، دمّر الإيطاليون غواصتنا S-32 بالقرب من رأس آي تودور، التي كانت متجهة إلى سيفاستوبول محملةً بالبنزين والذخيرة. وفي أغسطس 1943، دمّروا غواصتنا Shch-203 جنوب رأس تارخانكوت. يُشاع أن رجال بورغيزي هم من تسببوا في انفجار وتدمير بارجتنا الحربية "نوفوروسيسك" عام ١٩٥٥ - السفينة الإيطالية الأسير "يوليوس قيصر"، التي نُقلت إلى أسطول البحر الأسود.

في عام ١٩٤٠، نجح البريطانيون أيضًا في إنشاء منجمهم الخاص.

وغواصة بطول 15 مترًا، تحمل سباحين مزودين بجهاز تنفس بالأكسجين ذي دورة شبه مغلقة. بمساعدة هذه الآلات، تمكن البريطانيون من تدمير المدمرة الألمانية العملاقة "تيربيتز" في قاعدة نرويجية عام 1943. وفي يوليو 1945، انطلقت من غواصة عادية، وزرعت ألغامًا مغناطيسية في قاع الطراد الياباني "تاكاو" قبالة سواحل إندونيسيا.

في مايو 1942، هاجم اليابانيون قاعدة دييغو-سواريز البريطانية في مدغشقر بزوارقهم الصغيرة، التي انطلقت من غواصة كبيرة، مما أدى إلى إغراق ناقلة نفط وإلحاق أضرار بالبارجة الحربية "راميليس".

كان لدى الرايخ الثالث أيضًا فيلق قوي من المخربين - "فريق أوبلادن"، وكان لديهم زوارقهم الصغيرة الخاصة "بيبر" و"سيهوند". قاتل رجال الضفادع الألمان حتى النهاية. في عام ١٩٤٥، عملوا على الأنهار، يسحبون شحنات طوربيد في مياهها الموحلة لتفجير الجسور في طريق القوات الروسية المتقدمة. نفذوا مهام، وكثيراً ما كانوا يظهرون على السطح في مؤخرتنا، بعد أن فقدوا كل اتصال مع القيادة.

٣

المعلومات عن مقاتلات الغواصات اليوم شحيحة للغاية. يشبهون رهبانية عسكرية صارمة، ولا يزالون لا يسمحون للصحفيين بالاقتراب منهم. لنتخيل عملهم، دعونا نتصفح مذكرات شعب البرمائيات في ألمانيا هتلر.

أولاً، يُسحب ملابس داخلية دافئة وسترة فوق الجسم. ثم يُسحب بنطال مطاطي حتى الإبطين. يُطوى الجزء العلوي للخلف ويُقلب من الداخل للخارج، وينزل إلى الركبتين. ثم يُلبس قميص مطاطي بحاشية تصل أيضاً إلى الركبتين. يأخذ السباح حوافَ قطعتين من الملابس، ويثني حوافهما مرة أخرى. الآن - حتى الإبطين. تُكرر تقنية الطي عدة مرات حتى يتشكل حزام - "سجق متعدد الطبقات" - على حزام المخرب. يُلف بشريط مطاطي، مدهون بغراء مطاطي. كل ما تبقى هو تعليق أثقال من الرصاص، وجهاز أكسجين، وزعانف، وألغام مغناطيسية على الشخص. بعد تلطيخ وجهه بمزيج من السخام وزيت الآلات، يرتدي قبعة محبوكة بشبكة تمويه.

يتسلل السباح إلى سفينة الضحية على السطح، دون أن يغوص، محافظًا على رأسه فوق الماء. من بعيد، تبدو كقطعة من زيت الوقود - واحدة من قطع عديدة عائمة في الميناء. يعمل بحذر بزعانفه، محاولًا ألا يتحرك عكس التيار أو الريح. إنه يُخاطر بشدة. في أي لحظة، قد يُصاب برصاصة من حارس. أو قد تطير قنبلة يدوية في الماء - وليس هناك ما هو أفظع من انفجار في الماء. يحتاج السباح إلى التحمل والسرية.

بعد أن يقترب بهدوء من الجانب، عليه أن يزفر، ويغوص تحت الأمواج، تحت عارضة السفينة، دون أن يُحدث أي تناثر. هناك، شغّل جهاز الأكسجين، وملأ كيس التنفس، وضغط نفسه على جهاز التنفس. وجّه فقاعات هواء الزفير بدقة تحت قاع السفينة، حتى لا يكشف عن وجوده. وإلا، ستتطاير القنابل اليدوية نحوه، ومن جراء انفجارها ستُنفجر طبلة أذنه، ويفقد وعيه.

بعد وضع الألغام المغناطيسية في الأماكن المحددة، يجب على السباح، مع اتخاذ احتياطات كبيرة، إيقاف جهاز التنفس، والخروج إلى السطح والانجراف سرًا بعيدًا عن السفينة...

أين المياه الدافئة الشفافة والشعاب المرجانية هنا؟ أمواج جليدية، ساعات طويلة من التوتر، رؤية شبه معدومة، وتوقع الموت في أي لحظة. لكن - الحياة خفيفة كالزغب. والواجب ثقيل كالجبل...

... بعد الحرب العالمية الثانية، درس الاتحاد السوفيتي بعناية تجربة الأعداء والحلفاء المعاصرين، وأنشأ أيضًا مفارزه الخاصة من محاربي الغوص. سهّلت المهمة اختراع جاك إيف كوستو عام ١٩٤٢ لجهاز التنفس تحت الماء، الذي بدا وكأنه قادر على استبدال أجهزة الأكسجين الضخمة والمتقلبة، والتي كان من المستحيل معها الغوص على عمق يزيد عن ١٥ مترًا. وكانت استقلاليته تكفي لثلث ساعة على الأكثر.

ولكن هذا كان للوهلة الأولى فقط. أما جهاز التنفس تحت الماء، فهو - بل وأكثر من ذلك بكثير - يُطلق فقاعات كاشفة.

في الاتحاد السوفيتي، كان هناك نوعان من المقاتلات البرمائية: القوات الخاصة البحرية - مجموعات التخريب. وغواصو قوات الأمن الخاصة - قوات ووسائل مكافحة التخريب، المُستعان بها لحماية القواعد الإمبراطورية من السباحين الأجانب. حصلت مقاتلاتنا البحرية على غواصات فائقة الصغر وألغام مغناطيسية لاصقة، وأجهزة تنفس تحت الماء قتالية ذات استقلالية متزايدة، وأسلحة نارية قادرة على ضرب العدو حتى في الأعماق.

٤

واجهت هذه الصناعة الجديدة صعوبة بالغة في تحقيق أهدافها. كما أفاد أندريه خوخلوف وفلاديمير بوبوف (كوماندوز، العدد 4، 1995)، أمر المارشال جوكوف بتنظيم وحدات سباحين قتاليين عام 1957. بعد حادثة واحدة وقعت لطرادنا أوردزونيكيدزه أثناء زيارته لبريطانيا العظمى، سلمت السفينة خروتشوف وبولجانين إلى بورتسموث في أبريل 1956. انفصلت السفينة عن مرساها دون مساعدة قاطرات بمهارة فائقة، مما أثار اهتمام البريطانيين الشديد بمجموعة مراوحها ودفاتها الفريدة. كانوا حريصين على معرفة المزيد عنها منذ عام 1953، عندما وصل الطراد سفيردلوف إلى المملكة المتحدة ورسوا بنفس المهارة.

أُرسل رجل أسطوري، وهو الكابتن المتقاعد من الرتبة الثالثة في البحرية الملكية البريطانية، ليونيل كراب، سرًا لفحص مراوح السفينة ودفاتها. كان سباحًا مقاتلًا في الحرب العالمية الثانية، وقاد وحدةً للدفاع عن قاعدة جبل طارق من هجمات "ضفادع بورغيز"، وكان يتمتع بخبرة واسعة في القتال تحت الماء. اختفى كراب دون أثر، غاصًا في مياه خليج ستوك. عُثر على جثته في الصيف التالي - مقطوع الرأس، بلا ذراعين.

وكان لا بد من التعرف عليه من خلال ملابسه وبقايا معداته. أما في الغرب، فيقولون أشياء مختلفة. يقولون إن الروس زرعوا جثة شخص مشابه، وأسروا بطل بريطانيا وأعادوا تجنيده، جاعلاً إياه الضابط ليف كورابليوف. ويزعم آخرون أن مروحة الطراد دارت في اللحظة التي كان السباح يفحصها فيها.

هذه مسألة غامضة. ولكن بعد تلك الحادثة، تم إنشاء وحدات خاصة في إمبراطوريتنا. ظهرت أولى تشكيلات مكافحة التخريب تحت الماء (PDSS) في أسطول البحر الأسود عام ١٩٦٧. وفي وقت لاحق، تم تنظيم وحدات PDSS في أساطيل أخرى من الإمبراطورية. وهي وحدات صغيرة - لا يزيد عدد أفرادها عن مئة شخص. ونظام التدريب فيها لا يصمد أمامه إلا شخص قوي الروح والجسد. يكتب أ. خوخلوف وف. بوبوف:

يُسلَّح سباح القتال الروسي الحديث بمدفع رشاش تحت الماء (APS) ومسدس خاص تحت الماء (SPP). رصاصة طويلة، طولها عشرة سنتيمترات، تُسمى "مسمارًا" في لغة سباحي القتال، يمكنها إصابة العدو من مسافة عشرات الأمتار.

تتضمن مجموعة سباحي القتال القياسية (وهناك العديد من الوسائل الخاصة الأخرى) جهازًا مزودًا بمزيج تنفس متجدد، يسمح له بالبقاء تحت الماء لعدة ساعات. توجد وسائل نقل خاصة تحت الماء، وقوارب وسيارات عالية السرعة. وعند الضرورة، يُزوَّد سباحون القتال أيضًا بطائرات. ضباط الخدمة على استعداد للمغادرة والطيران إلى أي نقطة (بلد، عالم؟) في غضون عشرين دقيقة.

وحتى في أوقاتنا العصيبة، يغادرون ويطيرون. أحيانًا تكون الإنذارات كاذبة. إذا تخيل بحار شاب في الخدمة أن بلطجية يحملون سكاكين في أسنانهم يسبحون في أسراب بالقرب من سفينة قتالية، فإنه يستدعي سباحين قتاليين. أحيانًا، تكون مهمة شاقة. تقع على عاتقه مهامٌ كثيرة: تنظيف مراوح السفن من الشباك المتشابكة أو البحث في القاع عن الممتلكات البحرية المفقودة. ولكن ليس لهذا السبب مُنح العديد من الضباط وضباط الصف في وحدات مكافحة نظام الدفاع الذاتي السوفيتي (PDSS) أوسمة عسكرية وميداليات.

...في ديسمبر 1989، "عزز سباحونا القتاليون السلام في جميع أنحاء العالم" - فقد حرسوا ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش، اللذين كانا يلتقيان قبالة سواحل مالطا. كانوا المسلحين الوحيدين في حاشية الرئيسين. لمدة ثلاثة أيام، كان 16 سباحًا قتاليًا، بالتناوب، في مهمة قتالية تحت الماء، مع أوامر بإطلاق النار على أي هدف متحرك ضمن دائرة نصف قطرها مائتي متر من السفن السوفيتية والأمريكية.

ولكن كانت هناك مهام "أصعب". لمدة ست سنوات، خدم سباحو البحرية السوفيتية القتاليون لحماية قاعدة دهلك في إثيوبيا. قاتلوا. بما في ذلك تحت الماء. غادروا الميناء محاصرين بالقوات الإريترية على متن سفينتنا الأخيرة.

كان هناك أكثر من ذلك بكثير. نسبة السباحين القتاليين الذين مُنحوا جوائز حقيقية - أعلى من نسبة أولئك "الذين قاتلوا في أفغانستان." ٥

"السبّاحون القتاليون كتومون. في الواقع، لا يُمكن التحدث تحت الماء. علاوة على ذلك، هناك أشياء كثيرة لا يُمكن قولها بعد. وما يُمكن قوله يُخبر به القائد السابق لمفرزة PDSS التابعة لأسطول البحر الأسود "الراية الحمراء"، الحائز على وسامَي النجمة الحمراء، الكابتن المتقاعد من الدرجة الأولى يوري إيفانوفيتش بلياتشينكو، الذي خدم كسباح قتالي لأكثر من ثلاثين عامًا:

- أصبحتُ "مسافرًا" عام ١٩٨٤. ثم، في ٢٠ مارس، اصطدمت ناقلتنا "لوغانسك" بلغم أثناء اقترابها من ميناء ساندينو في نيكاراغوا. ثم اصطدمت عدة سفن أخرى. يوم السبت، اتصلوا بي في منزلي من مقر الأسطول وطلبوا مني الاستعداد للسفر جوًا إلى نيكاراغوا يوم الأحد.

كان من "الممتع" بالنسبة لضابط الاستعداد للسفر إلى الخارج: كان من الضروري تجهيز ١٢ صورة بملابس مدنية، و٦ سير ذاتية مكتوبة بخط اليد، وإذن من المجلس العسكري للأسطول بالمغادرة. هذا بالطبع، بالإضافة إلى جمع وفحص المعدات الخاصة. لكنني تمكنت من إنجاز كل شيء في أقل من يوم، وعقد قائد الأسطول اجتماعًا للمجلس العسكري الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد لمصلحتي وحدي.

لم نكن مضطرين للغوص تحت الماء في نيكاراغوا. كان فريق خبرائنا منهمكًا في عمل تحليلي بحت. كانوا يتوقعون منا توصيات: هل الشحن ممكن في هذه المنطقة؟ أحدثت انفجارات الألغام صدىً واسعًا في العالم، وحوصر حليف الاتحاد السوفيتي فعليًا.

سرعان ما تأكدنا من أن الألغام محلية الصنع، وأن المعارضين المحليين زرعوها من قوارب مسطحة القاع. قدمنا للجيش النيكاراغوي توصيات حول كيفية مكافحة زرع الألغام وكيفية تحويل قاطرات الموانئ البسيطة إلى كاسحات ألغام. بعد مغادرتنا، لم تحدث أي انفجارات أخرى للسفن.

سافرنا جوًا إلى الخارج مع نفس الفريق مرتين أخريين: كانت هناك انفجارات لسفننا بسبب ألغام في الخليج العربي والبحر الأحمر. هناك، كان علينا الغوص تحت الماء، ولكن كان لا يزال هناك المزيد من العمل التحليلي على الشاطئ.

مهمتي الخارجية الأخيرة كان ذلك في عام ١٩٨٦. في ليلة ٥-٦ يونيو/حزيران، فُجِّرت سفينة النقل الكوبية "هافانا" وسفينتان من سفننا، الكابتن فيسلوبوكوف والكابتن تشيركوف، تحت الماء في ميناء ناميب الأنغولي. وذكرت وكالة تاس، نقلاً عن مصادر أنغولية، أن هذا كان من عمل مخربين من جنوب إفريقيا للغواصات. أصدرت حكومة جنوب إفريقيا احتجاجًا شديد اللهجة على الفور. اندلعت فضيحة دولية كبرى. لم ينفجر لغم واحد على كل سفينة من سفننا، فاستلزم الأمر تفكيكها وتحديد هوية "العدو".

أنا من صنعتهم.

في مقر الأسطول، سألوني: كم من الوقت نحتاج لتجميع المجموعة؟ سنكون جاهزين خلال ٢٠ دقيقة. لكن هذه مهمة خاصة، طلبت أربع ساعات. صفقت البحارة: هل من متطوع؟ تقدم الجميع. أخذت اثنين ممن عادوا مؤخرًا من خدمة قتالية في إثيوبيا. لم يتوقعوا أي مشاكل في التأقلم، وقد رأوا أسماك قرش ليس فقط في الصور. عيّنت ضابطي صف إضافيين وضابطًا للمجموعة. في غضون أربع ساعات بالضبط، كنا نسافر جوًا إلى موسكو.

لم نمكث طويلًا في العاصمة. كان الإحاطة من رئيس الأركان العامة للبحرية قصيرة: "اعتنوا بالناس". أتذكر أن الزحام كان شديدًا. لم يسمح لنا الأطباء بدخول أفريقيا دون لقاحات، لذلك اتصل نيكولاي إيفانوفيتش ريجكوف بهيئة الأركان العامة للبحرية بحضوري: "ما الذي تؤخرونه؟ لقد اتفقت بالفعل مع ١٧ دولة على رحلة خاصة، ولا يمكنكم إقناع طبيبة واحدة!".

وصلنا بالفعل خلال عشرين ساعة. في الصباح الباكر من اليوم التالي، غطسنا تحت الماء.

فحصتُ الألغام غير المنفجرة، وأمرت رجالي بجمع جميع شظايا الألغام المنفجرة من على الأرض. أمضوا عدة أيام يبحثون في القاع، وكنتُ أُجمّع الحديد على الشاطئ. تبيّن أن هذه الأدوات مثيرة للاهتمام: لم يسبق لأحد في العالم أن استخدم ألغامًا من هذا النوع.

في هذه الأثناء، اقتربت سفن أسطولنا الشمالي من ناميب. أصبحت الحياة أسهل وأكثر متعة. أخذنا قنابل يدوية من الشماليين، وقبل كل غطسة كنا نقضي على "العدو المحتمل" قدر استطاعتنا. لكن المخربين لم يظهروا على السطح، مع أننا، بصراحة، تخيلناهم تحت الماء.

شخصيًا، كان عليّ العمل أكثر على الشاطئ - بعقلاني - في هذه المهمة. توصلتُ إلى أن السباحين القتاليين المجهولين قد ركّبوا الألغام لتكون غير قابلة للإزالة. كما اكتشفتُ سبب عدم انفجار اثنين منها. لم يُراعِ المخربون شتاء أنغولا. كان الأمر نسبيًا، بالطبع، وفقًا لمعاييرنا. تكثّف الشحم في آليات الألغام، ولم تعمل الصمامات الإلكترونية. مع مراعاة ذلك، وضعتُ خطةً لتفكيكها.

كانت أسهل طريقة، بالطبع، هي تفجير الألغام في أماكن تركيبها. لكنني شعرتُ بالأسف على السفن: كانت لنا، وليست لـ"عمي". بعد أن حسبنا كل شيء، عطّلنا أحد الألغام بانفجار مضاد صغير. انفصل عن الهيكل وانفجر على الأرض.

وكان لا بد من إزالة الثاني سالمًا معافى بأي ثمن. كانت مصالح الدولة تقتضي إثبات ملكية وجنسية مصمميه.

كانت فرص النجاح ضئيلة. لكن لم يكن هناك خيار آخر. في اليوم السادس والثلاثين، انتظرتُ: كان قضيب جهاز منع الإزالة قد غطته الطحالب. حسبتُ كل شيء مرة أخرى وخاطرتُ. كان اللغم مربوطًا بحبل من النايلون، وسُحب برفق. لحسن الحظ، لم ينفجر. سحبه البحارة إلى الشاطئ، إلى شاطئ مهجور. وهناك فككته حتى آخر مسمار.

لم يكن للغم أي أهمية "المصلحة الدولة". كان تصميمه أصليًا، ومخترعه موهوب بلا شك في مجاله. وكانت أجزاؤه يابانية وإنجليزية وهولندية. مقاومات عادية، وثنائيات، ودوائر دقيقة: كان من الممكن تركيبها في منجم أو حديد. باختصار، لم نحدد أبدًا من هو مُجمّعها. لم يُبلغوا "في الأعلى" إلا بشيء واحد: اللغم كان يحمل علامة "DD"، والرقم التسلسلي 13. سلعة نادرة، بشكل عام.

في عام 1986، بدأ "عصر جديد". لم أعد أسافر إلى الخارج. التحقت بالاحتياط...

يمكن مقارنة جميع إصلاحاتنا العسكرية في السنوات الأخيرة بدق الماء في مدفع هاون. من سيذهب للخدمة الآن - بجيب فارغ، في طابور يائس من المشردين إلى الأبد.

... ومع ذلك، نحن الروس شعبٌ رائع. الأمهات لا يأخذن أبناءهن من سباحين القتال. والأولاد أنفسهم لا يهربون إلى ديارهم. يغوصون تحت الماء. المهم الآن هو ألا ينقطع عنهم الأكسجين تمامًا. ٦

بالإضافة إلى وحدات PDSS، كان لدى الإمبراطورية سباحون-مخربون تحت الماء، وهم القوات الخاصة التابعة لبحرية الاتحاد السوفيتي. كانت مهمتهم، ولا تزال، الاستطلاع في المناطق الساحلية لصالح الأسطول، وتدمير منصات الإطلاق المتحركة ومراكز قيادة العدو. أهداف القوات الخاصة البرمائية هي منشآت الدفاع الجوي، والسدود، والأقفال، والسدود، والجسور، والسفن. كما أنهم مسلحون برشاشات ومسدسات روسية فريدة للرماية تحت الماء. بالإضافة إلى ذلك، أسلحة برية بحتة للرماية الصامتة، وسكين استطلاع، وأنظمة NRS، وقاذفات قنابل يدوية، وصواريخ محمولة مضادة للطائرات، وصواريخ موجهة مضادة للدبابات. في بداية الفصل، شرحنا كيف تعمل القوات الخاصة البحرية، حيث تقوم بشل حركة القواعد البحرية للعدو وقطع رؤوسها. كان البرمائيون الروس بارعين في عملهم، وكانت مواهبهم متعددة الأوجه. في بعض الأحيان، كانوا ينزلقون على قواربهم المطاطية بين السفن الثابتة التابعة للأسطول الروسي في البحر الأبيض المتوسط، ويؤدون واجبات قتالية. ثم يذهبون إلى التدريبات، ويختبرون... أنفسهم والآخرين.

كما يروي الملازم الكابتن أليكسي بودنيف (جندي الحظ، العدد 5، 1996)، في يوليو 1986، كُلِّفوا بمهمة: بين الساعة الثانية والثالثة ظهرًا في إحدى مدن جنوب الاتحاد السوفيتي، لخداع حرس الحدود وعبور الحاجز البحري، واختراق "سفينة أجنبية" - سفينة وسطاء على بُعد ستة أميال من الشاطئ.

نجحوا في المهمة. مع أن حرس الحدود الروسي هو الأفضل في العالم، ومع أن المدينة كانت تعجّ بحرس الحدود المتأهبين.

في وضح النهار، متنكرين في زيّ المصطافين، انسلّ المخربون، مرتدين ملابس غوص "مبللة" تحت ملابسهم، واحدًا تلو الآخر إلى البحر الهائج عبر "ثقوب" في بوابات الحدود والدوريات. قضوا السبعين مترًا الأولى تحت الماء، ثم انتقلوا إلى أسلوب سباحة خاص - بدون معدات غوص. للتحرك تحت الماء، والظهور فوقه فقط للتنفس. مختبئين خلف قمم الأمواج، تجاوزوا قوارب الحدود وقطعوا عشرة كيلومترات أخرى في البحر الهائج.

تدريب القوات الخاصة في الأسطول الروسي قاسٍ. كان يتم استدعاء الجنود لمدة ثلاث سنوات، في محاولة لاختيار من لديهم خبرة في الغوص ولديهم تصنيفات رياضية. في وحدات التدريب، واجهوا تدريبًا بضغط نفسي

وجسدي شديد. كانت ذروة تدريب المخرب الشاب هي الإنذار الليلي والسير القسري دون تحديد مسافة ووقت الجري. في الصباح، عندما تكون قوى الجميع تقريبًا قد استنفدت وبلغت ذروتها، لم يكن بإمكان سوى أصحاب الإرادة القوية الاستمرار. هم من يُؤخذون إلى القوات الخاصة البرمائية.

ثم يتحولون إلى محاربين خارقين. بتدريبهم على المظلات والجبال، وخبرتهم في أعمال الهدم والتضاريس، ورماة ماهرين، وذوي بنية جسدية قوية. تعلموا فن البقاء على قيد الحياة والقتال اليدوي، واللغات الأجنبية، والتوجيه تحت الماء، ومهارات الملاحة البحرية، وطب ساحات المعارك. هل تذكرون كيف صقل الألمان أرستقراطيتهم في قوات الأمن الخاصة؟ هكذا صقلنا محاربينا الإسبارطيين، الذين، للأسف، لم نكن نعرف عنهم شيئًا تقريبًا.

تعلموا الرماية بجنون. استخدموا من خمسة إلى سبعة أضعاف الخراطيش والقنابل اليدوية مقارنةً بالوحدات النظامية. تعلموا إصابة الهدف بالرصاصة الأولى. طلقات فردية، لا رشقات نارية، وتغيير مواقعهم باستمرار. لاحقًا، في أفغانستان والشيشان، تعلموا هذه التقنية في القتال بالنيران بأنفسهم، من خلال الدم والموت.

وُجه اهتمام خاص لفن المتفجرات. كان المقاتل البرمائي على دراية بالألغام العادية والخاصة - تلك التي تُعطّل سفن العدو. بالطبع، تدربوا على نزع الألغام وتفكيك الأفخاخ المتفجرة. أحيانًا، كان هؤلاء المقاتلون يظهرون في العروض البحرية في سيفاستوبول، تلك المدينة الإمبراطورية التي كانت لا تزال كذلك. مشهد لا يُنسى - خروجهم من الماء في تشكيلات، مدافع رشاشة على صدورهم. مثل أبطال تشيرنومور الخياليين، خرجوا من الأمواج صفًا تلو الآخر. وفي عام ١٩٨٣، أمام جميع الشرفاء، أظهروا كيفية اقتحام سفينة بالقفز في الماء من طائرة هليكوبتر وبدون أي مظلة.

روى بودنيف كيف كان التدريب الجوي. تدربوا على القفز من ارتفاعات منخفضة تبلغ ١٢٠ و١٠٠ و٨٠ وحتى ٦٠ مترًا. بحيث تنفتح مظلة المظلة تقريبًا عند الأرض، بحيث لا يصبح الشخص المعلق على الحبال هدفًا لرماة العدو. وحقق العقيد ف. بوزدنياكوف رقمًا قياسيًا - خمسين مترًا. قفزوا بالمظلات بدون مظلات احتياطية - كان من المستحيل استخدامها على أي حال على مثل هذه الارتفاعات. لم يكن هناك وقت. وليس من المستغرب أن يُؤخذ آلهة الحرب هؤلاء، المُعتادون على اللعب بالموت، للحراسة في اللحظات الحاسمة. حرسَت القوات الخاصة التابعة لبحرية الاتحاد السوفيتي سفننا خلال مهرجان الشباب والطلاب في كوبا عام ١٩٧٨. وخلال رحلة غورباتشوف إلى ريكيافيك، أيسلندا عام ١٩٨٦. وحتى في بداية مأساة انقسام أسطول البحر الأسود بين روسيا "المستقلة" وأوكرانيا وجورجيا، أصبح رجال البرمائيات حراسًا لقائد الأسطول الأدميرال كاساتونوف. وعندما ذهب إلى جورجيا في عهد شيفرنادزه، التي كانت قد أصبحت وكرًا للمافيا وقطاع الطرق، حيث كانت الحرب الأهلية مستعرة آنذاك، كان هؤلاء الإسبرطيون حراسه.

من المُرّ جدًا الاعتراف بذلك، ولكن بعد تفكك الإمبراطورية، انقسمت القوات الخاصة البحرية أيضًا. وانتهى الأمر بالجزء الأكثر جاهزية للقتال في أيدي جزء من الاتحاد، أوكرانيا. لواء ستاروكريمسكايا؟ لكن قاعدة مقاتلات الغواصات في جزيرة روسكي قرب فلاديفوستوك، والتي حُفرت داخلها زنزانات حجرية بناها المهندس الروسي اللامع كاربيشيف، لا تزال قائمة.

7

يظهر مشهد في فيلم جيمس بوند "كرة الرعد": غواصو سكوبا من جهاز المخابرات البريطاني وسباحون من المافيا يشتبكون في قتال تحت الماء بالقرب من قاذفة غارقة محملة بقنابل نووية. يضربون بعضهم البعض بحراب من مدافع تحت الماء. يدفع أعضاء المافيا قاربًا صغيرًا غريبًا، مزودًا بـ"بطارية" كاملة من مدافع الرمح في مقدمته.

لكن السباحين الروس يمتلكون سلاحًا أقوى بكثير للقتال في أعماق البحار. لم يكن الغرب يمتلكه ولا يمتلكه. مدفع رشاش تحت الماء من طراز APS عيار 5.66 ملم، يطلق رصاصات إبرة الشكل. مزود بمخزن ذخيرة سعة 26 طلقة - إما برصاصة فولاذية من طراز MPS، أو بخراطيش MPSTS (بمادة تتبع). على عمق يصل إلى خمسة أمتار، يمكن لنظام APS قتل سباحين أعداء ضمن دائرة نصف قطرها ثلاثون مترًا. وإذا كانت المعركة على عمق يصل إلى عشرين مترًا، فإن مدى الطلقات القاتلة ينخفض أيضًا إلى عشرين مترًا. الحد الأقصى لتطبيق نظام APS هو عمق أربعين مترًا، حيث يصيب النظام على عمق عشرة أمتار.

نظام APS خفيف الوزن - كيلوغرامان ونصف فقط، ويحتوي على حوامل تثبيت محورية للتركيب في فتحات الغواصات الصغيرة. منذ عام ١٩٨٣، دخل الخدمة، حيث صممه مهندسون من كليموفسك بالقرب من موسكو، في المعهد المركزي لأبحاث الهندسة الدقيقة. هناك، ابتكر فلاديمير سيمونوف مسدس SPP-1 تحت الماء رباعي الطلقات برصاصات إبرة، والذي تم اعتماده للخدمة عام ١٩٧١. على عمق عشرين مترًا، يصيب النظام على عمق أحد عشر مترًا. وهذا السلاح يُصنع منه برمائيات روسية.

أخطر الأعداء. يُساعدهم ذلك على العمل حتى في المياه الاستوائية حيث تعيش أسماك القرش آكلة البشر. وقد لقي أكثر من سباح قتالي حتفه قبالة سواحل جنوب فيتنام في الستينيات.

جهزت الإمبراطورية مشاتها تحت الماء تجهيزًا جيدًا. للتنقل في أعماق البحار، استخدمت قوارب سحب فردية، تشبه الطوربيدات القصيرة السميكة. كما استخدمت حاملات جماعية وغواصات صغيرة يُمكن ربطها بقارب كبير لنقلها لمسافات طويلة. (كانت أولى غواصات ما بعد الحرب من سلسلة "S" قادرة بالفعل على أداء هذه الأغراض).

وفقًا لأ. بودنيف، يستخدم السباحون معدات الغوص AVM-5 المزودة بإمدادات من خليط التنفس تكفي لساعات طويلة للغوص. ونلاحظ أنها تحظى بإعجاب كبير من القراصنة المعاصرين - الباحثين عن السفن الغارقة في بحر البلطيق والشرق الأقصى الروسي، بحثًا عن التحف والأسلحة القديمة والذهب. كما يمتلك جنود المشاة تحت الماء جهاز تنفس ذاتي الاحتواء IDA-71. على الرغم من تعقيدها الشديد وتطلبها تدريبًا مكثفًا:

"حتى بعد إقامة قصيرة تحت الماء، فقد جميع الباحثين عن الرومانسية أوهامهم. وعند دخولهم الجهاز باستقلالية تامة بعد مغادرة الماء، لم يكن حتى الأصدقاء المقربون يتعرفون عليهم دائمًا. ماذا يمكنك أن تفعل؟ كانت بدلاتنا UGK-3 بعيدة كل البعد عن المثالية من حيث الراحة. لكن جهاز IDA-71 سمح، مع الاستخدام السليم، بالخروج منه أكثر بمرة ونصف من الوقت القياسي تحت الماء."

هناك أيضًا جهاز IDA-50-90 - مصمم لست ساعات من السباحة على عمق 25 مترًا. لكن الأشخاص الذين يعانون من تسوس الأسنان لا يمكنهم استخدامه. والأكثر من ذلك، إذا لم تنظف أسنانك، فسيقوم الأكسجين بتحلل بقايا الطعام بسرعة كبيرة، ثم يُجبرك على الذهاب إلى طبيب الأسنان.

كانت وحدات القوات الخاصة "الصندوق الذهبي" للقوات العسكرية للإمبراطورية. يتذكر بودنيف كيف تدربوا عام ١٩٨٨ على عملية تحرير رهائن على متن سفينة "كوميتا" (الزورق المحلق) التي استولى عليها ثلاثة "إرهابيين". استغرق الأمر سبع ثوانٍ فقط.

يؤلمنا أن نتذكر كيف استولى إرهابيون موالون للشيشان على عبّارة "أوراسيا" في تركيا في ديسمبر ١٩٩٥. لم تبحر مجموعة من السباحين المقاتلين قط - حتى أن السفينة الكبيرة المضادة للغواصات "كيرتش" لم تكن تحتوي على وقود. الديمقراطية والإصلاحات - كان الأسطول والبلاد في حالة خراب.

لكن في عام ١٩٨٥، لاح شبح الإمبراطورية الروسية، وثارت سفنها في جميع محيطات الأرض. كان الأمريكيون آنذاك خائفين للغاية من المقاتلات البرمائية الروسية. كانوا يخشون الهجمات غير المتوقعة على قواعدهم البحرية والجوية والبحرية في الخارج.

لأن الأمريكيين محاربون يفتقرون إلى الانضباط. إنهم يفتقرون إلى الكفاءة والتقاليد العسكرية البروسية، ولا إلى الطاعة اليابانية لكبار القادة والولاء المتفاني للواجب العسكري.

أخبرتنا مجلة "جندي الحظ" (العدد 8، 1995) عن نتائج فحص الجاهزية القتالية للحاميات الأمريكية وموثوقية حماية المنشآت العسكرية المهمة. وقد لعبت فرقة خاصة بقيادة بطل حرب فيتنام، المظلي والسباح ("السيل")

ريتشارد مارسينكو، دور المخربين. في عام 1986، تمكنوا من اختراق القاعدة البحرية الأمريكية في جزيرة غوام - في صندوقي سيارتي أجرة! - والاستيلاء على ثكنات ومنازل ضباط عازبين. ثم - وغادروا.

في عام 1985، "استولى" فريق مارسينكو على مقر قيادة الأسطول الأطلسي الأمريكي في نورفولك، فرجينيا، واخترقوا مبنى الاستخبارات الإلكترونية للأسطول، الذي تُراقب منه جميع السفن في محيطات العالم. تمكنوا من قيادة شاحنة محملة بالمتفجرات (قنابل دخانية) إلى قاعة الاجتماعات حيث كان يجتمع الأدميرالات. وهذا على الرغم من علم رجال الأمن بالتدريبات!

كان من الممكن أن تحل محل رجال مارشينكو قوات خاصة روسية، أو مقاتلين من أمريكا اللاتينية مدربين في الإمبراطورية.

سبّاحون قتاليون مخربون - هؤلاء هم من استطعنا مواجهة حيل أمريكا الفضائية بثمن بخس وبغضب. هؤلاء هم من استطاعوا توجيه ضربة خاطفة ساحقة على القواعد البحرية الأمريكية التي كانت تغطي أوراسيا من الجنوب. مع ذلك، الفكرة ليست جديدة.

في عام ١٩٥٣، أكمل بافل سودوبلاتوف، بطل "الجبهة السرية"، رئيس المديرية الرابعة للاستخبارات والتخريب في جهاز الأمن السوفيتي (NKVD) آنذاك، إعداد نظام لشل أهم قواعد الناتو تمامًا بعد دقائق قليلة من هجومه علينا. أليس هذا مثالًا يُحتذى به لإمبراطورية الثمانينيات والتسعينيات؟ في نهاية المطاف، صنع الروس غواصات نووية صغيرة، كانت، مثل غواصات سيهوند الألمانية في أربعينيات القرن الماضي، قادرة تمامًا على إغراق السفن ونقل السباحين القتاليين. على سبيل المثال، يمتلك الأسطول الشمالي حاليًا غواصة نووية واحدة من مشروع 1851، وهي AS-11. يبلغ طول هذه الغواصة "الصغيرة" أربعين مترًا وعرضها 5.3 أمتار، وقد بُنيت في سانت بطرسبرغ عام 1982. وهناك ثلاث غواصات نووية أخرى من طراز 1910 (2000/1390 طن، طولها 69 مترًا، عرضها 7 أمتار، سرعتها 30 عقدة) - AS-15 وAS-16 وAS-17. وأخيرًا، بُنيت AS-12، بطول أربعين مترًا، والقادرة على الغوص حتى عمق كيلومتر واحد، في سانت بطرسبرغ.

وماذا عن الغواصات النووية؟ تذكروا خريف عام 1996، عندما جنحت غواصة كهربائية كورية شمالية صغيرة بهيكل بلاستيكي عن طريق الخطأ على الصخور. صامتة تمامًا، تكاد تكون غير قابلة للكشف. كانت الإمبراطورية قادرة على صنع المئات منها.

حتى عام ١٩٩٢، كانت لدينا غواصات من طرازي ٦٥٩ وT٦٥٩ تطفو في المحيط الهادئ، وكانت في السابق منصات إطلاق صواريخ كروز (٤٩٢٠/٣٧٣١ طنًا، بطول ١١٢,٣ مترًا وعرض ٩,٢ مترًا، وسرعة ٢٩ عقدة).

أخطر الأعداء. يُساعدهم ذلك على العمل حتى في المياه الاستوائية حيث تعيش أسماك القرش آكلة البشر. وقد لقي أكثر من سباح قتالي حتفه قبالة سواحل جنوب فيتنام في الستينيات.

جهزت الإمبراطورية مشاتها تحت الماء تجهيزًا جيدًا. للتنقل في أعماق البحار، استخدمت قوارب سحب فردية، تشبه الطوربيدات القصيرة السميكة. كما استخدمت حاملات جماعية وغواصات صغيرة يُمكن ربطها بقارب كبير لنقلها لمسافات طويلة. (كانت أولى غواصات ما بعد الحرب من سلسلة "S" قادرة بالفعل على أداء هذه الأغراض).

وفقًا لأ. بودنيف، يستخدم السباحون معدات الغوص AVM-5 المزودة بإمدادات من خليط التنفس تكفي لساعات طويلة للغوص. ونلاحظ أنها تحظى بإعجاب كبير من القراصنة المعاصرين - الباحثين عن السفن الغارقة في بحر البلطيق والشرق الأقصى الروسي، بحثًا عن التحف والأسلحة القديمة والذهب. كما يمتلك جنود المشاة تحت الماء جهاز تنفس ذاتي الاحتواء IDA-71. على الرغم من تعقيدها الشديد وتطلبها تدريبًا مكثفًا:

"حتى بعد إقامة قصيرة تحت الماء، فقد جميع الباحثين عن الرومانسية أوهامهم. وعند دخولهم الجهاز باستقلالية تامة بعد مغادرة الماء، لم يكن حتى الأصدقاء المقربون يتعرفون عليهم دائمًا. ماذا يمكنك أن تفعل؟ كانت بدلاتنا UGK-3 بعيدة كل البعد عن المثالية من حيث الراحة. لكن جهاز IDA-71 سمح، مع الاستخدام السليم، بالخروج منه أكثر بمرة ونصف من الوقت القياسي تحت الماء."

هناك أيضًا جهاز IDA-50-90 - مصمم لست ساعات من السباحة على عمق 25 مترًا. لكن الأشخاص الذين يعانون من تسوس الأسنان لا يمكنهم استخدامه. والأكثر من ذلك، إذا لم تنظف أسنانك، فسيقوم الأكسجين بتحلل بقايا الطعام بسرعة كبيرة، ثم يُجبرك على الذهاب إلى طبيب الأسنان.

كانت وحدات القوات الخاصة "الصندوق الذهبي" للقوات العسكرية للإمبراطورية. يتذكر بودنيف كيف تدربوا عام ١٩٨٨ على عملية تحرير رهائن على متن سفينة "كوميتا" (الزورق المحلق) التي استولى عليها ثلاثة "إرهابيين". استغرق الأمر سبع ثوانٍ فقط.

يؤلمنا أن نتذكر كيف استولى إرهابيون موالون للشيشان على عبّارة "أوراسيا" في تركيا في ديسمبر ١٩٩٥. لم تبحر مجموعة من السباحين المقاتلين قط - حتى أن السفينة الكبيرة المضادة للغواصات "كيرتش" لم تكن تحتوي على وقود. الديمقراطية والإصلاحات - كان الأسطول والبلاد في حالة خراب.

٨

لكن في عام ١٩٨٥، لاح شبح الإمبراطورية الروسية، وثارت سفنها في جميع محيطات الأرض. كان الأمريكيون آنذاك خائفين للغاية من المقاتلات البرمائية الروسية. كانوا يخشون الهجمات غير المتوقعة على قواعدهم البحرية والجوية والبحرية في الخارج.

لأن الأمريكيين محاربون يفتقرون إلى الانضباط. إنهم يفتقرون إلى الكفاءة والتقاليد العسكرية البروسية، ولا إلى الطاعة اليابانية لكبار القادة والولاء المتفاني للواجب العسكري.

أخبرتنا مجلة "جندي الحظ" (العدد 8، 1995) عن نتائج فحص الجاهزية القتالية للحاميات الأمريكية وموثوقية حماية المنشآت العسكرية المهمة. وقد لعبت فرقة خاصة بقيادة بطل حرب فيتنام، المظلي والسباح ("السيل") ريتشارد مارسينكو، دور المخربين. في عام 1986، تمكنوا من اختراق القاعدة البحرية الأمريكية في جزيرة غوام - في صندوقي سيارتي أجرة! - والاستيلاء على ثكنات ومنازل ضباط عازبين. ثم - وغادروا.

في عام 1985، "استولى" فريق مارسينكو على مقر قيادة الأسطول الأطلسي الأمريكي في نورفولك، فرجينيا، واخترقوا مبنى الاستخبارات الإلكترونية للأسطول، الذي تُراقب منه جميع السفن في محيطات العالم. تمكنوا من قيادة شاحنة محملة بالمتفجرات (قنابل دخانية) إلى قاعة الاجتماعات حيث كان يجتمع الأدميرالات. وهذا على الرغم من علم رجال الأمن بالتدريبات!

كان من الممكن أن تحل محل رجال مارشينكو قوات خاصة روسية، أو مقاتلين من أمريكا اللاتينية مدربين في الإمبراطورية.

سبّاحون قتاليون مخربون - هؤلاء هم من استطعنا مواجهة حيل أمريكا الفضائية بثمن بخس وبغضب. هؤلاء هم من استطاعوا توجيه ضربة خاطفة ساحقة على القواعد البحرية الأمريكية التي كانت تغطي أوراسيا من الجنوب. مع ذلك، الفكرة ليست جديدة.

في عام ١٩٥٣، أكمل بافل سودوبلاتوف، بطل "الجبهة السرية"، رئيس المديرية الرابعة للاستخبارات والتخريب في جهاز الأمن السوفيتي (NKVD) آنذاك، إعداد نظام لشل أهم قواعد الناتو تمامًا بعد دقائق قليلة من هجومه علينا. أليس هذا مثالًا يُحتذى به لإمبراطورية الثمانينيات والتسعينيات؟ في نهاية المطاف، صنع الروس غواصات نووية صغيرة، كانت، مثل غواصات سيهوند الألمانية في أربعينيات القرن الماضي، قادرة تمامًا على إغراق السفن ونقل السباحين القتاليين. على سبيل المثال، يمتلك الأسطول الشمالي حاليًا غواصة نووية واحدة من مشروع 1851، وهي AS-11. يبلغ طول هذه الغواصة "الصغيرة" أربعين مترًا وعرضها 5.3 أمتار، وقد بُنيت في سانت بطرسبرغ عام 1982. وهناك ثلاث غواصات نووية أخرى من طراز 1910 (2000/1390 طن، طولها 69 مترًا، عرضها 7 أمتار، سرعتها 30 عقدة) - AS-15 وAS-16 وAS-17. وأخيرًا، بُنيت AS-12، بطول أربعين مترًا، والقادرة على الغوص حتى عمق كيلومتر واحد، في سانت بطرسبرغ.

وماذا عن الغواصات النووية؟ تذكروا خريف عام 1996، عندما جنحت غواصة كهربائية كورية شمالية صغيرة بهيكل بلاستيكي عن طريق الخطأ على الصخور. صامتة تمامًا، تكاد تكون غير قابلة للكشف. كانت الإمبراطورية قادرة على صنع المئات منها.

حتى عام ١٩٩٢، كانت لدينا غواصات من طرازي ٦٥٩ وT٦٥٩ تطفو في المحيط الهادئ، وكانت في السابق منصات إطلاق صواريخ كروز (٤٩٢٠/٣٧٣١ طنًا، بطول ١١٢,٣ مترًا وعرض ٩,٢ مترًا، وسرعة ٢٩ عقدة).

قام بوريس أوشاكوف، الباحث في كلية الهندسة البحرية، بتطوير مشروع لغواصة طائرة بطاقم مكون من ثلاثة أفراد. ووفقًا للحسابات، كان من المفترض أن تطير الغواصة ذات الـ 15 طنًا لمسافة 800 ميل بسرعة 200 كيلومتر في الساعة وتغوص في دقيقة ونصف. وقد زودها محرك كهربائي بقوة عشرة أحصنة بسرعة تتراوح بين 2 و3 عقد ومدى إبحار تحت الماء يتراوح بين 5 و6 أميال. وبعمق غوص يبلغ 45 مترًا. وحملت الطائرة القارب طوربيدين ومدفع رشاش مزدوج (Vestnik Vozdushnoy Flota، العدد 7، 1995). وكان من المفترض أن يلحق هذا الجهاز بأسراب العدو في عرض البحر. وبعد اكتشاف سفن العدو، تجاوزت الغواصة ذات الـ 15 طنًا الأفق بسرعة وتجاوزت السرب من أجل نصب كمين. وفي النقطة المحددة، هبطت الغواصة الجوية على الماء، وانتقل الطاقم بسرعة إلى حجرة مغلقة وغاص في دقيقة ونصف. إذا فشل الهجوم، كان طاقم الغواصة الخفيفة ينتظر، ثم يصعد إلى السطح ويكرر العملية. أدى الكمين إلى خفض مستوى ضجيج القارب الجوي إلى أدنى حد.

يمكن استخدام الغواصة الخفيفة نفسها لاختراق الموانئ المحروسة جيدًا ليلًا، والتحليق فوق حواجز الرفع والشباك تحت الماء وحقول الألغام، والانتظار حتى ساعات النهار في قاع الموانئ، تحت أنف العدو مباشرةً.

توقف العمل على الغواصة الخفيفة عام ١٩٣٨. لكن كان من الممكن إحياء هذا الاختراع الذي ابتكره المهندس الروسي اللامع في الثمانينيات، مع تصاعد الصراع مع الغرب. كان من الممكن صنع الهيكل من مواد مركبة خفيفة الوزن، وتعزيز المحركات، وتزويدها بأنظمة كهرومغناطيسية لمعالجة احتراق الخليط في الأسطوانات، واحتراق الوقود اللاحق. أدى توفير الهواء المسال والبطاريات الحديثة إلى مضاعفة أو زيادة استقلالية الملاحة بمقدار الضعف أو الثلاثة أضعاف، كما أن نظام الملاحة عبر الأقمار الصناعية (بالإضافة إلى الاستطلاع عبر الأقمار الصناعية) جعل الغواصة الخفيفة سلاحًا هائلًا. هجمات طوربيد؟ من فضلك. على عكس الطائرات النفاثة، تتميز قاذفات القنابل منخفضة الضغط (LPLs) المزودة بمحركات مكبسية بقدرة أفضل بكثير على التهرب من الرادارات بالانتقال إلى الطيران على ارتفاع منخفض. يمكنك الهروب من المقاتلات بالغوص تحت الأمواج. هيكلها المركب وهدوءها يحميانها من الرصد بواسطة أجهزة قياس الصوت والمغناطيسية. بالإضافة إلى الطوربيدات، يمكن للطائرة القاربية حمل بضعة صواريخ مدمجة أو إطلاق مخربين برمائيين لمهاجمة الأهداف. هذه التقنية وحدها، كونها أرخص بآلاف المرات من حاملات الطائرات، قادرة على إبقاء نصف القواعد الأمريكية وتشكيلات حاملات الطائرات في حالة من الخوف. ففي النهاية، يمكن نقل قاذفات القنابل منخفضة الضغط سرًا في عنابر سفن تبدو هادئة، أو على هياكل غواصات كبيرة صامتة، أو إطلاقها من طائرات نقل ثقيلة. لنتذكر كيف في رواية جول فيرن "علم الوطن"، يغادر رجل المافيا الدولي كير كاراج، بعد اختطاف عالم وسر سلاح صاروخي ذي قوة هائلة، إلى جزيرته - قاعدة على متن يخت شراعي تسحبه غواصة. ولكن بالطريقة نفسها، كان بإمكان سفن التدريب الشراعية، وسفن الصيد، واليخوت الرياضية التابعة للإمبراطورية سحب غواصات صغيرة طائرة سرًا. يا له من أمرٍ بغيضٍ لكل من يتحدث عن خسارتنا لسباق التسلح. لم نستخدم حتى ثلث الحلول الرخيصة للتحدي الأمريكي. لذلك، لا غفران ولا تبرير لأبناء الأحدب على استسلامهم المخزي للبلاد للغرب. إن كلامهم عن اختناق اقتصاد الاتحاد السوفيتي في المنافسة العسكرية مع الولايات المتحدة ليس سوى تبريرٍ واهٍ لفسادهم. ففي النهاية، حتى أكثر اللصوص دناءةً يحاول دائمًا إيجاد مبرر روحي أو اجتماعي لجرائمه. لقد باعوا أرواحنا، وألقوا بجهود عشرة أجيال من الروس في سلة المهملات!

١١

يا إلهي، يا له من عالمٍ جديدٍ كنا على أعتابه! ففي النهاية، أصبحت وحدات السباحين تحت الماء مهدًا لشعبٍ جديد، "روس البحر". كان قادة بودنيف ليصبحوا عصبة من جاك إيف كوستو. والأهم من ذلك، أن هؤلاء

الشجعان، الذين اعتادوا على الضغوط الهائلة واللعب بالموت، دُعوا ليصبحوا أرستقراطيين، نبلاء جدد. جزءًا من النخبة الحاكمة.

حتى مقاتلي الغواصات العاديين، بعد أن عاشوا حياة سلمية، كانوا قادرين على بناء حضارة جديدة. المحاربون الأقوياء عريضو الصدور، الذين اعتادوا على برد وضغط الأعماق، هم الجين الذهبي للشعب الروسي. لا يمكن إعادتهم إلى شجارات سكارى في أحياء مملة - كلا! كان من الضروري بناء مستعمرات مشرقة تغسلها الرياح والشمس في المحيط الهادئ. في كامتشاتكا، وساخالين، وبريموري. حيث يخفي الجرف رواسب ضخمة من النفط والغاز، وحيث تتجول قطعان لا حصر لها من السرطانات الضخمة بين الطحالب، فإن استخراجها من مخالبها يكلف أموالًا طائلة.

أن تكون رعاة لهذه القطعان؟ ولم لا؟ إن حقول البحر، إذا ما زُرعت، قادرة على منح الروس كنوزًا لا تُحصى. هنا كان من المفترض أن تولد الشركات والتحالفات الروسية. وليُدرِسها أرستقراطيو جماعتهم تحت الماء، يقودون جنودهم السابقين في زمن السلم.

كان بإمكان هؤلاء الناس أن ينجبوا أطفالًا أشقر الشعر وذوي عيون فاتحة من نساء روسيات أصحاء. أطفال اعتادوا منذ الصغر على أمواج أعماق الساحل المتمايلة. يلعبون مع الأخطبوطات بين الوديان تحت الماء، كما يلعبون مع السناجب في الغابات قرب موسكو، مفتول العضلات وقوي البنية! ففي يوم من الأيام، في منطقة البحر الأبيض الروسي، نشأت عرقية فرعية من البومور الأقوياء والشجعان من الصيادين والصناع. وأي نوع من البشر يمكن أن تُنتجه مثل هذه المستعمرات في الشرق الأقصى؟

عبقرية وجرأة روسية بقلم

السرب لا يعرف حدودًا. رأيتُ ذات مرة في مجلة قديمة مشروعًا بدا جنونيًا: تحويل الجزر المرجانية الحلقية في جنوب المحيط الهادئ إلى حظائر للحيتان. واستغلالها بـ"طوربيدات" حلبية، جامعًا حليبًا كثيفًا ودسمًا من سطح الماء. لكن من يدري ما هي الإنجازات التي كان جيل "روس البحر" ليحققها خلال خمسة عشر أو عشرين عامًا؟

ومن لدينا كقادة الآن؟ بيريزوفسكي الضعيف وريبكين الضعيف المزين، اللذان تملّقا القتلة الشيشان، بينما كانت زوجات وأطفال الضباط والطيارين وحرس الحدود الروس يرقدون تحت أنقاض منزل مُفجّر في كاسبيسك بداغستان. قُتلوا على يد أولئك الذين يريدون طردنا من القوقاز وتحويله إلى وكر لقطاع الطرق.

١٢

أتذكر أوائل الثمانينيات. حتى حينها، أخفوا عنا كل خيرٍ صنعه العقل والشجاعة الروسية. وخسرنا شبابنا الذين تعلموا عن ظهر قلب:

الاتحاد بلدٌ تسوده رفوف المتاجر الفارغة، وشجارات السُكارى في أكشاك البيرة، وأغاني إجرامية لمغنين يهود من شاطئ برايتون على أشرطة كاسيت منزلية الصنع. وأفضل ما لدينا هو غيتار فيسوتسكي فقط. ببساطة، لم نكن نعرف شيئًا عن مقاتلات الإمبراطورية تحت الماء، أو عن أشياء أخرى كثيرة.

ولكن كان من الممكن أن يكون كل شيء مختلفًا! على عكس أقرانهم الغربيين، الذين يحلمون ببنطال جينز "جورداتشي" وسيارة وجهاز فيديو، استطاع شبابنا أن يستمدوا القوة والفرح، وأن يكبروا في العراء والشمس في بلد واحد على سدس مساحة العالم. منذ الطفولة، اعتادوا على أجنحة الطائرات الشراعية، وأعقاب بنادق "الكلاشينكوف"، وريشة الفنان. لو ازدهرت الإمبراطورية، لمنحنا الشباب نوادي طيران بدلًا من بيوت دعارة، ومظلات ومعدات غوص، ودراجات نارية قوية بدلًا من المخدرات، ومتاحف ورحلات إلى أجمل الأماكن بدلًا من الجلوس في الأزقة الخلفية أو النوادي الليلية مع علب البيرة. كان بإمكاننا أن نمنحهم حياةً كاملة، لا طعامًا متعفنًا، "لذيذًا عند اللمس". كنا سنرى كنائس نوفغورود البيضاء، وأطلال عاصمة البارثيين نيسا عند سفوح جبال كوبيت-داغ التركمانية، وأعمدة خيرسونيسوس اليونانية القديمة في شبه جزيرة القرم، ومدافن سهوب سيبيريا، متوجةً بأصنام تركية قديمة. كنا سنستمتع حرفيًا بتاريخ أسلافنا العريق الممتد لألف عام.

كان علينا أن نربي جيلًا من سادة الكون بدمٍ حارٍّ نقي، محاربين نجوم - على عكس شباب الغرب النحيفين الأشرار. ماذا يحب الشباب؟ حماسة التنافس والمجد، القوة والسرعة، السلاح والحب! ما الذي منع الشباب من فتح أبواب المعسكرات العسكرية وميادين الرماية، ونوادي السباق والطيارين؟ عززوا ووسّعوا مراكز الفنيين الشباب، ونوادي رواد الفضاء، والمختبرات واستوديوهات الفنون، والملاعب وحلبات السباق؟

هل فسدت حركة الرواد الشباب والكومسومول؟ هل يعشق الشباب سباقات الدراجات النارية؟ امنحوهم إياها. فلتترأس نوادي الدراجات النارية شخصيات وطنية خاضت معارك أفغانستان وفيتنام ومصر والجزائر. ليتقدم أقوى القادة الشباب. ليرموا الشباب القنابل اليدوية ويصيبوا الأهداف بالبنادق، ويجتازوا مسارات الحواجز، ويتقنوا فنون المصارعة والقتال اليدوي. كافئوهم بسترات جلدية، وخطوط زاهية، وخيول فولاذية قوية.

هل يعشق الشباب تاريخ وطنهم؟ ادعموا كل هذه المدارس الكشفية القوزاقية ونوادي الحرس الروسي، واجمعوا الأطفال الذين هجرهم آباؤهم في فيلق الأشبال.

قُد الشباب عبر البلاد العظيمة: هنا قلعة تراكاي ذات الطابع القوطي الكئيب، وسراديب أدزيموشكاي القرم، حيث قاتل الروس حتى النهاية عام ١٩٤٢، وحصون كرونشتادت، وميدان كورسك. أنشروا لهم مجلاتٍ زاهية، حيث ستكون هناك، إلى جانب موسيقى الروك، مقالاتٌ عن التاريخ، والجغرافيا السياسية، وقوة العقل الروسي وجيوش الدبابات.

عشرون عامًا من هذا العمل - وسيدخل إلى الحياة جيلٌ أريوسلافيٌّ عظيمٌ من حكام العالم - جميلون، أذكياء، أقوياء، قادرون على ملامسة النجوم، وهزّ العالم باكتشافاتٍ غير مسبوقة. وفي الوقت المناسب - لسحق العدوّ إربًا برشقةٍ من نيران الرشاشات. هؤلاء هم من يجب أن يحكموا البلاد. هم - وليس الضعفاء البائسون، الذين لم يتذوقوا طعم الحياة الحقيقية، ولا يرتجفون، ولا يصفعون البدينين. ولكانت روسيا قد دخلت العالم مُهددةً ومتألقةً، كسفّاحٍ جبارٍ بين النجوم.

كان المال كافيًا لهذا. فمهما صرخ "أبناء المحامين" في عامي ١٩٩٠ و١٩٩١ عن فقرنا من صفحات "أوغونكي"، فقد شهدت سنوات الإصلاحات ضخًا ضخمًا لثروات البلاد، حيث جُمعت مئات المليارات من الدولارات. ما زلنا نعيش على ما صنعه أسلافنا. هذه المليارات لم تُنفق لتعزيز الأمة، ولا لخلق جيلٍ من المحاربين والمفكرين والمبدعين، بل لإثراء التجار والمجرمين والحثالة غير الروس.

يمكن "للنخبة" الحالية أن تتظاهر بالوطنية كما تشاء. ستظل تُشبه قطاع الطرق الإسبان الأغبياء الذين دمروا حضارات أمريكا المتألقة، وحوّلوا أجمل الأعمال الفنية للأزتيك والإنكا والمايا إلى سبائك ذهبٍ عادية، انتهت في النهاية بأيدي المصرفيين اليهود في أوروبا. أحرقت "الضباع" الإسبانية مخطوطات أزتكية تحتوي على معارف فريدة على المحك. دمّر إصلاحيونا المراكز العلمية والتكنولوجية والعسكرية النفيسة في روسيا، ليحوّلوها إلى دولارات ورقية عادية، إلى قصور و"سيارات" فارهة، مما أغنى نفس المصرفيين الغربيين - أبناء صهيون.

لوجكوف، يلت

إن الإنس والتشرنوميردين، مثلهم مثل جميع النخبة "الروسية الجديدة" تقريبًا، مهووسون برغبات بدائية: أن يأكلوا حلوًا، ويشربوا، ويأخذوا ما يشاؤون؛ أن يجذفوا، يجذفوا لأنفسهم. يبيعون الوطن والوطن الأم في سبيل ذلك، ويتخلون عن قناعاتهم ثلاث مرات يوميًا (أمس شيوعي، واليوم ديمقراطي، وغدًا مؤيد للديكتاتورية "الوطنية")، وينحنون خضوعًا للغرب، ويحكمون على أراضٍ بأكملها بالدمار والخراب.

لا ينبغي أن يحكم روسيا هؤلاء الأوغاد عديمو الأجنحة، بل المتحمسون الأريوسلافيون - أناسٌ يُعليون من شأن شرف الأمة ومجدها. إنهم لا يحتاجون إلى المال، بل إلى السلطة - كأداةٍ لصعود الروس. وهم لا يبحثون عن الأكواخ الريفية، ولا عن حمامات البخار، ولا عن الكافيار والسلمون المدخن، بل عن العمل الشاق والمرهق لقادة الشعب، وعن عبء المسؤولية الذي لا يُطاق. أصبح من الشائع اليوم أن تحصل شوميكو، بينما تنهار البلاد، على بطاقة ائتمان ذهبية، وأن يُدمر المدير مصنعه الخاص، ويضخّ الأموال في شركة ابنه. لكن كان هناك روس آخرون.

حتى أن الأدميرال ناخيموف تبرع بأمواله الخاصة لتكون السفن الموكلة إليه أقوى وفي حالة أفضل. حارب سوفوروف وكوتوزوف اللصوص حتى الموت، ولم يضعا الأموال المخصصة لإعالة قواتهما في جيوبهما. حتى أن مفوض الشعب للغذاء في عهد لينين، تسوريوبا، فقد وعيه من الإرهاق. ولم يأخذ الأدميرال كولتشاك غرامًا واحدًا من احتياطيات الذهب في روسيا القيصرية لنفسه، مع أنه كان بإمكانه الهرب إلى الخارج كملياردير.

ليس صحيحًا أن مثل هؤلاء غير موجودين اليوم. فالبلاد، وإن كان ذلك بصعوبة، لا تزال متمسكة بالمصرفيين والتجار، بل بالجنود والمهندسين والعمال والأطباء وعمال السكك الحديدية. وبينما ينهب البعض روسيا، وينهب آخرون شعبهم بالرشاشات، يواصل آخرون العمل لمصلحة الوطن، مدركين أنهم لن يحصلوا على ملايين أو رتب أو أوامر مقابل ذلك. في المراكز النووية، يواصل العلماء تطويراتهم الفريدة، ويتقاضون رواتب زهيدة قدرها مئتا ألف شهريًا، أو لا يحصلون على أي أجر على الإطلاق لمدة ستة أشهر. يواصل حرس الحدود الروس المساكين، المخذولون والمسلوبون، في طاجيكستان، صد هجوم خطر مروع على جنوب روسيا، والقوات الخاصة المسكينة في الشيشان تلاعبت بالموت "هباءً منثورًا"، لأنه يسيء إلى الدولة. هؤلاء المتشددون حقًا يحبون روسيا، لا بالكلام. وعندما يقولون لي إن كل من حولي قد انحط، وأصبح فقيرًا وفاسدًا، لا أصدقهم، لأني أعلم أن الروس أغنياء بالمحاربين والمواطنين الحقيقيين. يجب قيادتهم إلى السلطة، وإزالة الرغوة العاطفية التي غطت السطح وملأته. لدرجة أن العالم كله يعتبر روسيا مثالًا لهم. اجتثوا، اقتلوا، دمّروا - وعزّوا الشعب حقاً. حتى لو كلّفهم ذلك اللجوء إلى ديكتاتورية وحشية. لأننا لا نرى مخرجاً آخر، ولا نؤمن بخرافات الديمقراطية.

نعم، الآن - سلطة من لا جناح لهم. البلاد مُجزّأة ومنهوبة، ليست سوى ظلّ بائس للإمبراطورية الحديثة. اليوم لدينا رؤساء بلديات ورؤساء وحكام - لكن بلا دولة. أصبحت روسيا ساحةً للصراعات بين العشائر الصغيرة والكبيرة ذات النزعة العاطفية، وأي مرسوم أو قانون في هذه الفوضى يُداس على بُعد مبنيين من الكرملين. في هذا العالم الوحشي من آكلي الجثث الحاكمين، تزدهر الجريمة، مُستحوذةً على السلطة الحقيقية. يُمارس المُجرمون الرهبان أعمالاً شبه طقسية، ويدفنون إخوانهم الموتى بجانب رماد الأبطال والزهاد ورجال الدولة - في دير ألكسندر نيفسكي وكييف-بيشيرسك لافراس. اعرفوا قوتنا! وعظام الفضلات البشرية ترقد بجانب رماد من لم يكونوا أهلاً حتى ليكونوا أتباعاً لهم في الحياة.

تتحول البلاد إلى مجموعة من "الإمارات" التي تخوض صراعات أهلية. "الأمراء" لا يكترثون بالشؤون الوطنية. فلينهار درع الدفاع الجوي وأكاديمية العلوم، وليضعف الجيش وصناعة الفضاء، وليصدأ الأسطول التجاري الروسي ويغرق، ودع أغنى بلدان الشرق الأقصى تتلاشى، وشبكة السكك الحديدية الوطنية تنهار - لوجكوف يبني ديزني لاند ومعبداً. فليُحرم ملايين اللاجئين الروس من المال - فالأمراء ينفقون فقط على أنفسهم وعلى خدمهم التجاريين، ويسرقون مليارات الدولارات للبنوك الأجنبية.

لا يمكن أن يستمر هذا الاستنزاف لقوة البلاد إلى الأبد. عاجلاً أم آجلاً، سينخفض إنتاج الطاقة بشكل كارثي، وستنهار خطوط الأنابيب والاتصالات، وستتعطل قاطرات الديزل، وستتعطل محطات الطاقة وأنابيب المياه والمترو والتدفئة. ثم سيأتي وقت عصيب، وسيتعين علينا تطهير أرضنا من الجرب بالنار والسيف. القادة عديمو الأجنحة يُقرّبون يوم القيامة هذا بلا هوادة...

ولكن ليس هم فقط، بل أيضًا حشدٌ من حلفائهم التافهين، صغار العقول، من أولئك المستعدين للبصق على الوطن، ولو لشراء جهاز تلفزيون مستورد، أو سيارة، أو سباكة أجنبية. كنت أعرف بيتيا، الذي كان يعمل خادمًا في فندق "راديسون-سلافيانسكايا" الذي يعمل بالعملة الصعبة. كان يحسب كل يوم أوراق الدولار المجعّدة التي يلقيها عليه الأجانب، وكان راضيًا جدًا عن نفسه. وعن حياته الحالية أيضًا. حتى أنه قال ذات مرة بتحدٍّ: لا أُبالي بكل الوطنيين، ولا بالدولة.

انتظر يا بيتيا! يومًا ما، وأنت تُعذب من الجوع، مُلتحفًا بثياب رثة، وتُقطّع آخر كرسي إلى حطب، ستُحدّق بيأس في شاشة هاتفك الباناسونيك المُطفأة على ضوء مصباح الزيت.

أ"، يرتجف بخجل من دوي الرصاص في الشارع. يفكر بشوق أنه من الضروري النزول إلى حفرة الجليد في النهر للحصول على الماء. ربما حينها سيأتي قادة أقوياء شجعان. من سيوحد البلاد من جديد؟ وهم يحملون السلاح بالفعل...

... لكننا الآن نعرف "ثمار" السنوات الماضية، عندما "فقدنا" شبابنا. دفعناهم إلى منظمات عملاقة ميتة، حيث سادت المكاتب والاجتماعات المملة بدلاً من هدير الآلات وضجيج الأسلحة. بعد أن هزمنا المتحمسين، أنجبنا جيلاً من "نشطاء كومسومول الرواد" - ذوي وجهين، مخادعين وحقيرين. أنصاف رجال ضعاف، ممتلئين، ممتلئين، يتقنون ثرثرة النساء والمؤامرات التافهة. مخبرون وجبناء، نالوا كل بركات الحياة، دافعين عنهم الأبطال الحقيقيين. من ذا الذي، بعد أن استلم الإمبراطورية بين يديه، سيبدأ بيعها بأسعار زهيدة. ها هو سبب انهيار الإمبراطورية.

فصل ٢٤. الجدل حول "نوتيلوس" الأحمر. الغزو الثاني للمحيطات. الغوص تحت الجليد.

١

منذ حوالي عشر سنوات، يدور جدل حول السؤال: هل كان بناء هذا العدد الكبير من الغواصات النووية مجديًا للإمبراطورية؟ رأي الغرب في هذا الأمر معروف. ديمقراطيونا المحليون لا يرددون حججه إلا بطاعة كالببغاوات. يقولون إنها صاخبة، ومكلفة، ومعدات كشفها أدنى بكثير من التكنولوجيا الغربية. ومع ذلك، فإن مجموعة من الخبراء غير الليبراليين، برئاسة سيرجي كورجينيان، تتفق مع هذا الرأي. يقولون إنه لا جدوى من مطاردة الولايات المتحدة، ولكن من الأفضل بناء صواريخ أرضية ثقيلة مزودة برؤوس حربية متعددة. برأيك، هذا الخلاف لا طائل منه. بحلول عام ١٩٨٥، كان لدينا أسطول ضخم من الغواصات النووية. ويمكن أن يصبح هذا ليس فقط دعمًا عسكريًا لروما الثالثة.

٢

في عام ١٩٧٠، عندما كانت أمريكا لا تزال متأثرة بهبوط رواد فضاءها على القمر، نُشر كتاب نورمان ميلر "من ألسنة اللهب إلى القمر". طرح المؤلف فكرة بسيطة: لم تُبدد الولايات المتحدة عشرات المليارات من الدولارات على هذه الرحلات. كان برنامج القمر مُبررًا حتى لو لم يُطلق صاروخ واحد إلى القمر.

بعد إنفاق مبالغ طائلة، حصلت الولايات المتحدة على كمية هائلة من التقنيات الإلكترونية والكيميائية والمعدنية. خلال تنفيذ البرنامج القمري، تم ابتكار أجهزة كمبيوتر ومواد بلاستيكية ومواد مركبة جديدة. حتى ماكينات الحلاقة الكهربائية طُوّرت لطواقم سفن أبولو، وحققت مبيعات تجارية ناجحة. كتب ميلر: بفضل الرحلات إلى القمر، "قفز التقدم التقني إلى صدارة أمريكا".

أصبح أسطول الغواصات النووية للإمبراطورية أيضًا محركًا قويًا للتقدم العلمي والتكنولوجي. لأنه خلال بنائه، أنشأنا نحن الروس أحدث فروع الصناعة النخبوية. طورنا الطاقة النووية وهندسة الصواريخ، وأنشأنا صناعة التيتانيوم، وأعطينا زخمًا للميكانيكا الدقيقة والإلكترونيات، وصنعنا سبائك جديدة. والمواد التركيبية.

نعم، في أواخر العهد السوفيتي، نفّذنا جميع هذه الابتكارات في الصناعة السلمية بشكل ضعيف. لكن كان من الممكن، بل كان ينبغي، تدارك هذا القصور. على أي حال، حتى عام ١٩٨٩، كانت هناك عملية قوية ومستمرة لابتكار تقنيات جديدة. حتى لو كانت احتياطية، لم تُستخدم. لكن كان من الممكن استخدامها في أي لحظة.

وماذا الآن؟ هذه العملية مُعطّلة. حسنًا، لم تُسرّع جميع عمليات الخصخصة والتحويلات اللاحقة عملية إدخال الابتكارات التكنولوجية في الصناعة السلمية قيد أنملة. لقد تأخرنا أكثر خلال سنوات الإصلاحات. وأي نوع من التنفيذ يُمكننا الحديث عنه إذا جعل مُصلحونا أي إنتاج غير مربح، حتى الأمشاط؟ ما هي التقنيات الجديدة، وما هي المواد المركبة، في حين أن المعروض النقدي في الاقتصاد (نكتب هذه السطور عام ١٩٩٦) مُنضغط لدرجة أن البلاد تحولت إلى المقايضة. الصناعة تُدمّر نفسها بنفسها، لأن المقايضة لا تسمح فقط بصنع شيء جديد، بل أيضًا بدعم المصانع والوحدات. إنها تعمل إلى حد... الإرهاق.

لكن في عام ١٩٨٥، كان كل شيء مختلفًا. كانت دولة ضخمة وقوية تمتلك كل ما يلزم لتحقيق طفرة تكنولوجية هائلة، على غرار اليابان أو كوريا الجنوبية. وحتى لو لم تكن لدينا موارد كافية، كنا نستطيع جذب استثمارات من اليابان أو دول جنوب شرق آسيا نفسها. ستذهب هذه الاستثمارات إلى دولة مستقرة، بضمانات موسكو، أفضل بكثير من توجهها إلى جمهورية روسيا الاتحادية الفضفاضة في عهد يلتسين، إلى هذه القطعة من الأرض التي تفتقر إلى السلطة والقانون. إنها بمثابة مأوى للجماعات الإجرامية.

أكثر الاستخدامات سطحية للغواصات النووية القديمة هي تحويلها إلى محطات طاقة عائمة لشمال وشرق الإمبراطورية. مع وفورات هائلة في نقل ملايين الأطنان من الفحم والنفط، ومليارات الأمتار المكعبة من الغاز. مع آفاق نمو سريع، حيث سيكون حافز هذا النمو هو الطاقة الرخيصة.

٣

حتى في عهد ستالين، تأسست مكاتب تصميم متخصصة في جبال الأورال الوسطى، في سفيردلوفسك- يكاترينبورغ - خصيصًا لإنشاء أنظمة تحكم للصواريخ الباليستية الغواصة. ثم أصبح... معهدٌ تحوّل، بقيادة الأكاديمي نيكولاي سيميخاتوف، إلى جمعية "السيارات الآلية".

بفضله، حققنا دقةً مذهلةً في الرماية. باستخدام الإلكترونيات الدقيقة، والحواسيب الصغيرة المدمجة، وعناصر الذكاء الاصطناعي، والألياف البصرية. باختصار، حققنا أفضل ما في العالم.

ليس فقط للغواصات، بل أيضًا لمركبات سويوز الفضائية، ومركبات الإطلاق.

ها هي ثروتنا، ثمرة سباق التسلح. طوّرت شركة "أفتوماتيكا" أنظمة تحكم لمحطة "بريبوي" الفضائية الصغيرة العائمة، ولصواريخ الغاز المسال، و"أدمغة" للمصانع المعدنية ومحطات الطاقة، وللنقل والبنوك والمستشفيات ("العرض العسكري"، العددان 8-9، 1994).

في مجال الطب، تمكّنوا من صنع جهاز قياس التأكسج النبضي للإنعاش، وجهاز مراقبة لرصد وتحفيز تنفس الأطفال الخدّج. كما تمكّنوا من صنع طابعات حرارية لأجهزة الكمبيوتر، ومحطات راديو محمولة مزدوجة الاتجاه، وجهاز راديو VHF للسيارات بأربعين قناة مع اختيار تلقائي للقناة.

وكما تقولون - الاتحاد السوفيتي المتخلف، واليابان المتقدمة...

في جبال الأورال الوسطى نفسها، توجد جمعية "فيرخنيسالدينسك" للمعادن، التي تأسست عام 1933. ومنذ عام 1956، تُصنّع قطع التيتانيوم. ليس فقط للغواصات، بل للطيران أيضًا.

هنا مكابس فريدة، من بينها مكابس بقوة 75 ألف طن. مطاحن للدرفلة الساخنة والباردة والدافئة - صفائح ولفائف، قضبان وأنابيب. بالإضافة إلى أفران تفريغ فائقة النظافة، وأفران حثية، وأفران كهربائية، وآلات قطع معادن مثالية.

قال متخصصون من بوينغ وجنرال إلكتريك، وبرات آند ويتني، ورولز رويس: الجودة ليست أسوأ من جودتنا.

وأنت تقول - سباق تسلح...

4

كان من الممكن أن تصبح الغواصات القديمة أداة ممتازة لتطوير جرف بحارنا. صُممت هياكل الغواصات للوصول إلى أعماق ربع أو حتى نصف كيلومتر. وبدلاً من حجرات الصواريخ، يمكن تجهيزها بشيء مختلف تمامًا.

يخفي الجرف موارد طبيعية هائلة. على سبيل المثال، النفط والغاز في بحر بارنتس. من يستحوذ على الجرف أولًا سيكتسب قوة على المستقبل. اكتُشفت تراكمات هائلة من رواسب الحديد والمنغنيز المتكتلة، التي تحتوي أيضًا على الكوبالت والنيكل والنحاس والتيتانيوم والفاناديوم، على سطح قاع المحيط العالمي. أما الخامات الموجودة على اليابسة، فتبدو ضئيلة مقارنةً بهذا المصدر من المعادن.

كما اكتُشفت في القاع رمالٌ غنية بالذهب، وطبقاتٌ من الماس، ومعادن غنية بالتيتانيوم. وليس من قبيل الصدفة أن يقول الأكاديمي سيرجي ستروميلين: "إن اقتصاد العالم المستقبلي هو اقتصاد المحيط العالمي". تنص العقيدة

العسكرية الرسمية للهند بالفعل على أن الصراعات العسكرية الرئيسية ممكنة بسبب جرف المحيط الهندي. يخفي جرف مياهنا في الشرق الأقصى قبالة سواحل بريموري، وجزر الكوريل، وساخالين، وكامتشاتكا، ثروةً هائلة.

في الستينيات وأوائل السبعينيات، كان العالم شغوفًا بتطوير الجرف. وحلم بإنشاء مستوطنات تحت الماء. بنى جاك إيف كوستو قرية "بريكونتيننت" تحت الماء في الولايات المتحدة الأمريكية، وتضم منازل تحت الماء "سي لاب-1" و"سي لاب-2". لدينا منازل "تشيرنومور"، و"سادكو-1"، و"سادكو-2"، و"إكثياندر"، و"سبروت-يو". بناء المنازل تحت الماء ليس نزوة. في الواقع، من المستحيل العمل على جرف البحار، والغوص من السطح. فالغواص، الذي يعمل لأقل من ساعة على عمق 180 مترًا، يُجبر على الصعود مرة أخرى لمدة نصف يوم. وإلا، سيموت الشخص من داء تخفيف الضغط، الذي يحدث بسبب انخفاض الضغط. عندما تُسبب فقاعات النيتروجين "غليان" الدم، فإن ذلك يتطلب صعودًا طويلًا لتخفيف الضغط.

في منزل تحت الماء، حيث يكون ضغط الهواء مساويًا لضغط الماء في الخارج، يمكن للناس العيش والعمل لأسابيع وشهور، ثم الخضوع لنفس تخفيف الضغط في يوم واحد على الأكثر.

حلم ألكسندر بيلييف قبل ستين عامًا بمستوطنات تحت الماء في بحار الشرق الأقصى في روايته الآسرة "فلاحو البحر". في هذه الرواية، يُجبر مستكشفو الجرف الروسي، بالمناسبة، على خوض معركة مع اليابانيين...

منازل تحت الماء... أُخمد العمل عليها في مستنقع بريجنيف، ونُسيت تمامًا في كابوس غورباتشوف-يلتسين. ومع ذلك، في عام ١٩٨٥ (والآن أيضًا)، لدينا خبرة في المستوطنات تحت الماء. كانت الغواصات النووية المُجددة تُبشر بأن تصبح وسيلة نقل فريدة لبناء مدن بأكملها على جرف المحيط. يا إلهي، أحيانًا أرى أحلامًا مؤلمة ونابضة بالحياة عن أضواء هذه المستوطنات الخفية، والخطوط الظلية الضيقة للغواصات وهي تنزلق فوقها، والناس ذوي الشعر القصير والأشقر - سلالة قوية العضلات من سادة العالم!

كان لدينا، وما زال لدينا، مساعدون فريدون في تطوير الأعماق - الدلافين. يُقال إنها ثاني سلالة من المخلوقات بعد البشر في التفكير. في الإمبراطورية، في دولفيناريوم سيفاستوبول، وحتى وقت قريب، كان العمل الأكثر إثارة للاهتمام يُبذل لترويض هؤلاء الأذكياء في المحيط. في 17 مايو/أيار 1995، أفادت صحيفة إزفستيا أن الدلافين خدمت في أسطول البحر الأسود، الذي بحث عن الطوربيدات المفقودة وعرفت كيفية العثور على الغواصات الملقاة على الأرض. ساعدت إيفا ونيزناكومكا وشالونيا وجيركوليس ضباطنا البحريين لمدة 15-20 عامًا. لا يزال دولفيناريوم خليج كازاتشيا حيًا. ينهار في أيدي ما يشبه دولة أوكرانيا الفاشلة. نعم، إمبراطورية! نعم، قوة عسكرية وسباق تسلح! ولكن يا لها من آفاق قوة مثيرة انفتحت لنا بفضل هذه الأشياء، يا له من نطاق رائع كان بإمكان الحضارة الروسية أن تكتسبه، بعد أن غزت مجالات لم تكن معروفة من قبل بمساعدة الجيش. ففي النهاية، كان من الممكن "صب" كل ما صنعوه في مجالات أخرى - باسم القوة والثبات الأرثوذكسي. ٥

لكن الجرف القاري ليس المجال الوحيد لتطبيق الغواصات النووية المُعدّلة. فالملاحة في القطب الشمالي قد تُصبح مجالاً آخر. تُمثل هذه مشكلةً كبيرةً للروس.

لأكثر من نصف قرن، كل عام...

نواجه حملة عسكرية حقيقية، تُكلّف ما يُكلّفه صراع مسلح حقيقي. في كل عام، خلال أشهر الصيف وأوائل الخريف، علينا أن نُدبّر أمر نقل ملايين الأطنان من البضائع عبر طريق البحر الشمالي - إلى ديكسون وتيمير، ويامال وياقوتيا، وتشوكوتكا وكامتشاتكا. يُجبر الاقتصاد على تحمّل ضغط هائل، وتكاليف تحويل الأموال من الصناعة إلى هذا المحصول المستورد. علينا أن نُجهّز العديد من السفن وكاسحات الجليد، والوقود، وإمدادات الغذاء. حتى نتمكن، خلال فترة الإبحار القصيرة، وقبل أن يزحف الجليد الكثيف، من نقل البضائع والمعدات للعام المقبل. تعمل كاسحات الجليد بلا كلل، والطيران القطبي لا يغمض عينيه، بل يُحلّق لاستطلاع الطرق. أحيانًا تتغير ظروف الجليد بشكل كبير، وتبدأ معركة حقيقية. أحيانًا يُسحق الجليد ويُحطّم هياكل السفن. تستطيع الغواصات النووية الإبحار على مدار العام تحت جليد المحيط المتجمد الشمالي البارد، ناقلةً البضائع بانتظام وبشكل مُنتظم إلى أي نقطة تقريبًا في القطب الشمالي. لا حاجة لتكاليف باهظة للملاحة المكثفة. تُوفّر موارد لا تُحصى. يصبح نفط وغاز القطب الشمالي، والقصدير والنيكل، والماس والفحم أرخص وأيسر منالاً. تكتسب الإمبراطورية قوة جديدة. الغواصات في الأعماق لا تخشى العواصف، التي قد تتكسر منها حتى ناقلة عملاقة أحياناً. لا تُشكّل الغواصة "شوارب" أو كاسرات، كما هو الحال مع السفن السطحية العادية. لكن هذه الكاسرات،

هذه الدوامات المضطربة في الماء، تستهلك ما يصل إلى سدس طاقة السفينة. وبالتالي، تستطيع الغواصة التحرك بنفس سرعة السفينة العادية، مُكتفيةً بمحطة طاقة أقل قوة. توفير؟ وماذا في ذلك! خاصةً إذا أخذنا في الاعتبار أنه لا حاجة لكاسحات جليد مُجهدة، وأن سرعة شاحنة تحت الماء أعلى بخمس مرات من سرعة قافلة تخترق الجليد. وأيضاً إذا حسبنا أن الإمبراطورية قد أنشأت بالفعل نظام صيانة ومحطات إعادة شحن، بالإضافة إلى شركة Atomflot في مورمانسك. وهذا لا يشمل استخدام القوارب لاستكشاف أعماق المحيطات، ليعمل علماء المحيطات والأحياء في أعماق يصعب الوصول إليها. محطة علمية روسية على جبل أمبير تحت الماء، بالقرب من الآثار والجدران الغامضة في قاع غرب المحيط الأطلسي؟ قد يصبح هذا واقعًا. العمل مع السفن الغارقة وحمولتها الثمينة؟ أيضًا.

مع أسطول من الغواصات النووية، يمكننا قلب العالم رأسًا على عقب. لكننا نقطعه إلى خردة معدنية...

كل هذه المشاريع ليست فارغة. في وقت مبكر من عام ١٩٩٢، وضع فريق من مكتب روبين المركزي للتصميم خطة لإعادة تجهيز الغواصات النووية التي بُنيت بين عامي ١٩٧٣ و١٩٨٢ لتصبح سفن شحن وأبحاث عالية الارتفاع. وقع اختيارهم على غواصات BD Murena M667 وBDR Kalmar667 لمحركاتها ثنائية العمود الموثوقة ونظام الملاحة عالي الدقة، الذي يجمع بين أجزاء الأقمار الصناعية والجيروسكوبية. كانت هذه الغواصات تتمتع بأنظمة اتصالات ممتازة، وتحديد موقع بالصدى، ومراقبة تحت الجليد، بالإضافة إلى سعة هائلة بعد تفريغ حجرات الصواريخ - 2000 متر مكعب. (العرض العسكري، العددان 5-6، 1994). حتى المعدات العسكرية القياسية لهذه الغواصات توفر حلولاً للعديد من المشكلات في البحوث البيولوجية والجيولوجية والهيدروغرافية والهيدروكيميائية. من السهل نسبيًا تجهيز هذه القوارب بالروبوتات ومنصات الحفر تحت الماء، بوضع غواصات الأعماق محلية الصنع (من النوع 1855) عليها. حتى الطوربيدات تفي بالغرض - فهي قادرة على تفجير الجليد، مما يُحدث ثقوبًا للصعود إلى السطح! وفي المجموع، كان لدينا ثماني عشرة غواصة من هذا النوع.

في مكتب مالاخيت للتصميم، قاموا في الوقت نفسه بتطوير مشروع لسفينة شحن تحت الماء في القطب الشمالي بسعة 29400 طن، وسرعة 20 عقدة، وقادرة على الوصول إلى جميع موانئ العالم تقريبًا. حتى أنهم وفروا محرك ديزل احتياطيًا لدخول الموانئ، حتى لا ترسو مع وجود مفاعل يعمل. يستغرق تفريغ وتحميل مثل هذه السفينة 30 ساعة - وفقًا لأعلى المعايير العالمية. وهناك أيضًا مشروع لناقلة تعمل بالطاقة النووية تحت الماء بسعة رفع 30 ألف طن. خاصةً لتطوير مكثفات النفط والغاز المستقبلية على جرف البحار الجليدية، حيث لن تمر أي ناقلة بضائع ضخمة بطول نصف كيلومتر بغلاف رقيق. لن تمر أي ناقلة عملاقة حديثة يابانية الصنع! لقد وجدت "مالاكيت" تقنية لنقل مكثفات الغاز القابلة للانفجار. في النهاية، رفض العالم نقلها بالسفن - فقد انفجرت عدة سفن. ولدينا خبرتنا السرية الخاصة ("تكنولوجيا-مواليدي"، العدد 1، 1997).

لا تُصدقوا أبدًا حكايات تخلفنا. حتى الآن، في عام 1996، لا يزال صائدو اللآلئ الهندسية والتقنية الغربيون يجوبون روسا، مُقطّعين ومذبوحين كما تُذبح الجثث.

أُلقي القبض مؤخرًا على السويدي نوردستروم في موسكو وبحوزته وثائق تتعلق بتكنولوجيا إنتاج الغواصات الروسية. وتعليقًا على ذلك، قال الصحفي السويدي الشهير يان غيو: "تضاعفت أعمال التجسس في روسيا في السنوات الأخيرة، لأنها ضرورية للغاية في بلد تسوده الفوضى، بين الديكتاتورية والحكم الأرستقراطي، مع رئيس يحتضر ويشرب الكحول" ("سيغودنيا"، 7.09.1996).

ونحن نمسح هذه التهمة بصمت.

الفصل 25: من يخسر معركة المحيطات إذًا؟

الإنطلاقة الروسية المتقطعة. معركة عالمين.

في ختام قصة القوة البحرية الإمبراطورية، يمكننا القول: لم نخسر معركة المحيط. وقف الاتحاد السوفيتي على أعتاب صعوده كقوة بحرية غير مسبوقة في القرون السابقة. وكانت قوتنا عظيمة لدرجة أن أحدًا - فهم، لا أحد! - في العالم تجرأ على مهاجمة الإمبراطورية.

نعم، في عام 1985، تمكنا من بدء صعود جديد، وبدأت خوارزميات جديدة للمعارك البحرية بالظهور في المراكز التحليلية للولايات المتحدة. خوارزميات أزعجتهم.

كانت القوات الروسية الجديدة تدخل بالفعل المحيط الأطلسي، هذا النسيج الحيوي للغرب. إلى المحيط الأطلسي، الذي يمر عبره 70% من جميع البضائع المنقولة في محيط العالم، مع ثلاثة أرباع أهم موانئ العالم، ضمن هذه "الحزمة" التي تضم أكثر من مئة خط شحن بحري بالغ الأهمية. في مهد الحضارة الغربية هذا، حيث يعيش على شواطئه في المناطق الصناعية الرئيسية "المليار الذهبي" من السكان المدللين والمدللين.

في أواخر الثمانينيات، كانت القوة البحرية الروسية تندمج مع القوة الإمبراطورية القريبة من الأرض على المدى البعيد. بحلول ذلك الوقت، كان الاتحاد قد اختبر بنجاح مركبات مدارية مزودة بمحطات طاقة نووية على متنها، لا مثيل لها على الأرض. بفضل كثافتها الهائلة من الطاقة واستقلاليتها في رحلات الفضاء، تمكنت هذه الأقمار الصناعية من رصد السفن النووية الأمريكية الصامتة التي تبحر تحت الماء بنجاح. كانت الولايات المتحدة تخسر إحدى أوراقها الرابحة الرئيسية في صراع المحيطات.

كانت الإمبراطورية على وشك معرفة الإحداثيات الدقيقة لكل سفينة أمريكية في أي لحظة. "عند المخرج" كانت لدينا أنظمة فريدة لإطلاق مركبات الاستطلاع والتوجيه الدقيق بتكلفة منخفضة إلى الفضاء القريب، تُطلق "من الجزء الخلفي" لطائرة توبوليف-160 (مشروع "بورلاك"). ماذا يعني هذا؟ كل ما في الأمر أن صواريخ الكروز الروسية المروعة يمكن إطلاقها في أي لحظة على العدو، مع "عناوين" الأهداف الدقيقة المبرمجة في حواسيبها. صواريخ من طرادات وقاذفات تفوق سرعتها سرعة الصوت وغواصات الإمبراطورية.

أسطول طائرات إيكرانوبلان قادر على القيام بدوريات في المياه الشاسعة للمحيطين الهادئ والأطلسي. ستدور هذه الطائرات الرائعة حول تشكيلات حاملات الطائرات الهجومية الأمريكية بسرعة تقارب نصف سرعة الطائرة، مستبدلةً بعضها بعضًا. تستهلك وقودًا أقل بكثير في الساعة من القاذفات. جاهزة في أي لحظة للهجوم بـ"البعوض" القاتل على المطارات العائمة للنجوم والمشارب. ستُثقل كاهل الأجنحة الجوية الأمريكية المتمركزة على حاملات الطائرات وأنظمة الدفاع الصاروخي المضادة للطائرات، مما يُسهّل مهمة "قطعان الذئاب" من الغواصات الروسية وأفواج "دازلينغ".

سنتان أو ثلاث سنوات من هذا التوتر - وستنهار ميزانية الولايات المتحدة. كان ريغان قد رفع أسطوله بالفعل إلى ستمائة راية. والآن كان لا بد من زيادتها مرة أخرى - بأسراب من حاملات طائرات إيكرانوبلان، وهي حاملات طائرات مرافقة صغيرة. نسيها الأمريكيون منذ الحرب العالمية الثانية. وستكلفهم كل سفينة من هذا النوع خمسة أو ستة أضعاف تكلفة سفينة أورليونوك الخفيفة والسريعة لروستيسلاف أليكسييف، أو "طاقم" ليف شتشوكين. ويمكننا دمج الغواصات والطائرات وطائرات إيكرانوبلان في منظومة RUKS واحدة - وهي منظومات استطلاع وضربات، إلى جانب أقمار صناعية للرصد القريب من الأرض. مما يزيد من فعالية الضربات عدة مرات بنفس القوى!

حسنًا، بماذا يمكن للولايات المتحدة أن ترد علينا أيضًا؟ ربما وحش آخر من عهد ريغان - سفينة "ظل البحر"، التي يُفترض أنها غير مرئية للرادار.

هيكل هرمي قبيح الأوجه على عوامتين، من ابتكار شركة لوكهيد. أرادوا أن يجعلوا من هذا الوحش الصغير (بطول 50 مترًا) وبطيء الحركة منصةً لإطلاق الصواريخ الباليستية، مُنفقين 300 مليار دولار على هذا البرنامج. لكن اتضح أن الرادارات قادرة على رصد هذا "الشيء الخفي" بسهولة بفضل أثره. تلك الأمواج والشوارب نفسها الممتدة خلف عوامات "المعجزة" تشق الأمواج. واستطاعت الرادارات الروسية فوق الأفق رصد هذا "الظل" من مسافات شاسعة.

كان ينبغي علينا رشوة السياسيين الأمريكيين آنذاك: بناء هذه الوحوش لمتعتنا! فبعد أن استولوا على مئات المليارات من الدولارات من جيوب دافعي الضرائب، أطلقوا أيضًا جميع الصواريخ النووية الأمريكية تقريبًا في المحيط. لنتمكن من تدميرها بضربة استباقية، ومنعها من الانطلاق إلى الأراضي الروسية.

ماذا هناك أيضًا؟ حرب تحت الماء؟ في وقتٍ ما، وبعد انضمام النرويج إلى حلف الناتو، وافقت الدول حتى على مطلب النرويجيين القاطع بعدم نشر أسلحة نووية وعدم إجراء مناورات كتلوية على أراضيها. (هذا أمر مفهوم - فهو يلامس الدب الروسي، وضربة واحدة من مخلبه تكفي لتحويل أحفاد الفايكنج هؤلاء إلى بقعة رطبة.) احتاج الغرب إلى النرويج لسبب آخر. باتباع ساحلها الشمالي الطويل، يمكنك الذهاب مباشرة إلى قواعد أسطولنا الشمالي، والاختراق إلى القطب الشمالي. هذا الساحل مقطوع بمضايق ضيقة - خلجان محاطة بالجبال، والتي تتدفق إليها الأنهار الجبلية. وهذا الساحل يغسله أيضًا تيار الخليج الدافئ، القادم من خليج المكسيك. وهو ومجاري الأنهار التي تتدفق إلى البحر تخلق طبقات من الضوضاء والحفظ من درجات الحرارة - طبقات حرارية، يمكن للقوارب الأمريكية المتسللة إلى حدودنا أن تختبئ خلفها. لكن الإمبراطورية كانت تُعرف بأنها فائقة القوة. وكان لديها سلاح كنا نعرفه.

حسنًا، لنقل، بالمناسبة، ألغامي. لا مثيل لها تقريبًا في العالم. يمكننا جعل هذا الطريق الآمن غير سالك تمامًا، وإغلاقه بإحكام بحقول "الموت تحت الماء". يمكن زرع ألغامنا من السفن السطحية والغواصات، ومن الطائرات والمروحيات. تتحرك ألغامنا الصغيرة ذاتية الدفع، وتدخل سرًا منطقة معينة، إلى الخلجان والموانئ والمضائق، وتتجاوز دون أن يلاحظها أحد مسافة تصل إلى خمسين ميلًا تحت الماء، وترقد في القاع عند نقطة معينة. يمكنها الاختباء عند إشارة وتفعيلها عند الإشارة نفسها، محولةً البحر إلى "حساء قاتل مع الزلابية". يمكن زرعها سرًا من سفن شحن جافة وسفن صيد تبدو هادئة، ومن اليخوت والقوارب. جميع ألغامنا غير تلامسية، أي أنها تنفجر دون أن تلمس سفينة العدو. تتفاعل معها في دائرة نصف قطرها 20-45 مترًا. وهي قادرة على البقاء على أهبة الاستعداد لمدة تصل إلى عام تحت عمود الماء، ويصعب جدًا اكتشافها باستخدام السونار. إنها "مدرَّبة" على عدم الرد حتى على الانفجارات الاستفزازية. كان النظير الأمريكي لصاروخنا الصاروخي الذاتي الدفع ((SMDM، SLMM، أدنى من نظيرنا من حيث عمق التثبيت بمرة ونصف، ومن حيث كتلة الشحنة المتفجرة - ثلاثة أضعاف ("العرض العسكري"، مايو-يونيو 1994).

لكن ذروة أعمالنا في مجال الألغام هي صاروخ PMK-1. جهاز يتكون من مرساة وحاوية تحت الماء مزودة بمعدات توجيه حساسة وصاروخ تحت الماء بداخلها. يُزرع هذا اللغم أيضًا من الغواصات، ويُطلق من أنبوب طوربيد. يكشف جهاز التوجيه "الأذني" حتى أهدأ غواصات العدو، ويطلق عليها صواريخ قاتلة. يستغرق الصاروخ سبع ثوانٍ فقط للوصول إلى هدفه، ومن المستحيل التهرب منه. لن تتمكن غواصة أمريكية حتى من الصراخ "ماما". يمكن للغواصات الروسية وضع هذه الآلات على أعماق تصل إلى 400 متر، تحت غطاء نفس ضجيج الأنهار النرويجية وتيار الخليج. وغواصة "كابتور" الأمريكية المرساة المزودة بطوربيد موجه أقل قوة تفجيرية من غواصاتنا بسبع مرات، وطوربيد Mk 46 التقليدي المستخدم فيها لا يضمن غرق غواصاتنا العنيدة إذا أصابها. يمكننا ملء كامل البحر الأبيض المتوسط الضحل تقريبًا بألغامنا البسيطة، مما يجعله غير قابل للعبور بالنسبة للأسطول السادس الأمريكي (المرجع نفسه).

وفي حرب الغواصات، كنا نحن أنفسنا أحواضًا. كانت معدات كشف الغواصات الأمريكية عمياء وصماء في مناطق القطب الشمالي، في الأماكن التي تراكم فيها الجليد البحري الساحلي. قوية، عريقة، تُصيب المستمعين بالجنون مع هدير وصراخ حواف الاحتكاك. الأصوات أحيانًا لا تُطاق - مثل تمرير الحديد على الزجاج أو سكين على طبق خزفي. ومع ذلك، تمكنا من رسم مسارات على طول شواطئ غرينلاند، في أماكن يوجد فيها جليد بحري عمره قرن تقريبًا!

٢

يصعب علينا فهم رعب الغرب المُرعب والمُرعب منّا نحن الروس، من قوتنا البحرية.

بحلول عام ١٩٨٥، نشأت أجيالٌ كاملة من الأمريكيين على ثقةٍ راسخةٍ وهادئة: لدينا أقوى بحرية في العالم. جميع أقوى حاملات الطائرات في العالم تابعةٌ لنا. والروس المرعبون بجحافل دباباتهم في مكانٍ بعيد، خلف "خندق الماء" الضخم في المحيط. نعم، كانوا يعلمون بأمر الصواريخ الروسية المُوجهة إليهم. لكن ذلك كان شيئًا بعيدًا. احتمالٌ مُحتمل. كجندي - خرطوشة في مخازن جيشٍ فضائي - على بُعد مئات الأميال عبر الحدود.

لكن الآن، كان الفوهة تُحدّق في وجوههم مباشرةً. "الفوهة" على هيئة وحدات البحرية الضاربة التابعة للاتحاد السوفيتي. "بؤبؤ" الفوهة الأسود، الذي يُحدّق في العيون مباشرةً، يُثير خوفًا مُميتًا.

وجدت الولايات المتحدة نفسها مُضطرةً إلى بناء قواتها البحرية مُجددًا، بعد أن ألقت بالاقتصاد الأمريكي في مهب الريح. لأن سباق التسلح في هذه المنطقة أصبح لا يُطاق بالنسبة لهم. لأن أحدث جيل من الغواصات الأمريكية "سي وولف" بسعة 9 آلاف طن كلفتهم ملياري دولار للغواصة الواحدة. مبلغ باهظ حتى بالنسبة لأمريكا الغنية. وصيانة اثنتي عشرة ونصف حاملة طائرات عملاقة تلتهم ما يصل إلى 3 مليارات دولار سنويًا. إن ظهور العديد من هذه السفن في بلادنا سيجبرنا على بناء سفن تفوق نظيرتها الأمريكية بمرة ونصف. كل عملاق جديد من نوع "نيميتز" كلف الأمريكيين (عام 1988) 6 مليارات و235 مليون دولار.

كل غواصة جديدة من نوع "أوهايو" - 2.5 مليار دولار. كل طراد جديد من فئة تيكونديروجا - 4 مليارات و127 مليون دولار. كل نظام صواريخ سريع الإطلاق من طراز "فالانكس" - 28 مليون دولار.

سعيًا لخفض التكاليف، توقف الأمريكيون عن بناء الطرادات بحلول أوائل سبعينيات القرن الماضي، وبدأوا في صنع فرقاطات من فئة أوليفر هـ. بيري، بدون أي فائض في الأنظمة الرئيسية، وبنظام دفع أحادي المحور، وبتسليح أحادي المستوى. كانوا ينفدون أمام أعيننا.

كانوا على وشك الانهيار، أو الاستسلام، أو قبول شروطنا. لكن إنفاق أقل من اثنتي عشرة كتيبة، لدعم قطيع "الديمقراطيين الروس" المتلعثم، كان كافيًا لتدمير جهود عشرات الأجيال من الروس. ولتحقيق ذلك، كان يكفي وضع غورباتشوف أولًا في الكرملين، ثم يلتسين. ومنحهم "قوى الإصلاح" على شكل تشوبايس، وليفشيتس، وأورينسون...

3

بحلول نهاية سبعينيات القرن الماضي، طرحت الإمبراطورية مبدأً وطنيًا للهيمنة على المحيطات. في عام ١٩٧٩، نُشر كتاب "القوة البحرية للدولة" للقائد العام للبحرية السوفيتية، سيرجي غورشكوف، وحقق نجاحًا كبيرًا في الغرب.

اشتراها وهو في الثالثة عشرة من عمره، بعد أن اقتطع أربعة روبلات وستين كوبيكًا من مصروف غداء مدرسته.

وضع غورشكوف قواعد صارمة للحفاظ على القوة البحرية. أولًا، يجب ألا تقتصر الدولة على أسراب عسكرية فحسب، بل يجب أن تمتلك أيضًا أسطولًا تجاريًا قويًا. ثانيًا، يجب أن يكون هناك أسطول صيد قوي قريب. ثالثًا، من الضروري امتلاك أسطول أوقيانوغرافي كبير. رابعًا، صناعة بناء سفن خاصة بها.

بحلول عام ١٩٨٥، امتلكنا كل هذه المكونات. جميعها! وفي أواخر السبعينيات، أبحرت سفن بحمولة إجمالية تبلغ ٢٠,٨ مليون طن تحت علم الاتحاد السوفيتي، بينما أبحرت ١٣,٧٦ مليون فقط تحت علم الولايات المتحدة. احتلت الإمبراطورية المرتبة السابعة عالميًا، والولايات المتحدة الأمريكية - الثامنة.

كان أسطولنا التجاري ينمو بوتيرة سريعة. استطعنا ربح مئات الملايين من الدولارات من نقل البضائع عالميًا. عززنا قوتنا بالسفن - سفن الحاويات، وناقلات النفط، والسفن ذات التحميل الأفقي. طورنا مشروعًا ضخمًا لـ"سرب" من سفن الحاويات من سلسلة "الدانوب-البحر". كان لدينا 17 شركة شحن.

بنينا ناقلات أخف وزنًا - سفن شحن، وناقلات أخف وزنًا - صنادل ذات غاطس ضحل. في زمن السلم، يمكنها نقل البضائع بسرعة وتكلفة زهيدة، دون الاعتماد على الموانئ المجهزة. وإذا حدث أي طارئ، تصبح سفن إنزال. في فيلم "العاصفة الحمراء" لكلانسي، على متن ناقلة أخف وزنًا، سيطرنا فجأة على نقطة استراتيجية في المحيط الأطلسي - أيسلندا.

وماذا عن الآن؟ الآن، كل شيء متناثر بين "السيادات"، يصدأ ويتقادم. من بين 17 شركة شحن، فُقدت عشر شركات: الدانوب، البحر الأسود، آزوف، ليتوانيا، لاتفيا وإستونيا، جورجيا، بحر قزوين-إيران، وآسيا الوسطى. أكثر من 10 ملايين طن من الحمولة الإجمالية. فُقدت موانئ ليباو-ليبايا، كلايبيدا وتالين، أوديسا وماريوبول، باكو وباتومي. لم يحدث هذا حتى في سنوات ١٩١٨-١٩٢٢ المروعة والمهينة للروس. بضربة واحدة، قضت إصلاحيات الكرملين على كل ما تم كسبه على مر القرون.

انخفضت البحرية بمقدار الثلثين. وعلى شاشة التلفزيون - جثة نصف ميتة، كلامها غير مترابط ولزج، كالقيء. يُخيف نائب الرئيس الأمريكي بخادمه الرسمي. قاتل وحوش الدولة. الضامن الوحيد للديمقراطية. الديمقراطي الأعظم للشر الخادع. "أقرب" البحار والمحيطات. يُهنئنا بالذكرى السنوية الـ ٣٠٠ لأسطولنا! وفي موسكو، يُقيم أحمقان تمثالًا ضخمًا بحجم رافعة ميناء، ويُلقيان فيه ٦٠ مليون دولار، ويُطلقان عليه اسم نصب تذكاري لبطرس الأكبر، تكريمًا لثلاثة قرون من الأسطول الروسي. مع أن آخر القوات البحرية للدولة، في الوقت نفسه، تتآكل بفعل الصدأ على جدران الأرصفة، ولا يعرف ضباط البحرية الفقراء كيف يطعمون عائلاتهم. فهل من استهزاء أكبر بالأسطول الروسي؟

أصبحت حفنة من الأوغاد في السلطة كافيةً لتدمير كل دعائم قوتنا البحرية. ما ورثته روسيا الاتحادية، تلك الدولة العظيمة، يشيخ ويتآكل يومًا بعد يوم. لا تُبنى سفن جديدة، والسفن الموجودة تُرفع تحت أعلام مالطا أو ليبيريا. تُجبر البلاد على استئجار سفن غربية للنقل، مما يُدرّ على هذا العنكبوت اللعين مئات الملايين من الدولارات سنويًا...

تحافظ الولايات المتحدة الأمريكية بكل إخلاص على مبادئ قوتها البحرية. ووفقًا لقانون عام ١٩٣٦، تدفع إعانات من الخزانة الأمريكية لأصحاب السفن. ينص القانون على أنه: يجب ألا تعتمد الولايات المتحدة على أصحاب السفن وأحواض بناء السفن الأجانب. لا بد أن تمتلك البلاد أسطول نقل من السفن المُصنّعة في الولايات المتحدة، والمملوكة لأمريكيين، ويقودها مواطنون أمريكيون.

4

عندما أشعر بالغثيان، أتناول أحد الكتب من الرف وأغوص في أوقات أخرى، وفي طاقات أخرى.

ذهب إلى البحر الأبيض المتوسط على متن سفن السرب الخامس، مواجهًا الأسطول الأمريكي السادس. تحركت هياكل فولاذية رمادية في المياه الخضراء. طار قوس قزح شفاف على جسر الإشارة. كانت الصحراء تتنفس بحرارة. اختبأت أهرامات مصر خلف مؤخرة السفينة في الضباب الساخن. على الجانب الأيمن، خلف أنابيب شحنات الأعماق، كانت طروادة مدفونة. كان نظام الصواريخ المضادة للطائرات موجهًا نحو البارثينون. تحت عارضة السفينة، استكشف جهاز قياس الصدى القاع بسفن شراعية غارقة. أرسلت هوائيات الرادار دوامات عديمة الوزن إلى بيت لحم. وفي كل مكان على المياه الخضراء، في السماء الضبابية، في أعماق البحر - تحركت معادن حادة. حلقت الطائرات، وانزلقت الغواصات، وكانت السفن ضبابية. حافظ الصراع عند ملتقى ثلاث قارات على توازن العالم. وهو، كمحلل، درس الصراع العسكري كجزء من استراتيجية عالمية. غادرت حاملة الطائرات دوايت أيزنهاور ميناء سيراكيوز، ووقفت على أفقٌ كجبلٍ ضبابي.

... بين إيطاليا واليونان، كانت منصات الإطلاق تحت الماء تتحرك في حوضٍ ضيق، حيثُ ستنطلق الصواريخ في الدقائق الأولى من الحرب إلى سيفاستوبول ودونيتسك وكييف. كان القارب الذي كان على متنه يجوب البحر، يسبر الأعماق بجهاز السونار، محاولًا رصد هيكل "الاستراتيجي" الثقيل. عاش مع البحارة في حجرةٍ ضيقة، حيثُ كان مصباحٌ مضاءً بشكلٍ خافت، ورائحة زيتٍ مُرّةٍ تفوح من الآلة، وهديرُ المحرك المُنتظم، والضوءُ الضبابيُ المُصفرُّ جعلاه يرغبُ في النومِ طوالَ الوقت. غفا لساعات، يشعرُ كيف ينزلق جسده، المُحاطُ بكبسولة، في تياراتٍ تحت الماء، مُعلقًا بين طبقاتٍ مُتقلقلة. أين-

ثم في الأعلى، تحت أشعة الشمس الساطعة، أبحرت سفنٌ بيضاء كالثلج على طول الأمواج الخضراء، وتحولت مدن ساحلية إلى اللون الوردي/ودارت حلباتٌ عريقة...

...في حجرة الصوتيات، بين الموانئ والمؤشرات، وضع سماعات الرأس، واستمع إلى أصوات البحر. هدير مراوح ناقلة تطفو على السطح. صرير ونقيق سرب من الأسماك. قرقرة وهدير الصخور والتلال تحت الماء.

وفي إحدى المرات، وسط الأصوات المتلألئة والحفيفة المنبعثة من صدفة ضخمة من عرق اللؤلؤ في البحر، سُمع صرير معدني صلب، يشبه خدش الفولاذ. اصطدم القارب بغواصة معادية ثقيلة. رن جرس الإنذار في الحجرات. اندفع البحارة في كرات. غيّر القارب مساره. وجّه القادة أسلحتهم. اتجهت الأجهزة المزودة برؤوس طوربيدات نحو الهدف. من خلال الهيكل المُثبّت، شعر بسمك مياه البحر، ورأى - ببطء وقوة، ينزلق هيكل "الاستراتيجي" الضخم، حاملاً في بطنه حمولة من الصواريخ الثقيلة، مُشعّاً في الفضاء صوتاً مُرتعشاً، موجات من الحرارة، وسحابة إشعاعية بالكاد تُرى.

كانت التدريبات جارية قبالة الساحل السوري. كانت طائرتان "مضادتان للغواصات" تُطاردان غواصة. كانتا تُغيّران مسارهما فجأة. كانتا تحفران القاع بأجهزة قياس الصدى. كانتا تبحثان بالسونار. كان القارب ينزلق بعيداً، مُحاولاً التملص من المطاردة، وكانا يُطاردانه، مُصطادين إياه بين الشمس والرمال والأمواج الخضراء. من الشمال، على طول الممرات الجوية المُمتدة فوق البلقان، حلّق طائرات مُضادة للغواصات. بضخامة وقوة، تُصدر أزيزاً قوياً من المراوح، حملت نجوماً حمراء، وشعاع رادار أبيض فوق الصاري. ألقت عوامات، تُحيط بالقارب بشبكة مرئية، كذئب يحمل سلسلة من الأعلام. وقف على جسر عامل الإشارة، عند غرفة القيادة المدرعة، حيث رُسمت خطوط السفن الفضائية بالزيت. ورفع عامل الإشارة، النحيل ذو العينين الزرقاوين، وسط الرياح ورذاذ قوس قزح، منظارًا ثقيلًا إلى عينيه، باحثًا بين الأشعة واللمعان عن خط فرقاطة فضائية. وشعر برقة وألم مفاجئين تجاه الشاب النحيل ذي المعطف الباهت، ويديه الخشنتين المخدوشتين والمتشققتين، ورقبته الفتية، وحياته، وقد جُرّ إلى صراع الآلات والمناظير وأنظمة الأسلحة المروعة. دعاءٌ له أن يخرج من هذا الصراع سالمًا، ويعود من بحرٍ هائجٍ غريب إلى الندى البارد، إلى العشب النضر، إلى كوخ القرية، حيث تنتظره أمه بين أحواض الخضراوات. وهكذا وقف مع هذا الألم، تاركًا صوت صليب الطائرة المدوي يمر فوق الصاري. كانت سفينة الدورية في دورية قبالة سواحل إسرائيل. كانت تتعقب تحليق الطائرات المقاتلة برادارها. كانت إسرائيل تُحشد أسرابًا، وتُحلّق بها على ارتفاعات منخفضة للغاية فوق البحر، وتُحوّلها نحو ساحل لبنان، وبهجوم مفاجئ دمّرت مواقع القوات السورية في وادي البقاع، والفصائل الفلسطينية، والمعاقل اللبنانية. كانت أفواج الصواريخ المضادة للطائرات التي تحرس مداخل بيروت عاجزة عن صد الهجوم. لم تكن راداراتها تُركّز على الأهداف المنخفضة. مسحت سفينة الدورية في البحر بوضوح الساحل شمال حيفا، ولاحظت انزلاق الأهداف البحرية والجوية، وأرسلت معلومات إلى المدفعية المضادة للطائرات الساحلية. في الليل، في كابينة الملاح، كانت تُراقب الدوران المُقاس للشعاع الأخضر، تنتظر على الشاشة قطرات نادرة من الأهداف. كان الرادار فوق الصاري يتحرك في النجوم الضبابية، ويرسم من الفضاءات انعكاسات الصخور الساحلية والقوارب النائمة وطائرة بوينغ وحيدة تُقلع. فوق سهل البقاع، فوق الزيتون، فوق الخنادق، فوق حفر القذائف والقنابل، تألّقت نجومٌ متعددة الألوان. ودارت أفكاره حول الجنود النائمين المنهكين من الحرب، وحول التلال والطرق المجهولة التي سلكتها الجيوش والقوافل والأسرى لآلاف السنين. دُفنت رماد القديسين والأنبياء في قبور عتيقة، وكان المسيح يدخل المدينة المقدسة راكبًا حمارًا أبيض، وكان الحشد صاخبًا، يفرشون سجادًا أحمر وأغطيةً تحت أقدام الحمار، ورنّ جرس فضي، وفي مكان ما في الأرض الصخرية، تحت عشبٍ يابس، رقدت عظام حمار، كتلة من الفضة الصامتة أظلمت. غادر غرفة القيادة الخانقة. وقف على الجسر تحت شبكة الهوائيات، بين النجوم الخضراء والوردية. كانت هناك رائحة البحر، الحديد، كان الماء أسودًا متلألئًا، وفجأة طار عجيب سماوي عبر السماء في وهج شفاف، ملاك مجنح غامض، يمر ريشه عبر الصاري الشائك، وفوهات المدافع والصواريخ. واقفًا على جسر السفينة، شعر بنفخة أجنحة بالكاد مسموعة. لم يكن يعرف ما هي. من ظهر فوق البحر، قادمًا من الأرض المقدسة. دون أن يترك أثرًا على شاشة الرادار اللبنية.

انخرطت سفينة رصيف أمريكية مع فرقة من مشاة البحرية، مع سفن إنزال في مخزنها، وسرب من طائرات الهليكوبتر الهجومية في تكتيكات قبالة سواحل لبنان. شاركت مروحيات سويفت سي نايت وعربات سيكورسكي سي ستاليون الثقيلة في الرحلات الليلية. راقب من خلال المنظار ضوء التخليص النابض، وهو يحلق بشكل غير مباشر فوق الصاري. سُمع همهمة معدنية، وهو يبتعد. تباطأت التوتة الحمراء النابضة، وتعلقت في الفضاء، ثم هبطت ببطء. توهجت حزمة من الجمشت فوق سطح الرصيف، وانزلقت عليها مركبة قتالية. عبر الفضاء، خمّن بطء حركة مروحية على سطح مُثبّت، وإرهاق الطيارين، وبريق شفرات فولاذية...

على متن سفينة دورية صغيرة، تبعوا حاملة الطائرات "ساراتوجا". كانت هناك معارك في لبنان. كان الجزء الأكبر من حاملة الطائرات، بعد مغادرته نابولي، يتجه نحو شرق البحر الأبيض المتوسط، نحو الجنة.

هو الصراع. في الوادي الحار، تدحرجت أرتال مدرعة، واحترقت قرى، وأثار المشاة الغبار. وهنا، في المياه الخضراء تحت شمس حارقة ضبابية، تحركت كتلة حديدية دخانية تشبه البركان، وانزلقت سفينة صغيرة خلفها.

راقب ليرى ما إذا كان الإقلاع الجماعي للطائرات سيبدأ، وما إذا كانت أسراب من طائرات الفانتوم ستنطلق من على سطح السفينة. ستندفع شمالًا - إلى سيفاستوبول، إلى المصانع العسكرية في أوكرانيا، إلى مناجم الفحم في دونباس. وبعد ذلك، ومنعًا للهجوم من الانتشار، سيعود السرب السوفيتي الخامس بأكمله المنتشر على طول الساحل الأفريقي إلى الحياة. سيهاجم الأسطول الأمريكي. ستبدأ القوارب بإغراق ساراتوجا. ستتكشف المعارك فوق البحر. سيخفف السرب، الذي يهلك في معركة غير متكافئة وعابرة، من الضربة النووية الموجهة إلى الاتحاد. تتبعه سفينة الدورية بلا هوادة خلف الجبل الضبابي. أنزل الكشافة زورقًا في الماء، واقتربوا من حاملة الطائرات، وجمعوا الحطام المتساقط منها بشبكة. قصاصات جرائد، وزجاجات، وقشور، وطين لزج مبلل، حشووا به أكياسًا ليستخرجوا منها لاحقًا معلومات عن العدو. أسماء الضباط، وفواتير بريدية، ورسائل إلى العائلة، وتفاصيل عن حياة السفينة. وقف على الزورق، يشعر بضغط الشمس الساخن واللزج والماء والملح على مؤخرة رأسه، وشعر باهتزاز القاع. تتبعت عيناه كتلة الحديد الضخمة الضبابية. و- هوس مفاجئ. ضربة شمس في الماء الزمردي الكاوي. أعاصير زئبقية من الصواريخ تطير من الأعماق في أعمدة من النار والرغوة. نيران سفن مشتعلة. لفات ودوامات أسراب تقاتل في السماء. انفجار أبيض لحاملة طائرات، يتناثر فيه شظايا وقطرات من الطائرات. مياه البحر الأبيض المتوسط المغلية، حيث تُغلى اللحوم الحية والألمنيوم والفولاذ الممزق. على امتداد الأفق، على امتداد أفريقيا، وصقلية، واليونان - وهجٌ أحمرٌ قاتمٌ للمدن المحترقة. دام هذا الهذيان لحظةً. ثم اختفت الرؤية. سحب الكشاف نفسه، وبحث في عمود الشبكة المبلل. صعد على متنها بقماش نايلون موسلين محشو بورق مبلل...

نحن، إذ نعيد قراءة هذه السطور للمرة المائة، نشربها كالنبيذ القديم، يسكب حرارته في عروقنا. بروخانوف، "آخر جنود الإمبراطورية". من عالم "الحضارة الجديدة" الخانق، من الصخب العبثي في أسواق السلع المستعملة، والمكاتب، و"البيع والشراء"، من الرتابة المملة مع ارتعاش صدور العاهرات، والألحان الإجرامية، وبريق النوادي الليلية، ينقلوننا إلى عالم الفولاذ الإمبراطوري الهائل والجميل. عالم القوة والكفاح. عالم ذوي الوجوه المنحوتة الثابتة والعزيمة الحازمة.

نتذكر كيف انقضّ قطيع من "المتحضرين" ذوي الشعر المجعد، المتلعثمين، على بروخانوف بالصراخ واللعنات، لعنوه باعتباره عسكريًا وشوفينيًا. قطيع ليس من الرجال، ولا من النساء - بل من "شيء ما". طين، لا يعرف عالم... محاربات، لا يشمّن رائحة البارود النفاذة، ولا يعرفن حماسة وحمى إنذارات المعركة، والتوترات المفرطة، وفرحة التصويب الدقيق.

حثالة جبانة لا تعرف ألم عضلاتها المنهكة، ولا برودة سلاحها. لذا حوّلت الأسطول الروسي إلى كومة من الصدأ بلا شرف ولا ضمير.

"لم يبحر العاهرات والمقاتلون في البحار بعد، لكن الأسطول يقوده نفس الضباط الجبناء... قبل فترة ليست ببعيدة، وقعت حادثة بروح فيلم الحركة "قراصنة القرن العشرين" في المياه الكورية الجنوبية. طارد قارب قراصنة فائق السرعة سفينة روسية. ولكن بعد ذلك حدث العكس - اتضح أن السفينة ليست سفينة شحن جافة عاجزة عن الدفاع، بل سفينة إنزال كبيرة مدججة بالسلاح (حدث ذلك ليلًا، وبدا ظل المظلي وكأنه سفينة تجارية). في الفيلم، دخل الطاقم غير المسلح في معركة مع القراصنة، وهرعت سفينتنا للفرار بأسرع ما يمكن... وعندما بدأوا في اللحاق بنادقنا، حولت مدافعها في الاتجاه المعاكس وفتحت النار. كتب ألكسندر شيروكوراد، الذي تعرفونه جيدًا، في صحيفة "تريبونال" (يناير 1997): "أدرك القراصنة مع من يتعاملون، وأن السفينة تحمل من المال ما يكفي لشجاعة ضباطها، فانصرفوا". لم يكن تدهور بحارتنا وليد الصدفة: فبعد أن غرقوا في الفقر، بدأت سفن الإنزال تُستخدم لنقل السيارات الأجنبية المستعملة، مما أسعد "إخوان" فلاديفوستوك. وإذا كان الأمريكيون قد رحبوا بسفينتنا الحربية سابقًا، وهم يعزفون نشيدنا الإمبراطوري، فإن بحارتهم الآن يخلعون سراويلهم، ويكشفون عن مؤخراتهم البيضاء والسوداء. انظروا أيها الروس، ما قيمتكم الآن!

"لإنشاء قوات مسلحة جاهزة للقتال، عليكم البدء بكتاب تاريخ مدرسي كتبه روسي، وليس كوزموبوليتاني يحمل جوازي سفر. نحتاج إلى تلفزيون وطني، وصحافة وطنية..." -

يكتب شيروكوراد بمرارة. وهو محق تمامًا!

لنفكر مرارًا وتكرارًا في المعركة الأخيرة في المحيطات. حسابات القوى، وشبكة الاتصالات البحرية، والخطط العملياتية والتكتيكية - كل هذا يتلاشى في الخلفية. لا، لقد كانت حربًا مقدسة. معركة مقدسة وغامضة بين عالمين. صراع مبدأين، صراع الظلام والنور.

أطلق القدماء على المحيط الأطلسي اسم بحر الظلام. لقد شعروا، بحدسهم الخارق، بشيء ما. ليس من قبيل الصدفة أننا نستمع الآن إلى معتقدات وعادات أسلافنا، ونجد تأكيدًا لها بمساعدة عجائب العلم الحديث. كان لدى أسلافنا شيء في داخلهم حل محل المجاهر الإلكترونية وأجهزة التصوير المقطعي المحوسب اليوم.

.afy

لم يكن من قبيل الصدفة أن يُطلق على المحيط الأطلسي اسم بحر الظلام. فالغرب يُطلق على هذا المحيط الآن مهدًا له، مُسميًا نفسه الحضارة الأطلسية، وعصرنا العصر الأطلسي. هنا شُكِّل عالمه الخاص. حيث الله هو النجاح مهما كلف الأمر، وحيث المقياس الكوني هو المال الملعون. هنا هيمنة المادة على الروح، وهنا يتلاشى الإيمان الحقيقي. هنا مملكة الحسابات الجليدية والأنانية، بشعار: "لي، لي وحدي". عالم التجار، والذهب الحقير، والمؤامرات الخبيثة. أناسٌ مهووسون فقط بحب أنفسهم.

لم يكن من قبيل الصدفة أن يُطلق بيكون في القرن السادس عشر، مُصوِّرًا مستقبل الغرب على أنه مملكة التكنولوجيا والآلات وجميع أنواع الرفاهية التي تتجاوز العقل، على كتابه الطوباوي "أطلانطس الجديدة".

آرثر كونان دويل، أحد أشد معارضي الغرب الحديث، ومُتغنّي بالتقاليد العسكرية العريقة والأرستقراطية، نشر رواية "هاوية ماراكوتوفا" في عشرينيات القرن الماضي، حيث يجد ثلاثة علماء أنفسهم في منزل ضخم تحت الماء - ملجأ لأحفاد الناجين من كارثة أطلانطس القديمة. غرقوا في مياه المحيط بعد كارثة بركانية.

شاهد المسافرون صورًا قديمة لأطلانطس: مملكة من الترف غير المسبوق وتأليه المال، ونهب وحشي للشعوب المُحتلة، وسعي جنوني وراء الملذات. صوّر كونان دويل الأطلنطيين القدماء ساميين ذوي بشرة داكنة وشعر مجعد، وأعدائهم شقر وعيون فاتحة. وأصبحت الكارثة التكتونية التي دفنت مملكة اللا روح عقابًا على حياة الأطلنطيين. إن تلميح الكاتب الإنجليزي العظيم واضح للغاية.

أصبحت الولايات المتحدة بمثابة أطلانطس القرن العشرين. جزيرة عالمية تعتمد على تشابك الطرق البحرية. الأرض التي أصبح فيها العجل الذهبي إلهًا. البلد الذي يعتنق فيه أحفاد المرتدين الأوروبيين، القراصنة واللصوص، البروتستانتية، وهي قريبة جدًا من اليهودية، وهي تحريف قبيح للإيمان المسيحي. حيث يُعتبر المال، بكميته، علامة على محبة الله، بغض النظر عن كيفية الحصول عليه. البلد الذي تتداخل فيه أخلاق حكامه الحقيقيين - رجال الأعمال والممولين اليهود - بشكل وثيق مع البروتستانتية.

يُعد الأسطول، المسيطر على المحيط الأطلسي، معقل قوة هذا العالم المظلم. بدايةً بمساعدة الفرقاطات الشراعية، ثم بواسطة البوارج البخارية، وأخيرًا، في شكل تشكيلات حاملات الطائرات النووية. في الولايات المتحدة، صلوا من أجل نظرية الأدميرال ماهان، الذي استنبط قبل مئة عام القاعدة القائلة بأن الأسطول القوي هو مفتاح الهيمنة على العالم. في عام ١٩٦٣، قال الأدميرال ريكيتس: إن تركيز جميع أسلحتنا على الأراضي الأمريكية يعني تعريض الولايات المتحدة لخطر ضربة مركزة. وعندما تستخدم أمريكا المحيطات كقواعد، يضطر العدو إلى تقسيم قوته الضاربة. بينما تستطيع أمريكا نفسها تركيز ناقلات هجماتها النووية عليها...

ولكن قبل ربع قرن، شعرت نيو أتلانتس بهجمة القوة الروسية.

هذا العالم، الذي كان مهيبًا على الغرب، جلب أسطولًا غير مسبوق إلى المحيطات - سريعًا، قويًا على الطريقة الروسية، متجمعًا في مجموعات قتالية. أمام هذا الأسطول، بدت الأساطيل الغربية كهياكل ضخمة كئيبة، سمينة، وهزيلة، تحمل جوانبها آثار الحروب الآسيوية الخاسرة المخزية. لم يُلغِ ظهور أسرابنا الهيمنة المطلقة للغرب على البحار فحسب، بل أظهر أيضًا للبشرية أن هناك دولة قادرة على بلوغ ذروة القوة والتكنولوجيا دون البورصات والبنوك الغربية، دون الدولار والأسهم، دون الممولين اليهود والديمقراطية المزعومة. كانت تلك ضربةً أشد وطأةً. فقد حطم الأسطورة التي غرسها الغرب لقرون، والتي تقول إن مملكة المال وأسعار الفائدة

المصرفية وحدها قادرة على صنع معجزات العقل واليد البشرية. لطالما قال الغرب: أنا متقدم على الجميع، لأن هذه هي حياتي. قلب الروس هذه الصيغة التقليدية أمام أعيننا، فاقدين بذلك غرور الغرب.

لم يكن هذا كل ما في الصراع البحري. فمنذ عام ١٩٤٥، اقتنع الغرب باستحالة هزيمة الروس براً. وقد أجبر الفشل الذريع لمحاولات تشارلز الثاني عشر في القرن الثامن عشر، ونابليون في القرن التاسع عشر، وغزوان في القرن العشرين، الغرب على الاعتماد على القوة البحرية. وسقطت هذه الحسابات أدراج الرياح مع دخول أسطول إمبراطوريتنا إلى المحيط.

لهذا السبب لم نكن نخوض سباق تسلح بحري فحسب، بل كنا نخوض حرباً مقدسة استمرت ألف عام، صراعاً بين التاريخين. إن الاعتبارات الجيوسياسية والاستراتيجية ليست سوى وجوهٍ لهذه المعركة بين عالمين.

6

تخيلتُ هذا بوضوح عندما ذهبتُ، في مايو 1996، برفقة صحفيين آخرين، إلى الأسطول الشمالي، برفقة نائب رئيس الوزراء أوليغ سوسكوفيتس. كان الثلج يتساقط بغزارة، وفي الضباب الرمادي، الذي يختلط فيه نصف الرطوبة ونصف الصقيع، كما لو أنه تكثف منه، ظهرت الخطوط العريضة للسفن. ارتفعت من بين أمواج بحر بارنتس الباردة القارسة.

سحرتنا خطوطها الهرمية. أذهلنا عظمة المجال التقني البحري الذي نشأ في التندرا القطبية منذ أن أمر ستالين، عام 1937، وهو يدق غليونًا في شبه جزيرة كولا، الأسطول الشمالي بالتواجد هنا. فكرتُ: إذا كانت هذه صورةً بعد ست سنوات من الانهيار والإذلال، فماذا كان هناك قبل ذلك، في أيام الرخاء؟

شبه جزيرة كولا، أرضٌ عريقة. قبل سبعمائة عام، وصل البوموريون إلى هنا - روس أقوياء البنية، شقر، ممتلئو البنية. جاؤوا واستقروا بين شعب اللاب الفنلندي الأوغري. زحفت جيوش القديس ألكسندر نيفسكي إلى هنا، مؤكدةً أن هذه الأراضي تحت الحكم الروسي.

أسماء الأماكن

هنا، على نهر كولا، تُسمع أصوات موسيقى عتيقة مثيرة، لا تزال تعزف فيها نغمات آرية ما قبل المسيحية. أورا-غوبا، أرا-غوبا. را في الآرية القديمة هي الشمس، وآرا هي الأرض. خلجان الشمس والأرض. إندل، أولينيتسا، إيوكانجا، بيتشينجا. نهر فوستوشنايا ليتسا. قرية فيوزني. كنيازهيا غوبا. رأس سفياتوي نوس. نيربيتشيا غوبا.

هنا، بشعور غامض خفي في أعماق الروح، تدرك - من هنا، كما لو كان من جذر قوي، ينمو جذع طريق البحر الشمالي القوي، محتضنًا القطب الشمالي بأكمله. أن هذا هو معقل الروس في الشمال، ومركز القوات الاستراتيجية للأسطول. هنا، حيث تتلاشى آخر تيارات تيار الخليج الدافئ، مانعةً مياه ميناء مورمانسك الروسي من التجمد.

نمت على درع صخري عتيق عام ١٩١٦، بسرعة مذهلة، بفضل عمل آلاف الروس. دفن آلاف منهم عظامهم هنا، ممهدين الطريق. سيندفع رماة الجنرال ديتل الجبليون إلى هنا في عامي ١٩٤١-١٩٤٢، وستهز معارك ضارية القطب الشمالي.

هنا مستقبلنا. الجدول الدوري بأكمله في الأعماق. أرصفة سيفيرومورسك، منشآت تخزين الوقود النووي، محطات شحن المفاعلات. مركز أسطول كاسحات الجليد النووية. تعمل محطة كولا للطاقة النووية هنا، تملأ هذه الأرض القاحلة بالدفء والنور.

ولن تصل إليك كلمات المرشدين الحزينة فورًا، مفتونين بهذا العمق والاتساع. عن كيف أن القوارب لا تستطيع الإبحار، وأن طواقمها يجب أن تُجمع "من جميع أنحاء العالم". عن نقص المال، والبحارة يكافحون من أجل حياة شبه جوع. عن الغواصات الأجنبية، التي تزداد وقاحة، تعبر الحدود كل يوم. أن العاملين في أحواض إصلاح السفن لا يحصلون على المال لنصف عام. في أحواض شكفال، وSRZ-85، ونيربا.

لا يزال الأسطول الشمالي قويًا. لديه 67 غواصة تعمل بالطاقة النووية. لكن 52 غواصة أخرى معطلة عن العمل، وتتجمد بحزن في مياه آرا-غوبا وأورا-غوبا الرصاصية، كحيتان تحتضر. لا تزال هناك حياة في القواعد النووية في زابادنايا ليتسا، وفي خليج مالايا لوباتكا، وفي خليجي نيربيشيا وأندريفا، وفي خليج بولشايا لوباتكا. لكنها بالكاد تومض، ونبضها كنبض رجل يحتضر.

يبدو الخراب جليًا في خليجي سايدا وأولينيا، حيث تمتد الهياكل المنخفضة لمحطة إعادة شحن المفاعل، وترسو إحدى عشرة غواصة تعمل بالطاقة النووية. في قاعدة الغواصات النووية في يوكانجا، حيث لا يمكن الوصول إليها إلا بطائرة هليكوبتر، وحيث يُغمى على الناس من الإرهاق. والكراهية، المتأججة كالأسيد، تتصاعد فيك. في غرفة جلوس الطراد المكسوة بألواح خشب الماهوجني، ينظر سوسكوفيتس من تحت حاجبيه، ويتحدث إلى ضباط البحرية. يحث يلتسين على التصويت. يبدو أنه يدرك تمامًا أنه مظلوم مما رآه. وجوه المستمعين عابسة، والضباط يخفون ابتسامات قاسية. لا يمكنك التخلص من الشعور بأن الجميع يلعبون نفس اللعبة، حيث الكلمات مجرد خلفية فارغة، حيث يقرأ الجميع ما بين السطور.

...سيفوز يلتسين في انتخابات يونيو 1996 هنا. ستتفوق أصوات البحرية على أصوات رعاع الموانئ وتجار السيارات والملابس المستوردة، والأسماك الحمراء والمعادن...

...ثم، وهو ثمل، سيستمع سوسكوفيتس إلى نخب من يحملون أكتاف الأدميرال. سيُطلق الفودكا الألسنة، وستتردد صداها خلف النخب، مع نغمات الحقيقة المُرّة. سيخبركم قائد الطراد أن البحارة الشباب يجب أن يُسمّنوا أولاً. سيقول قائد الأسطول فيليكس غروموف: أجل، الأمر صعب. هناك حفنة في البحر، ثلاث عشرة سفينة، وذكريات بائسة عن القوة السابقة. علينا أن نُقتصد في كل شيء. لكن سفينة واحدة تُسيّر دوريات على ساحل ألاسكا، وأخرى جنوب أيسلندا. هناك سفن في بحر الصين الشرقي. الأمر صعب، لكننا موجودون في محيط العالم.

إنه صعب، صعب للغاية...

7

الآن نُدفع مرة أخرى إلى ظروف العيش الإقليمي الضيقة. كل هذه "النخبة الحاكمة" لدينا.

كان المفوضون البلشفيون، كل هؤلاء الأبفيلباوم وروزنفيلد، أكثر صدقًا منكم. لقد أغرقوا أسطول البحر الأسود عام ١٩١٨، وفككوا أسطول البلطيق لاستخراج الخردة المعدنية في عشرينيات القرن الماضي، دون إقامة نصب تذكارية زائفة.

للمرة المائة نتساءل: كيف حدث هذا؟ لماذا قُطعت علاقاتنا مع الانطلاقة الجديدة للقوة البحرية الروسية؟ ونصل إلى نفس النتيجة. لقد زُرعت بذور الدمار قبل عشرين عامًا. حينها أصبح السقاة ومديرو المتاجر أكثر احترامًا من قادة الغواصات.

والآن أصبح مديرو المتاجر ومديرو المتاجر مصرفيين ورؤساء. ما المدهش إذن؟

لقد فقدت روسيا هيمنتها في البحر الأسود وبحر البلطيق والبحر الأسود، وكذلك في أهم المناطق الاستراتيجية في المحيط العالمي. يبدو أن قيادة بلادنا لا تُدرك أهمية الأسطول في الدفاع عن الدولة من البحر (يبلغ طول الحدود البحرية لروسيا أكثر من 40 ألف كيلومتر من أصل 61 كيلومترًا)، ولا تُراعي أن الدول الغربية لا تُفاوض بشأن قواتها البحرية، بل على العكس، تُنشئ قاعدة مادية جديدة لشن الحرب البحرية. تُقلص روسيا أسطولها البحري بشكل أحادي الجانب، وقد تخسر بحلول بداية القرن المقبل أكثر من نصف سفنها وطائراتها البحرية. لقد فُقد ثلثا قواعد أساطيل البلطيق والبحر الأسود (تالين، ريغا، ليبيايا، أوديسا، نيكولاييف، دونوزلاف، كيرتش، بوتي، إسماعيل، إلخ)، أي كل ما استولت عليه روسيا بقيادة بطرس الأكبر في صراعها على الوصول إلى البحار. تم التوقيع على هذا النداء من قبل اثنا عشر قائدًا بحريًا مخضرمًا بمناسبة الاحتفالات الباذخة للنظام الأبله

وبمناسبة الذكرى المئوية الثالثة للأسطول الروسي، يُزعم...

استطراد تاريخي رقم 3. الإمبراطورية ليست غطرسة قبلية. وجهان لستالين.

1

لعلّ بعض القراء قد تراكمت لديهم أسئلة كثيرة ليست ذات طابع عسكري-تقني إطلاقًا. ولعلّ أولها هو: هل نحن قوميون؟ ولماذا نُصرّ على استخدام كلمة "روس" عند الحديث عن الإمبراطورية متعددة الجنسيات؟

إذا كنا نعني بكلمة "قومي" أفرادًا مُصابين بأمراض نفسية، مهمشين، مهووسين باضطهاد الأجانب، ومستعدين لوصف ليس فقط الأوزبك أو الأذربيجانيين، بل أيضًا بالشخصيات البارزة، بأنهم "أشخاص من الدرجة الثانية"، فنحن لسنا قوميين.

نحن ضدّ من يتبنون الرأي القائل بأنّ أيّ روسي أفضل من أيّ شخص آخر من جنسية أخرى. لأننا نعلم أن تعظيم هذا المبدأ سيجلب إلى السلطة حشدًا من البسطاء والبسطاء، والمخبرين والجبناء، الذين سيبدؤون بتصفية الموهوبين والشجعان. هذه هي مملكة الرعاع ذاتها، التي تقود إلى سلطة ذوي العواطف الجياشة تحت شعارات قومية.

نحن شعب إمبراطوري، ندافع عن تسلسل هرمي سليم، وعن اختيار الموهوبين والشجعان للطبقة الأرستقراطية. أناس ذوو روح عالية وشجاعة عسكرية. لكن التجربة تُخبرنا: أن معظم هؤلاء الأفراد مُنحوا من قِبل "الطبقة" السلافية الأرثوذكسية. الغالبية العظمى ممن أسسوا الإمبراطورية ودافعوا عنها هم من الروس العظماء والروس الصغار والبيلاروسيين.

تُخبرنا التجربة: الإمبراطورية هي السلام. في ظلها، لا تقطع الدول الصغيرة بعضها بعضًا، ولا تقصف مدنها. أي خلاف يُقمع بقسوة وسرعة. أخبرني حماي كيف أُخمدت مذبحة كاراباخ في مهدها في أوائل الخمسينيات - بعد محاكمة علنية للمذنبين وإعدام المحرضين.

نعلم أن الروس شعبٌ إمبراطوري. فليتاجر الأرمن ويصلحوا الأحذية تحت سطوة حرابنا، وليزرع الأوزبكي المسالم أرضه، وليعتز الجورجيون بكرمهم. الروس في الإمبراطورية المحتملة والمستقبلية محاربون وحُماة للنظام والسلطة. سيقودون السفن النووية ويُحيون أعقد الصناعات، وسيشنقون مثيري الشغب. فنحن نتمتع بخبرة إمبراطورية تمتد لقرون. نحن حُماة الدولة، وهكذا خلقنا الله.

في الحضارة الروسية، حيث يُبنى اختيار النخبة على الشجاعة الشخصية والولاء للإمبراطورية، هناك مكان للجميع. كان لدينا العديد من القادة الشجعان الذين اعتبروا أنفسهم روسًا: الجورجيون باغراتيون وتسيتسيانوف، والصرب ميلورادوفيتش وجودوفيتش، والأرمن بيبوتوف وباغراميان، والبولندي روكوسوفسكي، واليهودي دراغونسكي. لكن الأغلبية ستظل دائمًا إلى جانب من يمتلكون خبرة إمبراطورية. قبل ألفي عام، كان الرومان هم من يحكمون، والآن هم الروس. ثم، وحتى مؤخرًا، أراد الجميع قبول اسمهم المجيد.

لهذا السبب نحن شعب إمبراطوري، نؤيد تسلسلًا هرميًا سليمًا، سلطة لا التجار، بل الكهنة والمحاربين. عاطفون.

2

يقولون لنا: إن شعوب الاتحاد السوفيتي لم ترغب في إمبراطورية. نعلم: لقد حدث كل ذلك لأننا لم نخبر الأرمن إلا القليل عن كيف ذبحهم الأتراك واغتصبهم الإيرانيون، والجورجيين عن الغارات المدمرة لعباس شاه، والكازاخيين عن كيف بنى الزونغار الأهرامات من رؤوسهم.

ألا ينبغي لنا أن ندرك القوة الجبارة للسينما والصحف والتلفزيون؟ كانت جميع هذه الأدوات في الإمبراطورية. استُخدمت ببساطة بسوء. ولكان الشباب الآسيويون لا يزالون يُشيدون بالجنرال بانفيلوف أو المارشال جوكوف.

في دولتنا عاشت شعوب من منطقة ثقافية غير غربية، ولو استعدنا القيم الأرثوذكسية-البيزنطية-العسكرية، لعاش الروس معها في سلام تام وحسن جوار. مع المسلمين والبوذيين، الذين يشمئزون من "الحرية" الغربية. لم يكن من الضروري ببساطة إثارة أوهام لا أساس لها و"عدوى فكرية" لدى هذه الشعوب، وتربية أطباء وعلماء ومهندسين "مزيفين" في آسيا وما وراء القوقاز. التقليل من قيمة العقل والمهارات والشجاعة الروسية.

نعلم من تجاربنا الحالية: أن الأرمن والأوكرانيين، الذين صوتوا يومًا ما من أجل الاستقلال، يتذكرون الآن بدموع الوحدة والسلام الذي يسود البلاد.

نعلم: العالم الذي تحكمه الإمبراطوريات القوية هو العالم المستقر فقط. وليس هناك عالمٌ أكثر شرًا ودمويةً من عالمٍ يُقسّم فيه الناس إلى "دولٍ قومية" صغيرة.

لسنا ألمانًا، ولا هولنديين، ولا فرنسيين. نحن شعبٌ إمبراطوري، وأيُّ دورٍ آخر لنا هو تدهورٌ مُفرط.

3

يسألوننا: لماذا تُكثِرون من ذكر ستالين، وأنتم تُوبّخون الحزب الشيوعي السوفيتي على فساده؟ لا خلاف على ذلك، فهو شخصيةٌ مُغايرة. في روحه ذنوبٌ كثيرةٌ وضحايا أبرياء. لكن إذا وضعناهم في ميزانٍ تاريخيٍّ واحد، ووضعنا فضائله في الميزان الآخر، فإنَّ السهم سيُوازِن على الأقل.

نتذكر لأن ستالين زنديقٌ من وجهة نظر الماركسيين الحقيقيين. إنه مُجدِّد الإمبراطورية. لم ينتظر الثورة العالمية، ولم يُحرق البلاد من أجلها - بل خلق عملاقًا إمبراطوريًا. سحق ستالين، ودمر تقريبًا، بذور البلاشفة القدامى - أمثال أرونشتام، وناخامكي، وروزنفيلد. من أراد أن يجعلنا دولةً تابعةً للمواد الخام للغرب، بقيادة نظامٍ بوليسي؟

لم يبنِ ستالين اشتراكيةَ ناخامكي وتروتسكي بتسويتها، بل بنى هرميةً عسكريةً تكنوقراطية، قضت تدريجيًا على مُشوّهي التاريخ الإمبراطوري الروسي، وأعادت رموز الإمبراطورية، ونفّذت برنامج السياسة الخارجية للقياصرة، وعززت الوطنية.

لقد خلق حضارةً قضت على...

أنفه نحو الغرب. بالطبع، لديه ذنوب كثيرة في روحه، ولم يكن كل شيء لمصلحة روسيا. بعد أن سحق الأرونشتام والتساخيس، الذين دمروا الإمبراطورية عام ١٩١٧، وسدّ أفواههم الغوغائية الديماغوجية بعبادة شخصيته، لم يُطِح بالأيديولوجية الماركسية الفريسية من العرش. لم يستبدلها بأيديولوجية أرستقراطية هرمية. هذه أعظم جريمته. فضلًا عن أنه لم يُنشئ نظامًا يرفع المتعصبين إلى القمة دون إرادته.

هل تلعنونه بسبب غولاغ والمزارع الجماعية؟ لكن كيف كان بإمكانهم فعل ذلك؟ كيف كان بإمكانهم بناء المصانع والقاذفات والدبابات، في حين لم يكن الغرب يُقدم لهم أي مساعدة، والوقت ينفد، والبلاد مُحاطة بأعداء مُدججين بالبوارج الحربية والغاز المُنفِّط والفرق الآلية، في حين كانت اليابان تتباهى برفع راية بلاد الشمس المشرقة في جبال الأورال؟ عندما حاولت الصين انتزاع منطقة أمور منا عام ١٩٢٩؟ ففي النهاية، لم يكن لدى ستالين قرنٌ كاملٌ للتصنيع تدريجيًا، خطوةً بخطوة، بدءًا من مصانع القماش. كانت البلاد بحاجة إلى طائرات ومحركات وفولاذ - وعلى الفور!

وبناءً على هذا المنطق، يجب أن تلعن بطرس الأكبر أيضًا، الذي أنشأ الأسطول الروسي، وأقوى جيش، والعلم، والحزام الصناعي في جبال الأورال. ففي النهاية، هو الذي قاد مئات الآلاف من العبيد إلى مواقع البناء، وبنى بطرسبورغ على عظام. ولم يُوفِّر أجراس الكنائس للاحتياجات العسكرية.

هل تلعنون ستالين على إعدامات "المثقفين"، هؤلاء الرسامين "للمربعات السوداء" ومؤلفي قصائد "دير بول شير"؟ لكن ألم يضجرنا اليوم من سلطة "الأخوة المبدعة"، التي تحترق في ظلها أراضٍ بأكملها، وتتحول إلى صحراء بجثث، وبطون ممزقة ومشوهة، بنيران المدافع في قلب موسكو؟ لأن الممثلين في السلطة هم نيرون الفنان، الذي أمر بإحراق روما العظيمة، كتلة دم وعرق أسلافه أصحاب السيادة. من أجل "تجاربه الداخلية" وانطباعاته.

ماندلشتام، باسترناك، بابل. أحرق نيرون المدينة الخالدة - ويتذكر الموسيقي روستروبوفيتش بشغف دقائق انهيار الإمبراطورية، وينظم حفلاً موسيقياً بنيران المدافع في الساحة الحمراء. كلا، لم يكن عبثاً أن يعتبر أسلافنا المحاربون القدماء الممثلين منبوذين، ويدفنونهم منفصلين!

فوق تشيلو روستروبوفيتش، جبروت الأساطيل والجيوش الإمبراطورية! فوق مستنقع المخرجين وفناني الاستعراض المنحرفين، دائرة المحاربين!

فليصنع البعض أيقونات من بيرغسون وباسوليني، أو من كاردان، أو نادل سابق أصبح مصرفيًا. وآلهتنا هي الكابتن غاستيلو، الذي ضرب العدو بمذنب ناري. أو الأدميرال أوكاجي، الذي أزهر أقحوانًا من لهيب أوكيناوا، حتى لا يعمر بعد إمبراطوريته. أو المقدم فلاديمير سارابييف، الذي وجّه طائرته الهجومية المصابة بجروح قاتلة نحو مجموعة من "ذئاب" دوداييف.

لكلٍّ ما يناسبه. لا ينبغي لمن ولدوا للزحف أن يحكموا الدولة الروسية.

4

كان أحد زملائي محقًا عندما قال: إن العصر الحالي هو عصر المستهلكين المسعورين، الذين يستنزفون الناس حتى الموت. مستعدون لسحق الناس بجنزير الدبابات لإشباع شهواتهم. لم تُخصخص قيادات الاتحاد السوفيتي المتحللة المصانع أولًا، بل النفط والغاز والأخشاب المستخرجة. واستعبدوا ملايين الروس وبقايا الدولة. وبعد أن جنوا مليارات الدولارات من بيع المواد الخام، لم يشترِ هؤلاء المخلوقات آلات أو تقنيات، بل أحاطوا أنفسهم بكتالوجات من السلع الفاخرة.

لعلّ التاريخ لم يشهد قطّ مثل هذا المثال الواضح على طفيليات السلطة التي التهمت إمبراطورية بأكملها. حتى كاثرين الألمانية، التي انغمست في حفلات غنائية جامحة وأبددت مبالغ طائلة على الترفيه، بنت أسطولًا، وغزت منطقة البحر الأسود، وتحت قيادتها، سيطرت السفن الروسية على البحر الأبيض المتوسط، وأنزلت قواتها في أماكن بعيدة مثل بيروت عام ١٧٧١.

على خلفية هؤلاء الجرذان الهائمة، التي تصرخ بخنوع لصيحات الأمريكيين، يبدو ستالين، بسريره المرتب كجنود، عملاقًا. وكل محاولات "الديمقراطية" الحالية لتشويه سمعتها ليست سوى ذرات فئران تحت أقدام عملاق من الفولاذ اللامع.

5

ماذا ينتظرنا في ظل هذه الحكومة؟ ربما تنجح في وقف تفكك روسيا، بل وسحق الانفصاليين على طريقة دوداييف. لنفترض هذا، لأن جيشًا إمبراطوريًا بحاملات طائرات وطائرات توبوليف-160 لا يحتاج إلى محاربة العصابات.

لكن في ظلها لن نكون إمبراطورية ولا أمة عظيمة. ستكون هناك كنائس هنا، يركبها مجرمو الأمس بسيارات المرسيدس. لكن لن تكون هناك مفاعلات، ولا أساطيل في السماء والمحيطات، ولا هندسة ميكانيكية، ولا روبوتات. أقصى ما سيسمح لنا به الغرب هو خبز البيتزا على معداته أو خياطة القمصان على آلاته.

ربما سيسمونها طفرة اقتصادية. لكن قبل كل شيء، يريد الغرب أن يحولنا إلى حشد متفرق من الحمقى الجهلة، مغسولي أدمغتهم بالإعلانات. أغبياء غايتهم استخراج النفط والغاز للغرب، والعمل في مصانع ملوثة بيئيًا - بناءً على أوامره - والتجول في مكبات نفاياته التي سيُرتبها هنا. هذا النموذج مُجرّب بالفعل - على غرار صناعة الألمنيوم "العاملة بنجاح". تُعطوننا المعدن، فنُعطيكم الطائرات منه. وعلينا أيضًا شراء كل شيء من الخارج، ونُعطي المال للغرب. كل شيء - من طائرات الركاب إلى الأمشاط، إلى طعام القطط.

6

لا، نحن لا نُبرئ ستالين، بل نُقدم له الجزية فقط. ستالين ذو وجهين، مثل جانوس الروماني. بعد أن رفع مكانة المهندس الروسي واتخذ خطوة نحو تأسيس...

رغم هرمه العسكري التكنوقراطي، إلا أنه دمّر العديد من التقاليد الروسية.

فشل في وضع آلية لاختيار الأفضل، وبعد وفاته، بدأ الأغبياء والحمقى يتولون السلطة. كوّن ستالين سلطةً غير مسبوقة، لكنه لم يحتمل وجود عبقرية المارشال جوكوف إلى جانبه، مما أغرقه في العار.

كان ستالين عبقريًا، لكنه افتقر إلى المعرفة الإمبراطورية المتكاملة، فمحو التنوع الهائل في الشعب الأرثوذكسي - مصدر القوة والسلطة - وسوّى بينه. مزج بين البومور والقوزاق، وفلاحي تامبوف والأوراليين. غير مدرك أن وراء هذه المساواة، هذه الفوضى، يكمن الموت.

نلومه على التضحيات الهائلة التي قدمها الشعب بلا معنى، عندما سقطت صفوة الأمة، مع الأرواح الشريرة الحقيقية، تحت سكاكين مفرمة اللحم القمعية. إن موقفه تجاه الشعب الأرثوذكسي السلافي الشرقي الضخم يُذكرنا إلى حد ما بالموقف تجاه الطبيعة في ذلك الوقت. كانت كلمة "بيئة" غير معروفة، وكانت الطبيعة تُعتبر موردًا لا ينضب، وكانت النفايات تُلقى في الأنهار دون أي تردد. لم يفهم ستالين قط أن جميع مشاريعه الإنشائية الضخمة، والقوة متعددة الأوجه التي أنشأها، والبرنامج الجيوسياسي شبه المكتمل للقياصرة الروس، تفقد معناها إذا قوضت القوى الحيوية للشعب. وعاملها كمستودع لا ينضب، يُلقي بملايين الضحايا في معارك ضارية، دون أي اعتبار للخسائر. وهو ما قلده مرؤوسو حزبه على نطاق أوسع. أتذكر كيف أخبرني والدي عن حادثة مأساوية عظيمة في دفاع أوديسا عام ١٩٤١. عندما اقتحم العدو مدينة غريغوريفكا، ولم يهرع لصدّهم سوى جنود الاحتياط الذين وصلوا، عمال المناجم من دونباس. لم يكن لديهم الوقت بعد لتوزيع الأسلحة، فلم تكن هناك سوى قنابل يدوية. لكنهم اندفعوا نحو العدو، وألقوا عليهم القنابل اليدوية، وصارعوا بأيديهم العارية. بعد صدهم للاختراق، سقط جميعهم تقريبًا. كان ينبغي حماية هؤلاء الأبطال الخارقين، لا رميهم في النار كالحطب!

وصف كاتبنا الرائع يوري سيرجيف مشهدًا مؤثرًا من معركة موسكو. خمسون دبابة هتلرية تقتحم العاصمة، ولا شيء يعيق طريقها. ثم عُرض على فوج السيبيريين الوافد حديثًا مواجهة العدو بالقفز في الثلوج الكثيفة من طائرات تحلق على ارتفاع منخفض. بدون مظلات، من ارتفاع يتراوح بين عشرة وعشرين مترًا. لم يُؤخذ سوى المتطوعين، لكن الجميع تقدموا. قفزوا وهم يحملون قنابل يدوية وبنادق مضادة للدبابات، فقُتل اثنا عشر من أصل مئة. دمروا الألمان الذين اقتحموا الطريق بالكامل تقريبًا، والذين انتابهم رعبٌ غامضٌ عند رؤية هذه الصورة. حتى شجاعة الساموراي تتضاءل أمام هذه الحادثة!

لم يفهم ستالين (أو لم يُرد أن يفهم) أن هذا مستحيل، وأن الأفضل والأشجع والأكثر نزاهة سيهلكون بهذه الطريقة. أن هؤلاء الآريوسلاف لن يُخلفوا أبناءً أصحاء. وأن زهرة الأمة المتساقطة ستُستبدل بقبيلة "الستينيات" الصاخبة والجبانة، وأن أمثال غوسمان وأوكودزهافا، وشارانسكي وكوفاليف، ويفتوشينكو وفوزنيسينسكي، وبيريزوفسكي وتشوباي سيبدأون بالتكاثر. وأين ستذهب مكاسبنا كلها إذن؟ لا ألوم ستالين على إعدام كولتسوف وبابل وماير هولد وأمثالهم - فأنا أرى ما يفعله هؤلاء بالبلاد. لكن تقويض قوى شعبي الحيوية جريمةٌ حقيقية. نعلم أن الشعب مُنهك، وأن بيئته بحاجة إلى حماية.

ولكن هل الحاليون أفضل حالاً؟ لقد دمّر ستالين الناس من أجل الدولة. وهؤلاء يُدمّرون بشكل مختلف، ولكن أيضاً بأعداد كبيرة. من أجل حساباتهم الخارجية، من أجل الانهيار. وإذا كان هناك عذر لستالين، فهذا ليس ولن يكون إلى الأبد. من أجل ثمار مملكة هؤلاء الإصلاحيين، علينا أن ندمر جيلين أو ثلاثة أجيال. وسيتعين علينا بالتأكيد التعامل مع البيئة - نحرق الأعشاب الضارة، ونقتلع الأزهار القاحلة، وننشئ حقولًا خاصة، ونزرع فيها حبوبًا سليمة لم تمسها الرذائل. ونتخلص من الأفراد المرضى حتى لا ينجبوا ذرية غير صحية.

لم يتمكن ستالين من غرس روح القداسة، وترابط قضية عمرها ألف عام، في بناء الإمبراطورية الفخم. لم يستطع أن يمنح البلاد جوهرًا روحيًا متينًا. أثبت عجزه عن تجاوز الطاقة النووية وعهود أسلافنا.

هذه هي مأساته. لأن ستالين جاء من بيئة مشبعة بروح الماركسية الغربية عنا - هذه الخميرة من الكتب المقدسة اليهودية. من قبيلة من المخلوقات التي كرهت كل ما هو روسي، عمره ألف عام.

الآن نعلم يقينًا: مفوضو الشعب ذوو اللحية الخفيفة، كل هؤلاء من أمثال ليفنسون وروزنفيلد، يُنجبون في جيلين، بطبيعة الحال، مصرفيين، كانتور وغوسينسكي. نعلم: عدونا قادر على تغيير صورته، مُربكًا البسطاء: أمس - في سيارة مصفحة، وغدًا - في سيارة مرسيدس. اليوم - وفي يده كتاب لينين، وغدًا - بأعمال الليبراليين الغربيين.

لدينا هذه التجربة. لم يستشعرها ستالين إلا. ولذلك، علينا، بعد أن استخلصنا أفضل ما في عهد قيصر بغليون، أن نمضي قدمًا. وأن نكون أكثر حكمة. نعلم الآن أن الشعب الروسي قادر على جعل أي نظام إمبراطوريًا - سواءً كان سلالة رومانوف أو "ورثة" لينين. ويمكن تطبيق تعريف "ما قبل الثورة" على عام ١٩١٣ بساموفاره النحاسية الحمراء وزوجات كوستودييف التجاريات، وعلى زمن المسيرات في الساحة الحمراء.

"قبل الثورة" هي الفترة التي تتمتع فيها روسيا بالقوة والاستقرار والرغبة في التوسع. ويمكن أن تُدحر الثورة.

لفعل ذلك تحت الراية الحمراء، أو تحت الراية البيضاء-الزرقاء-القرمزية. ولكن دائمًا بهدف واحد لا غير - تدميرنا كأمة عظيمة. ودائمًا مع نفس "الأبطال". سواء مع آل برونشتاين وسفيردلوف، أو مع آل تشوبايس وليفشيتس. نعم، أغرق ستالين البلاد في بحر من القسوة. لكن بعد ذلك، هرب ملايين الشباب السلافيين النشيطين من رتابة الشقق الجماعية البائسة وتجمعات السكارى إلى عجلات قيادة المناطيد، إلى رافعات المركبات القتالية السريعة. تعرف الملايين على السماء، وبسطوا مظلاتهم فيها. حلّق العمال البسطاء بين السحب على متن طائرات شراعية وطائرات أفيت. اكتسبت البلاد نوعًا جديدًا - روسيًا قصير الشعر بفك سفلي قوي، سيد الطاقات الجبارة. عبقري تقني، لا يهاب أي مهمة صعبة، سواء كانت غواصة طائرة أو صاروخًا تحت الأرض. نحلم برحلات إلى المريخ أو برحلات في قشرة الأرض - كما في رواية "سادة الداخل" لآدموف. كنا نجوب العالم كملوك للآلات والفضاءات والميجا طن، وكان الجميع ينحني أمامنا احترامًا. كنا نتحدث همسًا تقريبًا - وكان العالم، بقلبٍ غارق، يلتقط كل كلمة إمبراطورية.

وماذا سيُخبئ لنا الزمن الحاضر؟ قبيلة من الجهلاء والتجار البائسين الذين لا يمتلكون أبسط المعارف. منذ طفولتهم، لم يروا حولهم أي تقنية روسية. يعرفون كيف يعبثون بأزرار المعجزات المستوردة، لكنهم يعانون من عقدة نقص وطنية. ولا يعرفون حتى كيفية عمل كل هذه الأجهزة الأجنبية من "سوني" و"كوداك" و"بوش". يعبدون أجهزة كمبيوتر الآخرين كآلهة.

هل تجرؤون على انتقاد ستالين، أيها الأقزام الدنيئة؟ إليكم مثال بسيط. بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٣، سعت وزارة الداخلية إلى العثور على مجموعة من مُصنّعي "الصيني الأبيض" في موسكو، وهو مُخدّر صناعيّ ذو تأثيرٍ مُريع، يُسبب الإدمان من الجرعة الأولى ويُدمّر الكبد تمامًا بعد ثلاث أو أربع "جرعات". مئة غرام من المسحوق تكفي لتحضير محلولٍ يُخدر العاصمة بأكملها. بصعوبة بالغة، نجحوا في القبض على مُصنّعي "الصيني الأبيض" العباقرة، وهم مجموعة من طلاب الدراسات العليا وطلاب الكيمياء في جامعة موسكو الحكومية، حائزين على الميداليات الذهبية والفائزين في أولمبياد الكيمياء. أولئك الذين حرمهم النظام من أي فرصةٍ تقريبًا للانخراط في العلوم دون المخاطرة بالموت جوعًا وفقدان عائلاتهم. انتهى المطاف بمئات الغرامات من المسحوق الخام في أيدي مافيا قازان، وبعد مفاوضاتٍ معهم، سلّمتهم السلطات طردًا يحمل الموت الأبيض. لكن الآن، كما يُعرب الصحفيون الديمقراطيون عن أسفهم، يقبع الكيميائيون الموهوبون في السجن، وتعتني بهم "السلطات" الإجرامية مجددًا، وعندما يُطلق سراحهم، سيُصنّعون مُجددًا مُخدراتٍ مُريعة. يا إلهي! الديمقراطية...

وماذا كان سيحدث في عهد ستالين؟ حسنًا، كان هذا الوضع مستحيلًا في عهده - كان المهندس الكيميائي المتميز مطلوبًا فورًا في الصناعة سريعة النمو، وأصبح شخصًا ثريًا محترمًا. لأنه في عهد ستالين، كان المهندسون يفوقون المسؤولين والعمال في دخلهم. والأكثر من ذلك، أنه في ذلك الوقت لم يكن هناك أي حديث عن أي مفاوضات مع العصابات الإجرامية - فقد كانوا يُدمرون بلا رحمة، ولم يكن بإمكانهم حتى التفكير في الانخراط في الأعمال التجارية الكبرى والسياسة الكبرى.

ومع ذلك، لنفترض أن مجموعة من الطلاب بدأت "بدراسة الكيمياء" لصالح عصابة ما. لكانوا قد أُخذوا، وفُصلوا عن جميع الغوغاء، ولكانوا، بصفتهم مواهب لا شك فيها، سيكفرون عن ذنبهم بالعمل في معاهد خاصة مغلقة تحت إشراف علماء عظماء، مانحين الإمبراطورية تقنيات جديدة ومركبات ومواد نادرة. وفي نهاية حياتهم، كانوا سيصبحون أشخاصًا محترمين، يحملون أوسمة على صدورهم، ويعيشون في شقق متعددة الغرف مع مدبرات منازل. لأنه في عهد ستالين، كان المهندس المتمرس قادرًا على تحمل تكلفة ذلك. بالإضافة إلى إجازة سنوية في أفضل المنتجعات الصحية في شبه جزيرة القرم. أعرف ما أقصده - هكذا كانت عائلتي تعيش في براري شمال كازاخستان.

نُحيي ذكرى ستالين. يُصدر مُتّهمو ستالين الحاليون صرخاتٍ مُفجعة: كان الناس في الاتحاد السوفيتي يموتون جوعًا عندما كان يبيع الحبوب في الخارج ويشتري حرير المظلات ومحركات الطائرات! لكن لم يكن إثراء حفنة من اللصوص هو ما عانينا منه آنذاك، ولم تكن العملات الصعبة التي كسبناها تُودع في حسابات سويسرية لكبار اللصوص، أو تُحوّل إلى قصورهم! كان هناك معنى لذلك آنذاك. لكن الآن، عندما لا يحصل ملايين الناس على روبل واحد مقابل عملهم لنصف عام ويُغمى عليهم من الجوع، أين المغزى؟

أخبرني، لماذا نُدمّر أنفسنا الآن، ونذهب إلى قبورنا أفواجًا من الفقر وسوء الطعام، ومن الحروب الداخلية ورصاص العصابات المُتفشية؟ لماذا نموت جوعًا ونشرب حتى الموت، بعد أن مزقنا بلدًا ضخمًا إربًا؟ في عهد ستالين، وُلدت محطات الطاقة والمفاعلات النووية، وأسطولنا الجوي وأجهزتنا الإلكترونية من بوتقة عذاب لاإنساني. جودة عالمية في ذلك العصر. لكن أرني شيئًا مشابهًا على الأقل، صُنع على حساب تضحيات اليوم. أين هي، حواسيبنا، طائراتنا الخارقة، وسياراتنا الفارهة؟ أين التقنيات الحيوية المتقدمة في الإنتاج الضخم، وبشكل عام، عجائب التكنولوجيا التي اندثرت في عهد الشيوعيين الراكدين؟

لا شيء. لعشر سنوات كاملة من الدماء والإذلال! كل شيء مستورد فقط. في كل مكان - فقط خسائر وخسائر. مجرد ارتداد، إلى تخلف أعظم. إلى الهاوية، التي سنضطر عاجلًا أم آجلًا إلى الخروج منها مجددًا.

ثمن عذابات جديدة.

الفصل السادس والعشرون. السر الروسي - عدسة كوماخوف. "رافعة أرخميدس" للهيمنة على العالم. انعدام الوزن كألغام جديدة للملك سليمان. رحلة إلى "بلاد البنط" الروسية والكنوز السرية لروما الثالثة.

1

في عام ١٩٧٦، اختطف الخائن بيلينكو أحدث طائرة اعتراضية آنذاك من طراز ميج-٢٥ إلى اليابان. وسرعان ما لقي حتفه في حادث سيارة، لكن الخبراء الأمريكيين مزقوا الطائرة حرفيًا قطعة قطعة. وسيصابون بصدمة عميقة: فالميكانيكا الممتازة والديناميكا الهوائية المثالية لطائرة "٢٥"، والتي لم يكن للولايات المتحدة مثيل لها آنذاك، اجتمعت مع الحشو الإلكتروني الذي كان موجودًا قبل أمس.

حتى في عهد الإمبراطورية، كنا نُنتقد لطبيعتنا القديمة في مجال الإلكترونيات. على مدى ثلاثين عامًا، سعى الاتحاد السوفيتي جاهدًا لمواكبة الغرب في هذا المجال، فبنى أول مدينة تقنية روسية لهذا الغرض - زيلينوغراد بالقرب من موسكو. لكننا لم ننجح في ذلك حتى عام ١٩٩١. ثم جاء تفكيك الاتحاد السوفيتي على يد ثلاثة أغبياء في بيلوفيجسكايا بوشا، ثم صدمة "الإصلاحات" التي دمرت إنتاج الإلكترونيات الروسي بحد ذاته.

مع ذلك، في منتصف السبعينيات، لم يكن يعلم الكثيرون أن عالمنا مرادين كوماخوف، الحاصل على دكتوراه نشيط في العلوم من معهد كورتشاتوف للطاقة الذرية، قد وجد طريقًا واعدًا للإمبراطورية بتحقيق طفرة في عالم الإلكترونيات.

٢

في السبعينيات، حدثت ثورة في عالم الإلكترونيات - من الدوائر الضخمة المزوّدة بمقاومات وثنائيات وثلاثيات ملحومة عليها، انتقل العالم إلى الدوائر المتكاملة المطبوعة (الرقائق). إلى ألواح السيليكون الصغيرة التي طبع عليها الضوء آلاف العناصر. انخفضت المعدات بشكل كبير في الحجم والوزن، وظهرت أجهزة كمبيوتر إلكترونية فائقة السرعة ذات سعة ذاكرة هائلة، وأجهزة كمبيوتر شخصية وشبكات معلوماتية شبيهة بشبكة الإنترنت الشهيرة. تدفقت كميات هائلة من الأجهزة المنزلية صغيرة الحجم على الرفوف.

وهنا تخلفنا عن الركب. صنع مصممونا العسكريون المعجزات، حيث ابتكروا أنظمة تحكم قتالية وطائرات وصواريخ بجودة لا تقل عن جودة الأسلحة الغربية، باستخدام قاعدة عناصر دقيقة أقل جودة. أنقذتنا براعتنا وأفكارنا الجريئة وحلولنا التقنية. لكن هذا لم يدم طويلًا. ففي الثمانينيات، توقف العالم عند عتبة "ثورة" جديدة - على أعتاب طفرة في مجال الإلكترونيات. إذا كانت الدوائر الدقيقة تُقاس سابقًا بالميكرون، أي أجزاء من المليمتر، فهناك الآن خطط لإنتاج رقائق دون الميكرون. من سيُطلق إنتاجها أولًا سيتمكن من بناء ليس أجهزة

كمبيوتر، بل أجهزة نقل بيانات - آلات قادرة على تشغيل عدة عمليات في آن واحد. وهذا هو مفتاح ظهور الروبوتات المفكرة، القتالية والسلمية. نحو استبدال البشر كليًا في الإنتاج الضخم، نحو أسلوب حياة جديد كليًا.

علاوة على ذلك، بدأت مجموعة من الدول ما بعد الصناعية بالتشكل، محققةً أرباحًا طائلة من تطوير تقنيات الإلكترونيات والمعلومات. تجاوزت هذه التقنيات الهندسة الميكانيكية القديمة، وصهر الصلب، وإنتاج النفط، وقطع الأشجار. بدأ الكوكب ينقسم إلى جزء ما بعد صناعي مختار، وجزء آخر، مُقدر له أن يكون مستعمرات جديدة - مصادر للمواد الخام، وإنتاج "خام" وضار بالبيئة. نحن، المتخلفون في مجال الإلكترونيات الدقيقة، كنا بحلول عام ١٩٨٥ عالقين بين عالمين. في عام ١٩٩١، بدأت "نخبتنا" الجرذان في تدمير التقنيات الروسية المتقدمة بشكل جماعي، دافعةً بقية البلاد إلى عالم العبيد.

٣

لكن هذه الثورة دون الميكرونية لم تندلع بعد في الغرب. ليس لديهم تقنية ميسورة التكلفة لإنتاج رقائق فائقة الصغر. في النهاية، كيف تُصنع؟ من شكل قناع كبير، كما هو الحال في إطار فيلم فوتوغرافي مُحَمَّر، ينقل الضوء رسمًا تخطيطيًا إلى لوح فارغ صغير. حتى الآن، كان يُستخدم الضوء "الأبيض" العادي، لكن له طول موجي معين لا يسمح برسم عناصر أصغر من الميكرون المربع.

هناك حل. من الضروري استخدام أشعة سينية متوازية ذات طول موجي قصير جدًا وطاقة عالية. ولكن للحصول على إشعاع أشعة سينية متوازي، يلزم وجود مُسرِّعات جسيمات حلقية عملاقة - السنكروترونات. هياكل ضخمة تستهلك الكثير من الكهرباء. كلَّفت إحدى المنشآت التجريبية، التي تشغل مبنى من ثلاثة طوابق، ألمانيا 130 مليون دولار. في الإمبراطورية، بدأوا في بناء مثل هذه الآلة في زيلينوغراد، لكنهم لم يتمكنوا من إكمالها بحلول عام 1991. حسنًا، الآن، لا يملك الديمقراطيون المال لمثل هذه الأشياء، ولن يمتلكوها في المستقبل المنظور.

هناك أيضًا عقبة ثانية أمام ثورة دون الميكرون - إنتاج أقنعة أصلية لطباعة الرقائق المعجزة. إذا كان من الممكن استخدام أقنعة مكبرة للدوائر الدقيقة التقليدية، فإن أقنعة دون الميكرون ضرورية للطباعة بالأشعة السينية، على مقياس "واحد إلى واحد". لا يسمح الإشعاع R بتصغير الصورة! وكيف يمكن صنع شكل دون الميكرون؟ مرة أخرى، باستخدام الإشعاع R. ولكن بماذا؟ بشكل عام، سيكون من الرائع تناول الدجاج، ولكن عليك أولاً وضع بيضة في حاضنة. والتي يجب أن تضعها دجاجة غير موجودة...

وهنا، يبرز دكتور العلوم الفيزيائية مرادين كوماخوف. في عام ١٩٩٠، ترأس معهد أنظمة الأشعة السينية البصرية (IROS)، الذي انبثق من معهد كورتشاتوف للطاقة الذرية السري للغاية. اخترع الآن جهازًا مشهورًا عالميًا.

عدسة.

بدأ الحديث عن كوماخوف لأول مرة في منتصف سبعينيات القرن الماضي، عندما اكتشف التأثير الذي سُمي باسمه - وهو تدفقات نيوترونية كثيفة أثناء توجيه الجسيمات المشحونة بسرعة في البلورات. ومع ذلك، ينبغي تأليف كتاب منفصل عن هذا الموضوع. نود أن نخبركم عن الاكتشاف الثوري الذي حققه هذا العالم في أوائل الثمانينيات.

جسم زجاجي مغزلي الشكل، تخترقه مئات القنوات الشبيهة بالخيوط الممتدة من أحد طرفي "المغزل" إلى الطرف الآخر. أدلة ضوئية؟ نوعًا ما. ذات تكوين داخلي معقد للغاية، وذلك لاستخدام زاوية انعكاس صغيرة جدًا للأشعة السينية. ويحتوي كل منها على ما يصل إلى ألف قناة أصغر. ينقسم إشعاع الأشعة السينية، الذي يدخل من خلال فتحة العدسة الضيقة، إلى آلاف الأشعة التي تمتد على طول القنوات. بعد مرورها عبر العدسة، تخرج الأشعة من طرفها الآخر في شعاع كثيف للغاية.

اقترح كوماخوف في عام ١٩٨٦: لنقطع العدسة إلى نصفين، ونضع الجزأين متقابلين تمامًا. وسنضع بينهما دائرة كهربائية دقيقة أصلية عادية، وليست باهظة الثمن، مصنوعة من قناع دون الميكرون. يخرج شعاع الأشعة السينية كشعاع واسع ومتوازي من النصف الأول للعدسة، ويقرأ المعلومات من القناع، ثم يعود إلى قنوات توجيه

الشعاع في النصف الثاني. عند الخروج، نحصل على شعاع ضيق، يُستخدم لطباعة رقائق دون الميكرون. وإذا استخدمنا هذه التقنية في الصناعة، يمكننا صنع دوائر دقيقة تحمل عناصر أكثر بعشرة، أو مئة، أو ألف مرة من أفضل الدوائر اليابانية! يمكننا صنع حواسيب روسية بسعة ذاكرة أكبر بمئات المرات، الأفضل والأقوى في العالم!

بدون سنكروترونات ضخمة وباهظة الثمن. وبمصادر أشعة سينية قياسية لا تتجاوز تكلفتها 200 ألف دولار. وبدون صناعة إنتاج أقنعة دون الميكرون المدمرة للغاية.

والآن، لا نحتاج سوى 25-30 مليار روبل لتزويد البلاد بهذه التقنية الثورية، لتجميع أول وحدة صناعية تجريبية!

سجل كوماخوف براءة اختراعه عام ١٩٩٤، ومنذ ما يقرب من ثلاث سنوات، نمتلك تقنية فائقة قادرة على الارتقاء بنا إلى آفاق جديدة. تُعقد سنويًا في سان دييغو، الولايات المتحدة الأمريكية، ندوة دولية حول بصريات الأشعة السينية، بالإضافة إلى مؤتمر دائم بعنوان "بصريات كوماخوف". وتُستشهد بأعمال هذا العالم في الخارج.

٤

هناك اكتشافات تُغير مجرى التاريخ البشري جذريًا. وما هي عدسة كوماخوف بالنسبة لنا؟ يُمكن مقارنتها بظهور أنبوب الراديو، الذي جلب الاتصالات الأثيرية والتلفزيون والرادار إلى العالم. أو بظهور الترانزستور شبه الموصل، الذي أتاح ظهور الحواسيب والمركبات الفضائية وجميع الأجهزة الإلكترونية الاستهلاكية، والصواريخ الموجهة، والطائرات المقاتلة فائقة القوة.

يمكننا القول: منذ محاولته الفاشلة لتحديث الاتحاد عام ١٩٨٥، امتلك غورباتشوف تقنية فريدة لتحقيق اختراق، والفوز في سباق التسلح، وتحويلنا إلى أغنى دولة في العالم. مصدر أرباح بمليارات الدولارات.

لنتذكر: حتى على أساس إلكتروني متخلف، أنتجت صناعتنا الدفاعية أنظمة متفوقة على الأنظمة الغربية، مبنية على إلكترونيات أكثر حداثة. "أسلحة سريعة"، نظام إس-٣٠٠ لا مثيل له. "نيدل" متفوق على "ستينغر". أقوى طائرة مقاتلة. أنظمة ممتازة للبحث عن غواصات العدو وتدميرها. صواريخ "موسكيت" غير قابلة للانحراف.

أدركت الولايات المتحدة تمامًا أن الروس حققوا كل هذا بدون حواسيب عملاقة مثل "كراي"، التي يستخدمونها لمحاكاة التجارب النووية والطيران باهظة الثمن، مما وفر مليارات الدولارات. أدركوا أنه لو كان لدى الروس على الأقل نفس الحواسيب والإلكترونيات الدقيقة، لكانوا قد تخلفوا كثيرًا عن الولايات المتحدة. لهذا السبب، في عهد ريغان، تم تعزيز لجنة منع توريد التكنولوجيا الإلكترونية الحديثة إلى الروس بكل السبل، وحُجبت محاولاتنا لشراء شركة كراي تمامًا. وضعوا هدفًا واضحًا: اقتصار شراء روسيا لأجهزة الكمبيوتر الشخصية المستوردة فقط، ودفع مليارات الدولارات مقابل ذلك، والوقوع تحت السيطرة الكاملة لمبرمجيهم وشبكات الإنترنت الخاصة بهم. بحيث يُمكن في أي لحظة شلّ إدارة بلدنا بأكملها، وكشف أسرارها، والتحكم في كل خطوة من خطوات السلطات.

كوماخوف وحده كان بإمكانه إفشال هذه الخطة! ومجرد التفكير فيما كانت ستحصل عليه الإمبراطورية لو لم يصل غورباتشوف إلى السلطة أمرٌ مُخيف. ماذا؟ طائرات مقاتلة مزودة بمعدات مصغرة على متنها تفوق نظيراتها. ونتيجةً لذلك، استحوذت قواتنا الجوية على أطول الطائرات مدىً وأكثرها تسليحًا، القادرة على تشويش صواريخها بهجوم إلكتروني ماهر غير مسبوق. صواريخ قتالية قادرة على إصابة حتى الصواريخ الباليستية. أنظمة توجيه فردية للجنود والقناصة، حيث تُظهر شاشات عرض مصغرة موقع المقاتل على خريطة تضاريس غير مألوفة أو في متاهات شوارع المدينة. أقمار صناعية لا مثيل لها للاستطلاع والملاحة. مركبات فضائية تفوق سرعة الصوت تجعل الولايات المتحدة عاجزة تمامًا عن الدفاع. طائرات آلية فائقة السرعة بدون طيار، قادرة على المناورة بأحمال زائدة لا يستطيع أي طيار حيّ تحملها. قادرة على التهرب من أفضل أنظمة التوجيه.

صواريخ xsya. أنظمة صوتية قادرة على رصد حتى الغواصات شبه الصامتة. اتصالات عبر الأقمار الصناعية لكل رقيب. مدافع روبوتية بمعدل إطلاق آلاف الطلقات في الدقيقة، قادرة على إسقاط حتى المركبات المعادية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت. مقاتلات فضائية تدور في مدارات عالية، ورادارات مدمجة للغاية.

إذا كنا قادرين على صنع طائرات ومروحيات - سايبورغ قتالية - حتى مع ضعف الإلكترونيات، فإن تقنية كوماخوف كانت ستصبح بمثابة إكسير قوة غامض لروما الثالثة. كان مرادين أبو بكروفيتش نفسه يعتقد أن بصرياته تُمكّن من إنشاء نظام اتصالات جديد كليًا لا يمكن تشويشه بالتداخل الكهرومغناطيسي، كما فعل الأمريكيون مع العراق عام ١٩٩١. اتصالات لا يمكن اعتراضها أو التنصت عليها سواء من الأقمار الصناعية أو من محطات التجسس الأرضية.

يمكننا خفض تكلفة إنتاج أسلحتنا بشكل كبير. ففي النهاية، كان الروس، بفضل إلكترونياتهم المتخلفة، ماكرين، إذ اختاروا مكونًا واحدًا من عشرة. لكن الآن لم تعد هناك حاجة لذلك. علاوة على ذلك، يُمكننا أن نكون أول من يُصنّع روبوتات قتالية قادرة على التحليق في السماء والأعماق، وقادرة على الاستجابة للإشارات بسرعة البرق وضرب العدو. يُمكننا الحصول على حواسيب عملاقة لمحاكاة تجارب الأسلحة النووية والطائرات والسفن بتكلفة زهيدة.

أتاحتنا الإلكترونيات دون الميكرونية الجديدة فرصة إنتاج إلكترونيات استهلاكية خاصة بنا، لا تقل جودة عن تلك اليابانية أو الكورية. ويمكن لشعبنا شراؤها، وبالتالي جلب مليارات الروبلات إلى الخزينة. بهذه الطريقة، وليس بالفودكا التي تُشرب وتُشلّ الأمة! يُمكننا صنع روبوتات صناعية تُحرر الروس من العمل الرتيب والمُنهك على ناقلات الحركة. بالمناسبة، اقترح الأكاديمي كوشكين آنذاك بناء خطوط نقل دوارة فريدة ذات إنتاجية هائلة، تُختبر في المجمع الصناعي العسكري، وقد عززت تقنية دون الميكرونية هذا الإنجاز المُحتمل في المصانع الآلية المهجورة والنظيفة.

حتى الآن، لا يحتاج البلد إلا إلى 25-30 مليار روبل (على الأكثر 10 ملايين روبل إمبراطوري قديم) لاستقبال أول منشأة صناعية تجريبية لإنتاج أفضل الدوائر الدقيقة في العالم. يمكننا القول بصراحة:

غورباتشوف، الذي بدأ محاولته الدنيئة لتحديث الاتحاد عام 1985، كان يمتلك تكنولوجيا فائقة لتحقيق اختراق. لكن عدسة كوماخوف لم تُلاحظ آنذاك - فهم لا يريدون ملاحظتها الآن.

لو كنتُ الرئيس يلتسين الآن، لكنتُ وجدتُ منذ زمن طويل طرقًا لدعم ثورتنا دون الميكرون، بينما تتحول "الدول" التي ابتعدت عنا إلى محميات طبيعية للحمقى المتخلفين. ما المطلوب؟ أمسكوا خمسة أو ستة تجار فودكا بالجملة في موسكو من أعناقهم، واعصروا منهم خمسة تريليونات لا يدفعونها للميزانية. حتى جهاز الأمن الفيدرالي الحالي الضعيف سيكون كافيًا لذلك - ففي النهاية، جميع المخابئ والمستودعات والقادة، وحتى عشيقاتهم، معروفة. سأجبر لوجكوف على عدم إنفاق المال على بناء "هرم مصري" آخر لا معنى له. سأشكل لجنة سرية وأطبع هذه المليارات البائسة. ففي نهاية المطاف، أرسل غايدار ليلة 4 أكتوبر/تشرين الأول 1993 لأخذ أموال مطبوعة حديثًا من غوزناك لدفع تكاليف خدمات أطقم الدبابات الذين وافقوا على إطلاق النار على مجلس السوفييت!

لكن بصريات كوماخوف لا تزال توفر فرصًا عديدة لتعزيز شعبنا والحصول على مئات الملايين من الدولارات. باتباع العادة المستمرة على مدى ثلاثمائة عام مضت - النظر إلى ما وراء الحدود - دعونا نلقي نظرة على التقويم العلمي الأمريكي "كتاب ماكجرو هيل للعلوم والتكنولوجيا" لعام 1993. كيف يرون مجالات تطبيق العدسات في الخارج؟

حسنًا، بالطبع، في الإنتاج الرخيص للإلكترونيات الدقيقة. ثم - في علم فلك الأشعة السينية، وفي دراسة "الثقوب السوداء" الغامضة، والمجرات المنكمشة، والمستعرات العظمى. أخبرني كوماخوف بنفسه عن تلسكوب أشعة سينية جديد كليًا، وزنه 10 كيلوغرامات، بمساحة مترين مربعين، وسعره مليوني دولار. يشغل أفضل تلسكوب بصري في هيوستن (الولايات المتحدة الأمريكية) مبنى من أربعة طوابق، وقد كلف مالكيه 940 مليون دولار.

في الوقت نفسه، يتمتع جهاز كوماخوف بالقدرة على الرؤية "على عمق أكبر". لن تدخر المراكز العلمية الغربية مبالغ طائلة للحصول على حق العمل على مثل هذا الجهاز.

يُعتبر علم بصريات الأشعة السينية، وفقًا للأمريكيين، مفتاحًا لإنشاء جيل جديد من أجهزة التحليل الكيميائي عن بُعد، سواءً للفرق الكيميائية أو لعلم الأحياء أو لعلماء البيئة. أول جهاز تحليل R من طراز "نالتشيك" جاهز بالفعل. وهناك مشاريع لتطوير العديد من الأجهزة لصناعة الماس. يُمكن من خلاله تحديد صلابة الأحجار، ودرجة تآكل أدوات الماس، وغير ذلك الكثير، مما يوفر للبلاد ملايين الدولارات.

تتيح لنا فرصًا هائلة في مجال الطب، وتشخيص السرطان، ومكافحته. بعد كل شيء، درس كوماخوف مشكلة ما يُسمى بالإشعاع المُوَجَّه في البلورات، وأصبح مُطوِّر عدسات النيوترون. بدمج تقنيتين، تُقدِّم شركة IROS مجموعةً واسعةً من الأجهزة الطبية. يُتيح استخدام الإشعاع المُرَكَّز بالنيوترونات "الدافئة" إمكانية "تفجير" الخلايا السرطانية بطريقة مُوَجَّهة، بعد تشبُّع الورم سابقًا بسائل يحتوي على البورون. ويُجرَى الآن اختبار هذا العلاج بتقنية التقاط التجويف باستخدام تقنيات IROS في فرنسا. كوماخوف، مركز الأشعة الطبية.

اقترح المركز الوطني الروسي للأورام التابع لأكاديمية العلوم الطبية وأخصائيون من مركز موسكو للأورام إنشاء مركز لمثل هذا العلاج في أوبنينسك، والذي سيتطلب حوالي 6 مليارات روبل فقط. لكنهم لم يتمكنوا من توفير حتى هذا المبلغ. بهذه الطريقة، يمكننا إنقاذ مئات الآلاف من مواطنينا، وجعل منطقة موسكو مقصدًا للمرضى من جميع أنحاء العالم، مما يحقق لروسيا أرباحًا طائلة!

يطور مركز IROS أساليب لعلاج أورام المخ والأورام الميلانينية. هناك مشاريع لإنتاج جهاز فلوروغراف منخفض الجرعة، وجهاز ماموغراف رقمي محلي للتشخيص الجماعي للمراحل المبكرة من سرطان الثدي، ومشرط جاما لأورام المخ غير القابلة للجراحة. أجهزة تصوير مقطعي جديدة تتيح رؤية جسم الإنسان "مقطعيًا"، ولكن بدرجة دقة أعلى من التكنولوجيا اليابانية، وبجرعة إشعاعية أقل للمرضى بـ 30 مرة. بشكل عام، تُدرج المجلة الأمريكية 15 فرعًا من فروع العلوم والتكنولوجيا حيث يمكن استخدام تقنيات علمائنا.

عندما عمل كوماخوف في المفاعل النووي ببرلين، لم يكن لديه وقت كافٍ للعمل في المفاعل. ثم قرر تحويل مسار شعاع نيوتروني إلى مختبره. أبدى الألمان استياءهم: فلكي يحدث هذا التحويل، كان لا بد من بناء قناة متعددة الأمتار ومكلفة. صنع كوماخوف جهازًا دوارًا بقياس 16 سنتيمترًا فقط، "يثني" تدفقات النيوترونات بزاوية 30 درجة.

وقد حظي بتقدير المجتمع العلمي العالمي. فاز معهد أنظمة رونتجن البصرية بمنحة من الحكومة الإيطالية لإنشاء تلسكوب فائق. كما حصل على منح من الاتحاد الأوروبي، والمعهد الوطني الأمريكي للصحة، وجورج سوروس. إنهم يدعونه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واعدين إياه بجبال من الذهب...

لكنه بقي هنا. بل باع كوخه الصيفي لمواصلة عمله. هز رأسه قائلًا:

- لو أننا تمكنا من فعل ذلك قبل خمسة عشر عامًا، عندما كان الاتحاد...

لا جدال في ذلك. في الإمبراطورية، لكانت شركة آيروس (IROS) سرية. وفي غضون سنوات قليلة، كنا سنمتلك أفضل إلكترونيات في العالم. لولا سوروس.

- لن أذهب إلى هناك! - يهز رأسه. - كل من ذهبوا إلى هناك أصبحوا الآن فتيانًا. رأيت طلابهم - مستوى شبابنا، لو حسبت عمري، كان أعلى بكثير...

وطنه لا يريد أن يلاحظه. لمدة ستة أشهر، لم يستطع المسؤول عن التقدم العلمي والتقني في روسيا - الأكاديمي فورتوف، رئيس اللجنة الحكومية للعلوم والتكنولوجيا - قبوله. يقولون إن اليهود أذكياء جدًا، ومغامرون جدًا...

فقط حكومة موطنه قبردينو-بلقاريا خصصت له مبلغًا متواضعًا في عام ١٩٩٣. ثم قدم اجتماع المجلس العلمي والتقني للجنة الحكومية للصناعات الدفاعية في أبريل ١٩٩٤ تقييمًا جيدًا لآفاق عمل آيروس.

لكن "صناعة الدفاع" في يلتسينيا اللعينة لا تملك أموالًا. هناك تقييمات ممتازة من لجان مجلس الدوما، ووزارة الاقتصاد، ووزارة الصحة. لكن لا أحد يستطيع منحه المال.

أتذكر كيف افتتح فورتوف، في أكتوبر 1996، مع يهودي آخر، رجل الأعمال سوروس، خطًا جديدًا لـ"الإنترنت". وكيف صرّح سوروس: "أشعر وكأنني قائد في روسيا بين قبيلة تحتاج إلى محو الأمية". إنه لأمر مؤسف. إنه لأمر مُسيء للغاية. نحن نفقد ثمار عبقريتنا مجددًا. أين نخبتنا، التي تُقسم بالوطنية وتقف بالشموع في الكنائس؟ إنهم يُفضلون إنفاق الأموال الطائلة على الاحتفالات، والترف، والولائم الشرهة. لوجكوف يُقيم النصب التذكارية. بوريس أبراموفيتش بيريزوفسكي يُمنح جوائز لمختلف أنواع زويا بوغوسلافسكي الذين يكتبون قصصًا عن مدى جودة هؤلاء "الروس الجدد". أو مُحرك الدمى غابريادزه، الذي يُخرج مسرحيات عن الحرب، حيث الشخصية الرئيسية هي يهودي يُدعى بينخوس. ("دنيبروغ كبيرة، وبينخوس صغيرة!")

جميعكم، أيها "النخبة" المهجورة، صغار. أقزام. بينخوس. وأنت، أيها المصرفي البارز وناشط الحركة الصهيونية، السيد غوسينسكي. ستجدون أموالاً طائلة لدعم قناتكم NTV، لكن لا مستقبل لروسيا. وأنتم يا غازبروم؟ هل يُعقل أن تُنفقوا ملايين الدولارات الآن على مهرجان سيرك هزلي، وأين - على مكان مقدس، في الساحة الحمراء! لعلكم سعداء بسقوط البلاد في خانة المستعمرات الجديدة، ملحقات المواد الخام البائسة للغرب؟

أحني رأسي باحترام أمام القبردي العظيم. يقول بفخر: أنا ابن الاتحاد. البلد الذي علّم جميع مواطنيه. يُذكرني بأولئك المرتفعين الذين ساهموا مساهمة كبيرة في عظمة الإمبراطورية. الجنرال بليف، الذي اندفع عبر جوبي وخينجان عام ١٩٤٥. الأمير بيكوفيتش-تشيركاسكي، قائد بعثة بحر قزوين التي لقي حتفه عام ١٧١٦...

٦

لكن كان من الممكن أن تُصبح تقنية كوماخوف رافعة أرخميدس حقيقية لإحداث ثورة في الحياة الروسية بأكملها. ثورة حقيقية، لا كارثة. في عام ١٩٩٣، اكتمل العمل على حاسوب منزلي بسرعة تصل إلى مليار عملية في الثانية في مدينة نوفوسيبيرسك الأكاديمية. اندهش الأمريكيون - فالروس، بقاعدتهم العنصرية، ببساطة لا يستطيعون ابتكار شيء كهذا! ففي النهاية، صُنعت آلتنا من كتل إلكترونية تسلسلية خاصة بنا.

يكمن سر النجاح فيما يُسمى بالبنية التطورية المفتوحة للحاسوب. ولعل التقاليد الروسية لعبت دورًا هنا أيضًا - صنع المعجزات بمسامير وفأس. ولكن لو امتلكت هذه الآلة المتطورة رقائق كوماخوف دون الميكرون، لتفوقت على جميع أجهزة الحاسوب في العالم!

لدينا آخر

وعقلٌ ثاقب - نيكولاي زاليتشيف، مُطوّر نظرية التحليل الدلالي، ورئيس جمعية المتخصصين في مجال علوم المعلومات. باختصار، يُطوّر برنامجًا حاسوبيًا يُمكّن الآلة من تمرير كمّ هائل من المعلومات غير المتجانسة عبرها. صحيفة، مجلة، مطبوعة. مُركّزًا على معنى الرسائل. وفي الوقت نفسه، يُصبح من الممكن استخراج معلوماتٍ خفية لا يشكّ بها مُؤلفو الرسائل. بمساعدة هذا النظام الدلالي، يُمكن التنبؤ بظهور فروع جديدة من العلوم والتكنولوجيا، والتنبؤ بقفزاتٍ في تطورها (انتقال التغييرات الكمية إلى النوعية)، وإيجاد مساراتٍ خاطئة في تطور الاقتصاد والعلوم والسياسة - مُتتبعًا ردود الفعل الجماهيرية على خطواتٍ مُعيّنة من قِبَل السلطات. هذا الرجل الروسي النموذجي - بلحيته الكثيفة كالمجرفة، وأيديه القوية كأيدي الفلاحين، وعيناه اللتان تُحدقان بنظرةٍ ثاقبة - يُشكّل في الواقع رافعةً قويةً لانطلاقة الأمة نحو قوةٍ غير مسبوقة! نحو إنشاء نظامٍ يُنظّم حياة الدولة بشكلٍ أفضل من أيّ بورصاتٍ أو بنوكٍ أو مراكز تحليلية. نظامٌ لا يعتمد على التواطؤ والمؤامرات ومكائد السماسرة، وأصحاب وسائل الإعلام، والمصرفيين، والمحللين، وجميع أنواع الخبراء في الجهاز الرئاسي. وهم الآن، كما هو الحال في بقية العالم، ينتمون إلى جنسية واحدة محددة.

ولكن كان هناك آخرون، يهودٌ استعماريون. وكما أخبرني مويسي غيلمان، الباحث الرائد السابق في معهد أبحاث عموم روسيا للقياسات البصرية والفيزيائية التابع لمعايير الاتحاد السوفيتي، فقد كانوا يطورون أنظمةً فريدةً منذ عام ١٩٧٨، تجمع أفضل ميزات الحواسيب الرقمية والتناظرية. وباستخدام قاعدة إلكترونية متأخرة مقارنةً بالأنظمة الغربية، تمكنوا من بناء نظام تحكم آلي أسرع بعدة مرات من الأنظمة الأمريكية المبنية على معالجات

IBM الدقيقة. ابتكر غيلمان ورفاقه معالجًا تناظريًا رقميًا فريدًا، وهو Signal. إلى جانب هندسة أنظمة غير مسبوقة، ضمنت ضغط المعلومات المُستقبلة دون إثقال "الدماغ المركزي" ببياناتٍ غير ضرورية.

خضعت هذه الأعمال لدراسة دقيقة من قبل اللجنة العسكرية الصناعية التابعة لحكومة الاتحاد السوفيتي. واستنادًا إليها، صُممت مصانع جديدة ومحطات طاقة آلية. كما طُوِّرت أنظمة تحكم آلية أكثر إحكامًا للدفاع الجوي وأنظمة تحكم في الطائرات الأخف وزنًا.

كان بإمكاننا الجمع بين تقنية كوماخ دون الميكرون وهندسة نوفوسيبيرسك المتطورة، وأنظمة معهد أبحاث القياسات البصرية والفيزيائية لعموم روسيا، وتحليل زاليتشيف الدلالي. لقد تفوقنا على الغرب بكثير...

7

حان الوقت لإخبارك أيها القارئ - بحلول عام 1985، أصبح لدينا أساس تكنولوجي لحضارة غير مسبوقة تمامًا، مختلفة جوهريًا عن الغرب. مستقلة عنه تمامًا. جديرة بقلم جول فيرن، إن لم يكن بقلم آرثر كلارك. ولم يكن عبثًا أن يُنشر كتاب "إيقاظ العملاق الأحمر" في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1986، والذي تنبأ بانطلاقة اقتصادية غير مسبوقة للاتحاد السوفيتي في المستقبل القريب. لم يحدث ذلك. لكنه كان من الممكن أن يحدث.

بدأتُ العمل كصحفي عام ١٩٨٧، في قسم العلوم والصحة في فيتشيرنيا موسكو. شهدتُ نهاية سلطة الدولة. وأقول لكم، هذا صحيح. لم نرَ سوى الهيكل الخارجي للاتحاد - سيارات "جيجولي" العتيقة، ومصانع قديمة بنوافذ متسخة مكسورة وآثار تراب سنوات طويلة على جدرانها. أحيانًا بدا لنا وكأننا تجمدنا لعشرين عامًا - نفس السيارات، نفس طائرات توبوليف وإيل، لم يتغير تقريبًا منذ أغنية البيتلز "العودة إلى الاتحاد السوفيتي" عام ١٩٦٨. نفس المباني الجديدة الكئيبة. لكن الآن اتضح: تحت هذا الهيكل القديم، كان شيء عظيم ورائع ينضج. وكان هناك اتحاد آخر - مخفي، مجهول. اتحاد المدن المغلقة و"صناديق البريد" - نواة محتملة للنمو الهائل. نعم، لم نكن نعرف كيف نصنع "سنيكرز" و"مرسيدس". لكن ما كان يُولد في أعماق وزارة بناء الآلات العامة ووزارة بناء الآلات المتوسطة عوض هذه الفجوة بأكثر من مجرد تعويض.

على سبيل المثال، يذبل العالم أجمع عند التفكير في النفايات النووية طويلة العمر وأجزاء من محطات الطاقة النووية المستهلكة. أين نضع هذا الموت الخفي، لأن DRO يمكن أن "يشع" لعشرات الآلاف من السنين؟ لفها في قوالب زجاجية وتخلص منها في مكان ما - وحتى هذا محفوف بالمخاطر. لا أحد يعلم ما سيحدث في القرن أو القرنين المقبلين. استخدم الفرنسيون، الذين يولدون 80% من طاقتهم في محطات الطاقة النووية، إمبراطورية أفريقيا الوسطى وإمبراطورها بوكاسا، الذي كان يحفظ الأطعمة الشهية في الثلاجة - لحم الإنسان. كانت جميع مناجم ذلك البلد في السبعينيات مليئة بالنفايات المشعة طويلة العمر. عندما توقف الدعم، سقط بوكاسا، وأصبحت الإمبراطورية "جمهورية".

أجاب على هذا السؤال العالمي متخصصون من منظمة NPO Energia، الذين طوروا مشروع Kosatek. صُممت حاوية فائقة المتانة قادرة على تحمل انفجار أقوى مركبة إطلاق على وجه الأرض، إنيرجيا. يحمل هذا الصاروخ هذه الحاوية. تُقذف النفايات، المُغلّفة بغلاف منيع، إلى الشمس - إلى هذا المفاعل الطبيعي العملاق. ووفقًا لأكثر التقديرات تحفظًا، يُتوقع أن يشهد سوق التخلص من النفايات النووية طلبًا هائلًا - حوالي 70 مليار دولار خلال العقد المقبل. ففي نهاية المطاف، بدأ الانهيار الشامل لمحطات الطاقة النووية القديمة في ألمانيا وفرنسا.

إليكم تقنياتنا. هذا

أكثر تعقيدًا بكثير من سدادات تامباكس النسائية...

8

في يونيو 1995، أُطلق صاروخ RSM-50 الباليستي من الغواصة الروسية كالمار في بحر بارنتس. انطلق الصاروخ على شكل قوس عملاق، قافزًا إلى الفضاء الخارجي لفترة. بعد نصف ساعة، انفتحت قبة مظلة فوق

كامتشاتكا. تحتها، كانت وحدة الإنقاذ فولنا تتأرجح على حبال. وكان الهواء يُصفّر بالفعل من مراوح مروحيات البحث.

كان المتخصصون من المركز الروسي لتقنيات الفضاء التطبيقية وجامعة بريمن ينتظرون بفارغ الصبر الحاوية التي عادت من السماء. كان الألمان المتمرسون سعداء بالحساب: 20 دقيقة من انعدام الوزن تكلف أكثر من 300 ألف دولار فقط. بالنسبة لهم، كان هذا الحساب يعني توفيرًا كبيرًا. وهذا هو السبب.

هناك مواد في العالم أغلى بمئات المرات من الذهب والماس. تتمتع هذه المواد بخصائص طبية، قادرة على إنقاذ حياة الإنسان. أحد هذه المركبات العضوية الفريدة، عامل نخر الورم، يُباع بسعر 31.5 مليون دولار للغرام في السوق العالمية. إنه علاج فعال لمرض خطير، السرطان. مادة أخرى، عامل النمو البشري، تُقدر قيمتها بأكثر من ذلك: 115 مليون دولار للغرام. عامل نمو الأعصاب يُباع بأكثر من 10 ملايين دولار للغرام. مواد طبية أبسط تُباع بأسعار أقل بكثير، لكنها تُباع بأسعار فلكية. يُباع مضاد الثرومبين-3 بسعر 110 آلاف دولار للغرام. هرمون تحفيز الجريبات يُباع بسعر 9 ملايين دولار. إندورفين بيتا البشري "منشط" قوي لدرجة أنه يُعطي مفعوله حتى في حالة الإصابة بجروح قاتلة. وقد سُجلت حالات مأساوية تُثبت فعاليته: كان الجرح قاتلاً، وكان من المفترض أن يسقط الشخص في مكانه، لكنه استمر في الركض بفضل الإندورفين المُفرز في الدم عند الإصابة. تُطلق هذه المادة - بكميات مجهرية - في الدم أثناء الجماع. إنه مُنشِّط قوي.

في الظروف الأرضية، يصعب للغاية تصنيع هذه المواد صناعيًا، إذ يتطلب ذلك انعدام الجاذبية. ولهذه الغاية، ابتكر الاتحاد السوفيتي وحدات الهبوط - وحدتي "إيفير" و"سبرينت إم" التكنولوجيتين الحيويتين، والمُصممتين لإنتاج أشباه موصلات فائقة النقاء - وهو منتج آخر مربح للغاية في السوق العالمية. صُنعت هذه المعدات الفريدة في منظمة "كومبوزيت" غير الربحية وفي مركز التكنولوجيا الحيوية الفضائية. وتوصلوا إلى فكرة تركيب هذه الوحدات على صواريخ باليستية غواصة منخفضة التكلفة وقليلة التكلفة، وقد أثبتت فعاليتها منذ فترة طويلة. وهكذا، تم التفكير في دورة كاملة تقريبًا من التكنولوجيا الفريدة: موانئ فضائية عائمة ممتازة (أرخص بمئات المرات من الموانئ الثابتة، مثل بايكونور أو بليسيتسك)، يمكن من خلالها إطلاق مصانع صغيرة إلى الفضاء من أي نقطة في محيط العالم، وخاصةً بالقرب من خط الاستواء، حيث يعمل دوران الأرض كجهاز طرد مركزي، مما يقلل من تكاليف الطاقة ويسمح بزيادة حمولة الصاروخ. يُعد الإطلاق البحري أكثر فائدة لأن المراحل المستهلكة تسقط في المحيط، دون الحاجة إلى دفع تكاليف مساحات شاسعة، كما هو الحال مع الإطلاق من سطح الأرض.

في ظل تقنيات الجاذبية الصغرى هذه، يُعد صاروخنا "RSM-50 "Zyb اكتشافًا حقيقيًا. كما تتذكرون، فقد طُوّر في مكتب ماكييف للتصميم، ولا يزال لا يُضاهى في الغرب من حيث الاكتناز والتكلفة المنخفضة والموثوقية. تُدفع محركاته إلى خزانات الوقود، التي تعمل جدرانها كهياكل داعمة.

تم اختبار موثوقية إطلاق الوحدات أولًا في ديسمبر 1991، ثم بعد ذلك بعام. في كلتا المرتين، هبطت المركبات التي أُطلقت من شواطئ شبه جزيرة كولا في كامتشاتكا. وفي كلتا المرتين، عند الذهاب إلى الفضاء، حصلنا داخل الهيكل على انعدام وزن ثمين، وهو أمر ضروري للغاية للحصول على أثمن المواد فائقة النقاء. استغل الألمان تطويرنا على الفور. ففي النهاية، للحصول على خمس ثوانٍ على الأقل من انعدام الوزن، عليهم إسقاط حاويات من برج بارتفاع 146 مترًا في بريمن. ولتوفيرها لبضع دقائق - إسقاط المعدات من منطاد مرفوع إلى ارتفاع أربعين ميلاً! أرسل هنري هاغارد أبطاله الأدبيين بحثًا عن كنوز لا تُصدق إلى قلب إفريقيا، إلى مناجم الملك سليمان الأسطورية. أبحر المصريون القدماء إلى أرض بونت الغامضة. يغتصب عرب اليوم أمعائهم، ويعطون النفط للغرب مصاص الدماء. يمكن أن يكون لدينا بونت خاص بنا، مناجم سليمان الخاصة بنا - في انعدام الوزن. نحن، الوحيدون في العالم بأسره. بالإضافة إلى الصواريخ، يمكننا إنشاء وسيلة أرخص للذهاب إلى المملكة بدون وزن - أنظمة الطيران والفضاء. كانت تلك بلدنا الخيالي أوفير، وكان بإمكاننا أن نرفض إلى الأبد تدمير أرضنا السيبيرية، وبيع النفط بطريقة همجية. دعه يكمن في الأعماق لقرون قادمة. تستخدمه البشرية اليوم بطريقة همجية، تحرقه مثل البنزين في محركات السيارات. أو مثل زيت الوقود - في الأفران. في النهاية، النفط مستودعٌ لا يُقدّر بثمن للطاقة الشمسية، وهو بقايا الحياة في العصرين الوسيط والجوراسي، أو حتى في حقبةٍ أقدم - حقبة الحياة القديمة. يومًا ما، ستتعلم البشرية صنع أشياء رائعة من النفط. وقد نُجبر العالم أجمع على حرق مستقبله، مُخزّنًا نفطه لوقتٍ لاحق.

كوف. كان لدينا بونت آخر - من صنع الإنسان، روسي، عالي التقنية.

للأسف، لا يمكننا الحديث عن كل هذه المظاهر للحضارة الروسية الأصيلة. وإلا، فسيكون كتابنا طويلاً ككتاب "الحرب والسلام". سنترك شيئًا للكتاب التالي. إن شاء الله، سنتمكن من نشره. لا يسعنا إلا أن نلخص بإيجاز ما أبدعه العبقري الروسي.

نعم، كنا روادًا في مجال الفضاء. سبقنا الولايات المتحدة والعالم بعقدين في الرحلات المأهولة. راكمنا مخزونًا هائلًا من التقنيات المتعلقة بدعم الحياة خارج الأرض. وهذا لم يبشر بإمكانية السفر المأهول بين الكواكب فحسب، بل وضع الأساس أيضًا لإنشاء مصانع مدارية ضخمة لصناعة فائقة النظافة في الألفية القادمة. وفي المحطات المدارية، كان الروس متقدمين على الجميع. الآن نُقدم كل هذه التطورات للأمريكيين مجانًا، نتوسل للحصول على الدولارات. عندما يُدمروننا تمامًا، سيتخلصون من روسيا، كما يُرمى الواقي الذكري المُستعمل. في النهاية، مع الفقر في روسيا، توقفنا عن تكديس الاحتياطيات العلمية والتقنية.

أسطولنا من مركبات الإطلاق لا مثيل له. لقد طورنا صواريخ تعمل بغاز الميثان الرخيص والصديق للبيئة. (بالمناسبة، بعد اختبار أول صاروخ مدني في العالم "توبوليف" يعمل بالغاز المسال). أطلق مركز ماكييف الحكومي للصواريخ مشروع "الريكشو" - إطلاق صواريخه المدمجة بأقمار صناعية من جرارات! دون أي موانئ فضائية! وهذا يبشر بالاستحواذ على السوق العالمية لإطلاق أقمار الاتصالات. وقد يكون عملاؤنا دولًا سريعة النمو وذات جدارة ائتمانية - البرازيل، والأرجنتين، والهند، والصين، "نمور" جنوب شرق آسيا. ونفس العالم العربي الممتلئ بأموال النفط. ها هم، كنوز روما الثالثة السرية...

وعلى الأرض، كان لدينا ما نفخر به. ولم يكن عبثًا أن اقترح مغني العملاق الإمبراطوري التكنوقراطي، الكاتب ألكسندر بروخانوف، عام ١٩٩١، وهو ينظر برعب إلى الدمار الوشيك، تغليف مراكز المجمع الصناعي العسكري الروسي. لو اتجهتَ جنوبًا من موسكو، مثلًا، لوصلتَ إلى مدينة أوبولينسك، تلك المدينة التي يقع فيها مركز الدفاع لعلم الأحياء الدقيقة التطبيقي، المتروك تحت رحمة الحكومة الحالية شبه الكاملة. تُخزَّن هنا سلالات فريدة من الكائنات الدقيقة، ويعمل العلماء هنا مقابل أجر زهيد لإنتاج أدوية لعلاج السرطان.

من الممكن إنتاج الأنسولين البشري المُعدَّل وراثيًا، مع التخلي نهائيًا عن الحاجة المُرهِقة لإنفاق مئات الملايين من الدولارات لشرائه من الخارج. في الحزب الشيوعي الروسي، عثروا على لقاح ضد فيروس إيبولا الغامض الذي هاجم الكوكب عام ١٩٩٤، وأودى بحياة المصابين به في يوم واحد فقط. مثل الطاعون القرمزي في قصة جاك لندن المُرعبة.

الآن، وبسبب النقص المستمر في التمويل، يُهدد المركز باستمرار انقطاع التيار الكهربائي. وهذا محفوف بانتشار بكتيريا ممرضة خطيرة كالطاعون والجمرة الخبيثة في البيئة، أو حتى ميكروبات متحولة غير معروفة تمامًا في الطبيعة. لأن الحزب الشيوعي اليوغوسلافي (CPM) وُلد من قِبل الإمبراطورية لشن حرب بكتيرية وحمايتنا من هذه الأسلحة. لذلك، تعمل المضخات الكهربائية باستمرار في مبانيه، مما يُحافظ على ضغط أقل فيها مقارنةً بالجو المحيط.

إذا استثمرنا الأموال هنا بحكمة، ولم نُبذرها في أحواض ركوب الخيل، فستظهر في أوبولينسك مدينة تقنية علمية قوية، تُشبه سويسرا ثانية.

وهذا كله ليس سوى جزء من ذلك المستودع التكنولوجي الذي يُمكن أن يُصبح، ولا يزال، "إكسير النمو" لاقتصادنا. ليس لدينا أي سبب للشعور بالنقص أمام الغرب واليابان. لقد حان الوقت لإنشاء صندوق وطني للتكنولوجيا العالية.

حان الوقت لاستخلاص النتيجة. لا يزال الغرب يخشى منا كمنافس قوي محتمل قادر على إقصاء شركاته من السوق العالمية، أو تقديم سلع وخدمات غير مسبوقة للعالم. لن يستثمر أبدًا رؤوس أمواله في مجال التكنولوجيا المتقدمة الروسي. وإن فعل، فسيكون ذلك فقط لتصدير نتائج البحث والتطوير، ووضع جميع الأعمال اللاحقة

تحت سيطرته. لا يوافق إلا على استيراد التقنيات التي طورها بالفعل إلى هنا، أو إنشاء إنتاج معدات غربية قديمة في روسيا، مما يجعل الروس متخلفين إلى الأبد.

أتيحت لي فرصة التحدث مع أحد مسؤولي وزارة الوقود والطاقة الحالية، الذي كان منخرطًا في العديد من قضايا استخدام قدرات التحويل في صناعة الدفاع لتلبية احتياجات قطاع النفط والغاز المحلي. أخبرنا كيف تمكن مصنع يورجينسكي في منطقة كيميروفو، بعد أن فقد طلبات عسكرية على الصواريخ في عهد غورباتشوف، من بناء مجمع رائع لتعدين الفحم في وقت قياسي. وقبل ذلك، أمضى الاتحاد سنوات طويلة في إنفاق العملة على شراء الآلات المستوردة. لكن عندما استُدعي وفد من شركة دريسر، أكبر مُصنّع غربي لمعدات مجمع الوقود والطاقة، إلى يورغا، لم يُبدِ حماسًا يُذكر. قال لي المسؤول بمرارة: "يُدرك الغرب أننا لا نحتاج منه إلا إلى المال، وأننا لسنا بحاجة إلى تقنياته التي يُمكنه من خلالها التحكم في تطورنا كما يشاء. إنه يعلم أنه يُمكنه أن يُغذي نفسه بمنافس. ولذلك سيبذل قصارى جهده للقضاء على ثقافتنا التكنولوجية الأصيلة. ولحسن الحظ، تُساعده الدولة الروسية نفسها كثيرًا في هذا. لكن الدولة وحدها...

يمكن للغرب استخدام "تقنيتنا المتقدمة" لتحقيق اختراق.

الكراهية والخوف منا متأصلان في الغرب على المستوى الجيني. لطالما كان هذا وسيظل، حتى لو أصبحنا نسخة طبق الأصل من أمريكا. كانت القوة المشتركة للعقول والإمكانات التقنية لروسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا بمثابة أبو الهول بالنسبة له. وسيبذل الغرب قصارى جهده للاستيلاء على مهد قوتنا.

لقد نجح في تحقيق الكثير عندما كانت الثروة الوطنية تُوزع ببذخ من خلال أغلفة الحلوى وقسائم تشوبايس. اشترى ن. فولكوف، المسجون مرتين، بعد أن أسس شركة وهمية "نيك آند سي كوربوريشن" في الولايات المتحدة، كميات كبيرة من أسهم الشركات المخصخصة في مجمعنا الصناعي العسكري بمبلغ إجمالي قدره 6 ملايين دولار، بقيمة سوقية قدرها 4.5 مليار دولار! استحوذ على 34% من أسهم "أفيونيكس"، الشركة الوحيدة المصنعة لأنظمة التحكم عن بُعد للطائرات. خمس مصنع بالاشيكا للمسبك والميكانيكا، وهو مورد لمسبوكات فريدة لصناعة الطائرات بأكملها في الاتحاد. اشترى العديد من أسهم مصنع توشينو لبناء الآلات، الذي قام بتجميع بوران، ومكتب تصميم ليولكا-ساتورن، ومصهر المحركات الفريدة ذات توجيه الدفع المتحكم به للطائرة المقاتلة العملاقة سو-37، مما أدى إلى تطوير محركات الفضاء ومحطات الطاقة. واشترى العديد والعديد من الأسهم الأخرى. لا ينوي استثمار أي شيء، ويسعى جاهداً لشراء الأسهم المسيطرة. فقط إعادة بيعها في الغرب سيجلب أرباحًا بالآلاف في المائة! (صحيفة روسيسكايا غازيتا، 18.12.96) نعم، ليس من قبيل الصدفة أن يزدهر الابن المجيد للشعب اليهودي، توليا تشوبايس، مع زوجته ماريا دافيدوفنا! نحن أغنى وأقوى من العديد من القوى بفضل إرث أسلافنا - العقول والأراضي الشاسعة والموارد. قليلون يعلمون أن الغرب لا يسمح بدخول اليورانيوم لدينا إلى أسواقه لرخص ثمنه. فإذا استخدم الغرب تقنية نشرٍ مُستهلكة للطاقة لتخصيب هذا المعدن، فإننا نستخدم تقنية طرد مركزي تتطلب كهرباءً أقل بثلاثين مرة! لكن الشركات الغربية لا تريد خسارة أرباحها، وخلافًا لجميع قوانين "السوق الحرة"، أعلنت أن اليورانيوم لدينا "مُهدر". (على عكس مُلاك الكرملين لدينا، الذين يسمحون بتدمير صناعتنا من خلال واردات "أرخص"). قليلون يعلمون أنه في عام ١٩٤٥، لاحظ قادة ستالين اكتشافًا رائعًا لكاتب الخيال العلمي والفيزيائي سيرجي سنيجوف ("أشخاص كالآلهة"!)، بعد أن قضى عقوبةً لعدم موثوقيته. اكتشف أن بحيراتنا القطبية تُخزّن طبيعيًا "اللماء الثقيل" الضروري للصناعة النووية. وحيث ينفق الأمريكيون مبالغ طائلة لإنتاجه أو شرائه، فما علينا سوى تقديم المساعدة. شيء واحد يمكننا قوله: لا يمكن للروس الاعتماد على استخدام تقنياتهم المحلية الفائقة إلا لأنفسهم، وعلى برامج الحكومة بالدرجة الأولى. كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية بين ثلاثينيات وستينيات القرن الماضي. ولهذا، يمكن طباعة النقود. ولكن ليس على شكل روبلات نقدية، بل على شكل أوراق نقدية صناعية، ستستبدلها الدولة بالروبل بعد بضع سنوات، عندما تُثمر المشاريع التي مولوها! ولا تضخم، بل نمو فقط! في الحقبة السوفيتية، كما أعتقد، لم نستخدم حتى نصف احتياطياتنا من القوة لتحقيق اختراق واستنزاف العدو. سنوات من التوتر تحت رايات قادرة على حمل الجماهير معها - وكادت الولايات المتحدة أن تتوسل الرحمة!

لهذا السبب يتضح لنا: في عام ١٩٨٥، كان غورباتشوف يمتلك سيفًا عسكريًا ونصلًا اقتصاديًا لا يُضاهى. وقد كسرهما بعجز. كانت للإمبراطورية إمكانات أكبر بمئة مرة لتحقيق اختراق مقارنةً باتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية في عهد ستالين في ثلاثينيات القرن الماضي. لماذا حدث هذا؟ وكيف اختلف عهد بريجنيف-غورباتشوف عن عهد جوزيف فيساريونوفيتش؟

لكم أن تلعنوا ستالين على القمع الذي مارسه، ولكن يمكن بالتأكيد استعارة "تقنية" واحدة منه. تلك التي دُمرت في عهد نيكيتا كوكورزني وليونيد مياغكوتيلي. وهي تمجيد السلك الهندسي والتكنوقراطي والحفاظ على مكانته الرفيعة في المجتمع، بالإضافة إلى الحفاظ على تسلسل هرمي صارم بين العمال حسب مؤهلاتهم.

في عام ١٩٩٣، نشر حزب التكنوقراط كتيبًا شيقًا بعنوان "الحجج المضادة والحقائق"، قدم فيه إحصاءات مقارنة مفيدة:

الجدول ١١. تمايز متوسط الأجور حسب مؤهلات العمل
وحدة القياس ١٩٤٠-١٩٨٤
متوسط الراتب

العمال: ٣٢٤,٢٠٥ روبل
المهندسون: ٦٢٦,١٦٠ روبل
الموظفون (المسؤولون): ٣٦٠,٢٠٥ روبل
نسبة الإنفاق على التعليم من الدخل القومي: ١,٦٪ ٠,٨٪

الفكرة بسيطة: عندما حلّ عام ١٩٤٠، كانت الإمبراطورية تتقدم بخطى سريعة. وما إن بدأ الكرملين بتحويل المجتمع إلى كتلة رمادية، حيث انخفضت قيمة التعليم والمهارة، وأصبح المسؤول أهم من الخالق، صانع السلطة، حتى بدأ الانهيار:

...في آلة ستالين، تم تكييف محرك الربح التقليدي كعداد سرعة. لعبت الطبقة الاجتماعية، التي كانت بمثابة الداعم الرئيسي لثورة ستالين الصناعية، دور المحرك...

...اليوم، لا نجد سوى إشارات متفرقة ومعزولة إلى هذا المحرك... في كتاب البروفيسور الأمريكي هـ. ك.

في المجتمع السوفييتي خلال الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٢، برز العمال الشباب ذوو المهارات النسبية كطبقة خاصة، احتلوا موقعًا وسطًا بين العمال القدامى المتوارثين والجدد - أبناء الريف. كانت هذه الفئة الاجتماعية هي التي طالبت بارتفاع معدلات التصنيع، ولحماية مصالحها، اتحدت في كتائب صادمة، وبدأت المنافسة. في عهد ستالين نفسه، لم تكن مثل هذه التصريحات، التي تُقسّم جلالته ديكتاتور البروليتاريا إلى فئات فرعية، موضع تشجيع يُذكر... كان من شأن المزيد من التوضيحات والتفصيلات أن تُفضي إلى كشفٍ غير مرغوب فيه لتناقضات حادة داخل البروليتاريا نفسها آنذاك: تناقضات بين العمال في العمل الذهني والبدني، وبين العمال في الصناعات البسيطة تقنيًا والمعقدة تقنيًا، والصناعات كثيفة الاستخدام للعلم، إلخ.

في ظل صراع حاد مع التروتسكيين، الذين عبّروا عن وجهة نظر العمال ذوي المهارات المحدودة، المستعدين لرؤية "البرجوازية" في أي متخصص أو مهندس أو صاحب عمل - في مثل هذه الظروف، ما كان ستالين ليُعلن صراحةً حبه لجزءٍ فقط من العمالة المأجورة. لكن الحقيقة هي أن جزءًا من البروليتاريا، أي جزءها الماهر، هو الذي رعاه هذا القائد بين عامي ١٩٢٩ و١٩٣٢، ورفعه إلى مستوى المهندسين عام ١٩٤٠، ومنحه مكانة مرموقة من حيث الأجور... ويتجلى "حبٌّ خفي" آخر لستالين عند مقارنة بيانات نفقات التعليم. هنا، كان مخلصًا لعقيدته الاقتصادية الرئيسية حول أعلى ربحية للاقتصاد الوطني... إن الإنفاق على التعليم في أي لحظة لا يُدرّ دخلًا، بل يُؤتي ثماره أضعافًا مضاعفة على المدى الطويل. في عهد ستالين، حُلّ هذا التناقض بشكل حاسم لصالح المستقبل، ووُضع حاملوه - المعلمون وأساتذة الجامعات - في مرتبة الأولوية مقارنةً بـ"البروليتاريا الديكتاتورية". ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه في عام ١٩٥٨، أنفقت الولايات المتحدة ١٪ فقط من دخلها القومي على التعليم. أي أقل مما أنفقته "ديكتاتورية البروليتاريا" في الاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩٨٩ - أكثر من ثلاثة أضعاف، أي أكثر بكثير من "الاشتراكيين المتقدمين". في عهده، وُضعت أسس كل تلك المعجزات التي وصفناها في هذا الكتاب. في عهده، وُلدت ظواهر مصممي سوخوي وإليوشين، وكوروليف وكيسونكو،

وكورتشاتوف ولوزينو-لوزينسكي، وماكييف وبيرييف. ظهر شيبونوف وكوماخوف بدافع ستالين. في عهد جوزيف فيساريونوفيتش، دخل مبتكرو أو مُعلّمو مبتكري تونغوسكا، و"الأسلحة السريعة"، وصواريخ كروز، والإلكترونيات، إلى عالم الشهرة. قام عمال ومهندسو تدريب ستالين بتجميع تكنولوجيا الفضاء وبناء مراكز نووية. في عهد ستالين - وأنا أعلم هذا من تاريخ عائلتي - كان المهندس يُساوي وزنه ذهباً، وكان بإمكانه امتلاك سيارة. كان طالب الدراسات العليا في جامعة موسكو الحكومية يذهب في إجازة إلى الجنوب، وكان الطلاب والأطباء يحصلون على مخصصات خاصة "للكتب" - لشراء أدبيات علمية جديدة. بالإضافة إلى يوم خاص بالمكتبة أسبوعياً. في عام ١٩٥٢، كان بإمكان والد زوجتي الالتحاق بالجامعة "الوطنية" بفضل منحة الطلاب. كان لدى الأساتذة سيارات وخدم.

في عام ١٩٤٢، زار وزير التسليح في عهد هتلر، ألبرت سبير، دنيبروبيتروفسك، معملنا المستقبلي لتكنولوجيا الصواريخ. (الذي - يا للعجب! - خسرناه مع انهيار الإمبراطورية). أُصيب اليسار الألماني بالدهشة: لم يسبق له أن رأى مثل هذه الوفرة من المعاهد والمدارس التقنية حتى في ألمانيا، التي كانت مُمَيكنة بالكامل.

لهذا السبب، تُشبه حقبة ستالين انفجارًا هائلاً، كنا نتحرك على إيقاعه المتلاشي لما يقرب من أربعين عامًا. في عهد ستالين، حاولوا اتباع المبدأ التالي: كلما درست أكثر، زادت مؤهلاتك، وارتفع مكانتك في التسلسل الهرمي الإمبراطوري، وازداد ثراءك. ثم جاء خروتشوف، الذي نفّذ برنامج تروتسكي، ذلك الديماغوجي الصهيوني النموذجي. لقد خفض أجور الطبقة الماهرة، ولم يفعل بريجنيف سوى تفاقم هذا التوجه السخيف. ورث غورباتشوف عنهم نظامًا سخيفًا، كان فيه أجر الجراح أقل بخمس مرات من أجر عامل المنجم، وكانت النادلة تعيش حياة أفضل من حياة مهندس في صناعة الفضاء. في سبعينيات القرن الماضي، كان بإمكان الشاب الذي يتقن مهنة تجميع معدات الراديو في شهر واحد أن يكسب 500 روبل شهريًا. بينما كان عمل تجميع المعدات المعقدة، وهو عمل أصعب بمرتين، يُقدّر بمرتين أقل من عمل صانع الأدوات أو فني الإصلاح. في ثلاثينيات القرن الماضي، اعتُبرت محاولات مساواة أجور العامل ورئيس العمال "جريمة معادية للثورة"، وفي سبعينيات القرن الماضي، كان رئيس العمال يكسب أقل من مرؤوسيه. كان رئيس مكتب التصميم، الذي كان يومًا ما من نخبة ستالين، يكسب 150 روبلًا شهريًا، بينما كان متوسط أجر الجراحين 110 روبل.

هذا أحد أسباب انهيار الإمبراطورية. يقول كتابٌ للتكنوقراط:

"عندما سُئل كاتبٌ رومانيٌّ قديمٌ عن أسباب انحدار روما، قال: لا شيء يُفيد مدينةً تُقدَّر فيها قيمة الحمار على العبد. بلدٌ أصبحت فيه قيمة مشرط الجراح أقل بخمس مرات من قيمة مكواة اللحام للمتدرب، وحيث كان أجر المهندس في عصر الثورة العلمية والتكنولوجية أقل من أجر العامل - بلدٌ كهذا كان مُقدَّرًا له أن يُكرِّر مصير روما القديمة."

في عام ١٩٨٦، ألغى غورباتشوف شعار التسريع والإنجاز في أقصر وقتٍ ممكنٍ من المستوى العالمي في

الصناعة المدنية. بدا وكأن هناك احتياطيًا هائلًا من التقنيات اللازمة لذلك. لكن في هذه "القفزة الكبرى" المُخطط لها، لم يكن لديه، على عكس ستالين، من يعتمد عليه - أُهين أصحاب السيف والمطرقة، وهُمّشوا، وشعروا بالمرارة. لم يفعل غورباتشوف شيئًا لاستعادة هرمية سليمة. دعم المهندسون والعلماء المُتذمرون الديمقراطيين المغامرين، ظانّين بسذاجة أنهم سيضعون كل شيء في نصابه. ("وضعوه في نصابه" - أغرقوا الطبقة المؤهلة في فقر مدقع). في الوقت نفسه، كان الديماغوجيون مدعومين من البروليتاريا، التي أصبحت جشعة في عهد بريجنيف، بعد أن استولت على البيانوهات والأجهزة وعربات اليد - أرادت أجهزة فيديو مستوردة، وملابس، وخرقًا.

لهذا نقول: كان الاختراق ممكنًا. ولهذا السبب نريد أن نُهلك "نخبتنا" اللعينة ونُهلكها، كأوراق اللعب القديمة، ونرميها في الفرن. مع هذه "النخبة"، لا أمل لنا، سواءً تشوبايس أو لوجكوف. ليست أقوالهم هي المهمة بالنسبة لنا، بل أفعالهم. وقد بلغت أفعالهم حدّاً جعل آل كوماخوف وكوليبين يموتون في روسيا اليوم، وقد انزلقت البلاد نفسها إلى دور العبد، سلة مهملات للغرب!

بدلاً من خاتمة. من "سيف مكسور" إلى "إرادة الأرثوذكسية النووية"

وهكذا انتهينا من كتابنا الاستقصائي حول موضوع: "من خسر الحرب العالمية الثالثة، الحرب الباردة، ومن سقط في سباق التسلح؟" في السماء، وفي الفضاء، وفي البحر، كنا نحن الروس، من كانت لدينا كل فرصة للفوز. وفي الوقت نفسه، لم نتمكن إلا من رسم الخطوط العريضة المهيبة لإمبراطوريتنا التي لم تتضح معالمها قط.

ذات مرة، عام ١٩٧٨، عندما أتيتُ إلى موسكو طفلاً، تمنيتُ البكاء طوال اليوم الأول. تخيلتُ العاصمة مدينةً بيضاء كالثلج، متلألئةً بالزجاج والمعدن، نظيفةً حتى العُقم. لكن من نافذة غرفتي في المستشفى، رأيتُ فناءً قذرًا فيه مكب نفايات. وكنتُ على وشك البكاء من خيبة الأمل.

والآن، أنا أيضًا، أشعر بالإهانة حتى البكاء. اتضح أنني عشتُ في الاتحاد، لكنني لم أرَ سوى فناءً قذرًا. أحيانًا أظن أن هذا الفناء هو الوطن العظيم بأكمله. أشعر بالإهانة لأنهم أخفوا عني شيئًا ضخمًا، براقًا، ومذهلًا. لم يتبقَّ لي الآن للبحث سوى شظايا وبقايا بائسة.

لكن هذا أمرٌ شخصيٌّ للغاية. الآن، بعد أن قرأتَ الكتاب الأول، يا عزيزي المحاور، ستفهمني. ولماذا يُعتبر أصحاب السلطة في دائرتنا خونة؟ في عام ١٩٨٥، كانت البلاد تقف على أعتاب عالمٍ جديدٍ تمامًا من القوة والثروة. لكننا أُلقينا بعيدًا عنهم، وطعنا في الظهر بخيانة. هاجمت هذه الطائرات المسيرة الصلعاء ذات البطون المتهدلة من هم الآن في الثلاثين من عمرهم أو أقل. قال والدي، المولود عام ١٩٤٣، ذات مرة: "أشعر بالخجل من جيلي". لا يا أبي، ما زلتَ تُغرس فيّ القدرة على التفكير... كانت الدولة تمتلك "رواسب" تكنولوجية هائلة وجيشًا كاملًا من الكفاءات. بعد أن أطاحوا بالدول في سباق التسلح، استطاع الروس تخفيف الضغط العسكري الهائل على الاقتصاد واختيار أهم التقنيات من بين كمّ هائل منها، مُراهنين عليها. وكان لدينا الكثير للاختيار من بينها. كان بإمكاننا بناء أقوى دولة تكنوقراطية وتكنولوجية متطورة، وبدء "الإصلاح"، لإحياء الأساس السليم للشعب. بناء أرستقراطية عسكرية، وعدم الشعور بالخجل من جدارتنا في الحروب. كنا نُرسي سلامًا دائمًا على كوكبنا بدلًا من الفوضى الدموية الحالية، وسرعان ما كانت مآثرنا العسكرية ستتدفق في دافعٍ هائل - نحو استكشاف أعماق المحيطات والفضاء الخارجي، نحو بناء جيلٍ من أذكى البشر، مستقبل البشرية.

لم ننهار إلا بسبب فساد النخبة الحاكمة وغضبها. إن سبب كارثتنا الوطنية غير جوهري. إنه متجذر في فقدان الروح، والتسلسل الهرمي السليم، وتراث أسلافنا.

نشعر بحزنٍ عميق على الإمبراطورية التي كان من الممكن أن يتحول إليها الاتحاد السوفيتي. كان لا يزال يتعين علينا نحتها، كما لو كانت منحوتة، مانحين الكتلة الضخمة أشكالًا إمبراطورية، وتناغمًا سياديًا. ولكن بدلًا من ذلك، تحطمت الكتلة إلى قطعٍ مكسورةٍ قبيحة.

كتابنا ليس سوى محاولةٍ لانتزاع القوة الروسية الجبارة من الظلام الكامن إلى شظايا. نحن أشبه بمن يحاولون إضاءة كاتدرائية مهجورة مهيبة بشعاع مصباح يدوي خافت ليلاً، قبتها تستقر على السحاب. كاتدرائية مُدنسة ومُدنسة، حيث تُحاكي أقزام القردة، مرتدية ثيابًا كهنوتية، عبادة البشر. لكن حتى حياة الإنسان قد لا تكفي لفهم ما كنا عليه قبل عشر سنوات فقط.

الآن تعرفون لماذا كان الغرب يخشى منا بشدة، وبذل قصارى جهده لوقف نمو الحضارة الروسية. لا يزال يُدرك أننا لسنا البرازيل أو الصومال، ولا يُمكننا أن نُدمر تمامًا بوصفات صندوق النقد الدولي. بيننا لا يزال ملايين البشر، من ذوي السيف والمطرقة، محاربين ومصممين، علماء ومهندسين. لذلك، فإن أهم شيء اليوم هو البقاء كشعب. من خلال جمع الناس بشرف وضمير، وذكاء وشجاعة في مجتمعات جديدة. وهكذا تم إنقاذ الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وجمع أفضل الناس في مجتمعات مسيحية وتجنب الانهيار الرهيب لروما الغربية في القرن الخامس الميلادي. ولكي نفعل شيئاً مماثلاً، يتعين علينا أن نزيل الأوساخ عن صور الإمبراطورية والحضارة الجديدة، وأن نظهر للروس ما فقدناه على مدى السنوات العشر الماضية.

ت.

الخلاص من صنع أيدينا. فعندما نرى القادة الحاليين، تتبادر إلى أذهاننا صورة مختلفة: أقزام جهلاء، يجلسون بين أنقاض روما، بين الأعمدة والأروقة والقباب المتشققة والمغطاة بالطحالب. يرتدون أقمشة إمبراطوريّة بالية على أجسادهم القذرة، ويسمون أنفسهم نبلاء، بينما يخدشون أنفسهم من القمل. يمزقون رخام المعابد والمزارات

القديمة من أجل تشييد قلاع بائسة. برابرة، استولوا على ألقاب القناصل والمبعوثين، لكنهم يتجشؤون الثوم وتفوح منهم رائحة العرق.

لا نريد أن نقول لك وداعًا أيها القارئ. ونخطط لكتابة جزء ثانٍ لهذا الكتاب. ففي النهاية، لم نخبرك بالكثير بعد. على سبيل المثال، عن الحضارة النووية في روما الثالثة وتسونامي نهر المسيسيبي. عن حرب الثلاثين عامًا في السماء ونظام الدفاع الجوي الرائع. حول كيف وضعت أمريكا نفسها في "كش ملك نووي" في صراع الهيمنة العالمية. سنخبركم كيف صمم علماؤنا نموذجًا لـ"شتاء نووي"، وبالتالي دمروا كل آمال ريغان في النصر في حرب نووية.

ستتعرفون كيف تنبأ يوحنا اللاهوتي بالخطط الحالية "للمجتمع العالمي" قبل ألفي عام في جزيرة بطمس. وكيف وُلدت أساطير الحروب الثلاث - أفغانستان، وعاصفة الصحراء، والشيشان. سنتحدث عن القوة الدباباتية الهائلة للإمبراطورية وقواتها البرية، التي ارتجف الغرب أمامها. وعن خلق "العرق السادس" الغامض وسلاح الخيال الذي لم تفكر "النخبة" الحزبية ضيقة الأفق في استخدامه قط. وكيف كان من الممكن أن تنهار الولايات المتحدة قبلنا بكثير.

سنتعرف معكم على "تقني الإمبراطوريات" العظيم، كونستانتين ليونتييف، الذي تنبأ بكل شيء في القرن التاسع عشر. سنتطرق إلى عالم "المعتدين الصغار" المخيف و"الحروب الخاطئة" التي حمت إمبراطوريتنا كوكبنا منها.

وسنعود مجددًا إلى التوترات الشديدة للتنافس العالمي. سنقيّم قوة الغرب ونتعرف على نشأة قبائل جديدة مولعة بالحرب. سنجيب على سؤال: "هل هددنا غزو الروبوتات القتالية الغربية؟" سنلقي نظرة فاحصة على معالم المستقبل في قارة أمريكا اللاتينية.

ستتمكنون من التعرّف على الخطة العالمية "أناكوندا"، ونداء البحار الدافئة، و"عقدة التوتر العالي" - البحر الأسود. سنخبركم عن سرّنا الشمالي الشمالي.

أُنهي كتابة السطور الأخيرة في يوم الذكرى الثانية لاغتيال "فلادنا"، مُقدّم البرامج التلفزيونية الأوروبية ليستيف، ويُسمع صوت بكاء من التلفزيون. لكن روحي هادئة، وأبتسم: ثورتهم تلتهم أبناءها. كلما اقترب ردّ فعلنا العظيم. الآن سيبدأ الفيلم العظيم - "الشيوخ وحدهم يخوضون المعركة".

سأشاهده وأتذكر أبطالنا. أبطال حقيقيون، لا أشباحًا من الصندوق الإلكتروني. أبطال المعركة والخلق، لا أقزامًا في طور الانحلال.

ثم - سأطفئ "الصندوق"، وأسكب لنفسي كأسًا وأتذكرهم بالروسية.

سنعود!

١ مايو ١٩٩٦ - ١ مارس ١٩٩٧.